الجمع الفريد

في علم التوحيد

من كلام العلامة ابن عثيمين

وغيره من العلماء والمشايخ

جمع وترتيب : أبو العيد الهواري

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولو كره المشركون

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلى الناس أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم

تسليما كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد :

فهذا جمع لنقولات عديدة في علم العقيدة أردتها أن تكون جامعة ماتعة نافعة غزيرة المادة

العلمية ومرتبتة ترتيبا بديعا

وهذا الجمع مأخوذ من كلام العلامة ابن عثيمن وغيره من العلماء الراسخين والمشايخ الثقات

- وهم غير معصومين - ليطمئن القارئ ويهتدي الجاهل على نور وبصيرة

والله أسأله أن ينفع به ويهدي به إلى صراط مستقيم

و صلى الله وسلم تسليما كثيرًا إلى يوم الدين .

الفصل الأول :

مفاهيم في العقيدة

1/ تعريف علم العقيدة :

العقيدة في الأصل من العقد، وهو إحكام الشد، وضده الحل، وهذا في الأصل، أي في اللغة العربية.

وأما في الاصطلاح : فهي حكم الذهن الجازم، يعني أن تحكم على الشيء حكما جازما، وتحكم عليه ذهنا، يعني تعتقد في قلبك بأن هذا كذا نفيا أو إثباتا، جازما به ...

فقولنا حكم الذهن خرج به قول اللسان لأنه لا يعتبر عقيدة؛ إذ قد يقول الإنسان ما لا يعتقد. وخرج بقولنا: الجازم الشك فإن الشاك لم يعتقد. ولا يشترط أن يكون الحكم مطابقاً للواقع، فإن طابق الواقع فالعقيدة صحيحة، وإن خالف الواقع فالعقيدة فاسدة.

فاعتقاد النصارى أن الله ثالث ثلاثة هذه عقيدة، ولكنها فاسدة [1]

– فائدة : الشريعة تنقسم إلى قسمين : اعتقاديات وعمليات

فالاعتقاديات: هي التي لا تتعلق بكيفية العمل، مثل اعتقاد ربوبية الله، ووجوب عبادته، واعتقاد بقية أركان الإيمان المذكورة، وتُسمَّى أصلية.

والعمليات: هي ما يتعلق بكيفية العمل مثل الصلاة والزكاة والصوم وسائر الأحكام العملية، وتسمى فرعية؛ لأنها تبنى على تلك صحة وفسادًا. [2]

2/ اسم هذا العلم :

يسمى هذا العلم، الذي نحن بصدده بالعقيدة والتوحيد والسنة والإيمان. هذا هو المشهور قديما عند أهل العلم، ثم خَلَفَ من بعدهم خلف أضاعوا فعل السلف واتبعوا أهواءهم، فأتوا بأسماء جديدة.

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 74

[2] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 5

ومن هذه الأسماء :

1- الأصول: وسموا الفقه بالفروع. وهذا التقسيم باطل لأمور :

أ- أنه لا يوجد له دليل من كتاب ولا سنة.

ب أنه لم يرد عن أحد من السلف.

ج- أنه لا يوجد ضابط واحد منضبط يحصل من خلاله التفريق بين ما يقال فيه أصول أو فروع.

د- أن هذا التقسيم جيء به من قبل أهل الأهواء والبدع كالمعتزلة وغيرهم.

راجع لهذا، منهاج السنة (5 / 87 - 88) ، و الفتاوى (23 / 346) .

2- ومن هذه الأسماء: علم الفلسفة والكلام.

وهذا التسمية باطلة أيضًا لأمور:

أ- أن علم الفلسفة والكلام يعتمدان على العقل فهو مصدرهما، وأما علم العقيدة فمصدره الكتاب والسنة.

ب - أنهما علمان مذمومان قد ذمّهما السلف، واما علم العقيدة فهو أصل دعوة الرسل.

ج - أنهما جهل وحيرة وشك، وعلم العقيدة علم وإيمان ويقين.

د - أنها تسمية جيئت من قبل أهل البدع قال الشهرستاني في الملل والنَّحَل :(1/20) : ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام ، وأفردتها فنا من فنون العلم وسمتها باسم الكلام. اهـ

3- ومنهم من أطلق عليه بـ (التصور)، وذلك كما فعل سيد قطب حيث سمّى كتابه الذي هو في هذا الباب: خصائص التصوّر الإسلامي ومقوماته". وهذا الاصطلاح منطقي لا سلفي.
انظر مقدمات في الاعتقاد (ص: (8) وما بعد لناصر بن عبدالله القفاري [1]

3/ موضوع علم العقيدة :

هذا العلم ... يتناول مواضيع شتّى، منها :

ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله بأدلتها.

وذكر أمور الغيب والآخرة وما يلحق ذلك من أحوال أهل الجنة والنار.

وذكر القدر.

وذكر الصحابة وما يجب علينا فيهم.

وذكر أمهات المؤمنين وما يجب علينا فيهنَّ.

وذكر مسائل الولاء والبراء.

وذكر مسائل الإيمان وغير ذلك من أمور العقيدة [2]

4/ غاية علم العقيدة :

معرفة أمور العقيدة يصيّر الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعية متقنا مُحكَمًا، لا تزلزله شبهة المبطلين، ولا ضلالات المبتدعين [3]

5/ ثمرة علم العقيدة :

ثمرته ... السعادة في الدارين : في الدنيا انتظام المعاش وفي الآخرة النجاة من العذاب. [4]

---

[1] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 13

[2] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 15

[3] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 16

[4] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 16

6/ من أين يستمد علم العقيدة :

علم العقيدة مستمد من الكتاب والسنة والإجماع.[1]

فلا تثبت إلا بدليل من الشارع، ولا مسرح فيها للرأي والاجتهاد، ومن ثَمَّ فإن مصادرها مقصورة على ما جاء في الكتاب والسنة؛ لأنه لا أحد أعلمُ بالله وما يجب له وما ينزه عنه من الله، ولا أحد بعد الله أعلمُ بالله من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولهذا كان منهج السلف الصالح ومن تبعهم في تلقِّي العقيدة مقصورًا على الكتاب والسنة ... ولهذا لم يحصل بينهم اختلاف في الاعتقاد، بل كانت عقيدتهم واحدة، وكانت جماعتهم واحدة؛ لأن الله تكفّل لمن تمسك بكتابه وسنة رسوله باجتماع الكلمة، والصواب في المعتقد واتحاد المنهج، قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103] [2]

7/ واضع علم العقيدة :

الذي وضع هذا العلم هو الله سبحانه وتعالى .[3]

8/ فضل علم العقيدة :

لا يشك أحد أن علم العقيدة أفضل العلوم على الإطلاق، قال محمد بن عمر الرازي: ... إنّ شرف العلم بشرف المعلوم، فمهما كان المعلوم أشرف كان العلم الحاصل به ، أشرف، ولما كان أشرف معلوم ذات الباري وصفاته وجب أن يكون معرفته وتوحيده أشرف العلوم اهـ من "عجائب القرآن " (ص: ١٥)[4]

---

[1] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 16

[2] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 8

[3] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 16

[4] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 16

9/ وجوب معرفة العقيدة الإسلامية :

اعلموا وفقني الله وإياكم أنه يجب على كل مسلم أن يتعلم العقيدة الإسلامية؛ ليعرف معناها وما تقوم عليه، ثم يعرف ما يضادها ويبطلها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر : قال الله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاّ الله وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} .

قال الإمام البخاري – رحمه الله –: (باب العلم قبل القول والعمل) ، واستشهد بهذه الآية الكريمة.

قال الحافظ ابن حجر: "قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل؛ فلا يعتبران إلا به؛ فهو متقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل ... " انتهى.

ومن هنا اتجهت همم أهل العلم إلى تعلم أحكام العقيدة وتعليمها، واعتبروا ذلك من أوليات العلوم ... ولهذا؛ يجب أن يكون لعلم العقيدة الصدارة بين المقررات الدراسية في مختلف المراحل، وأن تعطى من الحصص اليومية العدد الكافي، ويختار لها المدرسون الأكفاء، وأن يركز عليها في النجاح والرسوب؛ خلاف ما عليه غالب واقع الدراسات المنهجية اليوم ...

ومن هنا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: "يوشك أن تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية".

هذا؛ ويجب اختيار الكتب الصحيحة السليمة، التي ألفت على مذهب السلف الصالح وأهل السنة والجماعة، والمطابقة للكتاب والسنة؛ فتقرر على الطلاب ...

وإلى جانب الدراسة النظامية يجب أن يكون هناك دروس تعقد في المساجد، تدرس فيها العقيدة السلفية بالدرجة الأولى، وتقرأ فيها المتون والشروح؛ ليستفيد منها الطلاب وكل من حضر، ويكون هناك مختصرات مبسطة تلقى للعامة، وبذلك تنتشر العقيدة الإسلامية، إلى جانب ما يذاع في البرامج الدينية بواسطة الإذاعة، ويكون هناك برنامج مستمر تذاع من خلاله أحكام العقيدة الإسلامية.

ثم يجب أن يكون هناك اهتمام خاص بالعقيدة من جانب الأفراد؛ فيكون للمسلم مطالعات في كتب العقيدة، والتعرف على ما ألف فيها على منهج السلف، وما ألف على منهج المخالفين لهم، حتى يكون المسلم على بصيرة من أمره، وحتى يستطيع رد الشبه الموجهة إلى عقيدة أهل السنة.

أيها المسلم: إنك حينما تتأمل القرآن الكريم؛ تجد فيه كثيرًا من الآيات والسور تهتم بأمر العقيدة، بل إن السور المكية تكاد تكون مختصة ببيان العقيدة الإسلامية ورد الشبهات الموجهة إليها

خذ مثلاً سورة الفاتحة : قال الإمام العلامة ابن القيم - رحمه الله -: "اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن؛ فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها، وهي: (الله) ، و (الرب) ، و (الرحمن) ، وبنيت السورة على الإليهة والربوبية والرحمة: ف {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} مبني على الإلهية، و {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} على الربوبية، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم يتعلق بصفة الرحمة، والحمد يتضمن الأمور الثلاثة؛ فهو المحمود في إلهيته وربوبيته ورحمته، والثناء والحمد كمالان لجده، وتضمنت إثبات المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيئها، وتفرد الرب تعالى بالحكم، إذ ذاك بين الخلائق، وكون حكمه بالعدل، كل هذا تحت قوله: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} ، وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة ... " ثم بينها رحمة الله بكلام مطول مفيد.

إلى أن قال: "فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم ....

وقال: "وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد؛ فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وتوحيده وحده لا شرك له، وخلع ما يعبد من دونه؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته؛ فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وما فعل بهم في الدنيا وما

يكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما فعل بهم في العقبى من العذاب؛ فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد...." انتهى.

ومع اهتمام القرآن بشأن العقيدة الإسلامية؛ فإن أكثر الذين يقرؤونه لا يفهمون العقيدة فهما صحيحا، فصاروا يخلطون ويغلطون فيها لأنهم يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم، ولا يقرؤون القران بتدبر؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله. [1]

- فائدة : العلوم الشرعية تنقسم إلى قسمين :

قسم: لابد للإنسان من تعلمه وهو ما يحتاجه في أمور دينه ودنياه.

وقسم آخر وهو: فرض كفاية، فإنه هنا يمكن الموازنة بينه وبين ما تحتاجه الأمة من العلوم الأخرى التي ليست من العلوم الشرعية، وكذلك العلوم الأخرى التي ليست من العلوم الشرعية. تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1- علوم ضارة؛ فيحرم تعلمها، ولا يجوز للإنسان أن يشتغل بهذه العلوم مهما تكن نتيجتها.

2- علوم نافعة، فإنه يتعلم منها ما فيه النفع.

3- العلوم التي جهلها لا يضر، والعلم بها لا ينفع وهذه لا ينبغي للطالب أن يقضي وقته في طلبها. [2]

10/ أهمية علم العقيدة :

العقيدة ... تحصل بها النجاة من عذاب الله والسعادة في الدنيا والآخرة، وإن كانت هذه العقيدة مخالفة لما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه؛ فهي عقيدة توجب لأصحابها العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة.

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 13

[2] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 54/26

العقيدة السليمة الصحيحة تعصم الدم والمال في الدنيا، وتحرم الاعتداء عليهما وانتهاكهما بغير حق؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها"،[1] وقال صلى الله عليه وسلم: "من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل" رواه مسلم.[2]

وهي – أيضا – تنجي من عذاب يوم القيامة؛ فقد روى مسلم عن جابر – رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من لقي الله لا يشرك به شيئا؛ دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا؛ دخل النار"، وفي (الصحيحين) من حديث عتبان بن مالك – رضي الله عنه –: "فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله".

والعقيدة الصحيحة السليمة يكفر الله بها الخطايا؛ فقد روى الترمذي وحسنه عن أنس – رضي الله عنه –: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تعالى: يا ابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا؛ لأتيتك بقرابها مغفرة".[3] و (قراب الأرض) : ملؤها أو ما يقارب ملأها. فشرط في حصول هذه المغفرة سلامة العقيدة من الشرك؛ كثيره وقليله، صغيره وكبيره، ومن كان كذلك؛ فهو صاحب القلب السليم، قال الله فيه: {يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إلاّ مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}.

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله – في معنى حديث عتبان: "ويعفى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه بالشرك ما لا يعفى لمن ليس كذلك، فلو لقي الموحد الذي لم يشرك بالله شيئا ألبتة ربه بقراب الأرض خطايا؛ أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده؛ فإن

---

[1] صححه الألباني في سنن ابن ماجه (3927)

[2] صحيح مسلم (23)

[3] صححه الألباني في سنن الترمذي (3540)

التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب؛ لأنه يتضمن من محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب، لو كانت قراب الأرض؛ فالنجاسة عارضة والدوافع لها قوي ... " انتهى.

والعقيدة السليمة تقبل معها الأعمال وتنفع صاحبها؛ قال تعالى-: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

وعلى العكس من ذلك؛ فالعقيدة الفاسدة تحبط جميع الأعمال؛ قال تعالى-: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، وقال تعالى-: {وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

والعقيدة الفاسدة بالشرك تحرم من الجنة والمغفرة، وتوجب العذاب والخلود في النار؛ قال الله تعالى: {إِنَّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} ، وقال تعالى-: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}

والعقيدة الفاسدة تهدر الدم، وتبيح المال الذي يملكه صاحب تلك العقيدة؛ قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} ، وقال تعالى-: {فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ}.

وبالتالي؛ فالعقيدة السليمة لها آثار طيبة في القلوب والسلوك الاجتماعي والنظام العمراني؛ فهناك فريقان كل منهما بنى مسجدًا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم: فريق بنى مسجده بنية صالحة وعقيدة خالصة لله عز وجل، وفريق بنى مسجده لهدف سيىء وعقيدة فاسدة؛ فأمر الله نبيه أن يصلي في المسجد أسس على التقوى، نهاه أن يصلي في المسجد الذي أسس على الكفر والمقاصد السيئة؛ قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ الله وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاّ الْحُسْنَى وَالله يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ

يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَالله يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَالله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [1]

11/ خصائص علم العقيدة :

للعقيدة الإسلامية عقيدة أهل السنة والجماعة _ خصائص عديدة، لا توجد في أي عقيدة أخرى، ولا غرو في ذلك؛ إذ إن تلك العقيدة تُستَمد من الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومن تلك الخصائص مايلي :

1 _ سلامة مصدر التلقي: وذلك باعتمادها على الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح، فهي مستقاة من ذلك النبع الصافي، بعيداً عن كدر الأهواء والشبهات.

وهذه الخصيصة لا توجد في شتى المذاهب والملل والنحل غير العقيدة الإسلامية_عقيدة أهل السنة والجماعة .

2 _ أنها تقوم على التسليم لله_تعالى_ولرسوله": وذلك لأنها غيب، والغيب يقوم على التسليم.

فالتسليم بالغيب من أعظم صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها، كما في قوله_تعالى_: [ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ] (البقرة: 2، 3) .

ذلك أن العقول لا تدرك الغيب، ولا تستقل بمعرفة الشرائع؛ لعجزها وقصورها؛ فكما أن سمع الإنسان قاصر، وبصره كليل، وقوته محدودة_فكذلك عقله، فَتَعَيَّنَ الإيمان بالغيب والتسليم لله_عز وجل_.

3 _ موافقتها للفطرة القويمة، والعقل السليم: فعقيدة أهل السنة والجماعة ملائمة للفطرة السليمة، موافقة للعقل الصريح، الخالي من الشهوات والشبهات. [2]

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 10

[2] رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة 3/7

روى البخاري في صحيحه (1385) ومسلم في صحيحه (2658) – واللفظ للبخاري – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "كلُّ مولود يُولَد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه. . . " الحديث. وفي صحيح مسلم (2865) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه: ". . . وإنِّي خلقتُ عبادي حنفاء كلّهم، وإنَّهم أتتهم الشياطينُ فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يُشركوا بي ما لم أُنزل به سلطاناً" الحديث.

وهذان الحديثان يدلاَّن على أنَّ دينَ الإسلام هو دينُ الفطرة، وعقيدةَ أهل السُّنَّة والجماعة مطابقةٌ للفطرة ... وقد جاء عن بعض المتكلمين وغيرهم عباراتٌ تدلُّ على أنَّ السلامةَ والنجاةَ إنَّما هي في عقيدة العجائز المطابقة للفطرة، وقد نقل شارحُ الطحاوية عن أبي المعالي الجويني كلاماً ذمَّ فيه علمَ الكلام، وقال فيه عند موته: "وهَا أنا ذا أموت على عقيدة أمِّي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور".

وفي ترجمة الرازي – وهو من كبار المتكلِّمين – في لسان الميزان (4/427) : "وكان مع تبحُّره في الأصول يقول: من التزم دينَ العجائز فهو الفائز".

وقال أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين في نصيحته لمشايخه من الأشاعرة (1/185 – مجموعة الرسائل المنيرية) : "فمن تكون الراعية أعلم بالله منه لكونه لا يعرف وجهة معبوده، فإنَّه لا يزال مظلمَ القلب، لا يستنيرُ بأنوار المعرفة والإيمان".

وروى ابن سعد في الطبقات بإسناد صحيح على شرط مسلم (5/374) عن جعفر بن بُرقان قال: "جاء رجلٌ إلى عمر بن عبد العزيز فسأله عن شيء من الأهواء، فقال: الزَم دينَ الصبِيِّ في

الكُتَّاب والأعرابيِّ، والْهُ عمَّا سوى ذلك"، وعزاه إليه النووي في تهذيب الأسماء واللغات (22/2) .[1]

4_ اتصال سندها بالرسول "والتابعين وأئمة الدين قولاً، وعملاً، واعتقاداً: وهذه الخصيصة قد اعترف بها كثير من خصومها؛ فلا يوجد_بحمد الله_أصل من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة_ليس له أصل أو مستند من الكتاب والسنة، أو عن السلف الصالح، بخلاف العقائد الأخرى المبتدعة .[2]

- منهج السلف والعلم السلفي يمتد بسلسلة من النور إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم لاينقطع وأتحدى أي فرقة تخالف منهج السلف أن ترتفع إلى الصحابة لابد أن تنقطع إلى رجل دون الصحابة رضوان الله عليهم وهذا يدلك على أن الحق هو منهج السلف وعقيدة السلف وعلم السلف وطريقة السلف فإن العلم الموصول وغيره علم مقطوع والعلم المقطوع لايوصل إلى خير

الأشاعرة لايستطيعون أن يرتفعوا فوق أبي الحسن الأشعري ... غاية منتهاهم هو هذا الرجل [3]

5_ الوضوح والسهولة والبيان: فهي عقيدة سهلة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، فلا لبس فيها، ولا غموض، ولا تعقيد؛ فألفاظها واضحة، ومعانيها بينة، يفهمها العالم والعامي، والصغير والكبير، فهي تستمد من الكتاب والسنة، وأدلة الكتاب والسنة كالغذاء ينتفع به كل إنسان، بل كالماء الذي ينتفع به الرضيع، والصبي، والقوي، والضعيف.

6_ السلامة من الاضطراب والتناقض واللبس: فلا مكان فيها لشيء من ذلك مطلقاً، كيف لا وهي وحي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟

---

[1] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 24

[2] رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة 3/7

[3] مقطع للشيخ سليمان الرحيلي

فالحق لا يضطرب، ولا يتناقض، ولا يلتبس.

بل يشبه بعضه بعضاً، ويصدق بعضه بعضاً [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً] (النساء: 82) .

7_ أنها قد تأتي بالمحار، ولكن لا تأتي بالمحال: ففي العقيدة الإسلامية ما يبهر العقول، وما قد تحار فيه الأفهام، كسائر أمور الغيب؛ من عذاب القبر ونعيمه، والصراط، والحوض، والجنة والنار، وكيفية صفات الله_عز وجل_.

فالعقول تحار في فهم حقيقة هذه الأمور، وكيفياتها، ولكنها لا تحيلها بل تسلِّم لذلك، وتنقاد، وتذعن؛ لأن ذلك صدر عن الوحي المنزل، الذي لا ينطق عن الهوى.

8_ العموم والشمول والصلاح: فهي عامة، شاملة، صالحة لكل زمان ومكان، وحال، وأمة.

بل إن الحياة لا تستقيم إلا بها.

9_ الثبات والاستقرار والخلود: فهي عقيدة ثابتة، مستقرة خالدة، فلقد ثبتت أمام الضربات المتوالية التي يقوم بها أعداء الإسلام؛ من اليهود، والنصارى، والمجوس، وغيرهم.

فما إن يعتقد هؤلاء أن عظمها قد وهن، وأن جذوتها قد خبت، ونارها قد انطفأت، حتى تعود جذعة ناصعة نقية؛ فهي ثابتة إلى قيام الساعة، محفوظة بحفظ الله_تعالى_تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل؛ ورعيلاً بعد رعيل، لم يتطرق إليها التحريف، أو الزيادة، أو النقصان، أو التبديل.

كيف لا والله_عز وجل_هو الذي تكفل بحفظها، وبقائها ولم يكل ذلك إلى أحد من خلقه؟.

قال_تعالى_: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] (الحجر: 9) .

10_ أنها سبب للنصر والظهور والتمكين: فذلك لا يكون إلا لأهل العقيدة الصحيحة، فهم الظاهرون، وهم الناجون، وهم المنصورون كما قال": لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك .[1]

فمن أخذ بتلك العقيدة أعزه الله، ومن تركها خذله الله.

وقد عَلِم ذلك كلُّ من قرأ التاريخ، فمتى حاد المسلمون عن دينهم_حاق بهم ما حاق، كما حدث لهم في الأندلس وغيرها.

11_ أنها ترفع قدر أهلها: فمن اعتقدها، وزاد علماً بها، وعملاً بمقتضاها، ودعوة للناس إليها_أعلا الله قدره، ورفع له ذكره، ونشر بين الناس فضله، فرداً كان أو جماعة؛ ذلك أن العقيدة الصحيحة هي أفضل ما اكتسبته القلوب، وخير ما أدركته العقول؛ فهي تثمر المعارف النافعة، والأخلاق العالية.

12_ السلامة والنجاة: فالسنة سفينة النجاة، فمن تمسك بها سلم ونجا، ومن تركها غرق وهلك.

13_ العقيدة الإسلامية عقيدة الألفة والاجتماع: فما اتحد المسلمون، وما اجتمعت كلمتهم في مختلف الأعصار والأمصار_إلا بتمسكهم بعقيدتهم، وأخذهم بها، وما تفرقوا واختلفوا إلا لبعدهم عنها.

14_ التميز: فهي عقيدة متميزة، وأهلها متميزون، فطريقتهم مستقيمة، وأهدافهم محددة.

15_ أنها تحمي معتنقيها من التخبط والفوضى والضياع: فالمنهج واحد، والمبدأ واضح ثابت لا يتغير، فيسلم معتنقها من اتباع الهوى، ويسلم من التخبط في توزيع الولاء والبراء، والمحبة

[1] صحيح مسلم (1920)

والبغضاء، بل تعطيه معياراً دقيقاً لا يخطىء أبداً، فيسلم من التشتت والتشرد والضياع، فيعرف من يوالي، ويعرف من يعادي، ويعرف ما له وما عليه.

16_ أنها تمنح معتنقيها الراحة النفسية والفكرية: فلا قلق في النفس، ولا اضطراب في الفكر؛ لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه_عز وجل_فيرضى به رباً مدبراً، وحاكماً مشرعاً، فيطمئن قلبه بقدره، وينشرح صدره لحكمه، ويستنير فكره بمعرفته.

17_ سلامة القصد والعمل: بحيث يَسْلَمُ معتنقها من الانحراف في عبادة الله_عز وجل_فلا يعبد غير الله، ولا يرجو سواه.

18_ تؤثر في السلوك والأخلاق والمعاملة: فهي تأمر أهلها بكل خير، وتنهاهم عن كل شر، فتأمرهم بالعدل والاعتدال، وتنهاهم عن الظلم والانحراف.

19_ تدفع معتنقيها إلى الحزم والجد في الأمور.

20_ تبعث في نفس المؤمن تعظيم الكتاب والسنة: لأنه يعلم أن الكتاب والسنة حق وصواب، وهدى ورحمة؛ فينبعث بذلك إلى تعظيمهما، والأخذ بهما.

21_ تَكْفُل لمعتنقيها الحياة الكريمة: ففي ظل العقيدة الإسلامية يتحقق الأمن والحياة الكريمة؛ ذلك أنها تقوم على الإيمان بالله، ووجوب إفراده بالعبادة دون من سواه، وذلك_بلا شك_سبب الأمن والخير والسعادة في الدارين؛ فالأمن قرين الإيمان، وإذا فقد الإيمان فقد الأمن، قال_تعالى_: [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)] (الأنعام: 82) .

فأهل التقوى والإيمان لهم الأمن التام، والاهتداء التام في العاجل والآجل، وأهل الشرك والمعصية هم أهل الخوف وأولى الناس به، فهم مهددون بالعقوبات والنقمات في سائر الأوقات.

22_ تجمع بين مطالب الروح، والقلب، والجسد.

23_ تعترف بالعقل وتحدد مجاله: فالعقيدة الإسلامية تحترم العقل السوي، وترفع من شأنه، ولا تحجر عليه، ولا تنكر نشاطه، والإسلام لا يرضى من المسلم أن يطفىء نور عقله، ويركن إلى التقليد الأعمى في مسائل الاعتقاد وغيرها.

24_ تعترف بالعواطف الإنسانية، وتوجهها الوجهة الصحيحة: فالعواطف أمر غريزي، ولا يتجرد منه أي إنسان سوي، والعقيدة الإسلامية ليست عقيدة هامدة جامدة، بل هي عقيدة حيَّة، تعترف بالعواطف الإنسانية، وتقدرها حق قدرها، وفي الوقت نفسه لا تطلق العنان لها، بل تُقوِّمها، وتسمو بها، وتوجهها الوجهة الصحيحة، التي تجعل منها أداة خير وتعمير، بدلاً من أن تكون معولَ هدمٍ وتدمير.

25_ العقيدة الإسلامية كفيلة بحل جميع المشكلات: سواء مشكلات الفرقة والشتات، أو مشكلات السياسة والاقتصاد، أو مشكلات الجهل والمرض والفقر، أو غير ذلك.

فلقد جمع الله بها القلوب المشتتة، والأهواء المتفرقة، وأغنى بها المسلمين بعد العَيْلَة، وعلّمهم بها بعد الجهل، وبصّرهم بعد العمى، وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف. [1]

26_ كل الفرق تعمل بالعاطفة والمنهج السلفي يعمل بالعلم [2]

12/ أصول العقيدة الإسلامية :

اعلم أيها المسلم وفقني الله وإياك أن أصول العقيدة الإسلامية التي هي عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره.

وهذه الأصول دلت عليها نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، وأجمعت عليها الأمة: قال تعالى -: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ

---

[1] رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة 7/3

[2] مقطع للشيخ سليمان الرحيلي

وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} وقال تعالى-: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} ... وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره".[1]

وهذه الأصول العظيمة (وتسمى أركان الإيمان) قد اتفقت عليها الرسل والشرائع، ونزلت بها الكتب السماوية، ولم يجحدها أو شيئا منها إلا من خرج عن دائرة الإيمان وصار من الكافرين [2]

13/ الدعوة إلى العقيدة الإسلامية :

يجب على المسلم بعدما يمن الله عليه بمعرفة هذه العقيدة والتمسك بها أن يدعو الناس إليها لإخراجهم بها من الظلمات إلى النور؛ كما قال تعالى-: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ الله وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} .

والدعوة إلى العقيدة الإسلامية هي فاتحة دعوة الرسل جميعا؛ فلم يكونوا يبدؤون بشيء قبلها؛ كما قال الله تعالى عنهم: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} ...

وكان النبي (عندما يبعث الدعاة يوصيهم بالبداءة بالعدوة إلى تصحيح العقيدة؛ فعن ابن عباس - رضي الله عنهما، أن رسول الله (لما بعث معاذاً إلى اليمن؛ قال له: "إنك تأتي قوما من أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله " وفي رواية: إلى أن يوحداو الله، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على

[1] صحيح مسلم (8)

[2] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 25

فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فإياك وكرائم أموالهم، وتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" رواه البخاري ومسلم [1]...

وقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة، يدعو الناس إلى تصحيح العقيدة؛ بعبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام، قبل أن يأمر بالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وترك المحرمات من الربا والزنا والخمر والميسر.

وهذا ما يدلنا دلالة واضحة على خطأ بعض الجماعات المعاصرة التي تنتمي للدعوة، وهي لا تهتم بالعقيدة ...

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله – في معنى قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}

"ذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو: فإنه إما أن يكون طالبا للحق، مؤثرًا له على غيره إذا عرفه؛ فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال.

وإما أن يكون مشتغلاً بضد الحق، لكن لو عرفه؛ آثره واتبعه؛ فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.

وإما أن يكون معاندًا معارضا؛ فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع، وإلا؛ انتقل معه إلى غير الجدال إن أمكن ... " انتهى كلام ابن القيم ... [2]

14/ في بيان أسباب الانحرافِ عن العقيدة وسبل التوقي منه :

الانحراف عن العقيدة الصحيحة مهلكة وضياع؛ لأن العقيدة الصحيحة هي الدافع القوي إلى العمل النافع، والفرد بلا عقيدة صحيحة يكون فريسة للأوهام والشكوك التي ربما تتراكم عليه، فتحجب عنه الرؤية الصحيحة لدروب الحياة السعيدة؛ حتى تضيق عليه حياته، ثم

---

[1] صحيح مسلم (19)

[2] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 17

يحاول التخلص من هذا الضيق بإنهاء حياته ولو بالانتحار، كما هو الواقع من كثير من الأفراد الذين فقدوا هداية العقيدة الصحيحة.

والمجتمع الذي لا تسوده عقيدة صحيحة هو مجتمع بهيمي يفقد كل مقومات الحياة السعيدة؛ وإن كان يملك الكثير من مقومات الحياة المادية التي كثيرًا ما تقوده إلى الدمار، كما هو مشاهد في المجتمعات الكافرة؛ لأن هذه المقومات المادية تحتاج إلى توجيه وترشيد؛ للاستفادة من خصائصها ومنافعها، ولا موجه لها سوى العقيدة الصحيحة؛ قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا} [المؤمنون: 51] ...

فقوة العقيدة يجب أن لا تنفك عن القوة المادية؛ فإن انفكت عنها بالانحراف إلى العقائد الباطلة، صارت القوة المادية وسيلة دمار وانحدار؛ كما هو المشاهد اليومَ في الدول الكافرة التي تملكُ مادة، ولا تملك عقيدة صحيحة.

والانحراف عن العقيدة الصحيحة له أسباب تجب معرفتها ، من أهمها :

1 - الجهل بالعقيدة الصحيحة؛ بسبب الإعراض عن تعلمها وتعليمها، أو قلة الاهتمام والعناية بها؛ حتى ينشأ جيلٌ لا يعرفُ تلك العقيدة، ولا يعرف ما يخالفها ويضادها؛ فيعتقد الحق باطلاً، والباطل حقًّا، كما قالَ عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه -: " إنما تُنقضُ عُرى الإسلام عروةً عروةً إذا نشأ في الإسلام من لا يعرفُ الجاهلية ".

2 - التّعصُّبُ لما عليه الآباء والأجداد، والتمسك به وإن كان باطلاً، وترك ما خالفه وإن كان حقًّا؛ كما قال الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} [البقرة: 170] .

3 - التقليدُ الأعمى بأخذ أقوال الناس في العقيدة من غير معرفة دليلها، ومعرفة مدى صحتها، كما هو الواقعُ من الفرقِ المخالفة من جهمية ومعتزلة، وأشاعرة وصوفية، وغيرهم، حيثُ قلدوا من قبلهم من أئمة الضلال؛ فضلوا وانحرفوا عن الاعتقاد الصحيح.

4 - الغُلُو في الأولياء والصالحين، ورفعهم فوق منزلتهم؛ بحيث يُعتقد فيهم ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب النفع، ودفع الضر، واتخاذهم وسائط بين الله وبين خلقه في قضاء الحوائج وإجابة الدعاء؛ حتى يؤول الأمر إلى عبادتهم من دون الله، والتقرب إلى أضرحتهم بالذبائح والنذور، والدعاء والاستغاثة وطلب المدد، كما حصل من قوم نوح في حق الصالحين حين قالوا: {لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح: 23] . وكما هُوَ الحاصلُ من عبَّاد القُبور اليومَ في كثير من الأمصار.

5 - الغفلة عن تدبر آيات الله الكونية، وآيات الله القرآنية، والانبهار بمعطيات الحضارة المادية؛ حتى ظنوا أنها من مقدور البشر وحده؛ فصاروا يُعظِّمون البشر، ويضيفون هذه المعطيات إلى مجهوده واختراعه وحده، كما قال قارون من قبلُ: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي}[القصص: 78] ... ولم يتفكروا وينظروا في عظمة من أوجد هذه الكائنات، وأودعها هذه الخصائص الباهرة، وأوجد البشر وأعطاهُ المقدرةَ على استخراج هذه الخصائص، والانتفاع بها: ... {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} [الأعراف: 185] ...

6 - أصبح البيتُ في الغالب خاليًا من التوجيه السليم؛ وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ﴿كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه﴾ [أخرجه الشيخان] ، فالأبوان لهما دور كبير في تقويم اتجاه الطفل.

7 - إحجامُ وسائل التعليم والإعلام في غالب العالم الإسلامي عن أداء مهمتها، فقد أصبحت مناهج التعليم في الغالب لا تولي جانب الدين اهتمامًا كبيرًا، أو لا تهتم به أصلاً، وأصبحت وسائلُ الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في الغالب أداة تدمير وانحراف، أو تعنى بأشياء مادية وترفيهية، ولا تهتم بما يُقَوِّمُ الأخلاق، ويزرع العقيدة الصحيحة، ويقاوم التيارات المنحرفة؛ حتى ينشأ جيلٌ أعزلُ أمام جيوش الإلحاد لا يدان له بمقاومتها.

وسبل التّوقِّي في هذا الانحراف تتلخص فيما يلي:

1 – الرجوع إلى كتاب الله عزَّ وجلَّ، وإلى سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – لتلقِّي الاعتقاد الصحيح منهما، كما كان السلف الصالح يستمدون عقيدتهم منهما، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، مع الاطلاع على عقائد الفرق المنحرفة، ومعرفة شُبههم للرد عليها والتحذير منها؛ لأن من لا يعرف الشر يوشك أن يقع فيه.

2 – العناية بتدريس العقيدة الصحيحة – عقيدة السلف الصالح – في مختلف المراحل الدراسية، وإعطاؤها الحصص الكافية من المنهج، والاهتمام البالغ في تدقيق الامتحانات في هذه المادة.

3 – أن تُقرر دراسةُ الكُتبِ السَّلفية الصافية، ويبتعد عن كتب الفرق المنحرفة، كالصوفية والمبتدعة، والجهمية والمعتزلة، والأشاعرة والماتوريدية، وغيرهم إلا من باب معرفتها لرد ما فيها من الباطل والتحذير منها.

4 – قيام دعاة مصلحين يجددون للناس عقيدة السلف، ويردون ضلالات المنحرفين عنها. [1]

15/ الاختلاف في العقيدة :

الاختلاف على قسمين :

القسم الأول: اختلاف في العقيدة ، وهذا لا يجوز أبداً ؛ لأنه يوجب التناحر والعداوة والبغضاء ويفرق الكلمة، فيجب أن يكون المسلمون على عقيدة واحدة، وهي عقيدة لا إله إلا الله، واعتقاد ذلك قولاً وعملاً واعتقاداً، والعقيدة توقيفية ليست محلاً للاجتهاد، فإذا كانت كذلك فليس فيها مجال للتفرق، فالعقيدة مأخوذة من الكتاب والسنة، لا من الآراء والاجتهادات، فالفرقة في العقيدة تؤدّي إلى التناحر والتباغض والتقاطع، كما حصل من الجهمية والمعتزلة

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 10

والأشاعرة والفرق الضالة التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة" قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي" فما يجمع الناس إلا ما كان مثل ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

القسم الثاني: اختلاف في الاجتهاد الفقهي، وهذا لا يوجب عداوة؛ لأن سببه هو النظر في الأدلة حسب مدارك الناس، والناس يختلفون في ذلك، وليسوا على حد سواء، فهم يختلفون في قوة الاستنباط وفي كثرة العلم وقلته.

هذه الفرقة مجتمعة على الحق، وإن كان قد يحصل بينهم خلاف، لكنه خلاف لا يضر، وهو خلاف لا يضلل أحدهم الآخر به ... وإلاّ، فقد اختلفوا في أشياء مما يتعلق بالعقيدة، مثل: هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه بعينه أم لم يره؟ ومثله: هل عذاب القبر على البدن والرواح أو الروح فقط؟ ومثل بعض الأمور يختلفون فيها، لكنها مسائل تعد فرعية بالنسبة للأصول، وليست من الأصول. ثم هم مع ذلك إذا اختلفوا، لا يضلل بعضهم بعضاً، بخلاف أهل البدع [1].

وكان الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يجتهدون ويختلفون . وهذا الاجتهاد على قسمين:

قسم ظهر الدليل مع أحد الطرفين المختلفين فيه فيجب أخذ ما عليه الدليل، وترك ما لم يقم عليه الدليل، فتعرض آراء الفقهاء على الدليل، فما دل عليه الدليل وجب الأخذ به وترك ما خالفه، ويجب على المجتهد الذي لم يوفق للصواب وخالف الدليل أن يقبل الحق ويرجع إلى الصواب، ولا يجوز له الاستمرار في الاجتهاد الخاطئ، ولا يجوز لنا أن نتبعه على الاجتهاد الخاطئ ... والإمام مالك رحمه الله يقول: "كلنا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر" يعني:

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 53

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول رحمه الله: "أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل، تركنا ما نزل به جبريل على محمد لجدل هؤلاء؟! " هذا كلام الإمام مالك رحمه الله ... والإمام الشافعي رحمه الله يقول: "أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يكن له أن يدعها لقول أحد" ... والإمام أحمد رحمه الله يقول: "عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان! والله تعالى يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله – يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم – أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك".

القسم الثاني من هذا: الاجتهاد الفقهي ما لم يظهر فيه دليل مع أحد القولين؛ بل كلا القولين محتمل، فهذا لا إنكار في مسائل الاجتهاد، ما دام لم يترجح شيء منها بالدليل، فلا إنكار على من أخذ بقول من الأقوال؛ شريطة ألا يكون عنده تعصب أو هوى، وإنما قصده الحق؛ لذلك لا ينكر الحنبلي على الشافعي، ولا ينكر الشافعي على المالكي، والأئمة الأربعة وأتباعهم إخوة على مدار الزمان، ولله الحمد، ما وقع بينهم عداوات ... ومن هنا قالوا الكلمة المشهور: "لا إنكار في مسائل الاجتهاد".

فإذا كان أهل بلد على قول من هذه الأقوال الاجتهادية التي لم يظهر ما يخالفها ولا ما يعرضها، مجتمعين على رأي من هذه الآراء الفقهية، فلا يسوغ لأحد أن يفرق هذا الاجتماع، بل ينبغي الوفاق وعدم الاختلاف.[1]

[1] شرح مسائل الجاهلية للعلامة الفوزان 43

- **تنبيه :** يخطئ من يقول: إن أهل السنة والجماعة ثلاثة: سلفيون، وأشعريون، وماتريديون فهذا خطأ نقول كيف يكون الجميع أهل سنة وهم مختلفون فماذا بعد الحق إلا الضلال وكيف يكونون أهل سنة وكل منهم يرد على الآخر [1]

16/ القياس في العقيدة :

للناس في القياس أربعة أقوال :

الأول: نفيه مطلقًا في التوحيد والأحكام (الفقه).

الثاني: إثباته مطلقًا في التوحيد والأحكام.

الثالث: إثباته في التوحيد دون الأحكام.

الرابع: إثباته في الأحكام دون التوحيد.

وهذا القول الرابع هو الصحيح من هذه الأقوال ، قال أبو عمر بن عبد البر: ولا خلاف بين فقهاء الأمصار ، وسائر أهل السنة وأهل الفقه والحديث في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام. اهـ انظر جامع بيان العلم وفضله ﴿ (٢/٨٨٧) ...

وإنما لم يكن القياس من مصادر العقيدة ؛ لأن أبواب الاعتقاد من الأمور الغيبية التي لا بد فيها من دليل نقلي سمعي ، ولا يثبت بالنظر والفكر ؛ فالعقل إذا مهمته الفهم لا التلقي ، والله الموفق. وأما (قياس (الأولى فهذا سيأتي الحديث عنه إن شاء الله في صميم الكتاب. [2]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 53

[2] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 23

17/ التقليد في العقيدة :

التقليد قَبُولْ القول والتِزَامُهُ دون حجةٍ واضحة ...

لأنه إن كان عنده حجة فهو مُتَّبِع ولو كان مُتأولاً أو مُخْطِئاً، وإذا كان ليست عنده حجة وإنما يتعصب أو يقبل قول الغير هكذا لأنه قاله فقط مع ظهور الحُجَّةْ في خلافه، فهذا يُسمى مُقَلداً لأنه جعل القول قِلادةً له دون بيانه.

والتقليد في الاعتقاد فيه تفصيل :

- فما كان مما يُشْتَرَطُ لصحة الإسلام والإيمان فلا ينفع فيه التقليد؛ بل لابُدَّ فيه من أخذ القول بدليله وجوباً؛ لأنَّ هذا هو العلم الذي أمر الله - عز وجل - به في قوله {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} [محمد:19] .

- أَمَّا التقليد في الاستدلال فلا بأس به؛ يعني أن يَعْلَمَ وجه الدليل من الحُجَّةْ ويُقَلِّدُ العالم في الاقتناع بهذا الدليل يعني بوجه الاستدلال، فهذا لا بأس به لأنَّ المجتهد في فهم الدليل هذا قليل في الأمة.

فإذاً الواجب في الاتباع وما يَحْرُمُ من التقليد في العقيدة هو ما كان من أصول الإسلام؛ يعني ما لا يصح الإسلام إلا به، مثل العلم بالشهادتين، وأركان الإيمان الستة، وفرض أركان الإسلام الخمسة.

إذا كان التقليد كذلك فهل يُشْتَرَطُ استدامة العلم واستصحاب العلم والاتِّبَاع أم لا يُشْتَرَطْ؟ الذي عليه العلماء المحققون وقَرَّرُوهُ أنَّ الاستدامة ليست شرطاً، وإنما يكفي أن يَعْلَمَ الحق في هذه المسائل في عمره مرةً بدليله، ويأخذ ذلك ويقتنع به، يأخذ ذلك عن دليل وبيِّنَة، ثم يعمل بما دلَّ عليه.

فمن تَعَلَّمَ مسألةً، مثلاً تَعَلَّمَ معنى الشهادتين في عمره، ثم بعد ذلك نسي المعنى، أو تَعَلَّمَ أدلة أركان الإيمان ثم نسي، أو تَعَلَّمَ فرضية الأركان الخمسة، أركان الإسلام أو الأربع العملية ثم

جاءه فترة ونسي، فإنَّ هذا لا يؤثر ولا يأثم بذلك، المهم أن يكون أصل استسلامه عن دليلٍ فيما لا يصح الإيمان والإسلام إلا به.

وهذا هو حكم التقليد عند أهل السنة والجماعة ووجوب الاتباع.

وأما المخالفون من أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة وجماعات فإنَّهُمْ جعلوا العلم الواجب هو النَّظَرْ أو القصد إلى النظر أو إلى آخره من أقوالهم، ويعنون بذلك النظر في الكونيات.

وأهل السنة يقولون: الاتِّبَاع النظر في الأدلة الشرعية، يعني النَّظَرْ في الشرعيات.

وأولئك عندهم النظر في الكونيات؛ لأنهم جعلوا أنَّ أصل الإسلام والإيمان إنما يصح إذا نظر في برهان وجود الله - جل جلاله -.

وأما أهل السنة والجماعة فقالوا: وجود الله - عز وجل - مركوزٌ في الفِطَرْ، وإنما يتعلم ما يجب عليه أن يعتقده وما يجب عليه أن يعلمه مما أمر الله - عز وجل - به، وجعله فارقاً بين المؤمن والكافر.

وبالمقابل التقليد عندهم في الكونيات، وعندنا التقليد في الأقوال والشَّرعيات.

وثَمَّ تفاصيل لمسألة الإتِّبَاعْ والتقليد في مناهج التلقي ما بين أهل السنة والمخالفين. [1]

18/ عقيدة الأئمَّة الأربعة ومَن تفقَّه بمذاهبهم :

من أئمَّة أهل السُّنَّة الإمام أبو حنيفة والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله، وعقيدتُهم هي عقيدة السَّلف من الصحابة ومَن سار على نهجهم.

وأمَّا المشتغلون بالفقه بعدهم، فمنهم من يستفيدُ من علمهم في الفروع، ويُعوِّل على ما دلَّ عليه الدليل؛ أخذاً بوصايا الأئمَّة أنفسهم، فإنَّ كلَّ واحد منهم جاء عنه الأمرُ باتِّباع الدليل، وتركِ قوله إذا كان الدليلُ على خلافه، وهؤلاء موافقون لهم في العقيدة.

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 488

ومنهم مَن يُقلِّدُهم في مسائل الفروع، دون سعيٍ إلى معرفة الرَّاجح بالدَّليل، وهؤلاء منهم مَن يُوافقهم في العقيدة، وكثيرون منهم يتَّبعون مذهب الأشاعرة.

ومن أمثلة مَن تفقَّه في المذهب الحنفي وهو على عقيدة السَّلف الإمام أبو جعفر الطحاوي صاحب عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وشارح هذه العقيدة علي بن أبي العز الحنفي، ومنهم في المذهب الشافعي عبد الرحمن ابن إسماعيل الصابوني، مؤلِّف كتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث، والذهبي صاحب كتاب العلو، وابن كثير صاحب التفسير، ومنهم في المذهب المالكي ابن أبي زيد القيرواني، وأبو عمر الطلمنكي، وأبو عمر بن عبد البر، ومنهم في المذهب الحنبلي الإمام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، والإمام محمد بن عبد الوهاب. [1]

19/ الصبر ومنزلته في العقيدة :

قال الإمام أحمد – رحمه الله –: "ذكر الله تعالى الصبر في تسعين موضعا من كتابه" وفي الحديث الصحيح: "الصبر ضياء"، رواه أحمد ومسلم.[2] وقال عمر – رضي الله عنه –: "وجدنا خير عيشنا بالصبر"، رواه البخاري. وقال علي – رضي الله عنه –: "إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد"، ثم رفع صوته وقال: "ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له".

وقد روى البخاري ومسلم مرفوعا: "ما أعطي أحد عطاء خيرًا أوسع من الصبر".[3]

والصبر مشتق من صبر: إذا حبس ومنع؛ فهو حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب.

---

[1] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 36

[2] صحيح مسلم (223)

[3] صحيح البخاري (1469)

وهو ثلاثة أنواع:

1- صبر على فعل ما أمر الله به.

2- وصبر على ترك ما نهى الله عنه.

3- وصبر على ماقدره الله من المصائب...

والمؤمن بحاجة إلى الصبر ... ففي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة - رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت" [1]...

وفي "الصحيحين": "ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية"[2]...

ومن الحكم الإلهية في إجراء المصائب ابتلاء العباد عند وقوعها من يصبر ويرضى ومن يجزع ويسخط؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي؛ فله الرضى، ومن سخط؛ فله السخط"، رواه الترمذي وحسنه.[3]

والرضى هو أن يسلم العبد أمره إلى الله، ويحسن الظن به، ويرغب في ثوابه.

والسخط: هو الكراهية للشيء، وعدم الرضى به؛ أي: من سخط على الله فيما دبره؛ فله السخط من الله.

وفي هذا الحديث أن الجزاء من جنس العمل، وفيه إثبات الرضى من الله - سبحانه - على ما يليق به كسائر صفاته، وفيه بيان الحكمة في إجراء المصائب على العباد، وفيه إثبات القضاء

---

[1] صحيح مسلم (67)

[2] صحيح البخاري (1297)

[3] سنن الترمذي (2396) وقال الألباني حسن صحيح

والقدر، وأن المصائب تجري بقضاء الله وقدره، وفيه مشروعية الصبر على المصائب، والرجوع إلى الله، والاعتماد عليه وحده في كل ملمة، ودفع كل مكروه.

وقد أمر الله بالاستعانة بالصبر والصلاة على ما يواجه الإنسان في هذه الحياة من متاعب ومشاق؛ لأن من وراء ذلك الخير والعاقبة الحميدة، وأخبر أنه مع الصابرين بنصره وتأييده؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} 1؛ مما يدل على أهمية الصبر وحاجة المؤمن إليه، وهو من مقومات العقيدة.

نسأل الله – عز وجل – أن يرزقنا الصبر والاحتساب، وأن يمن علينا بالتوفيق والهداية. [1]

20/ الجواب عمن يرى أن أحاديث الآحاد لا تثبت بها العقيدة :

جوابنا على من يرى أن أحاديث الآحاد لا تثبت بها العقيدة لأنها تفيد الظن، والظن لا تبنى عليه العقيدة أن نقول : هذا رأي غير صواب لأنه مبني على غير صواب وذلك من عدة وجوه :

1 – القول بأن حديث الآحاد لا يفيد إلا الظن ليس على إطلاقه، بل في أخبار الآحاد ما يفيد اليقين إذا دلت القرائن على صدقه، كما إذا تلقته الأمة بالقبول مثل حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿إنما الأعمال بالنيات﴾ فإنه خبر آحاد ومع ذلك فإننا نعلم أن النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قاله وهذا ما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن حجر وغيرهما.

2 – أن النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يرسل الآحاد بأصول العقيدة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإرساله حجة ملزمة، كما بعث معاذا إلى اليمن واعتبر بعثه حجة ملزمة لأهل اليمن بقبوله.

3 – إذا قلنا بأن العقيدة لا تثبت بأخبار الآحاد أمكن أن يقال: والأحكام العملية لا تثبت بأخبار الآحاد؛ لأن الأحكام العملية يصحبها عقيدة أن الله – تعالى – أمر بهذا أو نهى عن هذا،

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 134

وإذا قبل هذا القول تعطل كثير من أحكام الشريعة، وإذا رد هذا القول فليرد القول بأن العقيدة لا تثبت بخبر الآحاد إذ لا فرق كما بينا.

4 - أن الله - تعالى - أمر بالرجوع إلى قول أهل العلم لمن كان جاهلا فيما هو من أعظم مسائل العقيدة وهي الرسالة. فقال - تعالى -: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ} . وهذا يشمل سؤال الواحد والمتعدد.

والحاصل أن خبر الآحاد إذا دلت القرائن على صدقه أفاد العلم وثبتت به الأحكام العملية والعلمية، ولا دليل على التفريق بينهما، ومن نسب إلى أحد من الأئمة التفريق بينهما فعليه إثبات ذلك بالسند الصحيح عنه، ثم بيان دليله المستند إليه. [1]

21/ العقل والنقل :

كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول وأن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح ولكن كثيرا من الناس يغلطون إما في هذا وإما في هذا فمن عرف قول الرسول ومراده به كان عارفا بالأدلة الشرعية وليس في المعقول ما يخالف المنقول؛ ولهذا كان أئمة السنة على ما قاله أحمد بن حنبل قال: معرفة الحديث والفقه فيه أحب إلي من حفظه أي " معرفته " بالتمييز بين صحيحه وسقيمه. " والفقه فيه " معرفة مراد الرسول وتنزيله على المسائل الأصولية والفروعية أحب إلي من أن يحفظ من غير معرفة وفقه. [2]

- لا حكم للعقل فيما يتعلق بذات الله وصفاته، بل لا حكم له في جميع الأمور الغيبية، ووظيفة العقل فيها التسليم التام ... ولهذا يقال: إن النصوص لا تأتي بمحال، وإنما تأتي بمحار، أي: بما يحير العقول، لأنها تسمع ما لا تدركه ولا تتصوره

---

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 31/1

[2] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية 81/12

- انحراف العقولِ إمَّا من شُبهاتٍ تعرِضُ للإنسان، وإما من شَهْوةٍ بمَعْنَى إرادة سيئة، يريد مخالفة الحقِّ، لو تأمَّلْتَ جميعَ المُنْحَرِفينَ عن الشرع لوجدت هذا أساس انحرافِهِمْ، شبهة تَعْرِضُ لهم إما نَقْصُ في العِلم أو نَقْصُ في التصور، وإما شَهْوَةٌ بمَعْنى إرادَةٍ سَيِّئَةٍ [1]

- الأشياء المعروفة ثلاثة أقسام: معروفة بالفِطْرَةِ، ومعْرُوفةً بالاستدلالِ بالعقل، ومعروفة بالوحي من طريق الرُّسُلِ. [2]

22/ الحسن والقُبح العقلي :

وهل يُعلَمُ حُسنُ الشَّيء وقُبحه بالشَّرعِ أو يُعلَمُ حُسْنُه وقُبحه بالعقل؟

الحقيقة: الصَّوابُ أن بعضَهُ يُعرفُ بالعَقْلِ وبغضه بالشرع، وبعضه بهما جميعا؛ بمعنى أن بعض الأشياء نعرِفُ حسْنَها أو قبحَهَا وإن لم يَرِدْ بها الشرع، وليس معناه أننا حَسَّنَّا شيئًا أو قبحنَاهُ أن الشرْعَ لم يُحسّنه أو يقبِّحْهُ، وبعضه لا نعرف أنه حسن أو قبيح إلا بطريق الشرع، وبعضه نعلم أنه حَسَنٌ وقبيح بالعقل والشرع.

هناك أشياء لا نعرِفُ الحِكمَةَ في تشْرِيعِهَا؛ إذن قُبْحُها أو حُسنُها هذا معلوم بالشرع، كما لو قيل مثلا: لماذا لا تصح الصلاة في أعطانِ الإبل مِثلا؟ عند الذين يقُولُونَ: إن العِلَّة تعبدِيَّةٌ يُعلَمُ قُبحُ الصلاة في أعطانِ الإبل بالشرع لا بالعقل.

عندما يُقال: لماذا يجِبُ الوُضوءُ من لحْمِ الإبلِ؟ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إن الوضوء من لحْمِ الإبلِ تعبدي يَقُولُونَ: لا نَعْرِفُ عِلَّته يُعلم حُسنُهُ بالشَّرْعِ لا بالعَقْلِ.

---

[1] شرح التدمرية للعلامة ابن عثيمين 90

[2] شرح التدمرية للعلامة ابن عثيمين 491

هذا صحيح، المعلومات الآن التي نتَعَلَّمُها : إما بالفطرة مثلُ تعْرِفُ أنك إذا أكلتَ شبعت، وإما بالعقل والاستنتاج مثل أن تعرف أن الأثَرَ لَا بُدَّ له من مُؤَثِّرٍ، وبعضُه تعرفه عن طَرِيقِ الرُّسل، وهو الوَحْي الذي جاءتْ به الرُّسُلُ / شرح التدمرية للعلامة ابن عثيمين 491

مثلا : الاعتداء على النَّاس والأذِيَّةُ للناس معلوم قُبحه بالعَقْلِ وبالشَّرْع، بالشرع لأنَّه نَهى عنه، وبالعقلِ لأَنَّ كلَّ إنسانٍ يَعْرِفُ أن العدوان على الغير أمرٌ مكْرُوهُ عند النَّاس؛ فهو قَبِيحٌ.

توجد أشياءُ العَقْلُ يَهْتَدِي إلى حُسنِهَا وقُبْحِها وإن لم يَرِدْ بها الشرع، حتى لو فُرِضَ أن الشرعَ سَكَتَ عنها فإنَّ الإنسان يعلمُ قُبْحَهَا أو حُسنَهَا بِعقْلِهِ، مثل ما يتعارَفَهُ النَّاس في عادَاتِهِمْ مِنَ الأمورِ الَّتي ما جَرَى بها الشرع، لكنَّ النَّاسَ اعتادوا فيها يَرَوْنَ أَنها قَبيحَةٌ أو يَرَوْنَ أَنها حَسَنٌ، فهذا ... هو الصواب أنا نقول : الأشياءُ الحَسَنَةُ والقبيحةُ منها يُعلَمُ قُبحه أو حُسْنَهُ بالشرع، ومنها ما يُعلَمُ بالشَّرع وبالعَقْلِ، ومنها ما يُعلَمُ بالعقْلِ وَحْدَهُ. [1]

23/ المتشابه والمحكم :

الله تعالى وصف القرآن كله بأنه محكم وبأنه حكيم، ووصفه كله بأنه متشابه، ووصفه بأن بعضه متشابه وبعضه محكم، فهذه ثلاث صفات.

وصفه بأنه محكم في قوله: (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) (هود: الآية 1) وفي قوله: (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) (يونس: الآية 1) (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً) (يونس: الآية 2) .

ووصفه بأنه متشابه في قوله: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ) (الزمر: الآية 23) .

ووصفه بان بعضه محكم وبعضه متشابه في قوله: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) (آل عمران: الآية 7) ولكل من هذه الأوصاف وجه.

أما وصف كونه محكما؛ فلأن القرآن كله متقن، لا يكذب بعضه بعضا، ولا يناقض بعضه بعضا، وليس فيه شيء من الباطل، قال تعالى: (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ) (فصلت: الآية 42)

---

[1] شرح التدمرية للعلامة ابن عثيمين 491

وأما وصفه كله بأنه متشابه؛ فلأنه يشبه بعضه بعضا في الكمال والجودة والمنافع العظيمة، وإن كان يتفاوت في هذا الوجه لكنه يشبه بعضه بعضا، والتفاوت باعتبار المتكلم به ممنوع؛ لان المتكلم به واحد وهو الله، وأما باعتبار مدلول الكلام فإن الاختلاف بينه واقع، فأعظم سورة في كتاب الله الفاتحة، وأعظم آية فيه آية الكرسي، و (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (الإخلاص: 1) تعدل ثلث القرآن، وليست السورة التي قبلها بمنزلتها في الدلالة العظيمة، فسورة تبت ليست في موضوعها ومدلولها كسورة (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (الإخلاص: 1)

إذا هو متشابه من حيث الكمال والجودة فكله كامل وكله على غاية ما يكون من الجودة

وأما وصف بعضه بأنه محكم وبعضه بأنه متشابه؛ فأرجح الأقوال فيها أن المحكم ما اتضح معناه، والمتشابه ما خفي معناه؛ لأنه يشتبه على بعض الناس دون بعض، ولكن الذين أتاهم الله العلم يردون هذا المتشابه الخفي المعنى إلى المحكم الواضح، فيكون القرآن كله واضحا بهذا الاعتبار.

ولكن لو قال قائل: كيف نطلق على القرآن كله أنه محكم مع أن الله قال في كتابه: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) (آل عمران: الآية 7) ، فجعل منه آيات محكمات، وجعل منه أخر متشابهات؟

والجواب: أن الله قال في المحكمات (هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ) ، أي: مرجع الكتاب، فإذا وجدنا متشابهات رددناه إلى الأم، والأم محكم، فيكون هذا المتشابه محكما، وحينئذ يكون التشابه في ابتداء الأمر، أما في النهاية فيكون محكما، وهذا كثير في القرآن، فتجد آيات مجملات فصلت بآيات أخرى، وتجد آيات ظاهرها التعارض يجمعها دليل آخر، وهكذا، وبهذا يكون القرآن كله محكما. [1]

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 207

24/ لزوم اتِّباعُ السلف الصّالح واقتفاءُ آثارهم والاستغفارُ لهم :

الخيرُ كلُّ الخير والسعادةُ كلُّ السعادة في اتِّباع ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ومَن تبعهم بإحسان، وقد أخبر النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عن افتراق هذه الأمَّة إلى ثلاثٍ وسبعين فِرقةٍ، كلُّها في النَّار إلاَّ واحدة، قيل: مَن هي يا رسول الله؟ قال: "هي الجماعة"، وقد مرَّ ذلك، ومرَّ أيضاً قولُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم في حديث العرباض بن سارية: ". . . فإنَّه مَن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتِي وسُنَّة الخلفاء المهديين الراشدين، تَمَسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة".

ومرَّ أيضاً قولُ مالكٍ رحمه الله: "لن يصلُح آخرُ هذه الأمَّة إلاَّ بما صلح به أوَّلُها".

وقال الإمام أحمد في أوّل اعتقاده كما في السنَّة للالكائي (156/1) : "أصولُ السنَّة عندنا التمسُّكُ بما كان عليه أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداءُ بهم، وتركُ البدع، وكلُّ بدعةٍ فهي ضلالةٌ، وتركُ الخصومات والجلوسِ مع أصحاب الأهواء، وتركُ المراء والجدال والخصومات في الدِّين".

وقد أثنى اللهُ على مَن جاء بعد المهاجرين والأنصار، مستغفراً لهم سائلاً اللهَ ألاَّ يجعل في قلبه غِلاًّ للمؤمنين، فقال: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} .

قالت عائشة رضي الله عنها فيمَن نال مِن بعض الصحابة: "أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فسبُّوهم" أخرجه مسلم (3022) .

وقال الله عزَّ وجلَّ: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً} .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (97/2) : "مَن كان منكم متأسِّياً فليتأسَّ بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنَّهم كانوا أبرَّ هذه الأمَّة قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلُّفاً، وأقومَها هدياً، وأحسنَها حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيِّه صلى الله عليه وسلم، فاعرفوا لهم فضلَهم، واتَّبعوهم في آثارهم؛ فإنَّهم كانوا على الهدي المستقيم".

وقال أيضاً كما في سنن الدارمي (211) : "اتَّبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم".

وفي سنن الدارمي أيضاً (141) عن عثمان بن حاضر، قال: "دخلتُ على ابن عباس، فقلت: أَوْصني، فقال: نعم! عليك بتقوى الله والاستقامة، اتَّبع ولا تبتدع! ".

وفيه أيضاً (142) عن ابن سيرين قال: "كانوا يرون أنَّه على الطريق ما كان على الأثر".

وفيه أيضاً (144) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "تعلَّموا العلمَ قبل أن يُقبض، وقبضُه أن يذهب أهلُه، ألا وإيّاكم والتَّنطُّع والتَّعمُّق والبدع، وعليكم بالعتيق".

والمراد بالعتيق ما دلَّ عليه دليلٌ، وكان عليه السلف، ولم يكن محدَثاً.

وفي كتاب السنَّة لمحمد بن نصر المروزي (80) أنَّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "إنَّكم اليوم على الفطرة، وإنَّكم ستحدثون ويُحدث لكم، فإذا رأيتم محدَثةً فعليكم بالهَدي الأوَّل".

وفيه أيضاً (87) أنَّ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: "يا معشر القرّاء! اسلكوا الطريق؛ فوالله! لئن سلكتموه لقد سبقتم سبقاً بيِّناً، وإن أخذتم يميناً وشِمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً".

وفيه أيضاً (100) عن أبي الدرداء قال: "اقتصادٌ في سنّة خيرٌ مِن اجتهادٍ في بدعةٍ، إنَّك إنْ تتَّبعْ خيرٌ مِن أنْ تبتدع، ولن تخطئَ الطريقَ ما اتَّبعْتَ الأثرَ".

وفيه أيضاً (94) : "أنَّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى النَّاس أنَّه لا رَأْيَ لأحدٍ مع سنَّةٍ سنَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وفيه (110) عن عروة بن الزبير أنَّه قال: "السنن! السنن! فإنَّ السننَ قوامُ الدِّين".

ولقد أحسن مَن قال:

دِينُ النَّبِيِّ محمَّد أخبارُ ... نِعم المطيَّةُ للفتَى آثارُ

لا ترْغبنَّ عن الحديث وأهله ... فالرَّأْيُ ليلٌ والحديثُ نَهَارُ

ولرُبَّما جهل الفَتَى أثرَ الهُدى ... والشَّمسُ بازغةٌ لَهَا أنوارُ

وقال آخر وأحسن فيما قال:

الفقهُ في الدِّين بالآثار مقترنٌ ... فاشغل زمانك في فقهٍ وفي أثرِ

فالشغلُ بالفقه والآثار مرتفعٌ ... بقاصد الله فوق الشَّمس والقمرِ [1]

---

[1] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 179

الفصل الثاني :

الإسلام والسنة

المبحث الأول : الإسلام

1/ تعريف الدين :

الدِّينُ يُطْلَقُ فِي الشَّرْعِ عَلَى مَعْنَيَيْنِ :

أَحَدُهُمَا: عَامٌ ، وَهُوَ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ لِتَحْقِيقِ عِبَادَتِهِ.

وَالْآخَرُ: خَاصٌ ؛ وَهُوَ: التَّوْحِيدُ. [1]

2/ تعريف الإسلام :

أي بأن يستسلم العبد لربه استسلاما شرعيا، وذلك بتوحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة، وهذا الإسلام هو الذي يحمد عليه العبد ويثاب عليه، أما الاستسلام القدري فلا ثواب فيه لأنه لا حيلة للإنسان فيه قال الله تعالى: {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}. [2]

تعريف أخر :

هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله [3]

3/ الإسلام بالمعنى العام والإسلام بالمعنى الخاص :

الإسلام بالمعنى العام هو التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كما ذكر عز وجل ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل: قال

---

[1] شرح ثلاثة الأصول للشيخ صالح العصيمي 43

[2] مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين 6/64

[3] الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب 189

الجُمْلَتَانِ الآتِيَتَانِ بَعْدَهُ مِنَ الانْقِيَادِ لَهُ بِالطَّاعَةِ ، وَالبَرَاءَةِ وَالخُلُوص مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ ؛ هُمَا مِنْ جُمْلَةِ الاسْتِسْلاَمِ اللَّهِ ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اسْتَسْلَمَ اللهِ أَنْقَادَ لَهُ بِالطَّاعَةِ ، وَبَرِئَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ ، لَكِنْ صُرِحَ بِمَا اعتناء بِهِمَا. / شرح ثلاثة الأصول للشيخ صالح العصيمي 44

الله تعالى عن إبراهيم: ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة {سورة البقرة، الآية: 128}.

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم يختص بما بعث به محمد صلى الله عليه وسلم [1]

فَالإِسْلاَمُ بِالمَعْنَى الخاص ... مُنْدَرِجٌ فِي جُمْلَةِ المَعْنَى العَامُ لِلإِسْلاَمِ [2]

4/ الإسلام هو الدين الوحيد المقبول :

الدين الإسلامي هو الدين المقبول عند الله النافع لصاحبه قال الله عز وجل : ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين {آل عمران، الآية: 85}[3]

5/ الإسلام نسخ جميع الأديان السابقة :

ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم نسخ جميع الأديان السابقة فصار من أتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم ، فأتباع الرسل مسلمون في زمن رسلهم ، فاليهود مسلمون في زمن موسى صلى الله عليه وسلم والنصارى مسلمون في زمن عيسى صلى الله عليه وسلم ، وأما حين بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به فليسوا بمسلمين. [4]

6/ وصف الكافر بأنه أخ :

لا يحل للمسلم أن يصف الكافر -أيا كان نوع كفره؛ سواء كان نصرانيا، أم يهوديا، أم مجوسيا، أم ملحدا- لا يجوز له أن يصفه بالأخ أبدا، فاحذر يا أخي مثل هذا التعبير، فإنه لا أخوة بين المسلمين وبين الكفار أبدا، الأخوة هي الأخوة الإيمانية كما قال الله -عز وجل-: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

[1] شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين 20

[2] شرح ثلاثة الأصول للشيخ صالح العصيمي 49

[3] شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين 21

[4] شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين 20

إِخْوَةٌ} . وإذا كانت قرابة النسب تنتفي باختلاف الدين، فكيف تثبت الأخوة مع اختلاف الدين وعدم القرابة؟ قال الله –عز وجل– عن نوح وابنه لما قال نوح عليه الصلاة والسلام: {رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} .

فلا أخوة بين المؤمن والكافر أبدا، بل الواجب على المؤمن ألا يتخذ الكافر وليا كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ} .

فمن هم أعداء الله؟ أعداء الله هم الكافرون، قال الله تعالى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} وقال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [1]

7/ فضل الإسلام :

وقول الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً}... وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود. ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى: ثم قال من يعمل من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم. فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: ما لنا أكثر عملا وأقل أجرا؟ قال هل نقصتكم من حقكم شيئا؟ قالوا: لا. قال: ذلك فضلي أوتيه من أشاء" . [2]

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 3/ 43

[2] صحيح البخاري (2268)

وفيه أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ... نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة " [1]

8/ وجوب الإسلام :

وقول الله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأَسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} . وقوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ}. وقوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}. قال مجاهد: السبل: البدع والشبهات.

9/ تفسير الإسلام :

في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" [2]

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" [3]

10/ مراتب الإسلام :

الإِسْلاَمُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ ثَلاَثُ مَرَاتِبَ ... :

الأُولَى: مَرْتَبَةُ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ ، وَتُسَمَّى: الإِسْلاَمُ.

وَالثَّانِيَةُ: مَرْتَبَةُ الاعْتِقَادَاتِ الْبَاطِنَةِ ، وَتُسَمَّى: الإِيمَانُ.

وَثَالِهَا: مَرْتَبَةٌ إِتْقَانِهَا ، وَتُسَمَّى الإِحْسَانُ. [4]

---

[1] صحيح البخاري (855)

[2] صحيح البخاري (08)

[3] صحيح البخاري (10)

[4] شرح ثلاثة الأصول للشيخ صالح العصيمي 44

11/ مَعْرِفَةُ الوَاجِبِ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ المَرَاتِبِ :

مِنْ أَهَم مهمات الدِّيَانَةِ: مَعْرِفَةُ الوَاجِبِ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ ؛ فِي إِيمَانِكَ ، وَإِسْلاَمِكَ ، وَإِحْسَانِكَ .

وَالْوَاجِبُ مِنْهَا يَرْجِعُ إِلَى ثَلاَثَةِ أُصُولٍ :

فَالأَصْلُ الأَوَّلُ: الاعْتِقَادُ ، وَالوَاجِبُ فِيهِ: كَوْنُهُ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ فِي نَفْسِي وَجماعُهُ: أَرْكَانُ الإِيمَانِ السِّتَّةُ الَّتِي سَتَأْتِي. وَالحَقُّ مِنَ الاعْتِقَادِ: مَا جَاءَ فِي الشَّرْعِ

وَالأَصْلُ الثَّانِي: الفِعْلُ ، وَالوَاجِبُ فِيهِ: مُوَافقَةُ حَرَكَاتِ العَبْدِ الاخْتِيَارِيَّةِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا لِلشَّرْعِ أَمْرًا وَحِلاًّ.

والحَرَكَاتُ الاخْتِيَارِيَّةُ: مَا صَدَرَ عَنْ إِرَادَةٍ وَقَصْدٍ مِنَ العَبْدِ ظَاهِرًا أَوْ بَاطِنًا.

وَالأَمْرُ: الفَرْضُ وَالنَّفْلُ. وَالحِلُ: الحَلاَلُ الْمَأْذُونُ فِيهِ.

فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَفْعَالُ العَبْدِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ دَائِرَةً بَيْنَ الأَمْرِ وَالحِلْ ؛ فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مِنْ جِنْسِ الْمَأْمُورِ بِهِ مِنْ فَرْضٍ أَوْ نَفْلٍ ، أَوْ مِنْ جِنْسِ الحِلِّ الْمَأْذُونِ فِيهِ شَرْعًا.

وَفِعْلُ العَبْدِ نَوْعَانِ :

أَحَدُهُمَا: فِعْلُهُ مَعَ رَبِّهِ.

وجماعُهُ: شَرَائِعُ الإِسْلاَمِ اللاَّزِمَةُ لَهُ ؛ كَالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالحَجِّ ، وَتَوَابِعِهَا مِنَ القُرُوطِ وَالأَرْكَانِ وَالوَاجِبَاتِ وَالمُبْطِلاتِ. وَالآخَرُ: فِعْلُهُ مَعَ الخَلْقِ. وجماعُهُ: أَحْكَامُ الْمُعَاشَرَةِ وَالْمُعَامَلَةِ مَعَهُمْ كَافَّةٌ. وَالأَصْلُ الثَّالِثُ: التَّرْكُ ، وَالوَاجِبُ فِيهِ مُوَافَقَةُ تَرْكِ العَبْدِ وَاجْتِنَابِهِ مَرْضَاةَ اللَّهِ وَجَمَاعُهُ: عِلْمُ الْمُحَرَّمَاتِ الخَمْسِ الَّتِي اتَّفَقَتْ عَلَيْهَا الأَنْبِيَاءُ ؛ وَهِيَ الْفَوَاحِشُ ، وَالإِثْمُ وَالبَغْيُّ ، وَالشِّرْكُ ، وَالْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَمَا يَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ وَيَتَّصِلُ بِهَا. فَهَذِهِ الأُصُولُ الثَّلاَثَةُ مِنَ الاعْتِقَادِ وَالفِعْلِ وَالتَّرْكِ تُبَيِّنُ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنَ الإِسْلاَمِ وَالإِيمَانِ ، وَالإِحْسَانِ.

وَتَفْصِيلُ مَا يَجِبُ مِنْ هَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ ؛ الاعْتِقَادِ ، وَالْفِعْلِ ، وَالتَّرْكِ لَا يُمْكِنُ ضَبْطُهُ ؛ لِاخْتِلَافِ النَّاسِ فِي أَسْبَابِ العِلْمِ الوَاجِبِ ، ذَكَرَهُ أَبْنُ القَيِّمِ فِي مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ .

وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي بَيَانِ العِلْمِ الوَاجِبِ هُوَ أَنَّ كُلَّ مَا وَجَبَ عَلَيْكَ مِنَ العَمَلِ وَجَبَ عَلَيْكَ تَعَلُّمُهُ قَبْلَ أَدَائِهِ ، ذَكَرَهُ الآجُرِّيُّ فِي طَلَبِ العِلْمِ ، وَأَبْنُ القَيِّمِ فِي مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ ، وَالقَرَافِيُّ فِي الفُرُوقِ. وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا لِمَا يَجِبُّ عَلَى العَبْدِ فِي الإِسْلَامِ ، وَالإِيمَانِ ، وَالإِحْسَانِ مَسْأَلَةٌ جَلِيلَةٌ ، وَمَعَ جَلَالَتِهَا لَمْ يُحَقِّقْهَا كَمَا يَنْبَغِي فِيمَنْ عَلِمْتُ سِوَى ابْنِ القَيِّمِ فِي مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ ، وَهِيَ تَفْتَحُ أَبْوَابًا مُشْرَعَةَ لِلَّبِيبِ الفَطِنِ فِي فَهْمِ مَا يُرَادُ مِنَ الْخَلْقِ فِي إِسْلَامِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ وَإِحْسَانِهِمْ ، فَتَبَيَّنُ لَهُ مَوَاقِعَ الْخِطَابِ الشَّرْعِيِّ خَبَرًا وَطَلَبًا. [1]

12/ قوام الدين :

قوام هذا الدين الحنيف يكون بأمرين :

1/ سلامة مصادر التلقي

2/ سلامة منهج الاستدلال.

فإن حصل الفساد في أحدهما- أو كليهما- اختلطت الأمور ، ونتج عن ذلك ما لا تحمد عقباه في الدنيا والآخر ؛ فالسنةُ: تصبح بدعة ، والبدعة سنةً ، والشرك توحيدا ، والتوحيد شركا ، والحق باطلا ، والباطل حقا. [2]

[1] شرح ثلاثة الأصول للشيخ صالح العصيمي 44

[2] القصة الكاملة لخوارج عصرنا للشيخ إبراهيم المحيميد 5

13/ أقسام الإسلام :

الإسلام ينقسم من حيث الاستسلام إلى ثلاثة أقسام:

- إسلام الوَجْهْ.

- وإسلام العمل.

- وإسلام القلب.

القسم الأول: إسلام الوجْه: يُعْنَى به أن لا يَتَوَجَّهْ إلى غير الله – عز وجل – في عبادته، فيستسلم لربه – جل جلاله – ويُقْبِلْ عليه بوجهه وحده دون ما سواه.

وهذا جاء في نحو قوله – جل جلاله – {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ} [البقرة:112] ، وقوله – عز وجل – {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} [النساء:125] .

القسم الثاني: إسلام العمل لله – عز وجل –: وهو أن يكون العمل مُسْتَسْلَمَاً فيه لله مُتَخَلَّصَاً فيه من الهوى.

فيُسْلِمْ العمل: يعني يَسْتَسْلِمْ في العمل فلا يُسَلِّطْ دَاعِيَ الهوى على الأعمال الصالحة.

القسم الثالث: إسلام القلب: وهو أصل هذه الأنواع كلها، وهو أَنَّهُ يُخْلِصُ في قوله وفي عمله، ويستسلم لربه – عز وجل – في كل أحوال قلبه.

وينقسم الإسلام أيضاً باعتبارٍ آخر إلى شرائع ذكرناها لكم:

فكل نبيٍ دينه الإسلام لكن شريعته مختلفة، وقد يقال دين النصرانية، دين اليهودية باعتبار التَّدَيُّنْ كما ذكرنا لك، باعتبار الالتزام، والمقصود الشريعة لكن لا يقال الأديان الثلاثة السماوية كما ذكرنا لك.

باعتبارٍ آخر ينقسم الإسلام الخاص إلى ثلاثة أقسام:

- الإسلام.
- الإيمان.
- الإحسان.

وينقسم أيضاً باعتبارٍ رابع إلى:

- إسلامٍ كامل -

وإسلامٍ ناقص، يعني باعتبار الاستسلام

إسلامٌ كامل يعني استسلام كامل.

إسلام ناقص يعني استسلام ناقص.[1]

14/ هل الإسلام مثل الإيمان يزيد وينقص؟ أم أنَّ الإسلام شيءٌ واحد، والإيمان هو الذي يزيد وينقص؟ أم أنَّ كلاً منهما شيء واحد؟ أم العكس؟

على أقوال متنوعة، والذي ينطبق على طريقة أهل السنة والجماعة، وإن لم يُصَرِّحْ به الأوائل؛ لكن صَرَّحَ به المتأخرون مثل ابن تيمية ونحوه من أهل العلم، أنَّ الإسلام يزيد وينقص باعتبار الاستسلام، وأنَّ الإسلام له كمال وله نقص، وهذا ظاهر باعتبار الاستسلام.

فإذا نظرنا إلى إسلام الوجه والعمل والقلب أو القصد لله، فالناس في ذلك متباينون تبايناً شديداً.

وإذا نظرنا إلى التقسيم السالف وهو أنَّ الإسلام ينقسم إلى إسلام وإيمان وإحسان، والناس في الصلاة مختلفو المراتب وفي الصدقة الواجبة الزكاة مختلفو المراتب، وأنَّ الناس في الصيام مختلفو

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 732

المراتب، وفي الحج مختلفو المراتب، ثُمَّ في الإيمان أيضاً مختلفو المراتب، فلابد أن يكون ما تَكَوَّنْ من هذه مُتَفَاضِلاً.

ولذلك ليس من كان وصفه الإسلام على مرتبة واحدة.

كذلك ليس كل مؤمن على مرتبة واحدة.

فأهل الإيمان في الإيمان متفاوتو المراتب، وكذلك أهل الإسلام في الإسلام متفاوتو المراتب؛ لأنَّ الإسلام الذي هو الاستسلام يقبل التفاوت ويقبل الزيادة والنقص.[1]

15/ الإسلام دين العدل وليس دين المساواة :

يجب أن ننبه على أن من الناس من يستعمل بدل العدل: المساواة! وهذا خطأ، لا يقال: مساواة، لأن المساواة قد تقتضي التسوية بين شيئين الحكمة تقتضي التفريق بينهما.

ومن أجل هذه الدعوة الجائرة إلى التسوية صاروا يقولون: أي فرق بين الذكر والأنثى؟! سووا بين الذكور والإناث! حتى إن الشيوعية قالت: أي فرق بين الحاكم والمحكوم، لا يمكن أن يكون لأحد سلطة على أحد، حتى بين الوالد والوالد، ليس للوالد سلطة على الولد ... وهلم جراً.

لكن إذا قلنا بالعدل، وهو إعطاء كل أحد ما يستحقه، زال هذا المحذور، وصارت العبارة سليمة.

ولهذا، لم يأت في القرآن أبداً: عن الله يأمر بالتسوية! لكن جاء: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ} [النحل: 90]، {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} [النساء: 58].

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 732

وأخطأ على الإسلام من قال: إن دين الإسلام دين المساواة! بل دين الإسلام دين العدل، وهو الجمع بين المتساويين، والتفريق بين المفترقين، إلا أن يريد بالمساواة: العدل، فيكون أصاب في المعنى وأخطأ في اللفظ.

ولهذا كان أكثر ما جاء في القرآن نفي المساواة: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} [الزمر: 9]، {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ} [الرعد: 16]، {لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا} [الحديد: 10]، {لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ} [النساء: 95].

ولم يأت حرف واحد في القرآن يأمر بالمساواة أبداً، إنما يأمر بالعدل.

وكلمة (العدل) أيضاً تجدونها مقبوله لدى النفوس.

وأحببت أن أنبه على هذا، لئلا نكون في كلامنا إمعة، لأن بعض الناس يأخذ الكلام على عواهنه، فلا يفكر في مدلوله وفيمن وضعه وفي مغزاه عند من وضعه. [1]

16/ حكم مصطلح " فكر إسلامي " و" مفكر إسلامي " :

كلمة " فكر إسلامي " من الألفاظ التي يحذر عنها، إذ مقتضاها أننا جعلنا الإسلام عبارة عن أفكار قابلة للأخذ والرد، وهذا خطر عظيم أدخله علينا أعداء الإسلام من حيث لا نشعر.

أما " مفكر إسلامي " فلا أعلم فيه بأسًا لأنه وصف للرجل المسلم والرجل المسلم يكون مفكرًا. [2]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 230/1

[2] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 120/3

17/حكم تقسيم الدين إلى قشور ولب مثل اللحية :

تقسيم الدين إلى قشور ولب، تقسيم خاطئ، وباطل، فالدين كله لب، وكله نافع للعبد، وكله يقربه لله – عز وجل – وكله يثاب عليه المرء، وكله ينتفع به المرء، بزيادة إيمانه وإخباته لربه – عز وجل – حتى المسائل المتعلقة باللباس والهيئات، وما أشبهها، كلها إذا فعلها الإنسان تقربًا إلى الله – عز وجل – واتباعًا لرسوله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه يثاب على ذلك، والقشور كما نعلم لا ينتفع بها، بل ترمى، وليس في الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية ما هذا شأنه، بل كل الشريعة الإسلامية لب ينتفع به المرء إذا أخلص النية لله، وأحسن في اتباعه رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى الذين يروجون هذه المقالة، أن يفكروا في الأمر تفكيرًا جديًّا، حتى يعرفوا الحق والصواب، ثم عليهم أن يتبعوه، وأن يدعوا مثل هذه التعبيرات، صحيح أن الدين الإسلامي فيه أمور مهمة كبيرة عظيمة، كأركان الإسلام الخمسة، التي بينها الرسول، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بقوله: ﴿بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام﴾ . وفيه أشياء دون ذلك، لكنه ليس فيه قشور لا ينتفع بها الإنسان، بل يرميها ويطرحها.

وأما بالنسبة لمسألة اللحية: فلا ريب أن إعفاءها عبادة؛ لأن النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمر به، وكل ما أمر به النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو عبادة يتقرب بها الإنسان إلى ربه، بامتثاله أمر نبيه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل إنها من هدي النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسائر إخوانه المرسلين، كما قال الله تعالى عن هارون: أنه قال لموسى: {يَاابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي} . وثبت عن النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن إعفاء اللحية من الفطرة التي فطر الناس عليها، فإعفاؤها من العبادة، وليس من العادة، وليس من القشور كما يزعمه من يزعمه.[1]

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 3/125

المبحث الثاني : السنة وأهلها

1/ تعريف السنة :

السنة لغة: " الطريقة ".

واصطلاحا: " ما كان عليه النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه من عقيدة أو عمل ".[1]

2/ حكم اتباع السنة :

اتباع السنة واجب لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} . وقوله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ﴾ .[2]

3/ معنى السلف :

السلف معناه المتقدمون، فكل متقدم على غيره فهو سلف له، ولكن إذا أطلق لفظ السلف فالمراد به القرون الثلاثة المفضلة: الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، هؤلاء هم السلف الصالح، ومن كان بعدهم وسار على منهاجهم فإنه مثلهم على طريقة السلف، وإن كان متأخراً عنهم في الزمن؛ لأن السلفية تطلق على المنهاج الذي سلكه السلف الصالح رضي الله عنهم، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (إن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة،كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة) .وفي لفظ: (من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي) . وبناء على ذلك تكون السلفية هنا مقيدة بالمعنى، فكل من كان على منهاج الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان فهو سلفي وإن كان في عصرنا، هذا وهو القرن الرابع عشر بعد الهجرة.[3]

---

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 23/5

[2] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 23/5

[3] فتاوى نور على الدرب للعلامة ابن عثيمين 2/2

4/ افتراق الأمة :

قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث: ﴿كلهم في النار إلا واحدة ﴾ ... المراد بالأمة في هذا الحديث: أمة الإجابة، وأنها تنقسم ثلاثا وسبعين، ثنتان وسبعون منها منحرفة مبتدعة بدعا لا تخرج بها من ملة الإسلام فتعذب ببدعتها وانحرافها إلا من عفا الله عنه وغفر له ومآلها الجنة، والفرقة الواحدة الناجية هي أهل السنة والجماعة الذين استنوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولزموا ما كان عليه هو وأصحابه رضي الله عنهم، وهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله ﴾

أما من أخرجته بدعته عن الإسلام فإنه من أمة الدعوة لا الإجابة فيخلد في النار، وهذا هو الراجح، وقيل المراد بالأمة في هذا الحديث: أمة الدعوة، وهي عامة تشمل كل من بعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم من آمن منهم ومن كفر، والمراد بالواحدة: أمة الإجابة، وهي خاصة بمن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم إيمانا صادقا ومات على ذلك، وهذه هي الفرقة الناجية من النار إما بلا سابقة عذاب وإما بعد سابقة عذاب، ومآلها الجنة.

وأما الاثنتان والسبعون فرقة فهي ما عدا الفرقة الناجية وكلها كافرة مخلدة في النار.

وبهذا يتبين أن أمة الدعوة أعم من أمة الإجابة فكل من كان من أمة الإجابة فهو من أمة الدعوة وليس كل من كان من أمة الدعوة من أمة الإجابة. [1]

5/ الطائفة المنصورة :

الطائفة المنصورة هم أهل السنة والجماعة، وهم الفرقة الناجية، وهم الذين كانوا على مثل ما عليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه عقيدةً وقولاً وفعلاً [2]

---

[1] فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى 2/232

[2] فتاوى نور على الدرب للعلامة ابن عثيمين 2/1

6/ أسماء الطائفة المنصورة :

تنوّعت أسماء هذه الفئة إلى عدة أسماء عند أهل العلم :

1/ فتارة يسمونهم أهل السنة والجماعة، باعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم نصّ على أنها الجماعة وأنها على مثل ما هو عليه عليه الصلاة والسلام؛ يعني على السنة فصاروا أهل السنة والجماعة.

2/ ومنهم من يصفهم بأنهم الفرقة الناجية، وهذا وصف جاء متأخرا ولم يكن معروفا في الزمن القريب منه عليه الصلاة والسلام، وأُخذ من أنها نجاة من النار ما بين الثلاث وسبعين فرقة، فوصفت بأنها الفرقة الناجية وسميت الفرقة الناجية.

3/ ومنهم من يقول الطائفة المنصورة، وهذا باعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم بين أنه ﴿لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمّتِي عَلَى الْحَقّ ظَاهِرِينَ لاَ يَضُرّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ ولا من خالفهم حَتّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله تعالى﴾ ...

لهذا هذه أسماء لشيء واحد ولمسمى واحد ولطائفة واحدة، فيقال أهل السنة والجماعة، الطائفة المنصورة، الفرقة الناجية، وهذه أسماء متقاربة متحدة الدلالة، وفي المعنى بعضها يدل على الآخر [1]

4/ السلفية : السلفية نسبة إلى السلف، والسلف: هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى رضي الله عنهم الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير في قوله: ﴿خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته ﴾ رواه الإمام أحمد في مسنده والبخاري ومسلم

---

[1] مقطع للعلامة صالح أل الشيخ

والسلفيون: جمع سلفي نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه، وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة. [1]

5/ أهل الحديث

7/ حكم التسمي بأهل السنة :

لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقا

فإن كان موافقا له باطنا وظاهرا: فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطنا وظاهرا. وإن كان موافقا له في الظاهر فقط دون الباطن: فهو بمنزلة المنافق. فتقبل منه علانيته وتوكل سريرته إلى الله. فإنا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم. [2]

8/ في طريقة أهل السنة العملية :

من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار الرسول صلى الله عليه وسلم [3] باطناً وظاهراً [4] واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار [1] واتباع وصية رسول الله صلي الله عليه

[1] فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى 2/ 242

[2] مجموع الفتاوى 4/ 149

[3] ... لا اتباع إلا بعلم ، إذاً، فهم حريصون على طلب العلم ... يدعون بالحكمة ...

ونحن لا نستطيع أن نحصر آثار الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن نقول على سبيل الإجمال في العقيدة والعبادة والخلق والدعوة: في العبادة لا يتشددون ولا يتهاونون ويتبعون ما هو أفضل.

وربما يشتغلون عن العبادة بمعاملة الخلق للمصلحة، كما كان الرسول يأتيه الوفود يشغلونه عن الصلاة، فيقضيها فيما بعد. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 307

[4] قوله: " باطناً وظاهراً ": الظهور والبطون أمر نسبي: ظاهراً فيما يظهر للناس ، وباطناً فيما يسرونه بأنفسهم. ظاهراً في الأعمال الظاهرة، وباطناً في أعمال القلوب

فمثلاً، التوكل والخوف والرجاء والإنابة والمحبة وما أشبه ذلك، هذه من أعمال القلوب، يقومون بها على الوجه المطلوب، والصلاة فيها القيام والقعود والركوع والسجود والصدقة والحج، والصيام، وهذه من أعمال الجوارح، فهي ظاهرة.

ثم أعلم أن آثار الرسول صلى الله عليه وسلم تنقسم إلى ثلاثة أقسام أو أكثر :

أولاً: ما فعله على سبيل التعبد، فهذا لا شك أننا مأمورون باتباعه، لقوله تعالي: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)[الأحزاب: 21]، فكل شئ لا يظهر فيه أنه فعله تأثراً بعادة أو بمقتضى جبلة وفطرة أو حصل اتفاقاً، فإنه علي سبيل التعبد، ونحن مأمورون به.

ثانياً: ما فعله اتفاقاً ، فهذا لا يشرع لنا التأسي فيه، لأنه غير مقصود ، كما لو قال قائل: ... ينبغي إذا دفعنا من عرفة ووصلنا إلي الشعب الذي نزل فيه صلى الله عليه وسلم وبال أن ننزل ونبول ونتوضأ وضوءاً خفيفاً كما فعل النبي صلي الله عليه وسلم ! فنقول: هذا لا يشرع ...

ثالثاً: ما فعله بمقتضى العادة، فهل يشرع لنا التأسي به؟ الجواب: نعم، ينبغي لنا أن نتأسى به، لكن بجنسه لا بنوعه.

وهذه المسألة قل من يتفطن لها من الناس، يظنون أن التأسي به فيما هو علي سبيل العادة بالنوع، ثم ينفون التأسي به في ذلك.

ونحن نقول: نتأسى به، لكن باعتبار الجنس، بمعني أن نفعل ما تقتضيه العادة التي كان عليها الناس، إلا أن يمنع ذلك مانع شرعي.

رابعاً: ما فعله بمقتضى الجبلة، فهذا ليس من العبادات قطعاً، لكن قد يكون عبادة من وجه، بأن يكون فعله على صفة معينة عبادة: كالنوم ، فإنه بمقتضى الجبلة، لكن يسن أن يكون على اليمين، والأكل والشرب جبلة وطبيعة، ولكن قد يكون عبادة من جهة أخرى، إذا قصد به الإنسان امتثال أمر الله والتنعم بنعمه والقوة على عبادته وحفظ البدن، ثم إن صفته أيضاً تكون عبادة كالأكل باليمين، والبسملة عند البداية، والحمد لله عند الانتهاء.

وهنا نسأل: هل اتخاذ الشعر عادة أو عبادة؟

يرى بعض العلماء أنه عبادة، وأنه يسن للإنسان اتخاذ الشعر.

وسلم حيث قال: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ [2] وإياكم ومحدثات الأمور [1] فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة [2] "

ويرى آخرون أن هذا من الأمور العادية، بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم للذي رآه قد حلق بعض رأسه وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك، وقال: " احلقوا كله أو ذروا كله " ، وهذا يدل على أن اتخاذ الشعر ليس بعبادة، وإلا، لقال: أبقه، ولا تحلق منه شيئاً!

وهذه المسألة ينبغي التثبت فيها، ولا يحكم على شيء بأنه عبادة، إلا بدليل، لأن الأصل في العبادات المنع، إلا ما قام الدليل على مشروعيته. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 308/2

[1] ... وإنما كان اتباع سبيلهم من منهج أهل السنة والجماعة، لأنهم أقرب إلي الصواب والحق ممن بعدهم، وكلما بعد الناس عن عهد النبوة، بعدوا من الحق، وكلما قرب الناس من عهد النبوة، قربوا من الحق، وكلما كان الإنسان أحرص على معرفة سيرة النبي صلي الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، كان أقرب إلي الحق.

ولهذا تري اختلاف الأمة بعد زمن الصحابة والتابعين أكثر انتشاراً وأشمل لجميع الأمور، لكن الخلاف في عهدهم كان محصوراً .

فمن طريقة أهل السنة والجماعة أن ينظروا في سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فيتبعوها، لأن اتباعها يؤدى إلى محبتهم، مع كونهم أقرب إلى الصواب والحق / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 312/2

[2] معنى: " عليكم بسنتي ... " إلخ: الحث على التمسك بها ، وأكد هذا بقوله: " وعضوا عليها بالنواجذ " ، وهي أقصي الأضراس، مبالغة في التمسك بها.

والسنة: هي الطريقة ظاهراً وباطناً.

والخلفاء الراشدين: هم الذين خلفوا النبى صلي الله عليه وسلم في أمته علماً وعملاً ودعوة.

وأول من يدخل في هذا الوصف وأولى من يدخل فيه: الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

ثم يأتي رجل في هذا العصر، ليس عنده من العلم شيء، ويقول: أذان الجمعة الأول بدعة، لأنه ليس معروفاً على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ويجب أن نقتصر على الأذان الثاني فقط !

فنقول له: إن سنة عثمان رضي الله عنه سنة متبعة إذا لم تخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يقم أحد من الصحابة الذين هم أعلم منك وأغير على دين الله بمعارضته، وهو من الخلفاء الراشدين المهديين، الذين أمر رسول الله صلي الله عليه وسلم باتباعهم.

[3] ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله [4] وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم [1] ويؤثرون كلام الله على كلام غيره غيره من كلام أصناف الناس ويقدمون هدي محمد صلى

ثم إن عثمان رضي الله عنه أعتمد على أصل، وهو أن بلالاً يؤذن قبل الفجر في عهد النبي صلي الله عليه وسلم، لا لصلاة الفجر، ولكن ليرجع القائم ويوقظ النائم، كما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر عثمان بالأذان الأول يوم الجمعة لا لحضور الإمام، ولكن لحضور الناس، لأن المدينة كبرت واتسعت واحتاج الناس أن يعلموا بقرب الجمعة قبل حضور الإمام، من أجل أن يكون حضورهم قبل حضور الإمام.

فأهل السنة والجماعة يتبعون ما أوصى به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الحث علي التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، إلا إذا خالف كلام رسول الله صلي الله عليه وسلم مخالفة صريحة؛ فالواجب علينا أن نأخذ بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعتذر عن هذا الصحابي، ونقول: هذا من باب الاجتهاد المعذور فيه. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 313/2

[1] ... والمراد بها أمور الدين، أما أمور الدنيا، فلا تدخل في هذا الحديث، لأن الأصل في أمور الدنيا الحل، فما ابتدع منها، فهو حلال، إلا أن يدل الدليل على تحريمه. لكن أمور الدين الأصل فيها الحظر، فما ابتدع منها، فهو حرام بدعة، إلا بدليل من الكتاب والسنة على مشروعيته. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 315/2

[2] هذا كلام عام مسور بأقوى لفظ دال على العموم، وهو لفظ (كل) ، فهو تعميم محكم صدر من الرسول صلي الله عليه وسلم، والرسول عليه الصلاة والسلام ... اجتمعت في حقه أربعة أمور: علم ونصح وفصاحة وصدق، نطق بقوله: " كل بدعة ضلالة " .

فعلي هذا: كل من تعبد لله بعقيدة أو قول أو فعل لم يكن من شريعة الله، فهو مبتدع / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 315/2

[3] صحيح الجامع الصغير وزياداته (2549)

[4] ... لو قال قائل: إن الله عز وجل أخبر أن الأرض قد سطحت، قال: (وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) (الغاشية:20)، ونحن نشاهد أن الأرض مكورة، فكيف يكون خبره خلاف الواقع؟

فجوابه أن الآية لا تخالف الواقع، ولكن فهمه خاطئ إما لقصوره أو تقصيره، فالأرض مكورة مسطحة، وذلك لأنها مستديرة، ولكن لكبر حجمها لا تظهر استدارتها إلا في مساحة واسعة تكون بها مسطحة، وحينئذ يكون

الله عليه وسلم على هدي كل أحد [2] ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة في الاجتماع وضدها الفرقة [1] وإن كان لفظ الجماعة قد صار أسماً لنفس القوم المجتمعين
2

الخطأ في فهمه، حيث ظن أن كونها قد سطحت مخالف لكونها كروية / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 320/2

[1] " الهدي ": هو الطريق التي كان عليها السالك ...

- خير الهدي هدي محمد صلي الله عليه وسلم في العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات، وأن هدي محمد صلى الله عليه وسلم ليس بقاصر، لا في حسنه وتمامه وانتظامه موافقته لمصالح الخلق، ولا في أحكام الحوداث التي لم تزل ولا تزال تقع إلي يوم القيامة، فإن هدي محمد صلي الله عليه وسلم كامل تام، فهو خير الهدي، أهدي من شريعة التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وجميع الهدي...

وبناء على هذه العقيدة لا نعارض قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول أحد من الناس، كائناً من كان، حتى لو جاءنا قول لأبي بكر، وهو خير الأمة، وقول لرسول الله صلي الله عليه وسلم ، أخذنا بقول رسول الله صلي الله عليه وسلم.

وأهل السنة والجماعة بنوا هذا الاعتقاد على الكتاب والسنة.

قال الله تعالي: (ومن أصدق من الله حديثاً) [النساء: 87].

وقال النبي صلي الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على المنبر: " خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلي الله عليه وسلم "

ولهذا تجد الذين اختلفوا في الهدي وخالفوا فيه: إما مقصرين عن شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإما غالين فيها، بين متشددين وبين متهاونين، بين مفرط ومفّرط، وهدي الرسول صلى الله عليه وسلم يكون بين هذا وهذا. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 320/2

[2] أي يقدمون كلام الله على كلام غيره من سائر أصناف الناس في الخبر والحكم ...مثال ذلك: اشتهر عند كثير من المؤرخين أن إدريس قبل نوح، وهذا كذب، لأن القرآن يكذبه، كما قال تعالى:)إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ[النساء: 163]، وإدريس من النبيين، كما قال الله تعالي:) واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ([مريم: 56] إلي أن قال:) أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع

والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين [3] وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، إذا بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة) [4]

فهذه ثلاثة أصول يعتمد عليها في العلم والدين، وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع.

أما الكتاب والسنة، فأصلان ذاتيان، وأما الإجماع، فأصل مبني على غيره، إذ لا إجماع إلا بكتاب أو سنة.

أما كون الكتاب والسنة يرجع إليه، فأدلته كثيرة، منها:

قوله تعالى:(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ)[النساء: 59]. وقوله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)[المائدة: 92]. وقوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوه وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)[الحشر: 7] قوله تعالي:(مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)[النساء: 80].

ومن أنكر أن تكون السنة أصلاً في الدليل، فقد أنكر أن يكون القرآن أصلاً.

ولا شك عندنا في أن من قال: إن السنة لا يرجع إليها في الأحكام الشرعية، أنه كافر مرتد عن الإسلام، لأنه مكذب ومنكر للقرآن، فالقرآن في غير ما موضع جعل السنة أصلاً يرجع إليه ...

نوح ([مريم: 58]، وقال تعالي:) ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب([الحديد: 26] فلا نبي قبل نوح إلا آدم فقط. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 322/2

[1] مجتمعون على السنة، متالفون فيها، لا يضلل بعضهم بعضاً، ولا يبدع بعضهم بعضاً، بخلاف أهل البدع. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 323/2

[2] ... الجماعة في الأصل: الاجتماع، فأهل الجماعة، يعني: أهل الاجتماع، لكن نقل اسم الجماعة إلي القوم المجتمعين نقلاً عرفياً. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 324/2

[3] ... يعني به الدليل الثالث، لأن الأدلة أصول الأحكام، حيث تبنى عليها / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 324/2

[4] الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية 127

والمعروف عند عامة العلماء أن الإجماع موجود، وأن كونه دليلاً ثابت بالقرآن والسنة:

- فمن ذلك قوله تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء: 59]؛ فإن قوله: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ}: يدل على أن ما أجمعنا عليه لا يجب رده إلى الكتاب والسنة؛ اكتفاء بالإجماع! وهذا الاستدلال فيه شيء!!

- ومن ذلك قوله: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 115]، فقال: {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ}.

- واستدلوا أيضًا بحديث: "لا تجتمع أمتي على ضلالة " .[1]

وهذا الحديث حسنه بعضهم وضعفه آخرون، لكن قد نقول: إن هذا، وإن كان ضعيف السند، لكن يشهد لمتنه ما سبق من النص القرآني.

فجمهور الأمة أن الإجماع دليل مستقل ، وأننا إذا وجدنا مسألة فيها إجماع ؛ أثبتناها بهذا الإجماع.[2]

9/ وسطية أهل السنة :

أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة كالأمة بين الديانات الأخرى؛ يعني: أنهم وسط.[3]

فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة[4]

---

[1] السلسلة الصحيحة (1331) بلفظ " إن الله قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة ".

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/324

[3] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/65

[4] هذان طرفان متطرفان: أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة.

وهم وسط في باب أفعال اله تعالى بين القدرية والجبرية [1]

- فالجهمية: ينكرون صفات الله عز وجل، بل غلاتهم ينكرون الأسماء ويقولون: لا يجوز أن نثبت لله اسماً ولا صفة؛ لأنك إذا أثبت له اسماً؛ شبهته بالمسميات، أو صفة؛ شبهته بالموصوفات!! إذاً؛ لا نثبت أسماً ولا صفة!! وما أضاف الله إلى نفسه من الأسماء؛ فهو من باب المجاز، وليس من باب التسمي بهذه الأسماء!!
- والمعتزلة ينكرون الصفات ويثبتون الأسماء.
- والأشعرية يثبتون الأسماء وسبعاً من الصفات.
- كل هؤلاء يشملهم اسم التعطيل ، لكن بعضهم معطل تعطيلاً كاملاً؛ كالجهمية، وبعضهم ، وبعضهم تعطيلاً نسبياً؛ مثل المعتزلة والأشاعرة.

وأما أهل التمثيل المشبهة؛ فيثبتون لله الصفات، ويقولون: يجب أن نثبت لله الصفات؛ لأنه أثبتها لنفسه، لكن يقولون: إنها مثل صفات المخلوقين.

فهؤلاء غلو في الإثبات، وأهل التعطيل غلو في التنزيه.

وأما أهل السنة والجماعة؛ فقالوا: نحن نأخذ بالحق الذي مع الجانبين؛ فنأخذ بالحق في باب التنزيه؛ فلا نمثل، ونأخذ بالحق في جانب الإثبات؛ فلا نعطل؛ بل إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل ... فنأخذ بالأدلة من هنا ومن هنا شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/

[1] في باب القدر أنقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: آمنوا بقدر الله عز وجل وغلوا في إثباته، حتى سلبوا الإنسان قدرته واختياره، وقالوا: إن الله فاعل كل شيء، وليس للعبد اختيار ولا قدرة، وإنما يفعل الفعل مجبراً عليه، بل إن بعضهم ادعى أن فعل العبد هو فعل الله ، ولهذا دخل من بابهم أهل الاتحاد والحلول، وهؤلاء هم الجبرية.

القسم الثاني قالوا: إن العبد مستقل بفعله ، وليس لله فيه مشيئة ولا تقدير، حتى غلا بعضهم ، فقال إن الله لا يعلم فعل العبد إلا إذا فعله، أما قبل؛ فلا يعلم عنه شيئاً ، وهؤلاء هم القدرية، مجوس هذه الأمة.

فالأولون غلوا في إثبات أفعال الله وقدره وقالوا: إن الله عز وجل يجبر الإنسان على فعله، وليس للإنسان اختيار.

والآخرون غلوا في إثبات قدرة العبد، وقالوا: إن القدرة الإلهية والمشيئة الإلهية لا علاقة لها في فعل العبد؛ فهو الفاعل المطلق الاختيار.

وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم [1]

القسم الثالث: أهل السنة والجماعة؛ قالوا: نحن نأخذ بالحق الذي مع الجانبين؛ فنقول: إن فعل العبد واقع بمشيئة الله وخلق الله ، ولا يمكن أن يكون في ملك الله ما لا يشاءوا أبداً ، والإنسان له اختيار وإرادة، ويفرق بين الفعل الذي يضطر إليه والفعل الذي يختاره؛ فأفعال العباد باختيارهم وإرادتهم ، ومع ذلك؛ فهي واقعة بمشيئة الله وخلقه / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 65/2

[1] المرجئة: اسم فاعل من أرجَأ؛ بمعنى: أخر، ومنه قوله تعالى: {قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} [الأعراف: 111]، وفي قراءة: (أرجئه)؛ أي: أخره وأخر أمره، وسموا مرجئه: إما من الرجاء؛ لتغليبهم أدلة الرجاء على أدلة الوعيد، وإما من الإرجاء؛ بمعنى التأخير؛ لتأخيرهم الأعمال عن مسمى الإيمان.

ولهذا يقولون: الأعمال ليست من الإيمان، والإيمان هو الاعتراف بالقلب فقط.

ولهذا يقولون: إن فاعل الكبيرة كالزاني والسارق وشارب الخمر وقاطع الطريق لا يستحق دخول النار لا دخولاً مؤبداً ولا مؤقتاً؛ فلا يضر مع الإيمان معصية؛ مهما كانت صغيرة أم كبيرة؛ إذا لم تصل إلى حد الكفر.

وأما الوعيدية؛ فقابلوهم، وغلبوا جانب الوعيد، وقالوا: أي كبيرة يفعلها الإنسان ولم يتب منها، فإنه مخلد في النار بها: إن سرق؛ فهو من أهل النار خالداً مخلداً، وإن شرب الخمر؛ فهو في النار خالداً مخلداً... وهكذا.

والوعيدية يشمل طائفتين: المعتزلة، والخوارج. ولهذا قال المؤلف: " من القدرية وغيرهم"؛ فيشمل المعتزلة- والمعتزلة قدرية؛ يرون أن الإنسان مستقل بعلمه، وهم وعيدية- ويشمل الخوارج.

فاتفقت الطائفتان على أن فاعل الكبيرة مخلد في النار، لا يخرج منها أبداً، وأن من شرب الخمر مرة؛ كمن عبد الصنم ألف سنة؛ كلهم مخلدون في النار؛ لكن يختلفون في الأسم؛ مما سيأتي إن شاء الله في الباب الثاني.

وأما أهل السنة والجماعة؛ فيقولون: لا نغلب جانب الوعيد كما فعل المعتزلة والخوارج، ولا جانب الوعد كما فعل المرجئة، ونقول: فاعل الكبيرة مستحق للعذاب ، وإن عذب؛ لا يخلد في النار.

وسبب الخلاف بين الوعيدية وبين المرجئة: أن كل واحد منهما نظر إلى النصوص بعين عوراء؛ ينظر من جانب واحد.

هؤلاء نظروا نصوص الوعد، فأدخلوا الإنسان في الرجاء ، وقالوا نأخذ بها ، وندع ما سواها ،وحملوا نصوص الوعيد على الكفار.

- والوعيدية بالعكس؛ نظروا إلى نصوص الوعيد، فأخذوا بها ، وغفلوا عن نصوص الوعد.

وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية [1]

فلهذا اختل توازنهم لما نظروا من جانب واحد.

وأهل السنة والجماعة أخذوا بهذا وهذا، وقالوا: نصوص الوعيد محكمة؛ فنأخذ بها ، ونصوص الوعد محكمة؛ فنأخذ هبا ، فأخذوا من نصوص الوعد ما ردوا به على الوعيدية، ومن نصوص الوعيد ما ردوا به على المرجئة، وقالوا: فاعل الكبيرة مستحق لدخول النار؛ لئلا نهدر نصوص الوعيد؛ غير مخلد فيها لئلا نهدر نصوص الوعد.

فأخذوا بالدليلين ونظروا بالعينين. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 69/2

[1] هذا في باب الأسماء والدين، وهو غير باب الأحكام الذي هو الوعد والوعيد؛ ففاعل الكبيرة ماذا نسميه؟! مؤمن أم كافر؟!

وأهل السنة وسط فيه بين طائفتين: الحرورية والمعتزلة من وجه، والمرجئة الجهمية من وجه:

- فالحرورية والمعتزلة أخرجوه من الإيمان، لكن الحرورية قالوا: إنه كافر يحل دمه وماله، ولهذا خرجوا على الأئمة، وكفروا بالناس.

- وأما المرجئة الجهمية، فخالفوا هؤلاء، وقالوا: هو مؤمن كامل الإيمان!! يسرق ويزني ويشرب الخمر ويقتل النفس ويقطع الطريق؛ ونقول له: أنت مؤمن كامل الإيمان!! كرجل فعل الواجبات والمستحبات وتجنب المحرمات!! أنت وهو في الإيمان واحد!!

فهؤلاء وأولئك على الضد في الاسم وفي الحكم.

وأما المعتزلة؛ فقالوا: فاعل الكبيرة خرج من الإيمان، ولم يدخل في الكفر؛ فهو في منزلة بين منزلتين؛ لا نتجاسر أن نقول: إنه كافر! وليس لنا أن نقول: إنه مؤمن؛ وهو يفعل الكبيرة؛ يزني ويسرق ويشرب الخمر! وقالوا: نحن أسعد الناس بالحق!

حقيقة أنهم إذا قالوا: إن هذا لا يتساوى مع مؤمن عابد؛ فقد صدقوا.

لكن كونهم يخرجونه من الإيمان ثم يحدثون منزلة بين منزلتين: بدعة ما جاءت لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله، كل النصوص تدل على أنه لا يوجد منزلة بين منزلتين: كقوله تعالى(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (سبأ: من الآية24).

وقوله: (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ) (يونس: من الآية32). وقوله: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ) (التغابن:2) وفي الحديث: "القرآن حجة لك أو عليك".

وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروافض والخوارج [1]

فأين المنزلة بين المنزلتين؟!

هم يقولون: في منزلة بين منزلتين!! وفي باب الوعيد ينفذون عليه الوعيد، فيوافقون الخوارج في أن فاعل الكبيرة مخلد في النار، أما في الدنيا؛ فقالوا: تجرى عليه أحكام الإسلام؛ لأنه هو الأصل؛ فهو عندهم في الدنيا بمنزلة الفاسق العاصي.

فيا سبحان الله ! كيف نصلي عليه ، ونقول: اللهم افر له وهو مخلّد في النار؟!

فيجب عليهم أن يقولوا في أحكام الدنيا: إنه يتوقف فيه! لا نقول: مسلم ، ولا: كافر، ولا نعطيه أحكام الإسلام، ولا أحكام الكفر!! إذا مات؛ لا نصلي عليه ، ولا نكفنه، ولا نغسله، ولا يدفن مع المسلمين، ولا ندفنه مع الكفار؛ إذاً؛ نبحث له عن مقبرة بين مقبرتين !!

- وأما أهل السنة والجماعة؛ فكانوا وسطاً بين هذه الطوائف؛ فقالوا: نسمي المؤمن الذي يفعل الكبيرة مؤمناً ناقص الإيمان، أو نقول: مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته، وهذا هو العدل؛ فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم.

ويترتَّب على هذا: أن الفاسق لا يجوز لنا أن نكرهه كرهاً مطلقاً، ولا أن نحبه حباً مطلقاً ، بل نحبه على ما معه من الإيمان، ونكرهه على ما معه من المعصية. شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 71

[1] ❋ "أصحاب" ": جمع صاحب، والصحب اسم جمع صاحب والصاحب: الملازم للشيء.

والصحابي: هو الذي اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك

وهذا خاص في الصحابة، وهو من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم؛ أن الإنسان يكون من أصحابه، وإن لم يجتمع به إلا لحظة واحدة؛ لكن بشرط أن يكون مؤمناً به.

وأهل السنة والجماعة وسط فيهم بين الرافضة والخوارج.

فالرافضة: هم الذين يسمون اليوم: شيعة، وسموا رافضة؛ لأنهم رفضوا زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي ينتسب إليه الآن الزيدية؛ ورفضوه لأنهم سألوه: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ يريدون منه أن يسبهما ويطعن فيهما! ولكنه رضي الله عنه قال لهم: نعم الوزيران وزيرا جدي. يريد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأثنى عليهما، فرفضوه، وغضبوا عليه ، وتركوه! فسموا رافضة.

هؤلاء الروافض- والعياذ بالله- لهم أصول معروفة عندهم، ومن أقبح أصولهم: الإمامة التي تتضمن عصمة الإمام، وأنه لا يقول خطأ، وأن مقام الإمامة أرفع من مقام النبوة؛ لأن الإمام يتلقى عن الله مباشرة، والنبي بواسطة الرسول ، وهو جبريل، ولا يخطئ الإمام عندهم أبداً، بل غلاتهم يدعون أن الإمام يخلق؛ يقول للشيء: كن فيكون!!

وهم يقولون: إن الصحابة كفار، وكلهم ارتدوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم؛ حتى أبو بكر وعمر عند بعضهم كانا كافرين وماتا على النفاق والعياذ بالله ، ولا يستثنون من الصحابة إلا آل البيت ، ونفراً قليلاً ممن قالوا: إنهم أولياء آل البيت.

وقد قال صحاب كتاب "الفصل": " إن غلاتهم كفروا على بن أبي طالب؛ قالوا: لأن عليّاً أقر الظلم والباطل حين بايع أبا بكر وعمر، وكان الواجب عليه أن ينكر بيعتهما، فلما لم يأخذ بالحق والعدل، ووافق على الظلم؛ صار ظالماً كافراً".

- أما الخوارج؛ فهم على العكس من الرافضة؛ حيث أنهم كفروا علي بن أبي طالب، وكفروا معاوية بن أبي سفيان، وكفروا كل من لم يكن على طريقتهم، واستحلوا دماء المسلمين، فكانوا كما وصفهم النبي عليه الصلاة والسلام: " يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمِية" [193] ، وإيمانهم لا يتجاوز حناجرهم.

فالشيعة غلوا في آل البيت وأشياعهم، وبالغوا في ذلك ، حتى إن منهم من أدعىّ ألوهية علي، ومنهم من ادعى انه أحق بالنبوة من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والخوارج بالعكس.

أما أهل السنة والجماعة؛ فكانوا وسطاً بين الطائفتين؛ قالوا: نحن ننزل آل البيت منزلتهم، ونرى أن لهم حقين علينا: حق الإسلام والإيمان، وحق القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالوا: قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها الحق علينا، لكن من حقها علينا أن ننزلها منزلتها، وأن لا نغلو فيها . ويقولون في بقية أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم: لهم الحق علينا بالتوقير والإجلال والترضي، وأن نكون كما قال الله تعالى: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (الحشر: من الآية10)، ولا نعادي أحداً منهم أبداً؛ لا آل البيت، ولا غيرهم؛ فكل منهم نعطيه حقه؛ فصاروا وسطاً بين جفاة وغلاة. شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 74/2

المبحث الثالث : البدعة

1/ تعريف البدعة :

البدعة لغة : "الشيء المستحدث".

واصطلاحاً : "ما أحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من عقيدة أو عمل". [1]

2/ حكم البدعة في الدين :

كل بدعة في الدين – من أي نوع كانت – فهي محرمة وضلالة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"[2] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"،[3] وفي رواية: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد".[4] فدل الحديث على أن كل محدث في الدين؛ فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة.

ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة

فمنها ما هو **كفر صراح**؛ كالطواف بالقبور تقربا إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وكمقالات غلاة الجهمية والمعتزلة.

ومنها ما هو **من وسائل الشرك**؛ كالبناء على القبور، والصلاة والدعاء عندها.

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 40

[2] صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني (2549)

[3] صحيح مسلم (1718)

[4] صحيح مسلم (1718)

ومنها ما هو **فسق اعتقادي**؛ كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية. ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل، والصيام قائما في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع. [1]

3/ ضابط البدعة :

البدعة شرعًا ضابطها" التعبد لله بما لم يشرعه الله"، وإن شئت فقل: "التعبد لله - تعالى- بما ليس عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا خلفاؤه الراشدون"

فالتعريف الأول مأخوذ من قوله- تعالى-: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} . والتعريف الثاني مأخوذ من قول النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور﴾ [2] فكل من تعبد لله بشيء لم يشرعه الله، أو بشيء لم يكن عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخلفاؤه الراشدون فهو مبتدع سواء كان ذلك التعبد فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته أو فيما يتعلق بأحكامه وشرعه. أما الأمور العادية التي تتبع العادة والعرف فهذه لا تسمى بدعة في الدين وإن كانت تسمى بدعة في اللغة، ولكن ليست بدعة في الدين وليست هي التي حذر منها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وليس في الدين بدعة حسنة أبدًا، والسنة الحسنة هي التي توافق الشرع، وهذه تشمل أن يبدأ الإنسان بالسنة أي يبدأ العمل بها، أو يبعثها بعد تركها، أو يفعل شيئًا يسنه يكون وسيلة لأمر متعبد به فهذه ثلاثة أشياء :

الأول: إطلاق السنة على من ابتدأ العمل ويدل له سبب الحديث فإن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حث على التصدق على القوم الذين قدموا عليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهم في حاجة

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 322

[2] صحيح الجامع الصغير وزياداته (2549)

وفاقة، فحث على التصدق فجاء رجل من الأنصار بصرة من فضة قد أثقلت يده فوضعها في حجر النبي عليه الصلاة والسلام، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:﴿من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها﴾ فهذا الرجل سن سنة ابتداء عمل لا ابتداء شرع.

الثاني: السنة التي تركت ثم فعلها الإنسان فأحياها فهذا يقال عنه: سنها بمعنى أحياها وإن كان لم يشرعها من عنده.

الثالث: أن يفعل شيئًا وسيلة لأمر مشروع مثل بناء المدارس وطبع الكتب فهذا لا يتعبد بذاته ولكن لأنه وسيلة لغيره فكل هذا داخل في قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "﴿من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها﴾ . والله أعلم. [1]

4/ الآثار الواردة في التحذير من البدعة :

جاءتْ أدلَّةٌ في الكتاب والسنَّة وآثار السّلف الصّالح في التّحذير مِن البدع والمحدثات، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} ، وقال: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ} ، وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتَّفق على صحّته عن عائشة رضي الله عنها: "مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ"، وفي لفظ لمسلم: "مَن عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ".

وقال صلى الله عليه وسلم في آخر حديث العرباض بن سارية ... : " وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة".

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 2/ 293

و ... حديثُ جابرٍ في صحيح مسلم (767) أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبة الجُمعة: "أمَّا بعد، فإنَّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهَدي هَديُ محمَّد، وشرَّ الأمور محدَثاتُها، وكلَّ بدعةٍ ضلالة".

و ... الحديث الطويل عن أنس: "فمَن رغِب عن سنَّتي فليس منِّي".[1]

وقال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللهَ حجب التَّوبةَ عن كلِّ صاحب بدعةٍ حتى يدَعَ بدعتَه"، قال المنذري: "رواه الطبراني وإسناده حسن" كما في الترغيب والترهيب (1/65)، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب (52).

و ... حديثُ قصّة الصحابي الذي ذبح أضحيتَه قبل صلاة العيد، وقال له صلى الله عليه وسلم: "شاتُك شاةُ لحمٍ"،[2] وأثرُ ابن مسعود رضي الله عنه، الذي أنكر فيه على الذين يُسبِّحون بالحصى، وقال: "فعُدوا سيِّئاتكم فأنا ضامنٌ أن لا يَضيعَ من حسناتكم شيءٌ".

وفي كتاب السنّة لمحمد بن نصر المروزي (82) عن عبد الله بن عمر قال: "كلُّ بدعة ضلالة وإن رآها النّاسُ حسنة".

وذكر الشاطبي في الاعتصام (1/28) أنَّ ابن الماجشون قال: سمعتُ مالكاً يقول: "مَن ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنة، فقد زعم أنَّ محمّداً خان الرسالة؛ لأنَّ اللهَ يقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}، فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليوم ديناً".

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم (10/244) قال أبو عثمان النيسابوري: "مَن أمَّر السنَّةَ على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومَن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة".

وقال سهل بن عبد الله التستري كما في فتح الباري (13/290): "ما أحدث أحدٌ في العلم شيئاً إلاَّ سُئل عنه يوم القيامة، فإن وافق السنَّة سلِمَ، وإلاَّ فلا".

---

[1] صحيح البخاري (5063) و صحيح مسلم (1401)

[2] صحيح البخاري (955)

وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (95/2) : "أجمع أهلُ الفقه والآثار مِن جميع الأمصار أنَّ أهلَ الكلام أهلُ بدَع وزيغ، ولا يُعدُّون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنَّما العلماء أهلُ الأثر والتفقُّه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز".

وما أحسن ما قاله الإمام بن الإمام عبد الله بن أبي داود السجستاني في مطلع منظومته الحائية:

تمسَّكْ بحبل الله واتَّبع الهُدى ... ولا تكُ بدعيًّا لعلَّك تُفلحُ

ودِنْ بكتاب الله والسنن التي ... أتتْ عن رسول الله تنجو وتربحُ

ومِن أعظم ما أحدثه المُحدِثون وابتدعه المبتدعون ما زعمه أحدُ النوابت في هذا العصر الذي مرَّ ذكرُه في بحثَيْ الحوض والصحابة مِن أنَّ الصحبةَ الشرعية مقصورةٌ على المهاجرين والأنصار قبل الحديبية، وأنَّ كلَّ مَن أسلم وهاجر بعد الحديبية أو لم يهاجر ممَّن لقيَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أنَّه ليس مِن أصحابه، وأنَّ صحبَتَهم كصحبة المنافقين والكفّار وفي مقدِّمَتهم العباسُ بن عبد المطّلب وابنه عبد الله رضي الله عنهما، وهي بدعةٌ ضلالةٌ لم يُسبق إليها خلال القرون الماضية، وفي المثل "كم ترك الأوَّلُ للآخر" فكم ترك الأوَّلُ مِن المبتدعة للآخر منهم، فقد تركوا له هذه البدعة، فظفر بها، وعليه وِزرُها ومثلُ أوزار مَن ابتُلي بها من بعده [1]

5/ البدعة تستلزم محاذير فاسدة :

أولاً: تستلزم تكذيب قول الله تعالي:) اليوم أكملت لكم دينكم ([المائدة:3]، لأنه إذا جاء ببدعة جديدة يعتبرها ديناً، فمقتضاه أن الدين لم يكمل.

ثانياً: تستلزم القدح في الشريعة، وأنها ناقصة، فأكملها هذا المبتدع.

ثالثاً: تستلزم القدح في المسلمين الذين لم يأتوا بها، فكل من سبق هذه البدع من الناس دينهم ناقص! وهذا خطير !!

---

[1] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 184

رابعاً:من لوازم هذه البدعة أن الغالب أن من اشتغل ببدعة، انشغل عن سنة، كما قال بعض السلف: " ما أحدث قوم بدعة، إلا هدموا مثلها من السنة".

خامساً: أن هذه البدع توجب تفرق الأمة، لأن هؤلاء المبتدعة يعتقدون أنهم أصحاب الحق، ومن سواهم علي ضلال!! وأهل الحق يقولون: أنتم الذين على ضلال ! فتتفرق قلوبهم.

فهذه مفاسد عظيمة، كلها تترتب علي البدعة من حيث هي بدعة، مع أنه يتصل بهذه البدعة سفه في العقل وخلل في الدين. [1]

6/ البدع بريد الكفر :

البدعة شر من المعصية الكبيرة، والشيطان يفرح بها أكثر مما يفرح بالمعاصي الكبيرة؛ لأن العاصي يفعل المعصية وهو يعلم أنها معصية؛ فيتوب منها، والمبتدع يفعل البدعة يعتقدها دينا يتقرب به إلى الله؛ فلا يتوب منها، والبدع تقضي على السنن، وتكره إلى أصحابها فعل السنن وأهل السنة، والبدعة تباعد عن الله، وتوجب غضبه وعقابه، وتسبب زيغ القلوب وفسادها. [2]

7/ أنواع البدع :

الابتداع على قسمين:

ابتداع في العادات؛ كابتداع المخترعات الحديثة، وهذا مباح؛ لأن الأصل في العادات الإباحة.

وابتداع في الدين، وهذا محرم؛ لأن الأصل فيه التوقيف؛ قال صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد" ، وفي رواية: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد" [3]

البدعة في الدين نوعان :

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 316/2

[2] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 337

[3] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 321

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية؛ كمقالات الجهمية، والمعتزلة، والرافضة، وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة في العبادات؛ كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وهي أنواع:

النوع الأول: ما يكون في أصل العبادة؛ بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع؛ كأن صلاة غير مشروعة، أو صياما غير مشروع، أو أعيادًا غير مشروعة؛ كأعياد الموالد وغيرها.

النوع الثاني: ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة؛ كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

النوع الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة؛ بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

النوع الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع؛ كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام؛ فإن أصل الصيام والقيام مشروع، ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل. [1]

8/ ثواب المبتدع :

المبتدعون قد يقال: إنهم يثابون على حسن نيتهم إذا كانوا لا يعلمون الحق، ولكننا نخطئهم فيما ذهبوا إليه، أما أئمتهم الذين علموا الحق، ولكن ردوه ليبقوا جاههم، ففيهم شبه بأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة، وغيرهم الذين قابلوا رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بالرد إبقاء على رئاستهم وجاههم.

أما بالنسبة لأتباع هؤلاء الأئمة، فينقسمون إلى قسمين:

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 322

القسم الأول: الذين جهلوا الحق، فلم يعلموا عنه شيئا، ولم يحصل منهم تقصير في طلبه، حيث ظنوا أن ما هم عليه هو الحق، فهؤلاء معذورون.

القسم الثاني: من علموا الحق، ولكنهم ردوه تعصبا لأئمتهم، فهؤلاء لا يعذرون، وهم كمن قال الله فيهم: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ} [1]

9 / تنبيه في تقسيم البدعة إلى واجبة ومستحبة :

من قسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة؛ فهو غالط ومخطئ ومخالف لقوله صلى الله عليه وسلم: "فإن كل بدعة ضلالة"؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم حكم على البدعة كلها بأنها ضلالة، وهذا يقول: ليس كل بدعة ضلالة، بل هناك بدعة حسنة!.

قال الحافظ ابن رجب في "شرح الأربعين": " فقوله صلى الله عليه وسلم: "كل بدعة ضلالة": من جوامع الكلم، لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا ما ليس منه؛ فهو رد"؛ فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه؛ فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة" انتهى.

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر – رضي الله عنه – في صلاة التراويح: "نعمت البدعة هذه"، وقولوا – أيضا – إنها أحدثت أشياء لم يستنكرها السلف؛ مثل جمع القرآن في كتاب واحد، وكتابة الحديث وتدوينه.

والجواب عن ذلك: أن هذه الأمور لها أصل في الشرع؛ فليست محدثة، وقوله عمر: "نعمت البدعة"؛ يريد البدعة للغوية لا الشرعية؛ فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه؛ إذا بدعة؛ فهو بدعة لغة لا شرعا؛ لأن البدعة شرعا ما ليس له أصل في الشرع يرجع إليه.

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/71

وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كأن يأمر بكتابة القرآن، لكن كان مكتوبا متفرقا، فجمعه الصحابة - رضي الله عنهم - في مصحف واحد حفظا له.

والتراويح قد صلاها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه ليالي، وتخلف عنهم في الأخير، خشية أن تفرض عليهم، واستمر الصحابة - رضي الله عنهم - يصلونها أوزاعا متفرقين في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خلف إمام واحد، كما كانوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم، وليس هذا بدعة في الدين.

وكتابة الحديث - أيضا - لها أصل في الشرع؛ فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه لما طلب منه ذلك، وكان المحذر من كتابته بصفة عامة في عهده صلى الله عليه وسلم خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلما توفي صلى الله عليه وسلم؛ انتفى هذا المحذور؛ لأن القرآن قد تكامل وضبط قبل وفاته صلى الله عليه وسلم، فدون المسلمون السنة بعد ذلك؛ حفظا لها من الضياع؛ فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا؛ حيث حفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام من الضياع وعبث العابثين[1]

❋ فإن قلت: كيف تجمع بين هذا وبين قول الرسول صلي الله عليه وسلم: " من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلي يوم القيامة " ، فأثبت أن الإنسان يسن سنة حسنة في الإسلام؟

فنقول: كلام الرسول صلي الله عليه وسلم يصدق بعضه بعضاً، ولا يتناقض، فيريد بالسنة الحسنة السنة المشروعة، ويكون المراد بسنها المبادرة إلى فعلها.

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 323

يعرف هذا ببيان سبب الحديث، وهو أن النبي صلي الله عليه وسلم قاله حين جاء أحد الأنصار بصرة (يعني: من الدراهم)، ووضعها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم حين دعا أصحابه أن يتبرعوا للرهط الذين قدموا من مضر مجتابي النمار، وهم من كبار العرب، فتمعر وجه النبي صلي الله عليه وسلم لما رأي من حالهم، فدعا إلي التبرع لهم، فجاء هذا الرجل أول ما جاء بهذه الصرة، فقال: " من سن في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها إلي يوم القيامة "
.

أو يقال: المراد بالسنة الحسنة ما أحدث ليكون وسيلة إلي ما ثبتت مشروعيته، كتصنيف الكتب وبناء المدارس ونحو ذلك.

وبهذا نعرف أن كلام الرسول صلي الله عليه وسلم لا يناقض بعضه بعضاً، بل هو متفق، لأنه عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى. [1]

10/ أول البدع :

أول بدعة حدث في هذه الأمة هي بدعة الخوارج، لأن زعيمهم خرج على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ذو الخويصرة من بني تميم، حين قسم النبي صلى الله عليه وسلم ذهبية جاءت فقسمها بين الناس، فقال له هذا الرجل: يا محمد! اعدل1! فكان هذا أول خروج خُرِج به على الشريعة الإسلامية، ثم عظمت فتنتهم في أواخر خلافة عثمان وفي الفتنة بين علي ومعاوية، فكفروا المسلمين واستحلوا دماءهم.

ثم حدثت بدعة القدرية مجوسي هذه الأمة الذين قالوا: إن الله سبحانه وتعالى لم يقدر أفعال العباد وليست داخلة تحت مشيئته وليست مخلوقة له، بل كان زعماؤهم وغلاتهم يقولون: إنها غير معلومة لله، ولا مكتوبة في اللوح المحفوظ ... ويقولون: إن الأمر أُنف، أي: مستأنف

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 318/2

وهؤلاء أدركوا آخر عصر الصحابة، فقد أدركوا زمن عبد الله بن عمر رضي الله عنه وعبادة بن الصامت وجماعة من الصحابة، لكنه في أواخر عصر الصحابة.

ثم حدثت بدعة الإرجاء وأدركت زمن كثير من التابعين، والمرجئة هم الذين يقولون: إنه لا تضر المعصية مع الإيمان تزني وتسرق وتشرب الخمر، وتقتل ما دمت مؤمنا، فأنت مؤمن كامل الإيمان وإن فعلت كل معصية!

لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن كلام القدرية والمرجئة حين رده بقايا الصحابة كان في الطاعة والمعصية والمؤمن والفاسق، لم يتكلموا في ربهم وصفاته.

فجاء قوم من الأذكياء! ممن يدعون أن العقل مقدم على الوحي، فقالوا قولا بين القولين. قول المرجئة وقول الخوارج. قالوا: الذي يفعل الكبيرة ليس بمؤمن كما قاله المرجئة، وليس بكافر كما قاله الخوارج، بل هو في منزلة بين منزلتين، كرجل سافر من مدينة إلى أخرى فصار في أثناء الطريق، فلا هو في مدينته ولا في التي سافر إليها، بل في منزلة بين منزلتين، هذا في أحكام الدنيا، أما في الآخرة، فهو مخلد في النار، فهم يوافقون الخوارج في الآخرة، لكن في الدنيا يخالفونهم.

ظهرت هذه البدعة وانتشرت، ثم حدثت بدعة الظلمة والجهمة، وهي بدعة جهم بن صفوان وأتباعه، ويسمون الجهمية، حدثت هذه البدعة، وهي لا تتعلق بمسألة الأسماء، والأحكام، مؤمن أم كافر أم فاسق، ولم في منزلة بين منزلتين، بل تتعلق بذات الخالق.

انظر كيف تدرجت البدع في صدر الإسلام، حتى وصلوا إلى الخالق جل وعلا، وجعلوا الخالق بمنزلة المخلوق، يقولون كما شاؤوا، فيقولون: هذا ثابت لله، وهذا غير ثابت، هذا يقبل العقل

أن يتصف الله به، وهذا لا يقبل العقل أن يتصف به، فحدثت بدعة الجهمية والمعتزلة، فانقسموا في أسماء الله وصفاته إلى أقسام متعددة [1]

11/ وقت ظهور البدع :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات وقع في الأمة في أواخر الخلفاء الراشدين؛ كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال: "من يعش منكم بعدي؛ فسيرى اختلافا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي"2، وأول بدعة ظهرت بدعة القدر وبدعة الإرجاء وبدعة التشيع والخوارج، هذه البدع ظهرت في القرن الثاني، والصحابة موجودون، وقد أنكروا على أهلها، ثم ظهرت بدعة الاعتزال، وحديث الفتن بين المسلمين، وظهر اختلاف الآراء، والميل إلى البدع والأهواء، وظهرت بدعة التصوف وبدعة البناء على القبور بعد القرون المفضلة، وهكذا كلما تأخر الوقت؛ زادت البدع وتنوعت". [2]

12 / مكان ظهور البدع :

تختلف البلدان الإسلامية في ظهور البدع فيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج منها العلم والإيمان خمسة: الحرمان، والعراقان، والشام، منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة وما يتبع ذلك من أمور الإسلام، وخرج من هذه الأمصار بدع أصولية غير المدينة النبوية؛ فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء وانتشر بعد ذلك في غيرها، والبصرة خرج منها القدر والاعتزال والنسك الفاسد وانتشر بعد ذلك في غيرها، والشام كان بها النصب والقدر، أما التجهم؛ فإنما ظهر في ناحية خراسان، وهو شر البدع.

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 29

[2] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 325

وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية، فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان؛ ظهرت بدعة الحرورية.

وأما المدينة النبوية؛ فكانت سليمة من ظهور هذه البدع، وإن كان بها من هو مضمر لذلك؛ فكان عندهم مهانا مذموما؛ إذ كان بهم قوم من القدرية وغيرهم، ولكن كانوا مقهورين ذليلين؛ بخلاف التشيع والإرجاء في الكوفة، والاعتزال وبدع بالبصرة، والنصيب بالشام؛ فإنه كان ظاهرًا، وقد ثبت في "الصحيح" عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الدجال لا يدخلها، ولم يزل العلم والإيمان بها ظاهرًا إلى زمن أصحاب مالك، وهم من أهل القرن الرابع، فأما الأعصار الثلاثة المفضلة؛ فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة ألبتة، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين ألبتة كما خرج سائر الأمصار".

13/ الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع :

مما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه منجاة من الوقوع في البدع والضلالة؛ قال تعالى: {مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}

وقد وضح ذلك النبي صلي الله عليه وسلم فيما رواه أبن مسعود رضي الله عنه؛ قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً؛ فقال: " هذا سبيل الله" ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: "وهذه سبل، على كل سيبل منها شيطان يدعو إليه" ، ثم تلا: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [1]. فمن أعرض عن الكتاب والسنة؛ تنازعته الطرق المضللة والبدع المحدثة. [2]

---

[1] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (6) وقال الألباني حسن صحيح

[2] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 325

- الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع تتلخص في الأمور التالية: الجهل بأحكام الدين، إتباع الهوى، التعصب للآراء والأشخاص، التشبه بالكفار وتقليدهم، ونتناول هذه الأسباب بشيء من التفصيل.

1- الجهل بأحكام الدين: كلما امتد الزمن وبعد الناس عن آثار الرسالة؛ قل العلم وفشا الجهل؛ كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "من يعش منكم؛ فسيرى اختلافا كثيرًا" [1]، وقوله: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالما؛ اتخذ الناس رؤوسا جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا" [2] فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء؛ فإذا فقد العلم والعلماء؛ أتيحت الفرصة للبدعة أن تظهر وتنتشر ولأهلها أن ينشطوا.

2- اتباع الهوى: من أعرض عن الكتاب والسنة؛ اتبع هواه.

كما قال تعالى: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ}وقال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ} والبدع إنما هي نسيج الهوى المتبع.

3- التعصب للآراء والرجال: التعصب لآراء الرجال يحول بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق.

قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}

وهذا هو شأن المتعصبين اليوم من بعض أتباع المذاهب والصوفية والقبوريين، إذا دعوا إلى الكتاب والسنة، ونبذ ما هم عليه مما يخالفهما؛ احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم وآبائهم وأجدادهم.

---

[1] صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني (4369)

[2] صحيح البخاري (100)

4- التشبه بالكفار: هو من أشد ما يوقع في البدع؛ كما في حديث أبي واقد الليثي؛ قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهو ذات أنواط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله أكبر! إنها السنن! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}، لتركبُنَّ سنن من قبلكم "[1] [2]

14/ موقف أهل السنة من المبتدعة من المبتدعة :

ما زال أهل السنة والجماعة يردون على المبتدعة وينكرون عليهم بدعهم ويمنعونهم من مزاولتها، وإليك نماذج من ذلك.

1- عن أم الدرداء؛ قلت: "دخل عليَّ أبو الدرداء مغضبا، فقلت له: ما لك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئا من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعا".

2- عن عمرو بن يحي؛ قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه؛ قال: "كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج؛ مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال ك أخرج عليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا. فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج؛ قمنا إليه جميعا، فقال: يا أبا عبد الرحمن! إني رأيت في المسجد آنفا أمرًا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرًا. قال: وما هو؟ قال: إن عشت فستراه. قال: أريت في المسجد قوما حلقا جلوسا، ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مئة! فيكبرون مئة، فيقول: هللوا مئة! فيهللون مئة، فيقول: سبحوا مئة! فيسبحون مئة. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم سيء؟! ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقه

---

[1] صححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (6667)

[2] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 326

من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد. قال: فعدوا سيئاتكم؛ فأنا ضامن أن لا يضع من حسناتكم شيء، وَيْحَكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذا ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده؛ إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله أدري لعل أكثرهم منكم. ثم تولى عنهم". فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج

3 - جاء رجل إلى الإمام بن أنس - رحمه الله -؛ فقال: من أين أحرم؟ فقال: من الميقات الذي وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحرم منه. فقال الرجل: فإن أحرمت من أبعد منه؟ فقال مالك: لا أرى ذلك. فقال ما تكره من ذلك؟ فقال: أكره عليك الفتنة. قال: وأي فتنة في ازدياد الخير؟ فقال مالك: فإن الله تعالى يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، وأي فتنة أعظم من أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله؟! "

وهذا نموذج، ولا زال العلماء ينكرون على المبتدعة في كل عصر، والحمد لله. [1]

15/ منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع :

منهجهم في ذلك مبني على الكتاب والسنة، وهو المنهج المقنع المفحم؛ حيث يوردون شبه المبتدعة وينقضونها، ويستدلون بالكتاب والسنة على وجوب التمسك بالسنن والنهي عن البدع والمحدثات، وقد ألفوا المؤلفات الكثيرة في ذلك، وردوا كتب العقائد على الشيعة

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 329

والخوارج والجهمية والمعتزلة والأشاعرة في أصول الإيمان والعقيدة، وألفوا كتبا خاصة في ذلك؛ كما ألف الإمام أحمد كتاب "الرد على الجهمية"، وألف غيره من الأئمة في ذلك؛ كعثمان الدارمي، كما في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والشيخ محمد بن عبد الوهاب ... وغيرهم، من الرد على تلك الفرق، وعلى القبورية والصوفية.

وأما الكتب الخاصة في الرد على أهل البدع؛ فهي كثيرة:

منها على سبيل المثال من الكتب القديمة:

1- كتاب "الاعتصام" للإمام الشاطبي.

2- كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم"لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ فقد استغرق الرد على المبتدعة جزءًا كبيرًا منه.

3- كتاب"إنكار الحوادث والبدع" لابن وضاح.

4- كتاب "الحوادث والبدع" للطرطوشي.

5- كتاب "الباعث على إنكار البدع والحوادث" لأبي شامة.

ومن الكتب العصرية:

1- كتاب "الإبداع في مضار الابتداع"للشيخ علي محفوظ.

2- كتاب "السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات" للشيخ محمد بن أحمد الشقيري الحوامدي.

3- رسالة "التحذير من البدع" للشيخ عبد العزيز بن باز.

ولا يزال علماء المسلمين – والحمد لله – ينكرون البدع ويردون على المبتدعة من خلال الصحف والمجلات والإذاعات وخط الجمع والندوات والمحاضرات؛ مما له كبير الأثر في توعية المسلمين والقضاء على البدع وقمع المبتدعين. [1]

16/ ما يعامل به المبتدعة :

تحرم زيارة المبتدع ومجالسه؛ إلا على وجه النصية له والإنكار عليه؛ لأن مخالطته تؤثر على مخالطه شرّاً، وتنشر عدواه إلى غيره.

ويجب التحذير منهم ومن شرهم إذا لم يمكن الأخذ على أيديهم ومنعهم من مزاولة البدع، وإلا؛ فإنه يجب على علماء المسلمين وولاة أمورهم منع البدع، والأخذ على أيدي المبتدعة، وردعهم عن شرهم؛ لأن خطرهم على الإسلام شديد.

ثم إنه يجب أن يعلم أن دول الكفر تشجع المبتدعة على نشر بدعتهم، وتساعدهم على ذلك بشتى الطرق؛ لأن في ذلك القضاء على الإسلام، وتشويه صورته. [2]

وهجران أهل البدع واجب [3] لقوله تعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [المجادلة: 22] .

ولأن النبي –صلى الله عليه وسلم– هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلَّفوا عن غزوة تبوك.

لكن إن كان في مجالستهم مصلحة لتبيين الحق لهم وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك، وربما يكون ذلك مطلوبًا لقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 332

[2] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 337

[3] الهجران مصدر هَجَرَ وهو لغة: الترك والمراد بهجران أهل البدع الابتعاد عنهم، وترك محبتهم وموالاتهم والسلام عليهم وزيارتهم وعيادتهم ونحو ذلك / التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 159

هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125] .

وهذا قد يكون بالمجالسة والمشافهة وقد يكون بالمراسلة والمكاتبة، ومن هجر أهل البدع ترك النَّظر في كتبهم خوفًا من الفتنة بها أو ترويجها بين الناس فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب لقوله -صلى الله عليه وسلم- في الدجال: "من سمع به فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات". رواه أبو داود، قال الألباني: وإسناده صحيح.[1]

لكن إن كان الغرض من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به، وكان قادرًا على الرد عليهم بل ربما واجبًا؛ لأن رد البدعة واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.[2]

- الداعي للبدعة ... لو رأى ولي الأمر أن يقتله لأنه ساع بالفساد في الأرض فله أن يقتله من باب التعزير - حتى لو تاب فله أن يقتله، وقولنا: فله أن يقتله من باب التعزير، يعني وليس واجباً عليه، بل إن رأى ولي الأمر أن هذا الداعية للبدعة إذا تاب من بدعته ربما يكون داعياً للسنة فلا يقتله؛ لأن التائب من البدعة حقيقة لابد أن ينقض ما كان عليه من قبل، وحينئذٍ إذا نقض ما كان عليه من قبل من البدع فلا شك أنه مَكسب ويكون في ذلك مصلحة للسنة وأهل السنة.[3]

[1] سنن أبي داوود (4319)

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 159

[3] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 387

17/ علامة أهل البدع :

لأهل البدع علامات منها:

1- أنهم يتصفون بغير الإسلام والسنة بما يحدثونه من البدع القولية والفعلية والعقائدية.

2- أنهم يتعصبون لآرائهم فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم.

3- أنهم يكرهون أئمة الإسلام والدين. [1]

4- الوقيعة في أهل الأثر ، قال أبو حاتم الرازي رحمه الله: ﴿ علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر ﴾

5- شدة معاداتهم لأهل الحديث وسكوتهم عن أهل الغي والباطل ، قال ﷺ في وصف الخوارج يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان). قال أبو عثمان الصابوني): وعلامة البدع على أهلها بادية ظاهرة ، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ، واحتقارهم لهم ، وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة ، اعتقادًا منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل عن العلم وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ، ووساوس صدورهم المظلمة وهواجس قلوبهم الخالية من الخير ، وحججهم العاطلة أولئك الذين لعنهم الله ﴾ (٣) اهـ

6- استعانتهم بالولاة والسلاطين بسبب ضعف حجة أهل البدع وهو مذهبهم وقلة حيلتهم فإنهم يستعينون في نصرة دعوتهم بالولاة والسلاطين لأن فيها نوعا من الإكراه والإخافة.

7- الاجتهاد والغلو في العبادة: فالمبتدع يزيد في الاجتهاد لينال في الدنيا التعظيم والجاه والمال وغير ذلك من أصناف الشهوات ، لأن التعظيم على شهوات الدنيا أي على ترك شهوات الدنيا ، أعظم ألا ترى إلى انقطاع الرهبان في الصوامع عن جميع الملذوذات ، ومقاساتهم لأصناف

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 161

العبادات ، والكف عن الشهوات ، وهم مع ذلك خالدون في جهنم قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية) وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣- ١٠٤]. وما ذاك إلا لخفة يجدونها في ذلك الالتزام ، ونشاط بداخلهم يستسهلون به الصعب ، بسبب ما داخل النفس من الهوى ، فإذا بدا للمبتدع ما هو عليه ، راه محبوبًا عنده فما الذي يصده عن الاستمساك به والازدياد منه ، وهو يرى أن أعماله أفضل من أعمال غيره واعتقاداته أوفق وأعلى كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي من يناهُ ﴾ [المدثر: ٣١]

وقد يفتتن البعض بالمبتدعة لما يرون عندهم من التزهد والتخشع والبكاء أو غير ذلك من كثرة العبادة ، وليس هذا مقياسًا صحيحًا في معرفة الحق ، فقد قال النبي لأصحابه في وصف أهل البدع: يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم ، وصيامه عند صيامهم ، وقراءته عند قراءتهم [1]

18/ أظهر علامات أهل السنة :

فأولا: دعوتهم إلى كتاب الله تعالى أي: إلى متابعته والعمل به.

ثانيا: تفسير هم له بالأثر ، أي بالسنة وتفسير الصحابة والتابعين.

ثالثًا: دعوتهم إلى السنة الصحيحة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم

رابعا: اعتقادهم أنها هي المبينة لكتاب الله والمفسرة له.

خامسا: محبة السنة ومحبة أهلها وحملتها ، واعتقاد أنهم هم الذين يحفظ الله بهم الدين وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلا منه) قيل لأبي بكر بن عياش : من السني ؟ قال: ﴿ الذي إذا ذكرت الأهواء لم يغضب لشيء منها"

سادسا: اعتدالهم ما بين الجفاء والغلو والإفراط والتفريط.

[1] شرح أصول السنة للعلامة أحمد النجمي 47

سابعا: أنهم لا يغلون في أحد من أئمتهم حتى يعتقدوا فيه العصمة لا من الصحابة ولا من غيرهم.

ثامنا: أنهم يبغضون أهل البدع ، ويتعبدون الله بمجاهدتهم وبيان حالهم وبدعهم حتى يحذرها الناس ويحذروهم.

تاسعا: عنايتهم بالعقائد وتقديمهم لها على الفضائل عكس المبتدعة. [1]

19/ موقف أهل الأهواء والبدع تجاه الأحاديث المخالفة لأهوائهم يدور على أمرين :

إما التكذيب، وإما التحريف.

فإن كان يمكنهم تكذيبه؛ كذبوه؛ كقولهم في القاعدة الباطلة: أخبار الآحاد لا تقبل في العقيدة!!

وقد رد ابن القيم رحمه الله هذه القاعدة وأبطلها بأدلة كثيرة في آخر " مختصر الصواعق".

وإن كان لا يمكنهم تكذيبه؛ حرفوه؛ كما حرفوا نصوص القرآن.

أما أهل السنة؛ فقبلوا كل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمور العلمية والأمور العملية؛ لقيام الدليل على وجب قبول ذلك. [2]

20/ بيان نماذج من البدع المعاصرة :

البدع المعاصرة كثيرة بحكم تأخر الزمن، وقلة العلم، وكثرة الدعاة إلى البدع والمخالفات، وسريان التشبه بالكفار في عادات المسلمين وطقوسهم؛ مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم"[3]. ونذكر هنا ... من أهم البدع المعاصرة، وهي: [4] ...

---

[1] شرح أصول السنة للعلامة أحمد النجمي 49

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 11/2

[3] صحيح البخاري (7320)

[4] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 332

الاحتفال بمناسبة المولد النبوي في ربيع الأول : مما سرى في المسلمين في هذا العصر وما سبقه من الأعصار من التشبه بالكفار التشبه بالنصارى في عمل ما يسمى بالاحتفال بالمولد النبوي، يحتفل جهلة المسلمين أو العلماء المضلين في ربيع الأول من كل سنة بمناسبة مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فمنهم من يقيم هذا الاحتفال في المساجد، ومنهم من يقيمه في البيوت أو الأمكنة المعدة لذلك، ويحضره جموع كثيرة دهماء الناس وعوامهم؛ يعلمون ذلك تشبها بالنصارى في ابتداعهم الاحتفال بمولد المسيح عليه السلام.

والغالب أن هذا الاحتفال علاوة على كونه بدعة وتشبها بالنصارى لا يخلو من وجود الشركيات والمنكرات؛ كإنشاء القصائد التي فيها الغلو حقِّ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى درجة دعائه من دون الله والاستغاثة به، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الغلو في مدحه؛ فقال: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد؛ فقولوا: عبد الله ورسوله" [1]

والإطراء معناه: الغلو في المدح، وربما يعتقدون أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر احتفالاتهم.

ومن المنكرات التي تصاحب هذه الاحتفالات: الأناشيد الجماعية المنغمة، وضرب الطبول ... وغير ذلك من عمل الأذكار الصوفية المبتدعة، وقد يكون فيها اختلاط بين الرجال والنساء، مما يسبب الفتنة، ويجر إلى الوقوع في الفواحش.

وحتى لو خلا هذا الاحتفال من هذه المحاذير، واقتصر على الاجتماع وتناول الطعام وإظهار الفرح - كما يقولون؛ فإنه بدعة محدثة، "وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"، و - أيضا - هو وسيلة إلى أن يتطور ويحصل فيه ما يحصل في الاحتفالات الأخرى من المنكرات.

---

[1] صحيح البخاري (3445)

وقلنا: إنه بدعة؛ لأنه لا أصل له في الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح والقرون المفضلة، وإنما حدث متأخرًا بعد القرن الرابع الهجري، أحدثه الفاطميون الشيعة.

قال الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني - رحمه الله: "أما بعد؛ فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد؛ هل له أصل في الدين؟ وقصدوا الجواب عن ذلك مبينا والإيضاح عنه معينا؛ فقلت وبالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها الباطلون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكالون"

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله: "وكذلك ما يحدثه بعض الناس؛ إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيما ... من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيدًا - مع اختلاف الناس في مولده؛ فإن هذا لم يفعله السلف، ولو كان هذا خيرًا محضا أو راجحا؛ لكان السلف - رضي الله عنهم - أحق به منا؛ فإنهم كانوا أشد محبة للني صلى الله عليه وسلم وتعظيما له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كانت محبته وتعظيمه في متابعته، وطاعته واتباع أمره، وإحياء سنته باطنا وظاهرًا، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان؛ فإن هذه السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان"2انتهى

وقد ألف في إنكار هذه البدعة كتب ورسائل قديمة وحديثة.

وهو علاوة على كونه بدعة وتشبها؛ فإنه يجر إلى إقامة موالد أخرى؛ كموالد الأولياء والمشايخ والزعماء؛ فيفتح أبواب شر كثيرة ...

البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله : البدع التي أحدثت في مجال العبادات في هذا الزمان كثيرة؛ لأن الأصل في العبادات التوقيف؛ فلا شيء منها إلا بدليل، وما لم يدل عليه دليل؛ فهو

بدعة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد".

والعبادات التي يمارس الآن ولا دليل عليها كثيرة جدّاً:

منها: الجهر بالنية للصلاة؛ بأن يقول: نويت أن أصلي لله كذا وكذا، وهذا بدعةٌ؛ لأنه ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولأن الله تعالى يقول: {قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ، والنية محلها القلب؛ فهي عمل قلبي لا عمل لساني.

ومنها: الذكر الجماعي بعد الصلاة؛ لأن المشروع أن كل شخص يقول الذكر الوارد منفردًا.

ومنها: طلب قراءة الفاتحة في المناسبات وبعد الدعاء وللأموات.

ومنها: إقامة المآتم على الأموات، وصناعة الأطعمة، واستئجار المقرئين؛ يزعمون أن ذلك من باب العزاء، أو أن ذلك ينفع الميت، وكل ذلك بدعة لا أصل له، وآصار وأغلال ما أنزل الله بها من سلطان.

ومنها: الاحتفال بالمناسبات الدينية؛ كمناسبة الإسراء والمعراج،

ومناسبة الهجرة النبوية، وهذا الاحتفال بتلك المناسبات لا أصل له من الشرع.

ومن ذلك: ما يفعل في شهر رجب؛ كالعمرة الرجبية، وما يفعل فيه من العبادات الخاصة به؛ كالتطوع بالصلاة والصيام فيه؛ فإنه لا ميزة له على غيره من الشهور لا في العمرة والصيام والصلاة والذبح للنسك فيه ولا غير ذلك.

ومن ذلك: الأذكار الصرفية بأنواعها؛ فكلها بدع ومحدثات؛ لأنها مخالفة للأذكار المشروعة في صيغها وهيئاتها وأوقاتها.

ومن ذلك: تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام ويوم النصف من شعبان بصيام؛ فإنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء خاص به.

ومن ذلك: البناء على القبور، واتخاذها مساجد، وزيارتها لأجل التبرك بها والتوسل بالموتى

وغير ذلك من الأغراض الشركية، وزيارة النساء لها، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج.[1]

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 333

المبحث الرابع : الإيمان

1/ تعريف :

أكثر أهل العلم يقولون: إن الإيمان في اللغة التصديق. ولكن في هذا نظر؛ لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة؛ فإنها تتعدى بتعديتها ، ومعلوم أن التصديق بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه؛ فتقول مثلاً: صدقته، ولا تقول: آمنته! بل تقول: آمنت به: أو: آمنت له . فلا يمكن أن نفسر فعلاً لازماً لا يتعدى إلا بحرف الجر بفعل متعد ينصب المفعول به نفسه، ثم إن كلمة (صدقت) لا تعطي معنى كلمة (آمنت)؛ فإن (آمنت) تدل على طمأنينة بخبره أكثر من (صدقت). ولهذا؛ لو فسر الإيمان بالإقرار؛ لكان أجود؛ فنقول: الإيمان: الإقرار ، ولا إقرار إلا بتصديق؛ فتقول: أقر به؛ كما تقول: آمن به، وأقر به؛ كما تقول: آمن له. هذا في اللغة. [1]

وَالإِيمَانُ فِي الشَّرْعِ لَهُ مَعْنَيَانِ :

أَحَدُهُمَا عَامٌ ، وَهُوَ: الدِّينُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّهُ يُسَمَّى إِيمَانًا).

وَحَقِيقَتُهُ شَرْعًا: التَّصْدِيقُ الجَازِمُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا بِاللَّهِ ؛ تَعَبدًا لَهُ بِالشَّرْعِ الْمُنَزَّلِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى مَقَامِ الْمُشَاهَدَةِ أَوِ الْمُرَاقَبَةِ.

والآخَرُ: خَاصٌ ؛ وَهُوَ: الاعْتِقَادَاتُ البَاطِنَةُ ، فَإِنَّهَا تُسَمَّى إِيمَانًا ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ إِذَا قُرِنَ الْإِيمَانُ بِالْإِسْلاَمِ وَالْإِحْسَانِ [2]

2/ شُعَبِ الإِيمَانِ :

لِلإِيمَانِ شُعَبٌ كَثِيرَةٌ ، أَعْلاَهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ). وَاخْتُلِفَ فِي عَدَدِ شُعَبِ الإِيمَانِ ؛ لِاخْتِلاَفِ لَفْظِ الصَّحِيحَيْنِ فِي الحَدِيثِ

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/229

[2] شرح ثلاثة الأصول للشيخ صالح العصيمي 53

الْوَارِدِ ؛ فَوَقَعَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ ﴿: ﴿ الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ ﴾ ، وَوَقَعَ عِنْدَ ﴿ مُسْلِمٍ ﴾: ﴿ الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ﴾ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لَهُ: ﴿ الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ ، أَوْ وَسَبْعُونَ شُعْبَةٌ ﴾ ، وَالْمَحْفُوظُ فِيهِ لَفْظُ ﴿ الْبُخَارِيِّ ﴾: الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةٌ ﴾. وَشُعَبُ الإِيمَانِ هِيَ: خِصَالُهُ وَأَجْزَاؤُهُ الجَامِعَةُ لَهُ ، وَمِنْهَا قَوْلِيٌّ ؛ كَقَوْلِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ، وَعَمَلِيٌّ ؛ كَإِمَاطَةِ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَقَلْبِيٌّ ؛ كَالْحَيَاءِ. وجُمِعَتْ هَذِهِ الْأَنْوَاعُ الثَّلَاثَةُ فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ. وَأَرْكَانُ الإِيمَانِ سِتَّةٌ ، وَهِيَ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) [1]

3/ مَا يَنْبَغِي تَعَلُّمُهُ فِي أَرْكَانِ الإِيمَانِ السِّتَّةِ :

رَأْسُ مَا يَنْبَغِي تَعَلُّمُهُ فِي أَرْكَانِ الإِيمَانِ السِّتَّةِ هُوَ مَعْرِفَةُ القَدْرِ الوَاجِبِ الْمُجْزِي مِنَ الإِيمَانِ بِكُلِّ رُكْنٍ مِنْهَا ، مِمَّا هُوَ وَاجِبٌ عَلَى العَبْدِ ابْتِدَاءً ، وَلَا يَسَعُهُ جَهْلُهُ ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مَعَ جَلَالَتِهَا يَقِلُّ مَنْ يُنَبِّهُ إِلَيْهَا. وَاسْتِقْرَاءُ أَدِلَّةِ الشَّرْعِ يُبَيِّنُ أَنَّ مِنَ الإِيمَانِ قَدْرًا وَاجِبًا لَا يَصِحُ دِينُ العَبْدِ إِلَّا بِهِ ؛ فِي الإِيمَانِ بِاللَّهِ ، وَبِمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَاليَوْمِ الآخِرِ ، وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ...

فَالقَدْرُ الوَاجِبُ الْمُجْزِئُ مِنَ الإِيمَانِ باللهِ هُوَ: الإِيمَانُ بِوُجُودِهِ رَبًّا مُسْتَحِقًّا لِلْعِبَادَةِ ، لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى وَالصِّفَاتُ العُلَا.

وَالقَدْرُ الوَاجِبُ الْمُجْزِئُ مِنَ الإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ هُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّهُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَنْزِلُ بِالوَحْيِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِأَمْرِ اللَّهِ

وَالقَدْرُ الوَاجِبُ الْمُجْزِئُ مِنَ الإِيمَانِ بِالكُتُبِ هُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنَ الرُّسُلِ كُتُبًا هِيَ كَلَامُهُ عَزَوَجَلَّ لِيَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَكُلُّهَا مَنْسُوخَةٌ بِالقُرْآنِ.

وَالقَدْرُ الوَاجِبُ الْمُجْزِئُ مِنَ الإِيمَانِ بِالرُّسُلِ هُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ إِلَى النَّاسِ رُسُلاً مِنْهُمْ ؛ لِيَأْمُرُوهُم بِعِبَادَةِ اللَّهِ ، وَأَنَّ خَاتَمَهُمْ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

[1] شرح ثلاثة الأصول للشيخ صالح العصيمي 54

وَالقَدْرُ الوَاجِبُ المُجْزِئُ مِنَ الإِيمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ هُوَ الْإِيمَانُ بِالبَعْثِ فِي يَوْمٍ عَظِيمٍ هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ ، لِلْمُجَازَاةِ الخَلْقِ ، فَمَنْ أَحْسَنَ فَلَهُ الحُسْنَى وَهِيَ الجَنَّةُ- جَعَلْنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِهَا ، وَمَنْ أَسَاءَ فَلَهُ مَا عَمِلَ وَجَزَاؤُهُ النَّارُ.

وَالقَدْرُ الوَاجِبُ المُجْزِئُ مِنَ الإِيمَانِ بِالقَدَرِ هُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ قَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ أَزَلًا ، وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ وَخَلْقِهِ.

فَهَذِهِ الجُمْلَةُ هِيَ عَمُودُ الْأَقْدَارِ الْمُجْزِئَةِ مِنَ الإِيمَانِ فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ ابْتِدَاءً ، مِمَّا لَا يَسَعُ العَبْدَ جَهْلُهُ ، وَلَا يَصِحُ إِيمَانُهُ إِلَّا بِهِ ، فَلاَ بُدَّ مِنْ شُهُودِ هَذِهِ المَعَانِي وَالعِلْمِ بِهَا ، وَإِنْ فُقِدَتِ العِبَارَاتُ المُؤَدِّيَةُ عَنْهَا.

فَمَتَى وُجِدَ العِلْمُ بِهَا وَأَعْتِقَادُهَا كَانَ كَافِيًا فِي صِحَّةِ إِيمَانِ الْعَبْدِ ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْإِيمَانِ ؛ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ وَاجِبًا بِالنَّظَرِ إِلَى بُلُوغِ الدَّلِيلِ وَالعِلْمِ بِهِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ نَفْلِ العِلْمِ الَّذِي لَا يَجِبُ.

فَلَوْ سُئِلَ عَامِّيٌّ- عَمَّنْ يَنتَسِبُ إِلَى الإِسْلامِ- عَنِ المَلائِكَةِ فَقَالَ: لَا أَعْرِفُ الْمَلائِكَةَ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ أَسْمُهُ المَلائِكَةُ ، فَهَذَا لَا يَكُونُ مُسْلِمًا ، إِذْ لَمْ يَثْبُتْ لَهُ أَصْلُ الإِيمَانِ ؛ لِفَقْدِهِ الْقَدْرَ الوَاجِبَ المُجْزِئَ مِنَ الإِيمَانِ بِالْمَلائِكَةِ ، فَلاَ بُدَّ أَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّهُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَنْزِلُ بِالْوَحْيِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِأَمْرِ اللهِ

وَلَوْ سُئِلَ آخَرُ عَنْهُمْ فَأَجَابَ بِكَوْنِهِمْ خَلْقًا مِنْ خَلْقِ اللهِ ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُرْسِلُهُمُ اللهُ لِتَبْلِيغِ الأَنْبِيَاءِ ؛ كَانَ هَذَا كَافِيًا فِي صِحَّةِ إِيمَانِهِ.

فَإِذَا قِيلَ لَهُ: هَذَا النَّازِلُ بِالوَحْيِ ؛ مَا أَسْمُهُ ؟ فَقَالَ: لَا أَعْرِفُهُ ؛ فَإِنَّ عَدَمَ مَعْرِفَتِهِ أَسْمَ الْمَلَكِ النَّازِلِ بِالوَحْيِ لَا يُبْطِلُ إِيمَانَهُ ، بَلْ إِيمَانُهُ ثَابِتٌ بِتَحْصِيلِهِ القَدْرَ الوَاجِبَ عَلَيْهِ مِمَّا يَصِحُ بِهِ إِيمَانُهُ المتَعَلِّقُ بِالْمَلائِكَةِ.

فَإِذَا عُرِّفَ بِهِ وَقِيلَ: إِنَّهُ جِبْرِيلُ ، وَتُلِيَتْ عَلَيْهِ الآيَاتُ وَقُرِئَتِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ جِبْرِيلَ كَانَ إِيمَانُهُ بِاسْمِ (جِبْرِيلَ) أَنَّهُ مِنَ المَلائِكَةِ وَاجِبًا عَلَيْهِ بِاعْتِبَارِ بُلُوغِ الدَّلِيلِ لَهُ ، وَعِلْمِهِ بِهِ ، وَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَلاَ يَتَعَلَّقُ بِهِ الوُجُوبُ.

وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّ عَامِّيًا سُئِلَ عَنِ المَلائِكَةِ فَأَخْبَرَ بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ القَدْرِ المُجْزِي فِي الإِيمَانِ بِهِمْ ، ثُمَّ سُئِلَ عَنْ جِبْرِيلَ فَأَخْبَرَ بِأَنَّ هَذَا المَلَكَ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَسْمُهُ (جِبْرِيلُ) ، ثُمَّ سُئِلَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ هِيَ مِنْ دَقَائِقِ العِلْمِ: هَلْ يَمُوتُ جِبْرِيلُ أَمْ لَا يَمُوتُ ؟، وَإِذَا كَانَ يَمُوتُ فَمَتَى يَكُونُ مَوْتُهُ ، هَلْ هُوَ قَبْلَ إِسْرَا فِيلَ أَمْ بَعْدَهُ ؟، فَإِذَا قَالَ: لَا أُعْرِفُ هَذِهِ المَسْأَلَةَ ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِمَّا يُبْطِلُ إِيمَانَهُ وَلَا يُنقِصُهُ ، إِذْ هَذِهِ المَسْأَلَةُ مِنْ نَفْلِ العِلْمِ فِي مَسَائِلِ الإِيمَانِ. وَإِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ اخْتِلاَفُ أَهْلِ العِلْمِ وَتَنَازُعُهُمْ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ ، وَالْأَدِلَّةُ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا ، ثُمَّ قَالَ: لَا أَعْرِفُ هَذَا الكَلاَمَ وَلَا أَفْهَمُهُ ؛ فَإِنَّ جَهْلَهُ بِهَذِهِ المَسْأَلَةِ لَا يَقْدَحُ فِي إِيمَانِهِ وَلَا يَكُونُ مُنقِصًا لَهُ.

فَالوَاجِبُ عَلَى العَبْدِ مِنْ مَسَائِلِ الإِيمَانِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: الوَاجِبُ ابْتِدَاءَ بِمَا لَا يَصِحُ دِينُ العَبْدِ إِلَّا بِهِ.

وَالآخَرُ: الوَاجِبُ تَبَعًا بِالنَّظَرِ إِلَى عِلْمِ العَبْدِ بِالدَّلِيلِ وَوُصُولِهِ إِلَيْهِ.

وَوَرَاءَ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مَا لَيْسَ وَاجِبًا عَلَى العَبْدِ كَمَا ذَكَرْنَا. وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ مَسْأَلَةٌ عَظِيمَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَنِي بِهَا مُلْتَمِسُ العِلْمِ فِي تَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ ، فَيُصَحِّحُ إِيمَانَهُ وَيُقَرِّيهِ فِي نَفْسِهِ ، وَإِذَا بَيَّنَ الإِيمَانَ لِلنَّاسِ ؛ بَيَّنَ لَهُمُ القَدْرَ الَّذِي يَصِحُ بِهِ إِيمَانُهُمُ ابْتِدَاءً ، وَبَيَّنَ هُمْ أَنَّ مَا بَعْدَهُ يُعَلَّقُ وُجُوبُهُ بِالدَّلِيلِ المُقْتَضِي إِيجَابَهُ ، وَمَا زَادَ عَنْهُ فَهُوَ مِنْ نَفْلِ العِلْمِ. [1]

[1] شرح ثلاثة الأصول للشيخ صالح العصيمي 54

4/ الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور :

1-الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى.

2-الإيمان بربوبيته، أي: الانفراد بالربوبية.

3-الإيمان بانفراده بالألوهية.

4-الإيمان بأسمائه وصفاته.

لا يمكن أن يتحقق الإيمان إلا بذلك. [1]

5/ عقيدة أهل السنة في الإيمان ... يقوم على ثلاثة أركان :

اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالقلب والجوارح ...

(قولٌ) وذلك بأن يقول المرء بلسانه ما أمره الله به، وهو على قسمين:

1- أصلٌ: وهو قول ما يقوم عليه الدين وينبني، وهو الشهادتان وفي الحديث: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ... " [2]

2- وفرعٌ: وهو ما يبنى على هذا الأصل وينمو عليه، وهو سائر الطاعات التي تؤدى باللسان كالتسبيح وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك.

(ونية) أي اعتقاد صحيح في القلب يبني عليه عمله قال صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات ... " [3] ، فإذا كان عند الإنسان قول وعمل بلا نية في قلبه فهو المنافق وهو الذي يكون ذا أعمال صالحة في الظاهر وباطنه بخلاف ذلك ...

(وفعل) أي أن العمل داخل في مسمى الإيمان ولا يقول بخروجه إلا المرجئة ...

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 54

[2] صحيح البخاري (01)

[3] صحيح البخاري (392)

والفعل هو العمل، وهو شامل لعمل القلب مثل المحبة والخشية والإنابة والحياء والتوكل وغيرها من أعمال القلوب، وعمل الجوارح مثل الصلاة والصيام والزكاة والجهاد ... وغيرها من أعمال الجوارح.

ومن الأحاديث الجامعة لهذه الأمور الثلاثة؛ حديث أبي هريرة المعروف بحديث شعب الإيمان "الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان" [1] ... وقال تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ... } (البقرة:136) ... أي بقلوبكم وألسنتكم. ولذلك لا ينصرف القول إلى القول باللسان فقط إلا عندما يقيد قال تعالى: {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} (آل عمران:167) . وهي صريحة في أن القول يكون بالقلب واللسان ولذلك أهل السنة عندما يقولون في كتبهم الإيمان قول فهو شامل لأمرين قول القلب وقول اللسان ... [2]

6/ هل الإيمان هو الإسلام أو هما شيئان متباينان؟

وهذه مسألة مهمة، والجواب على ذلك أن نقول: إذا ذكر الإيمان والإسلام في سياق واحد فالإيمان غير الإسلام، وإن أفرد أحدهما عن الآخر صار بمعنى واحد، فهما من باب إذا اجتمعا افترقا، وإذا افتقرا اجتمعا ... والدليل: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة جبريل ... وإن ذُكر أحدهما منفرداً عن الآخر دخل هذا في هذا، مثاله: قوله تعالى: (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسلام دِيناً) (المائدة: الآية3) ، فالإسلام هنا يشمل الإسلام والإيمان.

فإذا قال قائل: من قال إن الإيمان دين؟ فنقول: قاله النبي صلى الله عليه وسلم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: ((أتدرون من السائل؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))...

---

[1] صحيح الأدب المفرد (598/467)

[2] التحفة السنية شرح المنظومة الحائية للشيخ عبد الرزاق البدر 105

– قال الله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) (الحجرات: الآية14)) ... اختلف المفسرون رحمهم الله في هؤلاء الأعراب؛ هل هم مؤمنون ضعيفو الإيمان، أو هم منافقون؟ ... منهم من قال: بل هم مسلمون حقيقة لكن إيمانهم ليس تاماً، لم يتعمق في قلوبهم ... وهذا القول الثاني أقرب [1]

7/ هل الإيمان تصديق القلب وإقرار القلب واعترافه فقط أو هو شامل للتصديق ومستلزماته؟

والجواب: أن الإيمان في الأصل هو التصديق بالقلب ... لكن الإيمان شرعاً أوسع من الإيمان لغةً، وهذا من الغرائب، لأن القاعدة المطردة أن المصطلح الشرعي أضيق من المصطلح اللغوي ... على خلاف المعهود.

وعلى كل حال فالإيمان في الشرع يشمل التصديق والإقرار الحاصل بالقلب، ويشمل أيضاً ما يلزم منه من الأعمال الصالحة، والدليل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة – أو وستون شعبة – فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)) ...

وكون الاعتقاد إيماناً واضح، أما كون العمل إيمانا فذلك لأنه لم يحملني عليه إلا الإيمان والاعتقاد الذي في القلب، ولولا أني اعتقد الثواب في إماطة الأذى عن الطريق ما أمطته [2]

8/ هل الأعمال شرط في وجود الإيمان؟

فالجواب: أن منها ما هو شرط ومنها ما ليس بشرط، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله شرط في وجود الإيمان، ومن لم يقل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو كافر. وإن آمن بالله، ولم يصل – والصلاة عمل – فهو كافر، وإن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإن آمن بالله، لكن لم يزك – والزكاة من الأعمال – فليس بكافر.

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 393

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 396

وخلاصة ذلك أنه إن فقد الاعتقاد في القلب كفر الإنسان، وإن وجد لكن تخلفت الأقوال أو الأعمال ففيه تفصيل.

فإن دلت النصوص على أنه يكفر كفر، وإلا فلا [1]

9/ الإيمان يزيد وينقص :

الإيمانُ يزيد بالطاعة وينقصُ بالمعصية، فمن أدلَّة زيادته قول الله عزَّ وجلَّ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} ، وقوله: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} ، وقوله: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ} ، وقوله: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً}، وقوله: {وَلَمَّا رَأى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً}

ومن أدلَّة نقصانه قوله صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكراً فليُغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان" رواه مسلم (78) .

وما جاء في حديث الشفاعة من إخراج مَن في قلبه مثقال ذرَّة من إيمان من النار، رواه البخاري (7439) ومسلم (302) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وحديث وصف النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم للنساء بأنَّهنَّ ناقصاتُ عَقل ودين، أخرجه البخاري (304) ومسلم (132) .

قال الحافظ في الفتح (1/47) : "وروى يعني اللالكائي بسنده الصحيح عن البخاري قال: لقيت أكثرَ من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، ويزيد وينقص. وأطْنَب ابن أبي حاتم واللاَّلكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 402

من الصحابة والتابعين، وكلّ من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين، وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السُّنَّة والجماعة".[1]

- لا يتصور زيادة إلا بمقابلة نقص، فمثلاً إذا كان هناك رجل زاد إيمانه، فمعنى ذلك أنه قبل ذلك كان ناقصاً، وهذا من باب التلازم فإنه لا يمكن زيادة إلا بوجود نقص.[2]

وقالت المرجئة: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وقالت الخوارج والمعتزلة: لا يزيد ولا ينقص؛ لأنهم يرون أن الإيمان إما أن يوجد كله وإما أن يعدم كله ...

وزيادة القول تكون تارة بالكمية، وتارة بالكيفية، وتارة بهما جميعا، فالإنسان إذا قال: لا إله إلا الله، موقناً بها قلبه تماماً، ملتزماً لمقتضياتها، فهو أزيد ممن قالها مع الغفلة ...

وكذلك العمل يزيد وينقص، والزيادة في العمل تكون كميةً وكيفيةً ونوعا.

ففي النوع: فإن الواجب أفضل من التطوع ...

وفي الكمية: فإن من صلى عشر ركعات إيمانه أزيد ممن صلى ركعتين.

وفي الكيفية: فإن من صلى صلاة يطمئن فيها بخشوع وتأن وتدبر لما يقول، ليس كمن صلى صلاة على غير هذا الوجه... فكلما زاد الإنسان من فعل الطاعة زاد إيمانه، وكلما تجنب النواهي مخلصاً لله زاد إيمانه ...[3]

10/ نقص الإيمان على قسمين :

الأول: لا يكون للإنسان اختيار فيه، فهذا لا لوم عليه فيه، مثل ترك المرأة الصلاة أثناء الحيض، ومثل من نقص عمله وإيمانه لموته صغيراً.

---

[1] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 143

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 410

[3] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 403

الثاني: ما كان للإنسان فيه اختيار، فهذا إن كان واجباً فهو ملام آثم، وإن كان غر واجب فقد يلام، ولكنه لوم لا إثم فيه...

الإنسان قد يجتمع فيه إيمان وشرك، ولكن ليس الشرك الأكبر [1]

11/ الاستثناء في الإيمان :

الاستثناء في الإيمان أن يعلق بالمشيئة، أي مشيئة الله، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، فنحن نستثني في الإيمان ونرى أنه جائز، لكن على تفصيل في ذلك كما سنذكره إن شاء الله.

وذهب بعض العلماء إلى أن الاستثناء في الإيمان حرام؛ لأنه ينبئ عن شك، فإذا قلت: أنا مؤمن إن شاء الله، كأنك شاك في الموضوع، فيكون الاستثناء حراماً؛ لأنك شككت هل أنت مؤمن أو غير مؤمن.

وقال بعض العلماء: بل الاستثناء واجب؛ لأنك إذا قلت: أنا مؤمن، ولم تقل: إن شاء الله، فإنك تكون قد زكيت نفسك، وشهدت لها بأنك قمت بكل الواجبات، وتزكية النفس حرام ...

هذان قولان؛ الأول تحريم الاستثناء، والثاني وجوب الاستثناء، والصحيح أن الاستثناء ينقسم إلى واجب ومحرم وجائز:

فالواجب: إذا كان الحامل على الاستثناء الخوف من التزكية فالاستثناء واجب؛ لأنه إذا جزم بأنه مؤمن فقد شهد لنفسه بأنه مؤمن والمؤمن له الجنة، فيكون قد شهد لنفسه بأن له الجنة ...

والمحرم: إذا كان الحامل على الاستثناء التردد وعدم الجزم، فالاستثناء حرام، بل مناف للإيمان.

والجائز: إذا كان الاستثناء للتعليل؛ بمعنى أنا مؤمن بمشيئة الله. فهذا جائز؛ لأن هذه هي الحقيقة، والدليل على ذلك قوله تعالى: (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) (الفتح:

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 411

الآية27)) فالتعليق هنا ليس للتردد لأن الله غير متردد، وإنما هو لبيان العلة، وهي أن دخولكم بمشيئة الله.

ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم عند مروره لزيارة القبور ((وإنا إن شاء الله بكم لاحقون)) [1] [2]

12/ هل الإيمان مخلوق أو غير مخلوق ؟

هذا بحث أحدثه المتكلمون، ولم يكن في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في عهد الصحابة، وهو: هل الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ ... إيماننا كله مخلوق، أما قراءة القرآن فإن القراءة التي هي فعل القارئ مخلوقة، وأما القرآن نفسه فغير مخلوق، لكن القرآن ليس هو إيمان العبد نفسه، وإنما القرآن مما يؤمن به العبد، وهناك فرق بين إيماننا، وما نؤمن به، فكلامنا بالقرآن مخلوق، لكن ما نتكلم به غير مخلوق [3]

13/ خالف أهل السنة والجماعة في الإيمان طائفتان متطرفتان :

الطائفة الأولى : وهم المرجئة الذين جعلوا الإيمان مقتصراً على القصد فقط ، وقالوا: إن الإيمان هو اعتقاد القلب فقط، ومتى اعترف الإنسان بقلبه بالله عز وجل فهو مؤمن سواءٌ عمل أم لم يعمل ...

وأقول: إن هناك ثلاث جيمات يجب التنبيه والتحذير منها وهي: جهمية وجبرية ومرجئة، فكلها وصف لموصوفٍ واحد؛ فالجهمية هم بإعتبار صفات الله عز وجل معطلة؛ ينكرون الصفات، وهم أيضاً جبرية باعتبار أفعال العبد، يقولون: إن الإنسان مجبرٌ على عمله ... ومرجئة يقولون: الإيمان هو اعتراف الإنسان بقلبه.

---

[1] صحيح مسلم (249)

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 412

[3] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 415

ونحن نلزمهم بأن نقول لهم: إن إبليس عندكم مؤمن كامل الإيمان؛ لأن إبليس مؤمن بالله، ويسأل الله ويدعو الله، فيقول: (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (صّ: 79) ، فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان ...

- الإنسان ينبغي أن يستدل ثم يعتقد، لا أن يعتقد ثم يستدل؛ لأنه إذا اعتقد ثم استدل يلوي أعناق النصوص لتوافق ما اعتقد، لكن إذا استدل أولاً ثم اعتقد بنى عقيدته على الدليل، ووافق الدليل ...

وأحب أن يتنبه طالب العلم لمسألة مهمة، وهي أن يجعل الدليل متبوعاً لا تابعاً، وأن يحذر من أن يلوي أعناق النصوص إلى رأيه، فإن هذا خطر عظيم، ولهذا جاء في الحديث: ((من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)) . [1]

والطائفة الثانية: قالوا: إن الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقاد، وإن هذه الأشياء جزءٌ لا يتجزأ من الإيمان، فمن اعتقد ولم يقل أو لم يعمل فإنه كافر، بمعنى أنهم جعلوا القول والعمل جزءاً من الإيمان وشرطاً في وجوده، حتى قالوا: إن فاعل الكبيرة خارج من الإيمان، ولو صلى وصام وزكى وحج، ثم اختلف هؤلاء، فقال بعضهم: يكفر، وقال بعضهم: يكون في منزلة بين منزلتين.

وتفرع عن هؤلاء طوائفُ كثيرة، لكن هذه هي الأصل، فمنهم من يقول الإيمان هو القول فقط، فإذا قال الإنسان بلسانه أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فهو مؤمن، لكنه مخلد في النار؛ لأن من قال بلسانه ولم يعتقد بقلبه فهو منافق، وهؤلاء يسمونه مؤمناً، ولكنهم يقولون: إنه مخلد في النار، وهذا لا شك أنه مناف لقول أهل السنة والجماعة وللقران أيضاً، لقول الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ)

---

[1] ضعيف سنن الترمذي (570 - 3135)

(البقرة: 8) ، وأيضاً فإن الله سمى هؤلاء الذين يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم منافقين، فكيف نسميهم مؤمنين؟! [1]

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 398

المبحث الخامس : في حكم أهل الكبائر

1/ تعريف الكبائر :

الكبيرة في المعنى ضد الصغيرة، والميزان في ذلك - كما قال بعض العلماء رحمهم الله -: ما نص الشارع على أنه كبيرة فهو كبيرة، وما لم ينص عليه فهو صغيرة، فقوله صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات) [1] هذه كبائر

وقوله: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) [2] ، هذه كبائر، فما نص الشارع على أنه كبيرة فهو كبيرة، وما لا فلا.

وقال بعض العلماء رحمهم الله: ما توعد عليه بلعن أو غضب فهو كبيرة.

وقال آخرون: ما فيه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة فهو كبيرة، واختلفوا اختلافا كبيراً.

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن الكبيرة ما رتبت عليها عقوبة خاصة ، وأما ما نهى عنه فقط، ولم يعين له عقوبة خاصة فهو صغيرة، ومع ذلك يقول: إن الكبائر تتفاوت؛ فبعضها أشد من بعض [3]

2/ ضابط الكبائر وهل هي محدودة أو معدودة؟

قال بعض العلماء رحمهم الله: إن الكبائر معدودة، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات))

---

[1] صحيح البخاري (2766)

[2] صحيح البخاري (2654)

[3] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 374

وقال بعض العلماء رحمهم الله: إنها محدودة غر معدودة، بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم عدَّ منها الإشراك بالله، وهو كفر مخرج عن الملة، فدل هذا على أن المراد بيان عِظم هذه السبع، ولكن هناك شيء آخر لم يذكر، فهي محدودة بضوابط، وهذه الضوابط كما قال بعضهم: كل ذنب ترتب عليه لعنة، أو غضب، أو وعيد في الآخرة، أو حد في الدنيا. يعني كل ما فيه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة أو غضب أو لعنة، وهذه أربعة أوصاف.

فالزنا مثلا كبيرة؛ لأن فيه حداً في الدنيا، والإسبال كبيرة؛ لأن فيه وعيداً في الآخرة ...

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الكبيرة ما ترتب عليه عقوبة خاصة ، يعني ... سواء كانت العقوبة دنيوية، أم دينية، أم أخروية ... كحدٍ في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو لعنة، أو غضب، أو نفي إيمان، أو تبرؤ من فاعله ... وهذا الضابط ضابط حسن ...

أما من حيث الحكم ؛ فالفرق بينهما ... من وجهين :

الأول: أن الصغائر تكفر بالأعمال الصالحة، والكبائر لابد فيها من توبة.

والثاني أن الكبائر يخرج بها الإنسان من دائرة العدالة إلى دائرة الفسق بمجرد الفعل، أما الصغائر فلا يخرج بها من دائرة العدالة إلى دائرة الفسق إلا بالإصرار عليها.

فمثلاً حلق اللحية صغيرة، لكن إذا أصر عليه الإنسان صار كبيرة ... هذا بقطع النظر عما يحدث في قلب الفاعل؛ لأنه أحياناً يقترن بفعل الصغيرة شيء من الاستخفاف بأوامر الشرع والاستهانة بها، وحينئذٍ تنقلب الصغيرة كبيرة من من أجل الاستخفاف بأوامر الشرع. وربما تكون الكبيرة صغيرة مثل أن يفعلها الإنسان من الخجل من الله عز وجل ورؤيتها أمام عينه دائماً، فهنا تنقلب إلى صغيرة، وربما يكون شعوره هذا توبة. [1]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 505

3/ حكم صاحب الكبيرة :

أهل القبلة هم المسلمون المصلون إليها لا يكفرون بفعل الكبائر ولا يخرجون من الإسلام بذلك ولا يخلدون في النار؛ لقوله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات: 9] . إلى قوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [الحجرات: 10] .

فأثبت الإخوة الإيمانية مع القتال وهو من الكبائر، ولو كان كفرًا لانتفت الإخوة الإيمانية.

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول الله تعالى: "من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه" يعني من النار، متفق عليه .[1]

- المذنب إذا أذنب بكبيرة فإنه يكون فاسقاً مؤمناً؛ فيكون فاسقاً بمعصيته، مؤمناً بإيمانه، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو المذهب الذي تؤيده النصوص، ويؤيده النظر والعدل؛ فالعدل أن يعامل كل إنسان بما يستحق، فلما كان هذا الرجل مؤمناً، لكنه فعل كبيرة ولم يتب منها، فهو باق على إيمانه لكنه فاسق بكبيرته، ويمكن أن نقول: إنه مؤمن ناقص الإيمان؛ مؤمن بما معه من أصل الإيمان، ناقص الإيمان بما اقترفه من معصيته، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو المذهب الحق [2]

والفسق في اللغة : الخروج، ومنه فسقت الثمرة عن قشرها، أي برزت وخرجت منه

وفي الاصطلاح : فعل الكبيرة أو الإصرار على الصغيرة ...

فإذا زنا المرء صار فاسقاً، وإذا أصر على شرب الدخان صار فاسقاً، وإذا شرب الخمر مرة واحدة فقط فهو فاسق لأن شربه كبيرة.[3]

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 149

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 374

[3] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 376

4/ النظر إلى أهل الكبائر :

إن نظرنا إليهم بعين القدر؟ فنرق لهم، ونسأل الله لهم السلامة والعافية، وإن نظرنا إليهم بعين الشرع؛ فإننا يجب أن ننابذهم بالحجة حتى يعودوا إلى الصراط المستقيم [1]

5/ طائفتان خالفوا أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة :

الأولى: الخوارج قالوا: فاعل الكبيرة كافر خالد في النار.

الثانية: المعتزلة قالوا: فاعل الكبيرة خارج عن الإيمان ليس بمؤمن ولا كافر في منزلة بين منزلتين وهو خالد في النار، ونرد على الطائفتين بما يأتي:

1- مخالفتهم لنصوص الكتاب والسنة.

2- مخالفتهم لإجماع السلف. [2]

- توافق الخوارج والمعتزلة في شيء وتخالفوا في شيء؛ توافقوا في أحكام الآخرة؛ فجعلوا فاعل الكبيرة خالداً في النار، واختلفوا في أحكام الدنيا؛ فحكمت الخوارج بأنه كافر، وحكمت المعتزلة بأنه ليس بمؤمن ولا كافر - بل في منزلة بين المنزلتين .

فعلى رأي الخوارج إذا رأينا فاعل كبيرة فلنا قتله؛ لأنه مرتد مباح الدم، وعلى رأي المعتزلة لا نقتله لأنه ليس بكافر، ولا نكرمه إكرام المؤمن لأنه ليس بمؤمن .

أما المرجئة فقالوا: إن فاعل الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، ولا يستحق العقاب، وليس عليه شيء، ولو زنا وسرق وشرب الخمر وقتل وعق وقطع وغش وكذب، ما دام أنه مؤمن بالله فهو مؤمن كامل، إيمانه كإيمان جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم - ونعوذ بالله - وهذا ليس بمعقول، لكنه مذهبهم.

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 69/1

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 149

ولا يخفى أن الذي يصلح ويناسب الزمان هو ما جاءت به السنة؛ حيث المعاملة بما يستحقه فاعل الكبيرة؛ فنقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وهذا هو الحق[1]

تنبيه : إن كان الإيمان كاملا لم يخالطه معصية، فالأمن أمن مطلق، أي كامل، وإذا كان الإيمان مطلق إيمان– غير كامل–، فله مطلق الأمن، أي: أمن ناقص.

مثال ذلك: مرتكب الكبيرة، آمن من الخلود في النار، وغير آمن من العذاب، بل هو تحت المشيئة، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}[2]

6/ نفي العذاب عن الموحِّدين :

- إمّا نفيٌ مطلَق؛ ألا يعذَّب مطلقًا.
- وإمّا نفيٌ مقيَّد. [3]

7/ العذاب نوعان :

1- عذاب خلود؛ وهو الخلود في النار والعياذ بالله، كل مؤمن عنده إيمان آمن من عذاب الخلود...

2- عذاب الدخول ... من المؤمنين مَن يدخل النار فلا يكون آمنًا من دخول النار؛ لنقصٍ فيه، ونقصٍ في توحيده؛ ولكنه لا يُخلَّد في النار؛ كما دلت عليه الأدلة. [4]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 375

[2] القول المفيد لابن عثيمين 1/61

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[4] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

المبحث السادس : الإحسان

1/ تعريف :

الإِحْسَانُ مِنْهُ مَا يَكُونُ مَعَ الخَالِقِ ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ مَعَ الخَلْقِ ، وَالمُرَادُ ... مَا كَانَ مَعَ الْخَالِقِ وَمُتَعَلَّقُهُ: إِتْقَانُ الشَّيْءِ وَإِجَادَتُهُ ، وَلَهُ إِطْلاَقَانِ فِي الشَّرْعِ أَحَدُهُمَا:

عَامٌ وَهُوَ: الدِّينُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَإِنَّهُ يُسَمَّى إِحْسَانًا

وَحَقِيقَتُهُ شَرْعًا: إِنْفَاذُ البَاطِنِ وَالظَّاهِرِ اللهِ ؛ تَعَبدًا لَهُ بِالشَّرْعِ المُنَزَّلِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى مَقَامِ المُشَاهَدَةِ أو المراقبة.

وَالثَّانِي: خَاصٌ وَهُوَ: إِتْقَانُ الاعْتِقَادَاتِ البَاطِنَةِ وَالأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ ، فَإِنَّهُ يُسَمَّى إِحْسَانًا ، وَهَذَا المَعْنَى هُوَ الْمَقْصُودُ إِذَا قُرِنَ الْإِحْسَانُ بِالإِسْلاَمِ وَالإِيمَانِ [1]

2/ القَدْرُ الوَاجِبُ المُجْزِئُ مِنَ الْإِحْسَانِ مَعَ الْخَالِقِ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلَيْنِ :

أَحَدُهُمَا: إِحْسَانُ مَعَهُ فِي حُكْمِهِ القَدَرِيِّ ، بِالصَّبْرِ عَلَى الْأَقْدَارِ.

وَالآخَرُ: إِحْسَانُ مَعَهُ فِي حُكْمِهِ الشَّرْعِيِّ ؛ بِامْتِثَالِ خَبَرِهِ بِالتَّصْدِيقِ إِثْبَاتًا وَنَفْيًا ، وَامْتِثَالِ طَلَبِهِ بِفِعْلِ الفَرَائِضِ ، وَاجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَاعْتِقَادِ حِلِّ الحَلاَلِ . [2]

3/ أَرْكَانُ الإِحْسَانِ اثْنَانِ :

أَحَدُهُمَا: أَنْ تَعْبُدَ الله .

وَالآخَرُ: أَنْ يَكُونَ إِيقَاعُ تِلْكَ العِبَادَةِ- يَعْنِي فِعْلَهَا- عَلَى مَقَامِ الْمُشَاهَدَةِ أَوِ الْمُرَاقَبَةِ. [3]

---

[1] شرح ثلاثة الأصول للشيخ صالح العصيمي 59

[2] شرح ثلاثة الأصول للشيخ صالح العصيمي 59

[3] شرح ثلاثة الأصول للشيخ صالح العصيمي 59

4/ الفرق بين الإِسْلاَمِ وَالإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ :

كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الأَلْفَاظِ الثَّلاَثَةِ ، إِذَا أُطْلِقَ بِمُفْرَدِهِ دَلَّ عَلَى الآخَرَيْنِ ، فَإِذَا ذُكِرَ الإِيمَانُ أَنْدَرَجَ فِيهِ الإِسْلاَمُ وَالإِحْسَانُ ، وَإِذَا ذُكِرَ الإِسْلاَمُ انْدَرَجَ فِيهِ الإِيمَانُ والإِحْسَانُ ، وَإِذَا ذُكِرَ الإِحْسَانُ أَنْدَرَجَ فِيهِ الإِسْلاَمُ وَالإِيمَانُ.

وإِذَا ذُكِرَتْ هَذِهِ الأَلْفَاظُ نَسَقًا فَقِيلَ: الإِسْلاَمُ وَالإِيمَانُ وَالإِحْسَانُ ، أَوْ ذُكِرَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا مَعَ غَيْرِهِ فَقِيلَ: الإِسْلاَمُ والإِيمَانُ ، أَوْ: الإِسْلاَمُ وَالإِحْسَانُ ، أَوْ: الإِيمَانُ والإِحْسَانُ أَسْتَقَلَّ كُلُّ لَفْظُ بِمَعْنَاهُ ، فَمَعَ الانْفِرَادِ يَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا دَالَّا عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَمَعَ الْاقْتِرَانِ يَكُونُ الإِيمانُ لِلاعْتِقَادَاتِ البَاطِنَةِ ، وَالإِسْلاَمُ لِلأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ ، وَالإِحْسَانُ لِإِتْقَانِها. [1]

---

[1] شرح ثلاثة الأصول للشيخ صالح العصيمي 60

المبحث الأول : الإيمان بالله

1/ تعريف :

هو ... الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق وحده، المدبر للكون كله، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده، لا شريك له، وأن كل معبود سواه فهو باطل وعبادته باطلة، قال تعالى -: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} وأنه سبحانه متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال، منزه عن كل نقص وعيب، وهذا هو التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. [1]

تعريف آخر : التوحيدُ: هو إفرادُ الله بالخلق والتدبر، وإخلاصُ العبادة له، وترك عبادة ما سواه، وإثبات ما لَهُ من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وتنزيهه عن النقص والعيب؛ فهو بهذا التعريف يشملُ أنواع التوحيد الثلاثة [2]

والتوحيد شرعا له معنيان :

أحدهما عام وهو إفراد الله بحقه

والآخر خاص وهو إفراد الله بالعبادة وهذا المعنى الخاص هو المعهود شرعا [3]

- التوحيد إذا أُطلق في النصوص وفي لسان العلماء؛ فإنّ المراد به: توحيد الألوهية [4]

2/ التوحيد يكون بالاعتقاد ويكون بالعمل ويكون بالألفاظ :

التوحيد يكون : بالاعتقاد ويكون بالعمل ويكون بالألفاظ

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 27

[2] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 15

[3] شرح القواعد الأربع العصيمي 12

[4] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

وكذلك الشرك: يكون بالاعتقاد ويكون بالعمل ويكون بالألفاظ. [1]

3/ حتى تكون موحِّدًا لا بد أن:

- تعبد الله وحده.
- ولا بد لأن تَسلَم من الشرك بالله.
- ولا بد أن تَكفُر بما يُعبَد من دون الله. [2]

4/ المؤمن ينبغي له في التوحيد أمور:

الأمر الأوّل: أن يحبه، وأن يحب أهله...

الأمر الثاني: أن يتعلمه ... جملةً وتفصيلاً.

الأمر الثالث: أن يحقق التوحيد.

الأمر الرابع: أن يحذر مما يَنقضه أو يُنقصه...

الأمر الخامس: أن يدعو إليه.

الأمر السادس: أن يصبر على ذلك فإنه ما دعا أحد إلى التوحيد إلا أوذي وما عمل أحد بالتوحيد إلا أوذي [3]

5/ أنواع التوحيد:

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

1. توحيد الربوبية 2. توحيد الألوهية. 3. توحيد الأسماء والصفات.

وقد اجتمعت في قوله تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً} [مريم: الآية 65] ...

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

القسم الأول: توحيد الربوبية: هو إفراد الله –عز وجل– بالخلق، والملك، والتدبير.[1]

القسم الثاني: توحيد الألوهية: ويقال له: توحيد العبادة باعتبارين؛ فباعتبار إضافته إلى الله يسمى: توحيد الألوهية، وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمى توحيد العبادة. وهو إفراد الله– عز وجل– بالعبادة. فالمستحق للعبادة هو الله تعالى، قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلِ} [لقمان: من الآية30] .

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات: ... وهو "إفراد الله تعالى بما سمى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل "[2]

6/ أهمية التوحيد :

– التوحيد أعظم ما أمر الله لأنه الأصل الذي ينبني عليه الدين كله، ولهذا بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله ، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به[3]

– رأس ما وصَّى الله به هو التوحيد، وأنّ ما بعده يتبعه، فلا خير في شيء يفعله العبد إلا مع التوحيد.[4]

– العبادة مبنية على التوحيد ... فكل عبادة لا تبنى على التوحيد فهي باطلة، قال صلى الله عليه وسلم " قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه "[5]

---

[1] القول المفيد لابن عثيمين 12/1

[2] شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين 39

[3] شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين 41

[4] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[5] القول المفيد لابن عثيمين 49/1

- التوحيد أعظم أسباب دخول الجنة بفضل الله

- أعظم أسباب النجاة من النار

- أعظم الأعمال الصالحة: التوحيد

- شرط صلاح الأعمال: التوحيد.

- التوحيد سبب للنجاة من النار؛ وذلك لوجهين:

الوجه الأوّل: أنّ التوحيد ثقيل في الميزان ...

والوجه الثاني: أنّ التوحيد تُكفَّر به الذنوب. والذنوب هي سبب دخول النار [1]

- أكبر دعامة للرغبة في الطاعة؛ لأن الموحد يعمل لله- سبحانه وتعالى-، وعليه، فهو يعمل سرا وعلانية، أما غير الموحد، كالمرائي مثلا، فإنه يتصدق ويصلي، ويذكر الله إذا كان عنده من يراه فقط، ولهذا قال بعض السلف: " إني لأود أن أتقرب إلى الله بطاعة لا يعلمها إلا هو ".

الموحدين لهم الأمن وهم مهتدون، كما قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [2]

7/ تحقيق التوحيد :

تحقيق لا إله إلا الله أمر في غاية الصعوبة ولهذا قال بعض السلف: " كل معصية، فهي نوع من الشرك". وقال بعض السلف: "ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص" ولا يعرف هذا إلا المؤمن، أما غير المؤمن؛ فلا يجاهد نفسه على الإخلاص، ولهذا قيل لابن عباس: " إن اليهود يقولون: نحن لا نوسوس في الصلاة. قال: فما يصنع الشيطان بقلب خرب؟! " فالشيطان لا يأتي ليخرب المهدوم، ولكن يأتي ليخرب المعمور، ولهذا لما شكي إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن الرجل يجد في نفسه ما يستعظم أن يتكلم به، قال: " وجدتم ذلك؟ قالوا:

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد لابن عثيمين 61/1

نعم. قال: ذاك صريح الإيمان " [1] أي: أن ذاك هو العلامة البينة على أن إيمانكم صريح، لأنه ورد عليه، ولا يرد إلا على قلب صحيح خالص. [2]

8/ ما ينقض تحقيق هذه الشهادة :

1. فعل المعاصي، فالمعصية نقص في تحقيق هذه الشهادة، لأنك خرجت بمعصيتك من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم

2. الابتداع في الدين ما ليس منه، لأنك تقربت إلى الله بما لم يشرعه الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم [3]

9/ تحقيق التوحيد :

تحقيق التوحيد تخليصه من الشرك، ولا يكون إلا بأمور ثلاثة :

الأول: العلم؛ فلا يمكن أن تحقق شيئا قبل أن تعلمه، قال الله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}.

الثاني: الاعتقاد، فإذا علمت ولم تعتقد واستكبرت، لم تحقق التوحيد، قال الله تعالى عن الكافرين: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}فما اعتقدوا انفراد الله بالألوهية.

الثالث: الانقياد، فإذا علمت واعتقدت ولم تنقد، لم تحقق التوحيد، قال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ}فإذا حصل هذا وحقق التوحيد؛ فإن الجنة مضمونة له بغير حساب [4]

---

[1] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (145)

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 66/1

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 71/1

[4] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 91/1

10/ مراتب التوحيد :

في التوحيد مراتب ...وهذه المراتب إذا لم تُفهَم لا ينضبِط للإنسان فهم التوحيد.

هذه هي المراتب:

1- مرتبة كمال تحقيق التوحيد.

2- مرتبة تحقيق التوحيد.

3- مرتبة العمل بالتوحيد.

4- مرتبة العمل بأصل التوحيد...(وليس دونها شيء للموحِّدين إلا السقوط عن التوحيد). [1]

المرتبة الأولى : مرتبة كمال تحقيق التوحيد :

كمال تحقيق التوحيد إنما يكون:

1- بالعلم.

2- واليقين؛ يقين القلب.

3- ونطق اللسان، مع القدرة.

4- والعمل بالتوحيد؛ بأصله وكماله.

5- والبعد عما يَنقُضه أو يُنقِصه.

6- والعلم بمقتضى التوحيد؛ وهو: الانقياد لله والعمل بأوامر الله واجتناب نواهي الله.

7- وتعليق القلب بالله تعليقًا تامًّا لا يتطرق إليه نقصٌ بوجه من الوجوه.

8- ولا يتحقق كل ذلك إلا بالصبر...

وإن أردتَ عبارةً جامعةً مختصرةً لبيان مرتبة كمال التوحيد؛ فنقول: إنها جمع خصال الخير بحسب الإمكان. [2]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

المرتبة الثانية : مرتبة تحقيق التوحيد :

وهي مرتبة دون المرتبة الأولى ... وهذه المرتبة أيضًا لابد فيها:

1- من العلم.

2- ولا بد فيها من يقين القلب.

3- ولا بد فيها من النطق مع القدرة.

4- ولا بد فيها من العمل بالتوحيد؛ بأصله وكماله.

5- ولا بد فيها من تخليص التوحيد من الشرك بأنواعه، والبدع، والمعاصي.

6- ولا بد فيها من العمل بالأوامر الواجبة، وترك المناهي المحرمة. لابد من ترك ما نهى الله عنه نهي تحريم، وفعل ما أمر الله به أمرَ وجوب.

7- ولا بد فيها أيضًا من الصبر.

فهذه مرتبة تحقيق التوحيد .

- الفرق بين مرتبة كمال تحقيق التوحيد ومرتبة تحقيق التوحيد:

1- فيما يتعلق بفعل الأوامر. فإنّ فعل الأوامر في المرتبة الأولى: فيه فعل الأوامر الواجبة والمستحبة، وهنا: فيه فعل الأوامر الواجبة.

2- وكذلك في ترك ما نهى الله عنه. ففي المرتبة الأولى: ترك ما نهى الله عنه نهي تحريم، وما نهى الله عنه نهي كراهة بحسب الإمكان. وفي هذه المرتبة: ترك ما نهى الله عنه نهي تحريم.

3- وقد يقع نوع من النقص لا يُخِلُّ بالتوحيد في تعلق القلب بالله -سبحانه وتعالى- في هذه المرتبة. [1]

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

– تحقيق كمال التوحيد : هو جمع خصال الخير في الفعل: الواجبة والمستحبة بحسب الإمكان، وفي الترك: ترك المحرم والمكروه بحسب الإمكان.

... تحقيق التوحيد : هو جمع خصال الخير الواجبة؛ بفعل الواجبات وترك المحرمات. وهذا رأس الواجبات: التوحيد، ورأس المحرمات: الشرك. [1]

المرتبة الثالثة: مرتبة العمل بالتوحيد :

وذلك: أن يعمل العبد بأصل التوحيد وبكماله، وأن يخلِّص توحيده من الشرك الأكبر والشرك الأصغر. فمَن فعل ذلك فقد عمل بالتوحيد.

المرتبة الرابعة: مرتبة العمل بأصل التوحيد :

وهي: أن يعمل العبد بأصل التوحيد ويَسلّم من الشرك الأكبر، فهذا عَمِلَ بأصل التوحيد وهو موحِّد داخل في الإسلام؛ لكن لابد لإيمانه مِن عَمَلٍ بالجوارح، والراجح عندنا أنه لابد أن يصلي.[2]

11/ الموحدون مراتب :

قال صلى الله عليه وسلم : ﴿عُرضت عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رُفع إلي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب﴾

الشاهد من هذا الحديث ... أنّ الموحدين مراتب، وليسوا على مرتبة واحدة؛ وأنّ أكملهم: هؤلاء السبعون ألفًا الذين حققوا مرتبة كمال تحقيق التوحيد ... لكن صحَّ أنّ عددهم أكثر من ذلك [1]

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

12/ أهل التوحيد يوم القيامة يكونون على مراتب– ولا شك– :

– منهم مَن يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب. وهم مَن ذكرنا وبيَّنا في معنى هذا الحديث.

– ومنهم مَن يدخل الجنة بعد أن يُعرَض عليه الحساب عرضًا، فلا يدخل النار لكن يُعرَض عليه الحساب، يدني اللهُ عليه كَنَفَه؛ فيُعرِض عليه ذنوبه؛ أتذكر ذنب كذا؟ أتذكر ذنب كذا؟ حتى إذا قرَّره بذنوبه وأقرّ بها ورأى أنه قد هلك؛ قال الله: ﴿قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم﴾، فيكون نصيبه العرض؛ ثم يدخل الجنة. وهؤلاء هم الذين يَلوْون الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

– ومنهم مَن يناقَش الحساب، ومَن نوقِش الحساب عُذِّب، ومَن نوقِش الحساب هلك؛ فيدخل النار، ثم يخرج منها فورًا بشفاعة الملائكة، وشفاعة الرسل، وشفاعة إخوانه الصالحين الذين كان معهم ولم يبلغ مرتبتهم، لكن كان معهم يحبهم ويجالسهم؛ فيشفعون، فيحرِّمهم الله على النار –هؤلاء الشفعاء من الصالحين– ويأمرهم الله أن يدخلوا النار –وقد حرَّمهم على النار – ويقول: أخرجوا مَن تعرفون منهم، فيُخرِجون إخوانهم الذين كانوا يعرفون واستحقوا دخول النار . وهذه يا إخوة مِن أعظم منافع مجالسة الصالحين، الذي يجالس الصالحين أهل التوحيد وأهل السنة، كلما وجدتَ أقوامًا يحققون التوحيد وعلى صلاح وديانة احرص أن تكون معهم. فيُخرِجون مَن يعرفون، ثم يُخرِج الله مَن شاء بلا شفاعة.

– ومنهم مَن يدخل النار ويعذَّب في النار ثم يخرج منها؛ غير أنّ مواطن الوضوء لا تصيبها النار منه. وهذا دليل على ما قدمناه يا إخوة وكررناه مرارًا؛ مِن أنّ الصلاة لابد منها؛ فإنه لا يتوضأ إلا مصلٍّ. [2]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

المبحث الثاني : الإيمان بوجود الله

دل على وجوده تعالى : الفطرة ، والعقل ، والشرع والحس .

1- أما دلالة الفطرة على وجوده :

فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم ، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه " [1]

2- وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى :

فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها ، ولا يمكن أن توجد صدفة.

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه ، لأن قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟

ولا يمكن أن توجد صدفة ، لأن كل حادث لابد له من محدث ، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف ، والإرتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها ، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة ، - وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور ، حيث قال: أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون {سورة الطور، الآية: 35} يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم ، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع – جبير بن مطعم – رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ❊ أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ❊ أم عندهم خزائن ربك أم هم

---

[1] صحيح البخاري (1358)

المصيطرون {سورة الطور، الآيات: 35-37} وكان – جبير يؤمئذ مشركاً قال : "كاد قلبي أن يطير ، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي" رواه – البخاري – مفرقاً .[1]

ويقال: إن طائفة من السُّمنية جاؤوا إلى أبي حنيفة رحمه الله، وهم من أهل الهند، فناظروه في إثبات الخالق عز وجل، وكان أبو حنيفة من أذكى العلماء فوعدهم أن يأتوا بعد يوم أو يومين، فجاؤوا، قالوا: ماذا قلت؟ أنا أفكر في سفينة مملوءة من البضائع والأرزاق جاءت تشق عباب الماء حتى أرسلت في الميناء ونزلت الحمولة وذهبت، وليس فيها قائد ولا حمالون.

قالوا: تفكر بهذا؟! قال: نعم. قالوا: إذاً ليس لك عقل! هل يُعقل أن سفينة تأتي بدون قائد وتنزل وتنصرف؟! هذا ليس معقول! قال: كيف لا تعقلون هذا، وتعقلون أن هذه السماوات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والناس كلها بدون صانع؟ فعرفوا أن الرجل خاطبهم بعقولهم، وعجزوا عن جوابه هذا أو معناه.

وقيل لأعرابي من البادية: بم عرفت ربك؟ فقال: الأثر يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟ [2]

3- وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى :

فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك ، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

4- وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين:

---

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 80

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 56

أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين ، وغوث المكروبين ، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى ... قال تعالى: إذ تستغيثون ربكم فأستجاب لكم {سورة الأنفال ، الآية: 9} وفي صحيح البخاري عن – أنس بن مالك رضي الله عنه : "أن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب، فقال: (يا رسول الله) ، هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته. وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره. فقال : (يارسول الله) تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا ، فرفع يديه وقال : "الله حوالينا ولا علينا" ، فما يشير إلى ناحية إلا أنفرجت" .

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس ، أو يسمعون بها ، برهان قاطع على وجود مرسلهم ، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر ، يجريها الله تعالى تاييداً لرسله ونصراً لهم .

... مثال ثالث: لمحمد صلى الله عليه وسلم حين طلبت منه قريش آية، فاشار إلى القمر فأنفلق فرقتين فرآه الناس ، وفي ذلك قوله تعالى أقتربت الساعة وأنشق القمر ❁ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر { القمر: 1-2}. فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصراً لهم ، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى. [1]

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 82

- كل حادث له دلالتان :

دلالة كلية عامة تشترك فيها جميع الحوادث، وهي وجود الخالق، أي وجود المحدث ودلالة خاصة في كل حادث بما يختص به؛ كدلالة الغيث على الرحمة ودلالة الجدب على الغضب، وهكذا. [1]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 44

المبحث الثالث : الإيمان بربوبيته

1/ معنى توحيد الربوبية :

توحيد الربوبية : هو إفرادُ الله تعالى بأفعاله؛ بأن يُعتقَدَ أنه وحده الخالق لجميع المخلوقات:
{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر: 62]

وأنه الرزاق لجميع الدواب والآدميين وغيرهم: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} [هود: 6] .

وأنه مالكُ الملك، والمدبّرُ لشؤون العالم كله؛ يُولِّي ويعزل، ويُعزُّ ويُذل، قادرٌ على كل شيء، يُصرِّفُ الليل والنهار، ويُحيي ويُميت: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: 26، 27] .

وقد نفى الله سبحانه أن يكون له شريكٌ في الملك أو معين، كما نفى سُبحانه أن يكونَ له شريكٌ في الخلق والرِّزق، قال تعالى: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} [لقمان: 11] ...
كما أعلن انفراده بالربوبية على جميع خلقه فقال: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: 2] [1]

تعريف آخر : هو إفراد الله –عز وجل– بالخلق [2] ، والملك ، والتدبير . [3]

فإفراده بالخلق: أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله. قال تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: من الآية54]... أما ما ورد من إثبات خالق غير الله؛ كقوله تعالى: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة صالح الفوزان 16

[2] الخلق ... هو الإيجاد من العدم / شرح الواسطية للعلامة لابن عثيمين 212/2

-- أصل الخلق التقدير / القول المفيد لابن عثيمين 25/1

[3] القول المفيد لابن عثيمين 12/1

أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: من الآية14] وكقوله صلى الله عليه وسلم في المصورين يقال لهم: ((أحيوا ما خلقتم)). فهذا ليس خلقا حقيقة، وليس إيجادا بعد عدم، بل هو تحويل للشيء من حال إلى حال، وأيضا ليس شاملا، بل محصور بما يتمكن الإنسان منه، ومحصور بدائرة ضيقة؛ فلا ينافي قولنا: إفراد الله بالخلق.[1]

2/ دليل الخلق :

أما السمعي فكثير ومنه قوله عز وجل: ... ولقد خلقنكم ثم صورناكم { الأعراف: 11} ...

أما الدليل العقلي على أن الله خلقنا فقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى: أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون {سورة الطور، الآية: 35} فإن الإنسان لم يخلق نفسه لأنه قبل وجوده عدم والعدم ليس بشيء وما ليس بشيء لا يوجد شيئاً ، ولم يخلقه أبوه ولا أمه ولا أحد من الخلق، ولم يكن ليأتي صدفة بدون موجد؛ لأن كل حادث لا بد له من محدث [2]

– الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره [3]

– قال ابن كثير – رحمه الله تعالى: "الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة " [4]

– قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ (3) اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ (4) وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (5) ...

أي أعبدوه لأنه ربكم الذي خلقكم فمن أجل كونه الرب الخالق كان لزاماً عليكم أن تعبدوه، ولهذا نقول يلزم كل من أقر بربوبية الله أن يعبده وحده وإلا كان متناقضاً.[5]

---

[1] القول المفيد لابن عثيمين 12/1

[2] شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين 29

[3] شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين 29

[4] ثلاثة الأصول لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

[5] شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين 51

وأما إفراد الله بالملك: فأن نعتقد أنه لا يملك الخلق إلا خالقهم، كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} [آل عمران: من الآية198] ...

وأما إفراد الله بالتدبير: فهو أن يعتقد الإنسان أنه لا مدبر إلا الله وحده، كما قال تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} [يونس:31، 32] . وأما تدبير الإنسان؛ فمحصور بما تحت يده، ومحصور بما أذن له فيه شرعا.

- فإن قلت: كيف تجمع بين قولك: إن الله منفرد بالملك وبين إثبات الملك للمخلوقين، مثل قوله تعالى: {أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ} [النور: 61] ... ؟ فالجواب: أن الجمع بينهما من وجهين:

الأول: أن ملك الإنسان للشيء ليس عاماً شاملاً، لأنني أملك ما تحت يدي، ولا أملك ما تحت يدك ...

الثاني: أن ملكي لهذا الشيء ليس ملكاً حقيقياً أتصرف فيه كما أشاء، وإنما أتصرف فيه كما أمر الشرع، وكما أذن المالك الحقيقي ... فإذا لا أملك التصرف المطلق شرعاً وقدراً، فملكي هنا قاصر من حيث التصرف، وقاصر من حيث الشمول والعموم، وبذلك يتبين لنا كيف كان انفراد الله عز وجل بالملك.

وأما التدبير، فللإنسان تدبير، ولكن نقول: هذا التدبير قاصر، كالوجهين السابقين في الملك ... وحينئذ يتبين أن قولنا: "إن الله عز وجل منفرد بالخلق والملك والتدبير": كلية عامة مطلقة، لا يستثنى منها شيء ... .[1]

[1] شرح الواسطية للعلامة لابن عثيمين 22/1

3/ إقرار المشركين بتوحيد الربوبية :

هذا القسم من التوحيد لم يعارض فيه المشركون الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم بل كانوا مقرين به، قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [الزخرف:9] .

... فلم يجحد أحد توحيد الربوبية، لا على سبيل التعطيل ولا على سبيل التشريك، إلا ما حصل من فرعون؛ فإنه أنكره على سبيل التعطيل مكابرة، فإنه عطل الله من ربوبيته وأنكر وجوده ... قال تعالى حكاية عن موسى وهو يناظره: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} [الاسراء: من الآية102] فهو في نفسه مقر بأن الرب هو الله- عز وجل- وأنكر توحيد الربوبية على سبيل التشريك المجوس، حيث قالوا: إن للعالم خالقين هما الظلمة والنور، ومع ذلك لم يجعلوا هذين الخالقين متساويين فهم يقولون: إن النور خير من الظلمة؟ لأنه يخلق الخير، والظلمة تخلق الشر... ويقولون أيضا بفرق ثالث، وهو: أن النور قديم على اصطلاح الفلاسفة، واختلفوا في الظلمة: هل هي قديمة، أو محدثة؛ على قولين ... [1]

- المشركون الذين بعث إليهم النبي صل عليه وسلم كانوا مقرين بالتوحيد، أعني: توحيد الربوبية، مقرين بتوحيد الله في أفعاله، وكانوا يعبدون من يعبدون أو ما يعبدون بحجة أنهم يطلبون بذلك القربى إلى الله، وأنهم يتوسلون بهم إلى الله سبحانه وتعالى، فهم يقولون: نحن نعبد هذه الأصنام وما نعبده -كما سيأتي إن شاء الله - لنتقرب إلى الله، وليكونوا وسيلتنا إلى الوصول إلى الله سبحانه وتعالى، وليشفعوا لنا عند الله سبحانه وتعالى، فهذا كان حالا للمشركين الذين بعث إليهم النبي صل الله عليه وعلى آله وسلم ، ومع ذلك فهم بدلالات

---

[1] القول المفيد لابن عثيمين 9/1

القرآن والسنة وفعل رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم مشركون غير مسلمين يقاتلون حتى يوحدوا الله سبحانه وتعالى. [1]

- من يُنكرُ الربَّ اليومَ من الشيوعيين؛ إنما ينكرونه في الظاهر مكابرة؛ وإلا فهم في الباطن لا بد أن يعترفوا أنه ما من موجود إلا وله موجد، وما من مخلوق إلا وله خالق وما من أثر إلا وله مؤثر، قال تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ} [الطور: 35- 36] .

تأمل العالم كله، علويه وسفليه، بجميع أجزائه؛ تجده شاهدًا بإثبات صانعه وفاطره ومليكه. فإنكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العلم وجحده، لا فرق بينهما وما تتبجح به الشيوعية اليوم من إنكار وجود الرب؛ إنما هو من باب المكابرة، ومصادرة نتائج العقول والأفكار الصحيحة، ومن كان بهذه المثابة فقد ألغى عقله ودعا الناس للسخرية منه. قال الشاعر:

كيف يعصى الإله ... ويجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد[2]

4/ مفهوم كلمة الرّبِّ في الكتاب والسنة :

الرّبُّ في الأصل: مصدرُ ربَّ يَرُبُّ، بمعنى: نشَّأ الشيءَ من حال إلى حال التمام، يُقالُ: ربَّه وربَّاه وربَّبَهُ، فلفظ (رب) مصدر مستعار للفاعل، ولا يُقالُ: (الرَّبُّ) بالإطلاق إلا لله تعالى المتكفل بما يصلح الموجودات، نحو قوله: {رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: 2] ، {رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ} [الشعراء: 26] .

ولا يقال لغيره إلا مضافًا محدودًا، كما يقال: رب الدار؛ وربُّ الفرس. يعني صاحبُها، ومنه

---

[1] شرح القواعد الأربع للشيخ سليمان الرحيلي

[2] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 18

قولُه تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ} [يوسف: 42] ... وقال – صلى الله عليه وسلم – في ضالة الإبل: ﴿حتى يجدها ربها﴾. [1]

فتبين بهذا: أن الرب يطلق على الله معرفًا ومضافًا، فيقال: الرب، أو رب العالمين، أو رب الناس، ولا تُطلق كلمة الرّبِّ على غير الله إلا مضافة، مثل: رب الدار، ورب المنزل، ورب الإبل.

ومعنى (رب العالمين) أي: خالقهم ومالكهم، ومصلحهم ومربهيم بنعمه، وبإرسال رسله، وإنزال كتبه، ومجازيهم على أعمالهم. قال العلامة ابن القيم – رحمه الله –: (فإنَّ الربوبية تقتضي أمر العباد ونهيهم، وجزاء مُحسنهم بإحسانه، ومُسيئهم بإساءته) هذه حقيقة الربوبية. [2]

5/ ربوبية الله على خلقه على نوعين :

1/ الربوبية العامة: وهي لجميع الناس؛ بَرِّهم وفاجرِهم مؤمنِهم وكافرِهم؛ وهي خلقه للمخلوقين، ورزقُهم، وهدايتهم، لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

2/ الربوبية الخاصة: وهي تربيته لأوليائه المؤمنين، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب؛ فإن مطالبهم كلَّها داخلةٌ تحت ربوبيته الخاصة [3]

6/ الرب يأتي بمعنيين :

الأوّل: الإله ...

الثاني: الرب بمعنى: المتصرِّف. والتصرَّف نوعان:

---

[1] صحيح البخاري (2428)

[2] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 19

[3] رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة 6/3

النوع الأوّل: كوني قدري.

النوع الثاني: شرعي أمري. [1]

- كل العالمين قد رباهم الله بنعمه وأعدهم لما خلقوا له ، وأمدهم برزقه قال الله تبارك وتعالى في محاورة موسى وفرعون: فمن ربكما يا موسى * قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى { طه : 49-50}. فكل أحد من العالمين قد رباه الله عز وجل بنعمه. [2]

7/ مفهوم كلمة الرب في تصورات الأمم الضالة :

خلق الله الخلق مفطورين على التوحيد، ومعرفة الرب الخالق سبحانه، كما قال الله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم: 30] ...

فالإقرارُ بربوبية الله والتوجه إليه أمر فطري، والشرك حادث طارئ، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ﴿كلُّ مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه﴾ فلو خُلِّيَ العبد وفطرته لاتجه إلى التوحيد وقَبِل دعوة الرسل؛ الذي جاءت به الرسل ... ولكن التربية المنحرفة والبيئة الملحدة هما اللتان تغيران اتجاه المولود، ومن ثَمَّ يقلد الأولاد آباءهم في الضلالة والانحراف...

فمنهم من عبد الشمس، ومنهم من عبد القمر، ومنهم من يعبدُ غيرهما من الكواكب الأخرى؛ حتى بنوا لها هياكل، لكل كوكب منها هيكل يخصه، ومنهم من يعبدُ النار، وهم المجوس، ومنهم من يعبد البقر، كما في الهند، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبدُ القبور والأضرحة، وكل هذا بسبب أن هؤلاء تصوروا في هذه الأشياء شيئًا من خصائص الربوبية...

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين 46

كما أن عُبَّاد القبورِ قديمًا وحديثًا يزعمون أن هؤلاء الأموات يشفعون لهم، ويتوسطون لهم عند الله في قضاء حوائجهم ويقولون: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر: 3]، {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} [يونس: 18].

كما أن بعض مشركي العرب والنصارى تصوروا في معبوداتهم أنها ولد الله، فمشركو العرب عبدوا الملائكة على أنها بنات الله، والنصارى عبدوا المسيح - عليه السلام - على أنه ابن الله.

8/ الرد على هذه التصورات الباطلة :

قد رد الله على هذه التصورات الباطلة جميعًا بما يأتي :

أ - ردّ على عبدة الأصنام بقوله: {أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} [النجم: 19، 20] ومعنى الآية كما قال القرطبي: أفرأيتم هذه الآلهة! أنفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله تعالى؟ وهل دفعت عن نفسها حينما حطمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه - رضي الله عنهم - وهدموها.

وقال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ}[الشعراء: 69- 74].

فقد وافقوا على أنَّ هذه الأصنامَ لا تسمعُ الدعاءَ ولا تنفعُ ولا تضر، وإنَّما عبدوها تقليدًا لآبائهم، والتقليد حجة باطلة. ب - ورد على من عبد الكواكب والشمس والقمر بقوله: {وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ} [الأعراف: 54]، وبقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [فصلت: 37].

ج - ورد على من عبد الملائكة والمسيح - عليهم السلام - على أنهم ولد الله بقوله تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ} [المؤمنون: 91] [1]

9/ الكونُ وفطرتُهُ في الخُضُوعِ والطَّاعةِ لله :

جميع الكون بسمائه وأرضه وأفلاكه وكواكبه، ودوابه وشجره ومدره وبره وبحره، وملائكته وجنه وإنسه؛ كله خاضع لله، مطيع لأمره الكوني، قال تعالى: {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا} [آل عمران: 83] ... فكُلُّ هذه الكائنات والعوالم مُنقادة لله، خاضعة لسلطانه؛ تجري وفق إرادته وطوع أمره، لا يستعصي عليه منها شيء؛ تقوم بوظائفها، وتؤدي نتائجها بنظام دقيق، وتنزه خالقها عن النقص والعجز والعيب، قال تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الإسراء: 44] ...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (وهم خاضعون مُستسلمون، قانتون مضطرون، من وجوه:

منها: علمهم بحاجتهم وضرورتهم إليه.

ومنها: خضوعُهُم واستسلامهم لما يجري عليهم من أقداره ومشيئته.

ومنها: دعاؤهم إياهُ عندَ الاضطرار [2]

10/ منهج القرآن في إثبات وُجُودِ الخالقِ ووحدانيَّته :

منهجُ القرآن في إثبات وجود الخالق ووحدانيته هو المنهج الذي يتماشّى مع الفطر المستقيمة، والعقول السليمة، وذلك بإقامة البراهين الصحيحة، التي تقتنع بها العقول، وتسلم بها الخصوم، ومن ذلك:

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 20

[2] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 25

1 – من المعلوم بالضرورة أن الحادث لا بد له من محدث: هذه قضية ضرورية معلومة بالفطرة؛ حتى للصبيان؛ فإنَّ الصَّبيَّ لو ضربَهُ ضاربٌ، وهو غافلٌ لا يُبصره، لقال: من ضربني؟ ...

ولهذا قال تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [الطور: 35] . وهذا تقسيم حاصر، ذكره الله بصيغة استفهام إنكاري؛ ليبيّن أنَّ هذه المقدمات معلومة بالضرورة، لا يمكن جحدها، يقول: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ} أي: من غير خالق خلقهم، أم هم خَلَقوا أنفسهم؟ وكلا الأمرين باطلٌ؛ فتعين أن لهم خالقًا خلقهم ...

2 – انتظام أمر العالم كله وإحكامه: أدلُّ دليل على أنَّ مدبره إلهٌ واحد، وربٌّ واحدٌ لا شريك له ولا مُنازع.

قال تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [المؤمنون: 91] . فالإله الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلاً، فلو كان معه سبحانه إله آخر، يُشاركه في مُلكه – تعالى الله عن ذلك – ... فلا بُدَّ من أحد ثلاثة أمور:

أ – إما أن يقهر أحدهما الآخر وينفردَ بالملك دونه.

ب – وإما أن ينفردَ كُلُّ واحد منهما عن الآخر بملكه وخلقه؛ فيحصل الانقسام.

ج – وإما أن يكونا تحت مَلِكٍ واحدٍ يتصرّفُ فيهما كيف يشاء؛ فيكون هو الإله الحق وهم عَبيدُه.

وهذا هو الواقعُ، فإنه لم يحصل في العالم انقسام ولا خلل؛ مما يَدُلُّ على أنَّ مدبره واحدٌ، لا منازع له، وأن مالكه واحد لا شريك له.

3 – تسخيرُ المخلوقاتِ لأداء وظائفها، والقيام بخصائصها: فليسَ هُناك مخلوق يستعصي ويمتنع عن أداء مهمته في هذا الكون، وهذا ما استدل به موسى – عليه السلام – حين سأله فرعون: {قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى} [طه: 49] أجاب موسى بجواب شافٍ كافٍ فقال: {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: 50] أي: ربنا الذي خلق جميع المخلوقات،

وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به؛ من كبر الجسم وصغره وتوسطه وجميع صفاته، ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهدايةُ هي هداية الدلالة والإلهام، وهي الهدايةُ الكاملةُ المشاهدَةُ في جميع المخلوقات، فكلُّ مخلوق تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضَارِّ عنه، حتى إنَّ الله أعطى الحيوان البهيم من الإدراك ما يتمكن به من فعل ما ينفعه، ودفع ما يضره، وما به يؤدي مهمته في الحياة، وهذا كقوله تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} [السجدة: 7] ...

ومما لا شك فيه أنَّ المقصودَ من إثبات ربوبيته – سبحانه – لخلقه وانفراده لذلك: هو الاستدلال به على وجوب عبادته وحده لا شريك له [1]

11/ استلزامِ توحيدِ الرُّبوبيَّةِ لتوحيد الأُلوهيَّة :

ومعنى ذلك أنَّ من أقرَّ بتوحيد الربوبية لله، فاعترف بأنه لا خالق ولا رازق ولا مدبِّر للكون إلا الله – عز وجل – لزمه أن يُقرَّ بأنه لا يستحق العبادة بجميع أنواعها إلا الله سبحانه، وهذا هو توحيد الألوهية، فإنَّ الألوهية هي العبادة؛ فالإله معناه: المعبود، فلا يُدعى إلا الله، ولا يُستغاثُ إلا به، ولا يُتوَكَّلُ إلا عليه، ولا تذبح القرابين وتُنذر النذورُ ولا تُصرفُ جميعُ أنواع العبادة إلا له؛ فتوحيدُ الربوبية دليلٌ لوجوب توحيد الألوهية؛ ولهذا كثيرًا ما يحتجُّ الله – سُبحانه – على المنكرين لتوحيد الألوهية بما أقروا به من توحيد الربوبية، مثل قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 21، 22] .

... فالطريق الفطري لإثبات توحيد الألوهية: الاستدلال عليه بتوحيد الربوبية ...

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 28

المشركين كانوا مُقرِّينَ بتوحيدِ الربوبية، ولم يُدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وهم يُقرُّون بأن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، كما قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزخرف: 87] [1]

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 32

المبحث الرابع : الإيمان بألوهيته

1/ تعريف توحيدِ الألوهيَّةِ :

توحيدُ الألوهية: الألوهية هي العبادة :

وتوحيدُ الألوهية هو: إفرادُ الله تعالى بأفعال العباد التي يفعلونها على وجه التقرب المشروع، كالدعاء والنذر والنحر، والرجاء والخوف، والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة [1]

2/ أسماء توحيدِ الألوهيَّةِ :

يسمى باعتبار إضافته إلى الله تعالى بـ"توحيد الألوهية"، ويسمى باعتبار إضافته إلى الخلق بـ"توحيد العبادة"،[2] و"توحيدة العبودية" و"توحيد الله بأفعال العباد"، و"توحيد العمل"، و"توحيد القصد"، و"توحيد الإرادة والطلب"، لأنه مبني على إخلاص القصد في جميع العبادات، بإرادة وجه الله تعالى[3]

تنبيه : هذا النوعان من أنواع التوحيد لا يجحدهما ولا ينكرهما أحد من أهل القبلة المنتسبين إلى الإسلام، لأن الله تعالى موحد بالربوبية والألوهية[4]

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 36

[2] وسُمِّي بذلك؛ لأن الألوهية وصف الله تعالى الدال عليه اسمه تعالى (الله) ، فالله: ذو الألوهية، أي المعبود. ويقال له: توحيد العبادة؛ باعتبار أن العبودية وصفُ العبد، حيثُ إنه يجبُ عليه أن يعبد الله مخلصًا في ذلك؛ لحاجته إلى ربه وفقره إليه / عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 37

[3] تسهيل العقيدة الإسلامية للشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين 53

[4] شرح الواسطية للعلامة لابن عثيمين 27

3/ أهمية توحيدِ الألوهيَّةِ :

- هذا النوع من التوحيد هو موضوع دعوة الرسل؛ لأنه الأساسُ الذي تُبنى عليه جميع الأعمال، وبدون تحققه لا تصحُّ جميعُ الأعمال: فإنه إذا لم يتحقق؛ حصل ضده، وهو الشركُ، وقد قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}...

ولأن هذا النوع من التوحيد هو أول الحقوق الواجبة على العبد، كما قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} الآية [النساء: 36] [1]

- كلُّ رسول يبدأ دعوته لقومه بالأمر بتوحيد الألوهية، كما قال نوح وهود وصالح وشعيب: {يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: 59، 65، 73، 85] ... وقال - صلى الله عليه وسلم -: ﴿أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله﴾ [2].

وأول واجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله والعمل بها، قال تعالى: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} [محمد: 19] .

وأول ما يؤمر به مَنْ يريد الدخول في الإسلام: النطقُ بالشهادتين فتبين من هذا: أن توحيد الألوهية هو مقصودُ دعوة الرُّسل [3]

- هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم واستباح دمهم وأموالهم وأرضهم وديارهم وسبى نساءهم وذريتهم، ، وأكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 36

[2] صحيح البخاري (25)

[3] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 36

هذا النوع من التوحيد. قال تعالى: ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله {سورة النحل ، الآية: 29}. [1]

- من أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات [2]

- وهذا القسم كفر به وجحده أكثر الخلق، ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل، وأنزل عليهم الكتب، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:25] .

ومع هذا، فأتباع الرسل قلة، قال عليه الصلاة والسلام: " فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد [3]" [4]

- من العجب أن أكثر المصنفين في علم التوحيد من المتأخرين يركزون على توحيد الربوبية، وكأنما يخاطبون أقواما ينكرون وجود الرب -وإن كان يوجد من ينكر الرب- لكن ما أكثر المسلمين الواقعين في شرك العبادة!!

- ولهذا ينبغي أن يركز على هذا النوع من التوحيد؛ حتى نخرج إليه هؤلاء المسلمين الذين يقولون بأنهم مسلمون، وهم مشركون ولا يعلمون. [5]

- يجب أن نغرس في قلوب المسلمين توحيد الألوهية، أكثر من توحيد الربوبية، لأن توحيد الربوبية لم ينكره أحد إنكارا حقيقيا، فكوننا لا نقرر إلا هذا الأمر الفطري المعلوم بالعقل،

---

[1] شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين 40

[2] شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين 40

[3] صحيح الجامع الصغير وزياداته (3999)

[4] القول المفيد لابن عثيمين 15/1

[5] القول المفيد لابن عثيمين 16/1

ونسكت عن الأمر الذي يغلب فيه الهوى؛ هو نقص عظيم، فعبادة غير الله هي التي يسيطر فيها هوى الإنسان على نفسه [1]

- لا ينفع الإقرار بالربوبية حتى يكون معه الإقرار بالألوهية. [2]

4/ أساليب القران في الدعوة إلى توحيد الإلهية :

... تنوعت أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الإلهية، وها نحن نذكر جملة منها؛ فمن ذلك:

1- أمره - سبحانه - بعبادته وترك عبادة ما سواه؛ كما في قوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} ...

2- ومنها: إخباره - سبحانه - أنه خلق الخلق لعبادته؛ كما في قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ} .

3- ومنها: إخباره أرسل جميع الرسل بالدعوة إلى عبادته والنهي عن عبادة ما سواه؛ كقوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}.

4- ومنها: الاستدلال على توحيد الإلهية بانفراده بالربوبية والخلق والتدبير؛ كما في قوله - سبحانه -: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ... } ... [3]

5- ومنها الاستدلال على وجوب عبادته - سبحانه - بانفراده بصفات الكمال وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين؛ كما في قوله تعالى: {فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً} ...

6- ومنها تعجيزه لآلهة المشركين؛ كقوله تعالى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} ...

7- ومنها: تسفيه المشركين الذين يعبدون غير الله؛ كقوله تعالى: {قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 65/1

[2] شرح كشف الشبهات للعلامة ابن عثيمين 22

[3] أوسع طريق في القرءان للإلزام بالألوهية هو بيان الربوبية / شرح الأصول الثلاثة للشيخ صالح العصيمي 36

مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله أَفَلا تَعْقِلُونَ} ...

8- ومنها: بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله، وبيان مآلهم مع من عبدوهم؛ حيث تتبرأ منهم تلك المعبودات في أحرج المواقف؛ كما في قوله تعالى: {وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ الله

شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ الله أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} ...

9 - ومنها رده - سبحانه - على المشركين في اتخاذهم الوسائط بينهم وبين الله بأن الشفاعة ملك له - سبحانه، لا تطلب إلا منه، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه بعد رضاه عن المشفوع له؛ قال - سبحانه -: {أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ الله شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} 6، وقوله - سبحانه -: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} 7، وقوله: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ الله لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} ...

10- ومنها: أنه بين - سبحانه - أن هؤلاء المعبودين من دونه لا يحصل منهم نفع لمن عبدهم من جميع الوجوه، ومن هذا شأنه لا يصلح للعبادة؛ كما في قوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ الله لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} .

11- ومنها: أنه - سبحانه - ضرب أمثلة كثيرة في القرآن يتضح بها بطلان الشرك، من ذلك قوله - سبحانه -: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِالله فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} ...

وما سقناه في هذا البحث من أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية وإبطال الشرك قليل من كثير [1]

5/ حدوث الشرك في توحيد الإلهية :

مطلوب من المسلم بعدما يعرف الحق أن يعرف ما يضاده من الباطل ليجتنبه؛ كما يقال: عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

وكان حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – يقول: "كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن أقع فيه".

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: "يوشك أن تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية".

وقبل ذلك قال الخليل عليه السلام: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ} 1.

فهذا مما يوجب شدة الخوف من الشرك ومعرفته ليجتنبه المسلم:

فالشرك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله؛ كالدعاء، والذبح، والنذر، والاستغاثة بغير الله فيما لا عليه إلا الله.

والتوحيد هو إفراد الله تعالى بالعبادة، وهو أصيل في بني آدم، والشرك طارىء عليه، قال الله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} 2

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام".

قال ابن القيم – رحمه الله –: "هذا القول هو الصحيح في الآية، وصحح هذا القول – أيضا –

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 38

ابن كثير، وأول ما حدث الشرك في الأرض في قوم نوح، حين غلوا في الصالحين، {وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً} 3.

قال البخاري في (صحيحه) عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: "هذه أسماء رجال من قوم نوح، فلما هلكوا؛ أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونسي العلم؛ عبدت".

قال ابن القيم: "قال غير واحد من السلف: لما ماتوا؛ عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد، فعبدوهم".

ومن هذا الأثر الذي رواه البخاري عن عباس في غلو قوم نوح في الصالحين وتصويرهم إياهم والاحتفاظ بصورهم ونضبها على المجالس، منه ندرك خطورة التصوير، وخطورة التصوير، وخطورة تعليق الصور على الجدران، وخطورة نصب التماثيل في الميادين والشوارع، وأن ذلك يؤول بالناس إلى الشرك؛ بحيث يتطور تعظيم تلك الصور والتماثيل المنصوبة، فيؤدي ذلك إلى عبادتها كما حدث في قوم نوح.

ولهذا؛ جاء الإسلام بتحريم التصوير، ولعن المصورين، توعدهم بأشد الوعيد، وأنهم أشد الناس عذابا يوم القيامة؛ سدًا لذريعة الشرك، وابتعادًا عن مضاهاة خلق الله - عز وجل -.

وندرك من هذه القصة مدى حرص الشيطان لعنه الله على إغواء بني آدم، ومكره بهم، وأنه قد يأتيهم من ناحية استغلال العواطف ودعوى الترغيب في الخير؛ فإنه لما رأى في قوم نوح ولوعهم بالصالحين ومحبتهم لهم؛ دعاهم إلى الغلو في هذه المحبة؛ بحيث أمرهم بنصب الصور التذكارية لهم، وهدفه من ذلك التدرج بهم في إخراجهم من الحق إلى الضلال، ولم يقتصر نظره على الحاضرين، بل امتد إلى أجيالهم اللاحقة، الذين قل فيهم العلم، وفشا فيهم الجهل؛ فزين لهم عبادة هذه الصور، وأوقعهم في الشرك الأكبر، وكابروا نبيهم بقولهم {لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ}.

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: "وقد تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام، بكل قوم على قدر عقولهم؛ فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صُوِّروا كما في قوم نوح، وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين، وأما خواصهم؛ فاتخذوا الأصنام على صور الكواكب المؤثرة في العالم بزعمهم، وجعلوا لهم بيوتا وسدنة وحجابا وقربانا، ولم يزل هذا في الدنيا قديما وحديثا، وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة، وهم قوم إبراهيم عليه السلام، والذين ناظرهم في بطلان الشرك، وكسر حجتهم بعلمه، وآلهتهم بيده، فطلبوا تحريفه، وطائفة أخرى اتخذت للقمر صنما، وزعموا أنه يستحق العبادة، وإليه تدبير هذا العالم السفلي، وطائفة تعبد النار، وهم المجوس، وطائفة تعبد الماء، وطائفة تعبد الحيوانات؛ فطائفة عبدت الخيل، وطائفة عبدت البقر، وطائفة عبدت البشر الأحياء والأموات، وطائفة تعبد الجن، وطائفة تعبد الشجر، وطائفة تعبد الملائكة" انتهى كلام ابن القيم – رحمه الله – [1]

6/ علاقة توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية والعكس :

علاقة أحد النوعين بالآخر: أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الإليهة، بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الإلهية والقيام به، فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره؛ وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية؛ بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمن توحيد الألوهية، فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئا؛ فلا بد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه وخالقه ...

والربوبية والألوهية تارة يذكران معا؛ فيفترقان في المعنى، ويكون أحدهما قسميا للآخر؛ كما قال في قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَٰهِ النَّاسِ} ؛ فيكون معنى الرب هو المالك المتصرف في الخلق، ويكون معنى الإلة أنه المعبود بحق المستحق للعبادة وحده، وتارة

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 42

يذكر أحدهما مفردًا عن الآخر، فيجتمعان في المعنى؛ كما في قول الملكين للميت في القبر: من ربك؟ ومعناه: من إلهك وخالقك؟ وكما في قوله تعالى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلاّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا الله} ...

والذي دعت إليه الرسل من النوعين هو توحيد الألوهية؛ لأن توحيد الربوبية يقر به جمهور الأمم، ولم ينكره إلا شواذ من الخليقة، أنكروه في الظاهر فقط، والإقرار به وحده لا يكفي؛ فقد أقر به إبليس {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي} 5، وأقر به المشركون الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما دلت على ذلك الآيات البينات؛ كما قال تعالى-: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله} 6؛ فمن أقر بتوحيد الربوبية فقط؛ لم يكن مسلما، ولم يحرم دمه ولا ماله، حتى يقر بتوحيد الألوهية؛ فلا يعبد إلا الله.

وبهذا يتبين بطلان ما يزعمه علماء الكلام والصوفية أن التوحيد المطلوب من العباد هو الإقرار بأن الله هو الخالق المدبر ...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "فإن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع؛ فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث، وهو توحيد الأفعال، وهو أن خالق العالم واحد، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنى قولنا: لا إله إلا الله، حتى معنى الألوهية القدرة على الاختراع، ومعلوم أن المشتركين من العرب الذين بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم أولاً لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا

يقرون بأن الله خالق كل شيء، حتى إنهم كانوا يقرون بالقدر - أيضا، وهم مع هذا مشركون ... "[1]

7/ نقض شبهات المشركين التي يتعلقون بها في تسويغ شركهم في توحد الإلهية :

إنه بسبب رواج الشبه والحكايات التي ضل بها أكثر الناس وعدوها أدلة يستندون إليها في تبرير ضلالتهم وشركهم؛ استمرؤوا ما هم عليه؛ فكان لا بد من كشف زيفها وبيان بطلانها؛ {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ}

وهذه الشُّبَه منها ما هو قديم أدلى به المشركون من الأمم السابقة، ومنها ما أدلى به مشركو هذه الأمة ومن هذه الشبه :

أولاً: شبهة تكاد تكون مشتركة بين طوائف المشركين في مختلف الأمم ، وهي: شبهة الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد، وأنهم ورثوا هذه العقيدة خلفا عن سلف.

كما قال - الله تعالى - عنهم: {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} 1 .

وهذه حجة يلجأ إليها من يعجز عن إقامة الدليل على دعواه، وهي حجة داحضة، لا يقام لها وزن في سوق المناظرة؛ فإن هؤلاء الآباء الذين قلدوهم ليسوا على هدى، ومن كان كذلك؛ لا تجوز متابعته والاقتداء به ...

وإنما يكون الاقتداء بالآباء محمودًا إذا كانوا على حق؛ كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام؛ أنه قال: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} ...

ثانيا: ومن الشبه التي يدلي بها عباد القبور اليوم: ظنهم أن مجرد النطق بلا إله إلا الله يكفي لدخول الجنة، ولو فعل الإنسان ما فعل؛ فإنه لا يكفر، وهو يقول: لا إله إلا الله، متمسكين

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 34

بظواهر الأحاديث التي ورد فيها أن من نطق بالشهادتين؛ حرم على النار.

والجواب عن هذه الشبهة: أن هذه الأحاديث ليست على إطلاقها، وإنما هي مقيدة بأحاديث أخرى جاء فيها؛ أنه لا بد لمن قال: لا إله إلا الله أن يعتقد معناها بقلبه، ويعمل بمقتضاها، فيكفر بما يعبد من دون الله؛ كما في حديث عتبان: "فإن الله حرم النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله "، وإلا فالمنافقون يقولون لا إله إلا الله بألسنتهم، وهم في الدرك الأسفل من النار ...

ثالثا: ومن الشبه التي يدلون بها أيضا: دعواهم أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك، وهم يقولون: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وأن هذا الذي يمارسونه عند الأضرحة من عبادة الموتى ودعائهم من دون الله لا يسمى شركا عندهم.

والجواب عن هذه الشبهة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه سيكون في هذه الأمة مشابهة لليهود والنصارى فيما هم عليه، ومن جملة ذلك اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وأخبر صلى الله عليه وسلم أنها لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمته بالمشركين، وحتى تعبد فئات من أمته الأوثان ...

رابعا: ومن الشبه التي تعلقوا بها: قضية الشفاعة؛ حيث يقولون: نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله؛ لأنهم أهل صلاح ومكانة عند الله؛ فنحن نريد بجاههم وشفاعتهم.

والجواب: أن هذا هو عين ما قاله المشركون من قبل في تسويغ ما هم عليه، وقد كفَّرهم الله، وسمَّاهم مشركين؛ كما في قوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}

والشفاعة حق؛ ولكنها ملك لله وحده؛ كمال قال تعالى: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً} ...

خامسا: ومن شبه هؤلاء أنهم يقولون: إن الأولياء والصالحين لهم مكانة عند الله، ونحن نسأل

الله بجاههم ومكانتهم.

والجواب: أن المؤمنين كلهم أولياء الله، ولكن الجزم لشخص معين أنه ولي لله يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنة، ومن ثبت ولايته بالكتاب والسنة؛ لم يجز لنا الغلو فيه والتبرك به؛ لأن ذلك من وسائل الشرك، والله أمرنا بدعائه مباشرة؛ دون اتخاذ وسائط بيننا وبينه، ولأن هذا هو التعليل الذي علل به المشركون من قبل؛ أنهم اتخذوا هؤلاء شفعاء ووسائط بينهم وبين الله، يسألون الله بجاههم وقربهم؛ فأنكر عليهم ذلك. [1]

8/ الله أبطل تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين :

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي أتخذوها شيء من خصائص الألوهية ، فهي مخلوقة لا تخلق ، ولا تجلب نفعاً لعابديها ، ولا تدفع عنهم ضرراً ، ولا تملك لهم حياة ولا موتاً ، ولا يملكون شيئاً من السماوات ولا يشاركون فيه. قال الله تعالى: واتخذوا من دونه ءالهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً { الفرقان: }...

الثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما قال تعالى : يأيها الناس أعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون{سورة البقرة ، الآيتين: 21-22} [2]

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 61

[2] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 85

المبحث الخامس : العبادةُ معناها و شُموليتها

1/ معنى العبادة :

العبادة بمفهومها العام هي "التذلل لله محبة وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه " .

أما المفهوم الخاص للعبادة -يعين تفصيلها- فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"العبادة أسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف ، والخشية ، والتوكل والصلاة والزكاة ، والصيام وغير ذلك من شرائع الإسلام [1]

2/ العبادة تطلق على شيئين :

الأول: التعبد بمعنى التذلل لله- عز وجل- بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ محبة وتعظيما.

الثاني: المتعبد به؛ فمعناها كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

مثال ذلك: الصلاة؛ ففعلها عبادة، وهو التعبد. ونفس الصلاة عبادة، وهو المتعبد به. [2]

قَالَ ابن عباس: كَلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ من العبادة فمعناه التَّوْحِيدُ. [3]

3/ لاتتم عبادة الله إلا بأمرين :

1/ الإيمان بالله

2/ الكفر بالطاغوت [4]

---

[1] شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين 37

[2] القول المفيد لابن عثيمين 14/1

[3] تفسير الإمام البغوي 93/1

[4] شرح الأصول الثلاثة

4/ لايمكن القيام بالعبادة إلا بمعرفة ثلاثة أمور :

يجب على الإنسان معرفة ربه ودينه ونبيه صلى الله عليه و سلم لأنه لايمكن القيام بالعبادة إلا بمعرفة ثلاثة أمور :

أحدها : معرفة المعبود الذي تجعل له العبادة

وثانيها : معرفة المبلغ عنه

وثالثها : معرفة صفة عبادته

فالأمر الأول : يتعلق بمعرفة الله

والأمر الثاني : يتعلق بمعرفة النبي صلى الله عليه و سلم

والأمر الثالث : يتعلق بمعرفة دين الإسلام

فكل أمر بالعبادة يتضمن الأمر بهذه المعارف الثلاث لأن ... العبادة التي أمرنا بها لايمكن إيقاعها إلا بأن نعرف المعبود الذي نجعل له العبادة أولا ثم نعرف المبلغ عنه ثانيا ثم نعرف صفة عبادته ثالثا [1]

5/ العبادة نوعان :

عبادة كونية وهي الخضوع لأمر الله تعالى الكوني وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد لقوله تعالى: إن كل من في السموات والأرض إلا إتى الرحمن عبداً { مريم: 93} فهي شاملة للمؤمن والكافر، و البر والفاجر .

والثاني : عبادة شرعية وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى وأتبع ما جاءت به الرسل مثل قوله تعالى: وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا { الفرقان: 63}.

[1] شرح الأصول الثلاثة للشيخ صالح العصيمي 28

فالنوع الأول لا يحمد عليه الإنسان لأنه بغير فعله لكن قد يحصل منه من شكر عند الرخاء وصبر على البلاء بخلاف النوع الثاني فإنه يحمد عليه [1]

6/ أقسام العبودية :

تنقسم العبودية إلى ثلاثة أقسام:

1. عامة: وهي عبودية الربوبية، وهي لكل الخلق، قالت تعالى: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً} [مريم:93] ويدخل في ذلك الكفار.
2. عبودية خاصة: وهي عبودية الطاعة العامة، قال تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً} [الفرقان: من الآية63] وهذه تعم كل من تعبد لله بشرعه.
3. خاصة الخاصة: وهي عبودية الرسل عليهم الصلاة والسلام ... فهذه العبودية المضافة إلى الرسل خاصة الخاصة، لأنه لا يباري أحد هؤلاء الرسل في العبودية. [2]

7/ مفاهيمَ خاطئةٍ في تحديد العبادة :

العبادات توقيفية: بمعنى: أنه لا يشرع شيء منها إلا بدليل من الكتاب والسنة، وما لم يشرع يعتبر بدعة مردودة، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ﴿من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد﴾[3] أي مردود عليه عمله، لا يقبل منه، بل يأثم عليه؛ لأنه معصية وليس طاعة، ثم إن المنهج السليم في أداء العبادات المشروعة هو: الاعتدال بين التساهل والتكاسل؛ وبين التشدد والغلو. قال تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا} [هود: 112] .

... ثم أكد ذلك بقوله: (ولا تطغوا) والطغيان: مجاوزة الحد بالتشدد والتنطع، وهو الغلو. ولما

---

[1] شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين 38

[2] القول المفيد لابن عثيمين 1/33

[3] صحيح مسلم (1718)

علم – صلى الله عليه وسلم – بأن ثلاثة من أصحابه تقالوا في أعمالهم، حيث قال أحدهم: أنا أصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أصلي ولا أرقد، وقال الثالث: أنا لا أتزوج النساء. قال – صلى الله عليه وسلم –: ﴿أما أنا فأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني﴾ .[1]

8/ فئتان من الناس على طرفي نقيض في أمر العبادة :

الفئة الأولى: قصَّرت في مفهوم العبادة وتساهلت في أدائها حتى عطلت كثيرًا من أنواعها، وقصرتها على أعمال محدودة، وشعائر قليلة تؤدى في المسجد فقط، ولا مجال للعبادة في البيت، ولا في المكتب، ولا في المتجر، ولا في الشارع، ولا في المعاملات، ولا في السياسة، ولا الحكم في المنازعات، ولا غير ذلك من شئون الحياة.

نعم للمسجد فضلٌ، ويجب أن تؤدى فيه الصلوات الخمس، ولكن العبادة تشمل كل حياة المسلم؛ داخل المسجد وخارجه.

الفئة الثانية: تشددت في تطبيق العبادات إلى حد التطرف، فرفعت المستحبات إلى مرتبة الواجبات، وحرَّمت بعض المباحات، وحكمت بالتضليل أو التخطئة على من خالف منهجها، وخطَّأ مفاهيمها. وخير الهدي هدي محمد – صلى الله عليه وسلم – وشر الأمور محدثاتها.[2]

9/ ركائز العبودية الصحيحة :

العبادة ترتكز على ثلاث ركائز هي: الحبُّ والخوفُ والرجاء.

فالحب مع الذّل، والخوف مع الرجاء، لا بد في العبادة من اجتماع هذه الأمور، قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: 54] ... وقال في وصف رُسُله وأنبيائه: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: 90] .

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 54

[2] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 55

وقال بعض السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن مُوحِّد ذكر هذا شيخُ الإسلام في رسالة العبودية [1]

– الإنسان في سيره إلى الله لكي يكون متقدِّمًا لابد له من هذه الأمور الثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء.

... وإذا عُدِمت انقطع السَّير بالكلية، وإذا ضَعفت ضَعُف سَير العبد، فيكون تأخُّره أكثر من تقدُّمه [2]

– الإنسان في سَيره إلى الله عزَّ وجلَّ يُحرِّكه الحب، ويَحرُسه الخوف ، ويُسارِع به الرجاء... [3]

10/ الْقَلْبُ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ :

فَالْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ، فَمَتَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّائِرُ جَيِّدُ الطَّيَرَانِ، وَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ، وَمَتَى فُقِدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ وَكَاسِرٍ [4]

11/ هل الأفضل للإنسان أن يغلب جانب الخوف، أو يغلب جانب الرجاء؟

اختلف في ذلك :

فقيل: ينبغي أن يغلب جانب الخوف؛ ليحمله ذلك على اجتناب المعصية ثم فعل الطاعة.

وقيل: يغلب جانب الرجاء؛ ليكون متفائلا والرسول (كان يعجبه الفأل)

وقيل في فعل الطاعة: يغلب جانب الرجاء فالذي من عليه بفعل هذه الطاعة سيمن عليه بالقبول، ولهذا قال بعض السلف: إذا وفقك الله للدعاء؛ فانتظر الإجابة، لأن الله يقول:

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 56

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[4] مدارج السالكين للإمام ابن القيم 1/513

{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} ، [غافر: من الآية60وفي فعل المعصية يغلب جانب الخوف لأجل أن يمنعه منها ثم إذا خاف من العقوبة تاب. وهذا أقرب شيء، ولكن ليس بذاك القرب الكامل؛ لأن الله يقول: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} ، [المؤمنون:60] ، أي: يخافون أن لا يقبل منهم، لكن قد يقال بأن هذه الآية يعارضها أحاديث أخرى؛ كقوله (في الحديث القدسي عن ربه: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني .

وقيل: في حال المرض يغلب جانب الرجاء، وفي حال الصحة يغلب جانب الخوف. فهذه أربعة أقوال.

وقال الإمام أحمد: ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحدا؛ فأيهما غلب هلك صاحبه؛ أي: يجعلهما كجناحي الطائر، والجناحان للطائر إذا لم يكونا متساويين سقط. [1]

والتحقيق: أنّ المؤمن في سيره إلى الله يكون بين الرجاء والخوف، لا يزيد هذا على هذا ... "كجناحي طائر" ... ولكنه قد يُغلِّب أحدهما لحاجةٍ وسبب، فإذا رأى من نفسه قنوطًا من رحمة الله، -والقنوط من رحمة الله لا بُد أن يؤدِّي إلى أحد أمرين: إمّا إلى تأخُّر عن الطاعة ... غلَّب جانب الرجاء، وقرأ في القرآن ما يتعلق بالرجاء، وقرأ في الأحاديث ما يتعلق بالرجاء.

وإذا رأى من نفسه ميلاً إلى التوسُّع والاعتماد على رحمة الله ومغفرته لاسيما في السِّر ... فإنه يُغلِّب جانب الخوف، ويقرأ في النصوص في الكتاب والسُّنَّة ما يُعظِّم الخوف في قلبه.

كذلك؛ إذا كان في جانب قوةٍ وصحة يُغلِّب جانب الخوف ... وإذا كان فيه ضعف ومرض ... يُغلِّب جانب الرجاء.

[1] القول المفيد لابن عثيمين 66/2

وكذلك في آخر حياته؛ إذا رأى أنه بدأ يضعف، وأنّ الموت قرُب، ورأى العلامات: وَهَنٌ في الجسد، وشَيبٌ في الشعر ... فإنه يُغلِّب جانب الرجاء، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ رواه مسلمٌ في الصحيح [1]

12/ شروط العبادة :

لا بدَّ لقبول العبادة والعمل الصالح من توفُّر شرطين:

أحدهما: أن يكون العملُ لله خالصاً

والثاني: أن يكون لسُنَّة نبيِّه صلى الله عليه وسلم موافقاً.

فلا بدَّ من تجريد الإخلاص لله وحده، ولا بدَّ من تجريد المتابعة للنِّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فلو وُجد العملُ مبنيًّا على سُنَّة وفُقد فيه شرطُ الإخلاص لم يُقبَل؛ لقول الله عزَّ وجلَّ: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً} ، ولو وُجد العملُ خالصاً لله لكنَّه لَم يُبْنَ على سُنَّة، بل بُنِيَ على البدع والمحدثات فإنَّه مردودٌ على صاحبه؛ لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتَّفق على صحَّته عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال: "مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ"، وفي لفظ لمسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ"، أي: مردودٌ عليه غير مقبول منه.

ولا يُقال: إنَّ العملَ إذا كان خالصاً لله، ولم يكن مبنيًّا على سُنَّة، وكان قَصدُ صاحبه حسناً أنَّه محمودٌ ونافعٌ لصاحبه، ومِمَّا يدلُّ على ذلك أنَّ الرَّسولَ الكريم صلى الله عليه وسلم قال للصحابيِّ الذي ذبح أُضحيتَه قبل صلاة العيد: "شاتُك شاةُ لَحم"، فلَم يعتبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أُضحيةً؛ لأنَّها ذُبحَت قبل ابتداء وقت الذَّبح الذي يبدأ بعد صلاة العيد، والحديثُ أخرجه البخاري (5556) ، ومسلم (1961) ، وقد قال الحافظ في شرحه في الفتح

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

(17/10) : "قال الشيخ أبو محمد بن أبي جَمرة: وفيه أنَّ العملَ وإن وافق نيَّةً حسنةً لَم يصحَّ، إلاَّ إذا وقع على وفق الشَّرع".

وفي سنن الدارمي (1/ 68 69) أنَّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقف على أناس في المسجد مُتحلِّقين وبأيديهم حصًى، يقول أحدهم: كبِّروا مائة، فيُكبِّرون مائة، فيقول: هلِّلوا مائة، فيُهلِّلون مائة، ويقول: سبِّحوا مائة، فيُسبِّحون مائة، فقال: "ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعدُّ به التكبيرَ والتهليلَ والتسبيحَ، قال: فعُدوا سيِّئاتكم فأنا ضامنٌ أن لا يَضيعَ من حسناتكم شيءٌ، وَيْحَكم يا أمّة محمد! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابةُ نبيِّكم صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابُه لم تَبْلَ، وآنيتُه لم تُكسر، والذي نفسي بيده إنَّكم لَعلَى مِلَّةٍ هي أهدى من مِلَّة محمد صلى الله عليه وسلم أو مفتتحو باب ضلالة؟! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه". وهذا الأثر أورده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم: 2005) . [1]

وما أحسن ما قال الإمام مالك رحمه الله لرجل أراد أن يحرم قبل ذى الحليفة: " لا تفعل ، فإنى أخشى عليك الفتنة ، فقال: وأى فتنة فى هذه؟ ! إنما هى أميال أزيدها! قال: وأى فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ! إنى سمعت الله يقول: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) ". [2]

روى البيهقى بسند صحيح عن سعيد بن المسيب: أنه راى رجلاً يصلى بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين ، يكثر فيها الركوع والسجود ، فنهاه ، فقال: يا أبا محمد! يعذبنى الله على الصلاة؟ ! قال: لا ، ولكن يعذبك على خلاف السنة.

---

[1] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 59

[2] إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للعلامة الألباني 181/4

وهذا من بدائع أجوبة سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى ، وهو سلاح قوى على المبتدعة الذين يستحسنون كثيراً من البدع باسم أنها ذكر وصلاة ، ثم ينكرون على أهل السنة إنكار ذلك عليهم ، ويتهمونهم بأنهم ينكرون الذكر والصلاة! ! وهم فى الحقيقة إنما ينكرون خلافهم للسنة فى الذكر والصلاة ونحو ذلك. [1]

العبرة ليست بكثرة العبادة وإنما بكونها على السنة، بعيدة عن البدعة، وقد أشار إلى هذا ابن مسعود رضي الله عنه بقوله أيضا: " اقتصاد في سنة، خير من اجتهاد في بدعة ".[2]

13/ المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقا للشريعة في أمور ستة :

الأول: السبب فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعيا فهي بدعة مردودة على صاحبها.

مثال ذلك: أن بعض الناس يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالتهجد عبادة، ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة؛ لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعا. وهذا الوصف –موافقة العبادة للشريعة في السبب– أمر مهم يتبين به ابتداع كثير مما يظن أنه من السنة وليس من السنة.

الثاني: الجنس، فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة.

مثال ذلك: أن يضحي رجل بفرس، فلا يصح أضحية؛ لأنه خالف الشريعة في الجنس، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام؛ الإبل، البقر، الغنم.

---

[1] إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للعلامة الألباني 236/2

[2] السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني 14/5

الثالث: القدر، فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة فنقول: هذه بدعة غير مقبولة لأنها مخالفة للشرع في القدر، ومن باب أولى لو أن الإنسان صلى الظهر مثلا خمسا فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

الرابع: الكيفية فلو أن رجلا توضأ فبدأ بغسل رجليه، ثم مسح رأسه ثم غسل يديه، ثم وجهه فنقول: وضؤوه باطل؛ لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

الخامس: الزمان فلو أن رجلا ضحى في أول أيام ذي الحجة فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان.

وسمعت أن بعض الناس في شهر رمضان يذبحون الغنم تقربا لله تعالى بالذبح، وهذا العمل بدعة على هذا الوجه؛ لأنه ليس هناك شيء يتقرب به إلى الله بالذبح إلا الأضحية، والهدي والعقيقة، أما الذبح في رمضان مع اعتقاد الأجر على الذبح كالذبح في عيد الأضحى فبدعة.

وأما الذبح لأجل اللحم فهذا جائز.

السادس: المكان، فلو أن رجلا اعتكف في غير مسجد فإن اعتكافه لا يصح، وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو قالت امرأة: أريد أن أعتكف في مصلى البيت. فلا يصح اعتكافها لمخالفة الشرع في المكان. ومن الأمثلة: لو أن رجلا أراد أن يطوف فوجد المطاف قد ضاق ووجد ما حوله قد ضاق فصار يطوف من وراء المسجد فلا يصح طوافه؛ لأن مكان الطواف البيت، قال الله تعالى لإبراهيم الخليل: {وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ}[1]

[1] مجموع فتاوى ابن عثيمين 5/253

المبحث السادس : في بيان معنى الشَّهادتين وما وقعع فيهما من الخطأ وأركانهما وشروطهما ومقتضاهما ونواقضهما

1/ معنى الشَّهادتين :

معنى شهادة أن لا إله إلا الله: ... معنى هذه الكلمة إجمالًا: لا معبودَ بحقٍّ إلا الله ... وقد فُسّرتْ هذه الكلمةُ بتفسيرات باطلة منها:

(أ) أن معناه: لا معبودَ إلا الله. وهذا باطلٌ؛ لأن معناه: أن كل معبود بحقّ أو باطل هو الله ...

(ب) أن معناها: لا خالقَ إلا الله . وهذا جزء من معنى هذه الكلمة ... وهو لا يكفي وهو توحيد المشركين.

(ج) أن معناها: لا حاكميّةَ إلا لله، وهذا أيضًا جزء من معناها، وليس هو المقصود؛ لأنه لا يكفي؛ لأنه لو أفرد الله بالحاكمية فقط ودعا غير الله أو صرف له شيئًا من العبادة لم يكن موحدًا وكل هذه تفاسير باطلة أو ناقصة ...

2 – ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: هو الاعتراف باطنًا وظاهرًا أنه عبد الله ورسوله إلى الناس كافة، والعمل بمقتضى ذلك من طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبدَ الله إلا بما شرع. [1]

2/ أركان الشهادتين :

أ – لا إله إلا الله: لها ركنان هما: النفي والإثبات:

فالركن الأول: النفي: لا إله: يُبطل الشرك بجميع أنواعه، ويُوجب الكُفرَ بكل ما يعبد من دون الله.

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 39

والركن الثاني: الإثباتُ: إلا الله: يثبت أنه لا يستحق العبادة إلا الله، ويُوجب العمل بذلك.

وقد جاء معنى هذين الركنين في كثير من الآيات مثل قوله تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}[البقرة 256] ...

ب - أركان شهادة أن محمدًا رسول الله: لها ركنان هما قولنا: عبدُه ورسوله، وهما ينفيان الإفراطَ والتفريط في حقه - صلى الله عليه وسلم - فهو عبده ورسوله، وهو أكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين ... كما قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} [الكهف: 110] ...

ومعنى الرسول: المبعوث إلى الناس كافة بالدعوة إلى الله بشيرًا ونذيرًا.

وفي الشهادة له بهاتين الصفتين: نفي للإفراط والتفريط في حقه - صلى الله عليه وسلم - فإن كثيرًا ممن يدعي أنه من أمته أفرط في حقه، وغلا فيه؛ حتى رفعه فوق مرتبة العبودية إلى مرتبة العبادة له من دون الله؛ فاستغاث به من دون الله، وطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله؛ من قضاء الحاجات وتفريج الكربات. والبعض الآخر جحد رسالته أو فرط في متابعته، واعتمد على الآراء والأقوال المخالفة لما جاء به؛ وتعسَّفَ في تأويل أخباره وأحكامه. [1]

- لا يكون الإنسان مستمسكًا ومتمسكًا بشهادة أن لا إله إلا الله التي هي العروة الوثقى إلا إذا أتى بأمرين:

1- كَفَرَ بالطاغوت.

2- وعَبَدَ الله سبحانه وتعالى. [2]

3/ شروط الشهادتين :

أ - شروط لا إله إلا الله: لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها؛ وهي على سبيل الإجمال:

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 40

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

الأول: العلم المنافي للجهل.

الثاني: اليقين المنافي للشك.

الثالث: القبول المنافي للرد.

الرابع: الانقيادُ المنافي للترك.

الخامس: الإخلاص المنافي للشرك.

السادس: الصدق المنافي للكذب.

السابع: المحبة المنافية لضدها وهو البغضاء.

وأما تفصيلها فكما يلي :

الشرط الأول:العلم: أي العلم بمعناها المراد منها وما تنفيه وما تُثبته، المنافي للجهل بذلك، قال تعالى: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: 86] ... فلو نطَقَ بها وهو لا يعلم معناها لم تنفعهُ؛ لأنه لم يعتقدْ ما تدل عليه.

الشرط الثاني: اليقين: بأن يكون قائلها مستيقنًا بما تدلّ عليه؛ فإن كان شاكًّا بما تدل عليه لم تنفعه، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} [الحجرات: 15] .

فإن كان مرتابًا كان منافقًا، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ﴿من لقيتَ وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا قلبه فبشره بالجنة...

الشرط الثالث: القبول لما اقتضته هذه الكلمة من عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه؛ فمن قالها ولم يقبل ذلك ولم يلتزم به؛ كان من الذين قال الله فيهم: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} [الصافات: 35، 36] وهذا كحال عباد القبور اليوم؛ فإنهم يقولون: (لا إله إلا الله) ، ولا يتركون عبادة القبور؛ فلا يكونون قابلين لمعنى لا إله إلا الله.

الشرط الرابع: الانقياد لما دلت عليه، قال تعالى: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ

اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} [لقمان: 22] . والعروة الوثقى: لا إله إلا الله؛ ومعنى يسلم وجهه: أي ينقاد لله بالإخلاص له.

الشرط الخامس: الصدق: وهو أن يقولَ هذه الكلمة مصدقًا بها قلبُه، فإن قالَها بلسانه ولم يصدق بها قلبُه كان منافقًا كاذبًا، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا} ...

الشرط السادس: الإخلاصُ: وهو تصفيةُ العمل من جميع شوائب الشرك؛ بأن لا يقصد بقولها طمعًا من مطامع الدنيا، ولا رياء ولا سمعة؛ لما في الحديث الصحيح من حديث عتبان قال: «فإنَّ الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله» [الحديث أخرجه الشيخان] .

الشرط السابع: المحبة لهذه الكلمة، ولما تدل عليه، ولأهلها العاملين بمقتضاها، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: 165] .

فأهل (لا إله إلا الله) يحبون الله حبًّا خالصًا، وأهل الشرك يحبونه ويحبون معه غيره، وهذا ينافي مقتضى لا إله إلا الله.

ب - وشروطُ شهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله هي:

1- الاعتراف برسالته، واعتقادها باطنًا في القلب.

2- النطق بذلك، والاعتراف به ظاهرً باللسان.

3- المتابعة له؛ بأن يعمل بما جاء به من الحق، ويترك ما نهى عنه من الباطل.

4- تصديقه فيما أخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلة.

5- محبته أشد من محبة النفس والمال والولد والوالد والناس أجمعين.

6- تقديم قوله على قول كل أحد، والعمل بسنته. [1]

4/ مقتضى الشهادتين :

أ – مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله: هو ترك عبادة ما سوى الله من جميع المعبودات، المدلول عليه بالنفي، وهو قولنا: (لا إله) . وعبادةُ الله وحده لا شريك له، المدلول عليه بالإثبات، وهو قولنا: (إلا الله) فكثير ممن يقولها يُخالف مقتضاها؛ فيثبت الإلهية المنفية للمخلوقين والقبور والمشاهد والطواغيت والأشجار والأحجار.

وهؤلاء اعتقدوا أن التوحيد بدعة، وأنكروه على من دعاهُم إليه، وعابوا على من أخلصَ العبادة لله.

ب – ومقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعتهُ وتصديقُهُ، وترك ما نهى عنه، والاقتصار على العمل بسنته، وترك ما عداها من البدع والمحدثات، وتقديم قوله على قول كل أحد. [2]

5/ أهمية الشهادتين :

شهادة أن لا إله إلا الله بصدق ويقين تذهب الشرك كله دقه وجله خطأه وعمده أوله وآخره؛ سره وعلانيته وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه. والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك فإن الذنوب كلها من شعب الشرك. فالتوحيد يذهب أصل الشرك والاستغفار يمحو فروعه فأبلغ الثناء قول: لا إله إلا الله وأبلغ الدعاء قول: أستغفر الله. [3]

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 42

[2] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 45

[3] مجموع الفتاوى 697/11

6/ نواقض الشهادتين :

النواقض ثلاث هي:

1 – الشرك الأكبر:

2 – الكفر الأكبر:

3 – النفاق الاعتقادي [1]

يمكن أيضا أن ترجع إلى أربعة نواقض :

الناقض الأول: ما ينتقض به الدين مما يتعلق بالقلوب.

الناقض الثاني: ما ينتقض به الدين مما يتعلق بالأقوال.

الناقض الثالث: ما ينتقض به الدين مما يتعلق بالأفعال.

الناقض الرابع : انتقاض الدين بالشك [2]

7/ من أهم نواقض الشهادتين :

نواقض الإسلام كثيرةٌ قد عقد لها الفقهاء في كتب الفقه بابًا خاصًّا سموه (باب الردة) ، وأهمها عشرة نواقض ذكرها شيخ الإسلام محمدُ بنُ عبد الوهاب رحمه الله في قوله :

1 – الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48، 116] ... ومنه الذبحُ لغيرِ الله؛ كالذبح للأضرحة أو الذبح للجن.

2 – من جعل بينَهُ وبينَ الله وسائط؛ يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم؛ فإنه يكفر إجماعًا.

3 – من لم يكفر المشركين، ومن يشكّ في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر.

4 – من اعتقد أن هدي غير النبي – صلى الله عليه وسلم – أكمل من هديه، أو أن حكم غيره

---

[1] تسهيل العقيدة الإسلامية لعبد الله بن عبد العزيز الجبرين 164

[2] شرح نواقض الإسلام للشيخ عبد الرزاق البدر 11

أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكم الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويفضلون حكم القوانين على حكم الإسلام.

5 – من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولو عمل به – كفر.

6 – من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل على ذلك قوله تعالى: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة: 65، 66] .

7 – السحرُ، ومنهُ الصرفُ والعطفُ (لعله يقصد عمل ما يصرفُ الرجلَ عن حب زوجته، أو عمل ما يحببها إليه) فمن فعله، أو رضي به كفرَ، والدليل قوله تعالى: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ} [البقرة: 102] .

8 – مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة: 51] .

9 – من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد – صلى الله عليه وسلم – كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى – عليه السلام – فهو كافر. قلت: وكما يعتقده غلاة الصوفية أنهم يصلون إلى درجةٍ لا يحتاجون معها إلى متابعة الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

10 – الإعراض عن دين الله، لا يتعلمُهُ، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ} [الأحقاف: 3] ، {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} [السجدة: 22] . [1]

وكلها من أعظم مايكون خطرا ومن أكثر مايكون وقوعا فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه [2]

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 39

[2] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 46

8/ المؤمن يجب عليه أن يحذر الشرك :

لا شك أن المؤمن يجب عليه أن يحذر الشرك، وأن يخاف الفتنة، فإن إبراهيم التي كان يحذر الشرك، ويخاف الفتنة، وكان من دعائه: {واجنبني وبني أن نعبد الأصنام } [إبراهيم :٣٥)، وهذا الحذر والخوف يقتضي من الإنسان أن يتعلم التوحيد، وأن يحرص عليه، وأن يفرح به حيثما وجده يدرس، وأن لا يحمل من سماع دروسه، وأن يعرف الشرك بتفصيله ليحذر منه، وحتى لا يقع فيه[1]

9/ المراد من كلمة التوحيد معناها لا مجرد لفظها :

المراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي – صلى الله عليه وسلم – بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق به والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله قالوا: ؟ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ؟[ص:5].

فإذا عرفت أن جُهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفارأعلم منه بمعنى لا إله إلا الله. [2]

المراد من هذه الكلمة معناها لا مجرَّد لفظها ... لأن الإجماع منعقد على أن من بَلَغَ مجنونا فقال لا إله إلا الله فإنه لا يحكم له بالإسلام؛ يعني إذا كان مشركا قبل ذلك، أو من وُلد مجنونا ثم استمر وقال لا إله إلا الله فإنه لا يحكم له بالإسلام بهذه الكلمة، وإنما يكون تبع لأبويه بتفصيل معروف، فالمشرك الذي كان على الشرك ثم جُنّ وقال لا إله إلا الله في جنونه مائة مرة أو أكثر،

---

[1] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ

بالإجماع عند أولئك المخالفين وعند أهل الحق أنه لا يدخل في الإسلام؛ لأنه تكلم بكلام لم يقصد معناه؛ لأنه لا يعقل المعنى. لهذا فالعبرة فيما تعبد فيه من الألفاظ العبرة بالإقرار بالمعنى لا بمجرد اللفظ، وذلك لأنّ المنافقين قالوا هذه الكلمة ظاهرا وهم بنص القرآن والسنة هم كفار في الدرك الأسفل من النار، فلم ينفعهم قول لا إله إلا الله لأنهم لم يقصدوا معناها أو لأنهم خالفوا ما دلت عليه.

إذن فهذه الكلمة دليلها أنواع من الإجماع [1]

10/ كلمة التوحيد شملت أمور ثلاثة :

الأول : "إفراد التعلق بالله.

الثاني : "البراءة من كل معبود سوى الله جل وعلا، أو البراءة من كل عبادة لغير الله جل وعلا.

الثالث : الكفر بكل معبود أو بكل عبادة إلا عبادة الله جل وعلا، الكفر بعبادة مَن دون الله جل وعلا، وهو كله راجع للعبادة نفسها، أما العابدون فهذا له حكم آخر وتفاصيل أخر. [2]

---

[1] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 119

[2] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 122

المبحث السابع : الشرك

1/ تعريف الشرك :

الشرك هو: جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته.

والغالب الإشراك في الألوهية؛ بأن يدعو مع الله غيره، أو يَصرفَ له شيئًا من أنواع العبادة، كالذبح والنذر، والخوف والرجاء والمحبة. [1]

تعريف آخر : الشرك تسوية غير الله بالله في شيء من خصائصه [2]

2/ الشرك له معنيان :

أحدهما عام وهو جعل شيء من حق الله لغيره

والآخر خاص وهو جعل شيء من العبادة لغير الله وهذا المعنى الخاص هو المعهود شرعا [3]

– من عبده وعبد معه غيره فهو مشرك. ومن عبده وحده بغير ما شرع فهو مبتدع. ومن عبده وحده بما شرع فهو المؤمن الموحِّد.[4]

3/ المعاصي والشرك :

– المعاصي من حيث المعنى العام، أو الجنس العام يمكن أن نعتبرها من الشرك.

وأما بالمعنى الأخص، فتنقسم إلى أنواع:

1. شرك أكبر.
2. شرك أصغر.
3. معصية كبيرة.

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 74

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرزاق البدر

[3] شرح القواعد الأربع العصيمي 12

[4] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 53

4. معصية صغيرة. وهذه المعاصي منها ما يتعلق بحق الله، ومنها ما يتعلق بحق الإنسان نفسه، ومنها ما يتعلق بحق الخلق.[1]

فالمعاصي بالمعنى الأعم- كما سبق- شرك، لأنها صادرة عن هوى مخالف للشرع، وقد قال الله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} أما بالنسبة للمعنى الأخص، فيقسمها العلماء قسمين:

1- شرك.

2- فسوق. [2]

4/ أصل الشرك وسبب وقوعه :

خلق الله الخلق لعبادته، وهيأ لهم ما يعينهم عليها من رزقه، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: 56- 58] .

والنفسُ بفطرتها إذا تركت كانت مقرة لله بالإلهية، مُحبَّةً لله، تعبدُه لا تُشرك به شيئًا، ولكن يفسدها وينحرف بها عن ذلك ما يُزيِّنُ لها شياطين الإنس والجن بما يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، فالتوحيد مركوز في الفطرة، والشرك طارئ ودخيل عليها، قال الله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم: 30] وقال – صلى الله عليه وسلم -: ﴿كل مولود يُولَدُ على الفطرة فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه﴾[3] . فالأصلُ في بني آدم: التوحيد.

والدينُ الإسلام، وكان عليه آدم عليه السلام، ومن جاءَ بعدَهُ من ذُرّيته قُرونًا طويلة، قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ} [البقرة: 213] .

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 65/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 94/1

[3] صحيح البخاري (1385)

وأوَّلُ ما حدثَ الشركُ والانحراف عن العقيدة الصحيحة في قوم نوح، فكانَ عليه السلام أول رسول إلى البشرية بعد حدوث الشرك فيها: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} [النساء: 163].

قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرةُ قرون؛ كلهم على الإسلام.

قال ابن القيم (وهذا القولُ هو الصواب قطعًا؛ فإنَّ قراءة أُبيّ بنِ كعبٍ - يعني: في آية البقرة -: (فاختلفوا فبعث الله النبيين) ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى في سورة يونس: {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا} [يونس: 19].

يريد - رَحِمهُ الله - أنَّ بعثةَ النبيين سببُها الاختلاف عما كانوا عليه من الدين الصحيح، كما كانت العربُ بعد ذلك على دين إبراهيمَ عليه السلام؛ حتى جاء عمرو بن لحي الخزاعي فغيّر دينَ إبراهيم، وجلبَ الأصنام إلى أرض العرب، وإلى أرض الحجاز بصفة خاصة، فعُبدت من دون الله، وانتشر الشركُ في هذه البلاد المقدسة، وما جاورها؛ إلى أن بعثَ الله نبيه محمدًا خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم - فدعا الناس إلى التوحيد، واتّباع ملَّة إبراهيم، وجاهد في الله حق جهاده؛ حتى عادت عقيدة التوحيد وملة إبراهيم، وكسَّر الأصنام وأكمل الله به الدين، وأتم به النعمة على العالمين، وسارت على نهجه القرون المفضَّلَة من صدر هذه الأمة؛ إلى أن فشا الجهل في القرون المتأخرة، ودخلها الدخيلُ من الديانات الأخرى، فعاد الشرك إلى كثير من هذه الأمة؛ بسبب دعاة الضلالة، وبسبب البناء على القبور، متمثلاً بتعظيم الأولياء والصالحين، وادعاء المحبة لهم؛ حتى بنيت الأضرحة على قبورهم، واتخذت أوثانًا تُعبدُ من دون الله، بأنواع القُربات من دعاء واستغاثة، وذبح ونذر لمقامهم. وسَموا هذا الشرك: توسُّلاً بالصالحين، وإظهارًا لمحبتهم، وليس عبادة لهم، بزعمهم، ونسوا أن هذا هو قول المشركين الأولين حين يقولون: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر: 3].

ومع هذا الشرك الذي وقع في البشرية قديمًا وحديثًا، فالأكثرية منهم يؤمنون بتوحيد الربوبية،

وإنما يُشركون في العبادة، كما قال تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف: 106].

ولم يجحد وجودَ الرب إلا نزرٌ يسير من البشر، كفرعون والملاحدة الدهريين، والشيوعيين في هذا الزمان، وجحودهم به من باب المكابرة، وإلا فهم مضطرون للإقرار به في باطنهم، وقرارة نفوسهم، كما قال تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل: 14].

وعقولهم تعرف أن كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد، وأن نظام هذا الكون المنضبط الدقيق لا بد له من مدبر حكيم، قدير عليم، من أنكره فهو إما فاقد لعقله، أو مكابر قد ألغى عقله وسفه نفسه، وهذا لا عِبرةَ به.[1]

5/ حالة أهل الأرض عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم :

بعث الله نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم وحالة العرب – بل وحالة أهل الأرض كلهم إلا بقايا من أهل الكتاب – كانت على أسوأ حالة؛ كما قال تعالى-: {لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ}

لقد كانت الخليقة في هذه الفترة بين حائرة تتخذ آلهتها من حجارة منحوتة وأصنام منصوبة تعكف عندها وتطوف حولها وتقرب لها الذبائح من أنفس أموالها بل وحتى من أولادها؛ كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ}

وفريق آخر – أهل الكتاب –: إما نصرانية حائرة ضلت عن سواء السبيل، فجعلت الآلهة ثلاثة، واتخذت من أحبارها وقديسيها أربابا من دون الله، وإما يهودية مدمرة، عاشت في

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 70

الأرض فسادًا، وأشعلت نار الفتن، ونقضت عهد الله وميثاقه، وتلاعبت بنصوص كتابها حتى حرفتها عن مواضعها.

وفريق ثالث هم المجوس الذين يعبدون النيران، ويتخذون إلهين: أحدهما خالق للخير، والثاني خالق للشر بزعمهم.

وفريق رابع، وهم الصابئون الذين يعبدون الكواكب والنجوم، ويعتقدون تأثيرها في الأرض.

وفريق خامس، هم الدهرية الذين لا يدينون بدين، ولا يؤمنون ببعث ولا حساب.

هكذا كانت حالة أهل الأرض عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، جهالة جهلاء، وضلالة عمياء؛ فأنقذ الله به من قبل دعوته واستجاب له من الظلمات إلى النور، وأعاد الحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهدم الأوثان، ونهى عن الشرك، وسد كل الوسائل الموصلة إليه.

6/ السبب الأعظم للشرك عبر التاريخ :

السبب الأعظم للشرك عبر التاريخ هو الغلو في الصالحين. فأوّل شرك وقع في الأرض ما وقع إلا بسبب الغلو في الصالحين. [1]

سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل :

فالأول محبة الصالحين

والثاني فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا أرادوا به خيرا فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره. [2]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] مزج الحق بالباطل حصل بأمرين:

الأول: محبة الصالحين، ولهذا صوروا تماثيلهم محبة لهم، ورغبة في مشاهدة أشباحهم.

الثاني: أن أهل العلم والدين أرادوا بذلك خيرا، وهو أن ينشطوا على العبادة، ولكن من بعدهم أرادوا غير الخير

وإلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها أعظم أسباب الوقوع في الشرك : الغلو في الصالحين.[1]

7/ الوسائل القولية والفعلية التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها تفضي إلى الشرك :

1- نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التلفظ بالألفاظ التي فيها التسوية بين الله وبين خلقه ...

2- نهى صلى الله عليه وسلم عن الغلو في تعظيم القبور بالبناء عليها وإسراجها وتجصيصها والكتابة عليها.

3- نهى عن اتخاذ القبور مساجد للصلاة عندها؛ لأن ذلك وسيلة لعبادتها.

4- نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ لما في ذلك في التشبه بالذين يسجدون لها في هذه الأوقات.

5- نهى عن السفر إلى أي مكان من الأمكنة بقصد التقرب إلى الله فيه بالعبادة؛ إلا إلى المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى.

6- نهى صلى الله عليه وسلم عن الغلو في مدحه ...

7- نهى صلى الله عليه وسلم عن الوفاء بالنذر إذا كان في مكان يعبد فيه صنم أو يقان فيه عيد

الذي أراده أولئك، ويؤخذ منه: أن من أراد تقوية دينه ببدعة؛ فإن ضررها أكثر من نفعها. مثال ذلك: أولئك الذين يغلون في الرسول صلى الله عليه وسلم ويجعلون له الموالد هم يريدون بذلك خيرا، لكن أرادوا خيرا بهذه البدعة فصار ضررها أكثر من نفعها؛ لأنها تعطي الإنسان نشاطا غير مشروع في وقت معين، ثم يعقبه فتور غير مشروع في بقية العام. ولهذا تجد هؤلاء الذين يغالون في هذه البدع فاترين في الأمور المشروعة الواضحة ليسوا كنشاط غيرهم - قاله العلامة ابن عيمين في القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 380/1

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

من أعياد الجاهلية ...

8 - الغلو في حقه صلى الله عليه وسلم ...

9- الغلو في الصالحين ...

10- التصوير وسيلة إلى الشرك.[1]

8/ خطر الشرك :

وذلك لأمور :

1 - لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فمن أشرك مع الله أحدًا فقد شبهه به، وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13] .

والظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه، فمن عبد غير الله فقد وضع العبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقها، وذلك أعظم الظلم.

2 - أن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48] .

3 - أن الله أخبر أنه حرَّم الجنة على المشرك، وأنه خالد مخلد في نار جهنم، قال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: 72] .

4 - أنَّ الشركَ يُحبطُ جميعَ الأعمال، قال تعالى: {وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: 88] ...

5 - أنَّ المشرك حلالُ الدم والمال، قال تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} [التوبة: 5] وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -:

﴿أمرتُ أن أقاتلَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 46

بحقها ﴾.

6 - أنَّ الشركَ أكبرُ الكبائر، قال - صلى الله عليه وسلم -: ﴿ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ... ﴾ الحديث. [1]

. قال العلامة ابن القيم: (أخبر سُبحانه أن القصد بالخلق والأمر: أن يُعرفَ بأسمائه وصفاته، ويُعبدَ وحده لا يُشرك به، وأن يقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، كما قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: 25] .

فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله، وأنزلَ كُتبه؛ ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل، ومن أعظم القسط: التوحيد، وهو رأس العدل وقوامه؛ وإن الشرك ظلم كما قال تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13] .

فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل؛ فما كان أشد منافاةً لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر [2]

إلى أن قال: (فلما كان الشرك منافيًا بالذات لهذا المقصود؛ كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرم الله الجنة على كل مشرك، وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد، وأن يتخذوهم عبيدًا لهم لما تركوا القيام بعبوديته، وأبى الله سبحانه أن يقبل لمشرك عملاً، أو يقبلَ فيه شفاعة، أو يَستجيب

---

[1] صحيح البخاري (5976)

[2] {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} والظلم أنواع:

1. أظلم الظلم: وهو الشرك في حق الله.

2. ظلم الإنسان نفسه: فلا يعطيها حقها، مثل أن يصوم فلا يفطر، ويقوم فلا ينام.

3. ظلم الإنسان غيره: مثل أن يتعدى على شخص بالضرب، أو القتل، أو أخذ مال، أو ما أشبه ذلك / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/61

له في الآخرة دعوة، أو يقبل له فيها رجاء؛ فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله، حيث جعل له من خلقه ندًّا، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه، وإن كان المشرك في الواقع لم يظلم ربَّه، وإنَّما ظلَمَ نفسه) انتهى.

7 – أنَّ الشركَ تنقص وعيب نزه الرب سبحانه نفسه عنهما، فمن أشرك بالله فقد أثبت لله ما نزه نفسه عنه، وهذا غاية المحادَّةِ لله تعالى، وغاية المعاندة والمشاقَّة لله. [1]

8- أن الشرك خفي جداً وقد خافه خليل الرحمن وأمام الحنفاء كما حكي الله عنه: {واجنبني وبني أن نعبد الأصنام} [سورة إبراهيم، الآية: 35] . وتأمل قوله:} واجنبني {ولم يقل: "وامنعني" لأن معنى اجنبني أي اجعلني في جانب عبادة والأصنام في جانب أي إجعلني في جانب عبادة والأصنام في جانب، وهذا أبلغ من أمنعني لأنه إذا كان في جانب وهي في جانب، كان أعد، وقال ابن أبي مليكة: "أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه" وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحذيفة ابن اليمان: "أنشدك الله هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من سمى من المنافقين" مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة ولكنه خاف أن يكون ذلك لما ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أفعاله في حياته، فلا يأمن النفاق إلا منافق، ولا يخاف النفاق إلا مؤمن [2]

9/ أنواع الشرك :

الشرك نوعان :

النوع الأول: شرك أكبر يُخرج من الملة، ويخلَّدُ صاحبُهُ في النار، إذا مات ولم يتب منه، وهو صرفُ شيء من أنواع العبادة لغير الله، كدعاء غير الله، والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 74

[2] شرح الأصول الستة للعلامة ابن عثيمين 117

القبور والجن والشياطين، والخوف من الموتى أو الجن أو الشياطين أن يضروه أو يُمرضوه، ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات، وتفريج الكُربات، مما يُمارسُ الآن حولَ الأضرحة المبنية على قبور الأولياء والصالحين، قال تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [يونس: 18] .

والنوع الثاني: شرك أصغر لا يخرج من الملة؛ لكنه ينقص التوحيد، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو قسمان:

القسم الأول: شرك ظاهر على اللسان والجوارح وهو: ألفاظ وأفعال

فالألفاظ كالحلف بغير الله، قال - صلى الله عليه وسلم -: ﴿من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك﴾ . وقول: ما شاء الله وشئت، قال - صلى الله عليه وسلم -: لما قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: ﴿أجعلتني لله نِدًّا؟ ! قُلْ: ما شاءَ الله وحده﴾ . وقول: لولا الله وفلان، والصوابُ أن يُقالَ: ما شاءَ الله ثُمَّ شاء فلان؛ ولولا الله ثمَّ فلان، لأن (ثم) تفيدُ الترتيب مع التراخي، وتجعلُ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، كما قال تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: 29] وأما الواو: فهي لمطلق الجمع والاشتراك، لا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا؛ ومثلُه قول: ما لي إلا الله وأنت، و: هذا من بركات الله وبركاتك.

وأما الأفعال: فمثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمائم خوفًا من العين وغيرها؛ إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه، فهذا شرك أصغر؛ لأن الله لم يجعل هذه أسبابًا، أما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر لأنه تَعلَّق بغير الله.

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي وهو الشرك في الإرادات والنيات، كالرياء والسمعة، كأن يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله؛ يريد به ثناء الناس عليه، كأن يُحسن صلاته، أو

يتصدق؛ لأجل أن يُمدح ويُثنى عليه، أو يتلفظ بالذكر ويحسن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس، فيُثنوا عليه ويمدحوه. والرياء إذا خالط العمل أبطله، قال الله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: 110] .

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ﴿أخوفُ ما أخافُ عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء﴾ .

ومنه: العملُ لأجل الطمع الدنيوي، كمن يحج أو يؤذن أو يؤم الناس لأجل المال، أو يتعلم العلم الشرعي، أو يجاهد لأجل المال. قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ﴿تَعِسَ عبدُ الدينار، وتَعِسَ عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعطَ سخط﴾ .

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: (وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه. فمن أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئًا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه؛ فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص: أن يُخلصَ لله في أفعاله وأقواله، وإرادته ونيته. وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يُقبلُ من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85] وهي ملَّةُ إبراهيمَ – عليه السلام – التي من رغب عنها فهو من أسفَهِ السُّفهاء) انتهى.[1]

10/ ضابط الشرك الأصغر :

كل ماسمي في القرءان والسنة شركا ودلت الأدلة على أنه لايخرج من الملة كالحلف بغير الله

والضابط الثاني هو مايكون ذريعة إلى الشرك الاكبر كالذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 77

والضابط الثالث هو اتخاذ شيء سببا على أنها أصغر سبب ولم يدل الدليل على أنه سبب من الأسباب المعنوية أو لم يدل الدليل والتجارب على أنه سبب من الأسباب الحسية مثل اتخاذ التمائم على أنها سبب لدفع العين [1]

❋ الشرك الأصغر يلي الشرك الأكبر في القبح ثم البدع التي تأتي بعد الشرك في القبح [2]

11/ أنواع من الشرك الأكبر :

النوع الأول شرك الدعوة . والدليل قوله تعالى (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) .

النوع الثاني : شرك النية والإرادة والقصد . والدليل قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون) .

النوع الثالث : شرك الطاعة [3]. والدليل قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) وتفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية ، لادعاؤهم إياهم ، كما فسرها

---

[1] دورة المنهاج للشيخ سليمان الرحيلي

[2] دورة المنهاج للشيخ سليمان الرحيلي

[3] شرك الطاعة، وهو بتوحيد الربوبية ألصق من توحيد الألوهية؛ لأن الحكم شرعيا كان أو كونيا إلى الله تعالى؛ فهو من تمام ربوبيته، قال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} ... والشيخ رحمه الله جعل شرك الطاعة من الأكبر، وهذا فيه تفصيل / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 160/1

النبي صلى الله عليه وسلم لعدم بن حاتم لما سأله فقال : لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية. [1]

– شرك المشركين في السابق كان في عبادة الأصنام، أما الآن، فهو في طاعة المخلوق في المعصية [2]

النوع الرابع : شرك المحبة والدليل قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداد يحبونهم كحب الله) [3]

12/ الفرق بين الشرك الأكبر و الشرك الأصغر :

1– الشرك الأكبر: يُخرج من الملة، والشرك الأصغر لا يُخرج من الملة، لكنه ينقص التوحيد.

2– الشرك الأكبرُ يخلّدُ صاحبه في النار، والشرك الأصغر لا يُخلَّد صاحبُه فيها إن دَخَلها.

3– الشركُ الأكبرُ يحبطُ جميعَ الأعمال، والشركُ الأصغرُ لا يُحبِطُ جميع الأعمال، وإنما يُحبِطُ الرياءُ والعملُ لأجل الدنيا العملَ الذي خالطاه فقط.

4– الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر لا يبيحهما. [4]

13/ جواز الاستدلال بالآيات التي فيها الأكبر على الأصغر من وجهين :

الوجه الأول: أنّ مَن اجتنب الأكبر فمِن باب أولى أن يجتنب الأصغر.

والوجه الثاني: الاشتراك بينهما في الظلم. فكل الشرك ظلم؛ إلا أنّ الشرك الأكبر ظلم أكبر، والشرك الأصغر ظلم دونه [5]

---

[1] الرسالة المفيدة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب 43

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/341

[3] الرسالة المفيدة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب 44

[4] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 80

[5] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

14/ حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك : [1]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تجعلوا بيوتكم قبورا [2]

ولا تجعلوا قبري عيدا، [3] وصلوا علي ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم [1] ". رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات [2]

---

[1] الواجب سد طرق الشرك من كل وجه حتى في الألفاظ ليكون خالصا من كل شائبة (القول المفيد 2/514)

[2] قال الشيخ سليمان الرحيلي في شرحه لكتاب التوحيد وهذا له حِكَمٌ متعددة:

الحكمة الأولى: أن دَفن الموتى في البيوت يُفسدها ...

الحكمة الثانية: أنه ذريعة إلى تعظيم القبور إذا كانت في البيوت ...

الحكمة الثالثة: لأنه بناء عليه، وقد نُهينا عن ذلك كما تقدَّم.

الحكمة الرابعة: لأنّ دفن الميت في البيت يَحرُم الميت من دعوات المسلمين عند الزيارة للمقابر

[3] قوله: "عيدا": العيد: اسم لما يعتاد فعله، أو التردد إليه، فإذا اعتاد الإنسان أن يعمل عملا كما لو كان كلما حال عليه الحول صنع طعاما ودعا الناس؛ فهذا يسمى عيدا لأنه جعله يعود ويتكرر.

وكذلك من العيد: أن تعتاد شيئا فتتردد إليه ...

وأيهما المراد من كلام النبي صلى الله عليه وسلم الأول؛ أي العمل الذي يتكرر بتكرر العام، أو التردد إلى المكان؟

الظاهر الثاني، أي: لا ترددوا على قبري وتعتادوا ذلك، سواء قيدوه بالسنة أو بالشهر أو بالأسبوع ... وإنما يزار لسبب، كما لو قدم الإنسان من سفر، فذهب إلى قبره فزاره، أو زاره ليتذكر الآخرة كغيره من القبور.

وما يفعله بعض الناس في المدينة كلما صلى الفجر ذهب إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم من أجل السلام عليه، فيعتاد هذا كل فجر، يظنون أن هذا مثل زيارته في حياته؛ فهذا من الجهل، وما علموا أنهم إذا سلموا عليه في أي مكان؛ فإن تسليمهم يبلغه. (القول المفيد 1/446)

لكنه لا يلزم منه الإكثار؛ لأنه قد لا يأتي إلا بعد سنة، ويكون قد اتخذه عيدا؛ فإن فيه نوعا من الإكثار. (القول المفيد 1/452)

وعن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم [3] فيدخل فيها، فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تتخذوا قبري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا علي؛ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم " رواه في " المختارة ".

وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: "انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله [4] تبارك وتعالى قلنا: وأفضلنا فضلا،

---

[1] قال الشيخ سليمان الرحيلي في شرحه لكتاب التوحيد ما العلاقة بين قول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لا تجعلوا قبري عيدًا﴾ وبين قوله: ﴿وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ﴾؟ العلاقة: أنّ الذي يذهب إلى القبر مرارًا، قد يَحتج فيقول: أنا أريد أن أُسلم فقط، وأصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، فحَسَمَ النبي صلى الله عليه وسلم الباب؛ فقال: صلُّوا عليَّ من أي مكان ﴿فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم﴾، وهذا يدل على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم حَمى حِمى التوحيد

ولهذا قال علي بن الحسين: " ما أنت ومن في الأندلس إلا سواء " (القول المفيد 1/453)

[2] أورد على ذلك دفن النبي صلى الله عليه وسلم في بيته.

وأجيب عنه بأنه من خصائصه صلى الله عليه وسلم فالنبي صلى الله عليه وسلم دفن في بيته لسببين:

1- ما روي عن أبي بكر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " ما من نبي يموت إلا دفن حيث قبض " وهذا ضعفه بعض العلماء.

2- ما روته عائشة رضي الله عنها: " أنه خشي أن يتخذ مسجدا "/ القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/444

[3] قال العلامة ابن عثيمين في شرحه لكتاب التوحيد 1/449

هذا الرجل لا شك أنه لم يتكرر مجيئه إلى هذه الفرجة إلا لاعتقاده أن فيها فضلا ومزية، وكونه يظن أن الدعاء عند القبر له مزية فتح باب ووسيلة إلى الشرك

[4] قوله: "أنت سيدنا": السيد: ذو السؤدد والشرف، والسؤدد معناه: العظمة والفخر وما أشبهه ...

قوله: "السيد الله": لم يقل صلى الله عليه وسلم سيدكم كما هو المتوقع، حيث إنه رد على قولهم سيدنا لوجهين:

وأعظمنا طولا. فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان " رواه أبو داود بسند جيد [1]

الوجه الأول: ... أن الذي له السيادة المطلقة هو الله عز وجل ولكن السيد المضاف يكون سيدا باعتبار المضاف إليه، مثل: سيد بني فلان، سيد البشر، وما أشبه ذلك.

الوجه الثاني: لئلا يتوهم أنه من جنس المضاف إليه ... ولم ينههم صلى الله عليه وسلم عن قولهم: "أنت سيدنا"، بل أذن لهم بذلك؛ فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، لكن نهاهم أن يستجريهم الشيطان فيترقوا من السيادة الخاصة إلى السيادة العامة المطلقة؛ لأن سيدنا سيادة خاصة مضافة، و"السيد" سيادة عامة مطلقة غير مضافة. (القول المفيد 514/2)

[1] ... قوله: "وأعظمنا طَولا": أي: أعظمنا شرفا وغنى ...

قوله: "قولوا بقولكم أو بعض قولكم": الأمر للإباحة والإذن كما سبق.

وقوله: "قولوا بقولكم": يعني: قولهم: أنت سيدنا أو أنت أفضلنا، وما أشبه ذلك.

وقوله: "أو بعض قولكم": يحتمل أن يكون شكا من الراوي، وأن يكون من لفظ الحديث؛ أي: اقتصروا على بعضه.

قوله: "ولا يستجرينكم الشيطان": ... أي: لا يستميلنكم الشيطان ويجذبنكم إلى أن تقولوا قولا منكرا (القول المفيد 516/2)

- الحماية من المنكر تعظم كلما كان المنكر أعظم وأكبر أو كان الداعي إليه في النفوس أشد. ولهذا تجد أن باب الشرك حماه النبي عليه الصلاة والسلام حماية بالغة حتى سد كل طريق يمكن أن يكون ذريعة إليه (القول المفيد 517/2)

تنبيه: جرى شراح هذا الحديث على ... الجمع بين هذا الحديث وبين قوله صلى الله عليه وسلم " أنا سيد ولد آدم " وقوله: " قوموا إلى سيدكم " وقوله في الرقيق: " وليقل سيدي ومولاي " بواحد من ثلاثة أوجه:

الأول: أن النهي على سبيل الكراهة والأدب، والإباحة على سبيل الجواز.

الثاني: أن النهي حيث يخشى منه المفسدة، وهي التدرج إلى الغلو والإباحة إذا لم يكن هناك محذور.

الثالث: أن النهي بالخطاب؛ أي: أن تخاطب الغير بقولك: أنت سيدي أو سيدنا، بخلاف الغائب؛ لأن المخاطب ربما يكون في نفسه عجب وغلو وترفع، ثم إن فيه شيئا آخر، وهو خضوع هذا المتسيد له وإذلال نفسه له بخلاف

وعن أنس رضي الله عنه "أن ناسا قالوا: يا رسول الله! يا خيرنا وابن خيرنا! وسيدنا وابن سيدنا! فقال: يا أيها الناس! قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل " رواه النسائي بسند جيد [1]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسائل هذا الباب

الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له: " أنت سيدنا ".[2]

الثالثة: قوله: "لا يستجرينكم الشيطان" مع أنهم لم يقولوا إلا الحق. [3]

ما إذا جاء من الغير، مثل: "قوموا إلى سيدكم"، أو على سبيل الغيبة؛ كقول العبد: قال سيدي ونحو ذلك، لكن هذا يرد عليه إباحته صلى الله عليه وسلم للرقيق أن يقول لمالكه: سيدي.

والذي يظهر لي أن لا تعارض أصلا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لهم أن يقولوا بقولهم، لكن نهاهم أن يستجريهم الشيطان بالغلو مثل (السيد) ؛ لأن السيد المطلق هو الله تعالى، وعلى هذا؛ فيجوز أن يقال: سيدنا وسيد بني فلان ونحوه، ولكن بشرط أن يكون الموجه إليه السيادة أهلا لذلك ... وأما إن خشي المحذور أو كان غير أهل؛ فلا يجوز. والمحذور: هو الخشية من الغلو فيه. (القول المفيد 2/517)

[1] ... قوله: "وابن خيرنا": أي: في النسب لا في المقام والحال. وكذلك يقال في قوله: "وابن سيدنا" ...

قوله: "ولا يستهوينكم الشيطان": أي: لا يستميلنكم الشيطان فتهووه وتتبعوا طرقه حتى تبلغوا الغلو ...

قوله: "أنا محمد عبد الله ورسوله": ... هذان الوصفان أحسن وأبلغ وصف يتصف به الرسول صلى الله عليه وسلم (القول المفيد 2/519)

[2] قال الشيخ سليمان الرحيلي في شرحه لكتاب التوحيد

ينبغي عليه أن يُنصَح بترك هذا في حالين:

الحال الأوّل: إذا رأى هذا غلوًّا، وتجاوُزًا، وإطراءً.

الحالة الثانية: إذا رأى هذا من باب المدح في وجهه، فإنه يقول لهم: اتركوا هذا.

أمَّا إذا كان هذا من باب التلقيب، فقد تقدَّم أنه يجوز إذا كان أهلاً لذلك. ششر

[3] قال الشيخ سليمان الرحيلي في شرحه لكتاب التوحيد

15/ إثبات أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا :

اعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين يشركون ويدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء. كما قال تعالى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} [الإسراء: 67]

وقوله: {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} [الأنعام: 40 - 41]

وقوله: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ} [الزمر: 8] إلى قوله: {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} [الزمر: 8] وقوله: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [لقمان: 32]

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما راسخا، والله المستعان.

الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله. إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجارا أو أحجارا مطيعة لله ليست عاصية.

وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك.

هم قالوا حقًّا ، لكن دلَّت قرائن على أنهم قد يقعون في الغلو، فحذَّرهم النبيّ -صلى الله عليه وسلم- وقال: انتبهوا! ﴿لا يستجرينكم الشيطان﴾

والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به. [1]

16/ كل شرك في العالم يرجع إلى نوعين :

الأول: راجع إلى أرواح الناس؛ أرواح الصالحين.

والثاني: راجع إلى أرواح الكواكب.

فالشرك بأرواح الصالحين كان في قوم نوح.

والشرك بأرواح الكواكب كان في قوم إبراهيم، وهل الكوكب له روح؟ الجواب: لا، ولكن جعلوا لكل كوكب صورة وصنما صوروا فيه الكوكب فلما كان كذلك، زعموا أن روحانية الكوكب وروح الكوكب تحل فيه فتتقبل مما يأتي لها ويطلب فترفع الحوائج إلى الكوكب، وعند هؤلاء الصابئة أن الكواكب تُسَيَّر العالم، وأن كل كوكب له أثر في العالم والصابئة الذين هم قوم إبراهيم كان شركهم من جهة الكواكب كما هو معروف، قال جل وعلا ؟وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ(75)فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا؟[الأنعام:65-66] الآيات، فشركهم كان من جهة الكواكب، لم أشركوا بالكواكب؟ لأنهم لما وضعوا الأوثان لهذه الكواكب جاءت الشياطين فتكلمت عند صورة الوثن عند الوثن عند الصنم، فلما تكلمت طلبوا منها أشياء فتحقق لهم ذلك، فظنوا أن الكواكب مسيرة لأحداث هذا العالم .

فإذن نخلص من ذلك إلى أن **الشرك وقع من جهة الشياطين في الجهتين :**

"شياطين تكلّمت بلسان الصالحين، تكلمت على أنها روح الصالح، فطُلب منها وأجابت وعملت أشياء.

---

[1] كشف الشبهات للعلامة محمد ابن عبد الوهاب 33

"وشياطين تكلمت على لسان كما يزعم أصحابه لسان الكوكب.

وكل شرك متفرع على أحد هذين النوعين؛ إما شرك بالعلويات أو شرك بالسفليات.

حقيقة الأمر أن الشياطين حينما تقول ذلك هي عبادة الجن، حينما يُطلب منها فإن المعبود هو الجني وليس هو الإنسي.[1]

17/ حقيقة شرك المشركين في كل زمان إنما هو راجع إلى شبهتين :

شرك المشركين بالملائكة كان من جهة شبهتين :

الشبهة الأولى: أنهم أرواح طاهرة صالحة لم تعصِ، ولذلك كانت أرفع من البشر، أرفع من المخطئين من العصاة، فإذا أراد العاصي أن يتقرب إلى الله ضعفت نفسه فذهب يتقرب بأرواح طاهرة إلى الله، بظنه أنه لأجل معصيته لا يستطيع أن يصل إلى الله جل جلاله، هذا واحد.

الثاني: لأجل قرب الملائكة من الله جل وعلا.

فتعلق المشركون بالملائكة لأجل هاتين العلتين؛ صلاح الملائكة وطهرة أرواحهم ثم لأجل قربهم من الله جل وعلا إذا تأملت وجدت أن هذه الحقيقة هي الموجودة في المشركين في كل زمان ومع تغير الأحوال وتغير المتعلقات إذا سألت النصارى لم دعوا مريم؟ لم يستغيثون بمريم عليها السلام؟ لم يستغيثون بالرسل رسل المسيح؟ لم يتغيثون ببطارقتهم الأموات والأحياء؟ لم يصورون التصاوير ويجعلونها في كنائسهم؛ تصاوير الرجال الصالحين أو مريم وعيسى؟ لم يعبد اليهود بعض البشر ويتعلقون بأرواحهم؟ لم عبد قوم نوح تلك الأرواح؟ لم عبد قوم إبراهيم تلك الأصنام والأوثان؟ وهكذا إلى زمن المشركين في الجاهلية؛ جاهلية العرب إلى زمننا هذا، وجدت أن الشبهة هي الشبهة الشبهة هي الشبهة في الملائكة:

أولا أرواح طاهرة.

---

[1] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 50

ثانيا قربها من الله جل وعلا.

فمن أراد أنْ يجعل لله جل وعلا شريكا في العبادة يُتوجه إليه بأي نوع من أنواع العبادة، فنقول له الملائكة أحق، الملائكة أحق بأن تكون آلهة؛ لأن الملائكة أرواح طاهرة بالاتفاق وهي مقربة عند الله جل وعلا بالاتفاق، ؟الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ [وَيُؤْمِنُونَ بِهِ](1) وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ؟[غافر:7] الله جل وعلا يخبرنا عن الملائكة بأنهم صالحون لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم مقربون عنده، وأنهم يستغفرون للذين آمنوا، فسؤال الملائكة أولى من سؤال غيرهم؛ لأن طهرة أرواحهم متفق عليها ولأن صلاحهم متفق عليه ولأن قربهم من الله جل وعلا متفق عليه ولأنهم يستغفرون عند الله للذين آمنوا باتفاق، وهذا معناه إذا كان ذلك الشيئان صحيحين فمعنى ذلك أن الشرك بالملائكة جائز، إذا كان التعلق بأرواح الصالحين واعتقاد أنه لقربهم من الله يكون لهم بعض العبادة فمعنى ذلك أن سؤال الملائكة والشرك بالملائكة جائز، والله جل وعلا أخبرنا في القرآن بأنه يقول للملائكة يوم القيامة ؟أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ؟[سبإ:40]، فتقول الملائكة ؟قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ؟[سبإ:41]، فمن أجاز الاستغاثة بالأولياء أو بالصالحين فقل له الملائكة أليست الملائكة أرواح طاهرة صالحة وأليست الملائكة مقربة عند الله جل وعلا، فإذا قال: بلى هي كذلك. فقل فلم لا تقول بجواز الاستغاثة بالملائكة؟ لم لا تقول بأن الملائكة لها الأحقية بأن يطلب منها؛ لأن السبب الذي من أجله توجه للموتى للصالحين والرسل والأنبياء متحقق في الملائكة. والعرب ومن قبلهم من أجل قوة أذهانهم في مسائل العبادة وحرصهم عليها جعلوا المسألة واحدة بدون تفريق؛ عبدوا الملائكة وعبدوا الصالحين وعبدوا الأنبياء؛ لأن القدر المشترك بين هؤلاء موجود وهو أنهم صالحون وأرواح

طاهرة ومقربون عند الله جل جلاله، لكن المشركون من هذه الأمة لم يعبدوا الملائكة وإنما عبدوا من زعموهم صالحين أو من هم صالحون في نفس الأمر.

وبهذا نعلم أنّ حقيقة شرك المشركين في كل زمان إنما هو راجع إلى هاتين الشبهتين:

"شبهة صلاح المستغاث به صلاح المعبود.

"والشبهة الثانية قربه من الله جل جلاله. [1]

18/ سبب كون المشركين مشركين وهم لايعتقدون أن آلهتهم تملك الرزق استقلالا :

كيف عبدوا تلك الآلهة ؟ هل ادعوا في اللاّت وفي العُّزى ومناة وهبل وودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وإساف ونائلة

هل ادعوا أنها تخلق ؟ فالجواب لا

هل ادعوا أنه ترزق استقلالا؟ الجواب:لا

قال جل وعلا : قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ؟[يونس:31] بلا جدال، يقولون الذي يرزق ويحيي ويميت هو الله

فإذن حين يسألون تلك الآلهة الباطلة الرّزق، حين يسألونها أن ترزقهم هل يعتقدون فيهم أنها تملك الرِّزق استقلالا؟ الجواب: لا ؛ لأن الله جل وعلا أخبرنا بأنهم لو سئلوا من يرزقكم من السماء والأرض لقالوا الله يرزقنا، فإذن لم صاروا مشركين؟ لأنهم جعلوا تلك الآلهة وسائط في طلب الرزق، شفعاء في طلب الرزق [2]

---

[1] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 91

[2] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 57

19/ المشركون يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله :

هذه الوساطة لها جهات :

الجهة الأولى جهة التوجه يعني نوع التقرب لها بالعبادة.

والجهة الثانية مكانتها عند الله حتى ترفع الحاجات ...

لفظ الوساطة ... هو الموافق لما جاء في القرآن في أول سورة الزمر حيث قال جل وعلا ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر:3]، قال العلماء قوله (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا) هذا حصر قلب إضافي -معلوم في علم المعاني في علم البلاغة- يعني ما نعبدهم لعلة من العلل أبدا فيهم وأنهم متصفون بأشياء من صفات الإله أبدا، لكن نعبدهم ليقربونا إلى زلفى فقط، وهذا يستفاد من قوله (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) فهو حصر قلب إضافي؛ يعني ما نعبدهم لعلة من العلل إلا لأجل التقريب، فليس لهم شيء وليس من صفاتهم أنهم يرزقون وأنهم يحيون أو أنهم يميتون أو أنهم يفيضون الخير، وإنما لأجل التقرب، وهذا هو معنى اتخاذ أولئك شفعاء عند الله جل وعلا.

فإذن حصرت المسألة في أن اعتقاد المشركين في أوثانهم وفي أصنافهم وفي أصنامهم من جهة الأرواح الشيطانية، ومن جهة التوجه لها لأجل أن ترفع الحاجات إلى الله جل وعلا، فما كانوا يطلبون منها استقلالا، فالتشفع كان هو ديدنهم، فطلب الشفاعة كان هو ديدنهم كان هو بغيتهم، كان كل واحد عنده في بيته وثن أو صنم يزعم أنه إذا توجه له بالعبادة حلّ روح صاحب هذه الصورة فيها فقبَل الطلب ورفعه إلى مكانه في الملأ الأعلى، يعني أن فائدة الصورة، وجود الصورة في البيت أنها تحل فيها الروح روح صاحب هذه الصورة فتقبل الطلب، وليست هي عندهم أصنام محضة؛ لأنهم أعقل من أن يعبدوا حجرا محضا؛ لكن هم عبدوا حجرا معه الروح فصار أيضا ذلك قدح، صار ذلك أيضا قدح في عقلهم من جهة أنهم توجهوا إلى خشب أو إلى تمر أو إلى حجر، إلى آخره زعما بأنّ الروح تحل فيهم فهو قدح في عقلهم لكن أخص من

أن يعتقدوا في صنم مجرد يعني في حجر مجرد ليس فيه حلول الروح لتُناجَى ويطلب منها التوسط [1]

20/ جهل طائفة ممن ظنّ أن تعبد المتعبد وصلاته وصيامه وزكاته يمنع من الحكم عليه بالشرك :

يقولون نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده ... في ألسنتهم ذكر الله جل وعلا، وعندهم صدقة وتعبد، لكن يريدون بذلك التقرب إلى الله ، من هذا تعلم جهل طائفة ممن ظنّ أن تعبد المتعبد وصلاته وصيامه وزكاته يمنع من الحكم عليه بالشرك؛ لأنّ أولئك كانوا على دين إبراهيم، يعني لأن المشركين في زمن النبي عليه الصلاة والسلام كانوا على دين إبراهيم، وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال "إنما بعثت لأتمم محاسن الأخلاق" هم كانوا على خلق، كانوا على حسن في التعامل وكانوا وكانوا، ولكن لم يكونوا موحدين، فإذن العبرة كل العبرة في التوحيد، وليست في أنهم يحجون أو لا يحجون، يعتمرون أو لا يعتمرون، يتصدقون أو لا يتصدقون، في ألسنتهم ذكر الله أو ليس في ألسنتهم ذكر الله، ليس هذا هو البرهان، لهذا في بعض هذا الزمن تجد أنه لما فشى الجهل بالتوحيد، تجد أن كثيرين إذا وجدوا ومن يتكلم وفي لسانه ذكر الله جل وعلا، أو أنه يقول الحمد لله أو يقول الله أكبر أو يقول ما شاء الله، أو يذكر الله بلسانه أو يتصدق أو يحضر المسجد أو يقرأ القرآن يزعمون أنه مسلم ولو عبد غير الله جل وعلا، وهذا ليس هو المقصود، وإنما هذه الشرائع جاءت بعد التوحيد، فإذا كان التوحيد لم يقم في قلب صاحبه ، فلا تقبل هذه الشرائع. [2]

---

[1] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 58

[2] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 59

21/ التوسّع في معرفة أديان العرب في الجاهلية يتضح به قيمة التوحيد :

يتعين على طالب العلم أن يتوسّع في معرفة أديان العرب في الجاهلية،كيف كانت؟ لأن هذا من العلم المهم الذي به يتضح قيمة التوحيد، تنظر في تفاسير المفسرين حين يتكلمون عن أحوال العرب وشرك المشركين ونحو ذلك، يتعرضون لأحوال العرب، كذلك في الكتب التي ذكرنا، في كتب الحديث إذا مرت مثل الأحوال التي ذكرنا، منهم من يصلي، ومنهم من يتصدق، أظن في حديث أيضا الذي رواه مسلم أظنه عن أبي ذر أنه كان في الجاهلية قبل أن يبعث النبي عليه الصلاة والسلام هكذا لفظه "كنتُ أصلي ثلاث سنين قبل بعثة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –" فهذه المسائل تقعيدية حتى إذا جاءت شبه المشبهة فيما سيأتي يكون عند طالب العلم فرقان، يكون عنده فرقان بيّن بها تميزت به بعثة النبي عليه الصلاة والسلام ودينُه عن دين المشركين الذين بعث إليهم وقاتلهم وكفَّرهم ولم يقبل منهم صرفا ولا عدلا، فتوسَّع في ذلك وانظر فيه فإنه تقعيد تنتفع به في رد كثير من الشبه التي يشبه بها أعداء التوحيد. [1]

22/ سبب شرك المشركين بالملائكة :

سبب شرك المشركين بالملائكة هو التعلق بالأرواح الطاهرة، الملائكة أرواح طاهرة بالاتفاق، وذلك عند الأمم جميعا، فجعلوا تلك الأرواح الطاهرة وسيلتهم إلى الله جل جلاله والله جل وعلا بين أن حقيقة عبادة الملائكة إنما هي عبادة للجن لأنهم لما تعلقوا بالملائكة واستغاثوا بها ليست للملائكة في الحقيقة وإنما هي للجن؛ لأن الجن هي التي أضلتهم بذلك كما ذكر في سورة سبإ في الآية التي ذكرتها لكم قوله جل وعلا ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ(40)قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾[سبإ:40-41]، يعني ننزهك عن جميع ما لا يليق بجلالك وعظمتك، ننزهك عن أن نعبد معك ونعظمك جل وعلا بما أنت أهله ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا

---

[1] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 60

مِنْ دُونِهِمْ ؟[سبإ:41] تبرؤوا من أولئك ثم قالت الملائكة ؟بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ؟[سبإ:41] (بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ) هذه هي الحقيقة، وإذا نظرت في حال الذين تعلقوا بالصالحين أو تعلقوا بالموتى، فإنهم لهم شبه من جنس شبه المشركين في عبادتهم للملائكة وعبادتهم للاتّ أو لودّ وسواع إلى آخر أوثانهم، وذلك أنهم يخاطبون ذلك الميت فإذا خاطبوه ظهر لهم إما في سورة أو سمعوا صوته الذي يعلمونه، فإذا سمعوا صوته ظنوا أن هذا هو غوث ذلك الآدمي، أو ظنوا أن المخاطِب لهم الملائكة، أو المجيب لهم الملائكة، فعظم تعلقهم بتلك الأرواح، وفي الحقيقة إنما كان ذلك من جهة الجن؛ لأنّ شياطين الجن تعهد أبوهم إبليس بأن يُضِلَّ ذرية آدم إلا القليل، قال جل وعلا مخبرا عن قول إبليس ؟لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً ؟[الإسراء:62]، وقال جل وعلا ؟إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ؟(1) فاستثنى أهل الإخلاص الذين خَلَصوا من الشرك، فأخلصوا عملهم لله جل وعلا.

فإذن حقيقة الشرك متماثلة، ليس ثَم فرق بين الشرك في الملائكة والشرك بالأموات والشرك بروحانية الكواكب، الحقيقة واحدة وهي أنه تعلقٌ من بني آدم بأرواح غائبة، وهذه الأرواح الغائبة عظُمت الشبهة بها لَمَّا كلمتهم، والشياطين؛ الجن لهم القدرة على التكليم، وعلى أن يتشبهوا بصورة ابن آدم، كما جاء إبليس للمشركين في سورة رجل نجدي، ويسمع الآدمي صوتا يظنه صوت آدمي وهو صوت جني؛ يقلد صوت الآدمي، ومعلوم أنّ مثل هذه الغائبات إذا تعلق بها المرء وقع في إضلال نفسه؛ لأنه تعلّق بشيء ما يدري ما حقيقته، والمعلوم المتقرر عند أهل الشرائع جميعا وعند أهل العقول الصالحة؛ العقول السليمة أنّ الميت لا تخاطب روحه روح الآدمي، حتى في هذا العصر فيما يسمونه تحضير الأرواح في أرواح الموتى ونحو ذلك هذا إنما من جهة شياطين الجن يخدمون ذلك الساحر المحضر للأرواح، فإذا خدموه بعد خدمته لهم وتعبده لهم، فإنهم يتشكلون له بالصورة التي يريد ويسمعونه الصوت الذي يريد، ومعلوم أن

أعمار الجن أطول من أعمار الإنس كثيرا بل الموت فيهم بالنسبة لابن آدم قليل، لهذا قال جماعة من الجن لأحد العرب وسمع صوتهم قالوا له:

لقد فُضِّلْتُم بالأكل فينا ولكن ذاك يعقبكم سقاما

يعني أن حقيقة الآدمي غير حقيقة الجني، الجني خُلق من نار وابن آدم خلق مما وصف لكم، فالجني له مقدرة، فالتعلق بالملائكة، التعلق بالصالحين، التعلق بالموتى، كان بعد أشياء سمعوها، كان بعد أشياء أجيبت لهم، فاستغاثوا بالميت فأغاثهم، استغاثوا بالملائكة فأغاثتهم فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا، وكان في الحقيقة أن الذي أعطاهم الجن، وأن الذي يسّر لهم ذلك أو أغاثهم إنما هم الجن، وذلك ليوقعوا الشرك والبلاء العظيم فيهم بعد إذن الله جل جلاله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في أكثر من موضع في كتبه: إن الشياطين شياطين الجن تتشكل بصورة الآدمي، يقول حتى إنها تتشكل بصور الأحياء والأموات، ومرة وقع بعض أصحابي في شدة؛ طائفة من تلامذة ابن تيمية يقول وقعوا في شدة فكانوا بعيدين عني، قال فظهرت لهم فيها قالوا فاستغاثوا بي، فلما أتوني وأخبروني الخبر قالوا استغثنا بك فأغثتنا فقال إني لم أبرح مكاني، ذاك شيطان تمثل في صورتي.

وهذا يحصل أيضا عند كثيرين حيث يزعمون أن فلانا رئي في دمشق، أو رئي في مصر، أو رئي في بغداد، أو رئي في المدينة وفي الوقت نفسه رئي حاجا في مكة ورئي معتمرا، ومن المعلوم القطعي عند أهل العقول الصحيحة أنّ الجسم الواحد لا يكون في مكانين متباعدين في الزمن نفسه، ومن قال إنه رآهم هنا ورآهم هنا فهو صادق؛ رآهم في المدينة ورآهم في مكة في الوقت نفسه، يقول رأيناه حاجا، وهل البلد الفلاني يقولون يوم عرفة رأيناه عندنا، فيكون هؤلاء صادقون وهؤلاء صادقون ولكن جاء الاشتباه من جهة تمثل الجني بالإنسي، فمن أخبر بالرؤية

فهو صادق، ولكن لا يمكن أن يكون ابن آدم في مكانين متباعدين في وقت واحد، ولكن الجني تمثل بصورته ليضل الناس.

إذن فهذا الباب باب الشرك يدخل منه شياطين الجن الذين قال إمامهم ومقدَّمهم لله جل وعلا ؟لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً؟[الإسراء:62]، فالجن أعني شياطين الجن مهمتهم أن يقع بهم الابتلاء في هذا الأمر، وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال"قال الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم" .[1]

23/ محض حق الله يرجع إلى المسألتين :

الأولى: التقرب.

والثانية: الاعتقاد.

لأن هناك من يعتقد ولا يتقرب، وهناك من يتقرب ويعتقد، فكل المسألتين محض حق الله جل جلاله، فنفهم من هذا أن من اعتقد الشرك ولم يفعله فإنه مشرك كالذي فعله؛ لأن الاعتقاد لا بد أن يكون –الاعتقاد بأن هذه الروح تنفع أو تضر أو أن أحدا يغيث فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا– هذا يجب أن يكون في الله جل وعلا لا يعتقد في أحد أنه يملك من الأمر شيئا، ولا أنه يملك الشفاعة كما قال جل وعلا ؟قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا؟[الزمر:44]، الذي يشفع الشفاعة مِلك لله جل وعلا هو الذي يتكرم بها وهو الذي ينيلها من يرضى عنه جل وعلا.[2]

24/ عبادة الأوثان من بعض هذه الأمة[3] :

قال تعالى : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}[1]

---

[1] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 65

[2] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 73

[3] "الأوثان": جمع وثن، وهو: كل ما عبد من دون الله. (القول المفيد 1/455)

فوائد من الآية :

- الآية دلَّت على أنّ بعض أهل الكتاب يُشركون ...

- الآية دلَّت على أنّ العلم لا يَعصِم الإنسان من الوقوع في الشرك ...

- هؤلاء اليهود قد بُعِثَ لهم موسى عليه السلام، وقد بيَّن لهم غاية البيان؛ ومع ذلك أشركوا بعده. فكذلك بعثة النبي صلى الله عليه وسلم...

فدلَّت هذه الآية ... على أنّ من أمّة محمد صلى الله عليه وسلم مَن سيقع في الشرك والعياذ بالله. [2]

وعن أبي سعيد (رضي الله عنه) ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لتتبعن سنن من كان قبلكم [3] حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ [1] قال: فمن؟ " أخرجاه [2]

---

[1] ... قوله تعالى: "ألم تر": الاستفهام هنا للتقرير والتعجيب، والرؤية بصرية بدليل أنها عديت بإلى ... والخطاب إما للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصح توجيه الخطاب إليه؛ أي: ألم تر أيها المخاطب؟

قوله: {إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا}... ليس عندهم العلم الكامل بما في الكتاب...

قوله: {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} أي: يصدقون بهما، ويقرونهما لا ينكرونهما، فإذا أقر الإنسان هذه الأوثان؛ فقد آمن بها. والجبت: قيل: السحر، وقيل: هو الصنم، والأصح: أنه عام لكل صنم أو سحر أو كهانة أو ما أشبه ذلك... (القول المفيد 455/1)

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] ... الكلام مؤكد بثلاثة مؤكدات: القسم المقدر، واللام، والنون، والتقدير: والله لتتبعن.

قوله: "سنن من كان قبلكم ": فيها روايتان: "سَنَنَ" و "سُنَنَ". أما "سنن" ؛ بضم السين: جمع سنة، وهي الطريقة. وأما "سنن"، بالفتح: فهي مفرد بمعنى الطريق...

وقوله: "من كان قبلكم": أي: من الأمم.

- كلما طال العهد بين الإنسان وبين الرسالة ؛ فإنه يكون أبعد من الحق ... ويشهد لذلك ما جاء في "البخاري" من حديث أنس ضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يأتي عليكم زمان إلا وما بعده أشر منه، حتى تلقوا ربكم "... لكن يجب أن نعرف الفرق بين الجملة والأفراد [3]

- الصحابة ... لا أحد يساويهم في فضل الصحبة، حتى أفرادهم لا يمكن لأحد من التابعين أن يساويهم فيها مهما بلغ من الفضل؛ لأنه لم يدرك الصحبة ... [4]

قوله: "لتتبعن سنن من كان قبلكم" ليس على ظاهره، بل هو عام مخصوص...لأن في هذه الأمة من لا يتبع تلك السنن كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق (القول المفيد 463/1)

- لا تكاد تجد معصية في هذه الأمة إلا وجدت لها أصلا في الأمم السابقة. ولا تجد معصية في الأمم السابقة إلا وجدت لها وارثا في هذه الأمة. (القول المفيد 467/1)

- مناسبة الحديث للباب ... لما عبدت الأمم السابقة الأصنام والأوثان، فسيكون في هذه الأمة من يعبد الأصنام والأوثان. (القول المفيد 467/1)

[1] قوله: " حذو القذة بالقذة": حذو بمعنى: محاذيا ... والقذة: هي ريشة السهم ...

قوله: " حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ": ... جحر الضب من أصغر الجحور، ولو دخلوا جحر أسد من باب أولى أن ندخله؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك على سبيل المبالغة ... (القول المفيد 467/1)

❋ قال الشيخ سليمان الرحيلي في شرحه لكتاب التوحيد

وجحر الضب يَتَّصف بصفتين:

الصفة الأولى: أنه ضيِّق.

الصفة الثانية: كثير التعرُّج.

والمقصود أنه لو كان اتِّباعهم صعبًا جدًّا لاتَّبعتموهم

[2] أي: فمن أعني غير هؤلاء، أو فمن هم غير هؤلاء؟ (القول المفيد 468/1)

[3] القول المفيد 469/1

[4] القول المفيد 470/1

ولمسلم عن ثوبان (رضي الله عنه) ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم ... ". " وإن ربي قال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاء؛ فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا "

ورواه البرقاني في "صحيحه"، وزاد: " وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، [1] وإذا وقع عليهم السيف؛ لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين [2] وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا

---

[1] ... "الأئمة المضلين": ... يشمل الحكام الفاسدين، والعلماء المضلين (القول المفيد 1/478)

[2] قوله : "وإذا وقع عليهم السيف ... " إلخ: هذا من آيات النبي صلى الله عليه وسلم وهذا حق واقع؛ فإنه لما وقع السيف في هذه الأمة لم يرفع، فما زال بينهم القتال منذ قتل الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه وصارت الأمة يقتل بعضهم بعضا ويسبي بعضها بعضا.

قوله: " ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ": الحي: بمعنى القبيلة. وهل المراد باللحوق هنا اللحوق البدني، بمعنى أنه يذهب هذا الحي إلى المشركين ويدخلون فيهم، أو اللحوق الحكمي، بمعنى أن يعملوا بعمل المشركين، أو الأمران معا؟ الظاهر أن المراد جميع ذلك.

وأما الحي؛ فالظاهر أن المراد به الجنس، وليس واحد الأحياء، وإن قيل: إن المراد واحد الأحياء؛ فلا بد أن يكون لهذا الحي أثره وقيمته في الأمة الإسلامية، بحيث يتبين ويظهر، وربما يكون لهذا الحي إمام يزيغ - والعياذ بالله - ويفسد؛ فيتبعه كل الحي، ويتبين ويظهر أمره. (القول المفيد 1/478)

خاتم النبيين، [1] لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم [2] حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى " [3]

- حديث جابر –رضي الله عنه– قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إنّ الشيطان قد أَيِسَ أن يَعبده المصلُّون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم) رواه مسلم

... هذا الحديث لا يدلّ على أنّ الشرك لا يقع في أمّة محمد صلى الله عليه وسلم، فالجواب على هذا الحديث من وجوه:

الوجه الأوّل: ... يأْسُ إبليس لا يَلزم منه الوقوع؛ لأنه لا يعلم الغيب ...

---

[1] قوله: " وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان ": الفئام؛ أي: الجماعات، وهذا وقع؛ ففي كل جهة من جهات المسلمين من يعبدون القبور ... وفئام؛ أي: ليسوا أحياء؛ فقد يكون بعضهم من قبيلة، والبعض الآخر من قبيلة؛ فيجتمعون. (القول المفيد 479/1)

- عيسى بن مريم ... كونه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام؛ فليس تشريعا جديدا ينسخ قبول الجزية، بل هو تشريع من محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر به مقررا له. (القول المفيد 480/1)

[2] قوله: " ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة ": المعنى: أنهم يبقون إلى آخر وجودهم منصورين. هذا من نعمة الله ... والطائفة: الجماعة (القول المفيد 478/1)

[3] قوله: "حتى يأتي أمر الله" : أي: الكوني، وذلك عند قيام الساعة ... بأن تقبض نفس كل مؤمن، حتى لا يبقى إلا شرار الخلق؛ فعليهم تقوم الساعة.

الشاهد من هذا الحديث: قوله في رواية البرقاني: "حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ويعبد فئام من أمتي الأوثان ". (القول المفيد 481/1)

- قال بعض السلف: إن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث .... وأهل الحديث هم: كل من يتحرى العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشمل الفقهاء الذين يتحرون العمل بالسنة، وإن لم يكونوا من أهل الحديث اصطلاحا (القول المفيد 481/1)

وهنا فائدة عظيمة: وهي أنّ نجاة الناس إنما هي في قوة التوحيد وفي قوة تمسكهم بالدين؛ لأنّ إبليس لمّا رأى قوة توحيد الصحابة وصلابتهم في دينهم يئِس من أن يُعبَد ...

الوجه الثاني: أنّ المقصود بالحديث: أنّ الشرك لا يَقع من جميع الأمّة ... فيكون المقصود بالمصلِّين: جميع المصلِّين.

الوجه الثالث: أنّ (ال) هنا للعهد؛ والمقصود بهم: الصحابة؛ لأنّ المعهودِين في ذلك الزمان النبي صلى الله عليه وسلم له أمّتان:

- أمّة الدعوة: وهم كل مَن وُجِدَ بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم من الإنس والجن.
- وأمة الإجابة: وهم مَن استجابوا للنبي صلى الله عليه وسلم، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله. [1]

25/ صحة قول بعض الناس إن تصحيح الألفاظ غير مهم مع سلامة القلب :

إن أراد بتصحيح الألفاظ إجراءها على اللغة العربية، فهذا صحيح، فإنه لا يهم -من جهة سلامة العقيدة- أن تكون الألفاظ غير جارية على اللغة العربية، ما دام المعنى مفهوما وسليما.

أما إذا أراد بتصحيح الألفاظ ترك الألفاظ التي تدل على الكفر والشرك، فكلامه غير صحيح، بل تصحيحها مهم، ولا يمكن أن نقول للإنسان: أطلق لسانك في قول كل شيء ما دامت النية صحيحة، بل نقول: الكلمات مقيدة بما جاءت به الشريعة الإسلامية. [2]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 3/67

المبحث الثامن : الكفر

1/ تعريفه :

الكفر في اللغة: التغطية والستر

والكفر شرعًا: ضد الإيمان، فإنَّ الكُفرَ: عدم الإيمان بالله ورسله، سواءً كان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب، بل مجرد شك وريب أو إعراض أو حسد، أو كبر أو اتباع لبعض الأهواء الصادة عن اتباع الرسالة. وإن كان المكذب أعظم كفرًا، وكذلك الجاحدُ والمكذِّب حسدًا؛ مع استيقان صدق الرسل.[1]

2/ الفرق بين المشرك والكافر :

الكافِرُ أعم من المُشْرِكِ؛ لأنَّ المُشْرِكَ كُفْره خاص، وهُو اتخاذ النَّدَ اللهِ عَزَوَجَلَّ [2]

3/ أنواع الكفر :

الكفر نوعان :

النوع الأول: كفر أكبر يخرج من الملة، وهو خمسة أقسام:

القسم الأول: كُفرُ التَّكذيب، والدَّليلُ: قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ} [العنكبوت: 68] .

القسم الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 34] .

القسم الثالث: كفرُ الشّكِّ، وهو كفر الظّنّ، والدليل قوله تعالى: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 81

[2] شرح التدمرية للعلامة ابن عثيمين 72

مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا} [الكهف: 35- 38] . [1]

القسم الرابع: كفرُ الإعراضِ : كفرُ الإعراضِ معناه : أن يعرض عن الدين بالكلية، لا يتعلّمه ولا يعمل به، أو يعرض عن النبي صلى الله عليه وسلم بالكلية، فيقول: لا أصدقه ولا أكذبه، ولا يسمع خبره، ويعرض عنه بالكلية. فيعرض بسمعه وقلبه ... وكذلك من كفر الإعراض: الإعراض عن التوحيد -لا يتعلّمه ولا يعمل به، فلا يقبله، ولا يقبل عليه، ولا يسمع الأدلة على التوحيد من الكتاب والسنة، يأبى هذا ويعرض، ولا يتعلم الشرك، ولا سيما إذا كان واقعاً فيه، بل يعرض عن هذا، فهذا كله من كفر الإعراض.

- أما إذا أعرض عن بعض الدين بعد ثبوت أصله، فأعرض عن تعلم بعض الأحكام، لم يتعلمها ولم يعمل بها، من غير إنكار لما هو معلوم، فهذا معصية، وليس كفراً يخرجه من ملة الإسلام. فهذا يجب التنبه إليه، هذا الناقض ليس في كل إعراض

- الدليل على أن هذا كفر ... قول الله عزوجل : {ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه، ثم أعرض عنها إنّا من المجرمين منتقمون } [السجدة:٢٢]، لا أظلم، فهو في غاية الظلم، والذي في غاية الظلم: هو الكافر المشرك بالله عزوجل، {إن الشرك لظلم عظيم } [لقمان:13] [2]

القسم الخامس: كفرُ النّفاقِ، والدليلُ قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} [المنافقين: 3]

النوع الثاني: كفرٌ أصغرُ لا يُخرِجُ من الملة، وهو الكفرُ العملي، وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كُفرًا، وهي لا تصلُ إلى حدِّ الكفر الأكبر، مثل كفر النعمة المذكور في قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 81

[2] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ} [النحل: 112] ومثلُ قتال المسلم المذكور في قوله – صلى الله عليه وسلم –: ﴿سباب المسلمِ فُسوقٌ، وقتالُه كفر﴾[1] . وفي قوله – صلى الله عليه وسلم –: ﴿لا تَرجعوا بعدي كُفَّارًا يضربُ بعضكم رقابَ بعض﴾ . ومثل الحلف بغير الله، قال – صلى الله عليه وسلم –: ﴿من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك﴾.[2]

فقد جعل الله مُرتكِبَ الكبيرة مُؤمنًا، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى} [البقرة: 178] .

فلم يُخرج القاتلَ من الذين آمنوا، وجعله أخًا لولي القصاص فقال: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: 178] والمرادُ: أخوة الدين، بلا ريب.

وقال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات: 9] إلى قوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [الحجرات: 10] . انتهى من شرح الطحاوية باختصار.[3]

4/ الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر:

1- أنَّ الكفر الأكبر يُخرِجُ من الملة، ويحبط الأعمال، والكُفر الأصغر لا يخرج من الملة ولا يحبط الأعمال، لكن ينقصُها بحسبه، ويعرِّضُ صاحبَها للوعيد.

2- أنَّ الكفرَ الأكبرَ يُخلد صاحبه في النار، والكفر الأصغر إذا دخل صاحبه النار فإنه لا يخلد فيها؛ وقد يتوب الله على صاحبه، فلا يدخله النار أصلاً.

3- أنَّ الكفرَ الأكبرَ يُبيح الدم والمال، والكفر الأصغر لا يُبيحُ الدم والمال.

4- أن الكفر الأكبر يُوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين

---

[1] صحيح البخاري (48)

[2] السلسلة الصحيحة (2042)

[3] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 82

محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب، وأما الكفر الأصغر فإنهُ لا يمنع الموالاة مطلقًا، بل صاحبه يُحَبُّ ويُوالى بقدر ما فيه من الإيمان، ويبغض ويُعادى بقدر ما فيه من العصيان. [1]

5/ التفريق بين وصف الفعل أو القول بكونه كفر ووصف الفاعل أو القائل بكونه كافرا (التكفير العيني) [2] :

الحكم بالتفكير والتفسيق ليس إلينا، بل هو إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فيجب التثبت فيه غاية التثبت، فلا يكفر ولا يفسق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه.

والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته، حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 84

[2] هذه المسألة مهمة جدا ... وهي مسألة التكفير والتفسيق التي فسدت بها الأمور ، فما خرج الخوارج إلا بتكفيرهم المسلمين واستحلال دمائهم ، وكذلك ما حصلت الدعاوي بين الناس إلا بتفسيق بعضهم بعضاً إذا خالفوا في أمر من الأمور. فهذا المسألة يجب على طالب العلم أن يعتني بها وأن يتقي الله (عز وجل) فيها ، فلا يقدم على تكفير أحد بدون بينة ، ولا يحجم عن تكفير أحد مع وجود البيئة ؛ لأن من الناس (أيضاً) من يتهاون في التكفير ولا يكفر من قامت الأدلة على تكفيره ، كمسألة ترك الصلاة (مثلاً) ، فإن بعض الناس يتهاون في هذا الأمر ، ولا يعطي النصوص حقها من التأويل والجمع بين أطرافها ، والنظر نظراً عميقا ، فتجده يستغرب أن يُقال لشخص يقول: أشهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله (ﷺ) ، ولكن لا يصلي يستغرب أن نقول عنه: إنه كافر ، فلا يكفره ، وهذا خطأ وإحجام وجبن ، فالواجب الإقدام في موضع الإقدام والإحجام في موضع الإحجام ، فلا نتهور فنطلق الكفر على من لم يكفره الله ورسوله ، ولا تتدهور فنمنع الكفر عمن كفره الله ورسوله. / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين353

الثاني: الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالما منه، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما"،[1] وفي رواية: "إن كان كما قال وإلا رجعت عليه"، وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه [2] ".[3]

ومعنى يعود إليه: أنه قد يُبتلى فيرتد عن الإسلام إلا أن يتوب ، وليس المعنى أن الإنسان إذا كفر أحدا كفر في الحال ؛ لأن هذا ليس بكفر ، فقول الرجل لمسلم: يا كافر هذا لا يخرجه من الإسلام ، ولكن قول الرسول (ﷺ) إلا عاد إليه أو حار عليه ﴾ ، معناه أنه يكون سببًا لأن يرتد عن الإسلام ، وليس معناه أنه بهذا التكفير صار كافرًا ، فالإنسان على خطر إذا كفر مسلما لم يكفره الله ورسوله أن يعود إليه هذا التكفير ، فيكفر هو في المستقبل.[4]

ومقتضى هذا الوصف أنه لو مات لا يحل لنا أن نصلي عليه ، ولا يحل لنا أن ندعو له بالرحمة ، ولو كان من أقاربنا الذين نرثهم لم يحل لنا ميراثه ، فهذا مقتضى إطلاق هذا الوصف عليه. فهذه المسألة خطيرة جدا [5]

وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين، بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه، وتنتفي الموانع.[1]

---

[1] صحيح مسلم (60)

[2] صحيح مسلم (61)

[3] القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 87

[4] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 354

[5] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 355

- وصف الفعل أو القول بكونه كفر حكم شرعي ينبني على الأدلة، أما وصف الفاعل أو القائل بكونه كافر : فتنزيل للحكم، ولا بد فيه من وجود المقتضي وانتفاء المانع، والخلط بين الأمرين غلط عظيم. [2]

- التكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع ... [3]

- الكفر العيني لابد أن يكون من أهله على أهله [4]

فائدة : اتفق العلماء على أن الأصل في من أتى بالشهادتين: الإسلام، وأن هذا هو اليقين في حقه، فمن علم أنه مسلم لا يجوز أن يرفع عنه حكم الإسلام إلا بيقين مثله، وإذا وقع الشك فإنه يرد إلى الأصل، ويدفع الشك، ويدرأ التكفير، ويعامل المسلم في الظاهر بمعاملة أهل الإسلام[5]

- ما يفعله بعضهم من أنه لا يصلي على من يقدم في مساجد المسلمين، ولا يصلي بزعمه إلا على من علم أنه مسلم: هذه طريقة بدعية . ومنها أيضا: ما ذهب إليه بعض المبتدعة في هذا الزمان، من تحريم ذبائح المسلمين إلا أن يعلم ويتيقن أنه مسلم ... يقول شيخ الإسلام ابن تيمية له مبيناً منهج أهل السنة والجماعة: (ليس لأحد أن يكفر أحداً من وإن أخطأ وغلط، حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة)... ويدل لذلك دلالة ظاهرة: حديث ... قال رسول الله : ﴿أقال لا إله إلا الله وقتلته؟﴾، قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفا من السلاح، فقال

---

[1] القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 87

[2] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

[3] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

[4] سليمان الرحيلي

[5] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

النبي : ﴿أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟﴾ فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ... لما لم يأت بناقض بعدها لامه النبي على قتله. [1]

6/ من شروط الحكم على المسلم المعين بالكفر :

1- أن يكون عالمًا بتحريم هذا الشيء المكفر : أن يكون عالما بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافرا أو فاسقا، لقوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً} وقوله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} . [2]

وهناك أدلة كثيرة أخرى منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نبعث سولا) [الإسراء: ١٥] ، وقوله (تعالى): لئلا يكون لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حَجَّةٌ بَعدَ الرسل [النساء: ١٦٥] ، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣١]. فلا يكفر ، ولا يفسق إلا من قامت عليه الحجة ، وأما من لم تقم عليه الحجة ؛ فإنه لا يكفر ولا يفسق. وأما من ليس على دين الإسلام كما يوجد في أقوام لم تبلغهم الدعوة ، لكنهم متبعون للبلد التي هم فيها في الكفر فهؤلاء لا نقول: إنهم مسلمون ، بل نقول هم كفار ، ونعاملهم معاملة الكافر ، وفي الآخرة حكمهم إلى الله (عز وجل).

أما من ينتسب إلى الإسلام ويعيش في بلاد الإسلام ، ولكنه يفعل ما يقتضي الكفر جهلاً منه ، فهذا نعامله معاملة المسلم ، وإن كان قد فعل ما يكفر به ؛ لأنه ينتسب إلى الإسلام وفَعَل ما يكفر جاهلا به ، أو فعل ما يفسق جاهلاً

---

[1] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 87

مثال ذلك: رجل عاش بين قوم يشربون الدخان ويحلقون اللحى ، ولم يسمع يوماً من الدهر أن الدخان حرام ، وأن حلق اللحية حرام ؛ فهذا لا نقول: أنه فاسق ؛ لأنه لم تقم عليه الحجة.

مثال آخر: رجل عاش بين قوم قبوريين يأتون إلى قبور الأولياء والصالحين ، ويسألونهم حاجتهم ولم يعلم هذا الرجل قط أن هذا محرم شرعا ، وأنه سفه عقلاً ؛ فهذا (أيضا) لا نحكم بكفره ؛ لأنه مسلم يعتقد أن ما يفعله جائز شرعاً. [1]

ولهذا قال أهل العلم: لا يكفر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يبين له. [2]

فتبين بهذا أن الكفار أو الذين يفعلون الكفر ينقسمون إلى قسمين :

القسم الأول: يفعل الكفر لا على أنه من دين الإسلام ، بل هو يعتقد أنه على دين النصارى أو غيرهم ، فهذا كافر ظاهراً وباطنا.

القسم الثاني يفعل ما يكفر معتقداً أنه ليس بكفر ، فهو ينتسب إلى الإسلام ظاهرا وباطنا ، لكنه يظن أن هذا الفعل لا يخرجه من دائرة الإسلام فهذا لا يكفر. مثال ذلك: رجل لا يصلي في بلاد كل علمائها يقولون: إن تارك الصلاة لا يكفر ، ولم يخطر على بال هذا الرجل أن تارك الصلاة يكفر ، فهذا لا نقول: إنه كافر ؛ لأنه لم تقم عليه الحجة. [3]

بقي أن يقال إذا علم الحكم وجهل العقوبة ، فهل هذا عذر ؟

الجواب: ليس هذا بعذر فإذا كان يعلم أنه كفر ، لكنه لا يعلم أنه إذا كفر لا يدفن في مقابر المسلمين ، وأنه يُخلد في النار ، وما أشبه ذلك ، فهذا ليس بعذر ، ولهذا لم يعذر النبي) الرجل الذي جامع زوجته في نهار رمضان وهو لا يدري هل عليه كفارة أم لا ، بل ألزمه بالكفارة). [4]

---

[1] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 364

[2] القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 87

[3] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 365

[4] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 365

ولكن هل يشترط أن يكون عالماً بما يترتب على مخالفته من كفر أو غيره أو يكفي أن يكون عالماً بالمخالفة وإن كان جاهلاً بما يترتب عليها؟

الجواب: الثاني؛ أي أن مجرد علمه بالمخالفة كاف في الحكم بما تقتضيه لأن النبي صلى الله عليه وسلم أوجب الكفارة على المجامع في نهار رمضان لعمله بالمخالفة مع جهله بالكفارة؛ ولأن الزاني المحصن العالم بتحريم الزنا يرجم وإن كان جاهلاً بما يترتب على زناه، وربما لو كان عالماً ما زنا. [1]

فمن قال أو فعَلَ ما هو كُفْرٌ كَفَرَ بذلك وإن لم يقصد أن يكون كافرًا؛ إذ لا يقصِدُ الكفر أحد إلا ما شاء الله [2]

ومن تبين له الحق فأصر على مخالفته تبعاً لاعتقاد كان يعتقده أو متبوع كان يعظمه أو دنيا كان يؤثرها فإنه يستحق ما تقتضيه تلك المخالفة من كفر أو فسوق. [3]

لكن إذا قال: أنا لم يتبين لي الحق. فهل نحكم بكفره ؟ الجواب: أنه إذا عُرض الحق على الإنسان على وجه واضح ، لا إشكال فيه ، ولا غموض فإن دعواه أنه لم يتبين له الحق مكابرة ، وإلا لقلنا: إن الذين كذبوا الرسل ليسوا بكفار ؛ لأنهم يقولون: لم يتبين لنا الحق. أما لو كان الأمر محتملاً ، والمسألة غير واضحة فإنه تقبل دعواه أنه لم يتبين له الحق ، ولا نحكم بكفره.

فهذه مسألة مهمة وهي: أن بعض الناس قال: إنكم إذا قيدتم بكلمة ﴿ تبين)) فكل إنسان سوف يقول: أنا لم يتبين لي الحق.

---

[1] شرح كشف الشبهات للعلامة ابن عثيمين 42

[2] الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية 178

[3] القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 90

فنقول: هذا الكلام غير مقبول ، فإذا عرض الحق على الإنسان عرضا بينا واضحا ، فإن إنكاره أنه تبين له مكابرة لا تقبل ، ولهذا قال الله (عز وجل) ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ﴾ [النساء: ١١٥] فإذا تبين الحق ، فلا مخالفة فإن خالف فقد شاق الله ورسوله. [1]

7/ حكم الهازل الذي قال أو فعل كفرا :

المقصود بالهازل: الذي يعرف المعي، ويقصد المعين، ولكنه يخرجه من حد الجد إلى حد الهزل، فهذا لا يعذر بهذا، بل يكفر -والعياذ بالله-. [2]

8/ موانع الحكم على المسلم المعّين بالكفر :

أولا : الجهل :

الجهل هو عدم العلم ... اتفق العلماء على أن من تحقق فيه الجهل، ولم يكن جهله دعوى، ولا عن إعراض، أنه يعذر، ولا يكفر، وليس بين أهل العلم خلاف في هذا الأصل، وقد قال الله جل : {وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا} [الإسراء:15]، فلا عذاب ولا مؤاخذة إلا بعد العلم، فإذا لم يعلم، ولم يكن عدم علمه عن إعراض، فإنه لا يعذب، ولا يؤاخذ. وأقول: إن هذا محل اتفاق بين أهل العلم، لأن حتى الذين يتشددون في مسألة العذر بالجهل يعذرون في بعض الصور، كمن نشأ في بادية بعيدة عن العلم، أو أسلم حديثا، فارتكب ناقضا، فإنه يعذر . لماذا؟ هل من أجل البادية؟ الجواب: لا. هل من أجل كونه مسلم حديث من هذه الجهة ؟ الجواب: لا. وإنما لأن جهله متحقق، وليس دعوى.

ولذلك نقول: إن ما يدور من خلاف إنما هو في تحقق الجهل، لا في ذات الجهل، فمن تحقق الجهل، ولم يكن عن إعراض، فإن العلماء يتفقون على العذر بالجهل...

---

[1] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 374

[2] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

والناظر في الأدلة، وفي كلام العلماء، يعلم أنه لا يكفر أحد حتى تبلغه الحجة الرسالية، على الوجه الذي يفهم به، مع زوال الشبهة. فلا بد من قيام حجة العلم والبيان، لا حجة الانقياد، الذي لا بد منه: حجة العلم والبيان، والذي عبر عنها شيخ الإسلام ابن تيمية بهذه الكلمة القوية المتينة: (الحجة الرسالية)، التي في الكتاب والسنة، على وجه يفهمها فلو قرئ القرآن على أعجمي -وهو لا يفهم معاني العربية - ما قامت عليه الحجة الرسالية، بل أقول: اليوم لو قرئ القرآن على عربي لا يكاد يفهم معاني القرآن، فلا بد أن تقوم على وجه يفهم به المراد، مع زوال الشبهة.

والمسائل في هذا الباب على نوعين : مسائل ظاهرة: لا يتصور فيها الجهل، أو يبعد فيها الجهل جدا، كمسألة سب الله، وعبادة أصحاب القبور، فهذه الأصل عدم الجهل بها، فإن ادعى مدع أنه جاهل تحققنا من أمره، و لم نقبل دعواه مجردة، فإذا تحقق عندنا أنه جاهل عذر ناه .

مثال ذلك: بعض المسلمين - نعم - يتقربون إلى أصحاب القبور، ويدعون غير الله، ولكنهم لا يعلمون إلا أن هذا هو الدين، ويجهلون أنه شرك، بل إن علماءهم الذين يعلمونهم يقولون لهم: من لم يعتقد هذا، ويعمل هذا، فهو من أكفر أهل الأرض. وقد ذكرت مرارا أني التقيت بسائق سيارة في دولة من الدول، فقال: يا شيخ، والله إني قضيت سنين وأنا أتقرب إلى الأولياء، وأدعو غير الله، وعقلي غير مرتاح، لكن الشيوخ يقولون: هذا الإسلام، فكنت أجبر نفسي على أن أصدق، حتى جاءنا العلم من طلاب الجامعة الإسلامية، وعلمونا التوحيد، فعرفت التوحيد، وتبرأت من الشرك وأهله. فهذا كان جاهلا، ولا شك أن مثل هذا معذور.

كذلك من علمنا من حال بلاده الجهل بالتوحيد، والعلم بالشرك، فإنا نعلم أنه إن ادعى الجهل فهو صادق، فيعذر.

أما الدعوى المجردة في هذه المسائل الظاهرة فلا تقبل، لأن الأصل يدفع هذه الدعوى ويأباها.

وأما المسائل التي قد تخفى: فهذه الأصل الجهل بها، فمن ادعى الجهل بها صدقناه، وعلمناه، وبينا له .

وهذا التقسيم – أعني المسائل الظاهرة والمسائل التي قد تخفى– من جهة أنواعه يختلف من بلد إلى بلد، فقد تكون المسألة عندنا هنا ظاهرة، لكنها في بلد ما خفية تخفى، فيجب على طالب العلم عند الحكم إن احتاج إليه أن يكون فقيها، ينبغي لطالب العلم أن يكون فقيها في النظر في أنواع المسائل، وألا ينقل ما في بلد إلى بلد آخر، وهذا من الأهمية بمكان ... [1]

– الجهل بالمكفر على نوعين :

الأول: أن يكون من شخص يدين بغير الإسلام أو لا يدين بشيء ولم يكن يخطر بباله أن ديناً يخالف ما هو عليه الصلاة والسلام فهذا تجري عليه الصلاة والسلام أحكام الظاهر في الدنيا، وأما في الآخرة فأمره إلى الله – عز وجل –تعالى– والقول الراجح أنه يمتحن في الآخرة بما يشاء الله – عز وجل –والله أعلم بما كانوا عاملين، لكننا نعلم أنه لن يدخل النار إلا بذنب لقوله– تعالى–: (ولا يظلم ربك أحداً). {سورة الكهف، الآية: 49} .

وإنما قلنا تجرى عليه الصلاة والسلام أحكام الظاهر في الدنيا وهي أحكام الكفر؛ لأنه لا يدين بالإسلام فلا يمكن أن يعطي حكمه، وإنما قلنا بأن الراجح أنه يمتحن في الآخرة لأنه جاء في ذلك آثار كثيرة ذكرها ابن القيم –رحمه الله تعالى– في كتابه "طريق الهجرتين" عند كلامه على المذهب الثامن في أطفال المشركين تحت الكلام على الطبقة الرابعة عشرة .

النوع الثاني: أن يكون من شخص يدين بالإسلام ولكنه عاش على هذا المكفر ولم يكن يخطر بباله أنه مخالف للإسلام، ولا نبهه أحد على ذلك فهذا تجري عليه الصلاة والسلام أحكام

---

[1] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

الإسلام ظاهراً، أما في الآخرة فأمره إلى الله – عز وجل –وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وأقوال أهل العلم :

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) {الإسراء، الآية: 15}

وقوله: (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) {القصص،، الآية 59} ... إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الحجة لا تقوم إلا بعد العلم والبيان .

وأما السنة: ففي صحيح مسلم 1/134 عن أبي هريرة–رضي الله عنه–أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة–يعني أمة الدعوة–يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" .

وأما كلام أهل العلم: فقال في المغني 8/131 " فإن كان ممن لا يعرف الوجوب كحديث الإسلام، بغير دار الإسلام، أو بادية بعيدة عن الأمصار وأهل العلم لم يحكم بكفره" .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي 3/229 مجموع ابن قاسم: "إني دائماً–ومن جالسني يعلم ذلك مني–من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وأني أقرر أن الله–تعالى–قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا بمعصية–إلى أن قال–وكنت أبين أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين–إلى أن قال–والتكفير هو من الوعيد فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لكن الرجل قد يكون حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك

النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً" أ. هـ.

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب 56/1 من الدرر السنية: "وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول، ثم بعدما عرفه سبه، ونهى الناس عنه، وعادى من فعله فهذا هو الذي أكفره".

وفي ص66 "وأما الكذب والبهتان فقولهم إنا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر والصنم الذي على أحمد البدوي وأمثالهم لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاتل" ا. هـ.

إذا كان هذا مقتضى نصوص الكتاب، والسنة، وكلام أهل العلم فهو مقتضى حكمة الله تعالى، ولطفه ورأفته، فلن يعذب أحداً حتى يعذر إليه، ولطفه ورأفته، فلن يعذب أحداً حتى يعذر إليه، والعقول لا تستقل بمعرفة ما يجب لله تعالى من الحقوق، ولو كانت تستقل بذلك لم تتوقف الحجة على إرسال الرسل. [1]

الجهل نوعان : (تقسيم آخر) جهل يعذر فيه الإنسان، وجهل لا يعذر فيه.

فما كان ناشئا عن تفريط وإهمال مع قيام المقتضي للتعلم؛ فإنه لا يعذر فيه، سواء في الكفر أو في المعاصي. وما كان ناشئا عن خلاف ذلك، أي أنه لم يهمل ولم يفرط ولم يقم المقتضي للتعلم بأن كان لم يطرأ على باله أن هذا الشيء حرام؛ فإنه يعذر فيه، فإن كان منتسبا إلى الإسلام؛ لم يضره، وإن كان منتسبا إلى الكفر؛ فهو كافر في الدنيا، لكن في الآخرة أمره إلى الله على القول الراجح،

---

[1] شرح كشف الشبهات للعلامة ابن عثيمين 37

يمتحن؛ فإن أطاع دخل الجنة، وإن عصى دخل النار. فعلى هذا من نشأ ببادية بعيدة ليس عنده علماء ولم يخطر بباله أن هذا الشيء حرام، أو أن هذا الشيء واجب؛ فهذا يعذر، وله أمثلة:

منها: رجل بلغ وهو صغير، وهو في بادية ليس عنده عالم، ولم يسمع عن العلم شيئا، ويظن أن الإنسان لا تجب عليه العبادات إلا إذا بلغ خمس عشرة سنة، فبقي بعد بلوغه حتى تم له خمس عشرة سنة وهو لا يصوم ولا يصلي ولا يتطهر من جنابة؛ فهذا لا نأمره بالقضاء؛ لأنه معذور بجهله الذي لم يفرط فيه بالتعلم ولم يطرأ له على بال ... وأما من كان بالعكس، كالساكن في المدن يستطيع أن يسأل، لكن عنده تهاون وغفلة؛ فهذا لا يعذر؛ لأن الغالب في المدن أن هذه الأحكام لا تخفى عليه، ويوجد فيها علماء يستطيع أن يسألهم بكل سهولة؛ فهو مفرط، فيلزمه القضاء ولا يعذر بالجهل. [1]

- الاختلاف في مسألة العذر بالجهل :

الاختلاف في مسألة العذر بالجهل كغيره من الاختلافات الفقهية الاجتهادية، وربما يكون اختلافاً لفظيا في بعض الأحيان من أجل تطبيق الحكم على الشخص المعين، أي أن الجميع يتفقون على أن هذا القول كفر، أو هذا الفعل كفر، أو هذا الترك كفر، ولكن هل يصدق الحكم على هذا الشخص المعين لقيام المقتضى في حقه وانتفاء المانع أو لا ينطبق لفوات بعض المقتضيات، أو وجود بعض الموانع. [2]

ثانيا : التأويل :

من الموانع أيضاً أن يكون شبهة تأويل في الكفر بحيث يظن أنه على حق، لأن هذا لم يتعمد الإثم والمخالفة فيكون داخلاً في قوله -تعالى-: (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) {سورة الأحزاب، الآية: 5} . ولأن هذا غاية جهده فيكون داخلاً في قوله -

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/173

[2] شرح كشف الشبهات للعلامة ابن عثيمين 37

تعالى-: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) {سورة البقرة، الآية: 286} . قال في المغني 131/8: " وإن استحل قتل المعصومين وأخذ أموالهم بغير شبهة ولا تأويل فكذلك - يعني يكون كافراً - وإن كان بتأويل كالخوارج فقد ذكرنا أن أكثر الفقهاء لم يحكموا بكفرهم مع أستحلالهم دماء المسلمين وأموالهم، وفعلهم ذلك متقربين به إلى الله تعالى" إلى أن قال "وقد عرف من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة ومن بعدهم وإستحلال دماءهم، وأموالهم، واعتقادهم التقرب بقتلهم إلى ربهم، ومع هذا لم يحكم الفقهاء بكفرهم لتأويلهم، وكذلك يخرج في كل محرم إستحل بتأويل مثل هذا". وفي فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 30/13 مجموع ابن قاسم: "وبدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه مالم يدل عليه الصلاة والسلام، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب" [1]

ثالثا : الإكراه :

ومن الموانع من التكفير أن يكره على المكفر لقوله تعالى -: (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) {سورة النحل، الآية: 106} . [2]

والإكراه يقع على الفعل والقول، ولكن لا يمكن أن يقع على القلب، ولذلك قال الله : {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان} [النحل:١٠٦] فلو أكره الإنسان إكراها متحققا - ليس موهوم، بأمر عظيم - كقتله، أو انتهاك عرضه، أو نحو هذا-، ولم يجد مخلصا من هذا إلا بأن يجيب، فأجاب، فقال كفر، أو فعل كفرا ، مع بغض قلبه لهذا القول والفعل، واطمئنان قلبه بالإيمان،

---

[1] شرح كشف الشبهات للعلامة ابن غثيمين 43

[2] شرح كشف الشبهات للعلامة ابن عثيمين 43

فهذا لا يكفر. ... كما وقع مع عمار رضي الله عنه من كفار قريش -، فسب الرسول الا مع بغضه لهذا، واطمئنان قلبه بالإيمان [1]

- ما العمل إذا أكره إنسان على الكفر؟

إذا أكره إنسان على الكفر ففي ذلك تفصيل:

أولًا: أن يوافق ظاهرًا وباطنًا فيكون بذلك كافرًا مرتدًا لقوله -تعالى -: {وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} . ثانيًا:أن يوافق ظاهرًا لا باطنًا ولكن يقصد التخلص من الإكراه فهذا لا يكفر لقوله -تعالى -: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} ثالثًا: أن لا يوافق لا ظاهرًا ولا باطنًا ويصبر على القتل فهذا جائز وهو من الصبر.

لكن هل الأولى أن يصبر أولا؟ فيه تفصيل:

أولًا: إذا كان الإكراه لا يترتب عليه ضرر في الدين للعامة فإن الأولى أن يوافق ظاهرًا لا باطنًا، لا سيما إذا كان بقاؤه فيه مصلحة للمسلمين كصاحب المال، أو العلم المنتفع بهما، وما أشبه ذلك، حتى وإن لم يكن فيه مصلحة ففي بقائه على الإسلام زيادة عمل صالح وهو خير، وقد رخص له بالكفر ظاهرًا.

ثانيًا: إذا كان في موافقته وعدم صبره ضرر على الدين فإنه يصبر، وقد يجب الصبر ولو قتل، لأنه من باب الصبر على الجهاد في سبيل الله ، وليس من باب إبقاء النفس، ولهذا لما شكا الصحابة للنبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما يجدونه من مضايقة المشركين ذكر لهم أنه كان فيمن قبلنا من يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه عن دينه.

---

[1] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

ولو حصل من الصحابة –رضي الله عنهم – في ذلك الوقت موافقة للمشركين وهم قلة لحصل بذلك ضرر عظيم على المسلمين.

والإمام أحمد – رحمه الله – أوذي وصبر حين أبى أن يقول: القرآن مخلوق ولو وافقهم ظاهرًا لحصل في ذلك مضرة على الإسلام. [1]

رابعا : الخطأ :

لقول الله عزوجل في دعاء المؤمنين المبارك: {ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا} [البقرة:٢١٢)، قال الله عزوجل : ﴿نعم﴾، كما أخبر بذلك النبي كما في الصحيح، وفي رواية قال الله : ﴿قد فعلت﴾. ولذلك: ذلك الرجل الذي كان ينتظر الموت لما فقد دابته، وعليها زاده وشرابه ومتاعه، واضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت، فوجد دابته عند رأسه، فقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك! ... قال النبي : ﴿أخطأ من شدة الفرح﴾.[2]

خامسا : الإغلاق :

ومن الموانع أن يغلق عليه فكره وقصده بحيث لا يدري ما يقول لشدة فرح، أو حزن، أو غضب، أو خوف ونحو ذلك، لقوله–تعالى–) وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمد قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً) { الأحزاب،: 5}[3]

سادسا : الذهول الذي يغلب العقل :

إذا فعل شيئا من المكفرات والنواقض ذاهلا مغلوبا على عقله ، فإنه لا يكفر بهذا، كذاك الرجل الذي أسرف على نفسه بكثرة الذنوب، فلما حضرته الوفاة قال لأبنائه: إن أنا مت فأحرقوني، ثم قوني – دقوا ما تبقى–، ثم تروني في الهواء، فوالله لئن قدر الله على ليعذبني عذاب ما عذبه

---

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 2/140

[2] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

[3] شرح كشف الشبهات للعلامة ابن غثيمين 43

أحدا من العالمين. كأنه ظن هنا أنه إذا أحرق، ودق، و ذر في الهواء، فتبعثر في الهواء، لا يقدر الله على جمعه وبعثه، وهذا لو اعتقده إنسان لكان كفر، فعبثه الله عزوجل، فسأله، فأخبر أن الذي دعاه إلى هذا خوفه من الله، أي أن خوفه اشتد به عند حضور الأجل حتى أذهله، فقال ما قال، فغفر الله له فأدخله الجنة. ولو كان هذا كفر مع ذهول العقل لما غفر له، { الله لا يغفر أن يشرك به} [النساء: 4]. [1]

9/ الواجب علينا نحو الكفار ثلاثة أمور :

الأمر الأول: عداوتهم؛ لأنهم أعداء لله سبحانه وتعالى، وأعداء لرسوله.

الأمر الثاني: دعوتهم إلى الإيمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا أمر واجب على المسلمين.

الأمر الثالث: جهادهم إذا دُعوا إلى الإسلام وأَبوا، فالواجب جهادهم وقتالهم، قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ} [الأنفال: 39] ، فالمرحلة الأخيرة معهم القتال، إذا كان المسلمون يطيقون القتال، قال تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} [التوبة: 5] الآية، وهذه الآية بيان الحكمة من الجهاد في الإسلام، وأنها: إزالة الشرك، حتى لا تكون فتنة، والمرتد بالفتنة: الشرك، أي حتى لا يوجد شرك، ويكون الدين كله لله، هذا هو المقصود من الجهاد، ليس المقصود من الجهاد توسيع السلطة والاستيلاء على الممالك، وحصول الثروة، ليس هذا هو المقصود، المقصود إعلاء كلمة الله عز وجل، وإزالة الشرك من الأرض، هذا هو المقصود. [2]

---

[1] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

[2] ذكر ابن القيم رحمه الله أن الجهاد مر بمراحل:

المرحلة الأولى: كان منهياً عنه فيها، وهذا يوم كان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون بمكة، فكانوا مأمورين بكف الأيدي وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا

المبحث التاسع :الشهادة بالجنة والنار

1/ حكم الشهادة لأحد بالنار أو بالجنة :

لا يجوز الشهادة لأحد بالنار ولا بالجنة، إلا من شهد له الدليل

الزكاة) [النساء:77]، فالمنع لأن المسلمين لا يستطيعون وليس لهم دولة ولا قوة، وكان الله يأمر نبيه بالصبر والصفح والانتظار، إلى أن يأتي الفرج، ومن قاتل في هذه المرحلة فإنه يكون قد عصى الله ورسوله؛ لأنه يترتب على القتال في هذه المرحلة الإضرار بالمسلمين وبالدعوة، وتسلط الكفار على المسلمين.

المرحلة الثانية: لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقامت دولة الإسلام، أُذن له بالقتال ولم يؤمر (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير*الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) [الحج:39،40] فأذن لهم بدون أمر، فكانت هذه تهيئة لهم، فالأمور الشاقة يشرعها الله شيئاً فشيئاً؛ من أجل التسهيل على النفوس.

المرحلة الثالثة: أُمر بقتال من قاتل، والكف عمن لم يقاتل (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) [البقرة:190] وهذا يسمى قتال الدفع.

المرحلة الرابعة: لما قوي المسلمون، وكانت لهم شوكة، وللإسلام دولة، أُمروا بالقتال مطلقاً (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) [التوبة:5]، (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) [الأنفال:39].

فأمر الله بالقتال مطلقاً، فلما صاروا متهيئين ولهم قوة وعندهم استعداد، فشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو، غزوة بدر وأحد والخندق وهكذا، حتى جاء الفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم حصلت الردة فقاتلهم أبو بكر، فلما فرغ منهم شرع في الجهاد للكفار، فجيّش الجيوش لقتال فارس والروم، وتوفي، ثم جاء عمر رضي الله عنه فواصل الفتوح حتى أسقط دولة كسرى وقيصر، ونشر الدين وصارت سيطرتهم على جميع الأرض مشارقها ومغاربها، هذا هو القتال في الإسلام. / التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية للعلامة صالح الفوزان 188

قال ابن باز رحمه الله: لا يجوز الشهادة لأحد بالنار ولا بالجنة، إلا من شهد له الرسول ﷺ، ما يقول فلان بالجنة ولا في النار، ولو كان من أهل التقوى ما يقال من أهل الجنة، ولو كان من أهل المعاصي ما يقال من أهل النار ولو كان مشرك ... المسلم قد يرتد قد يتغير، والكافر قد يسلم. ... لكن نقول المؤمنون في الجنة ... ونقول الكفار إذا ماتوا على الكفر من أهل النار

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب النبوات ... وقيل يشهد به لمن استفاض عند الأمة انه رجل صالح كعمر بن عبدالعزيز والحسن البصري وغيرهم وكان ابو ثور يشهد لاحمد بالجنة ... وفي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة فاثنوا عليها خيرا فقال وجبت وجبت ومر عليه جنازة فاثنوا عليها شرا فقال وجبت وجبت قال (هذه الجنازة اثنيتم عليها خيرا فقلت وجبت لها الجنة وهذه جنازة اثنيتم عليها شرا فقلت وجبت لها النار انتم شهداء الله في الارض) النبوات (لابن تيمية (ص: 10-11).

وقال ابن باز رحمه الله : وذهب بعض أهل العلم إلى جواز الشهادة بالجنة أو النار لمن شهد له عدلان أو أكثر بالخير أو الشر لأحاديث صحيحة وردت في ذلك .نشرت في (مجلة الدعوة) العدد (1561) في 1417/6/21 [1]

2/ الشهادة بالجنة نوعان :

شهادة معلقة بوصف، وشهادة معلقة بالشخص

أما المعلقة بالوصف، فأن نشهد لكل مؤمن أنه في الجنة، وكل متق أنه في الجنة، بدون تعيين شخص أو أشخاص وهذه شهادة عامة، يجب علينا أن نشهد بها، لأن الله تعالى أخبر به، فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ) (خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [لقمان 8-9] ...

---

[1] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

وأما الشهادة المعلقة بشخص معين، فأن نشهد لفلان أو لعدد معين أنهم في الجنة وهذه شهادة خاصة، فنشهد لمن شهد له الرسول صلي الله عليه وسلم، سواء شهد لشخص معين واحد أو لأشخاص معينين. [1]

3/ حكم قول فلان شهيد :

الشهادة لأحد بأنه شهيد تكون على وجهين :

أحدهما: أن تقيد بوصف مثل أن يقال: كل من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن مات بالطاعون فهو شهيد،ونحو ذلك، فهذا جائز كما جاءت به النصوص، لأنك تشهد بما أخبر به رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونعني بقولنا: - جائز - أنه غير ممنوع وإن كانت الشهادة بذلك واجبة تصديقًا لخبر رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثاني: أن تقيد الشهادة بشخص معين مثل أن تقول لشخص بعينه: إنه شهيد، فهذا لا يجوز إلا لمن شهد له النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو اتفقت الأمة على الشهادة له بذلك وقد ترجم البخاري - رحمه الله - لهذا بقوله: " باب لا يقال: فلان شهيد " قال في الفتح 6\90: " أي على سبيل القطع بذلك إلا إن كان بالوحي " وكأنه أشار إلى ﴿حديث عمر أنه خطب فقال: تقولون في مغازيكم: فلان شهيد، ومات فلان شهيدًا ولعله قد يكون قد أوقر راحلته، ألا لا تقولوا ذلكم ولكن قولوا كما قال رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من مات في سبيل الله، أو قُتل فهو شهيد﴾ وهو حديث حسن أخرجه أحمد وسعيد بن منصور وغيرهما من طريق محمد بن سيرين عن أبي العجفاء عن عمر " ا. هـ. كلامه.

ولأن الشهادة بالشيء لا تكون إلا عن علم به، وشرط كون الإنسان شهيدًا أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وهي نية باطنة لا سبيل إلى العلم بها، ولهذا قال النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 265

وَسَلَّمَ، مشيرًا إلى ذلك: ﴿مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله﴾ . وقال: ﴿والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يثعب دمًا اللون لون الدم، والريح ريح المسك﴾ .

رواهما البخاري من حديث أبي هريرة، ولكن من كان ظاهره الصلاح فإننا نرجو له ذلك، ولا نشهد له به ولا نسيء به الظن. والرجاء مرتبة بين المرتبتين، ولكننا نعامله في الدنيا بأحكام الشهداء فإذا كان مقتولًا في الجهاد في سبيل الله دفن بدمه في ثيابه من غير صلاة عليه، وإن كان من الشهداء الآخرين فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه.

ولأننا لو شهدنا لأحد بعينه أنه شهيد لزم من تلك الشهادة أن نشهد له بالجنة وهذا خلاف ما كان عليه أهل السنة فإنهم لا يشهدون بالجنة إلا لمن شهد له النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالوصف أو بالشخص، وذهب آخرون منهم إلى جواز الشهادة بذلك لمن اتفقت الأمة على الثناء عليه وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -.

وبهذا تبين أنه لا يجوز أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد إلا بنص أو اتفاق، لكن من كان ظاهره الصلاح فإننا نرجو له ذلك كما سبق، وهذا كاف في منقبته، وعلمه عند خالقه - سبحانه وتعالى -.[1]

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 3/115

المبحث العاشر : النفاق

1/ تعريفه :

النفاق لغة: مصدر نافق، يُقال: نافق يُنافق نفاقًا ومنافقة، وهو مأخوذ من النافقاء: أحد مخارج اليربوع من جحره؛ فإنه إذا طلب من مخرج هرب إلى الآخر، وخرج منه، وقيل: هو من النفق وهو: السِّرُ الذي يستتر فيه.

وأما النفاق في الشرع فمعناه: إظهارُ الإسلام والخير، وإبطانُ الكفر والشر؛ سمي بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب، ويخرج منه من باب آخر، وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [التوبة: 67] .

أي: الخارجون من الشرع.

وجعل الله المنافقين شرًا من الكافرين فقال: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} [النساء: 145] [1]

2/ الأمن من النفاق :

لا تأمن النفاق؛ إذ لا يأمن النفاق إلا منافق، ولا يخاف النفاق إلا مؤمن، ولهذا قال ابن أبي مليكة: " أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه " وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه خاف على نفسه النفاق ... أراد عمر بذلك زيادة الطمأنينة، وإلا؛ فقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة.

ولا يقال: إن عمررضي الله عنه أراد حث الناس على الخوف من النفاق ولم يخفه على نفسه؛ لأن ذلك خلاف ظاهر اللفظ، والأصل حمل اللفظ على ظاهره [2]

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 85

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/115

3/ أنواع النفاق :

النفاق نوعان :

النوع الأول: النفاقُ الاعتقادي: وهو النفاق الأكبر الذي يُظهر صاحبه الإسلام، ويُبطن الكفر، وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، وقد وصَفَ الله أهله بصفات الشر كلها: من الكفر وعدم الإيمان، والاستهزاء بالدين وأهله، والسخرية منهم، والميل بالكلية إلى أعداء الدين؛ لمشاركتهم لهم في عداوة الإسلام. وهؤلاء مَوجودون في كل زمان، ولا سيما عندما تظهر قوة الإسلام ولا يستطيعون مقاومته في الظاهر، فإنهم يظهرون الدخول فيه؛ لأجل الكيد له ولأهله في الباطن؛ ولأجل أن يعيشوا مع المسلمين ويأمنوا على دمائهم وأموالهم؛ ... وقد هتك الله أستار هؤلاء المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن الكريم، وجلى لعباده أمورهم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذر. وذكرَ طوائف العالم الثلاث في أول البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية؛ لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدًّا؛ لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة؛ يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد.

وهذا النفاق ستة أنواع :

1 - تكذيب الرسول - صلى الله عليه وسلم.

2 - تكذيبُ بعض ما جاءَ به الرسول - صلى الله عليه وسلم -

3 - بُغضُ الرسول - صلى الله عليه وسلم -

4 - بغضُ بعض ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم.

5 - المسرَّة بانخفاض دين الرسول - صلى الله عليه وسلم.

6 - الكراهية لانتصار دين الرسول - صلى الله عليه وسلم.

النوع الثاني: النفاق العملي: وهو عمل شيء من أعمال المنافقين؛ مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يُخرج من الملة، لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكونُ فيه إيمان ونفاق، وإذا كثر صارَ بسببه منافقًا خالصًا، والدليل عليه قوله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كانَ منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا اؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر﴾[1] .

فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع، فقد اجتمع فيه الشر، وخلصت فيه نعوت المنافقين، ومَن كانت فيه واحدة منها صار فيه خصلة من النفاق، فإنه قد يجتمع في العبد خصال خير، وخصال شر، وخصال إيمان، وخصال كفر ونفاق، ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك.

ومنه: التكاسل عن الصلاة مع الجماعة في المسجد؛ فإنه من صفات المنافقين، فالنفاق شر، وخطير جدًّا، وكان الصحابة يتخوفون من الوقوع فيه، قال ابن أبي مليكة: (أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كُلُّهم يخاف النفاق على نفسه) .[2]

4/ الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر :

1 - إن النفاقَ الأكبرَ يُخرجُ من الملَّة، والنفاقَ الأصغر لا يُخرجُ من الملَّة.

2 - إن النفاق الأكبر: اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، والنفاق الأصغر: اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.

3 - إن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.

---

[1] صحيح البخاري (34)

[2] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 86

4 - إن النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه، ولو تاب فقد اختلف في قبول توبته عند الحاكم. بخلاف النفاق الأصغر؛ فإن صاحبه قد يتوب إلى الله، فيتوب الله عليه ... وأما أهل النفاق الأكبر، فقال الله فيهم: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} [البقرة: 18] . أي: إلى الإسلام في الباطن، وقال تعالى فيهم: {أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ} [التوبة: 126] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد اختلف العلماءُ في قبول توبتهم في الظاهر؛ لكون ذلك لا يُعلم، إذ هم دائمًا يظهرون الإسلام) . [1]

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 88

المبحث الحادي عشر :

بيان حقيقة كل من الجاهلية – الفسق – الضلال – الردة

1 – الجاهلية :

الجاهلية لا تختص بمن كان قبل زمن النبي صلى الله عليه وسلم بل كل من جهل الحق وعمل عمل الجاهلين، فهو من أهل الجاهلية.[1]

للجاهلية سننًا، وأنّ مِن الأمّة مَن سيسير عليها. [2]

– الجاهلية: نسبة إلى الجهل، وهو عدم العلم، وأنها تنقسم إلى قسمين:

1 – الجاهلية العامة: وهي ما كان قبل مبعث الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – وقد انتهت ببعثته.

2 – جاهلية خاصة ببعض الدول، وبعض البلدان، وبعض الأشخاص، وهذه لا تزال باقية، وبهذا يتضح خطأ من يُعمّمونَ الجاهلية في هذا الزمان فيقولون: جاهلية هذا القرن أو جاهلية القرن العشرين، وما شابه ذلك، والصواب أن يُقالَ: جاهلية بعض أهل هذا القرن، أو غالب أهل هذا القرن؛ وأما التعميم فلا يصحُّ ولا يجوزُ؛ لأنه ببعثة النبي – صلى الله عليه وسلم – زالت الجاهلية العامة.

2 – الفسق :

الفسق لغة: الخروج، والمراد به شرعًا: الخروج عن طاعة الله، وهو يشمل الخروج الكلي؛ فيقالُ للكافر: فاسق، والخروج الجزئي؛ فيقال للمؤمن المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب: فاسق. فالفسق فسقان: فسق ينقل عن الملة، وهو الكفر، فيسمَّى الكافرُ فاسقًا، فقد ذكر الله إبليسَ

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/209

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

فقال: {فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف: 50]، وكان ذلك الفسق منه كُفرًا...

ويُسمَّى مرتكب الكبيرة من المسلمين: فاسقًا، ولم يُخرجهُ فسقُهُ من الإسلام، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 4]...

3- الضلال:

الضلال: العدول عن الطريق المستقيم، وهو ضد الهداية، قال تعالى: {مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} [الإسراء: 15] والضلالُ يطلق على عدة معان:

1 - فتارةً يُطلقُ على الكفر، قال تعالى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 136].

2 - وتارة يُطلقُ على الشرك، قال تعالى: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 116].

3 - وتارة يُطلقُ على المخالفة التي هي دون الكفر، كما يقال: الفرق الضالة: أي المخالفة.

4 - وتارة يُطلق على الخطأ، ومنه قولُ موسى عليه السلام: {فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ} [الشعراء: 20]

5 - وتارةً يُطلقُ على النسيان، ومنه قوله تعالى: {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى} [البقرة: 282].

6- ويُطلقُ الضلالُ على الضياع والغيبة، ومنه: ضالة الإبل.

4– الردة :

الردة لغة: الرجوع، قال تعالى: {وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ} [المائدة: 21] أي: لا ترجعوا

والردة في الاصطلاح الشرعي هي: الكفرُ بعد الإسلام، قال تعالى: {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 217] .

– أقسام الردة :

الردة تحصل بارتكاب ناقضٍ من نواقضِ الإسلام، ونواقضُ الإسلام كثيرة ترجع إلى أربعة أقسام، هي:

1 – الردة بالقول: كسبِّ الله تعالى، أو رسوله – صلى الله عليه وسلم – أو ملائكته، أو أحد من رسله. أو ادّعاء علم الغيب، أو ادّعاء النبوة، أو تصديق من يدعيها. أو دعاء غير الله، أو الاستعانة به فيما لا يقدر عليه إلا الله، والاستعاذة به في ذلك.

2 – الردة بالفعل: كالسجود للصنم والشجر، والحجر والقبور، والذبح لها. وإلقاء المصحف في المواطن القذرة، وعمل السحر، وتعلمه وتعليمه، والحكم بغير ما أنزل الله معتقدًا حله.

3 – الردة بالاعتقاد، كاعتقاد الشريك لله، أو أن الزنا والخمر والربا حلال، أو أن الخبز حرام، وأن الصلاة غير واجبة، ونحو ذلك مما أُجمع على حله، أو حرمته أو وجوبه، إجماعًا قطعيًّا، ومثله لا يجهله.

4 – الردة بالشك في شيء مما سبق، كمن شكَّ في تحريم الشرك، أو تحريم الزنا والخمر، أو في حل الخبز، أو شك في رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – أو رسالة غيره من الأنبياء، أو في صدقه، أو في دين الإسلام، أو في صلاحيته لهذا الزمان.

5 – الردة بالترك، كمن ترك الصلاة متعمدًا؛ لقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: ﴿بين العبد وبين الكفر والشرك ترك الصلاة﴾ وغيره من الأدلة على كفر تارك الصلاة. [1]

– الأحكام التي تترتب على الردة بعد ثبوتها :

1 – استتابة المرتد، فإن تاب ورجعَ إلى الإسلام في خلال ثلاثة أيام قبل منه ذلك وترك.

2 – إذا أبى أن يتوبَ وجب قتله؛ لقوله – صلى الله عليه وسلم –: ﴿من بدَّلَ دينه فاقتلوه﴾ . [2]

3– يُمنع من التصرف في ماله في مدة استتابته، فإن أسلم فهو له؛ وإلا صار فيئًا لبيت المال، من حين قتله، أو موته على الردة. وقيل: من حين ارتداده يصرف في مصالح المسلمين.

4– انقطاع التوارث بينه وبين أقاربه؛ فلا يرثهم ولا يرثونه.

5– إذا ماتَ أو قُتلَ على ردته فإنه لا يُغسَّلُ ولا يُصلَّى عليه ولا يُدفنُ في مقابر المسلمين، وإنما يُدفَنُ في مقابر الكفّار، أو يُوارى في التراب في أي مكان غير مقابر المسلمين. [3]

– إذا ارتد الزوج فما الحكم :

– ان تاب في اثناء العدة رجعت اليه زوجته

– اذا استمر على الردة فان زوجته تبين منه او خرجت زوجته من العدة ولم يتب فانها تبين منه ...

– اذا تاب في اثناء العدة ترجع اليه

– إذا لم يتب الا بعد انقضاء العدة فله ان يتزوجها بعقد جديد. [4]

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 90

[2] صحيح البخاري (3017)

[3] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 95

[4] العلامة صالح الفوزان

المبحث الثاني عشر :

اعتقادات وأقوال وأفعال تنافي التوحيد أو تنقصه

1/ من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر إجماعاً :

- هذا الناقض ... فيه ثلاثة أمور، كلها تنقض الإسلام :

الأول: من لم يكفر من كفره الله، أو كفره رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه مكذب للقرآن، وراد لحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أجمع العلماء على أن من كذب آية في القرآن فقد كفر، وأن من رد حكم رسول اللہ صلى الله عليه وسلم بعد العلم به فقد كفر...

والأمر الثاني: من يشك في كفر من كفره الله، أو كفره رسول اللہ صلى الله عليه وسلم، أو يتوقف في ذلك ... هذا الشك غير الوسوسة، الشك عمل قلبي من الإنسان، والوسوسة إيقاع شيء في من الشيطان. الوسوسة شيء من خارج، والشك عمل قلبي، والشك يقطع اليقين، والوسوسة تغطي اليقين. ... فالوساوس التي تقع لبعض الناس في الاعتقاد، في الله عزوجل، في الأحكام، هذه ما تقطع اليقين، اليقين موجود، ولذلك هو يخاف من هذا خوفا شديدا، ويأباه، ولكنها تغطي اليقين إذا استسلم للوسواس. فلا تخلطوا بين الشك الذي هو عمل القلب، وبين الوسواس الذي يوقعه الشيطان وهو من عمل الشيطان، وليس من عمل الإنسان ...

والأمر الثالث -وهو أدهى وأمر-: من صحح مذهبهم، ولم يبطله أصلا.

يعني لاحظوا يا إخوة: الأول: في الحكم عليهم. والثاني: في الحكم عليهم. والثالث: في الحكم على مذهبهم، على أفعالهم، على أقوالهم، وهذا أدهى وأمر.

كل من قال: إن مذهب الكفار، أو بعض مذهبهم، أو مذهب بعضهم، أو بعض مذهب بعضهم، صحيح مما كفروا به- فهو كافر نقض إسلامه.

ومن قال: كل يعبد الله على طريقته، والجنة عرضها السماوات والأرض، فهي تسع الجميع، فهو كافر، من قال: كل من تقرب إلى من يظنه إلها بحسب علمه، فهو على خبر، والجنة تسع الجميع، فهو كافر.

من قال: الأديان كلها واحدة، ويجب أن نوحد الأديان، أو نوحد الكتب المنزلة، فقد نقض إسلامه ... أما حوار الأديان فهذا شيء آخر، فيه تفصيل فإن كان حوار الأديان للوصول إلى نقطة تجتمع عليها الأديان في الديانة، وتوحيد الأديان، فهذا مثل وحدة الأديان وإن كان الحوار بين أتباع الأديان لبيان الحق، ورد الباطل بالحجج، وكل يدلي بما عنده، فهذا مشروع، ومطلوب لبيان الحق. وإن كان الحوار بين أتباع الأديان لدفع الفساد عن أهل الأرض، ودفع الجرائم، ومقاومة أهل الشذوذ، فهذا أيضاً مطلوب

- هذا الناقض متعلق بمن أجمع العلماء على أنه كافر، أو دل الدليل على أنه كافر، واجتمعت فيه الشروط، وانتفت الموانع، ولو لم يجمع العلماء على كفره. فمن اتفق العلماء على كفره، ثم جاء من لا يكفره، أو يشك في كفره، أو يصحح مذهبه الذي كفر به، فقد نقض إسلامه.

ومن قام الدليل على كفره ولو لم يقع الإجماع، ولو حُكى نزاع-، واجتمعت فيه الشروط، وانتفت الموانع، فلم يكفره، فقد نقض إسلامه.

أما من لم يكفر معين، لظنه انتفاء شرط، أو وجود مانع، مع اعتقاده أن القول أو الفعل كفر، لدلالة الأدلة على ذلك، فهذا لا يكفر، ولا يقال إنه نقض إسلامه. ومن باب أولى: إذا اعتقد أن المعنيين لم يرتكب المكفر أصلا

- من لم يكفر من أجمع على كفره، أو دل الدليل على كفره، واجتمعت فيه الشروط، وانتفت الموانع، وحكم عالم رباني بكفره، فمع علمه بكل هذا لا يكفره: فهذا ناقض. أما غير هذا، فإنه لا ينقض الإسلام، بل قد يكون الواجب على الإنسان إذا اعتقد أن المعين المذكور لم يفعل المكفر أصلا، فإن الواجب عليه ألا يكفره، أو اعتقد أن المعين فعله على وجه لا يكون كفر، فإن

الواجب عليه ألا يكفره، أو اعتقد أن المعين -وإن فعل كفر- لم تجتمع فيه الشروط، أو وجد فيه مانع، أي انتفى فيه شرط أو وجد مانع من الموانع، فلم يكفره، فهذا لا ينقض إسلامه .[1]

2/ من اعتقد أن غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه فهو كافر :

فمن اعتقد أن هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه، فهو كافر.

الهدي: هو السيرة، والمنهج، والطريقة، والحال، والسمت، والطريق الذي كان عليه النبي

ويدخل فيه: هدي البيان والدلالة، الذي جاء به النبي ، فبين الدين بقوله، وبين الدين بفعله ، قال الله عزوجل : {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم } [الشورى: ٥٢].

- الفريضة الشرعية التي هي من التوحيد: أن يعتقد المؤمن أن هدي محمد صلى الله عليه وسلم خير الهدي، بل يعتقد أن كل هدي خالف هدي محمد صلى الله عليه وسلم فهو باطل [2]

3/ من اعتقد أن حكم غير النبي صلى الله عليه وسلم أحسن من حكمه -كالذين يفضلون[3] حكم الطواغيت على حكمه- فهو كافر :

حكم النبي صلى الله عليه وسلم المقصود به: الحكم بما أنزل الله، وهو: حكم الإسلام، والحكم كله الله ، كما قال الله ورجل : {إن الحكم إلا لله} [الأنعام:57]، حصر يدل دلالة بينة على أن الحكم كله الله .

---

[1] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

[3] - المقصود بالتفضيل هنا: الكمال في الوصف، وليس المقابلة بين حسن وأحسن ... حكم غير الله باطل لا لحسن فيه، وإنما تمام الحسن في حكم الله عزوجل . وقال الله : {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما } [النساء:65]. / شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

- كل حكم يخالف حكم الله أو حكم رسوله صلى الله عليه وسلم فهو من حكم الجاهلية، فمن اعتقد أن الحكم الذي يخالف حكم الله أو حكم رسوله صلى الله عليه وسلم أحسن، وأفضل، وأعدل، من حكم الله، ومن حكم رسوله ، فقد كفر، يقول الله : {ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطن أن يضلهم ضللا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودًا } [النساء: 60-61]. فهذه الآية فيها تعجيب وإنكار من فعل هؤلاء الذين يزعمون، والزعم الغالب عليه: أنه يطلق على الكلام الكاذب، هم يزعمون بألسنتهم أنهم آمنوا بالله، وآمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت –إلى الحكم المخالف لشرع الله–، وقد أمروا أن يكفروا به

- روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: (قول الله عن: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولتك هم الكافرون})، قال: (من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به، ولم يحكم به، فهو ظالم فاسق). وروى ابن جرير عن عطاء أنه قال: (كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق). وروى الحاكم أن ابن عباس تا قال: (إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كفر ينقل عن الملة،)... ثم قال الحاكم: (وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وقال: (صحيح). وكلام ابن عباس رضي الله عنه له طريق صحيح عند ابن جرير وأحمد في الإيمان، وعند غيرهما، وله طرق متعددة يشد بعضها بعضا، ولم يعلم له مخالف من الصحابة، فيكون هذا إجماعة في زمن صحابة رسول الله ، أنه كفر دون كفر. وقد أطبق كلام السلف على هذا، ولا يعلم للسلف، ولا لأئمة الإسلام الكبار - كمالك وأحمد وغيرهما–، كلمة

واحدة تخالف هذا، وأن الحال فيه تفصيل، وهذا الذي يجب أن يفقهه المسلم، ويعتقده، ويبني عليه كلامه. [1]

4/ من أبغض شيئا مما جاء به الرسول – ولو عمل به– كفر إجماعا :

والدليل قوله تعالى: {ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعملهم) محمد:19 [2]

ما جاء به محمد في الأحكام، والحدود، والحقوق، وغيرها، منزل من عند الله ويل ، ومن كره ما أنزله الله فقد كفر وحبط عمله، قال تعالى: {والذين كفروا تعسا لهم وأضل أعملهم في ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعملهم } [محمد: 1-4). عَلَيْهِ السَّلَامُ فدلت هذه الآية على أن كراهية ما أنزل الله من أعظم صفات الكفار، ومن أعظم ما كفروا به، أنهم كرهوا ما أنزل الله، فهذا من ضلالهم وكفرهم، فأحبط الله أعمالهم لكفرهم، فدلت هذه الآية دلالة بين على هذا الأصل العظيم. فإذا كان هذا البغض مصرح به، ومنطوقة به، وملفوظا به، ولو مع العمل -، فهذا كفر اعتقاد. إذا قال: أنا أكره قطع يد السارق، أنا أبغض قطع يد السارق، أنا أبغض جلد الزاني، أنا أبغض رجم الزاني المحصن، فهذا كفر اعتقاد. وإن كان هذا البغض في القلب من غير تصريح به -ولو مع العمل -: فهذا كفر نفاق، لأنه يظهر الإسلام، وهو يعمل بهذه الأشياء، ويبطن الكفر، فلم يظهر ما في قلبه من البغض، فهذا كفر نفاق. هذا إذا كره ما جاء به النبي .

أما إذا كره الفعل لأن نفسه لا تتحمله ، أو فعل شخص معين لأنه يخالف شهوته، فهذا ليس كفر، كما لو كره الإنسان قطع يد السارق لا من جهة القطع، ولكن من جهة أنه لا يتحمل أن يرى هذا القطع، هو مطمئن القلب بحكم الله، محب لحكم الله، لكن هو ما يتحمل، تقول له مثلا: تعال اليوم، ستقطع يد سارق، فيقول: لا، أكره هذا، يعني أكره أن أراه، ما أتحمله. أو

[1] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

[2] نواقض الإسلام للإمام محمد بن عبد الوهاب

مثلا: المرأة إذا كرهت أن يتزوج عليها زوجها، من جهة أنها تحب زوجها، ولا تريد أن يتزوج عليها، لا من جهة كره التعدد وبغض التعدد الذي شرعه الله، وإنما من جهة مشتهاها هي، تريد أن تكون زوجها لها، فهذا ليس كفرا، أما إذا أبغضت التعدد – والعياذ بالله – من حيث هو، فهذا من الكفر والعياذ بالله –. فيجب أن نفرق بين كره و بغض ما جاء به محمد له من حيث أنه جاء به محمد ، من حيث ذاته، من حيث كونه شرعا، وبين الكره لأمر خارج، ليس لما جاء به محمد ، وإنما للرؤية أو نحو ذلك، فلا يخلط بين الأمور.

لأنه بلغني أن بعض الأزواج يقولون لزوجاتهم: إن كرهت زواجي بأخرى فأنت كافرة، لأن من أبغض ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر، وهذا غير صحيح، وخطر على القائل، أن ينزل شرع الله على غير تنزيله. [1]

5/ الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته :

الاستهزاء، والسخرية، والتحقير لشيء مما جاء به النبي وعلم ثبوته – مهما كان ، كفر مخرج من الملة. فمن سخر من القرآن، واستهزأ بالقرآن، أو سخر من الدين، أو سخر من النبي صلى الله عليه وسلم – ولو من صفة من صفاته، كمن سخر من اللحية الكثة، مع علمه أن النبي و كان كث اللحية، الذي يقول: اللحية وساخة، و منافية للتحضر، وفعل أصحاب الكهوف، إذا كان يعلم أن النبي كان كث اللحية فهذا كفر أكبر يخرج من الملة.[2]

– الاستهزاء بالدين ردة عن الإسلام، وخروج عن الدين بالكلية، قال الله تعالى: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة: 65، 66] .

هذه الآية تدل على أن الاستهزاء بالله كفر، وأن الاستهزاء بالرسول كفر، وأن الاستهزاء بآيات الله كفر، فمن استهزأ بواحد من هذه الأمور فهو مستهزئ بجميعها.

---

[1] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

والذي حصل من هؤلاء المنافقين أنهم استهزءوا بالرسول وصحابته؛ فنزلت الآية. فالاستهزاء بهذه الأمور متلازم، فالذين يستخِفُّون بتوحيد الله تعالى، ويعظمون دعاءَ غيره من الأموات؛ وإذا أمروا بالتوحيد ونُهوا عن الشرك استخفُّوا بذلك، كما قال تعالى: {وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا} [الفرقان: 41، 42] [1]

- الاستهزاء على نوعين :

أحدهما: الاستهزاء الصريح، كالذي نزلت الآية فيه، وهو قولهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسُنًا، ولا أجبن عند اللقاء. أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين، كقول بعضهم: دينكم هذا دينٌ خامس، وقول الآخر: دينكم أخرق، وقول الآخر إذا رأى الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر: جاءكم أهل الدِّين، من باب السُّخرية بهم، وما أشبه ذلك مما لا يُحصى إلا بكلفة؛ مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية.

النوع الثاني: غير الصريح، وهو البحر الذي لا ساحل له، مثل: الرمز بالعين، وإخراج اللسان، ومدّ الشفة، والغمز باليد عند تلاوة كتاب الله، أو سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو عند الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ومثل هذا ما يقوله بعضهم: إنَّ الإسلام لا يَصلُحُ للقرن العشرين؛ وإنما يصلح للقُرون الوسطى، وأنه تأخُّرٌ ورجعيةٌ، وأن فيه قسوة ووحشية في عقوبات الحدود والتعازير ... ويقولون في الذي يدعو إلى التوحيد، ويُنكر عبادة القبور والأضرحة: هذا متطرف، أو يُريد أن يفرق جماعة المسلمين، أو: هذا وهَّابي، أو مذهب خامس، وما أشبه هذه الأقوال ... ومن ذلك: استهزاؤهم بمن تمسَّكَ بسنة من سنن الرسول –

[1] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

صلى الله عليه وسلم – فيقولون: الدين ليس في الشَّعرِ؛ استهزاءً بإعفاء اللحية، وما أشبه هذه الألفاظ الوقحة. [1]

– **تنبيه :** من استهزأ بشيء من الدين فقد نقض إسلامه، أو أبان نفاقه هذا إذا كان الاستهزاء بالدين، أو بالصالحين من أجل الدين. أما الاستهزاء بالأفراد، فهذا فسوق، وقد قال النبي : ﴿سباب المسلم فسوق﴾ [2]

6/ حرية اعتقاد ما شاء من الأديان :

الذي يجيز أن يكون الإنسان حر الاعتقاد، يعتقد ما شاء من الأديان فإنه كافر؛ لأن كل من اعتقد أن أحدًا يسوغ له أن يتدين بغير دين محمد، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه كافر بالله – عز وجل – يستتاب، فإن تاب وإلا وجب قتله.

والأديان ليست أفكارًا، ولكنها وحي من الله – عز وجل – ينزله على رسله، ليسير عباده عليه، وهذه الكلمة – أعني كلمة فكر – التي يقصد بها الدين: يجب أن تحذف من قواميس الكتب الإسلامية؛ لأنها تؤدي إلى هذا المعنى الفاسد، وهو أن يقال عن الإسلام: فكر، والنصرانية فكر، واليهودية فكر – وأعني بالنصرانية التي يسميها أهلها بالمسيحية – فيؤدي إلى أن تكون هذه الشرائع مجرد أفكار أرضية يعتنقها من شاء من الناس، والواقع أن الأديان السماوية أديان سماوية من عند الله – عز وجل – يعتقدها الإنسان على أنها وحي من الله تعبد بها عباده، ولا يجوز أن يطلق عليها " فكر " ...

– من اعتقد أنه يجوز لأحد أن يتدين بما شاء وأنه حر فيما يتدين به فإنه كافر بالله – عز وجل – لأن الله تعالى يقول: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} . ويقول: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 113

[2] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

الْإِسْلَامُ} . فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن دينًا سوى الإسلام جائز يجوز للإنسان أن يتعبد به بل إذا اعتقد هذا فقد صرح أهل العلم بأنه كافر كفرًا مخرجًا عن الملة. [1]

7/ سب الله وسب الرسول وسب الدين :

سب الله ورسوله وسب الدين كفر أكبر وردة عن الإسلام، فيستتاب، فإن تاب قائلها وإلا وجب على ولي الأمر قتله؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿من بدل دينه فاقتلوه﴾ رواه البخاري في صحيحه. [2]

- هل تقبل توبة من سب الله عز وجل أو سب الرسول، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

اختلف في ذلك على قولين :

القول الأول: أنها لا تقبل توبة من سب الله، أو سب رسوله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو المشهور عند الحنابلة، بل يقتل كافرًا، ولا يصلى عليه، ولا يدعى له بالرحمة، ويدفن في محل بعيد عن قبور المسلمين.

القول الثاني: أنها تقبل توبة من سب الله أو سب رسوله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا علمنا صدق توبته إلى الله، وأقر على نفسه بالخطأ، ووصف الله - تعالى - بما يستحق من صفات التعظيم، وذلك لعموم الأدلة الدالة على قبول التوبة كقوله - تعالى - {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} ومن الكفار من يسب الله ومع ذلك تقبل توبتهم، وهذا هو الصحيح إلا أن ساب الرسول، عليه الصلاة والسلام، تقبل توبته ويجب قتله، بخلاف من سب الله فإنها تقبل توبته ولا يقتل؛ لأن الله أخبرنا بعفوه عن حقه إذا تاب العبد، بأنه يغفر الذنوب جميعًا. أما ساب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه يتعلق به أمران :

---

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 100/3

[2] فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى 18/2

أحدهما: أمر شرعي لكونه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا يقبل إذا تاب.

الثاني: أمر شخصي، وهذا لا تقبل التوبة فيه لكونه حق آدمي لم يعلم عفوه عنه، وعلى هذا فيقتل ولكن إذا قتل، غسلناه، وكفناه، وصلينا عليه، ودفناه مع المسلمين.

وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وقد ألف كتابًا في ذلك اسمه "الصارم المسلول في تحتم قتل ساب الرسول" وذلك لأنه استهان بحق الرسول، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذا لو قذفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يقتل ولا يجلد.

فإن قيل: أليس قد ثبت أن من الناس من سب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في حياته وقبل النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، توبته؟

أجيب: بأن هذا صحيح، لكن هذا في حياته، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحق الذي له قد أسقطه، وأما بعد موته فإنه لا يملك أحد إسقاط حقه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجب علينا تنفيذ ما يقتضيه سبه،صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من قتل سابه، وقبول توبة الساب فيما بينه وبين الله تعالى.

فإن قيل: إذا كان يحتمل أن يعفو عنه لو كان في حياته، أفلا يوجب ذلك أن نتوقف في حكمه؟

أجيب: بأن ذلك لا يوجب التوقف لأن المفسدة حصلت بالسب، وارتفاع أثر هذا السب غير معلوم والأصل بقاؤه.

فإن قيل: أليس الغالب أن الرسول، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعفو عمن سبه؟

أجيب: بلى، وربما كان العفو في حياة الرسول، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، متضمنًا المصلحة وهي التأليف، كما كان، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعلم أعيان المنافقين ولم يقتلهم "لئلا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه" لكن الآن لو علمنا أحدًا بعينه من المنافقين لقتلناه، قال ابن القيم رحمه الله: " إن عدم قتل المنافق المعلوم إنما هو في حياة الرسول، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقط ". اهـ. [1]

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 2/150

8/ حوار الأديان للوصول إلى وحدة دينية :

حوار الأديان ... فيه تفصيل :

فإذا كان حوار الأديان للوصول إلى نقطة تجتمع عليها الأديان في الديانة، وتوحيد الاديان ، فهذا مثل وحدة الأديان.

وإن كان الحوار بين أتباع الأديان لبيان الحق، ورد الباطل بالحجج، وكل يدلي بما عنده، فهذا مشروع، ومطلوب لبيان الحق.

وإن كان الحوار بين أتباع الأديان لدفع الفساد عن أهل الأرض، ودفع الجرائم، ومقاومة أهل الشذوذ، فهذا أيضاً مطلوب.

أما الحوار لنصل إلى وحدة دينية، فهذا –والعياذ بالله– كفر ونقض لدين الإسلام .

ومن صحح مذهب الكفار، أو اعتقد أنه من الإسلام الذي رضيه الله دينا، فهو كافر لأنه مكذب للقران والسنة، ومكذب لقول الله: { ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين } [آل عمران:٨٥] [1]

9/ السحر :

قال تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ} [2]

---

[1] شرح نواقض الاسلام للشيخ سليمان الرحيلي

[2] قوله تعالى: "ولقد علموا": ضمير الفاعل يعود على متعلمي ...

ومعنى "اشتراه" ؛ أي: تعلمه.

قوله: {مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ} أي: ما له من نصيب، وكل من ليس له في الآخرة من خلاق؛ فمقتضاه أن عمله حابط باطل، لكن إما أن ينتفي النصيب انتفاء كليا فيكون العمل كفرا، أو ينتفي كمال النصيب فيكون فسقا. / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/ 491

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اجتنبوا السبع الموبقات.. [1] قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات "

- تعريف السحر :

- السحر لغة: ما خفي ولطف سببه ... فكل شيء خفي سببه يسمى سحرا.

وأما في الشرع؛ فإنه ينقسم إلى قسمين:

الأول: عقد ورقى؛ أي: قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور، لكن قد قال الله تعالى: {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ} .

الثاني: أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله؛ فتجده ينصرف ويميل، وهو ما يسمى عندهم بالصرف والعطف [2]

تعريف آخر : اسم جامع لأنواع مختلفة يَجمعُها الخفاء. ولكنّ أشرّ أنواعه المنتشِرة: عُقَدٌ ورُقى وعزائم يُنفَث فيها... فيُجمع فيها بين ثلاثة أمور:

الأمر الأول: عَقْد.

الأمر الثاني: عزائم ورقى .

الأمر الثالث: نَفْث.

---

[1] ... قال: "اجتنبوا"، وهي أبلغ من قوله: اتركوا؛ لأن الاجتناب معناه أن تكون في جانب وهي في جانب آخر، وهذا يستلزم البعد عنها ... فإذا قيل: اجتنبه؛ يعني: اتركه مع البعد.

وقوله: السبع الموبقات هذا لا يقتضي الحصر... وقوله: "الموبقات": أي: المهلكات / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 494/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 489/1

وتؤثِّر في القلوب والأبدان بإذن الله عز وجل الكوني ...

- الذي عليه جماهير العلماء، بل عليه جماهير الناس: على أنّ للسحر حقيقة... [1]

- - السحر له تأثير إما على البدن، أو العقل، أو النفس. [2]

- حكم السحر :

السحر قسمان:

أ: شرك وهو الأول الذي يكون بواسطة الشياطين؛ يعبدهم ويتقرب إليهم ليسلطهم على المسحور.

ب: عدوان وفسق، وهو الثاني الذي يكون بواسطة الأدوية والعقاقير ونحوها. [3]

- من كان سحره بواسطة الشياطين؛ فإنه يكفر لأنه لا يتأتى ذلك إلا بالشرك غالبا؛ لقوله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ ... } ... ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير ونحوها؛ فلا يكفر، ولكن يعتبر عاصيا معتديا. [4]

- من رضي بالسحر - كالمسحور له إذا رضي بالسحر، حتى لو لم يتقرب إلى الشياطين - فإنه يكفر، لأن المتسبب في الشيء كفاعله فالمسحور له يطلب من الساحر السحر، والساحر يكفر بالله بهذا، ويتقرب إلى الشياطين، فحتى لو لم يفعل المسحور له شيئاً غير الطلب فإنه رضي وتسبب، وهذا يكون قد كفر كفراً أكبر... والمتسبب في السحر كفاعله، والراضي به كفاعله.

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 553/1

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 489/1

[4] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 490/1

كذلك: من رضي بالسحر –ولو لم يفعله، لكنه راض به، لا ينكره ولا يدفعه، فهذا –والعياذ بالله – كفر أكبر..[1]

- حكم الساحر :

- قتل الساحر... إن كان سحره كفرا؛ قتل قتل ردة، إلا أن يتوب على القول بقبول توبته، وهو الصحيح، وإن كان سحره دون الكفر؛ قتل قتل الصائل؛ أي: قتل لدفع أذاه وفساده في الأرض، وعلى هذا يرجع في قتله إلى اجتهاد الإمام، وظاهر النصوص ... أنه يقتل بكل حال [2]

وعن جندب مرفوعا: " حد الساحر ضربة بالسيف " رواه الترمذي، وقال: " الصحيح أنه موقوف " [3]

و عن بجالة بن عبدة" قال: " كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر "[4]

وصح عن " حفصة رضي الله عنها؛ أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت "

وكذلك صح عن جندب قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

---

[1] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 490/1

[3] حده يعني: عقوبته المحددة شرعا.

وظاهره أنه لا يكفر؛ لأن الحدود تطهر المحدود من الإثم. والكافر إذا قتل على ردته؛ فالقتل لا يطهره. وهذا محمول على ما سبق: أن من أقسام السحر ما لا يخرج الإنسان عن الإسلام، وهو ما كان بالأدوية والعقاقير التي توجب الصرف والعطف وما أشبه ذلك / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 507/1

[4] إسناد الرواية صحيح، صحَّحه ابن حزم، والألباني، وابن باز. / شرح الشيخ سليمان الرحيلي لكتاب التوحيد

والحد إذا بلغ الإمام لا يستتاب صاحبه، بل يقتل بكل حال، أما الكفر؛ فإنه يستتاب صاحبه، وهذا هو الفرق بين الحد وبين عقوبة الكفر، وبهذا نعرف خطأ من أدخل حكم المرتد في الحدود، وذكروا من الحدود قتل الردة. فقتل المرتد ليس من الحدود؛ لأنه يستتاب، فإذا تاب ارتفع عنه القتل، وأما الحدود؛ فلا ترتفع بالتوبة إلا أن يتوب قبل القدرة عليه، ثم إن الحدود كفارة لصاحبها وليس بكافر، والقتل بالردة ليس كفارة وصاحبها كافر؛ لا يصلى عليه ، ولا يغسل، ولا يدفن في مقابر المسلمين. [1]

- أنواع السحر :

السحر أنواع عديدة، لكنّ أكثر السحر وقوعاً: هو سحر العطف والصرف.

فسحر العطف: هو الذي يؤدي إلى حب الزوج لزوجته مثلاً، وقد يكون بين غير الزوجين...

وسحر الصرف: وهو سحر التفريق بين المتحابين -سواء كانا زوجين أو كانا صديقين-، وهذا أكثر أنواع السحر وقوعاً بين المسلمين. [2]

التولة ... سحرٌ يُسمى سحر العطف ... وهو يقابل سحر التفريق.

... فعندنا سحر العطف، وعندنا سحر التفريق، وعندنا سحر الربط ؛ كلها متعلقة بالزوجين.

... فالتّولة شرك أكبر؛ لأنه لابدّ فيها من الاستعانة -والعياذ بالله- بالجن والشياطين. وليس فيها تفصيل. [3]

- خدمة الجن للإنس ليست محرمة على كل حال، بل هي على حسب الحال :

الجني يخدم الإنس في أمور لمصلحة الإنس وقد يكون للجن فيها مصلحة، وقد لا يكون له فيها مصلحة، بل لأنه يحبه في الله ولله، ولا شك أن من الجن مؤمنين يحبون المؤمنين من الإنس؛

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 512/1

[2] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

لأنه يجمعهم الإيمان بالله.

وقد يخدمونهم لطاعة الإنس لهم فيما لا يرضي الله عزوجل إما في الذبح لهم، أو في عبادتهم، أو ما أشبه ذلك.

والأغرب من ذلك أنهم ربما يخدمون الإنس لأمر محرم من زنا أو لواط؛ لأن الجنية قد تستمتع بالإنسي بالعشق والتلذذ بالاتصال به، أو بالعكس، وهذا أمر معلوم مشهود، حتى ربما كان الجني الذي في الإنسان ينطق بذلك، كما يعلم من الذين يقرؤون على المصابين بالجن [1]

- استخدام الإنس للجن له ثلاث حالات :

الحال الأولى: أن يستخدمهم في طاعة الله، كأن يكون له نائبا في تبليغ الشرع ... أو في المعونة على أمور مطلوبة شرعا؛ فهذا لا بأس به، بل إنه قد يكون أمرا محمودا أو مطلوبا، وهو من الدعوة إلى الله عزوجل ...

الحال الثانية: أن يستخدمهم في أمور مباحة... فهذا جائز بشرط أن تكون الوسيلة مباحة، فإن كانت محرمة؛ صار حراما، كما لو كان الجني لا يساعده في أموره إلا إذا ذبح له أو سجد له أو ما أشبه ذلك ...

الحال الثالثة: أن يستخدمهم في أمور محرمة؛ كنهب أموال الناس وترويعهم، وما أشبه ذلك، فهذا محرم، ثم إن كانت الوسيلة شركا صار شركا، وإن كانت وسيلته غير شرك صار معصية ...

ثم قال: إن من يسأل الجن، أو يسأل من يسأل الجن، ويصدقهم في كل ما يقولون ؛ فهذا معصية وكفر [2]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 534/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 546/1

- قد يتصل الإنسان بجني، فيخبره عما حدث في الأرض ولو كان بعيدا؛ فيستخدم الجن، لكن ليس على وجه محرم؛ فلا يسمى كاهنا؛ لأن الكاهن من يخبر عن المغيبات في المستقبل.

وقيل: الذي يخبر عما في الضمير، وهو نوع من الكهانة في الواقع، إذا لم يستند إلى فراسة ثاقبة [1]

- التصديق بالسحر :

عن أبي موسى؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر". رواه أحمد وابن حبان في " صحيحه "

لا شك أن للسحر تأثيرا، لكن تأثيره تخييل ... فالتصديق بأثر السحر على هذا الوجه لا يدخله الوعيد لأنه تصديق بأمر واقع.

أما من صدق بأن السحر يؤثر في قلب الأعيان بحيث يجعل الخشب ذهبا أو نحو ذلك؛ فلا شك في دخوله في الوعيد؛ لأن هذا لا يقدر عليه إلا الله عز وجل.

- هذا الوعيد باعتبار ما يؤول حاله إليه [2]

- التصديق بالسحر له معنيان يخلِط بينهما بعض الناس فيخطئون :

المعنى الأوّل: التصديق بوجود السحر وبوقوعه وأنه يؤثر أثرًا حقيقيًّا بإذن الله القدري ... وهذا ليس ممنوعًا بل هو من الدين أن تصدِّق بذلك ...

المعنى الثاني: تصديق السَّحرة واعتقاد أنّ لهم تأثيرًا في الكون، أو اعتقاد أنهم يعلمون الغيب، أو أنهم يتسلطون على الجن والجن يؤثِّرون في الكون، أو نحو ذلك، وهذا هو المذموم [3]

- أنواع التصديق بالسحر:

أحدهما: أن يصدق بأثره أن له تأثيراً، وهذا لا بأس به؛ لأن هذا هو الواقع.

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 314/1

[2] - القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 13/2

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

والثاني: أن يصدق به إقراراً، أي: مقراً له وراضياً به، فهذا محرم ولا يجوز.[1]

- حكم تعلم السحر :

يحرم تعلم السحر سواء للعمل به أو ليتقه، وقد نص الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم على أن تعلمه كفر، فقال تعالى: {يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ} وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على أن السحر أحد الكبائر وأمر باجتنابه فقال: ﴿اجتنبوا السبع الموبقات ﴾ فذكر منها السحر. وفي السنن عند النسائي: ﴿من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ﴾ ...

- قول (تعلموا السحر ولا تعملوا به) ... ليس بحديث لا صحيح ولا ضعيف[2]

- استراق السمع وادعاء علم الغيب :

في الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خَضَعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفُذُهم ذلك. حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع" ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض. وصفه سفيان بكفِّه فحرَّفَها وبدَّد بين أصابعه: "فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة. فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا. فيصدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء"

---

[1] فتاوى نور على الدرب للعلامة ابن عثيمين 2/4

[2] فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الثانية 1/549

يخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن تعظيم الملائكة لكلام الله وما يعتريهم من الخوف وتساؤلهم عما قال ربهم وإجابة بعضهم لبعض. وما تعلمه الشياطين الذين يختطفون كلامَ الملائكة في ذلك لتُلقيه إلى السحرة والكهان من الناس وما تلاقيه الشياطين من الرمي بالشهب حينئذ، وأنه قد يتمكن الشيطان من إيصال الكلمة المسموعة من الملائكة إلى الساحر أو الكاهن -لحكمة يعلمها الله وإلا فهو سبحانه لا يفوته شيء- فيُزاد مع تلك الكلمة من قِبل الشيطان أو الآدمي تسعٌ وتسعون كذبة وتُذاع كلها في الناس فيصدِّقونها كلها بسبب تلك الكلمة المسموعة. [1]

ولا يصل هؤلاء المسترقون إلا إلى السماء الدنيا؛ لقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً} ؛ فلا يمكن نفوذه إلى ما فوق.[2]

- بيان شيء من أنواع السحر :

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة، عن أبيه؛ أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت "

أ/ "العيافة" :

مصدر عاف يعيف عيافة، وهي: زجر الطير للتشاؤم أو التفاؤل؛ فعند العرب قواعد في هذا الأمر ... فإذا زجر الطائر وذهب شمالا تشاءم، وإذا ذهب يمينا تفاءل، وإن ذهب أماما؛ فلا أدري أيتوقفون أم يعيدون الزجر؟ فهذا من الجبت [3]

---

[1] الملخص في شرح كتاب التوحيد للعلامة صالح الفوزان 137

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 314/1

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 514/1

ب/ "الطرق" :

فسره عوف: بأنه الخط يخط في الأرض... ومعنى الخط بالأرض معروف عندهم، يضربون به على الرمل على سبيل السحر والكهانة، ويفعله النساء غالبا، ولا أدري كيف يتوصلون إلى مقصودهم وما يزعمونه من علم الغيب، وأنه سيحصل كذا على ما هو معروف عندهم؟!

وهذا نوع من السحر [1]

ومثله كلُّ خَطٍّ، كقراءة خطوط الكف... ومثله: الفنجال، فنجال القهوة، فإنه إذا شُرِبت القهوة يكون في الفنجال خطوط، ويأتي بعض الناس يقرأون بزعمهم أنّ هذه الخطوط لمعرفة المستقبل. [2]

ج/ "الطيرة" :

هي التشاؤم... وأصل التطير: التشاؤم، لكن أضيفت إلى الطير؛ لأن غالب التشاؤم عند العرب بالطير، فعلقت به، وإلا؛ فإن تعريفها العام: التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم.

... وهذا من الشرك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم

والإنسان إذا فتح على نفسه باب التشاؤم؛ ضاقت عليه الدنيا، وصار يتخيل كل شيء أنه شؤم ... فالمهم أن التشاؤم ينبغي للإنسان أن لا يطرأ له على بال؛ لأنه ينكد عليه عيشه؛ فالواجب الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث كان يعجبه الفأل فينبغي للإنسان أن يتفاءل بالخير ولا يتشاءم، وكذلك بعض الناس إذا حاول الأمر مرة بعد أخرى تشاءم بأنه لن ينجح فيه فيتركه، وهذا خطأ؛ فكل شيء ترى فيه المصلحة؛ فلا تتقاعس عنه في أول محاولة، وحاول مرة بعد أخرى حتى يفتح الله عليك [3]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 514/1

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 515/1

قال عوف: " العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض والجبت " قال الحسن: رنة الشيطان [1] إسناده جيد. ولأبي داود والنسائي وابن حبان في " صحيحه " لهم المسند منه.

هذه الثلاثة (العيافة والطرق والطيرة) من الجبت. [2]

ووجه كون العيافة من السحر أن العيافة يستند فيها الإنسان إلى أمر لا حقيقة له ... فإذا اعتمد الإنسان على ذلك؛ فقد اعتمد على أمر خفي لا حقيقة له، وهذا سحر كما سبق تعريف السحر في اللغة وكذلك الطرق ... والطيرة ... [3]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من اقتبس شعبة من النجوم [4] فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد " [5] رواه أبو داود، وإسناده صحيح .

– وجه كون التنجيم من السحر: أنّ التنجيم يَعتمِد على أمر خَفي.... ولأن في التنجيم ادّعاء علم الغيب [1]

---

[1] رنة الشيطان: أي صوت الشيطان؛ حيث يأمر الناس فيه بالشر. وهذا أحد التفسيرات للجبت / شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 516/1

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 517/1

[4] قوله: "اقتبس": أي: تعلم...

قوله: "شعبة": أي: طائفة...

قوله: "من النجوم": المراد: علم النجوم .... الذي يستدل به على الحوادث الأرضية؛ فيستدل مثلا باقتران النجم الفلاني بالنجم الفلاني على أنه سيحدث كذا وكذا ... والحوادث الأرضية من عند الله، قد تكون أسبابها معلومة لنا، وقد تكون مجهولة، لكن ليس للنجوم بها علاقة (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 519/1)

[5] قوله: " فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد " المراد بالسحر هنا: ما هو أعم من السحر المعروف...

وقوله: " زاد ما زاد " أي: كلما زاد شعبة من تعلم النجوم ازداد شعبة من السحر (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 520/1)

- **حكم الشرع حول الاعتقاد بصدق أبراج الحظ الموجودة في الجرائد والمجلات وقراءتها :**

تعليق النحس والسعد في الأفلاك والأبراج من شرك الأوائل من المجوس، والصابئة من الفلاسفة، ونحوهم من طوائف الكفر والشرك، وادعاء علم ذلك هو في الظاهر ادعاء لعلم الغيب، وهذا منازعة لله في حكمه، وهذا شرك عظيم، ثم هو في حقيقته دجل وكذب وتلاعب بعقول الناس، وأكل لأموالهم بالباطل، وإدخال للفساد في عقائدهم والتلبيس عليهم.

وعليه فإن (أبراج الحظ) يحرم نشرها والنظر فيها وترويجها بين الناس، ولا يجوز تصديقهم، بل هو من شعب الكفر والقدح في التوحيد، والواجب الحذر من ذلك، والتواصي بتركه، والاعتماد على الله سبحانه وتعالى، والتوكل عليه في كل الأمور. [2]

وكل هذه الأنواع التي سُميت سحرًا يَجمعها: الخفاء في السب، والأثر في القلوب والأبدان. [3]

10/ الكهانة ونحوها :

الكاهن؛ قيل: هو الذي يخبر عما في الضمير. وقيل: الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل... وكان كل حي من أحياء العرب لهم كاهن يستخدم الشياطين... وكانوا يتحاكمون إليهم في الجاهلية [4]

روى مسلم في " صحيحه " عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿من أتى عرافا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة﴾ [5]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الثانية 1/ 203

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[4] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/ 493

[5] نفي القبول هنا هل يلزم منه نفي الصحة أو لا؟ نقول: نفي القبول إما أن يكون لفوات شرط، أو لوجود مانع؛ ففي هاتين الحالين يكون نفي القبول نفيا للصحة ...

العراف قيل: هو الكاهن، وهو الذي يخبر عن المستقبل. وقيل: هو اسم عام للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يستدل على معرفة الغيب بمقدمات يستعملها، وهذا المعنى أعم ... فيشمل كل من تعاطى هذه الأمور وادعى بها المعرفة. [1]

- الفرق بين الكاهن والعراف :

في هذه المسألة خلاف بين أهل العلم:

القول الأول: أن العراف هو الكاهن والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل؛ فهما مترادفان؛ فلا فرق بينهما.

القول الثاني: أن العراف هو الذي يستدل على معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحوها؛ فهو أعم من الكاهن، لأنه يشمل الكاهن وغيره، فهما من باب العام والخاص.

القول الثالث: أن العراف هو الذي يخبر عما في الضمير، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل.

فالعراف هو الكاهن أو أنه أعم منه، أو أن العراف يختص بالماضي، والكاهن بالمستقبل؛ فهما متباينان، والظاهر أنهما متباينان؛ فالكاهن من يخبر عن المغيبات في المستقبل [والعراف من يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك] غير واضح

- لا يلزم من نفي القبول نفي الصحة، وإنما يكون المراد بالقبول المنفي: إما نفي القبول التام؛ أي: لم تقبل على وجه التمام الذي يحصل به تمام الرضا وتمام المثوبة. وإما أن يراد به أن هذه السيئة التي فعلها تقابل تلك الحسنة في الميزان، فتسقطها، ويكون وزرها موازيا لأجر تلك الحسنة، وإذا لم يكن له أجر صارت كأنها غير مقبولة، وإن كانت مجزئة ومبرئة للذمة / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 535/1

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 532/1

لأنهما لو كانا متباينين لقلنا: والعراف هو الذي يخبر عما في الضمير أو أن يكونا من باب العام والخاص فيقال في العراف ما هو مطبوع هنا بين القوسين. [1]

– سؤال العراف ونحوه ينقسم إلى أقسام : (تفصيل العلامة ابن عثيمين)

القسم الأول: أن يسأله سؤالا مجردا؛ فهذا حرام ...

القسم الثاني: أن يسأله فيصدقه، ويعتبر قوله؛ فهذا كفر لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن ...

القسم الثالث: أن يسأله ليختبره: هل هو صادق أو كاذب، لا لأجل أن يأخذ بقوله؛ فهذا لا بأس به، ولا يدخل في الحديث. وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم ابن صياد؛ فقال: " ماذا خبأت لك؟ قال: الدخ. فقال: اخسأ؛ فلن تعدو قدرك " فالنبي صلى الله عليه وسلم سأله عن شيء أضمره له؛ لأجل أن يختبره، فأخبره به.

القسم الرابع: أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، فيمتحنه ... وهذا مطلوب، وقد يكون واجبا [2]

– الذهاب إلى العرافين أو الكهان أو السحرة على درجات وأحوال : (تفصيل الشيخ سليمان الرحيلي)

الدرجة الأولى: أن يذهب إليهم ويسألهم ويصدِّقهم؛ مع اعتقاده أنهم يَعلَمون الغيب ... أو مع علمهم أنهم يَستعينون بالشياطين أو يتقرَّبون إليهم؛ فهذا كفر أكبر ...

الدرجة الثانية: أن يذهب إليهم ويسألهم ويصدّقهم؛ مع اعتقاده أنهم لا يَعلَمون الغيب، وأنه لا يَعلم الغيب إلا الله، ومع عدم علمه أنهم يتقرَّبون إلى الشياطين، وإنما يَعتقد أنه يَعلَمون ما يقولون بطريق الإلهام مثلاً، أو بطريق العِلْم فيقول: هؤلاء عندهم من العلم ما ليس عندنا، أو نحو هذا، فهذا كفر أصغر... وقد يدخل في عقوبة أنه لا تُقبَل له صلاة أربعين يومًا...

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/552

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/533

ونازَع بعض أهل العلم في هذا؛ وقالوا: بل إن صدَّقهم فهو كافر كفرًا أكبر، وقالوا: العبرة بتصديقه.

وتوقف بعض أهل العلم.

والأقرب –والله أعلم– هو ما ذكرناه: أنه من الكفر الأصغر... فهو لا يَعتقد أنهم يَعلَمون الغيب، ولا يَعلمُ أنهم يتقرَّبون إلى الشياطين.

الدرجة الثالثة: أن يذهب إليهم لا ليسألهم ولا ليصدّقهم ولا يكون غرضه إظهار باطلهم؛ وإنما كما يقال: يريد أن يطّلع، أو يريد أن يضحك، وغير ذلك؛ فهذا حرام، وهو متوعَّد بأن لا يَقبل الله له صلاة أربعين ليلة ...

الدرجة الرابعة: أن يذهب إليهم لإظهار باطلهم، وكشف زَيف أقوالهم، أو للإنكار عليهم، ولا تترتَّب على ذهابه مفسَدة أعظم؛ فهذا جائز؛ بل مشروع. [1]

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من أتى كاهنا، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم " [2] رواه أبو داود وللأربعة والحاكم – وقال: " صحيح على شرطهما"

– الذي يصدق الكاهن في علم الغيب وهو يعلم أنه لا يعلم الغيب إلا الله؛ فهو كافر كفرا أكبر مخرجا عن الملة، وإن كان جاهلا ولا يعتقد أن القرآن فيه كذب؛ فكفره كفر دون كفر. [3]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] ... قوله: "بما يقول": "ما" عامة في كل ما يقول، حتى ما يحتمل أنه صدق؛ فإنه لا يجوز أن يصدقه؛ لأن الأصل فيهم الكذب / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 537/1

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 539/1

وعن عمران بن حصين مرفوعا: " ليس منا من تطير أو تطير له، [1] أو تكهن أو تكهن له [2] أو سحر أو سحر له [3] ، ومن أتى كاهنا، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم " رواه البزار بإسناد جيد

وهل من الكهانة ما يخبر به الآن من أحوال الطقس في خلال أربع وعشرين ساعة أو ما أشبه ذلك؟ الجواب: لا؛ لأنه أيضا يستند إلى أمور حسية، وهي تكيف الجو ... ونظير ذلك في العلم البدائي إذا رأينا تجمع الغيوم والرعد والبرق وثقل السحاب، نقول: يوشك أن ينزل المطر. فالمهم أن ما استند إلى شيء محسوس؛ فليس من علم الغيب [4]

... لو أخبر عن كسوف الشمس أو خسوف القمر؛ فهذا ليس من الكهانة؛ لأنه يدرك بالحساب، وكما لو أخبر أن الشمس تغرب في 20 من برج الميزان مثلا في الساعة كذا وكذا؛ فهذا ليس من علم الغيب، وكما يقولون: إنه سيخرج في أول العام أو العام الذي بعده مذنب (هالي) ، وهو نجم له ذنب طويل؛ فهذا ليس من الكهانة في شيء؛ لأنه من الأمور التي تدرك بالحساب؛ فكل شيء يدرك بالحساب، فإن الإخبار عنه ولو كان مستقبلا لا يعتبر من علم الغيب، ولا من الكهانة. [5]

---

[1] ... قوله: "ليس منا": ... هذه الكلمة ... لا تدل على خروج الفاعل من الإسلام، بل على حسب الحال...

قوله: "أو تطير له": ... أي: أمر من يتطير له ...

وقوله: "من تطير" يشمل من تطير لنفسه، أو تطير لغيره. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/542)

[2] مثل الذين يذهبون إلى الذين يقرؤون ... أو يذهبون إلى النساء اللاتي يقرأن بالفنجال، أو يضربن على الرمل لمعرفة المستقبل (شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي)

[3] ومنه النشرة عن طريق السحر؛ فهي داخلة فيه (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/543)

[4] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/531

[5] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/531

- من يخبر بأشياء وقعت في مكان ولم يطلع عليها أحد دون أن يكون موجودا فيه؛ فلا يسمى كاهنا؛ لأنه لم يخبر عن مغيب مستقبل يمكن أن يكون عنده جني يخبره، والجني قد يخدم بني آدم بغير المحرم؛ إما محبة لله عزوجل أو لعلم يحصله منه، أو لغير ذلك من الأغراض المباحة.[1]

11/ التنجيم :

- تعريفه :

التنجيم: ... أي: تعلم علم النجوم، أو اعتقد تأثير النجوم.[2]

- علم النجوم ينقسم إلى قسمين: (تفصيل العلامة ابن عثيمين)

الأول: علم التأثير، وهو أن يستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية؛ فهذا محرم باطل ... فالأحوال الفلكية لا علاقة بينها وبين الحوادث الأرضية.

الثاني: علم التسيير، وهو ما يستدل به على الجهات والأوقات؛ فهذا جائز، وقد يكون واجبا أحيانا ... قال تعالى: {وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} ... مثل أن يقال: إذا طلع النجم الفلاني دخل وقت السيل ودخل وقت الربيع، وكذلك على الأماكن؛ كالقبلة، والشمال، والجنوب.[3]

فالأول: علم التأثير. وهذا ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ: أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة، بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث والشرور؛ فهذا شرك أكبر ...

ب: أن يجعلها سببا يدعي به علم الغيب؛ فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا؛ لأن النجم الفلاني صار كذا وكذا ... فهذا اتخذ تعلم النجوم وسيلة لا دعاء علم الغيب، ودعوى علم الغيب كفر مخرج عن الملة ...

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 314/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 5/2

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 519/1

ج: أن يعتقدها سببا لحدوث الخير والشر، أي أنه إذا وقع شيء نسبه إلى النجوم، ولا ينسب إلى النجوم شيئا إلا بعد وقوعه؛ فهذا شرك أصغر ...

الثاني: علم التسيير. وهذا ينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية؛ فهذا مطلوب، وإذا كان يعين على مصالح دينية واجبة كان تعلمها واجبا، كما لو أراد أن يستدل بالنجوم على جهة القبلة ...

الثاني: أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية؛ فهذا لا بأس به، وهو نوعان:

النوع الأول: أن يستدل بها على الجهات ... فهذا جائز، قال تعالى: {وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [سورة النحل: الآية 16] .

النوع الثاني: أن يستدل بها على الفصول، وهو ما يعرف بتعلم منازل القمر؛ فهذا كرهه بعض السلف، وأباحه آخرون... والصحيح عدم الكراهة؛ كما سيأتي إن شاء الله [1]

- **العلوم التي يتعاطاها الناس والمتعلِّقة بالنجوم من جهة التفصيل أربعة :** (تفصيل الشيخ سليمان الرحيلي)

النوع الأوّل: عِلْمُ دراسة النجوم من جهة مواقعها وطبيعتها وأحجامها وسَيرها، وهذا جزء مما يُسمى بعِلم الفَلك، ويُبنى على أشياء محسوسة ؛ وهذا عِلْمٌ مباح.

النوع الثاني: عِلْمُ التَّسيير. أي: عِلْمُ معرفة كون النجوم علامات على الجهات، ونحوها؛ وهذا علم جائز لا حرج في تعلُّمه على الراجح من أقوال أهل العلم، نعم بعض السلف من منعوا منه، لكنّ الصواب أنه علم جائز، بل في الحقيقة أنّ تعلُّمه من غير تكلُّف وتعمُّق مستحب؛ لِمَا في ذلك من نَفْع الناس ...

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 5/2

وقد يكون تَعلُّم هذا العلم واجبًا على الإنسان، وذلك إذا كان لا يستطيع معرفة القبلة إلا بمعرفة النجوم ...

النوع الثالث: عِلْمُ الاستدلال بالنجوم على أمور تقع في المستقبل بحكم التجربة والمعتاد بأمور حسية؛ كمعرفة زمن دخول الحَرّ، وزمن دخول البرد ... أو معرفة زمن الكسوف والخسوف، كما يحصل اليوم؛ ... لأنّ الله جعل هذا على طريقة منتظِمة، بدون اعتقاد أنها مؤثّرة ... فهذا العلم جائز لا حَرج فيه على الراجح، وإن كان من أهل العلم من حرَّمه سدًّا للذرائع، لكنّ هذا العلم لا مَحذور فيه؛ إذ لا يُعتَقد فيه تأثير الكواكب في الأحداث، ولا يُعتَقد فيه أنها أسباب حيث لم يجعلها الله أسبابًا، وإنما يُعرَف بمسيرها حدوث هذه الأمور بحكم العادة، ودراسة سَير الكواكب دراسة علميّة .

النوع الرابع: علم التأثير. وهو عِلْمُ النظر في النجوم لمعرفة الأمور الغيبية وما يقع للأفراد والجماعات في المستقبل، أو اعتقاد تأثير الكواكب في الكون؛ بحيث يضاف الفِعْلُ إليها... فعِلم التأثير حرام وهو شعبة من السحر، بل هذا كفر أكبر؛ لأنّ فيه ادِّعاء علم الغيب، وفيه تكذيب القرآن، ولأنّ فيه اعتقاد أنّ النجوم مؤثِّرات من دون الله عز وجل، فهذا كفر أكبر يُخرج من الملّة.

وقد خاف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في آخر الزمان الإيمان بالنجوم، فقد جاء في الحديث: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إنّ أخوَف ما أتخوَّف على أمّتي آخر الزمان ثلاثًا: إيمانًا بالنجوم، وتكذيبًا بالقَدَر، وحَيف السلطان﴾. ... المقصود: الإيمان بالنجوم في علم التأثير الذي بيَّناه...

وهناك شيء يَتعلَّق بعلم التأثير يكون شركًا أصغر؛ وهو: اعتقاد أنّ النجوم أسباب لقَدَرِ الله عز وجل، فمَن يولَد في البرج الفلاني يكون سعيدًا بقدر الله، ومَن يولد في البرج الفلاني يكون

جميلاً بقدر الله، فهؤلاء يقولون: الأمور بقَدَرِ الله وبمشيئة الله، ولكن يجعلون النجوم أسبابًا لأقدار الله، والله لم يجعلها أسبابًا؛ فهذا شرك أصغر ...

ويمكن إجمال هذه العلوم الأربعة إلى عِلمين :

الأوّل: عِلم التسيير. ويدخل فيها الأوّل والثاني والثالث. وهذا جائز على الراجح.

الثاني: علم التأثير. وهو النوع الرابع على ما فصّلناه. [1]

- النظر في النجوم ينقسم إلى أقسام :

الأول: أن يستدل بحركاتها وسيرها على الحوادث الأرضية، سواء كانت عامة أو خاصة؛ فهو شرك إن اعتقد أن هذه النجوم هي المدبرة الأمور، أو أن لها شركا؛ فهو كفر مخرج عن الملة، وإن اعتقد أنها سبب فقط؛ فكفره غير مخرج عن الملة ...

الثاني: أن يتعلم علم النجوم ليستدل بحركاتها وسيرها على الفصول وأوقات البذر والحصاد والغرس وما أشبهه؛ فهذا من الأمور المباحة؛ لأنه يستعان بذلك على أمور دنيوية.

القسم الثالث: أن يتعلمها لمعرفة أوقات الصلوات وجهات القبلة، وما أشبه ذلك من الأمور المشروعة؛ فالتعلم هنا مشروع، وقد يكون فرض كفاية أو فرض عين. [2]

قال البخاري في " صحيحه": " قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث زينة للسماء [3] ، ورجوما للشياطين [1] ، وعلامات يهتدى بها [2] ، فمن تأول فيها غير ذلك؛ أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به" انتهى.

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 550/1

[3] قال تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ} [الملك: من الآية5] (القول المفيد 8/2)

وكَرِه قتادة تعلم منازل القمر. [3]

ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حرب عنهما.

ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق. [4]

وقال ابن عباس في قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون في النجوم: " ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق " [1]

---

[1] أي: لشياطين الجن ... قال تعالى: {وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً} ، [الجن:9] . والرجم: الرمي (القول المفيد 8/2)

[2] تؤخذ من قوله تعالى: {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} ، [النحل:15-16] ، فذكر الله تعالى نوعين من العلامات التي يهتدى بها:

الأول: أرضية، وتشمل كل ما جعل الله في الأرض من علامة؛ كالجبال، والأنهار، والطرق، والأودية، ونحوها.

والثاني: أفقية في قوله تعالى: {وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} .

والنجم: اسم جنس يشمل كل ما يهتدى به، ولا يختص بنجم معين (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 8/2)

[3] وقوله: "تعلم منازل القمر" يحتمل أمرين:

الأول: أن المراد به معرفة منزلة القمر، فالليلة يكون في الشرطين، ويكون في الإكليل، فالمراد معرفة منازل القمر كل ليلة؛ لأن كل ليلة له منزلة حتى يتم ثمانيا وعشرين، وفي تسع وعشرين وثلاثين لا يظهر في الغالب.

الثاني: أن المراد به تعلم منازل النجوم؛ أي: يخرج النجم الفلاني في اليوم الفلاني، وهذه النجوم جعلها الله أوقاتا للفصول؛ لأنها [28] نجما، منها [14] يمانية و [14] شمالية؛ فإذا حلت الشمس في المنازل الشمالية صار الحر، وإذا حلت في الجنوبية صار البرد، ولذلك كان من علامة دنو البرد خروج سهيل، وهو من النجوم اليمانية.

(القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 10/2)

[4] والصحيح أنه لا بأس بتعلم منازل القمر؛ لأنه لا شرك فيها؛ إلا إن تعلمها ليضيف إليها نزول المطر وحصوله البرد، وأنها هي الجالبة لذلك؛ فهذا نوع من الشرك (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 11/2)

- حكم قول (سوء الطالع أو حسن الطالع) :

يحرم استعمال عبارتي (من حسن الطالع) ، و (من سوء الطالع) ؛ لأن فيهما نسبة التأثير في الحوادث الكونية حسنا أو سوءا إلى المطالع، وهي لا تملك من ذلك شيئا، وليست سببا في سعود أو نحوس، قال الله تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} فإن كان القائل يعتقد أن هذه المطالع فاعلة بنفسها من دون الله تعالى فهو شرك أكبر، وإن كان يعتقد أن الأمور كلها بيد الله وحده ولكن تلفظ بذلك فقط فهو من شرك الألفاظ الذي ينافي كمال التوحيد الواجب، والأصل في ذلك ما خرجه مسلم في (صحيحه) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ﴿لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر ﴾ ، وما ثبت في (الصحيحين) ﴿عن زيد بن خالد الجهني - رضي الله عنه - قال: صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف النبي - صلى الله عليه وسلم - أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب ﴾[2]

- تعلم أبا جاد ينقسم إلى قسمين :

الأول: تعلم مباح بأن نتعلمها لحساب الجمل، وما أشبه ذلك؛ فهذا لا بأس به، وما زال أناس يستعملونها، حتى العلماء يؤرخون بها، قال شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في تاريخ بناء المسجد الجامع القديم: ... تاريخه حين انتهى ... قول المنيب اغفر لنا ...

---

[1] ... والحال أنهم ينظرون، فيربطون ما يكتبون بسير النجوم وحركتها.

قوله: "ما أرى من فعل ذلك": ويجوز بفتح الهمزة بمعنى: أعلم، وبالضم بمعنى: ما أظن...

قوله: "خلاق": أي: نصيب. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/548)

[2] فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى 26/367

فقوله: "اغفر لنا" لو عددناها حسب الجمل صارت 1362 هـ...

الثاني: محرم، وهو كتابة "أبا جاد" كتابة مربوطة بسير النجوم وحركتها وطلوعها وغروبها، وينظرون في النجوم ليستدلوا بالموافقة أو المخالفة على ما سيحدث في الأرض، إما على سبيل العموم؛ كالجذب والمرض والحرب وما أشبه ذلك، أو على سبيل الخصوص؛ كأن يقول لشخص: سيحدث لك مرض أو فقر أو سعادة أو نحس في هذا وما أشبه ذلك؛ فهم يربطون هذه بهذه، وليس هناك علاقة بين حركات النجوم واختلاف الوقائع في الأرض...

ظاهر كلام ابن عباس أنه يرى كفرهم ... المسألة فيها خلاف؛ فإنه يجب قتلهم لدفع مفسدتهم ومضرتهم، حتى وإن قلنا بعدم كفرهم؛ لأن أسباب القتل ليست مختصة بالكفر فقط، بل للقتل أسباب متعددة ومتنوعة ... فكل من أفسد على الناس أمور دينهم أو دنياهم؛ فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا؛ قتل، ولا سيما إذا كانت هذه الأمور تصل إلى الإخراج من الإسلام.[1]

12/ النشرة :

- تعريف النشرة :

في اللغة؛ بضم النون: فعلة من النشر، وهو التفريق.

وفي الاصطلاح: حل السحر عن المسحور.[2]

عن جابر؛ " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة[3] ؛ فقال: هي من عمل الشيطان " رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود وقال: " سئل أحمد عنها؛ فقال: ابن مسعود يكره هذا كله ".[1]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 548/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 553/1

[3] قوله: "عن النشرة": أل للعهد الذهني؛ أي: المعروفة في الجاهلية التي كانوا يستعملونها في الجاهلية، وذلك طريق من طرق حل السحر (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 553/1)

وفي " البخاري " عن " قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب [2] أو يؤخذ عن امرأته [3] ؛ أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به؛ إنما يريدون به الإصلاح، [4] فأما ما ينفع؛ فلم ينه عنه " وروي عن الحسن، أنه قال: " لا يحل السحر إلا ساحر ". [5]

---

[1] الكراهة عند المتقدمين يراد بها التحريم غالبا، ولا تخرج عنه إلا بقرينة، وعند المتأخرين خلاف الأولى (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/555)

[2] أي: سحر (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/555)

[3] ": أي: يحبس عن زوجته؛ فلا يتمكن من جماعها، وهو ليس به بأس، وهذا نوع من السحر...

وقد ذكر بعض أهل العلم أن من العلاج أن يطلقها، ثم يراجعها؛ فينفك السحر. لكن لا أدري هل هذا يصح أم لا؟ فإذا صح؛ فالطلاق هنا جائز؛ لأنه طلاق للاستبقاء، فيطلق كعلاج، ونحن لا نفتي بشيء من هذا، بل نقول: لا نعرف عنه شيئا. الأولى ...

و "أو" في قوله: "أو يؤخذ" يحتمل أنها للشك من الراوي ... ويحتمل أن تكون للتنويع، أي أنه سأله عن أمرين: عن المسحور، وعن الذي يؤخذ عن امرأته. (القول المفيد 1/556)

[4] قوله: "أيحل عنه أو ينشر": لا شك أن "أو" هنا للشك ؛ لأن الحل هو النشرة.

قوله: "لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح": كأن ابن المسيب رحمه الله قسم السحر إلى قسمين: ضار، ونافع . فالضار محرم، قال تعالى: {وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ} 2 والنافع لا بأس به، وهذا ظاهر ما روي عنه، وبهذا أخذ أصحابنا الفقهاء، فقالوا: يجوز حل السحر بالسحر للضرورة، وقال بعض أهل العلم: إنه لا يجوز حل السحر بالسحر، وحملوا ما روي عن ابن المسيب بأن المراد به ما لا يعلم عن حاله: هل هو سحر، أم غير سحر؟ أما إذا علم أنه سحر؛ فلا يحل، والله أعلم. ولكن على كل حال حتى ولو كان ابن المسيب ومن فوق ابن المسيب ممن ليس قوله حجة يرى أنه جائز؛ فلا يلزم من ذلك أن يكون جائزا في حكم الله حتى يعرض على الكتاب والسنة، وقد " سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن النشرة؟ فقال: هي من عمل الشيطان " (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/556)

[5] قوله: "وروي عن الحسن: " لا يحل السحر إلا ساحر " .

هذا الأثر إن صح؛ فمراد الحسن الحل المعروف غالبا، وأنه لا يقع إلا من السحرة. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/557)

- **أنواع النشرة :**

هي على نوعين:

الأول: أن تكون باستخدام الشياطين، فإن كان لا يصل إلى حاجته منهم إلا بالشرك؛ كانت شركا، وإن كان يتوصل لذلك بمعصية دون الشرك؛ كان لها حكم تلك المعصية.

الثاني: أن تكون بالسحر؛ كالأدوية والرقى والعقد والنقث وما أشبه ذلك؛ فهذا له حكم السحر على ما سبق [1]

قال ابن القيم: " النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة؛ فهذا جائز ". [2]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 553/1

[2] التّعوذات سواء وَرَدَتْ في السنة أو لم تَرِدْ، إذا كان التعوُّذ صحيحًا فهذا من الدواء ومن الرقية ... لا يُشترط في الدعاء أن يكون مأثورًا، ولكنّ المأثور أنفع، لكن يُشترط فيه ألّا يَتضمن محرَّمًا ...

ويُحَلّ السحر أيضًا بالأدوية النبوية؛ كالاستشفاء بماء زمزم ... والتصبُّح بسبع تمراتٍ عَجوة ...

وكذلك الحبة السوداء ... مثلاً: أن يأخذ سبع حبات سوداء، ويضعها في فيه، ويُغلِق فيه ويَطحنها طحنًا، هذه أحسن طريقة للتداوي بالحبة السوداء. يأخذ سبع حبات لأنّ المختصون قالوا: هذا هو المقدار النافع منها، ويضعها في فيه، ويغلق فيه ويطحنها وفمه مغلق ... وهذه أنفع الطّرق في التداوي بالحبة السوداء.

أو طَحَنَها واستنشقها ...

ومن ذلك ما قاله عبد الرزاق، قال: (قال الشعبي: لا بأس بالنُّشرة العربية) يعني: بالنُّشرة التي يفعلها الأعراب، قال: (والنُّشرة العربية: أن يَخرج الإنسان إلى موضع عَضَاهٍ) أي: إلى موضع فيه أشجار ذات شوك صغير، يعني في البوادي (فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كل ثمر يَدُقُّه، ويقرأ فيه، ثم يَغتسل به). فهذه نُشرة جُمِع فيها بين الرقية ونُشرة الأعراب. يخرج إلى البادية التي فيها الأشجار ذات الأشواك الصغيرة، ويأخذ من ثمارها، ويأخذ من

– ما الجمع بين قول الفقهاء رحمهم الله يجوز حل السحر بالسحر وبين قولهم يجب قتل الساحر؟ الجمع أن مرادهم بقتل الساحر من يضر بسحره دون من ينفع؛ فلا يقتل، أو أن مرادهم بيان حكم حل السحر بالسحر للضرورة، وأما الإبقاء على الساحر؛ فله نظر آخر، والله أعلم. [1]

أوراقها من يمينه، ومن شماله، ومن هنا ومن هنا، ثم يَجمعه، ثم يدقُّه دقًّا، بين حجرين، أو بأيّ طريقة، حتى لو وضعها في الخلاط المتوفر اليوم، ثم يَصبّ عليها ماء، وإن كان من زمزم فهذا حَسَن، ويَقرأ فيه الرقية، والدعوات والتعوُّذات المباحة التي ليس فيها حرام، ثم يغتسل به، ويَشرب منه إن كان لا يَضر، فهذا مما يَنفع، وجُرِب.

ومنها: ما قاله مَعمَر في جامعه؛ حيث قال: (وفي كُتب ابن وهب: أن تأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فتدقّه بين حجرين، ثم تَضربه في الماء، وتقرأ فيه آية الكرسي، وذوات قُلْ، ثم تَحسو منه ثلاث حسوات، وتَغتسل به، فإنه يَذهب عنه كلُّ ما به إن شاء الله تعالى، قال: وهو جيد للرجل إذا حُبِس عن أهله) ... ومنه أيضًا ؛ ما قاله حمّاد بن شاكر، وهو أحد كبار العلماء، كما نقله عنه الحافظ في فتح الباري، حمّاد بن شاكر من العلماء المتقدِّمين الكبار له كُتب، نَقَل عنه الحافظ في فتح عن بعض كتبه أنه قال: "وأمّا النشرة فإنه يَجمع أيام الربيع "– يعني أيام تفتح الأزهار والورود–" ما قَدر عليه من ورد المَفازة"– يعني من الورد البري التي تكون في البر والصحراء– "ورد البساتين"– يعني يجمع الورد من البر ومن البساتين– " ثم يُلقيها في إناء نظيف، ويَجعل فيها ماء عذبًا، ثم يغلي ذلك الورد في الماء غليًا يسيرًا"– ما يجعله يَطبخ، وما يجعله حتى يفور، ولكن يغليه غليًا يسيرًا– "ثم يُمهِله، حتى إذا فَتَرَ الماء أفاضه عليه"، وهذا دواء مباح، فإن جَمَعَ مع هذا الرقية فهذا أحسن، ليجمع بين العلاج الحسي المجرَّب وبين الرقية، فإنّ هذا مما يُذهب الله به السحر. (شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي)

فائدة : القراءة على المسحور تحتاج إلى صبر، اقرأ ساعة أوساعتين أو ثلاث ساعات في اليوم، واليوم الثاني، وفي اليوم الثالث ... فهناك مواطن بالجسد لا يكاد مَن يرقي أو يُرقى يَصبر على وَضْع يده عليها، ربما قفز من مكانه لو وَضَعَ يده عليها ... هذه علامة على أنّ هذا المكان هو أشدّ الأماكن تأثُّرًا، فإذا أردتَ أن تضع الزيت تَضع عليه، وإذا أردتَ أن تضع عليه شيئًا من الأدوية المباحة تضع عليه، وتقرأ عليه، ونحو ذلك. (شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي)

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 558/1

13/ مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين :

والدليل قوله تعالى: {ومن يتولهم منهم فانه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين} المائدة 16.[1]

مظاهرة المشركين: هي توليهم والتولي: هو نصرتهم وإعانتهم على المسلمين من جهة كونهم كافرين ... ولفظها مشعر بحب ظهور الكفار على المسلمين، وحب ظهور دين الكافرين على دين المسلمين. ومظاهرة الكفار بهذا المعنى كفر أكبر بإجماع المسلمين، وهي مضادة لما أراده الله عزوجل ، ومعاندة لما شرعه الله عزوجل ، وسعي في رد ما أراده الله عزوجل لدين المسلمين، قال الله عزوجل : {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون} [التوبة: ٣٣]. فدل هذا على أن الذي يكره ظهور دين الله: مشرك كافر، فكيف بمن يحب ظهور دين الكفار على دين الله عزوجل ؟! لا شك أنه يكفر كفر أكبر. وقال الله : {ومن يتولهم منكم فهو منهم إن الله لا يهدي القوم الظليين} [المائدة: 51]، والظلم هنا هو الظلم الأكبر

.. وأما نصرة الكفار بنوع نصرة لغير دينهم، ومن غير محبة ظهور دينهم، وإنما لشهوة، أو دنيا يرجوها الإنسان، فهذا حرم عظيم، وذنب كبير، لكنه ليس كفرا يخرج من الملة. يدل لهذا ما جاء عن علي بن أبي طالب له، قال: بعثني رسول الله لا أنا والزبير والمقداد بن الأسود، قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة﴾ - أي امرأة مسافرة-، ﴿ومعها كتاب، فخذوه منها﴾، قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، حتى انتيهنا إلى الروضة، فإذا بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب - فأنكرت الكتاب، فقلنا: الخرج الكتاب أو لنلقين الثياب ... فلما سمعت هذا أخرجته من عقاصها، أي من جمارها، من شعرها، فأتينا به رسول الله ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة -وكان صحابيا - إلى أناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم

---

[1] نواقض الإسلام لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب

ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - يخبرهم بتدبير رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتح مكة-، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يا حاطب، ما هذا؟﴾، فاستفصل، وهذا أول دليل على أنه ليست كل نصرة للكفار كفراً، فإنه لو كان الأمر كفراً على إطلاقه لما استفصل النبي فقال: ﴿يا حاطب، ما هذا؟﴾ قال: يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت أمراً ملصقاً في قريش لست منها، و لم أكن من أنفسها-، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي.

ثم انظر ماذا قال حاطب: وما فعلت كفراً ولا ارتداداً، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، يعني: يا رسول الله، ما أرسلت لهم رضاً بالكفر، ولا ردة، ولكن طمعت في هذه المسألة، أن أتخذ عندهم يداً، فإن كان الأمر لك -وهو الأصل في النفس - فالحمد لله، وإن كان الأمر عليك فقد اتخذت عندهم يداً لأحمي قرابتي وأهلي في مكة، ومالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لقد صدقكم﴾، صدقكم في ماذا؟ أنه ما فعل كفراً، ولا ارتداداً، ولا رضاً بالكفر، فدل هذا على أنه ليست كل نصرة للكفار كفراً.

فحاطب رضي الله عنه نصر الكفار بنوع نصرة، وهو إخبارهم بتدبير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا كما يقال: يضعف موقف النبي صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يغزو قوماً ورى حتى يباغتهم، فحاطب ❊ أرسل إليهم بهذا الخبر، وفي هذا نوع نصرة، على من؟ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من ذلك، لما قال حاطب: ما فعلت ذلك كفراً، ولا ارتداداً، ولا رضاً بالكفر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لقد ومع صدقكم﴾. قال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم﴾. متفق عليه . وهذه الجملة تدل على أمرين، ﴿لعل الله اطلع على أهل بدر،

فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم﴾ تدل على أمرين:

الأمر الأول: أن النصرة لغير الدين – وإنما لدنيا أو نحوها- ليست كفراً، إذ لو كانت كفراً لما غفرت، لا لأهل بدر ولا لغير أهل بدر، وإنما تغفر بالتوبة.

والأمر الثاني: أن هذا الفعل وإن كان من أجل الدنيا وليس كفراً، إلا أنه ذنب عظيم، يحتاج أن يغفر، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم﴾.

فهذا يدل دلالة بينة على أن النصرة لغير الدين، ولغير كونهم كفاراً، ليست كفراً، وإنما هي جرم عظيم.

أما إذا أعان الكفار على بعض المسلمين لمصلحة المسلمين، بل ولمصلحة غيرهم من المصالح المعتبرة شرعاً، فهذا ليس معصية، بل هو مطلوب، كالتعاون بين الدول للقبض على المجرمين.

– ما يروجه هؤلاء المفسدون في الأرض من أن الدول الإسلامية تعين الكفار عليهم، وهذا كفر وردة: هذا باطل، فإنا نقول: إن هذا ليس معصية أصلاً، بل هذا مطلوب من ولاة الأمر المسلمين، أن يقتلوا الخوراج، ويمنعوا الفساد والمفسدين، فإذا احتاج المسلمون إلى إعانة الكفار لكون هؤلاء ليسوا في يد المسلمين، أو متحصنين بقوة يحتاج معها إلى إعانة الكفار عليهم، من أجل مصلحة المسلمين ودفع فسادهم، فهذا مشروع، ولا حرج فيه.

وينبغي نعلم -أيها الإخوة- أن التولي غير الموالاة، فالتولي هو النصرة، وهو ينقسم في حكمه إلى هذه الأقسام الثلاثة:

• نصرة الكفار من أجل دينهم: كفر أكبر.

نصرة الكفار من أجل دنيا، مع بغض دينهم، وبعض ظهورهم: هذا جرم عظيم

نصرة الكفار على بعض المسلمين المفسدين المجرمين، لإقامة المصلحة ودفع المفسدة: هذا مشروع، وليس ممنوعاً.

وأما الموالاة: فهي المحبة والود، وما قد يتبع ذلك.

- محبة الكافر لكفره رضا بكفره، وتزيين لكفره، بل وحب لكفره، وهذا كفر، وعليه تحمل النصوص الواردة في هذا.   وأما محبة الكافر محبة طبعية تغلب على القلب، من غير بذل سبب لها، فهذا لا يؤاخذ به الإنسان أصلاً، كأن يحب الولد والده الكافر محبة الوالد، مع بغضه له من جهة كفره ...

وأما المحبة لغير هذا: يعني ليست محبة طبعية، بل محبة مكتسبة، وليست من أجل الدين، فهذه محرمة، لا يجوز للمسلم أن يحب كافراً محبة قلبية بسبب دنيا أو نحو هذا.

- المحبة غير إظهار المحبة، فإظهار المحبة في الظاهر –في القول أو في العمل– لا يلزم منه وجود المحبة في القلب، فإذا كان المسلم في ديار الكفار، ويخاف منهم ومن شرهم، فأظهر لهم المحبة وقلبه مبغض لهم، فهذا لا حرج عليه فيه، لأنه يتقيهم تقاه، وإلا فقلبه يبغضهم، وإذا كان هذا للمصلحة الخاصة فكذلك للمصلحة العامة للأمة، كأن يكتب ولي الأمر المسلم لكافر: إنه يحبه، أو: إلى صديقنا، أو نحو ذلك، مداراة باللسان وقولاً باللسان، وإلا فقلبه مبغض للكفار، فهذا ليس كفراً، بل هو مأذون فيه عند وجود سببه. والخلط بين الأمور أوقع شباباً كثيرين في ظلمة التكفير، ومن ثم التفجير والتدمير، وإذا ميزت الأمور، ووضع كل شيء في نصابه، استقامت الأحوال، وسلمت الديانة. [1]

[1] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

14/ من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ، وأنه يسعه الخروج عن شريعته -كما وسع الخضر عن شريعة موسى العلية؛ فهو كافر :

النبي محمد صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الناس كافة، كما قال الله جل : {قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا} ... بل هو مبعوث إلى الجن والإنس، كما قال الله عزوجل : {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين } [الأنبياء:١٠٧]

- جاء عن أبي هريرة له عن رسول الله له أنه قال: ﴿والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة﴾ -يعي أمة الدعوة - يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار﴾. رواه مسلم. فلا تنفع اليهودية اليهودي حتى لو لم يكن على ديانة محرفة، فكيف وهو على ديانة محرفة؟ ... بل بمجرد أن يسمع بالنبي وجب عليه أن يؤمن به، وإلا كان من أهل النار،

- من اعتقد أن أحدا من الناس - سواء سماه ولي، أو سماه شيخا، أو سماه قطبا - لا يجب عليه أن يتبع النبي ، ويسعه أن يخرج عن شريعة محمد ، وأن يترك الواجبات الشرعية، وأنه تسقط عنه التكاليف لأنه قد وصل، فقد كذب، وكفر، وكذب القرآن والسنة. [1]

قال صلى الله عليه وسلم: ﴿ لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني﴾، فموسى صلى الله عليه وسلم كليم الله وهو من أولي العزم من الرسل،ومعه رسالة من رب العالمين ولو كان حيا ما وسعه إلا أن يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ، فكيف بأفراد الناس وأحادهم؟! [2]

---

[1] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح نواقض الإسلام للشيخ عبد الرزاق البدر 45

15/ دعاء غير الله :

قال تعالى: {وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ}

وقوله: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} 1 الآية.

وقوله: { إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ }

- أنواع الدعاء :

الدعاء يأتي بمعنين في الأصل –يجب أن نفهمهما-:

- يأتي الدعاء بمعنى النداء... وهذا لا يدخل معنا في الدعاء الشرعي.

- ويأتي الدعاء بمعنى الطلب بذلة ... وهذا هو الذي يتعلق به الدعاء الشرعي. [1]

والدعاء الشرعي نوعان :

النوع الأول: دعاء مسألة.

النوع الثاني: دعاء عبادة. [2]

دعاء مسألة؛ معناه: أن تطلب تحصيل الخير أو دفع الشر. [3]

دعاء المسالة: أن تقول: اللهم ارزقني، اللهم اشفني، اللهم عافني؛ فأنت تطلب[4]

---

[1] **- الدعاء ينقسم إلى قسمين:**

1. ما يقع عبادة، وهذا صرفه لغير الله شرك، وهو المقرون بالرهبة والرغبة، والحب، والتضرع.

2. ما لا يقع عبادة، فهذا يجوز أن يوجه إلى المخلوق، قال النبي صلى الله عليه وسلم "من دعاكم فأجيبوه" / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/261

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[4] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

فهذا ليس كله شركا، بل فيه تفصيل، فإن كان المخلوق قادرا على ذلك؛ فليس بشرك؛ كقولك: اسقني ماء لمن يستطيع ذلك ... وأما إن دعا المخلوق بما لا يقدر عليه إلا الله؛ فإن دعوته شرك مخرج عن الملة. مثال ذلك: أن تدعو إنسانا أن ينزل الغيث معتقدا أنه قادر على ذلك[1]

ودعاء العبادة: أن تعبد الله بما شرع. [2]

فإذا عبدتَ الله بما شرع فقد دعوته؛ لأنّ كل عبادة تتضمن المسألة. [3]

مثاله: الصوم، والصلاة، وغير ذلك من العبادات ... وهذا القسم كله شرك، فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله؛ فقد كفر كفرا مخرجا له عن الملة [4]

والعلماء يقولون: دعاء المسألة متضمِّن لدعاء العبادة ... ودعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة ... ودعاء المخلوق شرك أكبر مطلقًا؛ سواء كان دعاء المسألة أو دعاء العبادة. [5]

- دعاء المخلوق ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول: جائز، وهو أن تدعو مخلوقا بأمر من الأمور التي يمكن أن يدركها بأشياء محسوسة معلومة؛ فهذا ليس من دعاء العبادة، بل هو من الأمور الجائزة، قال صلى الله عليه وسلم " وإذا دعاك فأجبه "

الثاني: أن تدعو مخلوقا مطلقا، سواء كان حيا أو ميتا فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فهذا شرك أكبر لأنك جعلته ندا لله فيما لا يقدر عليه إلا الله، مثل: يا فلان! اجعل ما في بطن امرأتي ذكرا.

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[4] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[5] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

الثالث: أن تدعو مخلوقا ميتا لا يجيب بالوسائل الحسية المعلومة؛ فهذا شرك أكبر أيضا لأنه لا يدعو من كان هذه حاله حتى يعتقد أن له تصرفا خفيا في الكون. [1]

والمراد بقوله الرسول صلى الله عليه وسلم " من مات وهو يدعو من دون الله ندا "[2] المراد الند في العبادة، أما الند في المسألة؛ ففيه التفصيل السابق [3]

16/ اتخاذ الند مع الله :

اتخاذ الند مع الله قسمان :

القسم الأول : تنديد أعظم وهو أن يجعل ما هو محض حق الله ﻷ للمخلوق باتخاذ الند فيما يستحقه الله على العبد من توحيده بالعبادة، وهذا التنديد هو الشرك الأكبر، كما جاء في حديث ابن مسعود له حين سأله أي الذنب أعظم ؟ قال : أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ ﴾ وكما قال الله : فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢] ونحو ذلك .

القسم الثاني : تنديد أصغر : وهو أن يجعل للمخلوق شيئًا مما يجب أن يكون لله ، لكن لا يبلغ أن يصل إلى درجة الشرك الأكبر .

أي : يجعل للمخلوق شيئًا من الندية، ولكن لا تصل إلى صرف العبادة لغير الله، وهذا من جهة التعلق ببعض الأسباب التي لم يأذن الله لك بها ، أو تعظيم بعض الأشياء تعظيمًا لا يوصل إلى ما يناسب مقام الربوبية مثل الحلف بغير الله، ومثل قول : لولا الله وفلان وأشباه ذلك. فإذا الشرك هو التنديد، وهو اتخاذ الشريك مع الله . [4]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 159/1

[2] صحيح البخاري (4497)

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 120/1

[4] شرح كشف الشبهات للشيخ صالح آل الشيخ 129

17/ الغلو في الصالحين :

- تعريف الغلو :

الغلو: هو مجاوزة الحد في الثناء مدحا أو قدحا [1]

الغلو في الاصطلاح: هو مجاوزة الحدِّ.

- والحد قد يكون عقليًا يُعرَف بالعقل.

- وقد يكون عُرْفيًّا يُعرَف بالعُرْفِ والتجارب.

- وقد يكون شرعيًّا يُعرَف بالشرع ويُنسَب إليه. [2]

والكلام هنا عن الغلو في الحدِّ الشرعي؛ أي: مجاوزة الحدِّ الشرعيّ.

وضابط الغلو الشرعيّ: أن يُترك المشروع إلى غير المشروع. فمَن ترك المشروع إلى ما لم يَشرعه الله عز وجل فقد غلا وتجاوز الحدّ.

والغلو في الدين حرام مطلقًا؛ سواء كان صغيرًا أو كبيرًا.

والتنطع معناه: التشدق بالشيء والتعمق فيه، وهو من أنواع الغلو.

أما الاجتهاد؛ فإنه بذل الجهد لإدراك الحق، وليس فيه غلو إلا إذا كان المقصود بالاجتهاد كثرة التّقرب غير المشروع؛ فقد تؤدي إلى الغلو [3]

- مما ورد من الأدلة :

في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: (لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) (النساء: من الآية171) : {وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً} قال:

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/362

[2] الغلو كما سبق: هو مجاوزة الحد مدحا أو ذما، وقد يشمل ما هو أكثر من ذلك أيضا؛ فيقال: مجاوزة الحد في الثناء وفي التعبد وفي العمل . - قاله العلامة ابن عيمين في القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/372

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/391

هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا؛ أوحى الشيطان [1] إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا،[2] وسموها بأسمائهم،[3] ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك،[4] ونسي العلم؛ عبدت

قال ابن القيم: " قال غير واحد من السلف: لما ماتوا؛ عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم،[5] ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ".[6]

وعن عمر؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تطروني [7] كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله " أخرجاه [8]

---

[1] أي: وحي وسوسة، وليس وحي إلهام.- قاله العلامة ابن عيمين في القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 368/1

[2] الأنصاب: جمع نصب، وهو كل ما ينصب من عصا أو حجر أو غيره.- قاله العلامة ابن عيمين في القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 368/1

[3] إذا كان العبد لا يتذكر عبادة الله إلا برؤية أشباح هؤلاء؛ فهذه عبادة قاصرة أو معدومة.- قاله العلامة ابن عيمين في القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 368/1

[4] ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون، والقرن مئة سنة - قاله العلامة ابن عيمين في القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 368/1

[5] ابن عباس يقول: " إنهم جعلوا الأنصاب في مجالسهم " وهنا يقول: "عكفوا على قبورهم"، ولا يبعد أنهم فعلوا هذا وهذا، أو أنهم قبروا في مجالسهم؛ فتكون هي محل القبور - قاله العلامة ابن عيمين في القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 369/1

[6] وقعوا في نوعَين من الغلو، هما خطوتان معلومتان في الوقوع في الشرك:

الخطوة الأولى: العكوف عند القبور؛ ولو لم يُعبَد أصحاب القبور ...

الخطوة الثانية: تصوير التماثيل. – قاله الشيخ سليمان الرحيلي في شرح كتاب التوحيد .

[7] الإطراء: المبالغة في المدح. - قاله العلامة ابن عيمين في القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 370/1

[8] قوله: "فقولوا عبد الله ورسوله ": هذان الوصفان أصدق وصف وأشرفه في الرسول صلى الله عليه وسلم - قاله العلامة ابن عيمين في القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 370/1

وقال: قال رسوله الله صلى الله عليه وسلم " إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو "[1]
ولمسلم عن ابن مسعود؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " هلك المتنطعون " قالها ثلاثا [2]

- أقسام الغلو :

الغلو ينقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول: الغلو في العقيدة كغلو أهل الكلام في الصفات حتى أدى بهم إما إلى التمثيل أو التعطيل والوسط مذهب أهل السنة والجماعة بإثبات ماأثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل

القسم الثاني : الغلو في العبادات كغلو الخوارج الذين يرون كفر فاعل الكبيرة وغلو المعتزلة حيث قالوا إن فاعل الكبيرة بمنزلة بين المنزلتين وهذا التشدد قابله تساهل المرجئة حيث قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب. والوسط مذهب أهل السنة والجماعة أن فاعل المعصية ناقص الإيمان بقدر المعصية.

[1] قوله: "أهلك": يحتمل معنيين:

الأول: أن المراد هلاك الدين، وعليه يكون الهلاك واقعا مباشرة من الغلو؛ لأن مجرد الغلو هلاك.

الثاني: أنه هلاك الأجسام، وعليه يكون الغلو سببا للهلاك؛ أي: إذا غلوا خرجوا عن طاعة الله فأهلكهم الله- قاله العلامة ابن عيمين في القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/373

[2] ❋ المتنطِّعون: هم المتعمِّقون في الدين المتكلِّفون ما لم يُشرَع. – قاله الشيخ سليمان الرحيلي في شرح كتاب التوحيد

ومن ذلك ما يفعله بعض الناس من التنطع في صفات الله تعالى والتقعر فيها، حيث يسألون عما لم يسأل عنه الصحابة رضي الله عنهم – قاله العلامة ابن عيمين في القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/378

القسم الثالث: الغلو في المعاملات وهو التشدد بتحريم كل شيء [1]وقابل هذا التشدد تساهل من قال بحل كل شيء ينمي المال والاقتصاد حتى الربا والغش وغير ذلك.

والوسط أن يقال تحل المعاملات المبنية على العدل وهي ما وافق ما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة.

القسم الرابع: الغلو في العادات وهو التشدد في التمسك بالعادات القديمة وعدم التحول إلى ما هو خير منها.[2] أما أن كانت العادات متساوية في المصالح فإن كون الإنسان يبقى على ما هو عليه خير من تلقي العادات الوافدة. [3]

وينقسم من حيث أثره إلى قسمين :

القسم الأوّل: غلوٌّ هو حرام؛ لكنه لا يُخرِج من الدين ... مثال ذلك: الغلو في الأذكار... فترك المشروع وأَحدث أمرًا غير مشروعًا ...

القسم الثاني: الغلو المكفِّر. الذي يفعل الإنسان بسببه الكفر، وقد يُحكَم عليه بعينة بالكفر إذا اجتمعتِ الشروط وانتفتِ الموانع. مثال ذلك: الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم حتى يُعتقَد فيه ما لله. [4]

---

[1] حتى ولو كان وسيلة، وأنه لا يجوز للإنسان أن يزيد عن واجبات حياته الضرورية، وهذا مسلك سلكه الصوفية، حيث قالوا: من اشتغل بالدنيا؛ فهو غير مريد للآخرة، وقالوا: لا يجوز أن تشتري ما زاد على حاجتك الضرورية، وما أشبه ذلك. / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 376/1

[2] إذا كان الغلو في العادة يمنعك من التحول إلى عادة جديدة مفيدة أفيد من الأولى؛ فهذا من الغلو المنهي عنه/ القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 377/1

[3] شرح كشف الشبهات للعلامة ابن عثيمين 17

[4] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

- مفاسد الغلو :

الغلو في الدين ... يتضمن مفاسد كثيرة، منها:

1. أنه تنزيل للمغلو فيه فوق منزلته إن كان مدحا، وتحتها إن كان قدحا.

2. أنه يؤدي إلى عبادة هذا المغلو فيه كما هو الواقع من أهل الغلو.

3. أنه يصد عن تعظيم الله - سبحانه وتعالى -؛ لأن النفس إما أن تنشغل بالباطل أو بالحق ...

4. أن المغلو فيه إن كان موجودا؛ فإنه يزهو بنفسه، ويتعاظم ويعجب بها ... وتوجب العداوة والبغضاء وقيام الحروب والبلاء بين هذا وهذا إن كانت قدحا. [1]

- السبب الأعظم للشرك عبر التاريخ :

السبب الأعظم للشرك عبر التاريخ هو الغلو في الصالحين. فأوّل شرك وقع في الأرض ما وقع إلا بسبب الغلو في الصالحين. [2]

سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل :

فالأول محبة الصالحين

والثاني فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا أرادوا به خيرا فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره. [3]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 365/1

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] مزج الحق بالباطل حصل بأمرين:

الأول: محبة الصالحين، ولهذا صوروا تماثيلهم محبة لهم، ورغبة في مشاهدة أشباحهم.

الثاني: أن أهل العلم والدين أرادوا بذلك خيرا، وهو أن ينشطوا على العبادة، ولكن من بعدهم أرادوا غير الخير الذي أراده أولئك، ويؤخذ منه: أن من أراد تقوية دينه ببدعة؛ فإن ضررها أكثر من نفعها. مثال ذلك: أولئك الذين يغلون في الرسول صلى الله عليه وسلم ويجعلون له الموالد هم يريدون بذلك خيرا، لكن أرادوا خيرا بهذه البدعة فصار ضررها أكثر من نفعها؛ لأنها تعطي الإنسان نشاطا غير مشروع في وقت معين، ثم يعقبه فتور غير

وإلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها أعظم أسباب الوقوع في الشرك : الغلو في الصالحين.[1]

- منزلة الصالحين :

الصالحون من عباد الله –وعلى رأسهم أنبياء الله ... تجب محبتهم، ولهم منزلة عالية شرعًا، وإجلالهم وتعظيمهم التعظيم الشرعي من إجلال الله سبحانه وتعالى. وأخطأ في هذا طرفان:

الطرف الأوّل: جُفاة. لا يحبون عباد الله الصالحين، ولا يعرفون لهم فضلهم، ويسوُّونهم بغيرهم. وهذا ضلال وخطأ عظيم.

الطرف الثاني: غلاة. يَتجاوزن القَدْر في المحبة، وهذا هو المراد هنا ... ولربما وصل به إلى الشرك بالله عز وجل .[2]

- فائدة : الحقوق ثلاثة أقسام وهي :

الأول: حق لله لا يشرك فيه غيره: لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وهو ما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

الثاني: حق خاص للرسل، وهو إعانتهم وتوقيرهم وتبجيلهم بما يستحقون.

الثالث. حق مشترك، وهو الإيمان بالله ورسله، وهذه الحقوق موجودة في الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: {لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} فهذا حق مشترك،: {وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} هذا خاص

مشروع في بقية العام. ولهذا تجد هؤلاء الذين يغالون في هذه البدع فاترين في الأمور المشروعة الواضحة ليسوا كنشاط غيرهم – قاله العلامة ابن عيمين في القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 380/1

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

بالرسول صلى الله عليه وسلم: {وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} هذا خاص بالله - سبحانه وتعالى ... [1]

- تعظيم آثار المعظمين :

تعظيم آثار المعظمين من العلماء أو من الملوك أو من الرؤساء، بأن تُحيا هذه الآثار وترمم وتصان، فهذا العمل وسيلة من وسائل الشرك، وهذا من دين الجاهلية؛ لأنه يأتي جيل فيما بعد ويقولون – أو يقول لهم الشيطان –: إن آباءكم ما احتفظوا بهذه الآثار إلا لأن فيها بركة وفيها خيراً، فيعبدونها من دون الله؛ لأن الجيل الأول هيأ لهم الأسباب، كما فعل الشيطان مع قوم نوح لما أمرهم بتصوير الصالحين لأجل أن تبعث فيهم النشاط على العبادة، فهم أسّسوا هذا الشيء بنية صالحة، ولكن جاء جيل جُهّال فعبدوها، وهذا من فعل الجاهلية، هم الذين يعظمون آثار العظماء، ويحافظون عليها ويصونونها، ثم تعبد من دون الله ولو على المدى البعيد.

فلا يقل قائل: الناس الآن على دين صحيح وعلى توحيد.

نقول: لا يقتصر على الوقت الحاضر، وإنما يجب النظر للمستقبل، مع أن الحاضرين لا تُؤمن عليهم الفتنة أيضاً، ولكن المستقبل أشد، فلا يجوز العناية بهذه الآثار، وما هلكت الأمم إلاّ بمثل هذا، وهو أنهم عظّموا آثار كبرائهم حتى صارت أوثاناً في المستقبل، فالواجب على المسلمين التنبه لهذا الأمر.

وذكر الشيخ شاهداً لذلك؛ دار الندوة في مكة، وهي مكان يجتمع فيه أكابر قريش؛ للتشاور في الأمور المهمة.

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/371

فلما جاء الإسلام وزالت الجاهلية، بقي مبنى دار الندوة على حاله إلى وقت معاوية رضي الله عنه للتملك والانتفاع بسكناها وتحويلها عن هيئتها، فاشترى هذه الدار من حكيم بن حزام رضي الله عنه، فلام الناس حكيماً على ذلك، قالوا: لِمَ بعت هذا الأثر من آثار أسلافنا، وبعت مكرمة قريش؟ قال: رضي الله عنه: ذهبت المكارم إلا التقوى. وهذا مأخوذ من قوله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13] هذا هو الجواب السديد الموافق لكلام الله عز وجل، وهذا من نور البصيرة ونور الإيمان.

فدل على أنه لا يجوز الاحتفاظ بالآثار القديمة؛ لأن هذا يؤول إلى الشرك، ولو فيما بعد، والدين جاء بسد الطرق المفضية إلى الشرك. [1]

18/ النهي عن أعمال تتعلق بالقبور :

– الشرع قد حسم فتنة القبور وسَدَّ بابها سدًّا محكمًا، ومَنَعَ الذرائع إليها [2]، ويظهر هذا في أمرين عظيمين:

الأمر الأوّل: يتعلق بالقبور ذاتها، يتعلق بذات القبور، ومن ذلك: أنّ الشرع نهى عن رفع القبور، وأمر بتسويتها. ... ونهى الشرع عن البناء عليها ... فمن باب أولى بناء القُبب ... ونهى الشرع عن الكتابة على القبور ... من مقاصد الشريعة: استواء الناس في قبورهم. ...

[1] شرح مسائل الجاهلية للعلامة الفوزان

[2] الذرائع، أي: الطرق الموصلة إلى الشيء، وذرائع الشيء، وسائله وطرقه. والذرائع نوعان:

أ– ذرائع إلى أمور مطلوبة: فهذه لا تسد، بل تفتح وتطلب.

ب– ذرائع إلى أمور مذمومة: فهذه تسد، وهو مراد المؤلف رحمه الله تعالى / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 209/1

وأمّا الأمر الثاني: يتعلق بجعلها موضعًا للعبادة. حيث نهى الشرع عن جميع صور الصلاة ذات الركوع والسجود عند القبور، سواء تعددتِ القبور أو كانت قبرًا واحدًا ... فاتخاذ القبور مساجد كبيرة من كبائر الذنوب وشر عظيم.

... فالمقبرة ليست مكانًا للصلاة.

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة داخل المقبرة. رواه ابن حبان، وصححه الألباني.

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي الرجل بين القبور. رواه ابن حبان، وصححه الألباني. [1]

في الصحيح عن عائشة؛ أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور،[2] فقال: " أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح؛ بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله " [3]

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور، وفتنة التماثيل.[4]

وفي الصحيحين قال عائشة : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة [1] له على وجهه، فإذا اغتم بها؛ كشفها، فقال وهو كذلك: " لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] الظاهر أن هذه الصور صور مجسمة وتماثيل منصوبة. / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/393

[3] لأن عملهم هذا وسيلة إلى الكفر والشرك ... فما كان وسيلة إليه؛ فإن صاحبه جدير بأن يكون من شرار الخلق عند الله – سبحانه وتعالى/ القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/395

[4] هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

قوله: "فتنة القبور"؛ لأنهم بنوا المساجد عليها.

قوله: "فتنة التماثيل"؛ لأنهم صوروا فجمعوا بين فتنتين، وإنما سمي ذلك فتنة؛ لأنها سبب لصد الناس عن دينهم، وكل ما كان كذلك، فإنه من الفتنة، قال تعالى: {الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ} / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/395

قبور أنبيائهم مساجد ". [2] يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك؛ أبرز قبره؛ غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا. أخرجاه [3]

ولمسلم عن " جندب بن عبد الله؛ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، [4] فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا؛ لاتخذت أبا بكر خليلا " " ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك "

قال شيخ الإسلام فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن – وهو في السياق – من فعله. والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يبن مسجد.

– اتخاذ القبور مساجد له معنيان :

الأول: أن تبنى عليها مساجد.

الثاني: أن تتخذ مكانا للصلاة عندها وإن لم يبن المسجد ...[5]

---

[1] قوله: "خميصة": هي كساء مربع له أعلام كان يطرحه النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/396

[2] أي: أمكنة للسجود، سواء بنوا مساجد أم لا، يصلون ويعبدون الله تعالى فيها مع أنها مبنية على القبور. / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/396

[3] ... أبرز؛ أي: أخرج من بيته ... وهذا أحد الأسباب ... ولا مانع أن يكون للحكم الواحد سببان فأكثر / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/397 .

[4] وبهذا تعرف الجهل العظيم الذي يقوله العامة: إن إبراهيم خليل الله، ومحمدا حبيب الله، وهذا تنقص في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم بهذه المقالة جعلوا مرتبة النبي صلى الله عليه وسلم دون مرتبة إبراهيم/القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/400 .

[5] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/403

قال صلى الله عليه وسلم: " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا " [1]

وهذا معنى ثالث زائد على المعنيين الأولين، وهو أن يقال: كل شيء تصلي فيه، فإنه مسجد ما دمت تصلي فيه [2]

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود (رضي الله عنه) مرفوعا: " إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، [3] والذين يتخذون القبور مساجد " ورواه أبو حاتم في " صحيحه ".

- لا يجوز بناء المساجد على القبور؛ لأنها وسيلة إلى الشرك ، وهو عبادة صاحب القبر [4]

- من دفن شخصا في مسجد؛ وجب عليه نبشه وإخراجه من المسجد. [5]

- من بنى مسجدا على قبر وجب عليه هدمه [6]

- اتخاذ القبور مساجد من وسائل الشرك وذرائعه، ولهذا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تحذير أمته منه، وهذا من كمال رأفته ورحمته بالأمة.[7]

- الزيارة التي يقصد منها الانتفاع بالأموات زيارة بدعية. والزيارة التي يقصد بها نفع الأموات والاعتبار بحالهم زيارة شرعية. [8]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 400/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 404/1

[3] ... أي: إلى قرب قيام الساعة، وليس إلى قيامها بالفعل؛ لأنها لا تقوم إلا على شرار الخلق؛ فالله يرسل ريحا تقبض نفس كل مؤمن ولا يبقى إلا شرار الخلق، وعليهم تقوم الساعة. / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 405/1

[4] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 404/1

[5] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 402/1

[6] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 402/1

[7] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 402/1

[8] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 393/1

- الرسول صلى الله عليه وسلم حذر من اتخاذ القبور مساجد ثلاث مرات :

الأولى: في سائر حياته.

الثانية: قبل موته بخمس.

الثالثة: وهو في السياق.[1]

- القبور لها حق علينا من وجهين:

1. أن لا نفرط فيها يجب لها من الاحترام؛ فلا تجوز إهانتها ولا الجلوس عليها، وما أشبه ذلك.

2. أن لا نغلو فيها فنتجاوز الحد [2]

19/ الغلو في قبور الصالحين :

روى مالك في " الموطإ"؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "

- الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

ولابن جرير بسنده عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: {أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى} قال: " كان يلت لهم السويق، فمات، فعكفوا على قبره ".

وكذا قال أبو الجوزاء، عن ابن عباس : " كان يلت السويق للحاج " [3]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: " لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور [1] ، والمتخذين عليها المساجد والسرج [2] " رواه أهل السنن

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 410/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 419/1

[3] قوله: "السويق": هو عبارة عن الشعير يحمص، ثم يطحن، ثم يخلط بتمر أو شبهه، ثم يؤكل... / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/ 426

- **حكم الغلو في قبور الصالحين :**

الغلو في قبور الصالحين كله حرام، لكنه :

- قد يكون شركًا أكبر.

- وقد يكون بدعة.

- وقد يكون محرَّمًا.

وأضرب لك مأمثلة: رجل جاء عند القبر وقال: يا سيدي فلان أغثني! ... هذا شرك أكبر...

مثال آخر: رجل جاء عند قبر رجل صالح وقال: اللهم أغثني! وهو يَعتقد أنّ للبقعة فضلاً وأثرًا في إجابة الدعاء، ترك بيته وترك المسجد وذهب عند القبر، وهو يعتقد أنّ لهذا المكان فضلاً وأنّ له أثرًا في إجابة الدعاء؛ هذه بدعة.

مثال آخر: رجل دعها الله عند القبر ولم يعتقد فضيلة المكان؛ لكن قَصَدَ أن يدعو عند القبر؛ فهذا حرام؛ لكونه ذريعة إلى الشرك.

مثال آخر: رجل دعا الله عند القبر لأمر عارِض؛ هذا ليس غلوًّا، هذا دعاء، مباح. مثلاً: رجلٌ رأى رجلاً عند القبر يَفعل شركًا أو حرامًا فقال له ... أسأل الله أن يهديك...

إذن؛ الغلو قد يكون شركًا اكبر: إذا كان من باب صرف العبادة لصاحب القبر.

وقد يكون بدعة إذا اعتقد فضيلة المكان.

---

[1] المرأة لرقة عاطفتها وقلة تمييزها وضعف صبرها ربما تعبد أصحاب القبور تعطفا على صاحب القبر؛ فلهذا قرنها بالمتخذين عليها المساجد والسرج. / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/ 428

[2] توقد عليها السرج ليلا ونهارا تعظيما وغلوا فيها. / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/ 428

- اتخاذ المساجد عليها وإسراجها غلو فيها؛ فيؤدي بعد ذلك إلى عبادتها. / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/ 428

وقد يكون حرامًا إذا عَبَدَ الله عند القبر بقَصْد من غير اعتقاد خصوصية المكان. هو يَعتقد أنّ عبادة الله هنا وهناك كلها سواء؛ فهذا حرام.

أمّا إذا عَبَدَ الله لسببٍ عارِض واقتضى هذه العبادة؛ فهذا جائز ومشروع ، ما في بأس. [1]

- أنواع الخروج إلى المقابر:

منها ما هو سنة، وهي زيارة الرجال للاتعاظ والدعاء للموتى.

ومنها ما هو بدعة، وهي زيارتهم للدعاء عندهم وقراءة القرآن ونحو ذلك.

ومنها ما هو شرك، وهي زيارتهم لدعاء الأموات والاستنجاد بهم والاستغاثة ونحو ذلك [2]

- زيارة النساء للقبور :

العلماء اختلفوا في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: تحريم زيارة النساء للقبور، بل إنها من كبائر الذنوب؛ لهذا الحديث.

القول الثاني: كراهة زيارة النساء للقبور ...

القول الثالث: أنها تجوز زيارة النساء للقبور...

ورأيت قولا رابعا: أن زيارة النساء للقبور سنة كالرجال ...

والصحيح القول الأول [3]

- أقسام الذهاب إلى الأضرحة :

القسم الأول: من يذهب إلى الضريح ليدعوه ويستغيث به ويستنصره ويستجلب الرزق من عنده فهذا مشرك شركاً أكبر لا تحل ذبيحته ولا إمامته في الصلاة لأن الله عز وجل يقول (إِنَّ

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/ 427

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/ 430

اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً) وفي الآية الأخرى (فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً) .

القسم الثاني: من يذهب إلى الأضرحة ليدعو الله تعالى عندها ومعتقدا أن الدعاء عندها أفضل من الدعاء في المسجد أو في البيت وهذا لا شك أنه ضلال وخطأ وجهل ولكنه لا يصل إلى حد الكفر لأنه إنما يذهب لدعاء الله وحده ولكنه يظن أن دعاءه عند هذا القبر أفضل وأقرب إلى الإجابة.

القسم الثالث: أن يذهب إلى الأضرحة من أجل أن يطوف بها تعظيما لله عز وجل بناء على أن صاحب الضريح من أو لياء الله وأن تعظيمه تعظيم لله عز وجل فهذا مبتدع ولا يكون مشركا شركا أكبر لأنه لم يطف تعظيما لصاحب القبر وإنما طاف تعظيما لله أما لو طاف بالقبر تعظيما لصاحب القبر فإنه يوشك أن يكون مشركا شركا أكبر.

القسم الرابع: من يذهب إلى القبور ذهاباً شرعيا ليزورها ويدعو لأهلها وهذا ذهاب شرعي لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (كنتم نهيتكم عن زيارة القبور فزورها فإنها تذكركم الآخرة) وثبت عنه صلى الله عليه آله وسلم أنه كان بنفسه (يخرج إلى البقيع فيدعو لهم) والدعاء المستحب في هذه الزيارة أن تقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ونسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم وأغفر لنا ولهم وليعلم أنه لا يجوز أن تزخرف القبور أو أن يبنى عليها لأن النبي صلى اله عليه وسلم (نهى أن يبنى على القبر أو أن يجصص أو أن يعظم بأي نوع من التعظيم) وأصحاب القبور مستغنون عن زخرفتها ولا تنفعهم زخرفتها شيئا لأنهم في باطن الأرض لا يقال إن زخرفة القبر وبناءه تعظيما لصاحبه لأن صاحبه لا يشعر بهذا التعظيم ولا ينتفع به بل هو وسيلة من وسائل الإشراك بهذا القبر ولو على المدى البعيد وعلى هذه الأقسام تنبني الأحكام فالرجل هل يكون مشركاً أو غير مشرك وهل تصح الصلاة خلفه أو لا تصح

وليعلم أن القول الراجح أن الصلاة تصح خلف الفاسق العاصي ما لم يكن في ذلك إغراء له على معصيته أو تغرير لغيره به حيث يظن أنه إذا صلى خلفه فإنه ليس على معصية وأما من كان كافرا وكانت بدعته مكفرة فإنه لا يجوز أن يصلى خلفه لأن الكافر لا تصح صلاته. [1]

- اتخاذ السرج على المقابر :

في اتخاذ السرج على المقابر ... ينبغي المنع مطلقا للأسباب الآتية:

1. أنه ليس هناك ضرورة.

2. أن الناس إذا وجدوا ضرورة لذلك؛ فعندهم سيارات يمكن أن يوقدوا الأنوار التي فيها ويتبين لهم الأمر، ويمكنهم أن يحملوا سراجا معهم.

3. أنه إذا فتح هذا الباب؛ فإن الشر سيتسع في قلوب الناس ولا يمكن ضبطه فيما بعد ... أما إذا كان في المقبرة حجرة يوضع فيها اللبن ونحوه؛ فلا بأس بإضاءتها لأنها بعيدة عن القبور، والإضاءة داخلة لا تشاهد؛ فهذا نرجو أن لا يكون به بأس.

والمهم أن وسائل الشرك يجب على الإنسان أن يبتعد عنها ابتعادا عظيما، ولا يقدر للزمن الذي هو فيه الآن، بل يقدر للأزمان البعيدة؛ فالمسألة ليست هينة.[2]

- حكم المسجد به ضريح :

الضريح يعني القبر والمسجد الذي فيه ضريح لا يخرج عن حالين :

---

[1] فتاوى نور على الدرب للعلامة ابن عثيمين 2/20

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/ 429

- الأصل أن لا تُتَّخذ السُّرج في المقابر إلا عند الحاجة وبمقدار الحاجة. / شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

1/ إما أن يكون المسجد مبنياً على الضريح يعني على القبر فهذا مسجدٌ لا تصح الصلاة فيه لأنه مسجدٌ لا يجوز إقراره شرعاً بل يجب هدمه وتخلي المكان عنه وعن الصلاة حول القبر لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (لا تصلوا إلى القبور)

2/ والحال الثانية أن يكون المسجد سابقاً على القبر ولكن يدفن فيه الميت لسبب من الأسباب فهذا المسجد تصح فيه الصلاة بشرط أن لا يكون القبر في القبلة ولكن يجب أن ينبش هذا القبر وأن يدفن مع الناس في المقبرة ولا يحل إبقاؤه في المسجد لأن المساجد إنما بنيت للصلاة فيها لا للدفن فيها ثم إن الميت لا ينتفع بدفنه في المسجد والميت إن كان من أهل السعادة فهو في سعادة ولو دفن في أقصى البر وإن كان من أهل الشقاوة فهو من أهل الشقاوة ولو دفن في المسجد وإنا بهذه المناسبة ننصح إخواننا الذين ابتلوا بهذا أن يطالبوا إما بهدم المسجد إن كان مبنياً على القبر بأن يكون القبر سابقاً عليه ثم بني عليه المسجد وإما بإخراج الميت من قبره حتى يدفن مع الناس إذا كان المسجد سابقاً للقبر لأنه ليس لأهل الميت الحق في أن يدفنوه في المسجد الذي أعد للصلاة. [1]

- حكم الطواف بالقبور والأبنية المبنية عليها :

الطواف بالقبور والأبنية المبنية عليها ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول أن يطوف لا لعبادة صاحب القبر ولا لدعائه والاستغاثة به، ولكن عادة اعتادها فصار يفعلها، أو كان يظن أن هذا مما يقرب إلى الله عز وجل، فهذا ليس بمشرك ولكنه مبتدع، ويمكن أن نسمي بدعته هذه شركاً أصغر؛ لأنه وسيلة إلى الشرك الأكبر.

أما إن كان يطوف بالقبر أو بالبناية عليه تعبداً وتقرباً وتعظيماً لصاحب القبر، أو كان يطوف به ذلك ويدعو صاحب القبر ويستغيث به فإن هذا مشرك شركاً أكبر مخرجاً عن الملة، يستحق

---

[1] فتاوى نور على الدرب للعلامة ابن عثيمين 2/8

عليه قول الله تبارك وتعالى: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) . [1]

- قبر النبي صلى الله عليه وسلم :

لَمَّا قُبِضَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ اختلَفوا في دفْنِه، فقال أبو بكرٍ رَضِيَ اللهُ عنه: سمِعْتُ مِن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ شيئًا ما نَسِيتُهُ، قال: ما قبَضَ اللهُ نبيًّا إلَّا في الموضِعِ الذي يُحِبُّ أنْ يُدْفَنَ فيه؛ فدفَنوه في موضِعِ فِراشِه. صحيح الترمذي

- الأنبياء لهم خصوصية، فإنّ موضع دفْن النبي توقيفيٌّ؛ لا يجوز تغييره، فالأنبياء يُدفنون حيث قُبضوا، وهذا خاصٌّ بالأنبياء ... المكان الذي دفن فيه النبي صلى الله عليه وسلم قد قُطع عن البيت، فكانت هناك سُترة على الباب تَفصله عن حجرة عائشة رضي الله عنها، ثم بعد ذلك بُني هذا الباب ووُضع حائط بين حجرة عائشة والقبور، فما كانت عائشة –رضي الله عنها– تصلي في المكان الذي فيه القبور ... قبر النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن في المسجد، بل كان في بيت عائشة رضي الله عنها وهو خارج المسجد، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فيه، ويجامع زوجته فيه، فبيت عائشة –رضي الله عنها– ليس من المسجد، وبقي كذلك إلى أن مات جميع الصحابة في المدينة. وعندما جاء الوليد بن عبد الملك خليفة للمسلمين –قيل: في سنة ثمان وثمانين، وقيل: في سنة تسعين، وقيل: في سنة إحدى وتسعين– أَدخل الحجرات في المسجد، يعني جعل المسجد شاملاً للحجرات؛ غير أنهم حَرِصوا على فَصْلِ القبر عن المسجد؛ وهذا ما يجهله كثير من الناس، كيف هذا؟ لمّا جاء عمر بن عبد العزيز –رحمه الله ورضي عنه– وقد كان الوالي على المدينة للوليد بن عبد الملك وأدخل الحجرات ماذا صنع في القبر؟ بنى حوله بناء محكَمًا، ولم يُجعل مكان من المسجد بين القبر والجهة الشرقية، يعنى القبر كان متصلاً

[1] فتاوى نور على الدرب للعلامة ابن عثيمين 2/4

بالجهة الشرقية، إذن المسجد من هنا ينتهي عند القبر؛ لأنّ القبر قد أحيط ببناء قوي، ثم بعد ذلك أحيط بحائط خماسي، ثم يكون مثلثًا إلى جهة الشمال، حائط خماسي له خمس زوايا حتى لا يكون مثل الكعبة، ثم حائطان ممتدان إلى جهة الشِّمال حتى يلتقيان على رأس مثلث، فمن جهة القبلة هو مخمَّس، ومن جهة الشِّمال هو رأس مثلث، وبقي القبر منفصلاً عن المسجد بهذه الحيطان، ثم هو متصل بالجهة الشرقية. واستمر الحال على هذا، لم يَدخل القبر حقيقة في المسجد، مفصول، إلى ما بعد ألف ومائتين وسبعين من الهجرة، قيل 1277هـ أو نحو هذا؛ فُتِح مَمرٌّ في المسجد بين القبر والجهة الشرقية؛ فجُعلَت بقعة من المسجد من الجهة الشرقية، متى حصل هذا؟ بعد مرور اثني عشر قرنًا على موت النبي صلى الله عليه وسلم في سنة 1270هـ أو في سنة 1277هـ، فهنا أصبح المسجد محيطًا بالقبر، بمعنى قبل ذلك كنتَ تأتي المسجد من ثلاث جهات: من جهة الجنوب، ومن جهة الغرب، ومن جهة الشمال، أمّا من جهة الشرق ما تستطيع؛ تكون خارج المسجد؛ إلا بعد أن فُتح هذا الممر فأصبحتَ تستطيع أن تأتي القبر من جميع الجهات. فالحَظوا يا إخوة! أنّ القبر أوّلًا لم يكن في المسجد مطلقًا مدة زمن الصحابة –رضوان الله عليهم– إلى أن مات آخر صحابي في المدينة في خمس وسبعين من الهجرة تقريبًا، ثم بعد ذلك بسنين حصل إدخال الحجرات من غير أن يُدخل القبر على؛ الوصف الذي ذكرناه، واستمر هذا قرون إلى سنة ألف ومائتين وسبعين، أو ألف ومائتين وسبعة وسبعين، وجُعل هذا الممر فأصبح القبر في داخل المسجد؛ أي انّ المسجد يُحيط به. ولا حجة في فِعْل المتأخرين ... قبر النبي صلى الله عليه ولسلم ليس في مسجده إلى اليوم؛ وإنما أحاط المسجد بالقبر، كيف هذا؟ لو كان لي مزرعةً، ثم جاء رجل فاشترى الأراضي التي حول هذه المزرعة من جميع الجهات؛ هل يجعل هذا مزرعتي جزءً من مزرعته؟ الجواب: لا ...

ثم إنّا نقول: إنّ لقبر النبي صلى الله عليه وسلم خصوصية ولمسجده خصوصية تمنع أن يقاس عليه غيره، كيف هذا؟ مسجد النبي صلى الله عليه وسلم له فضيلة خاصة لا يغني عنه مسجد

آخر، وقبر النبي صلى الله عليه سلم موضعه توقيفيّ لا يجوز أن يُنقَل منه، وهذا ما لا يوجَد في أيِّ مسجدٍ فيه قبر... والأمر الآخر: أنّ قبر النبي صلى الله عليه وسلم لم يُبْنَ عليه المسجد، ولم يُدخَل في المسجد من أجل القبر. على القول بأنه داخل المسجد؛ لماذا أُدخل؟ من أجل توسعة المسجد. ولا تجد مسجدًا فيه قبر في الدنيا إلا ويكون المسجد قد بُني من أجل القبر فيكون القبر سابق فيُبنى عليه المسجد، أو يكون القبر أُدخل في المسجد من أجل القبر. [1]

- إلى اليوم ما يستطيع أحد أن يدخل مكان قبره صلى الله عليه وسلم ... :

أمّا في أوّل موته: بوجود أمِّنا عائشة –رضي الله عنها– في البيت. ما يستطيع أحد أن يدخل، وكان الناس في ذلك الوقت من الصحابة علَّمهم النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم بعد ذلك: ببناء الحائط.

ثم في زمن عمر بن عبد العزير: ببناء الحائط الخماسي؛ المخمَّس والمثلث.

ثم بعد ذلك –وأنا نسيت أن أذكرها قبل– وُضِعَ حائط من حديد. فهذا الحائط الثالث، والظاهر أنه هو الموجود الآن. وهذا في زمن العثمانيين وُضِع.

ما أحدٌ يستطيع الوصول إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم. [2]

- قبر الرسول صلى الله عليه وسلم الآن ... في وسط المسجد ... الجواب على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن المسجد لم يبن على القبر، بل بني المسجد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

الوجه الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدفن في المسجد ... بل دفن في بيته.

الوجه الثالث: أن إدخال بيوت الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها بيت عائشة مع المسجد ليس باتفاق من الصحابة، بل بعد أن انقرض أكثرهم ولم يبق منهم إلا القليل، وذلك عام 94 هـ تقريبا؛ فليس مما أجازه الصحابة أو أجمعوا عليه، مع أن بعضهم خالف في ذلك، وممن خالف

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

أيضا سعيد بن المسيب من التابعين؛ فلم يرض بهذا العمل.

الوجه الرابع: أن القبر ليس في المسجد، حتى بعد إدخاله؛ لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد؛ فليس المسجد مبنيا عليه، ولهذا جعل هذا المكان محفوظا ومحوطا بثلاثة جدران، وجعل الجدار في زاوية منحرفة عن القبلة، أي مثلث، والركن في الزاوية الشمالية، بحيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى لأنه منحرف. فبهذا كله يزول الإشكال الذي يحتج به أهل القبور، ويقولون هذا منذ عهد التابعين إلى اليوم، والمسلمون قد أقروه ولم ينكروه؛ فنقول: إن الإنكار قد وجد حتى في زمن التابعين، وليس محل إجماع، وعلى فرض أنه إجماع؛ فقد تبين الفرق من الوجوه الأربعة التي ذكرناها.[1]

20/ الرقى غير الشرعية :

- تعريف الرقية :

الرقية في الاصطلاح : ألفاظ تُتلى على المبتلى أو مَن يُخشى عليه البلاء.[2]

- مما ورد من الأدلة :

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: ﴿كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك﴾، رواه مسلم .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ﴿رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من العين والحمة والنملة﴾ "، رواه مسلم .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل﴾، رواه مسلم .

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/399

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: (أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما) ﴾، رواه البخاري ومسلم . [1]

- أقسام الرقية :

الرقية تنقسم إلى قسمين: قسم مشروع وقسم ممنوع

فالمشروع ما خلا من الشرك، والممنوع ما كان فيه شرك. [2]

- أقسام أحكام الرقى بحسب ما دلت عليه الأدلة :

الرقية قد تكون :

1- مباحة جائزة؛ إذا كانت بكلام حسن، جائز في الشرع، مفهوم المعنى، ولم يُعتَقد أنها تؤثر بذاتها.

2- وقد تكون مستحبة؛ إذا كانت بالقرآن أو بالسنة وقصد الراقي أن ينفع المرقي .

3- وقد تكون شركًا أكبر؛ وذلك:

- إذا كان فيها استغاثة بغير الله -عز وجل- أو نحو ذلك من الشرك.

- أو اعتقد أنها تؤثر بذاتها. هذا شرك أكبر؛ بل هو شرك في الربوبية؛ لأنه جعل الضُّر والنَّفع لغير الله.

4- وقد تكون شركاً أصغر؛ إذا كانت بكلام لا يُفهَم. وبعض أهل العلم يقول: محرمة؛ بدون أن يصفها بأنها شرك أصغر .

5 - وقد تكون مكروهة في حقِّ المرقي؛ إذا كانت بطلب منه من غير حاجة ماسّة.

---

[1] أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء بتقديم الشيخ صالح آل الشيخ 35

[2] الملخص في شرح كتاب التوحيد للعلامة صالح الفوزان

وإذا ضبطتم هذا ينضبط لكم ما ورد في الرقى، ويستقيم لكم الاستدلال بكل ما ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في باب الرقى. [1]

– شروط جواز الرقية :

الأول: أن لا يعتقد أنها تنفع بذاتها دون الله، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله؛ فهو محرم، بل شرك، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

الثاني: أن لا تكون مما يخالف الشرع؛ كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله، أو استغاثة بالجن، وما أشبه ذلك؛ فإنها محرمة، بل شرك.

الثالث: أن تكون مفهومة معلومة، فإن كانت من جنس الطلاسم والشعوذة؛ فإنها لا تجوز.[2]

الراجح: أنه يجوز أن يُرقى بكل كلامٍ حسنٍ جائزٍ شرعًا؛ بدليل أن بعض الصحابة كانت عندهم رُقى في الجاهلية قبل ما ينزل القرآن وقبل ما تأتي السنة؛ وقال لهم النّبي –صلى الله عليه وسلم–: ﴿اعرضوا عليّ رُقاكم؛ لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا [3]﴾ [4]

– فوائد :

– إذا كان الإنسان يلبس أبناءه ملابس رثة وبالية خوفا من العين؛ فهل هذا جائز؟ الظاهر أنه لا بأس به؛ لأنه لم يفعل شيئا، وإنما ترك شيئا، وهو التحسين والتجميل، وقد ذكر ابن القيم في "زاد المعاد" أن عثمان رأى صبيا مليحا، فقال: دسموا نونته، والنونة: هي التي تخرج في الوجه عندما يضحك الصبي كالنقرة، ومعنى دسموا؛ أي: سودوا.[5]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 187/1

[3] صححه الألباني في سنن أبي دواود (3886)

[4] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[5] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 180/1

- أدقّ ما قيل في معنى قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ﴿الذين لا يسترقون[1] ولا يكتوون﴾: أنهم لا يفعلون ذلك مع عدم الحاجة الشديدة. لا يفعلون ذلك إلا إذا تعيَّنت، أصبح لا بد من ذلك؛ وإلا فإنهم يتركونها [2]

وهل هذه الأشياء تدل على أن من لم يتصف بها فهو مذموم، أو فاته الكمال؟

الجواب: أن الكمال فاته إلا بالنسبة للتطير؛ فإنه لا يجوز؛ لأنه ضرر وليس له حقيقة أصلا.

... وإذا طلب منك إنسان أن يرقيك؛ فهل يفوتك كمال إذا لم تمنعه؟. الجواب: لا يفوتك؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع عائشة أن ترقيه ... ولا يخفى الفرق بين أن تحصل هذه الأشياء بطلب، وبين أن تحصل بغير طلب. [3]

- استرقى؛ أي: طلب الرقية، أي لا يطلبون من أحد أن يقرأ عليهم؛ لما يلي :

1 - لقوة اعتمادهم على الله.

2 - لعزة نفوسهم عن التذلل لغير الله.

3 - ولما في ذلك من التعلق بغير الله[4]

---

[1] هناك ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى: أن يطلب من يرقيه، وهذا قد فاته الكمال.

المرتبة الثانية: أن لا يمنع من يرقيه، وهذا لم يفته الكمال؛ لأنه لم يسترق ولم يطلب.

المرتبة الثالثة: أن يمنع من يرقيه، وهذا خلاف السنة؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع عائشة أن ترقيه، وكذلك الصحابة لم يمنعوا أحدا أن يرقيهم ؛ لأن هذا لا يؤثر في التوكل / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 111/1

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[4] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 103/1

21/ التعلق بغير الله :

عن عبد الله بن عكيم رضي الله عنه مرفوعا: ﴿من تعلق شيئا وكل إليه﴾ [1] رواه أحمد والترمذي والحاكم

أي: اعتمد عليه وجعله همه ومبلغ علمه، وصار يعلق رجاءه به وزوال خوفه به ...

فمن تعلق بالله – سبحانه وتعالى –، وجعل رغبته ورجاءه فيه وخوفه منه؛ فإن الله تعالى يقول: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} 2 ؛ أي: كافية، ولهذا كان من دعاء الرسل وأتباعهم، عند المصائب والشدائد: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد وأصحابه حين قيل لهم: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ}

– أقسام التعلق بغير الله :

الأول: ما ينافي التوحيد من أصله، وهو أن يتعلق بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير، ويعتمد عليه اعتمادا معرضا عن الله، مثل تعلق عباد القبور بمن فيها عند حلول المصائب، ولهذا إذا مستهم الضراء الشديدة يقولون: يا فلان! أنقذنا؛ فهذا لا شك أنه شرك أكبر مخرج من الملة.

الثاني: ما ينافي كمال التوحيد، وهو أن يعتمد على سبب شرعي صحيح مع الغفلة عن المسبب، وهو الله عزوجل وعدم صرف قلبه إليه؛ فهذا نوع من الشرك، ولا نقول شرك أكبر؛ لأن هذا السبب جعله الله سببا.

الثالث: أن يتعلق بالسبب تعلقا مجردا لكونه سببا فقط، مع اعتماده الأصلي على الله؛ فيعتقد أن هذا السبب من الله، وأن الله لو شاء لأبطل أثره، ولو شاء لأبقاه، وأنه لا أثر للسبب إلا بمشيئة الله عزوجل؛ فهذا لا ينافي التوحيد لا كمالا ولا أصلا، وعلى هذا لا إثم فيه.

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 182/1

ومع وجود الأسباب الشرعية الصحيحة، ينبغي للإنسان أن لا يعلق نفسه بالسبب، بل يعلقها بالله.

فالموظف الذي يتعلق قلبه بمرتبه تعلقا كاملا، مع الغفلة عن المسبب، وهو الله، قد وقع في نوع من الشرك. أما إذا اعتقد أن المرتب سبب، والمسبب هو الله - سبحانه وتعالى -، وجعل الاعتماد على الله، وهو يشعر أن المرتب سبب؛ فهذا لا ينافي التوكل. وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأخذ بالأسباب مع اعتماده على المسبب، وهو الله عز وجل

وجاء في الحديث: " من تعلق "، ولم يقل: من علق؛ لأن المتعلق بالشيء يتعلق به بقلبه وبنفسه، بحيث ينزل خوفه ورجاءه وأمله به، وليس كذلك من علق.[1]

22/ الغلو في الأسباب :

- الناس في الأسباب طرفان ووسط :

الأول: من ينكر الأسباب، وهم كل من قال بنفي حكمة الله؛ كالجبرية، والأشعرية.

الثاني: من يغلو في إثبات الأسباب حتى يجعلوا ما ليس بسبب سببا، وهؤلاء هم عامة الخرافيين من الصوفية ونحوهم.

الثالث: من يؤمن بالأسباب وتأثيراتها، ولكنهم لا يثبتون من الأسباب إلا ما أثبته الله سبحانه ورسوله، سواء كان سببا شرعيا أو كونيا.

ولا شك أن هؤلاء هم الذين آمنوا بالله إيمانا حقيقيا، وآمنوا بحكمته؛ حيث ربطوا الأسباب بمسبباتها، والعلل بمعلولاتها، وهذا من تمام الحكمة.[2]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/183

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/164

- طريق العلم بأن الشيء سبب :

إما عن طريق الشرع، وذلك كالعسل: {فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} ، وكقراءة القرآن فيها شفاء للناس، قال الله تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}

وإما عن طريق القدر، كما إذا جربنا هذا الشيء فوجدناه نافعا في هذا الألم أو المرض، ولكن لا بد أن يكون أثره ظاهرا مباشرا كما لو اكتوى بالنار فبرئ بذلك مثلا؛ فهذا سبب ظاهر بين، وإنما قلنا هذا لئلا يقول قائل: أنا جربت هذا وانتفعت به، وهو لم يكن مباشرا؛ كالحلقة، فقد يلبسها إنسان وهو يعتقد أنها نافعة، فينتفع لأن للانفعال النفسي للشيء أثرا بينا؛ فقد يقرأ إنسان على مريض فلا يرتاح له، ثم يأتي آخر يعتقد أن قراءته نافعة، فيقرأ عليه الآية نفسها فيرتاح له ويشعر بخفة الألم، كذلك الذين يلبسون الحلق ويربطون الخيوط، قد يحسون بخفة الألم، أو اندفاعه، أو ارتفاعه، بناء على اعتقادهم نفعها. وخفة الألم لمن اعتقد نفع تلك الحلقة مجرد شعور نفسي، والشعور النفسي ليس طريقا شرعيا لإثبات الأسباب، كما أن الإلهام ليس طريقا للتشريع.[1]

- ما يُرفَع به الضر أو يُدفَع به الضر لا يخرج عن ثلاثة أمور :

الأمر الأول: الدعاء...

والأمر الثاني: الأسباب الحسية. ويسميه بعض أهل العلم: الأسباب القدرية؛ أي التي جعلها الله قدرًا سببًا لدفع الضر أو رفعه... كالدواء... تُعرَف بالتجارب، فتكشف التجارب أنّ الله جعلها سببًا قدرًا ... وكذلك تثبت بالدليل. مثل أنّ العسل دواء ...

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/165

وأما الأمر الثالث: فهو الأمر المعنوي؛ الذي لا يُرى بالحس. وهذا لا يُعرَف إلا بالدليل؛ لأنه أمر غيبي؛ مثل: الرقية ... فالأمور المعنوية يسميها بعض أهل العلم: الأسباب الشرعية؛ لأنها لا تُعرَف إلا من طريق الشرع...

إذن ؛ **الأسباب التي يُدفع بها الضر أو يُرفع ثلاثة فما زاد عن ذلك :**

إمّا أنه لم تدل التجارب على أنه نافع.

أو كان معنويًا لم يدل الشرع على أنه نافع.

فإنه يكون من الشرك الأصغر، اتخاذه يكون من الشرك الأصغر ...

ولذلك يقولون: مَن اتخذ سببًا لم يكن سببًا شرعيًا ولا سببًا قدريًّا؛ فقد أشرك شركًا أصغر! لماذا يا إخوة؟ –انتبهوا لِمَا أقول– لأنه لا يوجد ما يدعوه إلى أن يتخذه إلا تعلق القلب به، إلا عقيدة في القلب فقط؛ وهذا شركٌ أصغر. [1]

- إسناد الأمور إلى الأسباب :

إسناد الشيء إلى سببه ينقسم إلى أقسام:

الأول: قسم يكون شركاً أكبر، مثل أن يقول: لولا الولي فلان لهلكت، والولي فلان مدفون مقبور لا ينفع أحداً شيئاً، ولا يصدر هذا القول إلا من شخص يعتقد أن للولي المدفون تصرفاً في الكون، فيكون شركاً أكبر مخرجاً عن الملة.

الثاني: جائز، وهو أن يضيف الشيء إلى سببه المعلوم شرعاً أو المعلوم حِساً، فهذا جائز لا بأس به، مثل أن تقول: لولا أن فلاناً توضأ لم تصح صلاته، هذا صحيح وواقع لو لم يتوضأ لم تصح صلاته، هذا السبب الشرعي.

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

ومثال السبب الحسي: أن يدخل رجل في بئر فيخرجه رجل آخر فيقول: لولا فلان أخرجني لهلكت، هذا أيضاً صحيح، لكن لا يعتقد أن فلاناً هو الذي استقل بإخراجه لكن يسره الله له فأنقذه.

ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب حيث أُخبر أن عمه أبا طالب في ضحضاح من النار، وعليه نعلان يغلي منهما دماغه، قال صلى الله عليه وسلم: (ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) وهو كثير في كلام العلماء إضافة الشيء إلى سببه المعلوم حساً أو شرعاً.

الثالث: أن يضيفه إلى السبب مع الله مقروناً بالواو، فهذا لا يجوز؛ بل هو من الشرك لكنه شرك أصغر، إلا أن يعتقد أن الثاني الذي مع الله له تصرف كتصرف الله فهذا شرك أكبر، مثل أن يقول: لولا الله وفلان لحصل كذا وكذا، فهذا لا يجوز حتى وهو يعتقد أن الله فوق كل شيء، بل يقول: لولا الله ثم فلان، أما إن اعتقد أن الله وفلاناً سواء في التأثير فهذا شرك أكبر.

وأهم شيء في هذا التقسيم الثلاثي أن الإنسان إذا قال: لولا كذا لكان كذا، إذا كان خبراً فإنه لا بأس، أو إذا كان مستنداً إلى سببٍ صحيح فإنه لا بأس بذلك. [1]

- الحادث بسبب معلوم له صور :

الصورة الأولى: أن يضيفه إلى الله وحده..

الثانية: أن يضيفه إلى الله تعالى مقروناً بسببه المعلوم؛ مثل أن يقول: "لولا أن الله أنجاني بفلان لغرقت"..

[1] لقاء الباب المفتوح للعلامة ابن عثيمين 1/363

الثالثة: أن يضيفه إلى السبب المعلوم وحده مع اعتقاد أن الله هو المسبِّب؛ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب لما ذكر عذابه: "لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار (1) "..

الرابعة: أن يضيفه إلى الله مقروناً بالسبب المعلوم بـ"ثم"، كقوله: "لولا الله ثم فلان"؛ "وهذه الأربع كلها جائزة"..

الصورة الخامسة: أن يضيفه إلى الله، وإلى السبب المعلوم مقروناً بالواو؛ فهذا شرك، كقوله: "لولا الله وفلان

الصورة السادسة: أن يضيفه إلى الله، وإلى السبب المعلوم مقروناً بالفاء، مثل: "لولا الله ففلان"؛ فهذا محل نظر: يحتمل الجواز، ويحتمل المنع..

الصورة السابعة: أن يضيفه إلى سبب موهوم ليس بثابت شرعاً، ولا حساً، فهذا شرك. [1]

- فوائد :

- كل من أثبت سببا لم يجعله الله سببا شرعيا ولا قدريا؛ فقد جعل نفسه شريكا مع الله. فمثلا: قراءة الفاتحة سبب شرعي للشفاء. وأكل المسهل سبب حسي لانطلاق البطن، وهو قدري؛ لأنه يعلم بالتجارب. [2]

- إضافة الشيء إلى سببه بدون أن ينسب إلى الله ... جائز إذا كان السبب حقيقة وصحيحا، وذلك إذا كان السبب قد ثبت من قبل الشرع أو الحس أو الواقع .[3]

- الإنسان إذا أضاف الشيء إلى سببه دون أن يعتقد أن الله هو المسبِّب فهو مشرك [4]

---

[1] تفسير الفاتحة والبقرة للعلامة ابن عثيمين 218/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 164/1

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 363/1

[4] تفسير الفاتحة والبقرة للعلامة ابن عثيمين 218/1

23/ تعليق التمائم ونحوها :

- تعريفها :

التمائم جمع تميمة، وهي ما يعلق على العنق وغيره من تعويذات أو خرزات أو عظام أو نحوها لجلب نفع أو دفع ضر، وكان العرب في الجاهلية يعلقونها على أولادهم يتقون بها العين بزعمهم الباطل. [1]

الكتابات التي تُكتَب أيضًا تدخل في التمائم ... بعض الناس يكتب على سيارته: عين الحسود فيها عود! وبعض الناس يكتب: يا ناس يا شر كفاية قَرّ! هذه تميمة [2]

- مما ورد من الأدلة :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إن الرقى والتمائم والتولة شرك﴾ ، رواه أبو داود والحاكم ...

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا: ﴿من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له﴾ ، رواه أحمد والحاكم .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿من علق تميمة فقد أشرك﴾ ، رواه أحمد . [3]

- حكم التمائم :

حكم التمائم فيه تفصيل :

1. إمّا أنها شرك أكبر. وذلك إذا كان فيها استغاثة بغير الله من جن وشياطين ونحو ذلك ، أو اعتقد الإنسان أنها تنفع بنفسها .

---

[1] أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء بتقديم الشيخ صالح آل الشيخ 37

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء بتقديم الشيخ صالح آل الشيخ 37

2. وتكون شركاً أصغر؛ إذا كان المعلَّق خيطاً أو خرزةً أو غير ذلك بدون كتابة، أو كتابة ليس فيها استغاثة بغير الله .

3. وتكون حرامًا. إذا كان المعلَّق من القرآن. وبعض أهل العلم يرى هذا أيضًا من الشرك الأصغر. [1]

- حكم التمائم من القرءان :

- إذا كان المعلَّق شيئاً من القرآن، أو كان اسماً من أسماء الله، أو صفةً من صفات الله ... هذا اختلف فيه العلماء على ثلاثة أقوال:

القولُ الأول: أنّ ذلك جائز مادام أنّ المعلَّق من القرآن أو كان فيه اسم الله أو صفة الله. ونَصَّ القائلون بالجواز من المتقدِّمين على أنه يُكرَه إذا كان لدفع العين. يعني يقولون: يجوز أن تُعلِّق الآيات لكن لا بقصد دفع العين، أمّا بقصد دفع العين فهو مكروه... والحقيقة يا أخوة أنّ أكثر السلف الذين روي عنهم جواز ذلك لم يصح ذلك عنهم. أمّا الصحابة؛ فلم يصح عن أحد من الصحابة. وأمّا التابعون؛ فلم يصح عن أكثرهم، وإنما صح عن عطاء والباقر فقط. أعني هذا القول .

والقول الثاني: لا يجوز تعليق ما كُتِب فيه القرآن لدفع البلاء، ويجوز لرفعه ... ونُسِب هذا أمنّا عائشة رضي الله عنها، ولم يصح عنها، لكن قاله بعض العلماء .

القولُ الثالث: لا يجوز ذلك مطلقًا. وهذا ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه ...

والراجح -والله أعلم-: أنه لا يجوز أن يُعلَّق ما كُتب فيه القرآن، لا على سيارة، ولا على بيت، ولا على غير ذلك؛ بقصد رفع البلاء أو دفع البلاء؛ وذلك لأدلة:

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

الأمر الأول: عدم تفصيل النبي -صلى الله عليه وسلم- في التمائم كما فصَّل في الرقى؛ مع الحاجة ...

الأمر الثاني: أنّ التحريم ثبت عن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- ولا يُعلَمُ له مُخالِفٌ من الصحابة. وهذا يعتبره العلماء إجماعًا على الراجح...

الأمر الثالث: أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ﴿مَن تعلقَ شيئاً وُكِلَ إليه﴾؛ وقلنا إنّ "شيئًا" نكرة في سياق الشرط؛ فتعم؛ وهذا يشمل ما كان مكتوباً من القرآن .

الأمر الرابع: سدُّ الذريعة. فإنّ الناسَ إذا علَّقوا المكتوب من القرآن أوشكوا أن يعلِّقوا غيره ...

الأمر الخامس: أنّ في هذا امتهانٌ للقرآن ... [1]

وفي هذا الوقت أصبح تعليق القرآن لا للاستشفاء، بل لمجرد التبرك والزينة؛ كالقلائد الذهبية، أو الحلي التي يكتب عليها لفظ الجلالة، أو آية الكرسي، أو القرآن كاملا، فهذا كله من البدع. فالقرآن ما نزل ليستشفى به على هذا الوجه، إنما يستشفى به على ما جاء به الشرع.[2]

- الخط :

هي أوراق من القرآن تجمع وتوضع في جلد ويخاط عليها، ويلبسها الطفل على يده أو رقبته؛ ففيها خلاف بين العلماء.

وظاهر الحديث: أنها ممنوعة، ولا تجوز. ومن ذلك أن بعضهم يكتب القرآن كله بحروف صغيرة في أوراق صغيرة، ويضعها في صندوق صغير، ويعلقها على الصبي، وهذا مع أنه محدث؛ فهو إهانة للقرآن الكريم؛ لأن هذا الصبي سوف يسيل عليه لعابه، وربما يتلوث بالنجاسة، ويدخل به الحمام والأماكن القذرة، وهذا كله إهانة للقرآن.

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 190/1

ومع الأسف؛ إن بعض الناس اتخذوا من العبادات نوعا من التبرك فقط؛ مثل ما يشاهد من أن بعض الناس يمسح الركن اليماني، ويمسح به وجه الطفل وصدره، وهذا معناه أنهم جعلوا مسح الركن اليماني من باب التبرك لا التعبد، وهذا جهل، وقد قال عمر في الحجر: " إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك "[1]

24/ لبس الحلقة والخيط ونحوهما :

الحلقة: من حديد أو ذهب أو فضة أو ما أشبه ذلك، والخيط معروف ...

ونحوهما كالمرصعات ، وكمن يصنع شكلا معينا من نحاس أو غيره لدفع البلاء، أو يعلق على نفسه شيئا من أجزاء الحيوانات. والناس كانوا يعلقون القرب البالية على السيارات ونحوها لدفع العين، حتى إذا رآها الشخص نفرت نفسه فلا يعين.[2]

- حكم لبس الحلقة ونحوها :

إن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله؛ فهو مشرك شركا أكبر في توحيد الربوبية؛ لأنه اعتقد أن مع الله خالقا غيره.

وإن اعتقد أنها سبب، ولكنه ليس مؤثرا بنفسه؛ فهو مشرك شركا أصغر لأنه لما اعتقد أن ما ليس بسبب سببا؛ فقد شارك الله تعالى في الحكم لهذا الشيء بأنه سبب، والله تعالى لم يجعله سببا.[3]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 181/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 166/1

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 165/1

- الودعة :

واحدة الودع، وهي أحجار تؤخذ من البحر يعلقونها لدفع العين، ويزعمون أن الإنسان إذا علق هذه الودعة؛ لم تصبه العين، أو لا يصيبه الجن. [1] هذا الشرك يكون أكبر؛ إن اعتقد أنها ترفع أو تدفع بذاتها دون أمر الله، وإلا؛ فهو أصغر. [2]

- التولة والدبلة :

" التولة ": شيء يعلقونه على الزوج، يزعمون أنه يحبب الزوجة إلى زوجها والزوج إلى امرأته، وهذا شرك؛ لأنه ليس بسبب شرعي ولا قدري للمحبة. ومثل ذلك الدبلة.

والدبلة: خاتم يشترى عند الزواج يوضع في يد الزوج، وإذا ألقاه الزوج؛ قالت المرأة: إنه لا يحبها؛ فهم يعتقدون فيه النفع والضر، ويقولون: إنه ما دام في يد الزوج؛ فإنه يعني أن العلاقة بينهما ثابتة، والعكس بالعكس، فإذا وجدت هذه النية؛ فإنه من الشرك الأصغر، وإن لم توجد هذه النية - وهي بعيدة ألا تصحبها -؛ ففيه تشبه بالنصارى، فإنها مأخوذة منهم.

وإن كانت من الذهب؛ فهي بالنسبة للرجل فيها محذور ثالث، وهو لبس الذهب؛ فهي إما من الشرك، أو مضاهاة النصارى، أو تحريم النوع إن كانت للرجال، فإن خلت من ذلك؛ فهي جائزة لأنها خاتم من الخواتم...

- حكم التولة :

إن اتخذها معتقدا أن المسبب للمحبة هو الله؛ فهي شرك أصغر، وإن اعتقد أنها تفعل بنفسها؛ فهي شرك أكبر. [3]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 171/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 171/1

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 181/1

- الوتر :

الوتر: سلك من العصب يؤخذ من الشاة، وتتخذ للقوس وترا، ويستعملونها في أعناق إبلهم أو خيلهم، أو في أعناقهم، يزعمون أنه يمنع العين، وهذا من الشرك.[1]

- الأساور مغناطيسية :

هناك مسالة يسأل عنها الناس الآن؛ وهي: أنه في الأسواق توجد أساور مغناطيسية، توجد في الصيدليات وأماكن الطب، يقولون: إنها تعالج الروماتيزم وآلام المفاصل وتفرغ الشحنات الزائدة في الجسم، وهي مرخصة من قِبَل بعض الهيئات العالمية الطبية كما في بريطانية، فهل يجوز لبسها؟ ...

الذي يظهر -والله أعلم- أنه ليس سببًا حسيًّا؛ لأنه ليس هناك شيءٌ حسي يَدخل إلى الجسد ولا يُخرِج شيئًا من الجسد.

وقد راجعتُ ما كُتِب في الهيئات العالمية الطبية فوجدت أنهم يزعمون أنّ الدم فيه حديد، وهذه الإسورة المغناطيسية إذا وضعتها فإن الدم لأنّ فيه حديد يمتص المغناطيس، ثم هذا يمشي مع الدم إلى الجسد. ولكنهم يقولون إنها ليس لها تأثير حسي! وبالتالي فالذي ظهر لي -والله أعلم- أنه لا يجوز لبس هذه الأساور، وأنها من جنس لبس الحلقة المنهي عنها:

لأنه لا يوجد في الحسِّ ما يدل على نفعها. ولأنّ وضعها ذريعة إلى وضع التمائم وغيرها [2]

- الحلقة من النحاس :

ظهر في الأسواق في الآونة الأخيرة حلقة من النحاس ... يزعمون أن الإنسان إذا وضعها على عضده وفيه روماتيزم؛ نفعته من هذا الروماتيزم ... لكن الأصل أنه ليس بصحيح؛ لأنه ليس

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 188/1

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

عندنا دليل شرعي ولا حسي يدل على ذلك، وهي لا تؤثر على الجسم؛ فليس فيها مادة دهنية؛ حتى نقول: إن الجسم يشرب هذه المادة وينتفع بها...[1]

25/ التبرك الشركي :

- تعريف :

البركة: هي كثرة الخير وثبوته ...والتبرك: طلب البركة [2]

- طلب البركة لا يخلو من أمرين :

1. أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم؛ مثل القرآن، قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ} . فمن بركته أن من أخذ به حصل له الفتح، فأنقذ الله بذلك أمما كثيرة من الشرك، ومن بركته أن الحرف الواحد بعشر حسنات، وهذا يوفر للإنسان الوقت والجهد....، إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

2. أن يكون بأمر حسي معلوم؛ مثل: التعليم، والدعاء، ونحوه؛ فهذا الرجل يتبرك بعلمه ودعوته إلى الخير؛ فيكون هذا بركة لأننا نلنا منه خيرا كثيرا.

وقال أسيد بن حضير: "ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر" فإن الله يجري على بعض الناس من أمور الخير ما لا يجريه على يد الآخر.

وهناك بركات موهومة باطلة؛ مثل ما يزعمه الدجالون: أن فلانا الميت الذي يزعمون أنه ولي أنزل عليكم من بركته وما أشبه ذلك؛ فهذه بركة باطلة، لا أثر لها، وقد يكون للشيطان أثر في هذا الأمر، لكنها لا تعدو أن تكون آثارا حسية، بحيث إن الشيطان يخدم هذا الشيخ؛ فيكون في ذلك فتنة.

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 192/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 194/1

أما كيفية معرفة هل هذه من البركات الباطلة أو الصحيحة؟ فيعرف ذلك بحال الشخص، فإن كان من أولياء الله المتقين المتبعين للسنة المبتعدين عن البدعة؛ فإن الله قد يجعل على يديه من الخير والبركة ما لا يحصل لغيره.

ومن ذلك ما جعل الله على يد شيخ الإسلام ابن تيمية من البركة التي انتفع بها الناس في حياته وبعد موته... [1]

وكذا الحجر الأسود لا يتبرك به، وإنما يتعبد لله بمسحه وتقبيله؛ اتباعا للرسول صلى الله عليه وسلم وبذلك تحصل بركة الثواب. ولهذا قال عمر رضي الله عنه" إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك؛ ما قبلتك " [2]

- أقسام البركة :

البركة تنقسمن إلى أقسام :

1- بركة شرعية.

2- بركة دنيوية.

ما هي البركة الشرعية؟ هي البركة التي تحصل من جهة الشرع وتتعلق بالشرع؛ كبركة الأعمال الصالحة ... والبركة التي تتعلق بالدنيا في المدينة: الكيل والوزن. فالكيل في المدينة مبارك، والعيش في المدينة مبارك. ولكنّ الأصل أنها بركة شرعية.

وأمّا البركية الدنيوية: فهي البركة التي تتعلق بأمور الدنيا؛ كبركة المطر، المطر ماء مبارك، وبركته تتعلق بأمور الدنيا من نبات الزرع وحصول الحياة ونحو ذلك، وإن كان فيه بركة شرعية من جهة الوضوء به والغسل ونحو ذلك، ولكنّ الأصل أنّ البركة دنيوية.

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 194/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 196/1

أيضًا ؛ تنقسم البركة إلى :

1- بركة ذاتية.

2- وبركة عمل.

فالبركة الذاتية: هي التي تكون الذات فيها مبارَكة. كذات النبي صلى الله عليه وسلم ... وبركة الكعبة ...

وأمّا بركة العمل؛ فهي التي تكون حاصلة بسبب الأعمال الصالحة؛ كبركة المسلم ... ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ﴿البركة مع أكابركم﴾ [1]

- أمران عظيمان في باب التبرك :

الذي يبارِك هو الله وحده لا شريك له ... إذا تقرَّر هذا؛ فإنه يترتب على ذلك أمران عظيمان في باب التبرك :

الأمر الأوّل: أنّ البركة لا تثبت إلا لمن أثبت اللهُ له البركة؛ من الأمكنة والأزمنة والبشر. لا تَثبت البركة بالرأي ولا بالهوى؛ وإنما تثبت لمَن أثبت الله له البركة.

والأمر الثاني: أنّ البركة لا تُطلَب إلا من الله سبحانه وتعالى. فمَن طلب البركة من غير الله، أو اتخذ سببًا لحصول البركة لم يجعله الله سببًا لحصولها؛ فقد أشرك. [2]

- حكم التبرك :

- إن اعتقد أنّ المخلوق يَهَب البركة بذاته وتُحصَّل منه البركة بذاته؛ فهذا شرك أكبر؛ لأنه جعل ما لله لغير الله ...

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

- وإن اعتقد أنّ المخلوق واسطة بينه وبين الله يتقرب بها إلى الله، يذهب إلى القبور يتبرك بها ويقول: هؤلاء واسطة بيننا وبين الله نتقرب إلى الله بهم؛ فهذا شرك أكبر؛ كشرك المشركين؛ يقولون: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾. نعوذ بالله من هذا القول ومن هذا الفعل.

- وإن اعتقد أنّ المخلوق سببٌ لحصول البركة من الله؛ فهو يعتقد أنّ البركة من الله وأنّ هذا المخلوق مجرد سبب، ليس واسطة بينه وبين الله؛ مجرد سبب، مثل كون الدواء سببًا للشفاء؛ فهذا شرك أصغر.

الذي يأتي عند القبر ويأخذ من التراب ويضعه على رأسه يتبرّك، ويعتقد أنّ وضع التراب هذا سبب لأن ينزل الله عليه البركة، ما اعتقد أنّ البركة من صاحب القبر يعطيها له ولا أنه واسطة بينه وبين الله، لكن اعتقد أنّ تراب قبر الرجل الصالح سبب لنزول البركة من الله؛ فهذا شرك أصغر؛ لأنه جعل سببًا ما لم يجعله الله سببًا شرعًا ولا قدرًا؛ فلا يكون ذلك إلا من تعلُّق القلب والعقيدة؛ فهو شرك أصغر. هذا التبرك الممنوع.

أما التبرك المشروع ... فهو: اتخاذ سببٍ لحصول البركة من الله لأنّ الدليل دل على أنّ هذا السبب مبارَك وتُلتَمس فيه البركة؛ بشرط أن يكون هذا الاتخاذ على الوجه المشروع.

... أضرب لكم أمثلة، أن تتخذ سكناك المدينة سببًا لحصول البركة؛ لأنّ الله -عز وجل- جعل في المدينة ضعفي ما في مكة من البركة بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

لو أنك جئتَ وسكنت في المدينة، والمدينة مباركة، وأخذت التراب وأصحت تأكل من تراب المدينة؛ وتقول: المدينة مباركة! وتضع التراب على رأسك وتقول المدينة مباركة! هذا تبرك ممنوع [1]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

- صفات التبرك المشروع :

التبرك المشروع ... لا بد فيه من صفات:

الصفة الأولى: أن يثبت أنّ الشيء مبارك؛ زمانًا أو مكانًا أو ذاتًا...

الأمر الثاني: أن يدل الدليل على أنّ هذه البركة تُطلَب وتُلتمَس ...

الصفة الثالثة: أن يكون الالتماس على الوجه المشروع ... لو أنك طفتَ بالكعبة؛ فهذا تبرك مشروع؛ لأنك فعلته على الوجه المشروع. قبلت الحجر الأسود: تبرك مشروع. ... لكن إذا تمسحت ببقية الكعبة: تبرك ممنوع ... وكلُّ هذا يا إخوة؛ مبنيٌّ على أصل عظيم؛ وهو: أنّ الخير مِن الله لا يُعرَف إلا من طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والأمر الرابع: ... أن يكون ذلك على سبيل السببية؛ بمعنى: أن تعتقد أنّ البركة من الله، وهذا المبارَك سبب، جعله الله سببًا، فلا تعتقد أنّ البركة منه وإنما تعتقد أنّ البركة من الله، وهذا سبب، قد دلك الدليل على أنه سبب.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة:

1- ثبت أنّ الشيء مبارَك.

2- وأنّ بركته تُطلَب.

3- وطُلِبَ على الوجه المشروع.

4- واعتُقِد أنه سبب، وأنّ البركة من الله.

فهذا تبرُّك مشروع. [1]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

- **فائدة :**

عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فممرنا بسدرة؛ فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾ قال: ﴿إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن مَن كان قبلكم﴾ رواه الترمذي وصححه

دلّ هذا الحديث يا إخوة على أنّ جَعْل شيء تُلتمَس منه البركة :

-إمّا بذاته؛ بأن يُزعَم أنه يبارِك بذاته. وهذا شرك أكبر.

- أو بكونه سببًا. وهذا شرك أصغر.[1]

- استدل على أنه من الشرك الأصغر: أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يكفِّرهم، ولم يأمرهم بالدخول في الإسلام مرة أخرى. ولكن حتى على الوجه الأوّل فإنهم لم يكفروا؛ وذلك؛ أولًا: لأنهم جهَّال. وثانيًا: لأنهم لم يفعلوا.[2]

- **التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياء وأمواتًا :**

الله سبحانه ... هو الذي ينزل البركة ويثبتها، وأما المخلوق؛ فإنه لا يقدر على منح البركة وإيجادها، ولا على إبقائها وتثبيتها.

فالتبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياء وأموتا لا يجوز؛ لأنه إما شرك إن اعتقد أن ذلك الشي يمنح البركة، أو وسيلة إلى الشرك إن اعتقد أن زيارته وملامسته والتمسح به سبب لحصولها من الله.

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

وأما ما كان الصحابة يفعلونه من التبرك بشعر النبي صلى الله عليه وسلم وريقه وما انفصل من جسمه صلى الله عليه وسلم؛ فذلك خاص به صلى الله عليه وسلم حال حياته؛ بدليل أن الصحابة لم يكونوا يتبركون بحجرته وقبره بعد موته، ولا كانوا يقصدون الأماكن التي صلى فيها أو جلس فيها ليتبركوا بها، وكذلك مقامات من باب أولى، ولم يكونوا يتبركون بالأشخاص الصالحين كأبي بكر وعمر وغيرهما من أفاضل الصحابة؛ لا في الحياة، ولا بعد الموت، ولم يكونوا يذهبون إلى غار حراء ليصلوا فيه أو يدعوا، ولم يكونوا يذهبون إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى ليصلوا فيه ويدعوا، أو إلى غير هذه الأمكنة من الجبال التي يقال: إن فيها مقامات الأنبياء أو غيرهم، ولا إلى مشهد مبني على أثر نبي من الأنبياء.

وأيضا فإن المكان الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيه بالمدينة النبوية دائما لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله، ولا الموضع الذي صلى فيه بمكة وغيرها، فإذا كان الموضع الذي كان يطؤه بقدميه الكريمتين ويصلي عليه لم يشرع لأمته التمسح به ولا تقبيله؛ فكيف بما يقال: إن غيره صلى فيه أو نام عليه؛ فتقبيل شيء من ذلك والتمسح به قد علم العلماء بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا ليس من شريعته صلى الله عليه وسلم

26/ ادعاء علم الغيب :

ادعاء علم الغيب وما يلحق به الغيب هو كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله عز وجل بعلمه واختص نفسه سبحانه بذلك.

قال الله تعالى: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} [النمل: 65] (النمل: 65) ، وقال تعالى: {لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الكهف: 26] (الكهف: 26) ، وقال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرعد: 9] .

فلا يعلم الغيب أحد إلا الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن هو دونهما.

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} [هود: 31] (هود: 31) ، وقال تعالى عن هود عليه السلام: {قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ} [الأحقاف: 23] (الأحقاف: 23) ، وقال تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} [الأنعام: 50] (الأنعام: 50) ، وقال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [البقرة: 31 - 32] (البقرة: 31- 32) .

ثم إنه سبحانه قد يطلع بعض خلقه على بعض الأمور المغيبة عن طريق الوحي، كما قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا - إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ [1] فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا - لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} [الجن: 26 - 28] (الجن: 26-28) ، وهذا من الغيب النسبي الذي غاب علمه عن بعض المخلوقات دون بعض، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا هو سبحانه، ومن ذا الذي يدعي علمه وقد استأثر الله به. [2]

---

[1] والرسول نوعان:

- رسول ملكي، نِسْبَةً إلى الملائكة.

- ورسول بشري.

وهؤلاء يُسْتَثْنَونَ فيما أراد الله - عز وجل - أن يُعْلِمَهُم إياه من أمور الغيب، لحكمته - عز وجل - ولكمال علمه وقدرته.

أما من ليس برسول فلا يُكْشَفُ له الغيب، لكن قد يكون لبعضهم كرامة، ليست من باب كشف الغيب المستقبلي، ولكن هي من باب الكشف العلمي / إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ

[2] أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء بتقديم الشيخ صالح آل الشيخ 69

- **أنواع الغيب :**

الغيب ما غاب عن الإنسان وهو نوعان : واقع، ومستقبل

فغيب الواقع نسبي يكون لشخص معلوماً ولآخر مجهولاً

وغيب المستقبل حقيقي لا يكون معلوماً لأحد إلا الله وحده أو من أطلعه عليه من الرسل فمن أدى علمه فهو كافر لأنه مكذب لله عز وجل ولرسوله، قال الله تعالى: {قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [سورة النمل، الآية: 65]، وإذا كان الله عز وجل يأمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله، فإن من أدعى علم الغيب فقد كذب الله عز وجل ورسوله في هذا الخبر.

ونقول لهؤلاء كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب؟ هل أنتم أشرف أم الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فإن قالوا هو أشرف فنقول لماذا يحجب عنه الغيب وأنتم تعلمونه؟ وقد قال عز وجل عن نفسه: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً} [سورة الجن، الآية:26-27] ، وهذه آية ثانية تدل على كفر من أدعى علم الغيب، وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلن للملأ بقوله: {قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} [سورة الأنعام، الآية: 50] . [1]

قال تعالى {وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام: 59] .

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 154

هذه المفاتح؟ فسرها أعلم الخلق بكلام الله محمد صلى الله عليه وسلم حين قرأ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: 34] 2، فهي خمسة أمور:

الأول: علم الساعة: فعلم الساعة مبدأ مفتاح لحياة الآخرة ...

الثاني: ... والمطر نزوله مفتاح لحياة الأرض بالنبات، وبحياة النبات يكون الخير في المرعى وجميع ما يتعلق بمصالح العباد.

وهنا نقطة: قال: {وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ} ، ولم يقل: وينزل المطر، لأن المطر أحياناً ينزل ولا يكون فيه نبات، فلا يكون غيثاً، ولا تحيا به الأرض، ولهذا ثبت في "صحيح مسلم": "ليست السَّنَة ألا تمطروا، إنما السنة أن تمطروا ولا تنبت الأرض شيئاً" ، والسنة القحط.

الثالث: علم ما في الأرحام ... أكثر متعلقات العلم فيما يتعلق بالأجنة مجهول للخلق، فصدق العموم في قوله: {وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ} .

الرابع: علم ما في الغد: وهو ما بعد يومك: لقوله: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً} وهذا مفتاح الكسب في المستقبل، وإذا كان الإنسان لا يعلم ما يكسب لنفسه، فعدم علمه بما يكسبه غيره أولى...

الخامس: علم مكان الموت

فهذه الخمسة هي مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله وسميت مفاتح الغيب لأن :

علم ما في الأرحام مفتاح للحياة الدنيا

{مَاذَا تَكْسِبُ غَداً} مفتاح للعمل المستقبل

{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} مفتاح لحياة الآخرة، لأن الإنسان إذا مات، دخل عالم

الآخرة، وسبق بيان علم الساعة وتنزيل الغيث، فتبين أن هذه المفاتح كلها مبادئ لكل ما وراءها، {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [1]

27/ الحلف بغير الله :

- تعريف :

الحلف: تأكيد الشيء بذكر معظم بصيغة مخصوصة؛ بالباء، أو التاء، أو الواو ...

والباء: أعمها؛ لأنها تدخل على الظاهر والمضمَر وعلى اسم الله وغيره، ويذكر معها فعل القسم ويحذف ... وأما الواو؛ فإنه لا يذكر معها فعل القسم، ولا تدخل على الضمير، ويحلف بها مع كل اسم ، وأما التاء؛ فإنه لا يذكر معها فعل القسم، وتختص بالله ورب [2]

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من حلف بغير الله؛ فقد كفر أو أشرك "، رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم [3]

"وقال ابن مسعود: "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا" . [4]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 194

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/213

[3] قوله: "أو أشرك": شك من الراوي، والظاهر أن صواب الحديث "أشرك".(القول المفيد 2/212)

وقوله: " من حلف بغير الله ": يشمل كل محلوف به سوى الله ... ولا يشمل الحلف بصفات الله؛ لأن الصفة تابعة للموصوف، وعلى هذا؛ فيجوز أن تقول: وعزة الله؛ لأفعلن كذا (القول المفيد 2/213)

[4] ... هذا من باب التفضيل الذي ليس فيه شيء من الجانبين، وهذا نادر في الكلام؛ لأن التفضيل في الأصل يكون فيه المعنى ثابتا في المفضل وفي المفضل عليه، وأحيانا في المفضل دون المفضل عليه، وأحيانا لا يوجد في الجانبين؛ فابن مسعود رضي الله عنه لا يحب لا هذا ولا هذا، ولكن الحلف بالله كاذبا أهون عليه من الحلف بغيره صادقا ... والشرك متضمن للكذب، فإن الذي جعل غير الله شريكا لله كاذب، بل من أكذب الكاذبين؛ لأن الله لا شريك له. (القول المفيد 2/217)

- قسم الله بالمخلوق :

قوله تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} [الشمس:1] ... وما أشبه ذلك، من المخلوقات التي أقسم الله بها؛ فالجواب عنه من وجهين:

الأول: أن هذا من فعل الله، والله لا يُسْأَل عما يفعل، وله أن يقسم سبحانه بما شاء من خلقه، وهو سائل غير مسئول، وحاكم غير محكوم عليه.

الثاني: أن قسم الله بهذه الآيات؛ دليل على عظمته، وكمال قدرته وحكمته؛ فيكون القسم بها الدال على تعظيمها ورفع شأنها؛ متضمنا للثناء على الله عز وجل، بما تقتضيه من الدلالة على عظمته.

وأما نحن؛ فلا نقسم بغير الله أو صفاته؛ لأننا منهيون عن ذلك. [1]

- الفائدة من إقسامه سبحانه، مع أنه صادق بلا قسم :

الفائدة من إقسامه سبحانه، مع أنه صادق بلا قسم ... من وجوه:

الأول: أن هذا أسلوب عربي لتأكيد الأشياء بالقسم، وإن كانت معلومة عند الجميع، أو كانت منكرة عند المخاطب، والقرآن نزل بلسان عربي مبين.

الثاني: أن المؤمن يزداد يقينا من ذلك، ولا مانع من زيادة المؤكدات ...

الثالث: أن الله يقسم بأمور عظيمة، دالة على كمال قدرته، وعظمته،وعلمه؛ فكأنه يقيم في هذا المقسم به البراهين على صحة ما أقسم عليه بواسطة عظم ما أقسم به.

الرابع: التنويه بحال المقسم به؛ لأنه لا يقسم إلا بشيء عظيم، وهذان الوجهان لا يعودان إلى تصديق الخبر، بل إلى ذكر الآيات التي أقسم بها تنويها له بها وتنبيها على عظمها.

الخامس: الاهتمام بالمقسم عليه، وأنه جدير بالعناية والإثبات [2]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/214

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/33

- جواب ما ثبت في "صحيح مسلم" من قوله صلى الله عليه وسلم " أفلح وأبيه إن صدق " :

ما ثبت في "صحيح مسلم" من قوله صلى الله عليه وسلم " أفلح وأبيه إن صدق " فالجواب عنه من وجوه :

الأول: أن بعض العلماء أنكر هذه اللفظة، وقال: إنها لم تثبت في الحديث؛ لأنها مناقضة للتوحيد، وما كان كذلك؛ فلا تصح نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون باطلا.

الثاني: أنها تصحيف من الرواة، والأصل: "أفلح والله إن صدق" . وكانوا في السابق لا يشكلون الكلمات، و "أبيه" تشبه ، "الله" إذا حذفت النقط السفلى.

الثالث: أن هذا مما يجري على الألسنة بغير قصد، وقد قال تعالى: {لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ} [المائدة: من الآية89] ، وهذا لم ينو فلا يؤاخذ. [1]

الرابع: أنه وقع من النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أبعد الناس عن الشرك؛ فيكون من خصائصه، وأما غيره؛ فهم منهيون عنه لأنهم لا يساوون النبي صلى الله عليه وسلم في الإخلاص والتوحيد.

الخامس: أنه على حذف مضاف، والتقدير: "أفلح ورب أبيه" .

السادس: أن هذا منسوخ، وأن النهي هو الناقل من الأصل، وهذا أقرب الوجوه.

---

[1] هذا مما جرى على الألسنة ولا يُقصَد به معناه، وهذا موجود في العربية وفي كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ألا ترون أنّ العرب تقول: اِفعَل كذا تَربَت يداك، ما معنى تَرِبَت يداك؟ أصل معنى تربت يداك: اِلتَصقت يدك بالتراب من الفقر، فأصلها دعاء بالفقر، ثم أصبح الناس يستعملونها بغير قصد الدعاء، وإنما تُذكَر في الكلام، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ فاظفر بذات الدِّين تَرِبَت يداك ﴾، فهل نقول: إنّ النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على مَن يتزوج صالحة بالفقر؟! أبدًا، ولكن هذا جرى على الألسنة. / شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

ولو قال قائل: نحن نقلب عليكم الأمر، ونقول: إن المنسوخ هو النهي؛ لأنهم لما كانوا حديثي عهد بشرك نهوا أن يشركوا به، كما نهي الناس حين كانوا حديثي عهد بشرك عن زيارة القبور؛ ثم أذن لهم فيها ؟

فالجواب عنه: إن هذا اليمين كان جاريا على ألسنتهم، فَتُرِكوا حتى استقر الإيمان في نفوسهم ثم نهوا عنه، ونظيره إقرارهم على شرب الخمر أولا، ثم أمروا باجتنابه .

أما بالنسبة للوجه الأول؛ فضعيف لأن الحديث ثابت، وما دام يمكن حمله على وجه صحيح؛ فإنه لا يجوز إنكاره.

وأما الوجه الثاني؛ فبعيد، وإن أمكن؛ فلا يمكن في قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل: "أي الصدقة أفضل؟ فقال: أما وأبيك لتنبأنه".

وأما الوجه الثالث فغير صحيح لأن النهي وارد مع أنه كان يجري على ألسنتهم، كما جرى على لسان سعد فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم، ولو صح هذا؛ لصح أن يقال لمن فعل شركا اعتاده لا ينهى؛ لأن هذا من عادته، وهذا باطل.

وأما الرابع؛ فدعوى الخصوصية تحتاج إلى دليل، وإلا فالأصل التأسي به.

وأما الخامس: فضعيف لأن الأصل عدم الحذف، ولأن الحذف هنا يستلزم فهما باطلا، ولا يمكن أن يتكلم الرسول صلى الله عليه وسلم بما يستلزم ذلك بدون بيان المراد

وعلى هذا يكون أقربها الوجه السادس أنه منسوخ، ولا نجزم بذلك لعدم العلم بالتاريخ، ولهذا قلنا أقربها والله أعلم، وإن كان النووي رحمه الله ارتضى أن هذا مما يجري على اللسان بدون قصد، لكن هذا ضعيف لا يمكن القول به، ثم رأيت بعضهم جزم بشذوذها لانفراد مسلم بها عن البخاري مع مخالفة راويها للثقات؛ فالله أعلم [1]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/215

- **الحلف بالمصحف :**

إذا كان المصحف يتضمن كلام الله ، وكلام الله تعالى من صفاته فإنه يجوز الحلف بالمصحف بأن يقول الإنسان: والمصحف، ويقصد ما فيه من كلام الله عز وجل وقد نص على ذلك فقهاء الحنابلة -رحمهم الله- ومع هذا فإن الأولى للإنسان أن يحلف بها لا يشوش على السامعين بأن يحلف باسم الله عز وجل فيقول: والله، ورب الكعبة، أو والذي نفسي بيده وما أشبه ذلك من الأشياء التي لا تستنكرها العامة ولا يحصل لديهم فيها تشويش، فإن تحديث الناس بما يعرفون وتطمئن إليه قلوبهم خير وأولى [1]

28/ الذبح لغير الله :

وقول الله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ} الآية

وقوله: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عنه مرفوعاً: (لعن الله من ذبح لغير الله) .

- **حكم الذبح لغير الله :**

الذبح لغير الله ينقسم إلى قسمين: (تفصيل العلامة ابن عثيمين)

1. أن يذبح لغير الله تقربا وتعظيما، فهذا شرك أكبر مخرج عن الملة.

2. أن يذبح لغير الله فرحا وإكراما، فهذا لا يخرج من الملة، بل هو من الأمور العادية التي قد تكون مطلوبة أحيانا وغير مطلوبة أحيانا، فالأصل أنها مباحة. [2]

الذَّبح ... فيه عبادتان تتعلق بهما الأحكام : (تفصيل الشيخ سليمان الرحيلي)

... عبادة التقرُّب، وعبادة الاستعانة.

فعبادة التقرُّب متعلقة بقصد الذابح ونيتِه ...

---

[1] مجموع الفتاوى العلامة ابن عثيمين 214/2

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 214/1

وإن ذبح بعد دفن الميت عند قبره لله؛ فهذا حرام؛ لحديث: (لا عَقْر في الإسلام﴾، قال عبد الرزاق: "كانوا يعقِرون عند القبر بقرة أو شاة"؛ يعني في الجاهلية...

وأمَّا عبادة الاستعانة المتعلقة بالذبح؛ فهي متعلِّقة بالتَّسمية، بالاسم الذي يُذكَر على الذبيحة؛ هذه عبادة الاستعانة، لماذا؟ لأنك عندما تقول: بسم الله، الباء هذه للاستعانة، فهذه عبادة الاستعانة.

فإن ذبح الذبيحة ولم يذكر عليها اسماً ... سواء كان عالماً أو جاهلاً أو ناسياً؛ فهذه الذبيحة حرام على الراجح، لا يجوز أكلها... ليس هنا شرك لكن هذه الذبيحة حرام؛ ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ...

وإنْ ذبح الذبيحة وذكر عليها اسمَ غير الله؛ فقال: بسم المسيح ... فهذا شركٌ؛ وهو شرك أكبر؛ لأنَّه يستعين بغير الله سبحانه وتعالى.

وإن ذَبَح الذبيحة باسم الله متقرباً بها إلى الله؛ فهذا التوحيد.

- وقد يكون هذا الذبح واجباً؛ مثل النذر؛ نذرتَ أن تذبح شاة فذبحتها باسم الله متقرباً بها إلى الله؛ فهذا التوحيد.

- وقد يكون هذا الذبح مستحبًّا؛ مثل ذبح الأضحية على الراجح ...

- وقد يكون مباحاً؛ إذا قلت: بسم الله؛ فذبحت بسم الله؛ ولم تقصد التقرب إلى الله ولا إلى غير الله؛ أردتَ شيئاً دنيوياً؛ أردت أن تأكل اللحم؛ فهذا مباح، ولا ينافي التوحيد بوجه من الوجوه.

إذا ذبحها فقال: باسم سيدنا فلان، أو قال: باسم الله واسم سيدنا فلان، وذبحها متقرباً لصاحب القبر؛ فقد جمع شركين: شرك التقرب وشرك الاستعانة...

. وهذا تفصيلٌ حاصِرٌ لأقسام الذبح من جهة هاتين العبادتين. [1]

- الذبيحة على عتبة البيت :

ماحكم ذَبْحِ الذبيحة على عتبة البيت عند اكتمال البناء أو عند أوّلِ دخوله؟ ...

- هذه الذبيحة إن كانت لطرد الجنّ أو السَّلامة من الأذى؛ فهذا شِرك.

- فإن قصد بها التقرُّب إلى الجنِّ حتى لا يؤذوه ... هذا شرك أكبر، والعياذ بالله؛ لأنَّه تقرَّب بهذه الذبيحة إلى الجن.

- وإنْ جعلها سبباً للسَّلامة من البلاء، هو يذبحها لله لكنَّه يجعلها سببًا ليَسلم من البلاء؛ فهذا شِرك أصغر.

- وإن كان قصْدُه بهذا شكر الله، ذبَح الذبيحة على العتبة ويقصِدْ شكر الله أنه أتم عليه البناء؛ فهذا حرام ... لأنه ... ذريعة إلى الشرك ويجب سدّ الذرائع.

أما لو ذبح الذبيحة في أيّ مكان شكراً لله، ووزعها على الفقراء؛ فلا بأس ...

29/ الذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله :

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: " نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟. قالوا: لا قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟.[2] قالوا: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذرك [1] فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله [2] ولا فيما لا يملك ابن آدم [1] " رواه أبو داود وإسناده على شرطها

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] العيد: اسم لما يعود أو يتكرر، والعود بمعنى الرجوع، أي: هل اعتاد أهل الجاهلية أن يأتوا إلى هذا المكان ويتخذوا هذا اليوم عيدا وإن لم يكن فيه وثن؟ قالوا: لا. فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أمرين: عن الشرك، ووسائله.

فالشرك: هل كان فيها وثن؟ وو سائله: هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 236/1

- الأعياد جمع عيد، وهو: ما يتكرر ويعود، وهو ينقسم إلى قسمين:

عيد زماني: كعيد رمضان، وعيد الأضحى .

القسم الثاني: عيد مكاني: وهو المكان الذي يجتمع فيه على مدار السنة، أو على مدار الأسبوع، أو على مدار الشهر، يجتمع فيه للعبادة، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تجعلوا قبري عيداً" يعني: مكاناً للاجتماع حوله، والعكوف حوله، والتردد عليه / شرح مسائل الجاهلية للعلامة الفوزان 233

[1] قوله: "أوف بنذرك": ... يحتمل أن يراد به الإباحة، ويحتمل أن يراد به المعنى الحقيقي؛ فبالنسبة لنحر الإبل المراد به المعنى الحقيقي. وبالنسبة للمكان المراد به الإباحة؟ لأنه لا يتعين أن يذبحها في ذلك المكان، إذ إنه لا يتعين أي مكان في الأرض إلا ما تميز بفضل، والمتميز بفضل المساجد الثلاثة، فالأمر هنا بالنسبة لنحر الإبل من حيث هو نحر واجب. وبالنسبة للمكان، فالأمر للإباحة، بدليل أنه سأل هذين السؤالين، فلو أجيب بنعم، لقال: لا توف، فإذا كان المقام يحتمل النهي والترخيص، فالأمر للإباحة. / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 236/1

[2] أقسام النذر:

الأول: ما يجب الوفاء به، وهو نذر الطاعة، لقوله صلى الله عليه وسلم " من نذر أن يطيع الله، فليطعه ".

الثاني: ما يحرم الوفاء به، وهو نذر المعصية، لقوله صلى الله عليه وسلم " ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه "1 وقوله: " فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله "2.

الثالث: ما يجري مجرى اليمين، وهو نذر المباح، فيخير بين فعله وكفارة اليمين، مثل لو نذر أن يلبس هذا الثوب، فإن شاء لبسه وإن شاء لم يلبسه، وكفر كفارة يمين.

الرابع: نذر اللجاج والغضب، وسمي بهذا الاسم، لأن اللجاج والغضب يحملان عليه غالبا، وليس بلازم أن يكون هناك لجاج وغضب، وهو الذي يقصد به معنى اليمين، الحث، أو المنع، أو التصديق، أو التكذيب.

مثل لو قال: حصل اليوم كذا وكذا، فقال الآخر: لم يحصل، فقال: إن كان حاصلا، فعلى لله نذر أن أصوم سنة، فالغرض من هذا النذر التكذيب، فإذا تبين أنه حاصل، فالناذر مخير بين أن يصوم سنة، وبين أن يكفر كفارة يمين، لأنه إن صام فقد وفى بنذره وإن لم يصم حنث، والحانث في اليمين يكفر كفارة يمين.

الخامس: نذر المكروه، فيكره الوفاء به، وعليه كفارة يمين.

هذا ... من الشرك الأصغر؛ لأنه ذريعة إلى الشرك الأكبر . [2]

... وسواء كانت هذه الموانع واقعة أو متوقعة.

فالواقعة: أن يكون فيها وثن أو عيد من أعياد الجاهلية.

والمتوقعة: أن يخشى من الذبح في هذا المكان تعظيمه، فإذا خشي، كان ممنوعا، مثل: لو أراد أن يذبح عند جبل، فالأصل أنه جائز، لكن لو خشي أن العوام يعتقدون أن في هذا المكان مزية، كان ممنوعا. [3]

السادس: النذر المطلق، وهو الذي ذكر فيه صيغة النذر، مثل أن يقول: لله علي نذر، فهذا كفارته كفارة يمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كفارة النذر إذا لم يسم كفارة يمين)

مسألة: هل ينعقد نذر المعصية؟

الجواب: نعم ... ينعقد لكن لا ينفذ. وإذا

انعقد: هل تلزمه كفارة أو لا؟ اختلف في ذلك أهل العلم، وفيها روايتان عن الإمام أحمد:

... كفارته كفارة يمين، وهذا القول أصح. / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 237/1

[1] ولا فيما لا يملك ابن آدم " ... يحتمل معنيين

الأول: ما لا يملك فعله شرعا، كما لو قال: لله علي أن أعتق عبد فلان، فلا يصح لأنه لا يملك إعتاقه. الثاني: ما لا يملك فعله قدرا، كما لو قال: لله علي نذر أن أطير بيدي، فهذا لا يصح لأنه لا يملكه. والفقهاء رحمهم الله يمثلون بمثل هذا للمستحيل. / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 240/1

ما لا يملكه ابن آدم :

- إمّا لكون غيره يملكه؛ فينذر أن يتصدق به على هذا الوجه: وهذا حرام، ولا يجوز الوفاء به.

- وإمّا أنّ الإنسان لا يملكه؛ لكنه يعقده في ذمته: فهذا ينعقد ويدخل في نذر الطاعة. / شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 242/1

- **الحكمة من أنه لا يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله :**

الأول: أنه يؤدي إلى التشبه بالكفار.

الثاني: أنه يؤدي إلى الاغترار بهذا الفعل، لأن من رآك تذبح بمكان يذبح فيه المشركون ظن أن فعل المشركين جائز.

الثالث: أن هؤلاء المشركين سوف يقوون على فعلهم إذا رأوا من يفعل مثلهم، ولا شك أن تقوية المشركين من الأمور المحظورة، وإغاظتهم من الأعمال الصالحة، قال الله تعالى: {وَلا يَطَأُونَ مَوْطِئاً يُغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ}[1]

- المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة: أي: لما كانت هذه الأرض مكان شرك، حرم أن يعمل الإنسان ما يشبه الشرك فيها لمشابهة المشركين. أما بالنسبة للصلاة في الكنيسة، فإن الصلاة تخالف صلاة أهل الكنيسة، لا يكون الإنسان متشبها بهذا العمل، بخلاف الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله، فإن الفعل واحد بنوعه وجنسه، ولهذا لو أراد إنسان أن يصلي في مكان يذبح فيه لغير الله لجاز ذلك، لأنه ليس من نوع العبادة التي يفعلها المشركون في هذا المكان. وكذا الطاعة تؤثر في الأرض، ولهذا، فإن المساجد أفضل من الأسواق، والقديم منها أفضل من الجديد. [2]

ويُلحَق بذلك أيها الفضلاء: الذبح لله في مكان صالحٍ لأن يُذبح فيه لغير الله. حتى لو لم يُذبَح فيه لغير الله مِن قبل؛ لكن مهيَّأ؛ مثل القبر.

... بعض أهل العلم قال: إن ذَبَحَ في المكان لاعتقاد فضيلته: فهو بدعة. وإن ذبحَ لغير اعتقاد الفضيلة: فهو حرام. أعني الذبح.

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/240

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/241

إن ذبح في المكان هذا لاعتقاد الفضيلة، لا للتقرّب لصاحب القبر؛ وإنما لاعتقاد فضيلة المكان: فهذا بدعة؛ لأنه أضاف الذبح إلى مكان لم يُضَفْ إليه شرعًا.

وإن كان لغير اعتقاد الفضيلة؛ لكن لأنّ فيه شجرة لها أغصان يستطيع أن يعلق فيها الذبيحة: فهذا حرام. والراجح عندي ... أنّ هذا الذبح من الشرك الأصغر [1]

إذا لم يكن للبقعة فضيلة شرعية؛ فالنذر من باب المباح [2]

30/ النذر لغير الله :

- مما ورد من الأدلة :

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: " نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟. قالوا: لا قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟. قالوا: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم " رواه أبو داود وإسناده على شرطهما

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من نذر أن يطيع الله، فليطعه ومن نذر أن يعصي الله، فلا يعصه " البخاري

- تعريف النذر :

النذر في اللغة: الإلزام والعهد.

واصطلاحا: إلزام المكلف نفسه لله شيئا غير واجب. وقال بعضهم: لا نحتاج أن نقيد بغير واجب، وأنه إذا نذر الواجب صح النذر وصار المنذور واجبا من وجهين: من جهة النذر، ومن جهة الشرع، ويترتب على ذلك وجوب الكفارة إذا لم يحصل الوفاء. [3]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 235/1

- النذر عبادة :

النذر عبادة؛ وذلك لوجهين :

أمّا الوجه الأول: أنّ النذر لا يكون إلا على وجه التقرب لمن يُرجى خيره أو يُعظَّم ... وهذا هو العبادة وحقيقة العبادة.

الوجه الثاني: أنّ الله -عز وجل- أمر بالوفاء بالنذر، ومدح الموفين بالنذر، وأثاب على الوفاء بالنذر...

وأمّا النذر في الشرع: إلزام المكلَّف نفسَه شيئًا غير لازم له بلفظٍ . [1]

- حكم النذر :

والنذر في الأصل مكروه، بل إن بعض أهل العلم يميل إلى تحريمه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه، وقال: " لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل " ولأنه إلزام لنفس الإنسان بما جعله الله في حل منه، وفي ذلك زيادة تكليف على نفسه. ولأن الغالب أن الذي ينذر يندم، وتجده يسأل العلماء يمينا وشمالا يريد الخلاص مما نذر لثقله ومشقته عليه، ولا سيما ما يفعله بعض العامة إذا مرض، أو تأخر له حاجة يريدها، تجده ينذر كأنه يقول: إن الله لا ينعم عليه بجلب خير أو دفع الضرر إلا بهذا النذر . [2]

النذر لغير الله مثل أن يقول: لفلان علي نذر، أو لهذا القبر علي نذر، أو لجبريل علي نذر، يريد بذلك التقرب إليهم، وما أشبه ذلك.

والفرق بينه وبين نذر المعصية: أن النذر لغير الله ليس لله أصلا، ونذر المعصية لله، ولكنه على معصية من معاصيه

... وحكم النذر لغير الله شرك ، لأنه عبادة للمنذور له ...

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 235/1

وهذا النذر لغير الله لا ينعقد إطلاقا، ولا تجب فيه كفارة، بل هو شرك تجب التوبة منه ....

وأما نذر المعصية؛ فينعقد، لكن لا يجوز الوفاء به، وعليه كفارة يمين [1]

- لا نذر لابن آدم فيما لا يملك يقال فيه ما قيل في: لا نذر في معصية.

والمعنى : لا وفاء لنذر فيما لا يملك ابن آدم، ويشتمل ما لا يملكه شرعا، وما لا يملكه قدرا. [2]

- فائدة :

إذا قيل: لا نذر في معصية، فالمعنى أن النذر لا ينعقد

وإذا قيل: لا وفاء، فالمعنى أن النذر ينعقد، لكن لا يوفى [3]

31/ الاستعاذة بغير الله :

- مما ورد من الأدلة :

قال الله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [الفلق:1]، وقال تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [الناس:1].

وثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن ابنة الجون لما أدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قالت: أعوذ بالله منك، فقال: (لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك)

- تعريف الاستعاذة :

الاستعاذة هي: اللجوء إلى المستعاذ به طلبًا للوقاية من الشر. وإن شئتَ قل: هي طلب الحماية من الشر.

... واللوذ: طلب حصول الخير. لذا العلماء يقولون: الاستعاذة في المرهوب، واللَّوذ في المرغوب.

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 245/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 244/1

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 244/1

والاستعاذة بالله توحيد وعبادة. [1]

- حكم الاستعاذة :

الاستعاذة بالمخلوق على قسمين:

- القسم الأول: استعاذة بالخلوق فيها حقيقة الدعاء، كأنه يدعوه، وهذه شرك أكبر ...

وهذه الاستعاذة عبادة؛ لوجهين:

-الوجه الأول: أنها دعاء، و﴿الدعاء هو العبادة﴾ كما ثبت في الحديث الصحيح.

-الوجه الثاني: أنّ الله أمر بأن يستعاذ به، فدلّ على أنّ الاستعاذة عبادة...

كيف نعرف أنّ الاستعاذة بالمخلوق هنا فيها حقيقة الدعاء؟ يقول العلماء: بصور:

الصورة الأولى: أن يكون المخلوق المستعاذ به غائبًا، غير حاضر ...

الصورة الثانية: أن يكون المخلوق المستعاذ به ميتًا ...

الصورة الثالثة: أن يكون المستعاذ به حاضرًا ولا يقدر ...

القسم الثاني من الاستعاذة بالمخلوق: الاستعاذة بالمخلوق بالفعل أو الطلب فيما يقدر عليه – وهذا لابد أن يكون حاضرًا– مع اعتقاد أنّ الأمر كله لله. كأن تقول للقاضي: استعيذ بك أيها القاضي من ظلم خصمي! ... فهذه الاستعاذة جائزة...

إذن؛ تبين أنّ الاستعاذة من جهة حكمها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: استعاذة شرعية مطلوبة. وهي الاستعاذة بالله –عز وجل– أو بصفة من صفاته؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[الناس: 1]، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق:1]، هذه استعاذة بالله، والنبي –صلى الله عليه وسلم– قال: ﴿اللهم إني أعوذ

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

بعظمتك أن أغتال من تحتي﴾ رواه النسائي وصححه الألباني. ﴿اللهم إني أعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي﴾ وهذه استعاذة بصفة من صفات الله عز وجل...

القسم الثاني: استعاذة شركية. وهي الاستعاذة بالمخلوق استعاذةً فيها حقيقة الدعاء. أو: أن يعلق العبد قلبه بالمخلوق المستعاذ به، هذه استعاذة شركية ... في الصور الثلاثة التي ذكرناها: استعاذة بغائب، استعاذة بميت، استعاذة بحي حاضر فيما لا يقدر عليه.

أو أن يُعلِّق قلبه للمخلوق، فيُخلِي قلبه للمخلوق؛ فهذا شرك.

القسم الثالث: استعاذة مباحة. وهي الاستعاذة بالمخلوق بالفعل أو الطلب إذا كان المخلوق حيًّا حاضرًا قادرًا، فيما يقدر عليه، مع اعتقاد القلب أنّ الأمر كله لله سبحانه وتعالى؛ فهذه الاستعاذة مباحة. [1]

الاستعاذة بكلمات الله لا تخرج عن كونها استعاذة بالله، لأنها صفة من صفاته. [2]

- الفرق بين الاستعاذة والاستغاثة والاستعانة والدعاء :

- الاستعاذة: طلب الحماية من الشر، فهي تكون قبل وقوع الشر ...

- وأما الاستغاثة: فهي طلب تفريج الشدة وتفرج الكربة، فهي تكون عند وقوع الشر، أو عند قربه، كأنه واقع ...

- والاستعانة: هي طلب العون على الخير

وأما الفرق بين هذه الثلاث والدعاء فهو أنّ الدعاء أعمُّ منها، فإنّ الاستعاذة دعاء مخصوص، والاستغاثة دعاء مخصوص، والاستعانة دعاء مخصوص. أما الدعاء فهو عام في طلب ما تحتاجه وتبتغيه مطلقًا، سواء كان في تحقيق خير أو دفع شر[3]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 257/1

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

32/ الاستغاثة بغير الله :

الاستغاثة تنقسم من حيث حكمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: استغاثة هي توحيد وعبادة ترضي الله ويحصل بها المقصود؛ وهي: الاستغاثة بالله عز وجل ...

القسم الثاني: استغاثة جائزة، مباحة؛ وهي: الاستغاثة بالمخلوق القادر فيما يقدر عليه المخلوق عادةً. هجم عليك أسد يريد أن يفترسك وأنت ترى رجلاً يحمل بندقية فتقول له: يا فلان أغثني! هذه جائزة، ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فوكزه موسى فقضى عليه﴾ (القصص: 15) ...

القسم الثالث: استغاثة شركية. وهي ... الاستغاثة التي فيها حقيقة الدعاء في الصور الثلاث:

- الاستغاثة بالميت ...
- والاستغاثة بالغائب. وهي كالاستغاثة بالميِّت.
- والاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه المخلوق عادةً [1]

33/ الإستعانة بغير الله :

الإستعانة طلب العون وهي أنواع:

الأول: الإستعانة بالله وهي: الإستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ووجه الاختصاص أن الله تعالى قدم المعمول {إِيَّاكَ} وقاعدة اللغة التي نزل بها القرآن أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى شركاً مخرجاً عن الملة.

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

الثاني: الإستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه فهذه على حسب المستعان عليه فإن كانت على بر فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين لقوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} [سورة المائدة، الآية: 2] .

وإن كانت على إثم فهي حرام على المستعين والمعين لقوله تعالى {وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [سورة المائدة الآية: 2]

وإن كانت على مباح فهي جائزة للمستعين والمعين لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير ومن ثم تكون في حقه مشروعة لقوله تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة البقرة، الآية: 195]

الثالث: الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر فهذه لغو لا طائل تحتها مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

الرابع: الإستعانة بالأموات مطلقاً أو بالأحياء على أمر الغائب لا يقدرون على مباشرته فهذا شرك لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفيا في الكون.

الخامس: الإستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى وهذه مشروعة بأمر الله تعالى في قوله: {اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ} [سورة البقرة، الآية: 153] .

وقد استدل ... للنوع الأول بقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [سورة الفاتحة، الآية: 4] وقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا أستعنت فأستعن بالله". [1]

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 62

34/ التطير :

- تعريف التطير :

في اللغة: مصدر تطير، وأصله مأخوذ من الطير؛ لأن العرب يتشاءمون أو يتفاءلون بالطيور على الطريقة المعروفة عندهم بزجر الطير، ثم ينظر: هل يذهب يمينا أو شمالا أو ما أشبه ذلك، فإن ذهب إلى الجهة التي فيها التيامن؛ أقدم، أو فيها التشاؤم؛ أحجم.

أما في الاصطلاح؛ فهي التشاؤم بمرئي أو مسموع، وهذا من الأمور النادرة؛ لأن الغالب أن اللغة أوسع من الاصطلاح؛ لأن الاصطلاح يدخل على الألفاظ قيودا تخصها، مثل الصلاة لغة: الدعاء، وفي الاصطلاح أخص من الدعاء، وكذلك الزكاة وغيرها.

وإن شئت؛ فقل: التطير: هو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم.

بمرئي مثل: لو رأى طيرا فتشاءم لكونه موحشا.

أو مسموع مثل: من هم بأمر فسمع أحدا يقول لآخر: يا خسران، أو يا خائب؛ فيتشاءم.

أو معلوم؛ كالتشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور أو بعض السنوات؛ فهذه لا ترى ولا تسمع.[1]

- مما ورد من الأدلة :

قال تعالى: {أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ}[2]

وقوله: {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ}[1]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 559/1

[2] ... هذه الآية نزلت في قوم موسى كما حكى الله عنهم في قوله: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} ... إذا جاءهم البلاء والجدب والقحط قالوا: هذا من موسى وأصحابه؛ فأبطل الله هذه العقيدة بقوله: {أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ}... والمعنى: أنما يصيبهم من الجدب والقحط ليس من موسى وقومه، ولكنه من الله؛ فهو الذي قدره (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 560/1)

و عن أبي هريرة رضي الله عنه" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا عدوى [2] ولا طيرة، ولا هامة، [1] ولا صفر " أخرجاه [2]

---

[1] ... أي: قال الذين أرسلوا إلى القرية في قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ} الآيات.
فقالوا ذلك ردا على قول أهل القرية: {إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} ؛ أي: تشاءمنا بكم، وإننا لا نرى أنكم تدلوننا على الخير، بل على الشر وما فيه هلاكنا؛ فأجابهم الرسل بقولهم: {طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} أي: مصاحب لكم، فما يحصل لكم؛ فإنه منكم ومن أعمالكم، فأنتم السبب في ذلك.
ولا منافاة بين هذه الآية والتي ذكرها المؤلف قبلها؛ لأن الأولى تدل على أن المقدر لهذا الشيء هو الله، والثانية تبين سببه، وهو أنه منهم، فهم في الحقيقة طائرهم معهم (أي الشؤم) الحاصل عليهم معهم ملازم لهم؛ لأن أعمالهم تستلزمه؛ كما قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} ...
وقوله: {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ}... أي: ما أصابكم ليس منهم، بل هو من إسرافكم (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 561/1)

[2] ... والعدوى: انتقال المرض من المريض إلى الصحيح، وكما يكون في الأمراض الحسية يكون أيضا في الأمراض المعنوية الخلقية (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 563/1)
فقوله: " لا عدوى " العدوى موجودة، ويدل لوجودها قوله صلى الله عليه وسلم:" لا يورد ممرض على مصح "... لئلا تنتقل العدوى. وقوله صلى الله عليه وسلم " فر من المجذوم فرارك من الأسد "... لكن تأثيرها ليس أمرا حتميا، بحيث تكون علة فاعلة، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالفرار، وأن لا يورد ممرض على مصح من باب تجنب الأسباب لا من باب تأثير الأسباب بنفسها؛ فالأسباب لا تؤثر بنفسها، لكن ينبغي لنا أن نتجنب الأسباب التي تكون سببا للبلاء؛ لقوله تعالى: {وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}...
فإن قيل: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قال: " لا عدوى. قال رجل: يا رسول الله! الإبل تكون صحيحة مثل الظباء، فيدخلها الجمل الأجرب فتجرب؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم فمن أعدى الأول ؛ "... الشيء قد يكون له سبب معلوم وقد لا يكون له سبب معلوم، فجرب الأول ليس سببه معلوما؛ إلا أنه بتقدير الله تعالى، وجرب الذي بعده له سبب معلوم ...
أما شهر رمضان، وقولنا: إنه شهر خير؛ فالمراد بالخير العبادة ...

وزاد مسلم: " ولا نوء، [3] ولا غول " [1]

- الأسباب المعلومة الظاهرة تقي أسباب الشر، وأما الأسباب الموهومة التي لم يجعلها الشرع سببا بل نفاها، فلا يجوز لك أن تتعلق بها، بل احمد الله على العافية، وقل: ربنا عليك توكلنا. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 564/1)

- المراد بنفيها نفي تأثيرها بنفسها لا أنها سبب للتأثير (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 581/1)

* لو سَأَلَنا أحدٌ: هل هناك عدوى؟ يكون الجواب بالتفصيل:

- إن قصدك أنّ العدوى تحصل بذاتها، وتؤثر بذاتها؛ فلا عدوى يقينًا.

- وإن كان قصدك أنّ العدوى سبب من الأسباب بإذن الله القدري؛ فهذا موجود، وهذه العدوى موجودة. (شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي).

[1] قوله: "ولا هامة": الهامة؛ بتخفيف الميم فسرت بتفسيرين:

الأول: أنها طير معروف يشبه البومة، أو هي البومة، تزعم العرب أنه إذا قتل القتيل؛ صارت عظامه هامة تطير وتصرخ حتى يؤخذ بثأره، وربما اعتقد بعضهم أنها روحه.

التفسير الثاني: أن بعض العرب يقولون: الهامة هي الطير المعروف، لكنهم يتشاءمون بها، فإذا وقعت على بيت أحدهم ونعقت؛ قالوا: إنها تنعق به ليموت، ويعتقدون أن هذا دليل قرب أجله، وهذا كله - بلا شك - عقيدة باطلة. (القول المفيد 563/1)

[2] قوله : " ولا صفر " قيل: إنه شهر صفر، كانت العرب يتشاءمون به ولا سيما في النكاح.

... أي: لا شؤم فيه، وهو كغيره من الأزمان يقدر فيه الخير ويقدر فيه الشر.

وهذا النفي في هذه الأمور الأربعة ليس نفيا للوجود؛ لأنها موجودة ولكنه نفي للتأثير؛ فالمؤثر هو الله، فما كان منها سببا معلوما؛ فهو سبب صحيح، وما كان منها سببا موهوما؛ فهو سبب باطل، ويكون نفيا لتأثيره بنفسه إن كان صحيحا، ولكونه سببا إن كان باطلا. (القول المفيد 564/1) .

فهذه الأربعة التي نفاها الرسول صلى الله عليه وسلم تبين وجوب التوكل على الله وصدق العزيمة، ولا يضعف المسلم أمام هذه الأشياء (القول المفيد 567/1)

[3] ... الأنواء: هي منازل القمر، وهي ثمان وعشرون منزلة، كل منزلة لها نجم تدور بمدار السنة. وهذه النجوم بعضها يسمى النجوم الشمالية، وهي لأيام الصيف، وبعضها يسمى النجوم الجنوبية، وهي لأيام الشتاء، وأجرى

الله العادة أن المطر في وسط الجزيرة العربية يكون أيام الشتاء، أما أيام الصيف؛ فلا مطر.
فالعرب كانوا يتشاءمون بالأنواء، ويتفاءلون بها؛ فبعض النجوم يقولون: هذا نجم نحس لا خير فيه، وبعضها بالعكس يتفاءلون به فيقولون: هذا نجم سعود وخير، ولهذا إذا أمطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا ...
فالنوء لا تأثير له ...
وفي عصرنا الحاضر يعلق المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي، وهذا وإن كان قد يكون سببا حقيقيا، ولكن لا يفتح هذا الباب للناس، بل الواجب أن يقال: هذا من رحمة الله، هذا من فضله ونعمه ... فتعليق المطر بالمنخفضات الجوية من الأمور الجاهلية التي تصرف الإنسان عن تعلقه بربه.
فذهبت أنواء الجاهلية، وجاءت المنخفضات الجوية ... قد تكون سببا لنزول المطر، لكن ليست هي المؤثر بنفسها، فتنبه. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 568/1)
[1] ﴿وَلَا غُولَ﴾، ما هو الغُول؟ جَمْعها: غِيلان. كانت العرب تَزعم أنّ هناك جنسًا من الشياطين يقال لها: الغِيلان، تَتعرَّض للناس في الطُّرق، فتُضلِّهم وتُهلكهم، وهي تتغوَّل؛ أي: تتلوّن ألوانًا، فتَظهر لهم بصورة جمل، فإذا ذهبوا يَطردونه تاهوا وهلكوا، أو صورة غزال، أو مثلاً تُسمِعهم صوت الماء، فيَذهبون يَطلبون الماء في هذه الصحراء فيتيهون فيهلكون، أو تُسمِعهم صوت قوم عندهم جلبة وحديث، فيذهبون فلا يجدون شيئًا، وقد يهلكون! هكذا كانت تقول العرب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ولا غول﴾، ومعناه:
– قال بعض أهل العلم: يعني: لا وجود للغيلان، ولا حقيقة، هذا وهْم.
– وقال بعض أهل العلم: بل المقصود نَفْيُ ضررها، وأنها تَضر الناس، وتُهلك الناس بذاتها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ولا غول﴾؛ وإلا فهي موجودة، هكذا قال بعض أهل العلم، وإليه مال النووي، واستدلوا لذلك: ﴿بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم أَمَرَ إذا تغوَّلت الغيلان بالأذان﴾ ولكنّ هذا الحديث ضعيف، ولا يوجد حديث يُثبِت وجود هذه الغيلان.
والشاهد: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم نفاها، فشرُّها منتفي. وهل حقيقتها منتفية؟ الدليل محتمِل، ولم نجد من الأدلة ما يُنافيه. والواقع الله أعلم به، بعض الناس يحكي وجود هذا، وبعض كبار السن كانوا يحدثوننا بأنهم كانوا إذا ذهبوا بالقوافل يجدون شيئًا من هذا، فإذا نزلوا في الليل في مكان يرَون عن بُعْد نيرانًا وضجيجًا كأنّ القوم عندهم فرح، والناس كانوا في جوع، فإذا ذهبوا إلى ذاك المكان أبعد، وهكذا، فإن كان الواقع صحيحًا، فتكون موجودة حقيقة، لكنها لا تَضر بذاتها؛ بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ولا غول﴾.

ولهما عن أنس؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا: وما الفأل؛ قال: الكلمة الطيبة " [1]

ولأبي داود بسند صحيح عن " عقبة بن عامر؛ قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أحسنها الفأل، ولا ترد مسلما، فإذا رأى أحدكم ما يكره؛ فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، [2] ولا يدفع السيئات إلا أنت، [3] ولا حول ولا قوة إلا بك " [1]

إذن؛ ضررها بذاتها منتفٍ قطعًا،، وأمّا موجودها فنفْيُه محتمِل، وإن كان الغالب نَفْي وجودها؛ إلا إذا وُجِد من الواقع ما يَدل على وجودها. / شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[1] قوله: " ويعجبني الفأل " أي : يسرني ، والفأل بينه بقوله: " الكلمة الطيبة " ... لما فيها من إدخال السرور على النفس والانبساط ، والمضي قدما لما يسعى إليه الإنسان ، وليس هذا من الطيرة، بل هذا مما يشجع الإنسان؛ لأنها لا تؤثر عليه، بل تزيده طمأنينة وإقداما وإقبالا...

وهذا الحديث جمع النبي صلى الله عليه وسلم فيه بين محذورين ومرغوب؛ فالمحذوران هما العدوى والطيرة، والمرغوب هو الفأل، وهذا من حسن تعليم النبي صلى الله عليه وسلم ... ولهذا كان القرآن مثاني (القول المفيد 570/1)

[2] ... الفأل ليس من الطيرة لكنه شبيه بالطيرة من حيث الإقدام ... وإلا؛ فبينهما فرق لأن الطيرة توجب تعلق الإنسان بالمتطير به، وضعف توكله على الله، ورجوعه عما هم به من أجل ما رأى، لكن الفأل يزيده قوة وثباتا ونشاطا؛ فالشبه بينهما هو التأثير في كل منهما.

قوله: " ولا ترد مسلما " يفهم منه أن من ردته الطيرة عن حاجته؛ فليس بمسلم...

والمراد بالحسنات: ما يستحسن المرء وقوعه، ويحسن في عينه. ويشمل ذلك الحسنات الشرعية؛ كالصلاة والزكاة وغيرها؛ لأنها تسر المؤمن، ويشمل الحسنات الدنيوية؛ كالمال والولد ونحوها (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 571/1)

[3] قوله: " ولا يدفع السيئات إلا أنت " السيئات: ما يسوء المرء وقوعه وينفر منه حالا أو مآلا، ولا يدفعها إلا الله، ولهذا إذا أصيب الإنسان بمصيبة التجأ إلى ربه تعالى (القول المفيد 572/1)

وعن ابن مسعود، مرفوعا: " الطيرة شرك الطيرة شرك [2] وما منا إلا ... ولكن الله يذهبه بالتوكل " رواه أبو داود والترمذي وصححه

وجعل آخره من قول ابن مسعود [3]

ولأحمد من حديث ابن عمرو: " من ردته الطيرة عن حاجته؛ فقد أشرك. قالوا: فما كفارة ذلك؛ قال: أن تقولوا: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طير ك، [4] ولا إله غيرك "

---

[1] قوله: " ولا حول ولا قوة إلا بك " ... لا نتحول من حال إلى حال، ولا نقوى على ذلك إلا بالله، فيكون في هذه الجملة كمال التفويض إلى الله، وأن الإنسان يبرأ من حوله وقوته إلا بما أعطاه الله من الحول والقوة (القول المفيد 1/573)

[2] ... قوله: " الطيرة شرك، الطيرة شرك " هاتان الجملتان يؤكد بعضهما بعضا من باب التوكيد اللفظي.

وقوله: "شرك": أي: إنها من أنواع الشرك، وليست الشرك كله، وإلا؛ لقال: الطيرة الشرك.

... والقاعدة: "إن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببا؛ فإنه مشرك شركا أصغر".

وهذا نوع من الإشراك مع الله؛ إما في التشريع إن كان هذا السبب شرعيا، وإما في التقدير إن كان هذا السبب كونيا، لكن لو اعتقد هذا المتشائم المتطير أن هذا فاعل بنفسه دون الله؛ فهو مشرك شركا أكبر؛ لأنه جعل لله شريكا في الخلق والإيجاد. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/574)

– وقد جاء في الحديث: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إذا تَطيَّرتم فمضوا وتوكلوا على الله﴾، قال الألباني: أميل إلى ثبوته. (شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي)

[3] ... والمعنى: ما منا إنسان يسلم من التطير ...

قوله: "وجعل آخره من قول ابن مسعود": وهو قوله: "وما منا إلا ... " إلخ.

وعلى هذا يكون موقوفا، وهو مدرج في الحديث (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/575)

[4] ... الحاجة: كل ما يحتاجه الإنسان بما تتعلق به الكمالات، وقد تطلق على الأمور الضرورية.

– الكفارة قد تطلق على كفارة الشيء بعد فعله، وقد تطلق على الكفارة قبل الفعل ...

وقوله: " اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك " يعني: ... كل الخير من الله عزوجل

وقوله: " لا طير إلا طيرك " أي: الطيور كلها ملكك؛ فهي لا تفعل شيئا، وإنما هي مسخرة ... ولا علاقة لها

وله من حديث الفضل بن العباس: " إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك "[1]

- حكم التطير :

واعلم أن التطير ينافي التوحيد، ووجه منافاته له من وجهين: (تفصيل العلامة ابن عثيمين)

الأول: أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غير الله.

الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، بل هو وهم وتخييل ...

والمتطير لا يخلو من حالين:

الأول: أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة ويدع العمل، وهذا من أعظم التطير والتشاؤم.

الثاني: أن يمضي لكن في قلق وهم وغم يخشى من تأثير هذا المتطير به، وهذا أهون.

وكلا الأمرين نقص في التوحيد وضرر على العبيد، بل انطلق إلى ما تريد بانشراح صدر وتيسير واعتماد على الله عزوجل ولا تسئ الظن بالله عزوجل [2]

بالحوادث.

ويحتمل أن المراد بالطير هنا ما يتشاءم به الإنسان؛ فكل ما يحدث للإنسان من التشاؤم والحوادث المكروهة؛ فإنه من الله كما أن الخير من الله ... الشر في المفعول لا في الفعل، بل فعله تعالى كله خير؛ إما خير لذاته، وإما لما يترتب عليه من المصالح العظيمة التي تجعله خيرا (القول المفيد 577/1)

[1] ... أي: ما الطيرة إلا ما أمضاك أو ردك لا ما حدث في قلبك ولم تلتفت إليه ...

وأما "ما أمضاك" ؛ فلا يخلو من أمرين:

الأول: أن تكون من جنس التطير، وذلك بأن يستدل لنجاحه أو عدم نجاحه بالتطير... فهذا لا شك أنه تطير ...

الثاني: أن يكون سبب المضي كلاما سمعه أو شيئا شاهده يدل على تيسير هذا الأمر له؛ فإن هذا فأل، وهو الذي يعجب النبي صلى الله عليه وسلم لكن إن اعتمد عليه وكان سببا لإقدامه؛ فهذا حكمه حكم الطيرة، وإن لم يعتمد عليه ولكنه فرح ونشط وازداد نشاطا في طلبه؛ فهذا من الفأل المحمود.

والحديث في سنده مقال، لكن على تقدير صحته هذا حكمه. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 580/1)

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 559/1

والتطيُّر فيه شر عظيم، وهو من جهة حكمه: (تفصيل الشيخ سليمان الرحيلي)

- إن كان المتطيِّر يَعتقد أنّ الذي يَتطيَّر منه يؤثِّر بذاته بدون أمر الله ومشيئته؛ فهذا شرك أكبر...

- وإن كان يَعتقد أنّ الذي يَتطيَّر به سبب لحصول الشر؛ فهذا شرك أصغر؛ لأنه جَعَلَ ما ليس سببًا سببًا.

- وإذا كان الأمر يَحصُل في القلب من انقباضٍ ونحوه لا عن اعتقاد؛ فهذا إن دَفَعَهُ الإنسان ولم يؤثِّر في عمله فهذا معفوٌّ عنه ...

كما أنّ التطيُّر فيه سوء ظنٍّ بالله عز وجل ...

التشاؤم أوسع من التطير؟! ذكر العلماء أنّ أصل التشاؤم: هو التشاؤم بالطيور، بأنواع منها؛ كالتشاؤم بالغراب، والعِقاب... فلمّا كان أصل التشاؤم الطيور سُمِّي التشاؤم: طِيَرة. [1]

35/ التصوير :

- مما ورد من الأدلة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة " أخرجاه. [2]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] أي: لا أحد أظلم ...

فإن قيل: كيف يجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ} وقوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً} وغير ذلك من النصوص؟

فالجواب من وجهين:

الأول: أن المعنى أنها مشتركة في الأظلمية، أي أنها في مستوى واحد في كونها في قمة الظلم.

الثانية: أن الأظلمية نسبية، أي أنه لا أحد أظلم من هذا في نوع هذا العمل لا في كل شيء، فيقال مثلا: من أظلم في مشابهة أحد في صنعه ممن ذهب يخلق كخلق الله، ومن أظلم في منع حق ممن منع مساجد الله، ومن أظلم في افتراء الكذب ممن افترى على الله كذبا.

ولهما عن عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله "[1]

قوله: "يخلق": ... أي: ممن ذهب خالقا. والخلق في اللغة: التقدير ... والخلق بالنسبة للإنسان يكون بعد تأمل ونظر وتقدير ... فالخلق بالنسبة للمصور يكون بمعنى الصنع بعد النظر والتأمل.

قوله: "يخلق كخلقي": فيه جواز إطلاق الخلق على غير الله ...

قوله: " فليخلقوا ذرة ": اللام للأمر، والمراد به التحدي والتعجيز ...

والذرة: واحدة الذر، وهي النمل الصغار ...

قوله: "أو ليخلقوا حبة ": "أو" للتنويع ...

قوله: " أو ليخلقوا شعيرة ": يحتمل أن المراد شجرة الشعير، فيكون في الأول ذكر التحدي بأصل الزرع وهي الحبة، ويحتمل أن المراد الحبة من الشعير ويكون هذا من باب ذكر الخاص بعد العام؛ لأن حبة الشعير أخص من الحب. أو تكون "أو" شكا من الراوي (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/435)

[1] والحكمة من ذلك مضاهاتهم خلق الله عز وجل وليست الحكمة كما يدعيه كثير من الناس أنهم يصنعونها لتعبد من دون الله؛ فذلك شيء آخر، فمن صنع شيئا ليعبد من دون الله؛ فإنه حتى ولو لم يصور كما لو أتى بخشبة وقال: اعبدوها؛ فقد دخل في التحريم؛ لقوله تعالى: {وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} لأنه أعان على الإثم والعدوان.

وقوله: "يضاهئون": هل الفعل يشعر بالنية بمعنى أنه لا بد أن يقصد المضاهاة، أو نقول: المضاهاة حاصلة سواء كانت بنية أو بغير نيه؟

الجواب: الثاني؛ لأن المضاهاة حصلت سواء نوى أم لم ينو؛ لأن العلة هي المشابهة، وليست العلة قصد المشابهة، فلو جاء رجل وقال: أنا لا أريد أن أضاهي خلق الله، أنا أصور هذا للذكرى مثلا وما أشبه ذلك؛ نقول: هذا حرام؛ لأنه متى حصلت المشابهة ثبت الحكم؛ لأن الحكم يدور مع علته كما قلنا فيمن لبس لباسا خاصا بالكفار: إنه يحرم عليه هذا اللباس، ولو قال: إنه لم يقصد المشابهة؛ نقول: لكن حصل التشبه؛ فالحكم المقرون بعلة لا يشترط فيه القصد، فمتى وجدت العلة ثبت الحكم. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/443)

- الأشدية نسبية، يعني أن الذين يصنعون الأشياء ويبدعونها أشدهم عذابا الذين يضاهئون بخلق الله، وهذا أقرب (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/444)

ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم "

ولهما عنه مرفوعا: " من صور صورة في الدنيا؛ كلف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ ". [1]

- عقوبة المصور :

1- أنه أشد الناس عذابا أو من أشدهم عذابا.

2- أن الله يجعل له في كل صورة نفسا يعذب بها في نار جهنم.

3- أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ.

4- أنه في النار.

5- أنه ملعون؛ كما في حديث أبي جحيفة في "البخاري" وغيره. [2]

- علاقة التصوير بالتوحيد ... من وجهين :

الوجه الأوّل: أنّ المستقر المعلوم أنّ إبليس قاد بني آدم إلى الشرك بخطوات، ومن أهم هذه الخطوات وأعظم هذه الخطوات: أنهم أمرهم بالتصوير، بتصوير الصالحين، فلمّا كان ذلك كذلك؛ كان في مَنْعِ التصوير سدٌّ لذرائع الشرك؛ فناسب كتاب التوحيد.

والوجه الثاني: أنّ في تصوير المخلوق لذوات الأرواح إساءة أدب مع الله وتعدٍّ، وهذا ينافي كمال التوحيد الواجب؛ فناسَب ذِكْرُ هذا الباب في كتاب التوحيد.

---

[1] ❋ يدخلُ في هذا الوعيد وفي هذا الفعل الذي هو التصوير ثلاثة:

أمّا أوّلهم: فهو المصوِّر نفسه ...

والثاني: الآمرُ بالتصوير ...

وأمّا الثالث: ... الراضي أن يُصوَّرَ (شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي)

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/449

- **حكم التصوير :**

التصوير على قسمين :

القسم الأوّل: تصوير ذوات الأرواح؛ كالإنسان والحيوان.

والقسم الثاني: تصوير غير ذوات الأرواح، كالبيوت، والسيارات، والحبوب، والأشجار، ونحو ذلك.

- **أمَّا القسم الأوّل: وهو تصوير ذوات الأرواح، فهو على أربعة أنواع:**

النوع الأوّل: **التصوير بالتماثيل**، التي يُعبِّر عنها أهل العلم: بما له ظل ... كالتمثيل، والأصنام، وصور الحيوانات المجسَّمة، وهذا قد اتَّفق العلماء على تحريمه، وأنه من كبائر الذنوب.

والنوع الثاني: **ما لا ظل له**؛ بل هو رقمٌ وصورة توضَع على ورقة أو ثوب أو فراش أو نحو ذلك، وهو من عَمَلِ اليد، يعني: بيد الإنسان، يأتي ويأخذ قلمًا ويرسم صورة الوجه ويرسم الرأس، ويرسم الرقبة، ويرسم الجسم. وهذا ذهب أكثر العلماء إلى تحريمه، وذهب بعض التابعين وقلَّة من العلماء إلى إجازته. والراجح -والله أعلم- أنه حرام؛ وذلك:

أوّلًا: لعموم النصوص التي معنا، فإنها تشمله.

ثانيًا: لأحاديث خاصّة، منها:

- حديث عائشة -رضي الله عنها-، فإنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل عليها وفي البيت قِرامٌ فيه صُوَر، فتلوَّن وجهه -صلى الله عليه وسلم-، ثم هتك السِّترَ؛ وقال: ﴿إنّ مِن أشَدِّ الناسِ عذابًا الذينَ يُصَوِّرونَ هذه الصُّوَرَ﴾ وهذا الحديث في الصحيحين. والقِرَام: هو ثوبٌ غليظ من صوف، يُجعَل سِترًا على الباب، ويُجعَل فِراشًا، والغالب أنه ملوَّن وفيه نقوش، فهنا لا شك أنّ الصورة التي كانت في القِرَام ليست تمثالًا، وإنَّما صورة مصوَّرة، ومع ذلك تلوّن وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- وغضب، ثم أخذ السِّتر هذا وهَتَكَهُ ...

والنوع الثالث: **التصوير بالآلة**؛ كالكاميرا والجوال، صورةً ثابتة، وهذه قد اختلف فيها العلماء المعاصرون، لم تكن موجودةٌ عند المتقدِّمين، ولكنها وُجِدت في عصرنا، وقد اختلف فيها العلماء المعاصرون:

- فذهب جماعاتٌ من العلماء: إلى أنّ هذا التصوير حرام؛ لعموم النصوص، ولأنه تصويرٌ بالاتفاق.

- وذهب بعض العلماء المعاصرين: إلى جواز هذا التصوير، واستدلوا بأدلةٍ منها:

... قالوا: إنّ هذه الصورة إنما حَبْسُ ظل الإنسان، فهي كالنظر في المرآة والماء ...

ويجاب عن هذا: بالفرق بين الكاميرا والمرآة أو الماء من وجهين:

الوجه الأوّل: أنّ الحبس في المرآة وفي الماء حبسٌ عارِض لا يبقى. أمَّا الحبس في الآلة فهو حبسٌ دائم يبقى ويُقتَنى، فبينهما فرقٌ بيِّن.

الوجه الثاني: أنّ ما في المرآة هو الحقيقة الواقعة كما هي، فالإنسان وهو ينظر في المرآة إذا ابتسم ظهرت ابتسامته، إذا رفع يده ارتفعت، إذا التفت ظهر التفاته، أمَّا في الصورة فلا يمكن، وإنَّما هي صورة جامدة، ليست هي الحقيقة. ففرقٌ واضحٌ بيَّن بين الأمرين.

ولذا؛ يظهر -والله أعلم-: أنّ التصوير بالآلات الصورة الثابتة حرامٌ بيِّن، وليس من المشتبهات؛ بل من الحرام البيِّن، ولا يجوز منه إلا ما دعت إليه الضرورة، والحاجة الحاقة.

الضرورة؛ مثل: إنسان مريض ويحتاج عملية، وقالوا: ما تدخل المستشفى إلا بصورة، احضر لنا صورة وإلا ما تدخل المستشفى! هذه ضرورة.

أو حاجة حاقة؛ مثل: البطاقة، ورخصة القيادة، وجواز السفر، وما يطلب في المدارس ...

طيِّب؛ لو طُلِب من الإنسان صورة، وأعطاه المصوِّر ست صور، ماذا يفعل في الخمس الباقي؟

من أهل العلم من قال: يحفظها؛ لأنّ الغالب أنه يحتاج إليها، فحتى لا يقع التصوير مرّة أخرى يحفظها حتى يدفعها عند الحاجة، وحتى لا يكون في ذلك إضاعة للمال.

وقال بعض أهل العلم: بل يُتلفها؛ لأنّ الحاجة قد سُدَّت؛ فلا حاجة إلى هذه الصور.

وأنا أرى -والله أعلم-: الأول؛ أنه يبقيها، يحفظها في شيء، لا يبقيها مكشوفةً، ولا يعلِّقها، ولا ينظر فيها كل يوم ويومين، وإنما يحفظها في شيء، فإذا احتاج إلى ذلك، ما يحتاج إلى أن يعيد التصوير ويفعل التصوير مرةً أخرى؛ بل يدفع هذه الصورة، والغالب أنه يحتاج إليها.

والنوع الرابع: **التصوير بالآلات تصويرًا متحرِّكًا ليس ثابتًا**، وهذا على ناحيتين:

الناحية الأولى: **التصوير المباشر**؛ مثل هذه الكاميرات في مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم-، فإنها تَنقُل نقلاً مباشرًا، وهذا جائزٌ لا حرج فيه؛ لأنه نَقْلٌ للواقع كما هو، كما لو وضعتَ مرآةً تعكس بها الناس وما يفعلون.

طبعًا أهل العلم يمنع حتى هذا، لكنه أخفّ من الثاني.

الناحية الثانية: **التصوير غير المباشر المتحرِّك**، فهذا قد اختلف فيه العلماء:

- فمن أهل العلم مَن يراه تصويرًا، ويراه محرَّمًا، ولا يرخِّص فيه حتى في باب الدعوة إلى الله -عزَّ وجلَّ-، ويقول: نحن في غنى عنه بالوسائل الأخرى.

- ومن أهل العلم مَن يحرِّمه، غير أنه يرخِّص فيه في الدعوة ونحوها، كنقل المحاضرات الطيبة، والدروس، والخطب.

وهذا الذي استقرّ عليه شيخنا الشيخ ابن باز -رحمه الله ...

- ومن أهل العلم من رأى أنه ليس من التصوير، وأنه جائز، وقالوا: هذا الذي يشبه المرآة حقيقةً؛ لأنّ التصوير في هذه الآلات المتحرِّكة يَنقل الحقيقة كما هي، المتكلم ما يأتي صامتًا، يأتي متكلِّمًا، الضاحك فيها ما يأتي صامتًا، يأتي ضاحكًا، وهكذا.

وعندي -إن كان يحقُّ لي أن أقول: عندي- أنّ الراجح -والله أعلم- من أقوال أهل العلم: أنّ تصوير الفيديو من المشتبهات، ليس من الحلال البيِّن ولا من الحرام البيِّن، هناك ما يدعو إلى

منعه؛ وأنه صورة، وهناك ما يَدفع هذا، فحقيقٌ بالمؤمن أن يَبتعد عنه، فهو أبرأ لدينه ولعِرضه؛ حتى لا يُتّهم، إلا إذا ظهرت في ذلك مصلحة؛ مثلاً كما قلنا: المحاضرات والدروس.

ومما أفتي به في هذا الشأن؛ لو أنّ المسلم غاب عن والديه فترةً طويلة، وطلب والداه أن يرياه، فلم يستطع أن يسافر إليهما بأسرته وأولاده، أنه لا حرج أن يَستعمل برامج النقل المباشر ... وإن لم يَتيسَّر النقل المباشر فلا بأس من تصوير الفيديو وإرساله؛ لأنّ هذه حاجة ظاهرة، والمصلحة فيها فيما يظهر لي -والله أعلم- ظاهرة...

- القسم الثاني: ما لا روح فيه. وهذا يتنوَّع عند أهل العلم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأوّل: **ما هو من صنع الإنسان نفسه**، مثل السيارة ... فهذا يجوز تصويره ... لأنه إذا جاز الأصل جازت الصورة.

والنوع الثاني: **ما ليس من صنع الإنسان ولا ينمو**؛ مثل الجبال، والأنهار، ونحو ذلك، فهذه أيضًا يجوز تصويرها ولا حرج في هذا.

النوع الثالث: **ما ليس من صنع الإنسان وينمو**؛ كالحبوب، والأشجار، والأزهار، وهذه قد اختلف فيها العلماء:

- فذهب الأكثر إلى جواز تصويرها، إذ لا مانع.

- وذهب بعض أهل العلم إلى منع تصويرها، وقالوا: إنها تدخل في خلقٍ كخلق الله؛ ولأنه جاء في الحديث القدسي -الذي سيأتي معنا-:﴿فليَخلقوا ذَرّةً﴾ هذا من ذوات الأرواح، ﴿أو ليخلقوا حبةً﴾ وهذه الحبة تنمو إذا غُرِست في الأرض يخرج منها نبات.

لكن الذي يظهر -والله أعلم- أنه يجوز، فإنّ ابن عباس -رضي الله عنهما-، لـمّا جاءه الرجل وذكر له أنّ مهنته التصوير، وأفتاه بحرمة تصوير ذوات الأرواح، كأنّ الرجل تغيَّر وجهه، فقال

له ابن عباسٍ -رضي الله عنهما-: "إن كنتَ لا بُدَّ فاعلاً؛ فاصنع الشجر وما لا نفس له"، وهذا في الصحيحين [1]

- **اقتناء الصور على أقسام :**

القسم الأول: أن يقتنيها لتعظيم المصور؛ لكونه ذا سلطان ... أو نحو ذلك؛ فهذا حرام بلا شك، ولا تدخل الملائكة بيتا فيه هذه الصورة؛ لأن تعظيم ذوي السلطة باقتناء صورهم ثلم في جانب الربوبية، وتعظيم ذوي العبادة باقتناء صورهم ثلم في جانب الألوهية.

القسم الثاني: اقتناء الصور للتمتع بالنظر إليها أو التلذذ بها؛ فهذا حرام أيضا؛ لما فيه من الفتنة المؤدية إلى سفاسف الأخلاق.

القسم الثالث: أن يقتنيها للذكرى حنانا أو تلطفا، كالذين يصورون صغار أولادهم لتذكرهم حال الكبر فهذا أيضا حرام للحوق الوعيد به في قوله صلى الله عليه وسلم "إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة " .

القسم الرابع: أن يقتني الصور لا لرغبة فيها إطلاقا، ولكنها تأتي تبعا لغيرها؛ كالتي تكون في المجلات والصحف ولا يقصدها المقتني، وإنما يقصد ما في هذه المجلات والصحف من الأخبار والبحوث العلمية ونحو ذلك؛ فالظاهر أن هذا لا بأس به؛ لأن الصور فيها غير مقصودة، لكن إن أمكن طمسها بلا حرج ولا مشقة؛ فهو أولى.القسم الخامس: أن يقتني الصور على وجه تكون فيه مهانة ملقاة في الزبل، أو مفترشة، أو موطوءة؛ فهذا لا بأس به عند جمهور العلماء

وهل يلحق بذلك لباس ما فيه صورة لأن في ذلك امتهانا للصورة ولا سيما إن كانت الملابس داخلية؟

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

الجواب: نقول: لا يلحق بذلك، بل لباس ما فيه الصور محرم على الصغار والكبار، ولا يلحق بالمفروش ونحوه؛ لظهور الفرق بينهما، وقد صرح الفقهاء رحمهم الله بتحريم لباس ما فيه صورة، سواء كان قميصا أو سراويل أم عمامة أم غيرها. وقد ظهر أخيرا ما يسمى بالحفائظ؛ وهي خرقة تلف على الفرجين للأطفال والحائض لئلا يتسرب النجس إلى الجسم أو الملابس؛ فهل تلحق بما يلبس أو بما يمتهن؟ هي إلى الثاني أقرب، لكن لما كان امتهانا خفيا وليس كالمفترش والموطوء صار استحباب التحرز منها أولى.

القسم السادس: أن يلجأ إلى اقتنائها إلجاء؛ كالصور التي تكون في بطاقة إثبات الشخصية والشهادات والدراهم فلا إثم فيه لعدم إمكان التحرز منه، وقد قال الله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}[1]

- طمس الصور :

لمسلم عن أبي الهياج؛ قال: قال لي علي " ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبرا مشرفا؛ إلا سويته "

إذا كان تمثالًا؛ فإنّ إزالته وطمسه يكونُ بتكسيره، وإن كُسِّر الرأس، فإنّ هذا يكفي، فإنه كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: الصورة الرأس، فإذا أزيل الرأس، فإنّ هذا يكفي.

وإذا كانت مرقومةً مرسومةً أو مُصوَّرة، فإنّ إزالتها تكونُ؛ إمّا بتمزيقها، وإمّا بطمس الرأسِ، ولو بلونٍ يُذهِب الرأس بالكلية.

أمّا وضعُ فراغٍ بين الرأس والجسد، بأن تُترَك مساحة بيضاء بين الرأسِ والجسد؛ فهذا مبنيٌّ على خلاف أهل العلم في صورةِ الرأس فقط: هل هي حرام، أو ليست حرامًا؟

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/450

فمن العلماء من قال: إنّ صورة الرأس فقط دون الجسد ليست حرامًا؛ لأنّ الرأس فقط لا تحلُّه الروح، وقد أشعرتْ الأحاديث بأنّ المُحرَّم هو تصوير ما فيه روح، وأنه من عذاب المصوِّر يوم القيامة أنه يُكلَّف بأن ينفخ فيه الروح، والرأسُ لوحده ليس مما تحلُّه الروح.

وذهب بعضُ أهل العلم: إلى أنّ تصوير الرأس فقط حرام، وداخلٌ في التصوير المحرَّم، وذلك لأمرين:

الأمر الأوّل: أنه صحَّ عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: ﴿الصورةُ الرأس﴾، فجعل الرأسَ كأنه الصورة كلها، وهذا يدلُّ على حُرمة تصوير الرأس.

والأمر الثاني: أنّ الرأسَ يُعبِّر عن ذي الروح، يُعبِّر عن الإنسان ... فيكونُ حرامًا، وهذا عندي أظهر، والله أعلم...

أمّا الجسد بدون رأس؛ فهذا ليس من التصوير المحرَّم، هو يُشبِه الشجر، ويُشبِه ما لا نفس له.

ذكرنا أنه يُستثنى من الصورة التي يجب طمسها: الصور التي قد يحتاج إليها الإنسان، بل يَغلبُ على الظن غلبةً ظاهرة أنه يَحتاجُ إليها، وقد ذكرنا خلاف أهل العلم فيها في مجلسِ الأمس.

الأمر الثاني الذي يُستثنى من وجوب طمس الصور: ما تَعُمُّ به البلوى، ويَشق التحرُّزُ منه، ويَصعبُ على الإنسان طمسه؛ كهذه الصور التي ابتلينا بها في هذا الزمان، في كثيرٍ مما نحتاج إليه، فهذا عمَّت بها البلوى، ويَصعب على الإنسان أن يَتتبَّعها.

فإذا أخذ جريدة مثلاً يتتبَّع الصورة ويطمسها، إذا اشترى حليبًا لابنه يتتبَّع العلبة ويطمس ما فيها من صور، هذا فيه مشقة زائدة لم تأتِ الشريعة بمثله، ومن أسباب التخفيف في الشريعة: العُسْرُ وعموم البلوى، وهذا لا شك أنه موجودٌ في مثل هذه الحالة، فلا يجب على الإنسانِ أن يطمسها، وأن يتتبَّعها ليطمسها. فهذا مُستثنى [1]

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

- **حكم تعظيم التماثيل والنصب التذكارية :**

التماثيل جمع تمثال، وهو الصورة المجسمة على شكل إنسان أو حيوان، أو غيرهما مما فيه روح، والنصب في الأصل: العَلَمُ، وأحجار كان المشركون يذبحون عندها. والنُّصُبُ التذكارية: تماثيلٌ يُقيمونها في الميادين ونحوها؛ لإحياء ذكرى زعيم أو مُعظَّمٍ.

ولقد حذّر النبي - صلى الله عليه وسلم - من تصوير ذوات الأرواح، ولا سيما تصوير المعظَّمين من البشر كالعلماء والملوك والعُبَّاد والقادة والرؤساء، سواء كان هذا التصوير عن طريق رسم الصورة على لوحة أو ورقة، أو جدار أو ثوب، أو عن طريق الالتقاط بالآلة الضوئية المعروفة في هذا الزمان، أو عن طريق النحت، وبناء الصورة على هيئة التمثال، ونهى - صلى الله عليه وسلم - عن تعليق الصور على الجدران ونحوها، وعن نصب التماثيل، ومنها: النصب التذكارية؛ لأن ذلك وسيلة إلى الشرك؛ فإن أول شرك حدث في الأرض كان بسبب التصوير ونصب الصور، وذلك أنه ﴿كان في قوم نوح رجال صالحون، فلما ماتوا حزن عليهم قومهم، فأوحى إليهم الشيطان: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تُعبد؛ حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلمُ عُبدت﴾ . ولما بعثَ الله نبيه نُوحًا عليه السلام ينهى عن هذا الشرك الذي حصل بسبب تلك الصور التي نصبت، امتنع قومه من قبول دعوته، وأصروا على عبادة تلك الصور المنصوبة التي تحوّلت إلى أوثان: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح: 23] .

وهذه أسماء الرجال الذين صورت لهم تلك الصور على أشكالهم؛ إحياء لذكرياتهم، وتعظيمًا لهم.

فانظر ما آل إليه الأمر بسبب هذه الأنصاب التذكارية من الشرك بالله، ومعاندة رسله! مما سبب إهلاكهم بالطوفان، ومقتهم عند الله وعند خلقه مما يدلك على خطورة التصوير ونصب الصور، ولهذا لعن النبي - صلى الله عليه وسلم - المصورين، وأخبر أنهم أشدُّ الناس عذابًا

يوم القيامة، وأمر بطمس الصور، وأخبر أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة، كل ذلك من أجل مفاسدها، وشدة مخاطرها على الأمة في عقيدتها، فإنَّ أول شرك حدث في الأرض كان بسبب نصب الصُّور، وسواء كان هذا النصب للصور والتماثيل في المجالس، أو الميادين أو الحدائق؛ فإنه محرم شرعًا؛ لأنه وسيلة إلى الشرك، وفساد العقيدة. وإذا كان الكفار اليومَ يعملون هذا العمل؛ لأنهم ليس لهم عقيدة يحافظون عليها؛ فإنه لا يجوز للمسلمين أن يتشبهوا بهم ويشاركوهم في هذا العمل؛ حفاظًا على عقيدتهم التي هي مصدر قوتهم وسعادتهم. ولا يقال: إن الناس تجاوزوا هذه المرحلة وعرفوا التوحيد والشرك؛ لأن الشيطان ينظر للجيل المستقبل حينما يظهر فيهم الجهل، كما عمل مع قوم نوح لما مات علماؤهم وفشا فيهم الجهل، ولأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، كما قال إبراهيم عليه السلام: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم: 35] فخاف على نفسه الفتنة، قال بعض السلف: (ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟) .[1]

36/ الاستسقاء بالأنواء :

- تعريف :

الاستسقاء: طلب السقيا ... أي: أن تطلب منها أن تسقيك.[2]

- مما جاء من الأدلة :

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أربع في أمتي من أمر الجاهلية [1] لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، [2] والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة ".[3]

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 110

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 18/2

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: " صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية إثر سماء[4] كانت من الليل، فلما انصرف؛ أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته؛ فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب " [5]

---

[1] ... الفائدة من قوله: "أربع " ليس الحصر؛ لأن هناك أشياء تشاركها في المعنى، وإنما يقول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من باب حصر العلوم وجمعها بالتقسيم والعدد؛ لأنه يقرب الفهم، ويثبت الحفظ.

قوله: "أمتي ": أي: أمة الإجابة.

قوله: " من أمر الجاهلية ": ... أي: من شأن الجاهلية وهو واحد الأمور، وليس واحد الأوامر ...

وقوله: " من أمر الجاهلية ": إضافتها إلى الجاهلية الغرض منها التقبيح والتنفير ... والمراد بالجاهلية هنا: ما قبل البعثة (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 21/2)

[2] قوله: "لا يتركونهن": ... الأمة كمجموع لا بد أن يوجد فيها شيء من ذلك (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 23/2)

[3] ❋ الطعن في الأنساب يراد به أمران:

الأمر الأوّل: التشكيك في نسب الناس المعروف...

الأمر الثاني: عيب أنساب الناس، وشَينها ووصفها بالقُبْحِ ... والغالب التلازُم بين الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب، الغالب أنّ مَن يَفخر بنسبه وحسبه يَطعن في أنساب الناس (شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي)

... النياحة: هي رفع الصوت بالبكاء على الميت قصدا (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 24/2)

[4] قوله: "سماء": المراد به المطر (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 28/2)

[5] ... صار كافرا بالله؛ لأنه أنكر نعمة الله ونسبها إلى سبب لم يجعله الله سببا؛ فتعلقت نفسه بهذا السبب، ونسي نعمة الله، وهذا الكفر لا يخرج من الملة؛ لأن المراد نسبة المطر إلى النوء على أنه سبب وليس إلى النوء على أنه فاعل. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 30/2).

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس معناه، وفيه: "قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله هذه الآيات1: {فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ، لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ، وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} ، [الواقعة:75-82] .[1]

---

[1] معنى الحديث: أنه لما نزل المطر نسبه بعضهم إلى رحمة الله وبعضهم قال: لقد صدق نوء كذا وكذا؛ فكأنه جعل النوء هو الذي أنزل المطر أو نزل بسببه.

ومنه ما يذكر في بعض كتب التوقيت: "وقلَّ أن يخلف نوؤُه"، أو: "هذا نوؤه صادق"، وهذا لا يجوز، وهو الذي أنكره الله عز وجل على عباده، وهذا شرك أصغر، ولو قال بإذن الله فإنه لا يجوز لأن كل الأسباب من الله، والنوء لم يجعله الله سببا. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 32/2).

واختلف في النجوم:

فقيل: إنها النجوم المعروفة، فيكون المراد بمواقعها؛ مطالعها ومغاربها.

وأقسم الله بها؛ لما فيها من الدلالة على كمال القدرة، في هذا الانتظام البديع، وما فيها من مناسبة المقسم به، والمقسم عليه، وهو القرآن المحفوظ بواسطة الشهب؛ فإن السماء عند نزول الوحي ملئت حرسا شديدا وشهبا.

وقيل: إن المراد آجال نزول القرآن، ومنه قولهم: "نزل القرآن منجما" ... وقد سبقت لنا قاعدة مفيدة، وهي: أنه إذا كان المعنيان لا يتنافيان؛ تحمل الآية على كل منهما، وإلا طلب المرجح...

قوله: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} ... أي: تجعلون شكر هذه النعمة العظيمة؛ أن تكذبوا بها، والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان ذكرها في المطر، فإنها تشمل المطر وغيره.

وقيل: إنه ليس في الآية حذف، والمعنى: تجعلون شكركم تكذيبا، وقال: إن الشكر رزق، وهذا هو الصحيح، بل هو من أكبر الأرزاق ... فالنعمة تحتاج إلى شكر، ثم إذا شكرتها؛ فهي نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان، وإن شكرت في الثانية؛ فهي نعمة تحتاج إلى شكر ثالث، وهكذا أبدا، قال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا} ، [إبراهيم: من الآية34] .

قوله: {أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} ... تصيرون شكركم تكذيبا، ولا شك أن هذا من السفه أن يقابل الإنسان نعمة ربه بالتكذيب، إن كانت وحيا كذب خبره ولم يمتثل أمره ولم يجتنب نهيه، وإن كانت عطاء تنمو به الأجسام نسبه إلى

- حكم الاستسقاء بالأنواء :

الاستسقاء بالأنواء ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: شرك أكبر، وله صورتان:

الأولى: أن يدعو الأنواء بالسقيا، كأن يقول: يا نوء كذا! اسقنا أو أغثنا، وما أشبه ذلك ...

الثانية: أن ينسب حصول الأمطار إلى هذه الأنواء على أنها هي الفاعلة بنفسها دون الله ولو لم يدعها؛ فهذا شرك أكبر في الربوبية، والأول في العبادة ...

القسم الثاني: شرك أصغر، وهو أن يجعل هذه الأنواء سببا، مع اعتقاده أن الله هو الخالق الفاعل؛ لأن كل من جعل سببا لم يجعله الله سببا، لا بوحيه ولا بقدره؛ فهو مشرك شركا أصغر [1]

- الاِسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ يراد به أمور: ... الأمر الرابع: أن يَعتقد أنّ المطر إنما نَزَلَ بأمر الله عز وجل، لكن يَنسِب باللفظ نزول المطر إلى النَّوء، وهذا من كُفر النعمة، وهو كُفر خَفيّ يَتعلَّق بالألفاظ ولا يُخرِج من الملة [2]

غير الله، قال: هذا من النوء أو هذا من عملي؛ كما قال قارون: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} ، [القصص: من الآية78] (القول المفيد 34/2).

واعلم أن التكذيب نوعان:

أحدهما: التكذيب بلسان المقال، بأن يقول: هذا كذب، أو المطر من النوء، ونحو ذلك.

والثاني: التكذيب بلسان الحال، بأن يعظم الأنواء والنجوم معتقدا أنها السبب (القول المفيد 20/2)

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 18/2

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

- نسبة المطر إلى النوء تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

1- نسبة إيجاد، وهذه شرك أكبر.

2- نسبة سبب، وهذه شرك أصغر.

3- نسبة وقت، وهذه جائزة، بأن يريد بقوله: مطرنا بنوء كذا؛ أي: جاءنا المطر في هذا النوء، أي في وقته.

ولهذا قال العلماء: يحرم أن يقول: مطرنا بنوء كذا، ويجوز مطرنا في نوء كذا، وفرقوا بينهما أن الباء للسببية، وفي للظرفية ... لكن إذا كان المتكلم لا يعرف من الباء إلا الظرفية مطلقا، ولا يظن أنها تأتي سببية؛ فهذا جائز، ومع ذلك؛ فالأولى أن يقال لهم: قولوا: في نوء كذا. [1]

37/ المحبة الشركية :

أصل الأعمال كلها هو المحبة فالإنسان لا يعمل إلا لما يحب؛ إما لجلب منفعة، أو لدفع مضرة ...

وعبادة الله مبنية على المحبة، بل هي حقيقة العبادة ...

- مما ورد من الأدلة :

قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} [البقرة: من الآية165] [2]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/ 31

[2] قوله: "ومن الناس": "من" تبعيضية ...

قوله: "أندادا": جمع ند، وهو الشبيه والنظير.

قوله: " يحبونهم كحب الله ": أي: في كيفيته ونوعه ؛ فالنوع أن يحب غير الله محبة عبادة. والكيفية: أن يحبه كمحبة الله أو أشد، حتى إن بعضهم يعظم محبوبه، ويغار له أكثر مما يعظم الله ويغار له، فلو قيل: احلف بالله؛ لحلف، وهو كاذب ولم يبال، ولو قيل: احلف بالند؛ لم يحلف، وهو كاذب، وهذا شرك أكبر.

وقال تعالى : {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} [1]

وعن أنس؛ أن رسول الله (قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) أخرجاه [1]

وقوله: " كحب الله ": للمفسرين فيها قولان:

الأول: ... يحبون هذه الأنداد كمحبة الله ... لكن الذين آمنوا أشد حبا لله من هؤلاء لله، وهذا هو الصواب.

الثانية: ... أي: كحب المؤمنين لله ...

مناسبة الآية ... منع الإنسان أن يحب أحدا كمحبة الله؛ لأن هذا من الشرك الأكبر (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 46/2)

[1] ... الخطاب في قوله: "قل" للرسول والمخاطب في قوله: "آباؤكم" الأمة.

والأمر في قوله: " فتربصوا " يراد به التهديد: أي: انتظروا عقاب الله ...

فدلت الآية على أن محبة هؤلاء، وإن كانت من غير محبة العبادة؛ إذا فضلت على محبة الله صارت سببا للعقوبة.

ومن هنا نعرف أن الإنسان إذا كان يهمل أوامر الله لأوامر والده؛ فهو يحب أباه أكثر من ربه.

وما في القلوب وإن كان لا يعلمه إلا الله، لكن له شاهد في الجوارح، ولذا يروي عن الحسن رحمه الله أنه قال: "ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه" فالجوارح مرآة القلب (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 48/2)

❋ هذه الآية دلَّت على أمور في المحبة:

الأمر الأوّل: أنّ حب الآباء والأبناء والتجارة وأمور الدنيا؛ إذا لم يتعارَض مع محبة الله فهو مباحٌ ...

الأمر الثاني: دلّت على أنّ محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة.

الأمر الثالث: أنّ تكميل محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة. فأصل المحبة واجب، وتكميل المحبة واجب . (شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي)

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين﴾ قد يكون المراد به: نفي أصل الإيمان؛ وذلك إذا لم يكن العبد محبًّا للنبي صلى الله عليه وسلم أصلاً. وقد يكون المراد به: نفي خَصلة من خصال الإيمان الواجبة، فيكون فيه نفي كمال الإيمان الواجب، وهذا هو الظاهر من الحديث؛ ولذلك قال الشيخ: (أنّ نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام)، فإنّ مَن أحبَّ ولده أكثر من النبي صلى الله عليه وسلم فقد أَثِمَ؛ لكنه لا يَخرج من الإسلام ... ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بشيء؛ لأنه كان مؤمنًا ... ولم يكن آثمًا أيضًا: لعدم العلم .[2]

---

[1] ... بدأ بمحبة الولد؛ لأن تعلق القلب به أشد من تعلقه بأبيه غالبا.

قوله: "ووالده": يشمل أباه، وجده وإن علا، وأمه، وجدته وإن علت...

ومحبة رسوله الله تكون لأمور:

الأول: أنه رسول الله ...

الثاني: لما قام به من عبادة الله وتبليغ رسالته.

الثالث: لما آتاه الله من مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال.

الرابع: أنه سبب هدايتك، وتعليمك، وتوجيهك.

الخامس: لصبره على الأذى في تبليغ الرسالة.

السادس: لبذل جهده بالمال والنفس؛ لإعلاء كلمة الله.

- يؤخذ من هذا الحديث وجوب تقديم قول الرسول على قول كل الناس ... لكن إذا وجدنا حديثا يخالف الأحاديث الأخرى الصحيحة، أو مخالفا لقول أهل العلم وجمهور الأمة؛ فالواجب التثبت والتأني في الأمر؛ لأن اتباع الشذوذ يؤدي إلى الشذوذ...

- محبة الرسول من محبة الله، ولأنه إذا كان لا يكمل الإيمان حتى يكون الرسول أحب إلى الإنسان من نفسه والناس أجمعين؛ فمحبة الله أولى وأعظم. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/50)

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي .

- قال الشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من المشركين من يحب الله حبا شديدا.[1]

- ضابط الحب الطَبعي :

أنّ الإنسان لا يكتسبه، ولا يطلبه، ولا يفعل مقدماته، لكن يوجَد في القلب، وهذا لا يؤاخَذ عليه به الإنسان. لو أحب الإنسان والده المشرك حب الابن لأبيه مع بغضه له من أجل شركه؛ لا يؤاخذ به. [2]

- أقسام المحبة وأحكامها :

قد اختلف العلماء في طريقة تقسيم المحبة:

فمنهم: مَن قسمها فقال: إنّ المحبة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأوّل: محبة تتعلق بالله عز وجل. وهذه المحبة تنقسم إلى أنواع:

النوع الأوّل: محبة الله. وهذه محبة العبودية التي يتبعها الخوف والرجاء والذُلّ والخضوع، فهذه محبة خالصة لله عز وجل، وخاصّة لله عز وجل.

النوع الثاني: محبة لله أو في الله. ومعنى ذلك: أن يُحِبَّ العبد ما يحبه الله عز وجل، ومَن يحبه الله عز وجل، وأن يحب مَن يَفعَل ما يحبه الله.

أن يحب العبد ما يحبه الله: فيحب التوحيد، ويحب الصلاة، ويحب كلَّ ما أمر الله به، فما أمر الله بشيء إلا وهو يحبه، فيحب السواك مثلاً، ويحب الإحسان إلى اليتيم، فهذا حب لله، ويحب النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ الله يحبه سبحانه وتعالى، ويحب الصالحين.

وكذلك؛ أن يحب مَن يفعل ما يحبه الله: فيحب الذي يصلي في الله؛ لأنه يصلي، ويحب الذي يذكر الله في الله؛ لأنه يذكر الله عز وجل.

النوع الثالث: المحبة مع الله. والمحبة مع الله ممنوعة ومحرَّمة، وهي تنقسم إلى أنواع :

---

[1] حبهم الشديد لله لم يَمنع كونهم مشركين بالله (شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي)

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

النوع الأوّل: محبة العبودية. بأن يُحِبَّ أحدًا دون الله محبة تقتضي الذل والخضوع والخوف والرجاء والعبودية، وهذا -والعياذ بالله- شرك أكبر، الذي يحب رجلاً يقول: إنه ولي من أولياء الله، يحبه حبًّا يقتضي منه أن يرجوه، وأن يخاف منه خوف السِّر، وأن يدعوه، وأن يطلب منه الرزق، وأن يطلب منه الولد، فهذا شرك أكبر، وهو من صنيع مشركي الجاهلية.

النوع الثاني: أن يحب ما يُبغِضه الله. أن يحب المرء المحرَّمات؛ فيحب الزنى، ويحب شرب الخمر، ويحب الشرك مثلاً، فهذا -والعياذ بالله- إن كان حبًّا للشرك مع العلم بأنه شرك؛ فهذا شرك أكبر. وإن كان حبًّا للمعاصي؛ فهذا معصية عظيمة، ويكون حكمها بحسب حكم المعصية، فمَن أحب الزنى فهذا الحب كبيرة من كبائر الذنوب، وهكذا.

النوع الثالث: حب مَن يعصي الله عز وجل.

- وهذا إذا كان العاصي كافرًا؛ فإن كان حبُّه له من أجل دينه؛ فهذا كفر أكبر والعياذ بالله، يُخرِج من ملة الإسلام. وإن كان حبُّه له دون ذلك؛ فهذا معصية وحرام، وهو على خطر عظيم.

- وإن كان حبُّه له من الحب الذي لا يُملَك مع بذله ما يُملَك؛ فهذا لا يؤاخَذ به.

- وإن كان العاصي ليس كافرًا ولكنه عاصٍ لله عز وجل؛ كمبتدع أو زانٍ أو كذَّاب أو نحو ذلك؛ فهذا يَثبُت له الإسلام، ومَن ثبت له الإسلام ثبتت له المحبة، لكن لا يجوز حبه لمعصيته، ولا يجوز حبه كحب الصالحين، وإنما يَنقُص حبه وجوبًا بحسب ما فيه من المعصية، وأمّا إظهار الحب أوعدم إظهاره فهذا يَتعلَّق بأمور أخرى ليست متعلِّقة بدرسنا هذا.

النوع الرابع: حب ما يقطع الإنسان عن حب الله، أو يُنقِص حب الإنسان لله عز وجل؛ وهذا أيضًا محرَّم، فكلُّ الحب مع الله محرَّم. مثال: أن يحب الرجل امرأته حبًّا يَشغله عما يجب عليه، أو يدفعه إلى فِعْلِ ما حُرِّم عليه، فهذه محبة تدفع العبد إلى نقص محبته لله عز وجل، وهذا حرام.

إذن؛ المحبة المتعلقة بالله: إمّا مشروعة وإما ممنوعة.

- فالمشروع منها: محبة الله، والمحبة لله، والمحبة في الله.

- والممنوع منها: المحبة مع الله عز وجل.

القسم الثاني: المحبة لا تتعلَّق بالله عز وجل. فهذه تتنوَّع إلى أربعة أنواع:

النوع الأوّل: الحب الطَّبْعِي. حب الإنسان ما يوافق طبعه؛ كالأكل، والشرب، والحديث مع الناس، والنوم، فهذا حب مركوز في طبع الإنسان، ومن طبيعة الإنسان.

النوع الثاني: حب الإجلال، أو الشفقة أو الرِّفق. وهو المحبة بين الوالد والولد، فمحبة الولد لوالده محبة إجلال، ومحبة الوالد لولده محبة شفقة.

النوع الثالث: محبة الأُلْفَة والخُلْطَة. كمحبة الرجل لصديقه، ومحبة الرجل لزوجته، ونحو ذلك.

النوع الرابع: محبة الإحسان الدنيوي. بمعنى: المحبة التي سببها الإحسان الدنيوي. فيحب الرجل رجلاً لأنه أحسن إليه بأمر دنيوي، كأن أجرى له عملية مثلاً وأحسن فيها وأتقن، ونفعه الله بهذه العملية، فإنه يحب هذا الطبيب؛ لأنه أحسن إليه.

وفي الحقيقة؛ أنّ هذه الأنواع الأربعة كلها يمكن أن تعود إلى النوع الأوّل؛ وهو: الحب الطبعي المركوز في طبع الإنسان.

وهذه المحبة بأنواعها يمكن أن تُقسَّم إلى قسمين لنعرِف حكمها:

القسم الأوّل: محبةٌ تُعارِض محبة الله. يعني: أن تكون هذه المحبة لهذه الأمور معارِضة لمحبة العبد لله عز وجل، أي تقتضي منه فِعْلَ ما حرَّمه الله، أو ترك ما أوجَبه الله. وهذا القسم يعود إلى المحبة مع الله، فإذا تعلَّق به هذا الأمر عاد إلى المحبة مع الله على الأنواع التي ذكرناها.

القسم الثاني: محبة لا تتعارَض مع محبة الله، وهذه المحبة مباحة، لا شيء فيها، أن يحب الإنسان الأكل؛ لا شيء في هذا، لكن لو أنّ حبه للأكل دعاه إلى أن يُفطِر في نهار رمضان؛ فإنّ هذا ينتقل إلى القسم الأوّل؛ فينتقل إلى المحبة مع الله عز وجل.

أمّا كون الإنسان يحب الأكل فهذا مباح، وكون الإنسان يحب الشرب فهذا مباح، وكون الإنسان يحب زوجته فهذا الحب مباح، لا يَمنعه الشرع، ولا شيء فيه، ولا عيب فيه، ويدل

لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين﴾، ووجه الدلالة: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أثبت حب الولد والوالد والناس أجمعين؛ ولذلك قال: ﴿لا يؤمن أحدكم حتى أكون أَحَبّ إليه﴾ أي: أحبَّ إليه من حبه لهؤلاء، إذن حبه لهؤلاء ليس منكَرًا؛ وإنما هو أمر مباح. وقد يكون هذا الحب مستحبًّا، كحب الولد لوالده إرضاءً لله عز وجل، وكذلك أن يحب العبد أمور الدنيا لأنها تعينه على طاعة الله، مثلاً: يحب النوم لأنه يرى في نفسه أنه إذا نام يقوم نشيطًا للعبادة، فيحب النوم من أجل هذا، فيتركب عنده النوم من جانبين: الحب الطبعي للنوم، وحب هذا النوم لأنه يعينه على طاعة الله عز وجل؛ فهذا الحب مستحب ويؤجَر عليه الإنسان.

وبعض أهل العلم قسّم المحبة إلى أقسام:

القسم الأوّل: محبة العبادة، وهي: محبة الله، والمحبة الخالصة لله، التي لا يجوز لمسلم أن يجعلها لغير الله عز وجل، وهي محبة العبودية؛ التي تقتضي العبادة والذل والخضوع والرجاء والخوف.

القسم الثاني: محبة هي عبادة، أي: محبة تتقرَّب بها إلى الله عز وجل، وتعبد الله عز وجل بها، وهي أن تحب لله، وتحب في الله سبحانه وتعالى.

القسم الثالث: محبة أمور الدنيا، وهي: أن تحب أمورًا في دنياك.

وبعض أهل العلم قال: المحبة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأوّل: محبة مشترَكة. ويعنون بها: أنه يجوز للمسلم أن يجعلها لمخلوق، أي: يجوز للمسلم أن يحب المخلوق في هذه المحبة، وهي ثلاثة أنواع:

النوع الأوّل: المحبة الطَّبْعِية.

النوع الثاني: محبة الإجلال والشفقة.

النوع الثالث: محبة الأُلْف والمخالطة.

القسم الثاني: محبة خاصة، وهي لا تجوز إلا لله عز وجل، وهي: محبة العبودية.

وهذا التقسيم هو الموجود في أكثر كتب شروح كتاب التوحيد.

فإن قال لنا قائل: هم في هذا التقسيم ذكروا لنا المحبة الخاصة التي هي لله عز وجل خالصة، وذكروا لنا: محبة أمور في الدينا، فأين الحب في الله، والحب لله؟

نقول: هو عندهم يَتبَع محبة الله؛ لأنه لا يَتحقَّق إلا إذا أحب العبد الله عز وجل، فهو تابِع لمحبة الله عز وجل. فمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبة الصالحين ومحبة ما أمر الله عز وجل به تابِعة لمحبة الله سبحانه وتعالى.

وخلاصة الأمر: أنّ محبة الله توحيد، وهي أصل كل محبة مشروعة، فكل ما دون الله يُحَبُّ لله ولا يُحَبُّ مع الله. كل ما دون الله؛ الملائكة، الأنبياء عليهم السلام جميعًا؛ إنما يُحبَّون لله عز وجل، ولا يُحبَّون مع الله، فلا يُحَبُّ مخلوق مع الله سبحانه وتعالى؛ وإنما حبّهم يَتبَع حبنا لله عز وجل، وأعظم حبٍّ بعد حبِّ الله حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما سيأتي في شرح النصوص التالية إن شاء الله عز وجل.

وبهذا التقسيم تكون عرفتَ أحكام المحبة، وإذا عرفتَ هذا التقسيم فإنه لا تَختلط عليك الأحكام، ولا تَختلط عليك الأمور، فاضْبِط هذا ينضبِط لك باب المحبة إن شاء الله عز وجل. [1]

المحبة تنقسم إلى قسمين : (تقسيم العلامة ابن عثيمين)

القسم الأول: محبة عبادة، وهي التي توجب التذلل والتعظيم ... ما يقتضي أن يمتثل أمره، ويجتنب نهيه، وهذه خاصة بالله، فمن أحب مع الله غيره محبة عبادة؛ فهو مشرك شركا أكبر، ويعبر العلماء عنها بالمحبة الخاصة.

القسم الثاني: محبة ليست بعبادة في ذاتها، وهذه أنواع:

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

النوع الأول: المحبة لله وفي الله، وذلك بأن يكون الجالب لها محبة الله، أي: كون الشيء محبوبا لله تعالى من أشخاص؛ كالأنبياء، والرسل، والصديقين، والشهداء، والصالحين. أو أعمال؛ كالصلاة، والزكاة، وأعمال الخير، أو غير ذلك. وهذا النوع تابع للقسم الأول الذي هو محبة الله.

النوع الثاني: محبة إشفاق ورحمة، وذلك كمحبة الولد، والصغار، والضعفاء، والمرضى.

النوع الثالث: محبة إجلال وتعظيم لا عبادة؛ كمحبة الإنسان لوالده، ولمعلمه، ولكبير من أهل الخير.

النوع الرابع: محبة طبيعية؛ كمحبة الطعام، والشراب، والملبس، والمركب، والمسكن.

وأشرف هذه الأنواع النوع الأول، والبقية من قسم المباح؛ إلا إذا اقترن بها ما يقتضي التعبد صارت عبادة؛ فالإنسان يحب والده محبة إجلال وتعظيم، وإذا اقترن بها أن يتعبد لله بهذا الحب ... صارت عبادة [1]

والمحبة أنواع: (تقسيم العلامة ابن عثيمين)

الأول: المحبة لله وهذه لا تنافي التوحيد، بل هي من كماله، فأوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله. والمحبة لله هي أن تحب هذا الشيء؛ لأن الله يحبه، سواء كان شخصا أو عملا، وهذا من تمام التوحيد. قال مجنون ليلى:

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكنْ حُبُّ مَن سكن الديارا

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/44

الثاني: المحبة الطبيعية التي لا يؤثرها المرء على محبة الله؛ فهذه لا تنافي محبة الله؛ كمحبة الزوجة، والولد، والمال، ولهذا لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم من أحب الناس إليك؟ قال: "عائشة". قيل: فمن الرجال؟ قال: "أبوها". ومن ذلك محبة الطعام والشراب واللباس.

الثالث: المحبة مع الله التي تنافي محبة الله، وهي أن تكون محبة غير الله كمحبة الله أو أكثر من محبة الله، بحيث إذا تعارضت محبة الله ومحبة غيره قدم محبة غير الله، وذلك إذا جعل هذه المحبة ندا لمحبة الله يقدمها على محبة الله أو يساويها بها [1]

فالأقسام أربعة:

الأول: أن يحب الله حبا أشد من غيره؛ فهذا هو التوحيد.

الثاني: أن يحب غير الله كمحبة الله، وهذا شرك.

الثالث: أن يحب غير الله أشد حبا من الله، وهذا أعظم مما قبله.

الرابع: أن يحب غير الله وليس في قلبه محبة لله تعالى، وهذا أعظم وأطم. ... [2]

(تقسيم الامام ابن القيم)

قال ابن القيم : وهَاهُنَا أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمَحَبَّةِ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَهَا، وَإِنَّمَا ضَلَّ مَنْ ضَلَّ بِعَدَمِ التَّمْيِيزِ بَيْنَهَا.

أَحَدُهَا: مَحَبَّةُ اللَّهِ، وَلَا تَكْفِي وَحْدَهَا فِي النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَالْفَوْزِ بِثَوَابِهِ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَعُبَّادَ الصَّلِيبِ وَالْيَهُودَ وَغَيْرَهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ.

الثَّانِي: مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تُدْخِلُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَتُخْرِجُهُ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَقْوَمُهُمْ بِهَذِهِ الْمَحَبَّةِ وَأَشَدُّهُمْ فِيهَا.

الثَّالِثُ: الْحُبُّ لِلَّهِ وَفِيهِ، وَهِيَ مِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّةِ مَا يُحِبُّ، وَلَا تَسْتَقِيمُ مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّ إِلَّا فِيهِ وَلَهُ.

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 156/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 162/1

الرَّابِعُ: الْمَحَبَّةُ مَعَ اللَّهِ، وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الشِّرِكِيَّةُ، وَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا مَعَ اللَّهِ لَا لِلَّهِ، وَلَا مِنْ أَجْلِهِ، وَلَا فِيهِ، فَقَدِ اتَّخَذَهُ نِدًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهَذِهِ مَحَبَّةُ الْمُشْرِكِينَ.

وَبَقِيَ قِسْمٌ خَامِسٌ لَيْسَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ: وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ، وَهِيَ مَيْلُ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا يُلَائِمُ طَبْعَهُ، كَمَحَبَّةِ الْعَطْشَانِ لِلْمَاءِ، وَالْجَائِعِ لِلطَّعَامِ، وَمَحَبَّةِ النَّوْمِ وَالزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ، فَتِلْكَ لَا تُذَمُّ إِلَّا إِذَا أَلْهَتْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَشَغَلَتْ عَنْ مَحَبَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} [سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ: 9] .

وَقَالَ تَعَالَى {رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} [سُورَةُ النُّورِ: 37] . [1]

وَأَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْمَحَبَّةِ الْمَذْمُومَةِ: الْمَحَبَّةُ مَعَ اللَّهِ الَّتِي يُسَوِّي الْمُحِبُّ فِيهَا بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لِلَّهِ وَمَحَبَّتِهِ لِلنِّدِّ الَّذِي اتَّخَذَهُ مِنْ دُونِهِ.

وَأَعْظَمُ أَنْوَاعِهَا الْمَحْمُودَةِ: مَحَبَّةُ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ هِيَ أَصْلُ السَّعَادَةِ وَرَأْسُهَا الَّتِي لَا يَنْجُو أَحَدٌ مِنَ الْعَذَابِ إِلَّا بِهَا، وَالْمَحَبَّةُ الْمَذْمُومَةُ الشِّرْكِيَّةُ هِيَ أَصْلُ الشَّقَاوَةِ وَرَأْسُهَا الَّتِي لَا يَبْقَى فِي الْعَذَابِ إِلَّا أَهْلُهَا [2]

38/ الخوف المحرم :

قال تعالى:{إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران:175] .[3]

---

[1] الداء والدواء للامام ابن القيم 190

[2] الداء والدواء للامام ابن القيم 199

[3] "أولياءه"؛ أي: أنصاره الذين ينصرون الفحشاء والمنكر ...

وقوله: "يخوف أولياءه" ... الشيطان يخوف كل من أراد أن يقوم بواجب ... وليس السكوت والجبن هو الذي يبعد الأجل؛ فكم من داعية صدع بالحق ومات على فراشه؟! وكم من جبان قتل في بيته؟!

وانظر إلى خالد بن الوليد، كان شجاعا مقداما، ومات على فراشه، وما دام الإنسان قائما بأمر الله؛ فليثق بأن الله

- **تعريف الخوف :**

الخوف هو الذعر وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرراً أو أذى [1]

الخوف العدل هو الذي يرد عن محارم الله فقط، وإن زدت على هذا؛ فإنه يوصلك إلى اليأس من روح الله ومن الناس من يفرط في خوفه بحيث لا يردعه عما نهى الله عنه. [2]

- الإنسان في سيره إلى الله لكي يكون متقدِّمًا لابد له من هذه الأمور الثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء.

... وإذا عُدِمت انقطع السَّير بالكلية، وإذا ضَعفت ضَعُف سَير العبد، فيكون تأخُّره أكثر من تقدُّمه [3]

- الإنسان في سَيره إلى الله عزَّ وجلَّ يُحرِّكه الحب، ويَحرُسه الخوف ، ويُسارِع به الرجاء...

والتحقيق: أنّ المؤمن في سيره إلى الله يكون بين الرجاء والخوف، لا يزيد هذا على هذا ...

"كجناحي طائر" ... ولكنه قد يُغلِّب أحدهما لحاجةٍ وسبب، فإذا رأى من نفسه قنوطًا من رحمة

مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وحزب الله هم الغالبون.

قوله: " فلا تخافوهم ": ... وهذا النهي للتحريم بلا شك؛ أي: بل امضوا فيما أمرتكم به وفيما أوجبته عليكم من الجهاد، ولا تخافوا هؤلاء، وإذا كان الله مع الإنسان، فإنه لا يغلبه أحد، لكن نحتاج في الحقيقة إلى صدق النية والإخلاص والتوكل التام ... ولهذا قيل في المثل: من خاف الله خافه كل شيء، ومن اتقى الله اتقاه كل شيء، ومن خاف من غير الله خاف من كل شيء.

ويفهم من الآية أن الخوف من الشيطان وأوليائه مناف للإيمان، فإن كان الخوف يؤدي إلى الشرك؛ فهو مناف لأصله، وإلا؛ فهو مناف لكماله.(القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 69/2)

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 56

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 67/2

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

الله، -والقنوط من رحمة الله لا بُد أن يؤدِّي إلى أحد أمرين: إمّا إلى تأخُّر عن الطاعة ... غلَّب جانب الرجاء، وقرأ في القرآن ما يتعلق بالرجاء، وقرأ في الأحاديث ما يتعلق بالرجاء.

وإذا رأى من نفسه ميلاً إلى التوسُّع والاعتماد على رحمة الله ومغفرته لاسيما في السِّر ... فإنه يُغلِّب جانب الخوف، ويقرأ في النصوص في الكتاب والسُّنَّة ما يُعظِّم الخوف في قلبه.

كذلك؛ إذا كان في جانب قوةٍ وصحة يُغلِّب جانب الخوف ... وإذا كان فيه ضعف ومرض ... يُغلِّب جانب الرجاء.

وكذلك في آخر حياته؛ إذا رأى أنه بدأ يضعف، وأنّ الموت قرُب، ورأى العلامات: وَهَنٌ في الجسد، وشَيبٌ في الشعر ... فإنه يُغلِّب جانب الرجاء، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ رواه مسلمٌ في الصحيح [1]

- أقسام الخوف وأحكامه :

حتى تَفهم الخوف وأحكامه، لابد أن تَعرِف أقسامه، وهو يُقسَّم عند أهل العلم باعتبارات ثلاثة:

الاعتبار الأوّل في تقسيم الخوف: باعتبار حقيقته، وهو ينقسم إلى أقسام أربعة: ...

القسم الأوّل: خوف السِّرّ. وهذا الخوف تَضبِطه أمور ثلاثة ...

الأمر الأوّل: أن يكون من غائب حقيقة، أو حُكمًا، أو حسًّا.

الأمر الثاني: أن يكون ذلك بالقدرة لا بسبب حِسِّيّ.

الأمر الثالث: أن يُثمِر طاعة باطنة، ولابد ...

وهذا الخوف -خوف السِّر- نوعان:

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

النوع الأوّل: خوف الموحِّدين، خوف أهل التوحيد؛ وهو: الخوف من الله عز وجل ...

النوع الثاني: خوف المشركين. كالذين يخافون من الأصنام، ومن المقبورين ...

فإن كان من الله: فهذا توحيد، وإن كان من غير الله: فهذا شرك أكبر ...

القسم الثاني: الخوف من مخلوق يقود إلى ترك واجب أو فِعل محرَّم.

وهذا القسم حرام، وهو من الشرك الأصغر ...

ولا يدخل في هذا تَرْك الواجب وفِعْل الحرام من أجل الإكراه ...

القسم الثالث: خوف وعيد الله. وهذا خوف واجب على المكلَّف؛ أن يخاف وعيد الله، وأن يخاف عقوبة الله، وأن يخاف النار ... وهذا فرض على المكلف.

القسم الرابع: الخوف الطَّبْعِي، المركوز في طبيعة الإنسان؛ وهو: الخوف من مخلوق قادر على الأذى بسبب حِسِّي ... كأن يكون حاضرًا، قادرًا...

وهذا الخوف لا يؤاخَذ به الإنسان، وليس قادحًا في الإنسان ... ولا يُعاب به الإنسان.

الاعتبار الثاني في تقسيم الخوف: اعتبار أثره في نفس الإنسان، ويقسَّم إلى خمسة أقسام:

القسم الأوّل: خوف يدفع العبد إلى طاعة الله، واجتناب معاصيه ... وهذا محمود.

القسم الثاني: خوف يدفع العبد إلى طاعة باطنة لغير الله ... وهذا شرك أكبر.

القسم الثالث: خوف يدفع العبد إلى القنوط من رحمة الله ... فهذا خوف محرَّم ...

القسم الرابع: خوف يدفع العبد إلى ترك واجب عليه، أو فِعل محرَّم عليه، وهذا مذموم محرَّم، ويَعدُّه العلماء من الشرك الأصغر؛ إلا في باب الإكراه.

القسم الخامس: خوف له سببه الظاهر، ويدفع العبد إلى فعل الأسباب المباحة؛ ليتجنب الضرر، وهذا مباح، مثلاً: يخاف الإنسان من السبع ... فهذا جائز.

الاعتبار الثالث في تقسيم الخوف: اعتبار الداعي إليه، وهو ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: خوف يدعو إليه الله سبحانه وتعالى ... وهذا هو الخوف المشروع.

القسم الثاني: خوف يدعو إليه الشيطان ... وهذا هو الخوف الممنوع.

القسم الثالث: خوف تدعو إليه النفس ... كالخوف من بعض الحيوانات، وقد يدعو إليه شيء آخر في النفس مثل الوسوسة ... وهذا يجب على المرء أن يعالجه.

إذن الخوف الذي تدعو إليه النفس قد لا يكون مذمومًا؛ كالخوف الذي له سبب ظاهر، وفي طبيعة الإنسان. وقد يكون مذمومًا؛ كالخوف بسبب الوساوس ونحو ذلك. [1]

- ذِكْرُ بعض الألفاظ الشرعية المقارِبة للخوف :

وهي :

الأوّل: الخشية ... هي: الخوف المقرون بالعِلم والتعظيم. فهي من أعلى درجات الخوف ... كما أنّ الخشية خوفٌ دائم؛ لأنّ سببها في القلب. أمّا الخوف فإنما يكون عند وجود سببه [2]

واللفظ الثاني: الرَّهبة ... هي خوفٌ مقرونٌ بالهَرَبِ ... وكل مَن تخافه وتَرهبه تَفِرُّ منه إلا الله ... كلّما ازدادت رهبتك من الله كلّما فررت إليه سبحانه وتعالى.

واللفظ الثالث: الوَجَل ... هو: رَجَفَان القلب لتَذكُّر مَن يُخاف سلطانه أو تُخشى عقوبته ...

الرابع: الهَيبة. وهي: خوفٌ مقارِنٌ للإجلال والمحبة ... فالهيبة خوف المحبِّين.

الخامس: الإشفاق. والإشفاق: خوفٌ يدعو إلى العناية ...

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] - الخشية نوع من الخوف، لكنها أخص منه، والفرق بينهما:

1- أن الخشية تكون مع العلم بالمخشي وحاله؛ لقوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ، [فاطر: من الآية28] ، والخوف قد يكون من الجاهل.

2- أن الخشية تكون بسبب عظمة المخشي، بخلاف الخوف؛ فقد يكون من ضعف الخائف لا من قوة المخوف. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/72).

فهذه الألفاظ الخمسة لها تَعلُّق بالخوف، بل هي من الخوف، ولكنه خوفٌ مخصوص. [1]

39/ الرجاء المحرم :

- تعريف الرجاء :

الرجاء طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال تنزيلاً له منزلة القريب. [2]

- أنواع الرجاء :

1/ رجاء طبيعي إن كان الرجاء لشيء ممن يملك ذلك الشيء كأن أرجوك أن تفعل ويمكنك ان تفعل

2/ رجاء عبادة وهو أن يطمع في شيء لايملكه إلا الله عزوجل كأن يطمع في شفائه من مرض [3]

- الرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل وصرفه لغير الله تعالى شرك إما اصغر ، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي . [4]

- الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته ، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمن مذموم.[5]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 57

[3] شرح الأصول الثلاثة للشيخ صالح آل الشيخ

[4] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 58

[5] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 58

- **رجاء المؤمن فيه صفتان :**

الأولى: أنه مشوب بخوف ...

الثانية: أنه مع عمل [1]

40/ التوكل المحرم :

قال الله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: من الآية23][2]

- **تعريف التوكل :**

التوكل: هو الاعتماد على الله- سبحانه وتعالى- في حصول المطلوب، ودفع المكروه، مع الثقة به، وفعل الأسباب المأذون فيها، وهذا أقرب تعريف له. [3]

- **حقيقته أنه يجمع شيئين :**

1/ تفويض الأمر إلى الله عزوجل

2/ عدم رؤية السبب بعد عمله [4]

- **أركان التوكل :**

التوكل يقوم على أمرين:

الأمر الأوّل: أمر في القلب.

الأمر الثاني: يتعلق بالجوارح.

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] التوكل شرط لصحة الإيمان، وشرط لكمال الإيمان .... ويقابله التوكل على المخلوق؛ قد يُذهِب الإيمان كله، وقد يُذهِب بعض الايمان (شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي)

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 87/2

[4] شرح صالح 87

أمّا الذي يتعلَّق بالقلب: فهو اعتماد القلب على الله سبحانه وتعالى في استجلاب منفعة أو دفع مَضرة...

وأمّا الذي يتعلق بالجوارح: فهو فِعل الأسباب المشروعة صغيرة كانت أو كبيرة [1]

- أقسام التوكل :

التوكل ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول: توكل عبادة وخضوع، وهو الاعتماد المطلق على من توكل عليه، بحيث يعتقد أن بيده جلب النفع ودفع الضر؛ فيعتمد عليه اعتمادا كاملا، مع شعوره بافتقاره إليه؛ فهذا يجب إخلاصه لله تعالى، ومن صرفه لغير الله؛ فهو مشرك شركا أكبر [2]

الثاني: الاعتماد على شخص في رزقه ومعاشه وغير ذلك، وهذا من الشرك الأصغر، وقال بعضهم: من الشرك الخفي، مثل اعتماد كثير من الناس على وظيفته في حصول رزقه، ولهذا تجد الإنسان يشعر من نفسه أنه معتمد على هذا اعتماد افتقار؛ فتجد في نفسه من المحاباة لمن يكون هذا الرزق عنده ما هو ظاهر؛ فهو لم يعتقد أنه مجرد سبب، بل جعله فوق السبب.[3]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] وهذا الشرك كما قال العلماء له صُورٌ منها:

الصورة الأولى: التوكل على المقبورين مطلقًا. فتوكل القلب على المقبورين شرك أكبر.

الصورة الثانية: التوكل على الغائبين مطلقًا. فاعتماد القلب على الغائبين شرك أكبر.

الصورة الثالثة: التوكل على الحي الحاضر فيما لا يَقدر عليه؛ هذا أيضًا شرك أكبر.

وضابطها: تعلُّق القلب بالمتوكَّل عليه من المخلوقين. - شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] يتعلَّق القلب بالسبب - شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

الثالث: أن يعتمد على شخص فيما فوض إليه التصرف فيه، كما لو وكلت شخصا في بيع شيء أو شرائه، وهذا لا شيء فيه؛ [1] لأنه اعتمد عليه وهو يشعر أن المنزلة العليا له فوقه؛ لأنه جعله نائبا عنه [2]

أمّا إذا كان مراده: الاعتماد –وهو المعنى اللغوي– فالمعنى صحيح، ومع ذلك يُنهَى عن هذا اللفظ؛ سدًّا للذريعة [3]

- من توكل على غير الله لا يخلو من ثلاثة أقسام :

أولاً: أن يتوكل توكل اعتماد وتعبد، فهذا شرك أكبر، كأن يعتقد بأن هذا المتوكل عليه هو الذي يجلب له كل خير ويدفع عنه كل شر، فيفوض أمره إليه تفويضاً كاملاً في جلب المنافع ودفع المضار، مع اقتران ذلك بالخشية والرجاء، ولا فرق بين أن يكون المتوكل عليه حياً أو ميتاً، لأن هذا التفويض لا يصح إلا الله.

ثانياً: أن يتوكل على غير الله بشيء من الاعتماد لكن فيه إيمان بأنه سبب وأن الأمر إلى الله، كتوكل كثير من الناس على الملوك والأمراء في تحصيل معاشهم، فهذا نوع من الشرك الأصغر.

ثالثاً: أن يتوكل على شخص على أنه نائب عنه، وأن هذا المتوكل فوقه، كتوكل الإنسان على الوكيل في بيع وشراء ونحوهما مما تدخله النيابة، فهذا جائز، ولا ينافي التوكل على الله، وقد وكل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في البيع والشراء ونحوهما. [4]

---

[1] الاعتماد على المخلوق الحي القادر فيما يَقدِر عليه على أنه سبب، فهذا جائز ... وهذا في الحقيقة: توكُّل باعتبار المعنى اللغوي، وليس توكُّلاً باعتبار المعنى الشرع ...لأنّ التوكل في المعنى الشرعي: هو اعتماد القلب. وهذا في الحقيقة يُسمَّى: توكيلاً، وهذا أولى من تسميته توكُّلاً.. – شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/89

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[4] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 186

- حكمة التوكل :

- مَن توكل على الله ذهب خوفه من غير الله، وكلّما عَظُمَ التوكل على الله عز وجل كلّما ضَعُف الخوف من غير الله في قلب العبد [1]

- من جعل أكثر اعتماده على الأسباب؛ نقص توكله على الله، ويكون قادحا في كفاية الله؛ فكأنه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه من حصول المطلوب وزوال المكروه.

ومن جعل اعتماده على الله ملغيا للأسباب، فقد طعن في حكمة الله ... لأن الله حكيم، يربط الأسباب بمسبباتها ... والتوكل نصف الدين ولهذا نقول في صلاتنا: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:5] ، فنطلب من الله العون؛ اعتمادا عليه سبحانه، بأنه سيعيننا على عبادته ... ولا يمكن تحقيق العبادة إلا بالتوكل؛ لأن الإنسان لو وكل إلى نفسه وكل إلى ضعف وعجز، ولم يتمكن من القيام بالعبادة؛ فهو حين يعبد الله يشعر أنه متوكل على الله، فينال بذلك أجر العبادة وأجر التوكل، ولكن الغالب عندنا ضعف التوكل، وأننا لا نشعر حين نقوم بالعبادة أو العادة بالتوكل على الله والاعتماد عليه في أن ننال هذا الفعل، بل نعتمد في الغالب على الأسباب الظاهرة وننسى ما وراء ذلك؛ فيفوتنا ثواب عظيم، وهو ثواب التوكل [2]

- حكم قول إنسان لآخر: توكَّلت على الله ثم عليك :

رخَّص فيه بعض أهل العلم، ومَنَعَهُ بعضهم.

والتحقيق: أنه إذا كان مراده بالتوكل اعتماد القلب: فهذا حرام لا يجوز، بل هو إمّا شرك أكبر: إذا نظر إلى كونه جالبًا للخير أو دافعًا للضر، أو شرك أصغر: إذا تعلَّق القلب به باعتبار سببًا.

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 87/2

41/ الأمن من مكر الله :

قال الله تعالي: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف:99] [1]

وعن ابن عباس؛ أن رسول الله سئل عن الكبائر؟ [2] فقال: الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله [3]

وعن ابن مسعود؛ قال: (أكبر الكبائر: الإشراك بالله والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله) رواه عبد الرزاق

الأمن من مكر الله ... سببه التوسُّع في الرجاء[4]

- أقسام الأمن من مكر الله :

الأمن من مكر الله ينقسم من حيث حكمه إلى قسمين:

القسم الأوّل: أَمْنٌ من مكر الله، هو كُفْر يُخرِج العبد من الإسلام ... وذلك: إذا انعدم الخوف من القلب بالكلية؛ لا يوجَد خوف في القلب، فهذا كُفْر بالله؛ لأنه تكذيب لصريح القرآن، وصريح السنة ...

---

[1] المكر المذموم: هو المكر بمَن لا يَستحق أن يُمكَر به ...

وأمّا المكر الممدوح والمحمود: فهو المكر بمَن يستحق ... (شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي)

[2] ... الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر (القول المفيد 2/104)

- الكبيرة: ما نهى الله -عز وجل- عنه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم نهيًا جازمًا؛ مع التغليظ... والكبائر أغلظ الذنوب، ولذلك لا تُغفَر إلا بتوبة (شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي)

والسائل في هذا الحديث إنما قصده معرفة الكبائر ليجتنبها، خلافا لحال كثير من الناس اليوم؛ حيث يسأل ليعلم فقط، ولذلك نقصت بركة علمهم. (القول المفيد 2/105)

[3] ظاهر هذا الحديث: الحصر، وليس كذلك: لأن هناك كبائر غير هذه، ولكن الرسول يجيب كل سائل بما يناسب حاله؛ فلعله رأى هذا السائل عنده شيء من الأمن من مكر الله أو اليأس من روح الله (القول المفيد 2/106)

[4] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

القسم الثاني: هو كبيرة من كبائر الذنوب ... وذلك: إذا وُجِدَ أصل الخوف ... لكن يتوسَّع هذا المخذول في الرجاء حتى يَترك الواجبات ويَفعل المحرَّمات، فهذه كبيرة من كبائر الذنوب [1]

42/ اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله :

قال الله تعالي: {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} [الحجر:56] [2]

وعن ابن عباس؛ أن رسول الله سئل عن الكبائر؟ فقال: الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله

اليأس: فقد الرجاء، والروح بفتح الراء ...وهو الفرج والتنفيس [3]

وعن ابن مسعود؛ قال: (أكبر الكبائر: الإشراك بالله والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله) رواه عبد الرزاق [4]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] والمعنى لا يقنط من رحمة الله إلا الضالون، والضال: فاقد الهداية التائه الذي لا يدري ما يجب لله سبحانه...

فالقنوط من رحمة الله لا يجوز؛ لأنه سوء ظن بالله وذلك من وجهين:

الأول: أنه طعن في قدرته سبحانه ...

الثاني: أنه طعن في رحمته سبحانه ... ولهذا كان القانط من رحمة الله ضالا...

وكم من إنسان وقع في كربة، وظن أن لا نجاة منها، فنجاه الله- سبحانه-: إما بعمل صالح سابق، مثل ما وقع ليونس عليه السلام ... أو بعمل لاحق، وذلك كدعاء الرسول يوم بدر (القول المفيد 2/103)

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/106

[4] ❋ في كلام ابن مسعود أنه قال: القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، فذكرهما معًا!

هنا قال بعض أهل العلم –بل كثير من أهل العلم-: هما مترادفان ... فيكون ذِكْر الثاني من باب التأكيد بالتنويع ...

وقال بعض أهل العلم: بل بينهما فرق، والفرق: أنّ القنوط من رحمة الله هو أشد اليأس من رَوح الله سبحانه وتعالى ... من باب عطف العام على الخاص ...

اليأس من رَوح الله ... سببه التنطع في الخوف [1]

– القنوط: أشد اليأس ... بحيث يستبعد حصول مطلوبه أو كشف مكروبه [2]

– أقسام اليأس من رَوح الله والقنوط من رحمة الله :

اليأس من رَوح الله والقنوط من رحمة الله ... يُقسَّم من حيث حقيقته وذاته إلى قسمين:

القسم الأوّل: قنوط من رحمة الله في الأمور الأخروية. يعني: يقنط من رحمة الله فيما يتعلق بالآخرة؛ كأن يقنط من رحمة الله، وأن يقنط من مغفرة الله، فهذا قنوط من رحمة الله عز وجل فيما يتعلق بأمور الآخرة. وهذا القسم يتنوَّع إلى نوعين:

النوع الأوّل: قنوط من رحمة الله فيما يتعلق بأمور الآخرة يَتعلَّق بالإنسان نفسه ... وهو يَتفرَّع إلى فرعين:

وقال بعض أهل العلم: بينهما فرق، والفرق: أنّ اليأس من رَوح الله إذا كان في القلب ولم يُثمِر عملاً. وأنّ القنوط من رحمة الله: إذا كان في القلب وأثمر عملاً، ظهر على الجوارح. إذن: القنوط من رحمة الله أشد من اليأس من روح الله ...

وقال بعض أهل العلم: عكس الأوّل، قالوا: إنّ اليأس أشرّ من القنوط؛ لأنّ الله قال في اليأس: {إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}، وقال في القنوط: {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} (الحجر: 55)، قالوا: والكفر أشد من الضَّلال. لكن هذا القول محل نظر.

وقال بعض أهل العلم: القنوط أعمّ من اليأس؛ لأنّ القنوط عُلِّق برحمة الله: (القنوط من رحمة الله)، ورحمة الله تشمل حصول النِّعم واندفاع النِّقم ... أمّا اليأس فعُلِّق برَوح الله، ورَوح الله في الغالب يُطلَق على اندفاع النِّقم...

والأصل الترادف. ولو قلنا قاعدة أهل العلم في الإيمان والإسلام: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا؛ لكان صوابًا... (شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي) .

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/ 103

الفرع الأوّل: أن يقنط من رحمة الله ومن قَبول الله عز وجل للتوبة، سواء عمَّم أو خصَّص ...

الفرع الثاني: أن يقنط من وقوع التوبة منه، وإن قال: إنّ الله يغفر الذنب ويقبل توبة التائب، لكن أنا لا تقع مني التوبة، وأنا لا أصلح أن أتوب، أنا لن أتوب! ... مع اعتقاده أن من تاب يقبل الله توبته ...

النوع الثاني: قنوط من رحمة الله فيما يتعلق بالآخرة يَتعلَّق بغير الإنسان نفسه، يتعلق بإنسان آخر ... اعتقاد أنّ الله لا يغفر لفلان مع إسلامه، أو لا يتوب الله على فلان ...

القسم الثاني: القنوط من رحمة الله فيما يتعلّق بالدنيا؛ أي: فيما يتعلق بالأمور التي تقع في الدنيا؛ كالقنوط من فرج الله [1]

- القنوط من رحمة الله ينقسم من جهة حكمه إلى قسمين :

القسم الأوّل: هو كفر ناقِل عن ملة الإسلام، ومُخرِج عن دين الإسلام؛ وذلك: إذا انعدم الرجاء بالكلية... لأنّ فيه تكذيبًا لصريح الكتاب والسنة.

القسم الثاني: أنه من كبائر الذنوب؛ وذلك إذا وُجِد أصل الرجاء لكن حصل القنوط؛ فإنه إذ ذاك يكون من كبائر الذنوب [2]

43/ سوء الظن بالله :

قال الله تعالى: {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} الآية. [3] وقوله: {الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} الآية. [1].

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] ... قوله تعالى: "يظنون": الضمير يعود على المنافقين، والأصل في الظن: أنه الاحتمال الراجح، وقد يطلق على اليقين ...

قال ابن القيم في الآية الأولى: " فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته. ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح. وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة؛ فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

و (الجاهلية) : الحال الجاهلية، والمعنى: يظنون بالله ظن الملة الجاهلية التي لا يعرف الظان فيها قدر الله وعظمته ...

قوله: {هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ} مرادهم بذلك أمران:

الأول: رفع اللوم عن أنفسهم.

الثاني: الاعتراض على القدر ...

قوله: {إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} أي: فإذا كان كذلك؛ فلا وجه لاحتجاجكم على قضاء الله وقدره ، فالله عز وجل يفعل ما يشاء من النصر والخذلان.

وقوله: "إن الأمر" واحد الأمور لا واحد الأوامر؛ أي: الشأن كل الشأن الذي يتعلق بأفعال الله وأفعال المخلوقين كله لله -سبحانه-؛ فهو الذي يقدر الذل والعز والخير والشر، لكن الشر في مفعولاته لا في فعله. / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 382/2

[1] قوله تعالى: (الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ) المراد بهم: المنافقون والمشركون ...

قوله: {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} أي: أن السوء محيط بهم جميعا من كل جانب / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 386/2

وأكثر الناس[1] يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

ولو فتشت من فتشت؛ لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك؛ هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا إخالك ناجيا

وخلاصة ما ذكر ابن القيم في تفسير ظن السوء ثلاثة أمور :

الأول: أن يظن أن الله يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق ...

الثاني: أن ينكر أن يكون ما جرى بقضاء الله وقدره ...

الثالث: أن ينكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليه الحمد [2]

وضابط هذه الأنواع أن يظن بالله ما لا يليق به. [3]

- الظن بالله عز وجل على نوعين :

الأول: أن يظن بالله خيرا.

الثاني: أن يظن بالله شرا.

والأول له متعلقان :

1- متعلق بالنسبة لما يفعله في هذا الكون؛ فهذا يجب عليك أن تحسن الظن بالله عز وجل فيما يفعله -سبحانه وتعالى- في هذا الكون، وأن تعتقد أن ما فعله إنما هو لحكمة بالغة، قد تصل العقول إليها وقد لا تصل ...

---

[1] أي: من بني آدم لا من المؤمنين. / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/ 391

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/389

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/395

2- متعلق بالنسبة لما يفعله بك؛ فهذا يجب أن تظن بالله أحسن الظن، لكن بشرط أن يوجد لديك السبب الذي يوجب الظن الحسن، وهو أن تعبد الله على مقتضى شريعته مع الإخلاص ... وأما إن كان الإنسان مفرطا في الواجبات فاعلا للمحرمات، وظن بالله ظنا حسنا؛ فهذا هو ظن المتهاون المتهالك في الأماني الباطلة، بل هو من سوء الظن بالله؛ إذ إن حكمة الله تأبى مثل ذلك.

النوع الثاني: وهو أن يظن بالله سوء، مثل أن يظن في فعله سفها أو ظلما أو نحو ذلك؛ فإنه من أعظم المحرمات وأقبح الذنوب، كما ظن هؤلاء المنافقون وغيرهم ممن يظن بالله غير الحق. [1]

- سوء الظنّ بالله سبحانه وتعالى ينافي التّوحيد أو ينافي كمالَه، ينافي أصلَه إذا زاد وكثُر واستمرّ، أو ينافي كمالَه إذا كان شيئاً عارضاً أو شيئاً خفيفاً أو خاطراً في النّفس فقط ولا يتكلّم به بلسانِه، أمّا إنْ تكلّم به بلسانِه فإنّه يكونُ منافياً للتّوحيد. [2]

44/ نسبة النعم إلى غير الله :

إن الاعتراف بفضل الله وإنعامه والقيام بشكره من صميم العقيدة؛ لأن من نسب النعمة إلى غير موليها، وهو الله - سبحانه؛ فقد كفرها، وأشرك بالله بنسبتها إلى غيره.

قال تعالى: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ}

قال بعض المفسرين: "يعرفون أن النعم من عند الله، وأن الله هو المنعم عليهم بذلك، ولكنهم ينكرون ذلك؛ فيزعمون أنهم ورثوها عن آبائهم

بعضهم: لولا فلان؛ لم يكن كذا وكذا، وبعضهم يقول: هذا بشفاعة آلهتنا".

وهكذا كل ينسب النعمة إلى من يعظمه من الآباء والآلهة والأشخاص، متناسين مصدرها الصحيح، والمنعم بها على الحقيقة، وهو الله - سبحانه -.

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/382

[2] إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للعلامة صالح الفوزان 92

كما أن بعضهم ينسب نعمة السير في البحر والسلامة من خطره إلى الريح وحذق الملاح، فيقول: كانت الريح طيبة والملاح حاذقا.

ومثله اليوم ما يجري على ألسنة الكثير من نسبة حصول النعم واندفاع النقم إلى مجهود الحكومات والأفراد أو تقدم العلم التجريبي؛ فيقولون مثلاً: تقدم الطب تغلب على الأمراض أو قضى عليها، والمجهودات الفلانية تقضي على الفقر والجهل ... وما أشبه ذلك من الألفاظ التي يجب على المسلم أن يبتعد عنها ويتحفظ منها غاية التحفظ، وأن ينسب النعم إلى الله وحده، ويشكره عليها، وما يجري على يد بعض المخلوقين أفراداًأو جماعات من المجهودات إنما هي أسباب قد تثمر وقد لا تثمر، وهم يشكرون على قدر ما بذلوه، ولكن؛ لا يجوز نسبة حصول النتائج إلا إلى الله – سبحانه –.

وقد ذكر الله في كتابه الكريم عن أقوام أنكروا نعمة الله عليهم، ونسبوا ما حصلوا عليه من المال والنعمة إلى غير الله؛ إما إلى كونهم يستحقونها، أو إلى خبرتهم ومعرفتهم ومهارتهم:

قال تعالى: عن الإنسان: {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} 1؛ فقوله: {هَذَا لِي} ؛ أي: حصلت على هذا بعلمي، وأنا محقوق به، لا أنه تفضل من الله ونعمه، ليس بحول العبد ولا بقوته...

قال ابن القيم: "أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة، بل كان جاهلاً بها؛ لم يشكرها، ومن عرفها، ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها – أيضا، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر النعمة والمنعم عليه بها؛ فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم بها، وأقر بها، ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له ولم يحبه ويرض به وعنه؛ لم يشكره – أيضا، ومن عرفها، وعرف المنعم بها، وأقر بها، وخضع للمنعم

وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في محبته وطاعته؛ فهذا هو الشاكر لها؛ فلا بد ف الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له ... " انتهى. [1]

45/ الرياء :

- تعريف الرياء :

أي: عمل عملا ليراه الناس ... ويدخل في ذلك من عمل العمل ليسمعه الناس ويقال له مسمع، وفي الحديث عن النبي (أنه قال: (من راءى راءى الله به، ومن سمع سمع الله به) [2]

- الفرق بين الرياء والتسميع :

من الرياء: التسميع. والفرق بينهما:

-أنّ الرياء يتعلق بإظهار العمل الصالح ليُرى.

- أمّا التسميع فيتعلق بالكلام. [3]

- مما ورد من الأدلة :

قال تعالى: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً }[الكهف : 110] الآية [4]

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 113

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 124/2

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[4] المراد باللقيا هنا الملاقاة الخاصة؛ لأن اللقيا على نوعين:

الأول: عامة لكل إنسان، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ} ؛ [الانشقاق:6] ...

الثاني: الخاصة بالمؤمنين، وهو لقاء الرضا والنعيم كما في هذه الآية، وتتضمن رؤيته تبارك وتعالى (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 127/2)

- العمل الصالح: ما كان خالصا صوابا، وهذا وجه الشاهد من الآية.

فالخالص: ما قصد به وجه الله، والدليل على ذلك قوله : (إنما الأعمال بالنيات)[1] .

والصواب: ما كان على شريعة الله، والدليل على ذلك قوله: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا؛ فهو رد) .

ولهذا قال العلماء: هذان الحديثان ميزان الأعمال؛ فالأول: ميزان الأعمال الباطنة. والثاني: ميزان الأعمال الظاهرة [2]

وعن أبي هريرة مرفوعا: قال الله تعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم [3]

وعن أبي سعيد مرفوعا: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ [4] قالوا: بلى. قال: الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه (، رواه أحمد

- ضابط الرياء :

ضابط الرياء أن يكون الإظهار بقصد مدح الناس للإنسان.[5]

---

[1] صحيح البخاري (1)

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 127/2

[3] قوله: "تركته وشركه": أي: لم أثبه على عمله الذي أشرك فيه.

وقد يصل هذا الشرك إلى حد الكفر ...

والمراد بشركه: عمله الذي أشرك فيه، وليس المراد شريكه؛ لأن الشريك الذي أشرك به مع الله قد لا يتركه، كمن أشرك نبيا أو وليا؛ فإن الله لا يترك ذلك النبي والولي (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 130/2)

[4] ... ولذلك قال بعض السلف: (ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 131/2)

[5] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

والرياء: أن يعبد الله ليراه الناس؛ فيمدحوه على كونه عابدا ، وليس يريد أن تكون العبادة للناس؛ لأنه لو أراد ذلك؛ لكان شركا أكبر [1]

إن أراد بعبادته أن يقتدي الناس به فيها؛ فليس هذا رياء، بل هذا من الدعوة إلى الله عزوجل، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: " فعلت هذا لتأتموا بي وتعلموا صلاتي " [2]

إذا وقع الرياء بعد العمل؟ عمل مخلصًا لله، مخلصًا لله تمامًا، بعد ما عمل وفرغ ولو بعد ساعة أو ساعتين أو يوم سمّع بعمله؟ ... فهذا لا يبطل عمله؛ لكنه يأثم بالتسميع؛ ﴿فمن سمّع سمّع الله به﴾، فيكون آثمًا بالتسميع، وإن كان البطلان لا يلحق العمل لأنه تم صحيحًا. هذا التحقيق من كلام أهل العلم. [3]

لو مُدح الإنسان على العمل بدون قصد منه ... هذا لا يضره، وهذا من عاجل بشرى المؤمن [4]

- خطر الرياء :

- الرياء خلق ذميم، وهو من صفات المنافقين، قال تعالى: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً} ، [النساء: من الآية142] . [5]

- الرياء من الشرك الأصغر ... وقد يصل إلى الأكبر . [6]

- الرياء من أخبث أنواع الشرك الأصغر ... ولذلك؛ يقول ابن القيم -رحمه الله-: "فذلك البحر الذي لا ساحل له؛ وقلّ أن ينجو منه أحد"؛ أي الرياء. [1]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 117/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 117/1

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[4] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[5] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 124/2

[6] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 124/2

- أنه أخوف الذنوب على هذه الأمة ... لأجل أثره ، وهو أنه لا يغفر، ولأجل أن الناس قد يغفلون عنه. والشيطان حريص على إيقاع أهل التوحيد في الشرك الأصغر، ووصمهم بالرياء في الأقوال، والأعمال، والنيات. وفرحه بذلك أعظم من فرحه بغيره من الذنوب. [2]

- حكم الرياء :

الرياء من الشرك الأصغر؛ لأن الإنسان قصد بعبادته غير الله، وقد يصل إلى الأكبر، وقد مثل ابن القيم للشرك الأصغر؛ فقال: "مثل يسير الرياء"، وهذا يدل على أن الرياء الكثير قد يصل إلى الأكبر. [3]

- الشرك قسمان خفي وجلي :

فالجَلِيّ: ما كان بالقول مثل: الحلف بغير الله أو قول ما شاء الله وشئت، أو بالفعل مثل: الانحناء لغير الله تعظيما.

والخفي: ما كان في القلب، مثل الرياء ... ويسمى أيضا "شرك السرائر" [4]

ووَصَفَه بكونه خفيًّا؛ وذلك لأمرين:

الأمر الأوّل: أنّ طرائقه خفيّة، يَتسلل إلى القلب تسلُّلاً، فهو شركٌ خفيّ، ولذلك قَلّ مَن يسلم منه من الناس. الأمر الثاني: لأنّ مكانه القلب، فهو خفيّ؛ لا يطلع عليه أحد من الناس. [5]

في عبارات ابن القيم رحمه الله أنه إذا ذكر الشرك الأصغر قال: كيسير الرياء؛ فهذا يدل على أن كثيره ليس من الأصغر، لكن إن أراد بالكمية؛ فنعم؛ لأنه لو كان يرائي في كل عمل؛ لكان

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] التمهيد لشرح كتاب التوحيد للعلامة صالح آل الشيخ 1/53

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/124

[4] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/132

[5] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

مشركا شركا أكبر لعدم وجود الإخلاص في عمل يعمله، أما إذا أراد الكيفية؛ فظاهر الحديث أنه أصغر مطلقا [1]

- **حكم العبادة إذا خالطها الرياء :**

وهو على ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون الباعث على العبادة مراءاة الناس من الأصل، كمن قام يصلي من أجل مراءاة الناس ولم يقصد وجه الله؛ فهذا شرك والعبادة باطلة.

الثاني: أن يكون مشاركا للعبادة في أثنائها، بمعنى أن يكون الحامل له في أول أمره الإخلاص لله ثم يطرأ الرياء في أثناء العبادة.

فإن كانت العبادة لا ينبني آخرها على أولها؛ فأولها صحيح بكل حال، والباطل آخرها. مثال ذلك: رجل عنده مئة ريال قد أعدها للصدقة فتصدق بخمسين مخلصا وراءى في الخمسين الباقية؛ فالأولى حكمها صحيح، والثانية باطلة .

أما إذا كانت العبادة ينبني آخرها على أولها؛ فهي على حالين:

أ- أن يدافع الرياء ولا يسكن إليه، بل يعرض عنه ويكرهه؛ فإنه لا يؤثر عليه شيئا؛ لقول النبي ((إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم) ، مثال ذلك: رجل قام يصلي ركعتين مخلصا لله، وفي الركعة الثانية أحس بالرياء، فصار يدافعه؛ فإن ذلك لا يضره ولا يؤثر على صلاته شيئا.

ب- أن يطمئن إلى هذا الرياء ولا يدافعه؛ فحينئذ تبطل جميع العبادة؛ لأن آخرها مبني على أولها ومرتبط به. مثال ذلك: رجل قام يصلي ركعتين مخلصا لله، وفي الركعة الثانية طرأ عليه الرياء لإحساسه بشخص ينظر إليه، فاطمأن لذلك ونزع إليه؛ فتبطل صلاته كلها لارتباط بعضها

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 125/1

ببعض.

الثالث: ما يطرأ بعد انتهاء العبادة؛ فإنه لا يؤثر عليها شيئا، اللهم إلا أن يكون فيه عدوان؛ كالمن والأذى بالصدقة، فإن هذا العدوان يكون إثمه مقابلا لأجر الصدقة فيبطلها؛ لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى} ، [البقرة: من الآية264] .

وليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته؛ لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة.

وليس من الرياء أيضا أن يفرح الإنسان بفعل الطاعة في نفسه، بل ذلك دليل على إيمانه، قال النبي (: (من سرته حسناته وساءته سيئاته؛ فذلك المؤمن) وقد سئل النبي عن ذلك؛ فقال: (تلك عاجل بشرى المؤمن)[1]

فإن قيل: لو حدث الرياء في أثناء الوضوء؛ هل يلحق بالصلاة فيبطل كله، أو بالصدقة فيبطل ما حصل فيه الرياء فقط.

فالجواب: يحتمل هذا وهذا؛ فيلحق بالصلاة لأن الوضوء عبادة واحدة ينبني بعضها على بعض، ليس تطهير كل عضو عبادة مستقلة، ويلحق بالصدقة لأنه ليس كالصلاة من كل وجه، ولا الصدقة من كل وجه؛ لأننا إذا قلنا ببطلان ما حصل فيه الرياء، فأعاد تطهيره وحده لم يضر؛ لأن تكرار غسل العضو لا يبطل الوضوء ولو كان عمدا، بخلاف الصلاة؛ فإنه إذا كرر جزءا منها كركوع أو سجود لغير سبب شرعي؛ بطلت صلاته ... فالمهم أن هناك فرقا بين الوضوء والصلاة، ومن أجل هذا الفرق لا أبت فيها الآن حتى أراجع وأتأمل إن شاء الله تعالى.[2]

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/125

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/119

– التسميع له أربع صور :

الصورة الأولى: أن يُسمِّع الإنسان بعمله الصالح أثناء العمل بقصد أن يُمدح. مثال: إنسان مع إخوانه في الغرفة، قام يصلي من الليل، وما انتبه له أحد أنه قام يصلي من الليل، فكبر وما انتبه له أحد، فرفع صوته بقراءة الفاتحة من أجل أن يُسمِعهم، ليعرفوا أنه يصلي من الليل، هذا أثناء العمل، وهذا تسميع ورياء.

الصورة الثانية: أن يقع بعد العمل وقد كان مقصودًا عند العمل. مثال: إنسان قام يصلي من الليل وما رآه أحد، لكن وهو يصلي -إمّا قبل أو أثناء العمل- قَصَدَ أنه غدًا سيحدِّث الناس أنه صلى ... فلمّا أصبح وصلى الفجر مع أصحابه إمّا أنه صرَّح ... أو يقول لهم: ما سمعتم الصوت المزعج البارحة وأنا أصلي كدت أن أسلِّم من ذلك الصوت! ومقصوده أن يخبرهم أنه كان يصلي! فهذا من التسميع المحرَّم الذي يُبطِل العمل على ما يأتي تفصيله.

الصورة الثالثة: أن يسمِّع بعمله بعد العمل من غير أن يكون ذلك مقصودًا عند العمل، أن يَتحدَّث بعمله الصالح بعد فراغه منه من أجل أن يُمدَح. مثلاً: يكون صلى الليل لله، ما قصد التسميع، لكن لـمّا صلى الفجر وجلس مع أصحابه جاء الشيطان يتلاعب وقال: أخبرهم أنك كنت تصلي البارحة حتى يرفعوك ... فهذا ليس من التسميع وليس له أثر في العمل؛ لكنه حرام، هو بذاته حرام، لكن لا أثر له في العمل؛ لأنّ العمل قد مضى وانقضى بشروطه وتمامه، فلا أثر له.

الصورة الرابعة: أن يسمِّع بعمله لقصد مشروع، وليس لقصد المدح ... ولقصد أن يشجع الناس ... كان هناك رجل من الأغنياء يحدث الشيخ ابن باز –رحمه الله- يقول: ما طلبني

الشيخ ابن باز شيئًا من المال إلا أعطيته ، مهما كان ، قال : لأنه يضعه في موضعه ، يقول : وما أعطيت الشيخ شيئًا إلا ورُدَّ لي أربعة أضعافه من الله عز وجل. [1]

- دفع الرياء :

يدفع المسلم الرياء إن كان ظاهرًا: بالتخلُّص منه. وإن كان خفيًّا لا يظهر له: بالاستعاذة بالله منه .... فإنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ﴿يا أيها الناس! اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل﴾، فقيل له: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: ﴿قولوا: اللهم إنّا نعوذ بك أن نشرِك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لِمَا لا نعلمه﴾، وهذا الحديث رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني وغيره. [2]

46/ إرادة الإنسان بعمله الدنيا :

قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا} [هود: من الآية15] ، الآية. [3]

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} ، أي: البقاء في الدنيا.

قوله: {وَزِينَتَهَا} : أي: المال، والبنين، والنساء، والحرث، والأنعام، والخيل المسومة ...

قوله: {نُوَفِّ إِلَيْهِمْ} ... والمعنى: أنهم يعطون ما يريدون في الدنيا ومن ذلك الكفار لا يسعون إلا للدنيا وزينتها، فعجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا؛ كما قال تعالى: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا} ، [الأحقاف: من الآية20] .

ولهذا (لما بكى عمر حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم قد أثر في جنبه الفراش، فقال صلى الله عليه وسلم: " ما يبكيك؟ ". قال: يا رسول الله كسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من نعيم وأنت على هذه الحال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم) ، وفي الحقيقة هي ضرر عليهم؛ لأنهم إذا انتقلوا من دار النعيم إلى الجحيم؛ صار عليهم أشد وأعظم في فقد ما متعوا به في الدنيا.

– كل مَن أراد الدنيا بعمله الصالح يعطيه الله الدنيا ... لكنّ هذا الإطلاق مقيَّد، فليس كل مَن أراد الدنيا آتاه الله عز وجل الدنيا؛ كما قال الله عز وجل: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} (الإسراء: 18)، انظروا إلى القيدَين: ففيها قيدين: {عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} [1]

في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط [2]

قوله: {وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ} ، البخس: النقص؛ أي: لا ينقصون مما يجازون فيه؛ لأن الله عدل لا يظلم، فيعطون ما أرادوه.

... فأثبت الله أنه ليس لهؤلاء إلا النار، وأن ما صنعوا في الدنيا قد حبط، وأن أعمالهم باطلة.

وقوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ} ، مخصوصة بقوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً} ، [الإسراء:18] (القول المفيد 139/2)

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] ... قوله: "تعس": بفتح العين أو كسرها؛ أي: خاب وهلك.

قوله: "عبد الدينار" الدينار: هو النقد من الذهب، والدينار الإسلامي زنته مثقال، وسماه عبد الدينار؛ لأنه تعلق به تعلق العبد بالرب، فكان أكبر همه، وقدمه على طاعة ربه، ويقال في عبد الدرهم ما قيل في عبد الدينار، والدرهم هو النقد من الفضة، وزنة الدرهم الإسلامي سبعة أعشار المثقال؛ فكل عشرة دراهم سبعة مثاقيل.

وقد أراد المؤلف بهذا الحديث أن يبين أن من الناس من يعبد الدنيا؛ أي: يتذلل لها ويخضع لها، وتكون مناه وغايته، فيغضب إذا فقدت ويرضى إذا وجدت ...

قوله: (تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة) : وهذا من يُعْنى بمظهره وأثاثه؛ لأن الخميصة كساء جميل، والخميلة فراش وثير، ليس له هم إلا هذا الأمر، فإذا كان عابدا لهذه الأمور لأنه صرف لها جهوده وهمته؛ فكيف بمن أراد بالعمل الصالح شيئا من الدنيا فجعل الدين وسيلة للدنيا؟! فهذا أعظم (القول المفيد 139/2)

تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش. طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة؛ كان في الحراسة، وإن كان في الساقة؛ كان في الساقة، إن استأذن؛ لم يؤذن له، وإن شفع؛ لم يشفع)

- الفرق بين الرياء و إرادة الإنسان بعمله الدنيا :

بين البابَين فرق من ثلاثة أوجه :

الوجه الأوّل: من جهة المقصود. ففي باب الرياء المقصود: الذكر والثناء ... أمّا في هذا الباب فالمقصود: مصلحة دنيوية؛ من مال أو زوجة أو نحو ذلك.

الوجه الثاني: من جهة الباعث على المقصود ... أمّا في الرياء فالباعث: تعظيم المخلوق ...

أمّا الباعث على إرادة الدنيا: فهي شهوة النفس ...

الوجه الثالث: من جهة المشرَّك. ففي الرياء المشرَّك مخلوق، فهو شرك في نية المعمول له ...

أمّا إرادة الدنيا فإنما هي في العمل لأجله وليس في المعمول له ... [1]

- حكم إرادة الإنسان بعمله الدنيا :

يكون شركًا أكبر: إذا كان في الأعمال كلها، في أصلها -وهو الدخول في الإسلام- وفي فروعها، كلها من أجل الدنيا ... فمَن أظهر الإسلام وعمله كله -أصله وفرع- للدنيا فهو منافق، ومَن لم يظهِر الإسلام وعمله كله للدنيا فهو المشرك.

وما عدا ذلك يكون شركًا أصغر، بمعنى: إذا كانت إرادة الدنيا في بعض العمل فهذا شرك أصغر. [2]

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

- أثر إرادة الدنيا على العمل :

إن كانت إرادة الإنسان الدنيا في العمل خالصة للدنيا، "خالصة" أي: العمل كله للدنيا، فالعمل باطل، وصاحبه آثم؛ لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ (هود: 15)، وهذه الآية سيذكرها الشيخ ونتكلم عنها إن شاء الله، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَن تعلَّم علمًا مما يُبتغى به وجه الله، لا يَتعلَّمه إلا ليصيب به عَرَضًا من الدنيا؛ لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة﴾ رواه أبوا داود، وابن ماجه، وصحَّحه الألباني.

فدلّ هذا على أنه إذا كانت النية للدنيا فقط فالعمل حابط باطل وصاحبه آثم، وقد اتفق العلماء على هذا.

أمّا إذا حدثت إرادة الدنيا في العمل، ولم يكن العمل كله للدنيا ...

والتحقيق –والله أعلم–: التفصيل في النقاط التالية:

النقطة الأولى: أن يريد العبد بالعمل وجه الله ويريد من الدنيا ما أذن الله بإرادته، فهذا لا يضر العمل، بل هو جمْع بين الحسنين.

مثل: ... أن يصل الرجل رَحِمَه تقربًا إلى الله وإرادة أن يوسَّع عليه في رزقه ويُنسأ له في أجله، فهذا لا يضر العمل، وقد أذن الله فيه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم...

النقطة الثانية: أن يريد العبد بالعمل وجه الله ومصلحة دنيوية تحصل بالعمل؛ سواء نواها أو لم ينوها فهي حاصلة حاصلة.

مثال: التبرُّد بالوضوء ألا يحصل بالوضوء؟ يحصل سواء نويتَ أو لم تنوِ ... وهذا لا يضر العمل؛ لأنّ النية لم تُكسِبه شيئًا، النية زائدة ليس لها أثر، التبرد حاصل حاصل، فهذا لا يضر العمل.

النقطة الثالثة: أن يريد العبد بالعمل وجه الله ومصلحة دنيوية غير ما تقدَّم، وكانت النية الأصلية: الدنيا، ولولاها لَمَا فعل، فهذا العمل باطل؛ لعموم الأدلة، مثل: أن يحج عن الغير لأجل المال ... فهذا العمل باطل.

النقطة الرابعة: أن يريد العبد بالعمل وجه الله ومصلحة دنيوية غير ما تقدَّم، وكانت النية الأصلية: الدينية، وأمّا الدنيا فتابعة، فهذا لا يبطل العمل ولكن يُنقِص الأجر.

إذا عَلِمْنا هذا؛ فينبغي أن يَعلَم المؤمن أنّ الأكمل للعبد: أن يريد بالعمل وجه الله، وألّا يريد الدنيا مطلقًا؛ سواء ما أُذِنَ فيه، أو ما يحصل، أو كانت النية الأصلية الدينية، أو كانت النية الأصلية الدنيوية ...

عمل الإنسان ينقسم إلى قسمين: عادات، وعبادات ... العادات لا تدخل معنا، فمَن أراد بها الدنيا لا يُذَمّ ولا يأثم وأمّا العبادات، فهي القُرَبُ التي يُتقرَّب بها إلى الله عز وجل فهي المرادة هنا. [1]

– **تنبيه :** بعض الناس عندما يتكلمون على فوائد العبادات، يحولونها إلى فوائد دنيوية. فمثلا يقولون: في الصلاة رياضة، وإفادة للأعصاب ... والمفروض ألا نجعل الفوائد الدنيوية هي الأصل؛ لأن الله لم يذكر ذلك في كتابه، بل ذكر أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ... فالفوائد الدينية في العبادات هي الأصل والدنيوية ثانوية، لكن عندما نتكلم عند عامة الناس؛ فإننا نخاطبهم بالنواحي الدينية، وعندما نتكلم عند من لا يقتنع إلا بشيء مادي؛ فإننا نخاطبه بالنواحي الدينية والدنيوية، ولكل مقام مقال [2]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 138/2

47/ طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله[1] أو تحليل ما حرمه :

قال ابن عباس: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟! [2]

وقال أحمد بن حنبل: " عجبت لقوم [3] عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ،

---

[1] تحليل الحرام فيما الأصل فيه الحل أهون من تحريم الحلال؛ لأن تحليل الحرام إذا لم يتبين تحريمه فهو مبني على الأصل، وهو الحل، ورحمة الله – سبحانه – سبقت غضبه؛ فلا يمكن أن نحرم إلا ما تبين تحريمه، ولأنه أضيق وأشد، والأصل أن تبقى الأمور على الحل والسعة حتى يتبين التحريم.

أما في العبادات فيشدد؛ لأن الأصل المنع والتحريم حتى يبينه الشرع كما قيل:

والأصل في الأشياء حل وامنع ... عبادة إلا بإذن الشارع (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 150/2)

[2] ... نزول الحجارة من السماء ليس بالأمر المستحيل، بل هو ممكن، قال تعالى في أصحاب الفيل: {وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ} ، [الفيل: 3، 4] ...

ولم يعرف عن أبي بكر وعمر أنهما خالفا نصا برأيهما ، فإذاكان قول أبي بكر وعمر إذا عارض الإنسان بقولهما قول الرسول فإنه يوشك أن تنزل عليه حجارة من السماء! فما بالك بمن يعارض قوله بمن هو دون أبي بكر وعمر؟!

والفرق بين ذلك كما بين السماء والأرض؛ فيكون هذا أقرب للعقوبة.

وفي الأثر التحذير عن التقليد الأعمى والتعصب المذهبي الذي ليس مبنيا على أساس سليم (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 151/2)

[3] ... العجب نوعان:

الأول: عجب استحسان؛ كما في حديث عائشة رضي الله عنها: (كان الرسول يعجبه التيامن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله

الثاني: عجب إنكار؛ كما في قوله تعالى: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} ، [الصافات: 12] ، والعجب في كلام الإمام أحمد هنا عجب إنكار. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 152/2)

[النور: من الآية63] ، [1] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك".

وعن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي يقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ} ، [التوبة: من الآية31] الآية، [2] فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: "أليس يحرمون ما أحل

---

[1] قوله: " الإسناد": المراد به هنا رجال السند لا نسبة الحديث إلى راويه؛ أي: عرفوا صحة الحديث بمعرفة رجاله.

قوله: " يذهبون إلى رأي سفيان": أي: سفيان الثوري؛ لأنه صاحب المذهب المشهور وله أتباع لكنهم انقرضوا؛ فهم يذهبون إلى رأي سفيان وهو من الفقهاء ويتركون ما جاء به الحديث! ...

قوله: "عن أمره": الضمير يعود للرسول ...

" فتنة": الفتنة فسرها الإمام أحمد بالشرك، وعلى هذا يكون الوعيد بأحد أمرين: إما الشرك، وإما العذاب الأليم. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/153)

[2] ... " اتخذوا": الضمير يعود للنصارى؛ لأن اليهود لم يتخذوا المسيح ابن مريم إلها ...

قوله: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ} الأحبار: جمع حبر، وحبر بفتح الحاء وكسرها؛ وهو العالم الواسع العلم، والرهبان: جمع راهب، وهو العابد الزاهد.

قوله: {أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ} أي: مشاركين لله في التشريع؛ لأنهم يحلون ما حرم الله فيحله هؤلاء الأتباع، ويحرمون ما أحل الله فيحرمه الأتباع.

قوله: {وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَم} أي: اتخذوه إلها مع الله، بدليل قوله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً} ، [التوبة: من الآية31] والعبادة: التذلل والخضوع، واتباع الأوامر، واجتناب النواهي...

والتسبيح: التنزيه (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/154)

الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ ". فقلت: بلى. قال: [1] عبادتهم (رواه أحمد والترمذي وحسنه [2]

المراد بالعلماء: العلماء بشرع الله، وبالأمراء: أولو الأمر المنفذون له، وهذان الصنفان هما المذكوران في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} ، [النساء: من الآية59] ؛ فجعل الله طاعته مستقلة، وطاعة رسوله مستقلة، وطاعة أولي الأمر تابعة، ولهذا لم يكرر الفعل " أطيعوا "؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وأولو الأمر هم أولو الشأن، وهم العلماء؛ لأنه يستند إليهم في أمر الشرع والعلم به، والأمراء؛ لأنه يستند إليهم في تنفيذ الشرع وإمضائه، وإذا استقام العلماء والأمراء استقامت الأمور، وبفسادهم تفسد الأمور؛ لأن العلماء أهل الإرشاد والدلالة، والأمراء أهل الإلزام والتنفيذ [3]

- حكم طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه :

هذه الطاعة المحرَّمة للعلماء والأمراء وهي الطاعة التي تخالِف طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنقسم إلى أقسام خمسة من جهة الحكم:

القسم الأوّل: أن يطيعهم وهو يعتقد أنّ لهم أن يُحلُّوا الحرام، وأن يُحرِّموا الحلال. وهذا شرك أكبر ...

---

[1] ... قول عدي: "لسنا نعبدهم" يعود على الأحبار والرهبان، أما عيسى ابن مريم؛ فالمعروف أنهم يعبدونه. وبدأ بتحريم الحلال؛ لأنه أعظم من تحليل الحرام ... لقوله تعالى: {وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} ، [النحل: من الآية116] . (القول المفيد 2/156)

[2] قوله: " فتلك عبادتهم ": ووجه كونها عبادة: أن من معنى العبادة الطاعة، وطاعة غير الله عبادة للمطاع، ولكن بشرط إن تكون في غير طاعة الله، أما إذا كانت في طاعة الله؛ فهي عبادة لله (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/157)

- الطاعة بمعنى العبادة عبودية مقيدة. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/157)

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/149

القسم الثاني: أن يطيعهم اعتقادًا وعملاً، فيَعتقد ما يقولون دينًا، ويَعمل به، مع وضوح الدليل على خلافه عنده؛ لكنه يُعرِض عنه، وهذا شرك أكبر والعياذ بالله.

وتعلمون: أنّ الكلام على الفعل، أمّا الفاعل فقد تكون عنده موانع تَمنع أن يوصَف بأنه مشرك.

القسم الثالث: أن يطيعهم عملاً وهو يعتقد أنّ قولهم خير وأصلَح من قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ... وهذا –والعياذ بالله– شرك أكبر.

القسم الرابع: أن يطيعهم عملاً في الشرك، فهو لا يعتقد ولكن يطيعهم، يأمرونه بالشرك فيعمل الشرك وهو يَعلَم أنه شرك ... فهذا شرك أكبر؛ لأنه عمل بالشرك.

القسم الخامس: أن يطيعهم عملاً لا اعتقادًا في غير الشرك، مع اعتقاده الحكم الشرعي. يَعرِف أنّ شرب الدخان حرام ... ولكن وجد دكتورًا في الجامعة يشرب الدخان وقال له: شرب الدخان مكروه ... فهنا قال بعض أهل العلم: هذا من الشرك الأصغر ... لأنه أطاع المخلوق فيما يَعلَم أنه معصية.

وقال بعض العلماء: بل هو معصية كسائر المعاصي ... لأنه لم يطعهم في التحريم والتحليل بل يعتقد أنه حرام ولكنه عَمِلَ المعصية. وهذا الذي يظهر لي والله أعلم ...

وأعود وأُذكِّر أنّا لا نتكلم عن الطاعة المشروعة ... وإنما نتكلم عن الطاعة المحرَمة. [1]

– اتباع العلماء أو الأمراء، في تحليل ما حرم الله أو العكس، ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يتابعهم في ذلك راضيا بقولهم، مقدما له، ساخطا لحكم الله؛ فهو كافر لأنه كره ما أنزل الله، فأحبط الله عمله، ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر، فكل من كره ما أنزل الله؛ فهو كافر.

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

الثاني: أن يتابعهم في ذلك راضيا بحكم الله وعالما بأنه أمثل وأصلح للعباد والبلاد، ولكن لهوى في نفسه اختاره، كأنه يريد مثلا وظيفة؛ فهذا لا يكفر، ولكنه فاسق، وله حكم غيره من العصاة.

الثالث: أن يتابعهم جاهلا، فيظن أن ذلك حكم الله؛ فينقسم إلى قسمين:

أ- أن يمكنه أن يعرف الحق بنفسه؛ فهو مفرط أو مقصر، فهو آثم؛ لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم.

ب- أن لا يكون عالما ولا يمكنه التعلم فيتابعهم تقليدا ويظن أن هذا هو الحق؛ فهذا لا شيء عليه لأنه فعل ما أمر به وكان معذورا بذلك، ولذلك ورد عن رسول الله أنه قال: إن من أفتي بغير علم؛ فإنما إثمه على من أفتاه) لو قلنا: بإثمه بخطأ غيره؛ للزم من ذلك الحرج والمشقة، ولم يثق الناس بأحد لاحتمال خطئه. [1]

48/ النظرية المادية للحياة ومفاسد هذه النظرية :

هناك نظرتان للحياة: نظرة مادّيّة للحياة، ونظرة صحيحة، ولكل من النظرتين آثارها:

أ - فالنظرة المادّيّة للحياة معناها: أن يكون تفكير الإنسان مقصورًا على تحصيل ملذاته العاجلة، ويكون عمله محصورًا في نطاق ذلك، فلا يتجاوز تفكيره ما وراء ذلك من العواقب، ولا يعمل له، ولا يهتم بشأنه، ولا يعلم أن الله جعل هذه الحياة الدنيا مزرعة للآخرة، فجعل الدُّنيا دارَ عمل، وجعل الآخرة دار جزاء، فمن استغل دنياه بالعمل الصالح ربحَ الدارين، ومن ضيّع دنياه ضاعت آخرته: {خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الحج: 11] .

فالله لم يخلق هذه الدنيا عبثًا بل خلقها لحكمة عظيمة، قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} [الملك: 2] ... أوجد سبحانه في هذه الحياة من المتع العاجلة،

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/157

والزينة الظاهرة من الأموال والأولاد، والجاه والسلطان، وسائر المستلذات ما لا يعلمه إلا الله.

فمن الناس - وهم الأكثر - من قَصَر نظرهُ على ظاهرها ومفاتنها، ومتَّع نفسَهُ بها، ولم يتأمل في سرها، فانشغل بتحصيلها وجمعها والتمتع بها عن العمل لما بعدها؛ بل ربما أنكر أن يكون هناك حياة غيرها، كما قال تعالى: {وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} [الأنعام: 29] .

وقد توعد الله تعالى مَنْ هذه نظرتُهُ للحياة؛ فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يونس: 7، 8] ...

وهذا الوعيد يشمل أصحابَ هذه النظرة؛ سواء كانوا من الذين يعملون عمل الآخرة؛ يريدون به الحياة الدنيا، كالمنافقين والمرائين بأعمالهم، أو كانوا من الكُفَّارِ الذين لا يؤمنون ببعث ولا حساب، كحال أهل الجاهلية والمذاهب الهدامة من رأسمالية وشيوعية، وعلمانية إلحادية، وأولئك لم يعرفوا قدرَ الحياة، ولا تعدو نظرتهم لها أن تكون كنظرة البهائم، بل هم أضل سبيلاً؛ لأنهم ألغَوا عقولهم، وسخروا طاقاتهم، وضيعوا أوقاتهم فيما لا يبقى لهم، ولا يبقون له، ولم يعملوا لمصيرهم الذي ينتظرهم ولا بُدَّ لهم منه.

والبهائم ليس لها مصيرٌ ينتظرها، وليس لها عقول تفكر بها، بخلاف أولئك، ولهذا يقول تعالى فيها: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً} [الفرقان: 44] .

وقد وصف الله أهل هذه النظرة بعدم العلم، قال تعالى: {وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم: 6، 7] .

فهم وإن كانوا أهل خبرة في المخترعات والصناعات؛ فهم جُهَّالٌ لا يستحقون أن يُوصَفوا بالعلم؛ لأن علمهم لم يتجاوز ظاهر الحياة الدنيا، وهذا علم ناقص لا يستحق أصحابه أن يطلق عليهم هذا الوصف الشريف، فيقال: العلماء، وإنما يطلق هذا على أهل معرفة الله وخشيته، كما قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28] .

ومن النظرة المادية للحياة الدنيا: ما ذكره الله في قصة قارون، وما آتاه الله من الكنوز: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [القصص: 79] .

فتمنَّوا مثله وغبطوه، ووصفوه بالحظ العظيم بناءً على نظرتهم المادية، وهذا كما هو الحال الآن في الدول الكافرة، وما عندها من تقدّم صناعي واقتصادي، فإنَّ ضعافَ الإيمان من المسلمين ينظرون إليهم نظرة إعجاب دون نظر إلى ما هم عليه من الكفر، وما ينتظرهم من سوء المصير، فتبعثهم هذه النظرة الخاطئة إلى تعظيم الكفار واحترامهم في نفوسهم، والتشبه بهم في أخلاقهم وعاداتهم السيئة، ولم يقلدوهم في الجد وإعداد القوة والشيء النافع من المخترعات والصناعات، كما قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال: 60] .

ب - النظرة الثانية للحياة: النظرة الصحيحة وهي: أن يعتبر الإنسان ما في هذه الحياة من مال وسلطان وقوى مادية وسيلةً يُستعان بها لعمل الآخرة.

فالدنيا في الحقيقة لا تُذمُّ لذاتها، وإنما يتوجه المدح والذّمّ إلى فعل العبد فيها، فهي قنطرة ومعبر للآخرة، ومنها زادُ الجنة، وخيرُ عيش ينالُه أهل الجنة إنَّما حصل لهم بما زرعوه في الدنيا.

فهي دار الجهاد، والصلاة والصيام، والإنفاق في سبيل الله، ومضمار التسابق إلى الخيرات.

يقول الله تعالى لأهل الجنة: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة: 24] يعني: الدنيا.[1]

49/ الانتماء إلى المذاهب الإلحادية :

الانتماء إلى المذاهب الإلحادية كالشيوعية، والعلمانية، والرأسمالية، وغيرها من مذاهب الكفر ردّة عن دين الإسلام، فإنْ كانَ المنتمي إلى تلك المذاهب يدّعي الإسلام، فهذا من النفاق الأكبر، فإن المنافقين ينتمون إلى الإسلام في الظاهر، وهم مع الكفار في الباطن، كما قال تعالى فيهم: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ} [البقرة: 14] ... فهؤلاء المنافقون المخادعون؛ لكل منهم وجهان: وجهٌ يلقى به المؤمنين، ووجه ينقلب به إلى إخوانه من الملحدين، وله لسانان: أحدُهما يقبله بظاهره المسلمون، والآخر يُترجم عن سِرّه المكنون: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ} .

قد أعرضوا عن الكتاب والسنة؛ استهزاءً بأهلها واستحقارًا، وأبوا أن ينقادوا لحكم الوحيين، فرحًا بما عندهم من العلم الذي لا ينفع الاستكثار منه إلا أشرًا واستكبارًا، فتراهم أبدًا بالمتمسكين بصريح الوحي يستهزئون: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} .

وقد أمرَ الله بالانتماء إلى المؤمنين: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119].

وهذه المذاهب الإلحادية مذاهبُ متناحرة؛ لأنها مؤسسة على الباطل

فالشيوعية تنكر وجود الخالق - سبحانه وتعالى - وتحارب الأديان السماوية، ومن يرضى لعقله أن يعيش بلا عقيدة، وينكر البدهيات العقلية اليقينية؛ فيكون مُلغيًا لعقله

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 131

والعلمانية تنكر الأديان، وتعتمدُ على المادية التي لا موجِّه لها، ولا غاية لها في هذه الحياة إلا الحياة البهيمية! والرأسماليةُ همها جمع المال من أي وجه ولا تتقيد بحلال ولا حرام، ولا عطف ولا شفقة على الفقراء والمساكين، وقوام اقتصادها على الرِّبا الذي هو محاربة لله ولرسوله؛ والذي هو دمارُ الدول والأفراد، وامتصاصُ دماء الشعوب الفقيرة

وأي عاقل – فضلاً عمن فيه ذرة من إيمان – يرضى أن يعيش على هذه المذاهب، بلا عقل ولا دين، ولا غاية صحيحة من حياته يهدف إليها، ويُناضل من أجلها، وإنما غزت هذه المذاهبُ بلاد المسلمين لَمَّا غاب عن أكثريتها الدين الصحيح، وتربت على الضياع وعاشت على التبعية.

50/ الانتماء إلى الأحزاب الجاهلية :

الانتماء للأحزاب الجاهلية، والقوميات العنصرية، هو الآخر كُفرٌ وردَّة عن دين الإسلام؛ لأنَّ الإسلام يرفُض العصبيات، والنعرات الجاهلية، يقول تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13] ويقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: ﴿ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من غضب لعصبية﴾ [1] وقال – صلى الله عليه وسلم –: ﴿إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية، وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس بنو آدم، وآدم خلق من تراب، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى﴾.

وهذه الحزبيات تفرق المسلمين، والله قد أمر بالاجتماع والتعاون على البر والتقوى، ونهى عن التفرق والاختلاف، وقال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: 103].

---

[1] ضعيف الجامع الصغير وزيادته (4935)

إن الله سبحانه يريد منا أن نكون مع حزب واحد، هُم حزبُ الله المفلحون؛ ولكن العالم الإسلامي أصبح بعدما غزته أوروبا سياسيًّا، وثقافيًّا يخضع لهذه العصبيات الدموية، والجنسية والوطنية، ويؤمن بها كقضية علمية وحقيقية مقررة، وواقع لا مفرَّ منه، وأصبحت شعوبه تندفع اندفاعًا غريبًا إلى إحياء هذه العصبيات التي أماتها الإسلام، والتغني بها وإحياء شعائرها، والافتخار بعهدها الذي تقدم على الإسلام، وهو الذي يُلحُّ الإسلام على تسميته بالجاهلية، وقد مَنَّ الله على المسلمين بالخروج عنها، وحثهم على شكر هذه النعمة.

والطبيعي من المؤمن أن لا يذكر جاهليةً - تقادمَ عهدُها أو قارب - إلا بمقت وكراهية وامتعاض واقشعرار، وهل يذكر السجين المعذب الذي يطلق سراحه أيام اعتقاله وتعذيبه وامتهانه؛ إلا وَعرتهُ قشعريرة؟ وهل يذكُرُ البريء من عِلَّة شديدة طويلة أشرَفَ منها على الموت أيامَ سُقمه، إلا وانكسف بالُهُ وانتقع لونه؟

والواجبُ أن يُعلمَ أنَّ هذه الحزبيات عذاب بعثه الله على من أعرض عن شرعه، وتنكر لدينه، كما قال تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} [الأنعام: 65] وقال - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم﴾.

إنَّ التعصب للحزبيات يسبب رفض الحق الذي مع الآخرين، كحال اليهود الذين قال الله فيهم: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ} [البقرة: 91] وكحال أهل الجاهلية الذين رفضوا الحق الذي جاءهم به الرسول - صلى الله عليه وسلم - تعصبًا لما عليه آباؤهم: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} [البقرة: 170] .

ويريد أصحاب هذه الحزبيات أن يجعلوها بديلة عن الإسلام الذي مَنَّ الله به على البشرية. [1]

51/ الإلحاد في آيات الله :

الآيات جمع آية، وهي العلامة المميزة للشيء عن غيره، والله عز وجل بعث الرسل بالآيات لا بالمعجزات، ولهذا كان التعبير بالآيات أحسن من التعبير بالمعجزات:

أولاً: لأن الآيات هي التي يعبر بها في الكتاب والسنة.

ثانياً: أن المعجزات قد تقع من ساحر ومشعوذ وما أشبه ذلك تُعجِز غيره.

ثالثاً: أن كلمة (آيات) أدل على المعنى المقصود من كلمة معجزات، فآيات الله عز وجل هي الدالة على الله عز وجل، وحينئذ تكون خاصة به ولولا أنها خاصة، ما صارت آية له. [2]

- أقسام آيات الله وأحكامها :

آيات الله تنقسم إلى قسمين:

1. آيات كونية، وهي كل المخلوقات؛ من السماوات والأرض والنجوم والجبال والشجر والدواب وغير ذلك، قال الشاعر:

فواعجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد [3]

وكانت آية لله، لأنه لا يستطيع الخلق أن يفعلوها، فمثلاً: لا يستطيع أحد أن يخلق مثل الشمس والقمر [4]

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 126

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 124

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 320/2

[4] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 125

والإلحاد في الآيات الكونية ثلاثة أنواع:

1. اعتقاد أن أحدا سوى الله منفرد بها أو ببعضها.

2. اعتقاد أن أحدا مشارك لله فيها.

3. اعتقاد أن لله فيها معينا في إيجادها وخلقها وتدبيرها.

والدليل قوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} 1 ظهير؛ أي: معين.

وكل ما يخل بتوحيد الربوبية؛ فإنه داخل في الإلحاد في الآيات الكونية.

2. آيات شرعية، وهي ما جاءت به الرسل من الوحي كالقرآن، قال تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}

والإلحاد في الآيات الشرعية ثلاثة أنواع :

1. تكذيبها فيما يتعلق بالأخبار. [1]

2. مخالفتها فيما يتعلق بالأحكام. [2]

3. التحريف في الأخبار والأحكام. [3]

والإلحاد في الآيات الكونية والشرعية حرام.

ومنه ما يكون كفرا؛ كتكذيبها، فمن كذب شيئا مع اعتقاده أن الله ورسوله أخبرا به؛ فهو كافر.

ومنه ما يكون معصية من الكبائر؛ كقتل النفس والزنا.

ومنه ما يكون معصية من الصغائر؛ كالنظر لأجنبية لشهوة.

---

[1] فيقول مثلاً: قصة أصحاب الكهف ليست صحيحة / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 126

[2] بترك الأوامر أو فعل النواهي / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 126

[3] مثل أن يقول: استوى على العرش، أي: استولى / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 126

قال الله تعالى في الحرم: {يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} 3 فسمى الله المعاصي والظلم إلحادا؛ لأنها ميل عما يجب أن يكون عليه الإنسان؛ إذ الواجب عليه السير على صراط الله تعالى، ومن خالف؛ فقد ألحد.[1]

52/ التشبه بالكفار :

- تعريف :

التشبه بالكفار أن يفعل المسلم شيئا من خصائصهم، أما ما انتشر بين المسلمين، وصار لا يتميز به الكفار؛ فإنه لا يكون تشبها، فلا يكون حراما من أجل أنه تشبه، إلا أن يكون محرما من جهة أخرى [2]

- مما ورد من الأدلة :

قال تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ {الجاثية:6-8} .وقال عز وجل: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ {الحديد:16} .

وقال صلى الله عليه وسلم: جعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم. رواه أحمد.

وفي حديث أبي واقد الليثي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 320/2

[2] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 47/3

أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم. رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح.

- حكم التشبه بالكفار :

يحرم على الإنسان أن يتشبه بالكفار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم: أقل أحوال هذا الحديث التحريم وإن كان ظاهراً يقتضي كفر المتشبه بهم. ومن فوائد الحديث: أنه متى حصل الشبه ثبت الحكم سواء كان بإرادة أم بغير إرادة. فلو قال قائل: إنه ليس ثياب الكفار لكن لم يقصد التشبه، قلنا: ولكن حصل الشبه والنية محلها القلب فننكر عليه ما أظهره من المشابهة، وأما فيما بينه وبين ربه فهذا ليس إلينا لأن بعضهم تنهاه عن شيء ويقول ما قصدت التشبه، تجده مثلاً يجعل شعره على صفة معينة معروفة أنها من حلى الكفار فإذا قلت له قال: أنا ما أردت شيئاً ماذا نقول له؟ نقول: التشبه حاصل والنية أمر خفي لا يطلع عليه، والنبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ﴿من تشبه بقوم فهو منهم﴾ فعلق الحكم على المشابهة. من فوائد الحديث: الحذر من متابعة أهل البدع لأنه إذا تابعهم فقد تشيه بهم فيكون منهم، وقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): ﴿كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار﴾.[1]

- تنبيهات :

- إذا كان الإنسان لا يقصد التشبه ولا يعلم ... فهذا لا شيء عليه.

أمّا إذا عَلِمَ ولم يقصد: فهذا حرام ... يأثم.

... التشبه لا يُشترط فيه القصد، وإنما يُشترط فيه العلم ... فإن كان هذا متعلّقًا بعقيدتهم كان أشدّ حرمة. [2]

---

[1] فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام للعلامة ابن عثيمين 337/6

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

- نص شيخ الإسلام ابن تيمية على أن حصول التشبه لا يشترط فيه القصد، فإنه يمنع منه ولو لم يقصده، لكن مع القصد يكون أشد إثما [1]

والشرع إنما علق الحكم بالتشبه؛ أي: بأن يفعل ما يشبه فعلهم، سواء قصد أو لم يقصد ... [2]

- ما علق بالعمل ثبت له حكمه وإن لم ينو الفعل؛ كالأشياء المحرمة؛ كالظهار، والزنا، وما أشبهها. [3]

- الأمورُ التي للمسلِمينَ فيها نَفعٌ يجوزُ لهم أن يأخُذوها مِن عَدُوِّهم، ولا يُسَمَّى تشَبُّهًا؛ لِما فيه من الإعدادِ والنَّفعِ العامِّ للمُسلِمينَ، وهكذا الأشياءُ التي اشتَرَكَ فيها المُسلِمونَ، وصارت من عادةِ الجَميعِ لا يكونُ فيها تشَبُّهٌ، وإنَّما التَّشَبُّهُ يكونُ فيما اختَصُّوا به، وصار من زِيِّهم الخاصِّ[4]

- خطر التشبه بالكفار :

جاءت النصوص الشرعية بتحريم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم في الأقوال والأفعال والألبسة والهيئة العامة؛ لما في ذلك من الخطر على عقيدة المسلم، وخشية أن يجره ذلك إلى استحسان ما هم عليه من الكفر والضلال، فقال عليه الصلاة والسلام: ﴿بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم (1) ﴾ رواه الإمام أحمد وغيره بسند جيد، وقال عليه الصلاة والسلام: ﴿ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى (2) ﴾ حديث حسن، رواه الترمذي وغيره.

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/243

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/408

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/408

[4] فتاوى نور على الدرب للعلامة ا بن باز 1/201

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - مبينا حكمة الشريعة في تحريم التشبه بالكفار، ووجوب مخالفتهم في الأمور الظاهرة؛ كالألبسة ونحوها:

(وقد بعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة: أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر - وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة - الأمور:

منها: أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس لثياب الجند المقاتلة مثلا يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيا لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

ومنها: أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة، توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام الذي هو الإسلام - لست أعني مجرد التوسم به ظاهرا أو باطنا بمجرد الاعتقادات، من حيث الجملة - كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنا وظاهرا أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التميز ظاهرا بين المهديين المرضين، ومن المغضوب عليهم والضالين، إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية.

هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحا محضا، لو تجرد عن مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم كان شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم، فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له) .

وبناء على ما تقدم فمما لا شك فيه أن من مظاهر الولاء للكفار: التشبه بهم، وارتداء ملابس تحمل شعاراتهم؛ كالصليب ونحوه، والعناية بصورهم، وتشجيع أنديتهم الرياضية، وتعليق أعلامهم على السيارات والبيوتات والمحال التجارية، والتسمي بأسمائهم الخاصة بهم، والدعوة إلى محبتهم وصداقتهم، والافتخار بالانتساب إليهم، وإلى رؤسائهم وأعيانهم، والانبهار بأهوائهم وأفكارهم المخالفة للإسلام. . إلى آخر تلك المحن والبلايا التي وقع فيها كثير من المنتسبين للإسلام، وما دروا أنهم بصنيعهم هذا يهدمون أصلا من أصول الإسلام في أنفسهم وفي نفوس المسلمين، ويزيدون الأمة وهنا على وهن، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

والواجب على جميع المسلمين التمسك بهدي الإسلام المستقيم، والحذر من الانحراف عنه إلى طريق المغضوب عليهم والضالين، من اليهود والنصارى وسائر المشركين، والتواصي بالبر والتقوى، وكل ما فيه خير وعز للإسلام والمسلمين، وترك كل ما فيه ضرر على المسلمين والإعانة عليه، وترويجه ونشره.[1]

53/ الشفاعة المحرمة :

- تعريف الشفاعة :

الشفاعة لغة: اسم من شفع يشفع، إذا جعل الشيء اثنين، والشفع ضد الوتر، قال تعالى: {وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}. واصطلاحا: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

مثال جلب المنفعة: شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الجنة بدخولها.

مثال دفع المضرة: شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لمن استحق النار أن لا يدخلها.[2]

---

[1] فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى 26/308

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/330

- فضل الشفاعة :

الشفاعة ... يقصد بها أمران، هما:

1. إكرام الشافع.

2. نفع المشفوع له. [1]

هذا إكرام للشافع من وجهين:

الأول: إكرام الشافع بقبول شفاعته.

الثاني: ظهور جاهه وشرفه عند الله تعالى.[2]

- مما ورد من الأدلة :

وقول الله تعالى: {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأنعام: 51]

وقوله: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} [الزمر: 44]

وقوله: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: 255][3]

وقوله: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى}[4] [النجم: 26]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 329/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 344/1

[3] الملوك في الدنيا يحتاجون إلى شفعاء؛ إما لقصور علمهم، أو لنقص قدرتهم؛ فيساعدهم الشفعاء في ذلك، أو لقصور سلطانهم ... ولكن الله عزوجل كامل العلم والقدرة والسلطان، فلا يحتاج لأحد أن يشفع عنده / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 329/1

[4] لا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه ... الكوني، والإذن لا يكون إلا بعد الرضا / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 336/1

قال الله تعالى : {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى}[1]

وقوله: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ - وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سبأ: 22 - 23][2]

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولا ثم يقال له: ارفع رأسك وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع﴾

﴿وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك قال صلى الله عليه وسلم " من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه﴾

- أهمية العلم بالشفاعة المحرمة :

أكثر مَن يقعون في الشرك من هذه الأمّة إنما يَقعون فيه من جهة الشفاعة، ويقولون: إنما نتقرَّب لهم ليكونوا شفعاء لنا . [3]

---

[1] كلما كمل سلطان الملك؛ فإنه لا أحد يتكلم عنده ولو كان بخير إلا بعد إذنه، ولذلك يعتبر اللغط في مجلس الكبير إهانة له ودليلا على أنه ليس كبيرا في نفوس من عنده / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 336/1

[2] الذي يستحق أن يُتقرَّب إليه:

- إما مالكٌ؛ ملكًا مطلقًا تامًّا.

- وإما شريكٌ للمالك.

- وإما مُعِين للمالك.

وهذا انتفى عن الجميع... وهذه الآية يقول العلماء: "إنها تقطع جزور الشرك" / شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

- **أقسام الشفاعة وأحكامها :**

الشفاعة تنقسم في الأصل إلى قسمين :

القسم الأوّل: الشفاعة في الدنيا. وهي تتنوَّع إلى نوعين:

النوع الأوّل: الشفاعة من المخلوق للمخلوق عند المخلوق ... وهي مشروعة إذا كانت حسنة، ويثاب عليها الإنسان ... قال الله عز وجل: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ ... وضابطها أن لا تكون في حرام ...

النوع الثاني: شفاعة المخلوق للمخلوق عند الله في الدنيا. والمعني بها: الدعاء، أي: أن يدعو المخلوق للمخلوق، فهذا جائز؛ بشرط: أن يكون ذلك مطلوبًا من الحي الحاضر ... وإن كان مراده: أن يشفع له عند الله يوم القيامة؛ فهذا لا يجوز؛ لأنّ الشفاعة يوم القيامة إنما تُطلَب من الله عز وجل. هذه الشفاعة في الدنيا.

القسم الثاني: الشفاعة في الأخرة. وهي المرادة في هذا الباب.

والشيخ –رحمه الله– ذَكَرَ أدلة فيها قواعد هذه الشفاعة.

وملخّص هذه القواعد ما يأتي:

القاعدة الأولى: أنّ الشفاعة كلّها لله ...

القاعدة الثاني: أنّ أدلة الشفاعة المطلَقة مقيَّدة بالأدلة الأخرى. فالأدلة النافية للشفاعة مقيَّدة بالأدلة المثبِتَةِ لها. والأدلة التي فيها أنّ الشفاعة تكون لَمَن قال لا إله إلا الله، أو لَمَن قال لا إله إلا الله يومًا، أو من ذكر الله يومًا؛ هذه مقيَّدة بالأدلة على أنّ الشفاعة إنما هي لأهل التوحيد ...

القاعدة الثالثة: أنّ الشفاعة في الآخرة شفاعتان:

1- شفاعة منفية.

2- شفاعة مثبتة.

أمّا الشفاعة المنفية فلها أربع صور:

الصورة الأولى: الشفاعة لأهل الشرك والكفر ... يوم القيامة.

الصورة الثانية: الشفاعة بغير إذن الله ...

الصورة الثالثة: الشفاعة لغير مَن يرضى الله عنه ... إلا ما استُثني؛ وهو:

1. شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم العظمى للفصل بين القضاء، فإنها تنال الجميع.
2. وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب.

الصورة الرابعة: شفاعة مَن يعبدون من دون الله لعابِدِيهم يوم القيامة ...

فهذه الشفاعة المنفيَّة، ضَبْطُها بهذه الصُوَر الأربعة.

- أمّا الشفاعة المثبَتة ... ثلاثة شروط في الشفاعة المثبَتة:

الشرط الأوَّل: إذن الله ...

الشرط الثاني: رضى الله عن الشافع نفسِه.

الشرط الثالث: رضى الله عن المشفوع له ... المقصود أن يكون موحِّدًا ...

القاعدة الرابعة ... : أنّ الشفاعة المثبَتة يوم القيامة تنقسم في الجملة إلى قسمين:

القسم الأوّل: شفاعة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، لا ينالها أحد سواه. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أُعطِيت خمسًا لم تُعطَ لأحد غيري﴾ وذكر منها: ﴿ الشفاعة﴾ متفق عليه...

وهذه الشفاعة التي يختصُّ بها نبينا صلى الله عليه وسلم على أنواع:

النوع الأوّل: الشفاعة العُظمى، وهي من المقام المحمود، وهي شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الموقف ... وذلك عندما يطلبون ذلك من الأنبياء... وهذه الشفاعة يَنتفع بها كل أهل الموقف، من جهة أنه يُفصَل بينهم في القضاء، ويَقضي الله بين الخلائق.

النوع الثاني: شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة ... فيقول الخازن: مَن أنت؟ فيقول: محمد، فيقول: ﴿بك أُمرتُ، لا أَفتح لأحد قَبلك﴾. فهنا تُفتح الجنة لأهلها ... ثم يشترك الناس في أبواب الجنة.

فالمقام المحمود للنبي صلى الله عليه وسلم في هاتين الشفاعتين كما دلت على ذلك الأدلة الصحيحة.

النوع الثالث: شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب بأن يخفَّف عنه العذاب ...

النوع الرابع: شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة. لَمن عاش فيها موحِّدًا، وصبر على لأْوائها وشدتها، ولم يَتسخَّط، ومات فيها... قال النبي صلى الله عليه وسلم عن المدينة: ﴿لا يصبر أحد على لَأْوَائها فيموت﴾ أي: فيها ﴿إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة إذا كان مسلمًا﴾ رواه مسلم ...

القسم الثاني: شفاعة تكون للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره. يكرم الله بها من شاء من عباده. وهي أنواع:

- النوع الأوّل: الشفاعة لأقوام مسلمين استحقوا دخول النار؛ فيشفع النبي صلى الله عليه وسلم لهم ليُخرجوا من النار، ويشفع لهم الأنبياء، ويشفع المؤمنون، وتشفع الملائكة لأولئك القوم لإخراجهم من النار، فيُخرج الله أقوامًا من النار بالشفاعة ... النبي صلى الله عليه وسلم فيها هو المقدَّم.

- النوع الثاني: الشفاعة لأقوام من الموحدين يستحقون دخول النار ألّا يدخلوها.

النوع الثالث: الشفاعة في رِفعة الدرجات في الجنة [1]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

- من ضل في باب الشفاعة :

الشفاعة ضَلَّ فيه طرفان:

- أمّا أحدهما فنفاها، وقال إنّ كلَّ مَن يَستحقُّ العذاب يدخل النار، وكلُّ مَن يدخل النار لا يَخرج منها؛ وهؤلاء الوعيدية من المعتزلة والخوارج ...

وأمّا الطرف الثاني فأثبتها على غير الوجه الذي دَلّت عليه الأدلة، فوقع في الشرك بالله، فكان ذلك سببًا للوقوع في الشرك...

والصواب في باب الشفاعة: ما دلَّت عليه النصوص بمجموعها؛ وهو: أنّ هناك:

- شفاعة منفية.

- شفاعة مثبتته... [1]

- الحامل للمشركين على دعوة غير الله والتوجه إليه شيئان :

1/ طلب القربة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذينَ اتَّخَذوا مِن دونِهِ أَولِياءَ ما نَعبُدُهُم إِلّا لِيُقَرِّبونا إِلَى اللَّهِ زُلفى﴾ [الزمر: ٣].

2 / طلب الشفاعة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَيَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَيَقولونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فلم يكن المشركون. يعتقدون أن معبوداتهم تدبر الأمر وتستقل بها تشاء ولكنهم كانوا يتوجهون إليها لتحصيل هذين الأمرين المذكورين : القربة والشفاعة

والفرق بين طلبهم القربة وطلبهم الشفاعة:

أ- أنهم يبتغون بالقربة تحصيل الرفعة والكمالات

ب- ويبتغون بالشفاعة دفع النقائص المعيبات. [2]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح القواعد الأربع العصيمي 18

- ابطال شبهتي القربة والشفاعة :

قد أبطل الله ما ابتغوْه من القربة والشفاعة :

1- فأما طلب القربة باتخاذهم الأولياء فأبطله الله بنفي وجودهم ، كما قال تعالى مخبرًا عن حالِهِم وقالِهِم: ﴿وَالَّذينَ اتَّخَذوا مِن دونِهِ أَولِياءَ ما نَعبُدُهُم إِلّا لِيُقَرِّبونا إِلَى اللَّهِ زُلفى﴾ [الزمر: **٣**]، فأكذبهم الله عزوجل وقال بعد ذكر دعواهم : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهدي مَن هُوَ كاذِبٌ كَفّارٌ﴾ ...

- الولي المنفي عن الله هو الولي الناصر الذي يعين الله سبحانه وتعالى ويدفع معه امّا الولي المنصور فهو ثابت في غير آية.

2- وأما الشفاعة التي يطلبون من آلهتهم فأبطلها الله بأربعة مسالك:

أ/ نفي وقوع الشفاعة من آلهتهم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَم يَكُن لَهُم مِن شُرَكائِهِم شُفَعاءُ وَكانوا بِشُرَكائِهِم كافِرينَ﴾ [الروم: **١٣**]

ب/ نفي ملك آلهتهم الشفاعة، وتحقيق أنها لله وحده، كما قال الله تعالى: ﴿قُل لِلَّهِ الشَّفاعَةُ جَميعًا﴾ [الزمر: **٤٤**].

ج/ امتناع شفاعة الشفعاء إلا من بعد إذن الله ورضاه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلا تَنفَعُ الشَّفاعَةُ عِندَهُ إِلّا لِمَن أَذِنَ لَه﴾ [سبأ: **٢٣**]، وقال: ﴿وَكَم مِن مَلَكٍ فِي السَّماواتِ لا تُغني شَفاعَتُهُم شَيئًا إِلّا مِن بَعدِ أَن يَأذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشاءُ وَيَرضى﴾ [النجم: **٢٦**].

د/ إبطال انتفاع الكافرين بشفاعة الشافعين، قال الله تعالى: ﴿فَما تَنفَعُهُم شَفاعَةُ الشّافِعينَ﴾ [المدثر: **٤٨**].[1]

---

[1] شرح القواعد الأربع للشيخ صالح العصيمي

- سؤال الله شفاعةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له طريقان :

أحدهما: امتثال المأمورات المحققة شفاعته، مما شُرع لنا؛ كالذكر الوارد بعد الأذان (اللهمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعوة التَّامَّة ...

والآخر: دعاء الله شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بأن يقول الدَّاعِي: (اللَّهم شَفْع في نبيك محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ... وكرِهَ بعض السلف هَذَا الدَّعاء؛ لما يوهمه سؤالُ اللهِ شفاعة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نقص حال العبدِ في مواقعة الخطيئات.

والصحيح: عدم كراهته، فإنَّ الشَّفاعة تُطلب لأمرين:

أحدهما: تحصيل الرتب والكمالات.

والآخر : نفي العيوب والآفات

فلو قدرت سلامة العبيد ن نقص بعيبه فهو مفتقر إلى كمال يرقى به [1]

54/ التوسل غير المشروع :

- تعريفه :

التّوسّل: هو التقرب إلى الشيء والتوصل إليه، والوسيلة: القربة، قال الله تعالى: {وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ} [المائدة: 35] . أي القربة إليه سبحانه بطاعته، واتباع مرضاته. [2]

- أنواع التوسل وأحكامه :

التوسل قسمان:

القسم الأول: توسل مشروع، وهو أنواع:

1 - النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته كما أمرَ الله تعالى بذلك في قوله: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

---

[1] شرح كشف الشبهات للشيخ صالح العصيمي

[2] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 141

[الأعراف: 180] .

2 - النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان والأعمال الصالحة التي قام بها المتوسل، كما قال تعالى عن أهل الإيمان: {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} [آل عمران: 193] وكما في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، فسدت عليهم باب الغار، فلم يستطيعوا الخروج، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم؛ ففرج الله عنهم فخرجوا يمشون.

3 - النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بتوحيده، كما توسل يونس عليه السلام: {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ} [الأنبياء: 87] .

4 - النوع الرابع: التّوسُّلُ إلى الله تعالى بإظهار الضَّعف والحاجة والافتقار إلى الله، كما قال أيوب عليه السلام: {أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأنبياء: 83] .

5 - النوع الخامس: التوسل إلى الله بدعاء الصالحين الأحياء، كما كان الصحابة إذا أجدبوا طلبوا من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو الله لهم، ولما تُوفي صاروا يطلبون من عمه العباس - رضي الله عنه - فيدعو لهم.

6 - النوع السادس: التّوسُّلُ إلى الله بالاعتراف بالذنب: {قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي} [القصص: 16] .

القسم الثاني: توسل غير مشروع: وهو التوسل بما عدا الأنواع المذكورة في التوسل المشروع، كالتوسل بطلب الدعاء والشفاعة من الأموات، والتوسل بجاه النبي - صلى الله عليه وسلم - والتوسل بذات المخلوقين أو حقهم، وتفصيل ذلك كما يلي:

1 - طلب الدعاء من الأموات لا يجوز: لأن الميت لا يقدر على الدعاء، كما كان يقدر عليه في الحياة، وطلب الشفاعة من الأموات لا يجوز؛ لأن عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - ومن بحضرتهما من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لمَّا أجدبوا استسقوا

وتوسَّلوا واستشفعوا بمن كان حيًّا، كالعباس وكيزيد بن الأسود، ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - لا عند قبره ولا عند غيره، بل عدلوا إلى البدل كالعباس وكيزيد، وقد قال عمر: (اللهم إنّا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنَّا نتوسل بعمّ نبيّنا فاسْقِنا) فجعلوا هذا بدلًا من ذلك، لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه.

وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره فيتوسلوا به يعني: لو كان جائزًا. فتركُهم لذلك دليلٌ على عدم جواز التوسل بالأموات، لا لطلب الدعاء والشفاعة منهم وهم أموات، فلو كان طلب الدعاء منه والاستشفاع به حيًّا وميّتًا سواء لم يعدلوا عنه إلى غيره ممن هو دونه.

2 - والتوسل بجاه النبي - صلى الله عليه وسلم - أو بجاه غيره لا يجوز: والحديث الذي فيه: ﴿إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم﴾ حديث مكذوب، ليس في شيء من كتب المسلمين التي يُعتمد عليها، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث وما دامَ لا يصح فيه دليل، فهو لا يجوزُ؛ لأن العبادات لا تثبت إلا بدليل صريح.

3 - والتوسل بذوات المخلوقين لا يجوز: لأنه إن كانت الباء للقسم، فهو إقسام به على الله تعالى، وإذا كان الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز، وهو شرك كما في الحديث؛ فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق جل وعلا؟ !

وإن كانت الباء للسببية فالله سبحانه لم يجعل السؤال بالمخلوق سببًا للإجابة، ولم يشرعه لعباده.

4 - والتوسل بحق المخلوق لا يجوز لأمرين:

الأول: أن الله سبحانه لا يجب عليه حقّ لأحد، وإنَّما هو الذي يتفضّل سبحانه على المخلوق بذلك، كما قال تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: 47] فكون المطيع يستحق الجزاء، هو استحقاق فضل وإنعام، وليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على

المخلوق.

الثاني: أن هذا الحق الذي تفضل الله به على عبده هو حقٌّ خاص به، لا علاقة لغيره به، فإذا توسل به غير مستحقه كان متوسلاً بأمر أجنبي، لا علاقة له به، وهذا لا يجديه شيئًا.

وأما الحديث الذي فيه: ﴿أسألك بحق السائلين﴾ فهو حديث لم يثبت؛ لأن في إسناده عطية العوفي، وهو ضعيف مجمع على ضعفه، كما قال بعض المحدثين، وما كان كذلك فإنه لا يُحتج به في هذه المسألة المهمة من أمور العقيدة، ثم إنه ليس فيه توسل بحقّ شخص معيّن، وإنما فيه التوسل بحق السائلين عمومًا، وحق السائلين الإجابة كما وعدهم الله بذلك وهو حق أوجبه على نفسه لهم، لم يوجبه عليه أحد، فهو توسل إليه بوعده الصادق لا بحق المخلوق. [1]

55/ التحاكم إلى غير الله :

قال تعالى : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ [2] وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً} ، الآيات، [النساء:60]. [3]

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 141

[2] فالأصنام والأمراء والحكام الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال طواغيت / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 180/2

[3] هم يزعمون أنهم آمنوا بذلك، لكن أفعالهم تكذب أقوالهم؛ حيث يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت لا إلى الله ورسوله.

قوله: "إلى الطاغوت": ... والمراد به هنا كل حكم خالف حكم الله ورسوله، وكل حاكم يحكم بغير ما أنزل الله على رسوله ...

فقوله: "بعيدا" أي: ليس قريبا، لكن بالتدريج شيئا فشيئا؛ حتى يوقعهم في الضلال البعيد ...

وقوله: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} ، الآية، [المائدة: من الآية50] . [1]

وعن عبد الله بن عمر؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يؤمن [2] أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " [1]

وقوله: {فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً} ، [النساء:62] ... والمصيبة هنا تشمل المصيبة الشرعية والدنيوية لعدم تضاد المعنيين. (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 167/2)

[1] ... الاستفهام للتوبيخ ... والمعنى: أفلا يبغون إلا حكم الجاهلية.

و"يبغون": يطلبون، والإضافة في قوله: "أفحكم الجاهلية" تحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون المعنى: أفحكم أهل الجاهلية الذين سبقوا الرسالة يبغون ...

ثانيها: أن يكون المعنى: أفحكم الجهل الذي لا يبنى على العلم يبغون ...

والإضافة للجاهلية تقتضي التقبيح والتنفير، وكل حكم يخالف حكم الله؛ فهو جهل وجهالة.

فإن كان مع العلم بالشرع؛ فهو جهالة، وإن كان مع خفاء الشرع؛ فهو جهل، والجهالة هي العمل بالخطأ سفها لا جهلا ... وأما من يعمل السوء بجهل فلا ذنب عليه، لكن عليه أن يتعلم ...

وقوله: "حكما": ... والحكم هنا يشمل الكوني والشرعي.

فإن قيل: يوجد في الأحكام الكونية ما هو ضار مثل الزلازل والفيضانات وغيرها؛ فأين الحسن في ذلك؟

أجيب: أن الغايات المحمودة في هذه الأمور تجعلها حسنة، كما يضرب الإنسان ولده تربية له ... وكلما ازداد العبد يقينا وإيمانا ازداد معرفة بحسن أحكام الله، وكلما نقص إيمانه ويقينه ازداد جهلا بحسن أحكام الله، ولذلك تجد أهل العلم الراسخين فيه إذا جاءت الآيات المتشابهات بينوا وجه ذلك بأكمل بيان ولا يرون في ذلك تناقضا، وعلى هذا؛ فإنه يتبين قوة الإيمان واليقين بحسب ما حصل للإنسان من معرفته بحسن أحكام الله الكونية والشرعية (القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 174/2)

[2] قال: ﴿لَا يُؤْمِنُ﴾، هذه الجملة عند أهل العلم من علامات الكبائر / شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

قال النووي: " حديث صحيح، رويناه في كتاب " الحجة "، بإسناد صحيح "

وقال الشعبي: " كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود [2] خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد؛ عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة، فيتحاكما إليه، فنزلت: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ} ، الآية، [النساء: من الآية60] ".[1] [3]

---

[1] ... "لا يؤمن أحدكم ": أي: إيمانا كاملا، إلا إذا كان لا يهوى ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم بالكلية ... وإذا كان هواه تبعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لزم من ذلك أن يوافقه تصديقا بالأخبار، وامتثالا للأوامر، واجتنابا للنواهي.

واعلم أن أكثر ما يطلق الهوى على هوى الضلال لا على هوى الإيمان ...

- من اعتقد أن حكم غير الله مساو لحكم الله، أو أحسن، أو أنه يجوز التحاكم إلى غير الله؛ فهو كافر. وأما من لم يكن هواه تبعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فإن كان كارها له؛ فهو كافر، وإن لم يكن كارها ولكن آثر محبة الدنيا على ذلك؛ فليس بكافر، لكن يكون ناقص الإيمان . / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 176/2

[2] ... وسمي منافقا من النافقاء، وهي جحر اليربوع، واليربوع له جحر له باب وله نافقاء - أي يحفر في الأرض خندقا حتى يصل منتهى جحره ثم يحفر إلى أعلى، فإذا بقي شيء قليل بحيث يتمكن من دفعه برأسه توقف -، فإذا حجر عليه من الباب خرج من النافقاء... / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 177/2

[3] ... والرشوة هي: المال المدفوع للتوصل إلى شيء .

قال أهل العلم: "لا تكون محرمة إلا إذا أراد الإنسان أن يتوصل بها إلى باطل أو دفع حق، أما من بذلها ليتوصل بها إلى حق له منع منه أو ليدفع بها باطلا عن نفسه؛ فليست حراما على الباذل، أما على آخذها؛ فحرام" / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 178/2

وقيل: " نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله" . [1]

- الفرق بين الحكم والتحاكم :

الحكم: يعود إلى الحاكم، سواء كان الحاكم العام، أو القاضي.

والتحاكم: هو فعل العامة، بالرجوع إلى من يحكم . [2]

---

[1] قوله: "وقيل": ذكر هذه القصة بصيغة التمريض، لكن ذكر في "تيسير العزيز الحميد" أنها رويت من طرق متعددة، وأنها مشهورة متداولة بين السلف والخلف تداولا يغني عن الإسناد، ولها طرق كثيرة ولا يضرها ضعف إسنادها. اه.

وهذه القصة والتي قبلها تدل على أن من لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كافر يجب قتله، ولهذا قتله عمر رضي الله عنه. / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 179/2

❋ هنا إشكال: كيف قتل عمر –رضي الله عنه– هذا الرجل وهو ليس ولي أمر؟ وهذا إنما هو من عمل ولي الأمر؟

أُجيبَ عن هذا بأجوبة:

-قال بعض اهل العلم: إنّ عمر –رضي الله عنه– غار على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يملك نفسه، وهذا قاله بعض أهل العلم ولكنه عندي ليس بقوي والله أعلم.

-قال بعض اهل العلم: إنّ عمر –رضي الله عنه– كان وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يُنفِّذ الأحكام، فقتله بحكم كونه وزيرًا لرسول الله. وهذا أقوى من الذي قبله.

لكنّ الأقوى والله أعلم: أنّ عمر فهم ... أنّ المراد ليس أن يحكم بينهما، ولكن المراد أن يقتل مَن لم يقبل حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم / شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

- أنواع التحاكم بين الناس وأحكامها :

التحاكم بين الناس على ثلاثة أنحاء:

الأوّل: التحاكم إلى شرع الله. إذا وقع بين الناس نزاع في أمر من أمورهم الدينية أو الدنيوية يتحكامون إلى الكتاب والسنة، إلى شرع الله عز وجل، وهذا فرض من الفرائض القطعية في الدين، ولا عدل في غيره، إنما العدل في التحاكم إلى شرع الله عز وجل.

الثاني: التحاكم إلى أنظمة تخالف شرع الله. فلله حُكمٌ وللنظام حُكمٌ آخر والعياذ بالله، وللقانون حُكم آخر والعياذ بالله. الله عز وجل ... فالتحاكم إلى هذه الأنظمة التي تخالف شرع الله عز وجل معصية كبرى، وجريمة عظمى، وسبب للظلم وللفساد في الأرض. وسيأتي فيها تفصيل في درجات هذا الحكم إن شاء الله عز وجل، ولكن نتكلم الآن عن الحكم الإجمالي.

الثالثة: التحاكم إلى أنظمة بشرية لا تخالف شرع الله. التحاكم إلى أنظمة وضعها بشر ولكنّ هذه الأنظمة لا تخالف شرع الله عز وجل، بل هي في أمورٍ مسكوتٍ عنها شرعًا أو نحو ذلك مما لا يخالف شرع الله، وهذا التحاكم جائز، وهو في حقيقته راجع إلى التحاكم إلى شرع الله ... فحيث ما وُجِدَ العدل فثَمَّ حكم الله" ...

التحاكم إلى أنظمةٍ تخالف شرع الله ليس على درجة واحدة، بل هو على أقسام، ولابد من ضبطها حتى لا تختلط الامور :

القسم الأوّل: أن يتحاكم المتحاكم إلى تلك الأنظمة متنقِّصًا شرع الله، وكارهًا لشرع الله ... وهذا -والعياذ بالله- كفر أكبر.

القسم الثاني: أن يتحاكم إلى تلك الأنظمة المخالفة لشرع الله وهو يعتقد أنها أحسن من حكم الله، وأحرى بتحقيق العدل من حكم الله، وهذا كفر أكبر.

القسم الثالث: أن يتحاكم إلى تلك الأنظمة المخالفة لشرع الله عز وجل وهو يعتقد أنها مساوية لشرع الله، فالكل عنده سواء ... وهذا -أيضًا- كفر أكبر .

القسم الرابع: أن يتحاكم إلى تلك الأنظمة المخالفة لشرع الله وهو يعتقد أنّ حكم الله أحسن وأكمل وأعدل لكن يعتقد أنه يجوز التحاكم إلى ما خالَفه، إذا كلمته قال: نعم حُكم الله أحسن للناس وأكمل لكن يجوز التحاكم إلى ما يخالف حكم الله، وهذا أيضًا كفر أكبر .

وتلْحَظون هنا أمرين لابد منهما :

الأمر الأوّل: أنّ الحكم هنا على الفعل، لا على الفاعل ... الحكم على الفاعل فله شأن آخر يُنظَر فيه في اجتماع الشروط وانتفاء الموانع، كما هو معلوم. وهذا الحال في كتاب التوحيد كله [1]

- يخطئ فريقان عند قراءة كتاب التوحيد :

الأوّل: فريق يكفِّر الناس بأعيانهم ...

الثاني: فريق يتَّهم كتاب التوحيد بتكفير الناس ... الحكم هنا إنما هو على الأفعال.

ويَلحق بهم فريق ثالث –نذكره من باب المناسبة-: وهم فريق يكرِّسون في أذهانهم أن الحكم على معيَّن بأنه كافر يعني جواز قتله ... يقتله ولي الأمر أو مَن يقوم مقامه، فهذا الأمر ينبغي أن يتنبه له...

هذه الأحكام المذكورة متعلقة بأمر خفي، متعلقة بما في القلب، فلا يجوز لأحد أن يتسلط على قلوب الناس ... إلا إذا صرَّح هو بمعتقده، والأصل فيمَن أتى بالشهادتين الإسلام حتى يَثبُت خلاف ذلك...

القسم الخامس: أن يتحاكم إلى تلك الأنظمة وهو يعقد أنه عاص ولكن تغلبه شهوته وهواه، فهذه كبيرة من كبائر الذنوب وليست كفرًا [2]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

- التحاكم إلى أنظمة تخالف شرع الله حال الاضطرار :

بقي أمرٌ يتحدَّث عنه العلماء ويحتاجه الناس ولابد من بيانه: وهو التحاكم إلى أنظمة تخالف شرع الله حال الاضطرار ... من أهل العلم من يقول: يترك حقه ما لم تَستحكم الضرورة ... وقال أكثر العلماء -وهو الراجح-: يجوز له أن يتحاكم إلى تلك الأنظمة مع كراهيته له بشروط:

الشرط الأوّل: أن يكون كارهًا لتلك الأنظمة، ولا يرضى بها، وقلبه متطمئن بأن شرع الله هو الحق، ولكنه مكرَه، فهو يذهب إليها مكرهًا كارهًا.

الشرط الثاني: أن يكون الضرر متحقِّقًا، ليس موهومًا ولا متوقعًا؛ وإنما متحقق وموجود.

الشرط الثالث: أن يكون الضرر عظيمًا، ما تكون في عشرة آلاف أو عشرين ألف، فمفسدة التحاكم إلى تلك الأنظمة أعظم من مفسدة ذهابها، وإنما يكون الضرر عظيمًا، والمفسدة فيه عظيمة.

الشرط الرابع: أن لا يوجد طريق غير تلك المحاكم ...

الشرط الخامس: أن يقتصر المتحاكم على حقه الشرعي ولا يأخذ ما يزيد على ذلك ... حتى لو حكمت به المحكمة هذه لا يجوز له أن يأخذه .... وأمّا الحكم مسألة أخرى .[1]

- فائدة :

الذي يميل إلى أمر حرَّمه الله، أو أراد أمرًا حرَّمه الله، أو فعل أمرًا حرَّمه الله لا يَكفُر بهذا؛ إلا:

-إذا كان هوه كلُّه تَبَعًا لِمَا خالف شرع الله.

-أو كان هواه هذا مبنيًّا على كُرْهِ شرع الله، فإنه إذ ذاك يكون كفرًا.

- أو كان استحلالًا لِمَا حرَّم الله، فإنه يكون كفرًا...

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

فإذا سَلِمَ من كل هذا فإنه لا يكون كفرًا لكنه يكون حرامًا.[1]

56/ الحكم بغير ما أنزل الله :

من مقتضى الإيمان بالله تعالى وعبادته الخضوع لحكمه والرضا بشرعه والرجوع إلى كتابه وسنة رسوله عند الاختلاف في الأقوال وفي الأصول وفي الخصومات وفي الدماء والأموال وسائر الحقوق. فإن الله هو الحكم وإليه الحكم. فيجب على الحكام أن يحكموا بما أنزل الله. ووجب على الرعية أن يتحاكموا إلى ما أنزل الله في كتابه وسنة رسوله قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} [النساء: 58] وقال في حق الرعية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء: 59][2]

- حكم من حكم بغير ما أنزل الله :

وصف الله الحاكمين بغير ما أنزل الله بثلاثة أوصاف:

1- قال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} ، [المائدة: من الآية44] .

وقال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} ، [المائدة: من الآية45] .

3- وقال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} ، [المائدة: من الآية47] .

واختلف أهل العلم في ذلك : فقيل: إن هذه الأوصاف لموصوف واحد؛ لأن الكافر ظالم؛ لقوله تعالى: {وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} ، [البقرة: من الآية254] ، وفاسق؛ لقوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ} ، [السجدة: من الآية20] ، أي: كفروا.

وقيل: إنها لموصوفين متعددين، وإنها على حسب الحكم، وهذا هو الراجح.

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] التوحيد للعلامة صالح الفوزان 63

فيكون كافرا في ثلاثة أحوال:

أ- إذا اعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله، بدليل قوله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} ، [المائدة: من الآية50] ، فكل ما خالف حكم الله؛ فهو من حكم الجاهلية، بدليل الإجماع القطعي على أنه لا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله فالمحل والمبيح للحكم بغير ما أنزل الله مخالف لإجماع المسلمين القطعي، وهذا كافر مرتد، وذلك كمن اعتقد حل الزنا أو الخمر أو تحريم الخبز أو اللبن.

ب- إذا اعتقد أن حكم غير الله مثل حكم الله.

ج- إذا اعتقد أن حكم غير الله أحسن من حكم الله. بدليل قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} ، [المائدة: من الآية50] ؛ فتضمنت الآية أن حكم الله أحسن الأحكام، بدليل قوله تعالى مقررا ذلك: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} ، [التين:8] ، فإذا كان الله أحسن الحاكمين أحكاما وهو أحكم الحاكمين؛ فمن ادعى أن حكم غير الله مثل حكم الله أو أحسن فهو كافر لأنه مكذب للقرآن.

ويكون ظالما: إذا اعتقد أن الحكم بما أنزل الله أحسن الأحكام، وأنه أنفع للعباد والبلاد، وأنه الواجب تطبيقه، ولكن حمله البغض والحقد للمحكوم عليه حتى حكم بغير ما أنزل الله؛ فهو ظالم.

ويكون فاسقا: إذا كان حكمه بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه مع اعتقاده أن حكم الله هو الحق، لكن حكم بغيره لهوى في نفسه؛ أي: محبة لما حكم به لا كراهة لحكم الله ولا ليضر أحدا به، مثل: أن يحكم لشخص لرشوة رشي إياها، أو لكونه قريبا أو صديقا، أو يطلب من ورائه

حاجة، وما أشبه ذلك مع اعتقاده بأن حكم الله هو الأمثل والواجب اتباعه؛ فهذا فاسق، وإن كان أيضا ظالما، لكن وصف الفسق في حقه أولى من وصف الظلم. [1]

- تنبيه :

مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه حتى يتبين له الحق لأن المسألة خطيرة – نسأل الله تعالى أن يصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم – كما أن على المرء الذي آتاه الله العلم أن يبينه لهؤلاء الحكام لتقوم الحجة عليهم وتتبين المحجة فيهملك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، ولا يحقرن نفسه عن بيانه ولا يهابن أحداً فيه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. [2]

- الناس مع حكامهم في الطاعة أحوال :

الله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} [سورة النساء، الآية: 59] ... الأمراء إذا كانوا أقوياء في سلطتهم فإن الناس يطيعونهم بقوة السلطان وإن لم يكن بوازع الإيمان، لأن طاعة ولي الأمر تكون بوازع الإيمان وهذه هي الطاعة النافعة، النافعة لولاة الأمر، والنافعة للناس أيضاً، وقد تكون الطاعة بوازع السلطان بحيث يكون قوياً يخشى الناس منه ويهابونه لأنه ينكل بمن خالف أمره.

ولهذا نقول إن الناس مع حكامهم في هذه المسألة لهم أحوال :

الحال الأولى: أن يقوى الوازع الإيماني والرادع السلطاني وهذه أكمل الأحوال وأعلاها.

الحال الثانية: أن يضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني وهذه أدنى الأحوال وأخطرها على المجتمع، على حكامه ومحكوميه؛ لأنه إذا ضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني حصلت

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/158

[2] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 159

الفوضى الفكرية والخلية والعملية.

الحال الثالثة: أن يضعف الوازع الإيماني ويقوى الرادع السلطاني وهذه مرتبة وسطى لأنه إذا قوى الرادع السلطاني صار اصلح للأمة في المظهر فإذا أختفت قوة السلطان فلا تسأل عن حال الأمة وسوء عملها .

الحال الرابعة: أن يقوي الوازع الإيماني ويضعف الرادع السلطاني فيكون المظهر أدنى منه في الحال الثالثة لكنه فيما بين الإنسان وربه أكمل واعلى .[1]

57/ تشريع الأحكام :

تشريع الأحكام التي يسير عليها العباد في عباداتهم ومعاملاتهم وسائر شئونهم، والتي تفصل النزاع بينهم وتُنهي الخصومات حق لله تعالى رب الناس، وخالق الخلق: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 54] .

وهو الذي يعلم ما يصلح عباده، فيشرعه لهم، فبحكم ربوبيته لهم يشرِّعُ لهم، وبحكم عبوديتهم له يتقبلون أحكامه، والمصلحةُ في ذلك عائدة إليهم، قال تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء: 59] .

وقال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي} [الشورى: 10] .

واستنكر سبحانه أن يتخذ العباد مُشرِّعًا غيره فقال: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: 21] .[2]

---

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 152

[2] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 123

- **حكم التشريع :**

التشريع على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يسن العبد قوانين وأمورا سكت عنها الشارع في العبادات، أن يسن العبد، ويرتب أمورة، سكت عنها الشارع في العبادات، وهذا ابتداع في الدين، من سن في العبادات أمرا سكت عنه الشارع فشرعه للناس، ودعا الناس إليه، كمن سن الموالد للنبي ، أو للصحابة، أو لآل البيت ، أو للأولياء، أو لغير ذلك، فقد ابتدع، وكان له نصيب من قول الله : {أم لهم شركاؤأ شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) [الشورى: ٢١].

العبادات الأصل فيها التوقيف، فإذا سكت الشارع عنها فمعنى ذلك المنع، فمن سن عباده بأصلها أو وصفها سكت عنها الشرع فقد ابتدع.

والقسم الثاني: أن يسن العبد قوانين، ويرتب أمور، في أمور سكت عنها الشارع، والأصل فيها الإذن والتوسعة، كالعادات والمعاملات، يسن العبد قوانين وأنظمة، ويرتب أمور، في أمور سكت عنها الشارع، لم يأت فيها حكم، وهذه الأمور الأصل فيها التوسعة، والإذن، والإباحة، كالعادات والمعاملات، وهذا جائز لا حرج فيه. وقد يكون مطلوبة، إذا تعلقت به المصالح العامة، أن ينظم ولي الأمر سوق العمل، وسوق المال، ويصدر القوانين والأنظمة، فهذا مطلوب منه، لأن المجمع عليه أن التصرف على الرعية منوط بالمصلحة، وأنه يجب على ولي الأمر أن يسعى للرعية بأحسن الوجوه، وأصلح الوجوه، ما أمكنه هذا.

والقسم الثالث: أن يسن العبد قوانين وأنظمة تخالف شرع الله، فيجعل نظام وقانون وضعيا يخالف شرع الله، كمن يحكم بأن شرب الخمر لا يقتضي عقوبة، أو يفصل؛ إن شرب في البيت، أو في غير قيادة السيارة، أو في الحانات المصرح بها، فلا عقوبة فيه، وإن شرب كذا فعقوبته كذا، فهذا نظام يخالف ما أنزل الله .

وهذا على درجتين:

الدرجة الأولى: أن يبدل شرع الله باختياره، يعني هذا – يا إخوة– يأتي ويجد شرع الله محكما، فيبدل شرع الله بالقوانين الوضعية التي تخالفه باختياره، كما فعل من أسقط الخلافة العثمانية، وبدل ما وجده من شرع الله بالأحكام العلمانية، والقوانين الوضعية. وهذا قد ذهب جماعات من أهل العلم إلى تكفيره، وقالوا: فعله كفر، وهو كافر. ونقل تلاميذ الشيخ ابن باز الله عنه أن هذا لا يكفر إلا إذا كان معتقد أنه أحسن أو مثل شرع الله، أو أنه يجوز العمل به، أما إذا كان معتقدا أن شرع الله أحسن، وهو الذي يجب أن يعمل به، لكن بدله، فإنه لايكفر

وقد سئل رحمه الله : هل فيه فرق بين التبديل ككل، والحكم في قضية واحدة –أي بغير ما أنزل الله ؟ فقال الله : إن كان لم يقصد بذلك الاستحلال، وإنما حكم بذلك لأجل أسباب أخرى، يكون كفر دون كفر، أما إذا قال : يباح، ولا حرج في الحكم بغير ما أنزل الله، فإنه يكفر، وإن قال: الشريعة أفضل. فهنا تعلم أن الشيخ ابن باز الله لا يفرق بين التبديل والحكم، بل يفصل التفصيل الذي سنسمعه في الحكم بغير ما أنزل الله.

والدرجة الثانية: أن يجد الحكم بالقوانين قائما، ويسن مثلها، أن يجد الحكم بالقوانين قائما في البلد، ليس فيه تحكيم شرع الله، وإنما فيه الحكم بالقوانين الوضعية المخالفة لشرع الله، ويسن مثلها، سواء كان فردا أو كان هيئة – كالبرلمان –، فهذا التفصيل فيه: هو التفصيل في الحكم بغير ما أنزل الله، ينظر في حاله.

ويضاف إلى ذلك قسم ثالث لهذه الدرجة الثانية، وهو: من لا يستطيع تغيير تلك الطريقة – أعني الحكم بالقوانين –، وهو يأخذ بالتدرج، ويفعل الممكن، مع إرادته الصادقة في تحكيم شرع الله عزل، فهذا لا يكفر. جاء ووجد القوانين الوضعية المخالفة لما أنزل الله محكمة، وهو

لا يستطيع أن يغير هذا، فأخذ بالتدرج، وفعل الممكن، مع إرادته الصادقة أن يحكم شرع الله، فهذا لا يكفر بفعله هذا .[1]

58/ الخروج على الحاكم :

- السمع والطاعة لولي الأمر :

السمع والطاعة كلمتان لهما معنى :

- فالسمع: هو الإصغاء لكلام وليّ الأمر، والعناية به، وعدم الإعراض عنه.
- والطاعة: هي الانقياد والامتثال لأمر ولي الأمر.

فبعض الناس -الله المستعان- لا سمعٌ ولا طاعةٌ، لا يسمع أصلاً لوليّ الأمر ولا يطيع لوليّ الأمر، وبعض الناس يسمع ولا يطيع، وأهل السنة والجماعة يسمعون ويطيعون في غير معصية الله عز وجل ".[2]

- وُجُوبِ طَاعَةِ وَلِي الأَمْرِ :

السَّمْعُ والطَّاعَةُ لولاة الأمر من المسلمين – في غير معصية – مجمع على وجوبه عند أهل السنة والجماعة ، وهو أصل من أُصولهم التي باينوا بها أهل البدع والأهواء. وقَلَّ أَنْ نَرَى مُؤَلَّفًا في عقائد أهل السنة إلا وفيه النصّ على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر ، وإِن جَارُوا وَظَلَمُوا ، وإِنْ فَسَقُوا وَفَجَرُوا!

وقد نَقَلَ الإجماع على ذلك غيرُ واحدٍ من الأئمة منهم حرب الكرماني (ت: ٢٨٠ هـ)- صاحب الإمام أحمد- حيث قال: والانقيادُ لِمَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُم ، لا تَنْزِعُ يَدا من طَاعَتِهِ ، ولا

---

[1] شرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان الرحيلي

[2] شرح الأصول الستة الرحيلي

تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فَرَجًا وَمَخْرَجًا ، ولا تخرج على السلطان ، وتسمعُ ، وتُطيعُ ، وَلَا تَنْكُثْ بَيْعَتَهُ ، فَمَنْ فَعَل ذلك ؛ فهو مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ للجَمَاعَةِ ﴾ [1]

- أهل السنة رحمهم الله يخالفون أهل البدع تمامًا؛ فيرون إقامة الحج مع الأمير، وإن كان من أفسق عباد الله. [2] ويرون ... الجهاد، والجمع، والأعياد، مع الأمراء، أبراراً كانوا أو فجاراً [3]

---

[1] هيبة ولي الأمر للشيخ دغش العجمي 49

[2] شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثيمين 336/2

[3] الأبرار: جمع بر، وهو كثير الطاعة، والفجار: جمع فاجر وهو العاصي كثير المعصية.

فأهل السنة رحمهم الله يخالفون أهل البدع تماماً، فيرون إقامة الحج مع الأمير، وإن كان من أفسق عباد الله.

وكان الناس فيما سبق يجعلون على الحج أميراً، كما جعل النبي صلي الله عليه وسلم أبا بكر أميراً على الحج في العام التاسع من الهجرة، وما زال الناس على ذلك، يجعلون للحجة أميراً قائداً يدفعون ويقفون بوقوفه، وهذا هو المشروع، لأن المسلمين يحتاجون إلي إمام يقتدون به، أما كون كل إنسان على رأسه، فإنه يحصل به فوضى واختلاف.

... بشرط أن لا يخرجه فسقه إلي الكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان، فهذا لا طاعة له، ويجب أن يزال عن تولي أمور المسلمين، لكن الفجور الذي دون الكفر مهما بلغ، فإن الولاية لا تزول به، بل هي ثابتة، والطاعة لولي الأمر واجبة في غير المعصية خلافاً للخوارج، الذين يرون أنه لا طاعة للإمام والأمير إذا كان عاصياً، لأن من قاعدتهم: أن الكبيرة تخرج من الملة.

وخلافاً للرافضة الذين يقولون: إنه لا إمام إلا المعصوم ...

فأهل السنة والجماعة لديهم بعد نظر، لأن المخالفات في هذه الأمور معصية لله ورسوله، وتجر إلى فتن عظيمة.

فما الذي فتح باب الفتن والقتال بين المسلمين والاختلاف في الأراء إلا الخروج على الأئمة؟! ...

ولكن هذا لا يعني أن أهل السنة والجماعة لا يرون أن فعل الأمير منكر، بل يرون أنه منكر، وأن فعل الأمير للمنكر قد يكون أشد من فعل عامة الناس، لأن فعل الأمير للمنكر يلزم منه زيادة على إثمه محذوران عظيمان:

الأول: اقتداء الناس به وتهاونهم بهذا المنكر.

والثاني: أن الأمير إذا فعل المنكر سيقل في نفسه تغييره على الرعية أو تغيير مثله أو مقاربه.

لكن أهل السنة والجماعة يقولون: حتي مع هذا الأمر المستلزم لهذين المحذورين أو لغيرهما، فإنه يجب علينا طاعة ولاة الأمور، وإن كانوا عصاة، فنقيم معهم الحج والجهاد، وكذلك الجمع، نقيمها مع الأمراء، ولو كانوا فجاراً...

أهل السنة والجماعة يرون صحة الجمعة خلف الأمير المبتدع إذا لم تصل بدعته إلي الكفر، لأنهم يرون أن الاختلاف عليه في مثل هذه الأمور شر، ولكن لا يليق بالأمير الذي له إمامة الجمعة أن يفعل هذه المنكرات.

وكذلك أيضاً إقامة الأعياد مع الأمراء الذي يصلون بهم، أبراراً كانوا أو فجاراً.

وبهذه الطريق الهادئة يتبين أن الدين الإسلامي وسط بين الغالي في والجافي عنه.

فقد يقول قائل: كيف نصلي خلف هؤلاء ونتابعهم في الحج والجهاد والجمع والأعياد؟ !

فنقول: لأنهم أئمتنا، ندين لهم بالسمع والطاعة: امتثالاً لأمر الله بقوله:) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ([النساء: 59]. ولأمر النبي صلي الله عليه وسلم بقوله: " إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها". قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال: " أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم " . وحقهم: طاعتهم في غير معصية الله.

وعن وائل بن حجر، قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله صلي الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: يا نبي الله! أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ قال: " اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم "

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: بايعنا رسول الله صلي الله عليه وعلي آله وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله. قال: " إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان " .

ولأننا لو تخلفنا عن متابعتهم، لشققنا عصا الطاعة الذين يترتب على شقه أمور عظيمة، ومصائب جسيمة.

والأمور التي فيها تأويل واختلاف بين العلماء إذا ارتكبها ولاة الأمور، لا يحل لنا منابذتهم ومخالفتهم، لكن يجب علينا مناصحتهم بقدر المستطاع فيما خالفوا فيه، مما لا يسوغ فيه الاجتهاد، وأما ما يسوغ فيه الأجتهاد، فنبحث معهم فيه بحث تقدير واحترام، لنبين لهم الحق، لا على سبيل الانتقاد لهم والانتصار للنفس، وأما منابذتهم وعدم طاعتهم، فليس من طريق أهل السنة والجماعة./ شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثيمين 336/2

- أدلة السمعُ والطاعةُ في المعروف في غير معصية :

يدلُّ لذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} ، وجاء في السنَّة أحاديثُ كثيرةٌ في السمع والطاعة لولاة الأمور، وقد مرَّ منها قريباً حديثُ عبد الله ابن عمر، وأبي هريرة، وأبي ذر، وعبادة ابن الصامت.

وروى النَّسائي (4168) بإسنادٍ صحيح عن جرير رضي الله عنه قال: بايعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم على السَّمع والطَّاعة، وأن أنصح لكلِّ مسلمٍ".

وفي صحيح مسلم (1847) في حديثٍ طويلٍ عن حذيفةَ رضي الله عنه قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "تسمعُ وتُطيعُ للأمير، وإنْ ضرب ظهرك وأخذَ مالك، فاسمعْ وأطعْ".

وروى البخاري (7137) ومسلم (1835) واللفظُ لمسلم، عن أبي هريرة عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: " مَن أطاعني فقد أطاع اللهَ، ومَن يعصِني فقد عصى اللهَ، ومَن يُطع الأميرَ فقد أطاعني، ومَن يعصِ الأميرَ فقد عصاني".

وروى مسلم في صحيحه (1846) عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: "سأل سلمةُ بن يزيد الجعفي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا نبيَّ الله! أرأيتَ إن قامتْ علينا أُمراءُ يسألونا حقَّهم ويمنعونا حقَّنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسمعوا وأطيعوا؛ فإنَّما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتُم".

وفي تفسير القرطبي (259/5) أنَّ سهلَ بن عبد الله التستري قال: "إذا نهى السلطانُ العالمَ أن يُفتِيَ فليس له أن يُفتي، فإن أفتى فهو عاصٍ، وإنْ كان أميراً جائراً"، ويدلُّ لذلك حديثُ عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يقصُّ إلاَّ أميرٌ أو مأمورٌ أو مختالٌ" رواه الإمام أحمد (24005) وأبو داود (3665) وهو حديثٌ صحيحٌ بطرقه، وانظر تعليقَ الألباني على المشكاة على حديث رقم (240).

وكان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يُفتي بالتَّمتُّع في الحجِّ، فبلغه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه يأمر بالإفراد، فقال: "يا أيها الناس! مَن كنَّا أفتيناه فُتيا فلْيتَّئِدْ؛ فإنَّ أميرَ المؤمنين قادمٌ عليكم، فبه فائْتمُّوا"، أخرجه مسلم في صحيحه (1221) .

وفي سنن البيهقي (3/144) عن عبد الرحمن بن يزيد قال: "كنَّا مع عبد الله بن مسعود بجمع، فلمَّا دخل مسجد منى قال: كم صلّى أميرُ المؤمنين؟ قالوا: أربعاً، فصلّى أربعاً، قال: فقلنا: ألم تُحدِّثْنا أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم صلّى ركعتين، وأبا بكر صلّى ركعتين، فقال: بلى! وأنا أُحدِّثكموها الآن، ولكنَّ عثمان كان إماماً فما أخالفه، والخلافُ شرٌّ".

وهو عند أبي داود (1960) ، ورواه البيهقي مِن طريقه (3/143) ، وفي إسناده مَن أُبهم، وعند البيهقي من طريقٍ أخرى فيها مَن أُبهم، وفيها: "قال: إنِّي أكرهُ الخلافَ". وإتمامُ الصلاة في السّفر خلافُ الأَوْلى، قد فعله ابنُ مسعود تركاً لمخالفة عثمان.

وفي صحيح البخاري (956) ومسلم (889) في قصَّة بَدْء مرْوان بالخُطبة يومَ العيد قبل الصلاة، وإنكارِ أبي سعيد الخدري عليه ذلك، ذكر الحافظ في الفتح (2/450) مِن فوائد الحديث: "جوازُ عمل العالم بخلاف الأَوْلى إذا لم يوافقْه الحاكمُ على الأَوْلى؛ لأنَّ أبا سعيد حضر الخطبةَ ولم ينصرفْ، فيُستدلُّ به على أنَّ البداءة بالصلاة فيها ليس بشرطٍ في صحَّتِها، والله أعلم".

وقال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (2/117) : "وأمَّا السمعُ والطاعةُ لوُلاة أمور المسلمين، ففيها سعادةُ الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معايشِهم، وبها يستعينون على إظهار طاعة ربِّهم".[1]

[1] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 173

- **حكم طاعة الخليفة وولاة الأمور :**

طاعة الخليفة وغيره من ولاة الأمور واجبة في غير معصية الله لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء: 59] .

ولقوله صلى الله عليه وسلم: "السمع والطاعة على المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" متفق عليه147.

وسواء كان الإمام بَرًّا: وهو القائم بأمر الله فعلا وتركًا، أو فاجرًا: وهو الفاسق؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "إلا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئا من معصية فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدًا من طاعة". رواه مسلم148.

والحج والجهاد مع الأئمة ماضيان نافدان وصلاة الجمعة خلفهم جائزة سواء كانوا أبرارًا أو فجارًا؛ لأن مخالفتهم في ذلك توجب شق عصا المسلمين والتمرد عليهم

والخروج على الإمام محرم لقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: بايعنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان. متفق عليه .

وقال صلى الله عليه وسلم: "يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ماصلوا لا ماصلوا".

أي: من كره بقلبه وأنكر بقلبه. رواه مسلم .

ومن فوائد الحديثين أن ترك الصلاة كفر بواح؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يجز الخروج على الأئمة إلا بكفر بواح، وجعل المانع من قتالهم فعل الصلاة، فدل على أن تركها مبيح لقتالهم، وقتالهم لا يباح إلا بكفر بواحٍ كما في حديث عبادة. [1]

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 157

في الصحيح أنه قال: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم" .

الخلل الذي يقع في دين الناس ودنياهم، إنما سببه الإخلال بهذه الثلاث أو الإخلال ببعضها وهو الشرك بالله، والتفرق، والخروج على ولي الأمر. [1]

- لا طاعة لولي الأمر في المعصية :

إذا أمر بمعصية فلا يطاع، لكن لا يخالف في بقية الأمور، لا يطاع في هذه المسألة خاصة التي فيها معصية، أما بقية الأمور فلا ينتقض بيعته بسبب ذلك، ولا يخالف، ما دام أنه على الإسلام[2]

والمنكر نوعان: إما فعل محرم وإما ترك واجب ...

أما إن اكرهوا على المعصية، مثل أن يقولوا: احلق لحيتك وإلا حبسناك، فإنه تباح المعصية للإكراه؛ لأن الله أباح الكفر للإكراه، لكن بشرط أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان ...

لكن إذا اكره الإنسان على الفعل فهل يفعله دفعاً للإكراه أو يفعله للإكراه؟ قال بعض العلماء: لابد أن ينوي أنه يفعله دفعاً للإكراه لا للإكراه ولكن الصحيح أنه ليس بشرط أن يفعله دفعاً للإكراه، بل الشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالأيمان وبحكم الله عز وجل؛ لأن كونه يريد بذلك دفع الإكراه لا يتسنى لكل أحد، فلا يتسنى إلا لطالب علم يعرف، ثم إن طالب العلم قد يكون المقام لهوله وشدته منسياً له عن هذه الإرادة، فالصواب أنه يفعله للإكراه لا اختياراً له، لا لدفع الإكراه.

والفرق أن فعله لدفع الإكراه يعني لا يريد به إلا أن يدفع إكراه هذا الرجل ولا يريد الفعل، أما فعله للإكراه فيعني أنه يريد الفعل، لكن لأنه مكره لا اختياراً للفعل، فالأول لم ينو الفعل

---

[1] شرح مسائل الجاهلية للعلامة الفوزان 54

[2] شرح مسائل الجاهلية للعلامة الفوزان 48

أصلاً إنما هو مدافع فقط أي يدافع الإكراه، والثاني نوى الفعل لكن من أجل الإكراه وقلبه مطمئن.

وهناك مرتبة ثالثة وهي أن يفعل الفعل مع الاطمئنان إليه فهذا له حكم الفاعل بدون إكراه.

وقد يقول قائل: إن هذه مسألة فرضية ولا يمكن أن توجد. لكن نقول: أنها قد توجد، فقد يكون الرجل يكره المعصية التي أمر بها، لكن يجعل الإكراه سبباً مبيحاً، فهو يريد المعصية لكنه قبل الإكراه لا يفعلها، فيجعل الإكراه سبباً لاستباحتها.

مثال ذلك: لو فرضنا أن رجلاً يحب الزنا والعياذ بالله ويريده، لكن ما دام لم يحرض فهو مجتنب له، فإذا جاء أحد يكرهه سواء من المرأة نفسها أو من غيرها، فعله حباً له وتعلل بأنه مكره، وهذا أمر يقع.

ولذلك قال الفقهاء رحمهم الله: إن الرجل إذا اكره على الزنا فزنى فإنه تجب إقامة الحد عليه، ولو أكرهت المرأة لم تجب إقامة الحد عليها، وعللوا ذلك فقالوا: لأن الرجل لا يمكن أن يجامع إلا إذا انتشر ذكره، ولا انتشار إلا بإرادة، فكأن هذا الرجل يريد الزنا لكنه يخشى من اللوم [1]

- أوامر ولاة الأمور تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول: أن يأمروا بما أمر الله به، فهنا تجب طاعتهم لوجهين:

الوجه الأول: أنه مما أمر الله به.

والوجه الثاني: أنه مما أمروا به كغيرهم من الناس؛ إذا أمرك شخص بالمعروف وهو واجب، فالواجب عليك أن تقوم به.

الثاني: أن يأمروا بمعصية الله، فهنا لا سمع لهم ولا طاعة مهما كان، وأنت إذا نالك عذاب منهم بسبب هذا فسيُعاقبون عليهم هم يوم القيامة.

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 689

الوجه الأول: لحق الله؛ لأن أمرهم بمعصية الله منابذة لله عزّ وجلّ لوجهين.

الوجه الثاني: لحقك أنت؛ لأنهم اعتدوا عليك، وأنت وهم كلكم عبيد الله، ولا يحل لكم أن تعصوا الله.

الثالث: إذا أمروا بشيء ليس فيه أمر ولا نهي، فيجب عليك أن تطيعهم وجوباً، فإن لم تفعل فأنت آثم، ولهم الحق أن يعزروك وأن يؤدبوك بما يرون من تعزير وتأديب؛ لأنك خالفت أمر الله في طاعتهم، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام ((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)) .

ثم أشد من ذلك من لا يعتقد للإمام بيعة؛ من يقول: أنا ما بايعت الإمام، ولا له بيعة عليّ؛ لأن مضمون هذا الكلام أنه لا سمع له ولا طاعة له ولا ولاية، وهذا أيضاً من الأمر المنكر العظيم؛ فإن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر أن من مات من غير بيعة وليس له إمام؛ فإنه يموت ميتة جاهلية، يعني ليست ميتة إسلامية؛ بل ميتة أهل الجهل والعياذ بالله، وسيجد جزاءه عند الله عزّ وجل.

فالواجب أن يعتقد الإنسان أن له إماماً، وأن له أميراً يدين له بالطاعة في غير معصية الله، فإذا قال مثلاً: أنا لن أبايع، قلنا: البيعة لا تكون في رعاع الناس وعوام الناس، إنما تكون لأهل الحل والعقد. [1]

- **فوائد وجود ولاة الأمور :**

بوجود الإمام تجتمع الكلمة ، وتُقام أحكام الشريعة ، فتصانُ الأعراض ويُرفع الظلم ، ويُنشر العدلُ ، وَيَسْتَتِبُّ الأَمنُ ، وتُفَضُّ المنازعاتُ ، وتُحمى حوزة البلاد ، ويُقمع أهل الشر والفساد ، إلى غير ذلك من المصالح والمنافع التي لا يمكن قيامها ولا تطبيقها إلا تحت إمرة خليفة ،

[1] شرح رياض الصالحين للعلامة ابن عثيمين 3/655

وسُلطة إمام ، سواء أقامها تامة أو فرط في بعضها. وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب له بقوله: ﴿ لا بد للناس مِنْ إمارةٍ بَرَةٍ كانت أو فاجِرَةٍ ﴾. قيل له: هذه البرَّةُ قد عَرَفْنَاها فما بَالُ الفاجرةِ ؟ قال: ﴿ يُؤَمِّنُ بها السبيلُ ، ويُقام بها الحدود ، ويُجاهَدُ بها العَدُو ، ويُقْسَمُ بها الفَيْءُ﴾ [1]

- أدلة عدم جواز الخروجُ على وُلاة الأمر :

يترتَّب على الخروج عليهم مِنَ الفوضى والفساد أضعاف ما يحصل مِن الجور، ولا يجوز الخروجُ عليهم إلاَّ إذا حصل منهم كفرٌ واضحٌ بيِّنٌ، وقد دلَّ على ذلك سنَّةٌ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وعملُ السلف الصالح، ومِن ذلك ما رواه البخاري (7055) ومسلم (1709) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السَّمع والطَّاعة في مَنشَطِنا ومَكرَهِنا وعُسرِنا ويُسرِنا، وأثرَةٍ علينا، وأن لا نُنازع الأمرَ أهلَه، إلاَّ أن ترَوا كفراً بَواحاً عندكم مِن الله فيه بُرْهانٌ".

وروى مسلم في صحيحه (1855) عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خيارُ أئمَّتكم الذين تحبُّونهم ويحبّونكم، وتُصلُّون عليهم ويُصلُّون عليكم، وشِرارُ أئمَّتكم الذين تُبغضونهم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قالوا: قلنا: يا رسول الله! أفلا ننابذُهم عند ذلك؟ قال: لا! ما أقاموا فيكم الصلاةَ، لا! ما أقاموا فيكم الصلاةَ، ألا مَن وليَ عليه والٍ، فرآه يأتِي شيئاً مِن معصيةٍ، فليكره ما يأتِي مِن معصية الله، ولا ينزعنَّ يداً مِن طاعةٍ".

[1] هيبة ولي الأمر للشيخ دغش العجمي 36

وروى مسلم (1854) عن أمّ سلمة رضي الله عنها عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: "إنَّه يُستعمل عليكم أُمراءُ، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئَ، ومَن أنكر فقد سلِم، ولكن مَن رضي وتابع، قالوا: يا رسول الله! ألا نقاتلُهم؟ قال: لا! ما صلّوا".

وروى البخاري (7054) ومسلم (1849) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "مَن رأى مِن أميره شيئاً يكرهُه فليصبر عليه؛ فإنَّه مَن فارق الجماعةَ شبرًا فمات إلاَّ مات مِيتةً جاهليّة".

قال الحافظ في شرحه (7/13): "قال ابن أبي جمرة: المرادُ بالمفارقة السعيُ في حلّ عقد البيعة التي حصلتْ لذلك الأمير ولو بأدنى شيء، فكنَّى عنها بمقدار الشِّبر؛ لأنَّ الأخذَ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حقٍّ".

وقال الإمام أحمد في اعتقاده كما في السنَّة للالكائي (1/161): "ولا يحلُّ قتالُ السلطان ولا الخروجُ عليه لأحدٍ مِن النَّاس، فمن فعل ذلك فهو مبتدعٌ على غير السنَّة والطريق".

ومرَّ قريباً قولُ الطحاوي: "ولا نرى الخروجَ على أئمَّتِنا ووُلاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا نَنْزِعُ يداً مِن طاعتهم، ونرى طاعتَهم مِن طاعة الله عزَّ وجلَّ فريضة، ما لم يأمروا بمعصيةٍ، وندعو لهم بالصّلاح والمعافاة".

وقال الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص93): "ولا يرون الخروجَ عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدولَ عن العدل إلى الجور والحيف".

ومِن قواعد الشريعة ارتكابُ أخفِّ الضررين في سبيل التخلُّص مِن أشدِّهما، قال ابنُ القيّم في كتاب إعلامُ الموقّعين (3/15): "إنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم شرع لأمَّته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره مِن المعروف ما يحبُّه اللهُ ورسولُه، فإذا كان إنكارُ المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله، فإنَّه لا يسوغ إنكارُه، وإن كان اللهُ يُبغضُه ويمقتُ أهلَه، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنَّه أساسُ كلِّ شرٍّ وفتنةٍ إلى آخر الدهر".

وما أحسنَ وأجملَ قولَ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "تكون أمورٌ مشتبهاتٌ، فعليكم بالتؤدة؛ فإنَّ أحدَكم أن يكون تابعاً في الخير خيرٌ مِن أن يكون رأساً في الشرِّ" رواه البيهقي في الشعب (297/7) [1]

- أمة بلا حاكم فوضى وخراب :

لا يمكن أن تستغني أمة المسلمين في كل العصور من عهد النبي عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا عن أمام، أي عن قائد يقودها، وحتى الأمة من الأمم الكافرة لابد لها من إمام، ولذلك تجد الأمم الكافرة ربما ينقادون لأئمتهم أكثر مما ينقاد بعض المسلمين لأئمتهم؛ لأنهم يعلمون أن الأمن والاستقرار إنما يكون في إتباع الأئمة، والانقياد لهم، والانصياع لأوامرهم.

وهذه مسألة يغفل عنها كثير من المسلمين، وقد حدثنا بعض من يذهبون إلى بلاد الكفر أن رعاياهم يتبعون الأنظمة تماما، ويطبقونها تماما؛ سواء أنظمة المرور، أو أنظمة الأمن، أو غير ذلك، مع أنهم كفار لا يرجون بهذا ثوابا من الله عز وجل، لكن يعلمون أن انتظام الأمة وحفظ أمنها لا يكون إلا بإتباع أوامر الرؤساء.

فلذلك كانوا أشد تطبيقاً من بعض المسلمين لطاعة ولاة الأمور ...

وبعض الناس يتوهم انه لا تجب طاعتهم إلا حيث أمروا بما أمر الله به، وهذا وهم باطل؛ لأنهم إذا أمروا بما أمر الله به فأمرهم هذا تأكيد لأمر الله فقط، ولو أمرنا أي واحد بما أمرنا الله به لكانت الطاعة مفروضة علينا؛ لأنه أمر الله.

لكن طاعة ولاة الأمور في غير معصية شيء وراء ذلك، فيجب علينا أن نطيع ولاة الأمور في كل ما أمروا به، ما لم يأمروا بمعصية.

[1] لقاء الباب المفتوح للعلامة ابن عثيمين 20/50

فإذا لابد للأمة الإسلامية - بل وغير الإسلامية - من إمام يقودها ويوجهها، ويأمرها، وينهاها، وإلا لضاعت وأصبحت الأمور فوضى.

قال الشاعر: لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

فلابد من قيادة، ولابد من أن تكون هذه القيادة حكيمة [1]

- وجُوبِ الصَّبْرِ عَلَى ظالم ولاة الأمر :

ولي الأمر بشر وليس بمعصوم ، وإذا كان الواحِدُ مِنَّا في أسرة صغيرة تفعلُ ما يُريد قد يقع بينهم خلاف يتبعه ظلم في حكم ، أو منع حقٍّ ، فما ظنُّك بمَن يُعالِجُ ملايين البشر على اختلاف عقولهم ، وأهوائهم ، ورغباتهم ؟ بل قد يكون هو ظالم في نفسه عاص الله ، فما هو الواجب علينا تجاهه ؟ نقول: إنَّ الشريعة جاءت بالصبر على ظُلمهم ، واستئثارهم ، ومنعهم لحقوق الناس كما تواترت بذلك الأحاديث. ولأنَّ عاقبة الصَّبرِ النَّصْرُ والفَرَجُ ... وقال: ﴿ مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يُفارِقُ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتَ إِلأَمَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ﴾ .[2] ... ولذا كان الصبر على جَوْرِ الأَئمةِ أُصلٌ مِنْ أُصولِ أهل السُّنةِ والجماعة [3]

- أَعْمَالُكُمْ عُمَالُكُمْ فكما تكونوا يول عليكم :

قد يُولِّي اللهُ علينا شِرارَنا بسبب ذنوبنا ، ويُولِّي علينا خيارنا بسبب طاعاتنا ، فالحاكِمُ نقمة بسبب المعصية: ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَفْسِكَ ﴾ [النساء: **٧٩**] ، أو نِعمةٌ بسبب الطَّاعة.

وقد قيل: الحاكم الجائر عدلُ اللهِ في الأرضِ ينتقم من خلقِهِ به ، ثم يُصيّره إليه ، فإن شاءَ عفا عنه وإن شاء عذبه)

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 664

[2] صحيح البخاري (7143)

[3] هيبة ولي الأمر للشيخ دغش العجمي 88

وعن محمد بن سيرين عن أبي الجلد – وكان ينظر في التوراة – قال: ﴿ يُبعث على الناس ملواً بذنوبهم ﴾.

وقال إبراهيم بن حَمْشٍ- رَحِمَه الله- (ت: ٣١٢ هـ): ﴿ اللهم بِمَا كَسَبَتْ أيدينا سلطت علينا من لا يعرِفُنا ولا يَرْحَمُنا ﴾

قال الإمام ابن القيم- رحم الله- (ت: ٧٥١ هـ): وتَأَمَّلْ حِكمته تعالى في أن جعل ملوك العِبادِ وأُمراءهم وولاتهم من جنس أعمالهم، بل كأنَّ أعمالهم ظهرَت فِي صُوَرِ وُلاتِهم ومُلوكِهم: فإن استَقامُوا استَقامَت مُلوكُهم، وإن عدلوا عدلت عليهم. وإن جارُوا جارَت مُلوكُهم وولاتهم. وإن ظهر فيهم المَكرُ والخَديعةُ فولاتُهم كَذَلكَ. وإن مَنَعوا حقوق الله لديهم وبخلوا بها مَنَعَت مُلوكُهم وولاتهم ما لهم عندهم من الحقِّ وبخلوا بها علَيْهم. وإن أَخَذوا مِمَّن يَستَضعفونه ما لا يَستَحقُّونه في معاملتهم أَخذَت منهم المُلوكُ ما لا يَستَحقُّونه وضَرَبَت عليهم المُكوس والوظائف، وكلُّ مَا يَستَخرِجونه من الضَّعِيفِ يَستَخرِجُه الملوكُ منهم بالقوَّةِ، فعُمَّالُهُم ظَهَرَت فِي صُوَرِ أَعمَالِهِم. وليس في الحكمة الإلهيَّةِ أَن يُوَلَّى على الأَشرارِ الفَجَّارِ إِلَّا مَن يَكونُ مِن جِنسِهم. ولَمَّا كَانَ الصَّدرُ الأَوَّلُ خِيارَ القُرونِ وأبرها كانت ولاتهم كذلك، فلما شابُوا شابت لهم الولاة (١)، فحكمةُ الله تَأْبى أن يُوَلِّي علينا في مثل هذهِ الأَزمَانِ مِثلُ مُعاوية، وعُمرَ بنِ عبد العزيز فضلاً عن مثل أبي بكرٍ وعُمرَ، بَل ولاتُنا على قدرنا، وولاةُ مَن قَبلَنا على قَدْرِهم، وكلٌّ مِن الأَمرَين مُوجَبُ الحِكمةِ ومقتضاها.

ومن له فطنة إذا سافَرَ بفكره في هذا الباب رأى الحكمة الإلهيَّةَ سائرَةً في القضاء والقدر ظاهرة وباطنة فيه، كما في الخَلقِ والأَمرِ سَواء، فإيَّاكَ أن تظنَّ بِظُنُّك الفاسد أَنَّ شَيْئًا مِن أقضيته وأَقداره عارٍ عن الحكمة البالغة، بل جَميعُ أَقضيته تعالى وأَقدارِه واقعةٌ على أتم وجوه الحكمةِ والصَّوابِ، ولكنَّ العقول الضعيفة محجوبة بضعفها عن إدراكها ﴾.

وقال الطرطوشي المالكي (ت: ٥٢٠ هـ): ﴿ لم أزل أسمعُ الناس يقولون: أعمالكم عُمَّالُكم ، كما تكونوا يُولَّى عليكم ، إلى أن ظَفِرْتُ بهذا المعنى في القرآن ، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام].

قال شيخنا ابن عثيمين- رحم الله-: ﴿ أَمَّا مَن يُرِيدُ أن تكون أمراؤُنا كأبي بكر وعمر ، وعثمان وعلي ، فهذا لا يمكن ؟! لنكن نحنُ صحابة أو مثلَ الصَّحابة حتى يكون ولاتنا مثل خُلفاءِ الصَّحابة.

أما والشَّعبُ كما نعلم الآن ؛ أكثرهم مُفَرَّطٌ في الواجباتِ ، وكثير منتهك للحرمات ، ثم يُريدون أن يُولي الله عليهم خلفاء راشدين فهذا بعيد ﴾

وقال- غَفَرَ اللهُ لَهُ ورَحِمَهُ-: [وقد] جاءَ في الأثر: ﴿ كما تكونوا يول عليكم ﴾ ، انظروا إلى أحوال الناس ، فمِنْ حِكمَةِ اللَّهِ أنَّ الولي والمُوَلَّى عليه يكونون متساويين كما قال الله تعالى: وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام] ، كذلك يولي الله على الصالحين الصلحاء ، وإذا نظرنا إلى أحوالِ الرَّعية وجَدْنا أَنفُسَنَا نَحنُ الرَّعية عندنا تفريط في الواجبات ، وإخلال وتهاون ، نَجِدُ الغش في المعاملات ، والكذب ، والتزوير ، وشهادةَ الزُّورِ ، وأشياء كثيرة.

فلو أنَّ الإنسان تعمق وسَلَّطَ الأضواء على حالِ المُجْتَمَعِ الإسلامي اليوم تعرف القصور والتقصير ، فالمجتمع الإسلامي مجتمع صدق ووفاء وأمانة ، وكلُّ هذه مفقودة الآن إِلَّا مِمَّن شَاءَ اللَّهُ. فإذا أَضَعْنا نحنُ الأمانة فيما نحن أُمناء فيه- وليس عندنا ولاية كبيرة- فكيفَ مَن له ولايةُ أَمْرِنا ؟! قد يكون أشدَّ مِنَّا إضاعة للأمانة ، لكن استقيموا يول الله عليكم من يستقيم ﴾ [1]

---

[1] هيبة ولي الأمر للشيخ دغش العجمي 92

ويذكر أن عبد الملك بن مروان شعر بأن الناس قد ملوه أو عندهم شيء من التمرد عليه، فجمع وجهاء القوم وأعيانهم وتكلم فيهم وقال لهم: أتريدون أن نكون لكم كأبي بكر وعمر؟ قالوا: نعم. قال: إن كنتم تريدون ذلك فكونوا لنا كالذين كانوا لأبي بكر وعمر، فأقام عليهم الحجة.
وكذلك أيضاً ينقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رجلاً خارجياً قال له: يا علي، كيف دان الناس لأبي بكر وعمر ولم يدينوا لك؟ قال: لأن أبا بكر وعمر كان رجالهم أنا وأمثالي، وكان رجالي أنت وأمثالك. فأقام عليه الحجة.
فالمهم أنه لا يمكن أن نطمع في أن يكون ولاة أمورنا كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ونحن على الحال التي تشاهد؛ ولا شك في أن البيت الذي فيه ثلاثة نفر يكون فيه أربعة آراء! فأين الوفاق فينا؟ وأين الصلاح فينا كي يكون في ولاتنا؟!
فالمهم أن هذا الباب - باب مهم، يجب أن يعتنى به [1]
فإذا رأيت ولاة الأمور قد ظلموا الناس في أموالهم، أو في أبدانهم، أو حالوا بينهم وبين الدعوة إلى الله عز وجل، أو ما أشبه ذلك؛ ففكر في حال الناس؛ تجد أن البلاء أساسه من الناس، هم الذين انحرفوا؛ فسلط الله عليهم من سلط من ولاة الأمور[2]

- شروط الخروج على الحاكم :

الأول: أن تروا، فلابد من علم، أما مجرد الظن، فلا يجوز الخروج على الأئمة.
الثاني: أن نعلم كفراً لا فسقاً. الفسوق، مهما فسق وُلاة الأمور لا يجوز الخروج عليهم؛ لو شربوا الخمر، لو زنوا، لو ظلموا الناس، لا يجوز الخروج عليهم، لكن إذا رأينا كفراً صريحاً يكون بواحاً.

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 662

[2] شرح رياض الصالحين للعلامة ابن عثيمين 2/35

الثالث: الكفر البواح: وهذا معناه الكفر الصريح، البواح الشيء البين الظاهر، فأما ما يحتمل التأويل فلا يجوز الخروج عليهم، يعني لو قدرنا أنهم فعلوا شيئاً نرى أنه كفر، لكن فيه احتمال أنه ليس بكفر، فإنه لا يجوز أن ننازعهم أو نخرج عليهم، ونولهم ما تولوا.

لكن إذا كان بواحاً صريحاً، مثل: لو أن ولياً من وُلاة الأمور قال لشعبه: إن الخمر حلال.

اشربوا ما شئتم، وإن اللواط حلال، تلوطوا بمن شئتم، وإن الزنى حلال ازنوا بمن شئتم، فهذا كفر بواح ليس فيه إشكال، هذا يجب على الرعية أن يزيلوه بكل وسيلة ولو بالقتل؛ لأن هذا كفر بواح.

الشرط الرابع: عندكم فيه من الله برهان، يعني عندنا دليل قاطع على أن هذا كفر، فإن كان الدليل ضعيفاً في ثبوته، أو ضعيفاً في دلالته، فإنه لا يجوز الخروج عليهم؛ لأن الخروج فيه شر كثير جداً ومفاسد عظيمة.

وإذا رأينا هذا مثلاً فلا يتجوز المنازعة حتى يكون لدينا قدرة على إزاحته، فإن لم يكن لدينا قدرة فلا تجوز المنازعة؛ لأنه ربما إذا نازعنا وليس عندنا قدرة يقضي على البقية الصالحة، وتتم سيطرته.

فهذه الشروط شروط للجواز أو للوجوب – وجوب الخروج على ولي الأمر– لكن بشرط أن يكون لدينا قدرة، فإن لم يكن لدينا قدرة، فلا يجوز الخروج؛ لأن هذا من إلقاء النفس في التهلكة. أي فائدة إذا خرجنا على هذا الولي الذي رأينا عنده كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان، ونحن لا نخرج إليه إلا بسكين المطبخ، وهو معه الدبابات والرشاشات أي فائدة؟ لا فائدة، ومعنى هذا أننا خرجنا لنقتل أنفسنا، نعم لابد أن نتحيل بكل حيلة على القضاء عليه وعلى حكمه، لكن بالشروط الأربعة التي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام: أن تروا كفراً

بواحاً عندكم فيه من الله برهان. فهذا دليلٌ على احترام حق ولاة الأمور، وأنه يجب على الناس طاعتهم في اليسر والعسر، والمنشط والمكره والأثرة التي يستأثرون بها [1]

وأما قول بعض الناس من السفهاء: إنه لا تجب علينا طاعة وُلاة الأمور إلا إذا استقاموا استقامة تامة، فهذا خطأ، وهذا غلط، وهذا ليس من الشرع في شيء، بل هذا من مذهب الخوارج، الذين يريدون من وُلاة الأمور أن يستقيموا على أمر الله في كل شيء، وهذا لم يحصل منذ زمن فقد تغيرت الأمور.

ويذكر أن أحد ملوك بني أمية سمع أن الناس يتكلمون فيه وفي خلافته، فجمع أشراف الناس ووجهاءهم وتكلم فيهم، وقال لهم: إنكم تريدون منا أن نكون مثل أبي بكر وعمر؟ قالوا: نعم: أنت خليفة وهم خلفاء، قال: كونوا أنتم مثل رجال أبي بكر وعمر؛ نكن نحن مثل أبي بكر وعمر، وهذا جواب عظيم، فالناس إذا تغيروا لابد أن يغير الله وُلاتهم، كما تكونون يولى عليكم. أما أن يريد الناس من الولاة أن يكونوا مثل الخلفاء وهم أبعد ما يكونون عن رجال الخلفاء، هذا غير صحيح، الله حكيم عزّ وجلّ (وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الأنعام: 129) .

وذكروا أن رجلاً من الخوارج الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب جاء إلى عليّ، فقال له: يا عليّ، ما بال الناس قد تغيروا عليك ولم يتغيروا على أبي بكر وعمر، قال: لأن رجال أبي بكر وعمر أنا وأمثالي، ورجالي أنت وأمثالك، وهذا كلام جيد، يعني أنك لا خير فيك، فلذلك تغير الناس علينا، لكن في عهد أبي بكر وعمر رجالهم مثل علي بن أبي طالب وعثمان ابن عفان وغيرهم من الصحابة الفضلاء، فلم يتغيروا على وُلاتهم. [2]

---

[1] شرح رياض الصالحين للعلامة ابن عثيمين 2/422

[2] شرح رياض الصالحين للعلامة ابن عثيمين 2/425

59/ الإنكار العلني :

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة لهم، وأمر بالنصيحة لهم سراً، بينهم وبين الناصح. وأما الكلام فيهم وسبهم واغتيابهم؛ فهذا من الغش لهم؛ لأنه يؤلب الناس عليهم ويفرح أهل الشر، وهذا من الخيانة لولاة الأمور. [1]

أما الدعاء لهم وعدم ذكر معائبهم في المجالس، فهو من النصيحة لهم، ومن كان يريد أن ينصح الإمام فإنه يوصل النصيحة إليه في نفسه، إما مشافهة، وإما كتابة، وإما بأن يوصى له من يتصل به ويبلغه عن هذا الشيء؛ وإذا لم يتمكن فهو معذور.

أما أنه يجلس في المجالس أو على المنابر أو أمام أشرطة ويسب ولاة الأمور ويعيبهم، فهذا ليس من النصيحة، وإنما هو من الخيانة لولاة الأمور

والنصيحة لهم تشمل الدعاء لهم بالصلاح، وتشمل ستر عيوبهم وعدم إفشائها على الناس، وكذلك من النصيحة لهم: القيام بالأعمال التي يكلونها إلى الموظفين، ويعهدون بها إلى الولاة في القيام بها، هذا من النصيحة لولاة الأمور.

- الكلام فيه أما الناس وذكر عيوبه بين الناس ... هذا من الخيانة لولي الأمر، ليس هذا من النصيحة، وإن كان بعض الناس يزعم أن هذه نصيحة، فهذه ليست نصيحة، وإنما هذا تشهير وشر، وإلقاء للعداوة بين الوالي والرعية، وليس فيه مصلحة أبداً، بل هو مضرة محضة.[2]

- أدلة النصح لولاة الأمر :

مِن أدلَّة النُّصح لهم قولُه صلى الله عليه وسلم: "الدِّينُ النَّصيحةُ، قلنا: لِمَن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتِهم" رواه مسلم (95) .

---

[1] شرح مسائل الجاهلية للعلامة الفوزان 51

[2] شرح مسائل الجاهلية للعلامة الفوزان 51

وروى الإمامُ مالك في الموطأ (990/2) عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ اللهَ يرضى لكم ثلاثاً، ويسخطُ لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن تناصحوا مَن ولاَّه اللهُ أمرَكم، ويسخطُ لكم قيلَ وقالَ، وإضاعةَ المال، وكثرةَ السؤال". ورواه أيضاً الإمامُ أحمد في مسنده (8799)، وهو حديثٌ صحيحٌ.

وفي مسند الإمام أحمد (21590) بإسنادٍ صحيحٍ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه في حديثٍ طويلٍ، وفيه: "ثلاثُ خصال لا يغِلُّ عليهنَّ قلبُ مسلم أبداً: إخلاصُ العمل لله، ومناصحةُ وُلاة الأمر، ولزومُ الجماعة؛ فإنَّ دعوَتَهم تُحيطُ مِن ورائهم".

قال ابن القيِّم في مفتاح دار السعادة (ص: 79) في معنى "لا يغِلُّ عليهنَّ قلبُ مسلم": "أي لا يحمل الغِلَّ ولا يبقى فيه مع هذه الثلاثة؛ فإنَّها تنفي الغِلَّ والغِشَّ وفسادَ القلب وسخائمَه" إلى أن قال: "وقولُه (ومناصحةُ أئمّة المسلمين): هذا أيضاً منافٍ للغلِّ والغشِّ؛ فإنَّ النَّصيحةَ لا تجامعُ الغلَّ؛ إذ هي ضدّه، فمَن نصح الأئمَّةَ والأمَّةَ فقد برِئَ مِن الغلّ.

وقولُه: (ولزومُ جماعتهم): هذا أيضاً مِمَّا يطهِّرُ القلبَ مِن الغلِّ والغشِّ؛ فإنَّ صاحبَه للزومه جماعةَ المسلمين يحبُّ لهم ما يحبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما يسوؤهم، ويسرُّه ما يسرُّهم".

وقال النووي في شرحه على مسلم (38/2): "وأمَّا النَّصيحةُ لأئمَّة المسلمين فمعاونَتُهم على الحقِّ وطاعتُهم فيه، وأَمْرُهم به، وتنبيهُهم وتذكيرُهم برِفقٍ ولطفٍ، وإعلامُهم بما غفلوا عنه ولم يبلغْهم مِن حقوق المسلمين، وتركُ الخروج عليهم، وتألُّفُ النَّاس لطاعتهم، قال الخطّابي رحمه الله: ومِن النَّصيحة لهم الصلاةُ خلفَهم، والجهادُ معهم، وأداءُ الصّدقات إليهم، وتركُ الخروج بالسّيف عليهم إذا ظهر منهم حيفٌ أو سوءُ عِشرةٍ، وأن لا يُغرُّوا بالثّناء الكاذب عليهم، وأن يُدعى لهم بالصّلاح".

وقال ابن حجر في الفتح (138/1) : "والنَّصيحةُ لأئمَّة المسلمين إعانَتُهم على ما حمِّلوا القيامَ به، وتنبيهُهم عند الغفلة، وسدُّ خلَّتهم عند الهفوة، وجمعُ الكلمة عليهم، وردُّ القلوب النَّافرة إليهم، ومِن أعظم نصيحتهم دفعُهم عن الظلم بالتي هي أحسن، ومِن جملة أئمَّة المسلمين أئمَّةُ الاجتهاد، وتقع النَّصيحةُ لهم ببَثِّ علومِهم، ونشرِ مناقِبهم، وتحسينِ الظَّنِّ بهم".[1]

- الرفقِ واللينِ في نصح وُلاة الأمور :

النَّصيحةَ لوُلاة الأمور وغيرِهم تكون سرًّا وبرفقٍ ولينٍ، ويدلُّ لذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ لموسى وهارون: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} ، وعن عائشةَ رضي الله عنها عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ الرِّفقَ لا يكون في شيءٍ إلاَّ زانَه، ولا يُنْزَع من شيءٍ إلاَّ شانَه" رواه مسلم (2594) .

وفي صحيح البخاري (3267) ومسلم (2989) ، واللفظُ لمسلم، عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قيل لأسامة: "ألا تدخل على عثمان فتكلِّمَه؟ فقال: أتُرَوْن أنِّي لا أُكلِّمُه إلاَّ أُسمعُكم؟ والله! لقد كلَّمْتُه فيما بيني وبينه ما دون أن أفتحَ أمراً لا أُحبُّ أن أكون أوَّلَ مَن فتحَه" الحديث.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (51/13) : "أيْ كلَّمْتُه فيما أشَرْتم إليه، لكن على سبيل المصلحة والأدب في السرِّ بغير أن يكون في كلامي ما يثير فتنةً أو نحوَها".

وعن عياض بن غنم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَن أراد أن ينصح السلطانَ بأمرٍ فلا يُبدِ له علانيةً، ولكن لِيأخذْ بيدِه فيخلو به، فإن قَبِل منه فذاك، وإلاَّ كان قد أدَّى الذي عليه له" رواه أحمد (15333) والحاكم (290/3) وابن أبي عاصم في السنَّة (1096 1098) ، قال الألبانيُّ في تخريجه (523/2) : "فالحديثُ صحيحٌ بمجموع طرقه".

---

[1] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 170

وإذا خلا النُّصحُ من الرِّفق واللِّين وكان علانيةً فإنَّه يضرُّ ولا ينفعُ، ومِن المعلوم أنَّ أيَّ إنسانٍ إذا كان عنده نقصٌ يحبُّ أن يُنصح برفقٍ ولينٍ، وأن يكون ذلك سرًّا، فعليه أن يعامل النَّاسَ بمثل ما يحبُّ أن يعاملوه به، ففي صحيح مسلم (1844) في حديثٍ طويلٍ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: "فمَن أحبَّ أن يُزحْزح عن النَّار ويُدخل الجنَّةَ فلتأته منيَّتُه وهو يؤمنُ بالله واليوم الآخِر، وليأتِ إلى النَّاس الذي يحبُّ أن يُؤتى إليه". [1]

- أحوال نصح السلطان :

نصح السلطان وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر له أحوال ثلاث :

الحال الأولى : بالسر

الحال الثانية : بالعلانية بمحضر السلطان.

الحال الثالثة : بالعلانية بغياب السلطان ...

وقد وردت النصوص من الكتاب والسنة بالنصيحة للسلطان بالسر كما جاءت بعض النصوص بإيقاع النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علانية بحضور السلطان.

فمما ورد من الأمر بإيقاع النصيحة بالسر: أخرج البخاري (**٣٢٦٧**) ومسلم (**٢٩٨٩**) عن أبي وائل قال: قيل لأسامة ابن زيد لو أتيت فلانا فكلمته قال: إنكم" لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم إني أكلمه في السر دون أن أفتح بابا لا أكون أول من فتحه اهـ.

وأخرج أحمد في المسند (**١٥٣٣٣**) ، وابن أبي عاصم في السنة (**١٠٦٩**) ، عن عياض بن غنم الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صل لله عليه وسلم قال: ﴿ من أراد أن ينصح لذي

[1] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 172

سلطان فلا يبده علانية ، ولكن يأخذ بيده فيخلو به ، فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه ﴾

في هذا الحديث فوائد :

1- النهي عن نصح السلطان علانية.

2- الأمر بنصح السلطان في السر.

3- الأمر بمباشرة الناصح للسلطان المنصوح بنفسه أو بمن يباشره ويبلغه النصيحة عنه.

4- بيان أن الناصح لا يملك تغيير المنكر بيده ، وإنما تغييره بيد السلطان الذي وقع منه المنكر أو علم به فلم يغيره مما لا سلطان للناصح عليه ، فتغييره باللسان هو الواجب عليه وفيه براءة ذمته ، وتجاوز هذا الواجب تكلف وتنطع وغلو

وعن ابن عباس رض الله عنها أنه سئل عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر. فقال: ﴿ إن كنت فاعلا ولابد ففيما بينك وبينه اهـ) ...

قال الشوكاني رحمه الله: ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه ، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد بل كما ورد في الحديث: أنه يأخذ بيده ويخلو به ويبذل له النصيحة ولا يذل سلطان الله. وقد قدمنا في أول كتاب السير: أنه لا يجوز الخروج على الأئمة ، وإن بلغوا في الظلم أي مبلغ ما أقاموا الصلاة ولم يظهر الكفر البواح والأحاديث الواردة في هذا المعنى متواترة. ولكن على المأموم أن يطيع الإمام في طاعة الله ولا يطيعه في معصية الله. فإنه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق اهـ)..

ومما ورد في النصح علانية بحضورا السلطان ما رواه البخاري في صحيحه (١٠٤) ، عن أبي شريح أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به النبي صل الله علي عملك الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ

يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صل الي فيها فقولوا إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب فقيل لأبي شريح ما قال عمرو ؟ قال: أنا أعلم منك يا أبا شريح لا يعيد عاصيا ولا فارا بدم ولا فارا بخربة. قوله: (وهو يبعث البعوث إلى مكة) أي: لقتال عبد الله بن الزبير. قال ابن حجر رحمه الله: قوله ائذن لي فيه حسن التلطف في الإنكار على أمراء الجور ليكون ادعى لقبولهم اهـ).

ففي هذا الحديث فوائد:

1- الإنكار علانية عند السلطان إذا دعت الحاجة وخشي فوات المصلحة ، ورجي تحقق المقصود الشرعي.

2- الإنكار أمام السلطان لا خلف الجدران ، ليصح القصد ويتضح المراد وليكون أبعد عن الشبهة.-

3- التلطف ليكون أدعى لقبوله.

فهاتان الحالتان مشروعتان ، وتتأكد أحدها إذا كانت المصلحة الراجحة متحققة بها ، فإن تحقق الضرر وانتشار المنكر أو ما هو أنكر منه بتركها أو بسلوك أحدهما وترجح الانتفاع وانتشار الخير بالأخرى سلكت الطريق الأجدى والأنفع.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إنكار المنكر واجب على كل قادر عليه لقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الان: ١٠٤-١٠٥] والسلام في قوله: ﴿وَلْتَكُن لام الأمر ، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: التأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يدي السفيه ، ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم أي كما لعن بني

إسرائيل الذين قال الله عنهم: لعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَاءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مريم ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن تُنكَرٍ فعلوه [المائدة: ٧٨- ٧٩]

ولكن يجب أن نعلم أن الأوامر الشرعية في مثل هذه الأمور لها مجال ولا بد من استعمال الحكمة ، فإذا رأينا أن الإنكار علنا يزول به المنكر ويحصل به الخير فلننكر علنا ، وإذا رأينا أن الإنكار علنا لا يزول به الشر ، ولا يحصل به الخير بل يزداد ضغط الولاة على المنكرين وأهل الخير ، فإن الخير أن ننكر سرا ، وبهذا تجتمع الأدلة ...

أما الحالة الثالثة: الإنكار علنا في غير محضر السلطان فلها حالتان :

الحالة الأولى: أن ينكر المنكر مشهرا معلنا باسم السلطان.

الحالة الثانية: أن ينكر المنكر ويحذر منه دون ذكر اسم السلطان.

فالمنكر إذا شاع لا بد من إنكاره فَعَلَه من فعله ، ومنكرات السلطان إذا شاعت وخيف أن يقتدى به فتنتشر وتشيع فلابد من إنكارها ولكن لأهل السنة طريقة حكيمة في إنكارها.

قال العلماء محمد بن عبد اللطيف ، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق ، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، والشيخ عمر بن محمد بن سليم ، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف رحمه الله: (وأما ما يقع من ولاة الأمور. المعاصي والمخالفات التي لا توجب الكفر والخروج من الإسلام فالواجب فيها مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق واتباع ما كان عليه السلف الصالح من عدم التشنيع عليهم في المجالس ومجامع الناس واعتقاد أن ذلك من إنكار المنكر الواجب إنكاره على العباد وهذا غلط فاحش وجهل ظاهر لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه من المفاسد العظام في الدين والدنيا كما يعرف ذلك من نور الله قلبه وعرف طريقة السلف الصالح وأئمة الدين ﴾ اهـ).

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: ﴿ النصح يكون بالأسلوب الحسن والكتابة المفيدة والمشافهة المفيدة ، وليس من النصح التشهير بعيوب الناس ، ولا بانتقاد الدولة على المنابر ونحوها ، لكن

النصح أن تسعى بكل ما يزيل الشر ويثبت الخير بالطرق الحكيمة وبالوسائل التي يرضاها الله عَزَّوَجَلَّ ﴾ اهـ

وقال رحمه الله: ﴿ ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة ، وذكر ذلك على المنابر ؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف ، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان ، والكتابة إليه ، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير [1]

وقال : لما فتح الخوارج الجهال باب الشر في زمان عثمان رضي الله عنه وأنكروا على عثمان علنا عظمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية، وقتل عثمان وعلي رضي الله عنهما بأسباب ذلك، وقتل جمع كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني، وذكر العيوب علنا، حتى أبغض الكثيرون من الناس ولي أمرهم وقتلوه [2]

و قال الشيخ عبد السلام بن برجس رحمه الله: ﴿الطعن في الأمراء -تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدعة سبئية، ابتدأها عبد الله بن سبأ؛لتفريق الأمة،وإشعال الفتن، وكان نتاج بدعته قتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه﴾.[3]

أما إنكار المنكر بدون ذكر الفاعل فينكر الزنا ، وينكر الخمر ، وينكر الربا من دون ذكر من فعله ، فذلك واجب ؛ لعموم الأدلة ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير أن يذكر من فعلها لا حاكما ولا غير حاكم) اهـ .

---

[1] الفروق بين منهج أهل السنة ومنهج مخالفيهم في نصح السلطان 63

[2] مجموع فتاوى العلامة ابن باز 8/211

[3] معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة للشيخ عبد السلام بن برجس 163

وقد يقول قائل: ما هو الجمع بين ما ورد من النصوص الأنف ذكر طرف منها والتي أفادت أن النصح الشرعي للسلطان مقيد في حالتين ، أن يكون سرا بين الناصر والمنصوح ، أو علانية أمام السلطان وبحضور حسبما تقضي به المصلحة الراجحة ، وأنه قد صح من فعل الصحابة والسلف الإنكار علانية على السلطان ؟

فالجواب أن يقال: أن ما ورد من الإنكار على الولاة من الصحابة كان أمامهم لا بغيبتهم

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: جميع الإنكارات الواردة عن السلف إنكارات حاصلة بين يدي الأمير أو الحاكم ﴾ اهـ ...

أما المخالفون لأهل السنة في هذا الباب فهم على أقسام :

القسم الأول: من ينصح بالسر والعلانية في محضر السلطان ويعلن النكير والنصح له مع غيابه.

القسم الثاني: من ينصح علانية في محضره وغيابه.

القسم الثالث: من ينصح علانية في غيابه.

فأما القسم الأول: أحسن حيث وافق السنة في جانبين وأخطأ حيث أعلن النصيحة في غيابه.

وأما القسم الثاني: فأحسن في جانب واخطأ في جانب.

وأما القسم الثالث: فقد غش في دينه وظلم نفسه ، ولم ينصح لسلطانه لما تقدم من الأدلة والبيان.

ويتعلق المخالفون لأهل السنة والجماعة في باب النصيحة للسلطان فيعلنون النصيحة والإنكار في حال غيابه بأمور:

الأمر الأول: أحاديث مشتبهه الأمر

الثاني: أفعال بعض الصحابة والسلف.

الأمر الثالث: أقوال لبعض السلف.

وإن من سمات أهل الأهواء تعلقهم بالنصوص المتشابهة وتركهم للنصوص المحكمة التي تبين ما اشتبه من النصوص ، وليهم أعناق النصوص حتى توافق مرادهم. [1]

- أولى من يقوم بالنصيحة لولاة الأمور :

أولى من يقوم بالنصيحة لولاة الأمور هم العلماء ، وأصحاب الرأي والمشورة ، وأهل الحل والعقد ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: **٨٣**] فليس كل أحد من الناس يصلح لهذا الأمر [2]

- من الخطأ ظن بعض الناس أن ولي الأمر إذا نصح بأمر لابد من فعله :

لا يلزم من نصح الإمام أن يقبل النصيحة ، ويعمل بها.

قال ابن أبي العز الدمشقي: قد دلت نصوص الكتاب ، والسنة ، وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر يطاع في مواضع الاجتهاد ، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد ؛ بل عليهم طاعته في ذلك ، وترك رأيهم لرأيه ، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف ، ومفسدة الفرقة والاختلاف أعظم من أمر المسائل الجزئية (٢). اهـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: لا يلزم إذا قدمت النصيحة لولي الأمر أن يقبل كل ما فيها ؛ لأنه قد يخالف رأيه رأيا في مسائل الاجتهاد هذه واحدة. وربما يركب رأسه ، ويخالف الحق هل معصوم ؟ ما هو بمعصوم. اهـ.

وسئل الشيخ محمد أمان الجامي: إذا نصح الولاة فلم يستجيبوا فما العمل ؟ فأجاب- رحمه الله تعالى: إذا نصحت لفرد أو الجماعة ، أو لولاة أمور المسلمين برئت ذمتك إذا نصحت ليس من واجبك أن تحاول التنفيذ والقبول ؛ ولكن إذا كان الموضوع الذي نصحت فيه موضوعًا عاما

---

[1] الفروق بين منهج أهل السنة ومنهج مخالفيهم في نصح السلطان 73

[2] السنة فيما يتعلق بولي الأمة للشيخ أحمد بازمول 146

أثره واضح بين الناس ، وتخشى أن ينتشر هذا الشر ، ولم يستجب ولاة الأمور لا تيأس كرر وغير الأسلوب.

وأنت لو كان لك غرض شخصي لدى ولاة الأمور ، لا تكتف بأن تقدم الطلب وتجلس تكرر وتتابع وتوسط وتحسن التعبير ، وتحسن المعاملة حتى تصل إلى ما تريد [1]

- غِيبَةُ وَلِي الْأَمْرِ اضْعَافُ لِهَيْبَتِهِ :

من المعلومِ المُتَّفق عليه عند العلماء: تحريم الغيبة ؛ لنص الكتاب العزيز ، والسُّنة المطهرة. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات]. وفي حديث أبي هريرة منه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: ﴿ أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ ؟ قالوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: ﴿ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِما يَكْرَهُ ﴾. قيل: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي ما أَقولُ ؟ قال: ﴿ إِنْ كان فيه ما تقولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بهته [2]

والأحاديثُ في حرمة الكلام في أعراض المسلمين كثيرة.

والغيبة تعظُم بعظم من يُغتاب ، ﴿ ولِذلِكَ تغلظت الغيبة بِحَسَبِ حالِ المُؤْمِنِ ﴾ .

فغيبة ولي من أعظم أنواع الغيبة ، وفيها حط من مكانته ، وإذهاب لهيبته ، فكثرة الكلام والوقيعة فيه سبب لذلك. قال شيخنا ابن عثيمين- رحمه الله-: (ت: ١٤٢١ هـ): ﴿ إذا اغتبنا الأمراء أو السلطان قلت هيبة الناس لهم ، وسَهُلَ عليهم التَّمرُّدُ عليهم وعصيانهم ، وهذا إخلال بالأمن كبير ﴾

وقال- رحم الله-: ﴿ كذلك غِيبَةُ الأمراء وولاة الأمر الذين جعل الله لهم الولاية على الخلق ، فإِنَّ غيبتهم تتضاعف ؛ لأنَّ غِيبَتَهُم تُوجِبُ: احتقارهم عند الناس ، وسقوط هَيْبَتِهِم ، وإذا سقطت هيبة السلطانِ فَسَدَت البلدانُ ، وحلَّتِ الفوضى ، والفتن ، والشر ، والفساد ، ولو

---

[1] السنة فيما يتعلق بولي الأمة للشيخ أحمد بازمول 148

[2] صحيح مسلم (2589)

كان هذا الذي يغتاب ولاة الأمور يقصد الإصلاح فإنَّما يُفْسِدُ أكثرَ مِمَّا يُصلِحُ ، وما يترتب على غيبته لولاة الأمور أعظم من الذنب الذي ارتكبوه ، لأنه كُلَّما هانَ السُّلطانُ في نفوس الناس تمَرَّدُوا عليه ، ولم يَعْبَؤُوا بمخالفته ، ولا بِمُنابَذَتِهِ ، وهذا بلا شك ليس إصلاحًا بل هو إفساد ، وزعزعة للأمن ، ونشر للفوضى ﴾ ...

وقال: ﴿ واليوم يكون رميا بالكلام ، وغدًا رميا بالسهام ؛ لأنَّ القلوب إذا شُحنت وكرهت ولاة أمورها ، فإنها لا يمكن أن تنقاد لأوامرهم ﴾ ...

وقال شيخنا العلامة الفوزان حفظه الله-: ﴿ والكلام في ولاة الأمور: من الغيبة والنميمة ، وهما من أشد المُحرَّماتِ بعد الشركِ ، لا سيما إذا كانت الغيبة للعلماء ولولاة الأمور فهي أشد ؛ لِمَا يترتب عليها من المفاسد ، مِن: تفريق الكلمة ، وسوء الظن الـ بولاة الأمور ، وبعث اليأس في نفوس الناس ، والقنوط ﴾

وقال- حفظه الله-: وأما الكلام فيهم- ولاة الأمر- ، وسبهم ، واغتيابهم ، فهذا من الغشّ لهم ؛ لأنه يُؤذِّبُ الناس عليهم ، ويُفرح أهل الشر ، وهذا من الخيانة لولاة الأمور ﴾

. وأحيانًا يُصدر ولي الأمر بعض القرارات هي محل اجتهاد منه ، فيرى المصلحة فيها ، وقد ترى أنتَ أنَّ الصواب قد جانَبَهُ فيها ، وهذا لا يُجيز لك غيبته والكلام فيه ، والاعتراض على اجتهاده ، وأحيانًا انتقاص اختياره أمام الناس. لأنها مسألة ليس فيها نص شرعي حتى يقال خالف الصواب ، وإنما غاية ما فيها رأي اختاره سواء أخطأ أو أصاب في كلا الحالين يُطاع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحم الله- (ت: ٧٢٨ هـ): ﴿ ودلت نصوص الكتاب والسنة ، وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر يُطاعُ في مواضع الاجتهاد ، وليس عليه أن يُطيع أتباعه في مواردِ الاجتهاد ، بل عليهم طاعته في ذلك ، وترك رأيهم لرأيه ، فإنَّ مصلحة الجماعة والائتلاف

، ومفسَدَةَ الفُرقة والاختلاف ، أعظَمُ مِنْ أَمرِ المسائل الجُزئيَّةِ ﴾ . والأمثلة على المسائل الاجتهادية كثيرة جدا ، تختلفُ مِن بلد إلى آخر.[1]

- **فائدة :**

سئل شيخنا العلامة الفقيه ابن عثيمين: ما حكم غيبة الحاكم الذي لم يحكم بما أنزل الله ؟

فأجاب بقوله: ﴿ غيبة ولاة الأمور محرمة من وجهين:

الوجه الأول: أنها غيبةُ مُسلِم..

الوجه الثاني: أنَّ غيبة ولاة الأمور يترتب عليها من الشرور والفساد ما لا يترتب على غيبة الرجل العادي ؛ لأن الرجل العادي إذا اغتيب فإنما عيبه على نفسه ، لكن ولي الأمر إذا اغتيبَ لَزِمَ مِن ذلك كراهة الناس له ، وتمردهم عليه ، وعدم تقبل توجيهاته وأوامره ، وهذه مضرة عظيمة تُوجِبُ الفوضى ، ورُبَّما يَصِلُ الحال إلى القتال فيما بين الناس. وأما من لم يحكم بما أنزل الله ، فيقال: يُنْكَرُ الحكم بغير ما أنزل الله ولا ينكر علنا ؛ لأنه لا فائدة من إنكاره علنا وإنما ينكر على الحاكم نفسه ، ويكتب إليه بذلك ، فإن كان الإنسان يستطيع أن يصل إلى الحاكم بنفسه فهذا المطلوب ، وإلا كتب النصيحة وأعطاها من يوصلها إلى الحاكم ﴾.[2]

- **نشر المَسَاوِي إِضْعَافُ لِهَيْبَةِ وَلِي الْأَمْرِ :**

بعض الناس فاكهة مجالِسِهِ التَّشغيبُ على ولي الأمر بإظهارِ المساوئ الموجودة في البلاد للتوصل بها إلى الطعن فيه ، ولا شكّ أنه لا يكاد يوجد زمان ولا بلادٌ إلَّا وفيها من النقص ما شاء الله أن يوجد ، لا ينكر هذا أحد.

لكن الكلام بها في المجالس ما فائدته ؟

---

[1] هيبة ولي الأمر للشيخ دغش العجمي 247

[2] لقاء الباب المفتوح للعلامة ابن عثيمين 120/13

قال شيخنا الفقيه ابن عثيمين- رحمه الله- (ت: ١٤٢١ هـ): والنَّصيحة لهم هي أنْ نَكُفَّ عن مساوئهم ، وأن لا ننشرها بين الناس ، وأن نبذل لهم النصيحة ما استطعنا بالمباشرة.... أو بالكتابة.... أو بالاتصال بمن يتّصِلُ بهم... أما نشر مساوئهم فليس به عدوان شخصي عليهم فقط ، بل هو عدوان شخصي عليهم وعلى الأُمَّةِ جميعًا ؛ لأنَّ الأُمَّةَ إذا امتلأت صدورها من الحقد على وَلَاةِ أُمورِها عَصَتِ الولاةَ ، ونابَذَتْهُم ، وحينئذ تحصُلُ الفوضى ، ويسود الخوف ، ويزول الأمن ، فإذا بقيت هيبة ولاة الأمور في الصدور صار لهم هيبة ، وحميت أوامرهم ونظمهم التي لا تُخالِفُ الشَّريعة ﴾

. وقال- رحم الله-: ﴿ لا يجوز لنا أن نتكلَّمَ بين العامَّةِ فيما يُثيرُ الضَّغائِنَ على وُلاةِ الأُمورِ ، وفيما يُسَبِّبُ البغضاءَ لهم ؛ لأنَّ في ذلك مفسدة كبيرة قد يتراءى للإنسانِ أَنَّ هذه غَيْرَةٌ ، وأَنَّ هذا صدع بالحق ؛ والصدع بالحق لا يكون من وراء حجاب ، الصَّدعُ بالحق أن يكون ولي الأمر أمامك وتقول له: أنت فعلت كذا وهذا لا يجوز ، تركت هذا وهذا واجب. أَمَّا أَن تَتَحدَّثَ مِن وراءِ حِجاب في سب ولي الأمر والتشهير به ، فهذا ليس من الصدع بالحق بل هذا من الفساد ، هذا مما يُوجِبُ إيغارَ الصُّدورِ وكراهة وُلاةِ الأُمورِ والتَّمَرُّدِ عليهم ، ورُبَّما يُفْضِي إلى ما هو أكبر إلى الخروج عليهم ونبذ بيعتهم والعياذ بالله. وكُلُّ هذه أمورٌ يجب أن نتفَطَّنَ لها ، ويَجِبُ أَن نَسِيرَ فيها على ما سار عليه أهل السنة والجماعة ، ومن أراد أن يعرف ذلك فليقرأ كتب السنة المؤلفة في هذا ﴾

وقال: ولا شكّ أنَّ مِمَّا يُخالِفُ هَدْيَ النبي ﷺ: إيغارُ الصدور على ولاة الأمور ، والحديث بما يوجب كراهيتهم وبغضهم ؛ وذلك لأنَّ الأمة الإسلامية يقومُ أمرُها على صِفَينِ من الناس: على العلماء ، وعلى الأمراء ، وهم أولو الأمر.... فالعلماء قادةُ الأُمَّةِ بشريعة الله ، والأمراء قادةُ الأُمةِ بسلطانِ اللَّهِ ، فلَوْلا العلماء والأمراء ما استقامتِ الأُمه.... فإذا تكلم أحد في الأمراء ، أو تكلَّمَ في العلماء بما يُوجِبُ عَدَاوَتَهُم والحطَّ مِن قَدْرِهِم فَإِنَّ الأُمةَ تَضِيعُ ؛ لأنه لا يكون لها علماء

تين بأقوالهم فتضيعُ الشَّريعة ، وليس لديها أُمراءُ تَشِقُ بتصرفاتهم فيضيع الأمنُ. ولهذا نَرَى أَنَّ مِن الخطأ الفاحش ما يقوم به بعض الناس من الكلام على العلماء أو على الأمراء ، ونعني بالأمراء ولاة

أمور الدولة....

ولم يضر الأمة الإسلامية إلَّا كلامها في علمائها وأمرائها ، وإلا فما الذي أوجبَ قَتْلَ عثمان له ؟ الجواب: هو الكلام فيه ، تكلَّموا فيه وأَنَّهُ يُحابِي أَقَارِبَهُ ، وأنه يفعل كذا ، ويفعل كذا ، فحَمَلَتِ الناس في قلوبها عليه ، ثم تَوَلَّدَ مِن هذا الحَمْلِ كراهة ، وبغضاء ، وأهواء ، وعَدَاءُ ؛ حتى وصل الأمر إلى أن قتلوه في بيته! وما الذي أوجب قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طلب ، إلَّا هذا ؟ خرجوا عليه ، وقالوا: إنه خالَفَ الشَّرع وكفَّروه ، وكفروا المسلمين معه ، وحَصَلَ ما حصل من الشر... ﴾ . قلت: وقد تقدم قول عبد الله بن عُكيم: ﴿ لا أُعينُ على دَمِ خليفة أبدًا بعد عثمان ﴾! فقيل له: يا أبا معبدٍ أَوَ أَعَنْتَ على دَمِهِ ؟ فقال: ﴿ إِنِّي أَعُدُّ ذِكرَ مَسَاوِتَه عَوْنًا عَلَى دَمِهِ ﴾ . فذِكْرُ المعائب والمساوئ – إذا كانت حقا– أمرٌ ممنوع شرعًا ، نظرًا لِمَا يترتب عليه في حقِّ الولاة من إطاحة هيبتهم ، والدعاية لبغضهم ، والتنفير عنهم ، ومِنْ ثَمَّ تهيئة الأسباب للخروج عليهم. وكُلُّ ذلك مِمَّا نُهِيَ عنه شرعًا ...

قال الشيخ الفوزان– حفظه الله–: ﴿ ولا يستقيم أمر المسلمين مع إعلان سبهم– يعني: لولاة الأمر– وتنقصهم والتماس العيوب لهم ، وإعلان ذلك للناس ؛ لأنَّ هذا يُسبب الخروج عليهم وشقّ عصا الطاعة ، وتفريق الجماعة... ﴾ [1]

---

[1] هيبة ولي الأمر للشيخ دغش العجمي 254

- مِن النُّصح الدعاءُ للوُلاة وعدمُ الدعاء عليهم :

وهي طريقةُ أهل السنَّة والجماعة، قال شيخُ الإسلام ابن تيمية في السياسة الشرعيَّة (ص129) : "ولهذا كان السَّلَفُ كالفُضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوةٌ مجابةٌ لدعونا بها للسلطان".

وقال الشيخ أبو محمد الحسن البربهاري في كتابه شرح السنَّة (ص116) : "وإذا رأيتَ الرَّجلَ يدعو على السلطان فاعلم أنَّه صاحبُ هوى، وإذا رأيتَ الرَّجلَ يدعو للسلطان بالصّلاح فاعلم أنَّه صاحبُ سنَّةٍ إن شاء الله، يقول فضيل بن عياض: لو كانت لي دعوةٌ ما جعلتُها إلاَّ في السلطان".

ثمَّ أسند إلى فضيل قولَه: "لو أنَّ لي دعوةً مستجابةً ما جعلتُها إلاَّ في السلطان، قيل له: يا أبا عليّ! فسِّرْ لنا هذا، قال: إذا جعلتُها في نفسي لم تعْدُنِي، وإذا جعلتُها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العبادُ والبلاد، فأُمرنا أن ندعوَ لهم بالصَّلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم، وإن ظلموا وإن جاروا؛ لأنَّ ظلمَهم وجورَهم على أنفسهم، وصلاحَهم لأنفسهم وللمسلمين".

وقال الطحاوي في عقيدة أهل السنَّة والجماعة: "ولا نرى الخروجَ على أئمَّتِنا ووُلاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا نَنْزِعُ يداً مِن طاعتهم، ونرى طاعتَهم مِن طاعة الله عزَّ وجلَّ فريضة، ما لم يأمروا بمعصيةٍ، وندعو لهم بالصّلاح والمعافاة". العقيدة مع شرحها لابن أبي العزّ (ص540) .

وقال الشيخ أبو إسماعيل الصابوني في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص92 93) : "ويرى أصحاب الحديث الجمعةَ والعيدين وغيرهما مِن الصلوات خلف كلِّ إمامٍ مسلمٍ، برًّا

كان أو فاجرًا، ويرون جهادَ الكفرة معهم وإن كانوا جوَرَةً فجَرةً، ويرون الدعاءَ لهم بالإصلاح والتوفيق والصّلاح وبسط العدل في الرَّعيَّة". [1]

- حكم المظاهرات :

عليك باتباع السلف، إن كان هذا موجوداً عند السلف فهو خير، وإن لم يكن موجوداً فهو شر، ولا شك أن المظاهرات شر؛ لأنها تؤدي إلى الفوضى من المتظاهرين ومن الآخرين، وربما يحصل فيها اعتداء؛ إما على الأعراض، وإما على الأموال، وإما على الأبدان؛ لأن الناس في خضم هذه الفوضوية قد يكون الإنسان كالسكران لا يدري ما يقول ولا ما يفعل، فالمظاهرات كلها شر سواء أذن فيها الحاكم أو لم يأذن.

وإذن بعض الحكام بها ما هي إلا دعاية، وإلا لو رجعت إلى ما في قلبه لكان يكرهها أشد كراهة، لكن يتظاهر بأنه كما يقول: ديمقراطي وأنه قد فتح باب الحرية للناس، وهذا ليس من طريقة السلف. [2]

60/ نقض البيعة :

- تعريف البيعة :

البيعة عهد بين ولي الأمر ومن يتبعه من المسلمين على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر، في المعروف.

وهي تنعقد ببيعة أهل الحل والعقد لولي الأمر، وكل أهل الجهة تبع لهم في ذلك.

والخروج عن السمع والطاعة لولي الأمر خروج عن البيعة.

والخروج عن البيعة خروج عن العهد ونقض له.

ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية.

---

[1] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 175

[2] لقاء الباب المفتوح للعلامة ابن عثيمين 179/19

والنصيحة لولاة الأمر هي السمع والطاعة لهم في المعروف، مخلصا لله في طاعت لا لدنيا و لا لمنصب.

أخرج البخاري تحت رقم (7212) ومسلم تحت رقم (108) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَاهُ، إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ وَرَجُلٌ يُبَايِعُ رَجُلاً بِسِلْعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ، فَأَخَذَهَا، وَلَمْ يُعْطَ بِهَا ".

ونحن تبع لعلمائنا في بيعتهم [1]

فالسمع والطاعة من ثمرات البيعة [2]

- حكم من لا يرى البيعة لولي الأمر :

الذي لا يرى البيعة لولي الأمر يموت ميتة جاهلية؛ لأنه ليس له إمام، ومن المعلوم أن البيعة تثبت للإمام إذا بايعه أهل الحل والعقد[3]

- المبايعة تكون لأهل الحل والعقد :

لا يمكن أن نقول: إن البيعة حق لكل فرد من أفراد الأمة، والدليل على هذا: أن الصحابة رضي الله عنهم بايعوا الخليفة الأول أبا بكر رضي الله عنه ولم يكن ذلك من كل فرد من أفراد الأمة، بل من أهل الحل والعقد، فإذا بايع أهل الحل والعقد لرجل وجعلوه إماماً عليهم صار إماماً، وصار من خرج عن هذه البيعة يجب عليه أن يعود إلى البيعة حتى لا يموت ميتة جاهلية، أو يرفع أمره إلى ولي الأمر لينظر فيه ما يرى؛ لأن مثل هذا المبدأ مبدأ خطير فاسد يؤدي إلى

---

[1] تويتر الشيخ محمد بازمول

[2] شرح الأربعين النووية للعلامة صالح أل الشيخ

[3] لقاء الباب المفتوح للعلامة ابن عثيمين 54/7

الفتن والشرور ... ويجب عليك أن تبايع لولي الأمر أو تعتقد أنه إمام ثابت، سواء بايعت أنت أم لم تبايع، إذ أن الأمر في البيعة ليس لكل فرد من أفراد الناس ولكنه لأهل الحل والعقد. [1]

- حكم من لا يرى البيعة لولي الأمر إذا كان عذره تعدد الولايات الإسلامية والبيعة تكون للإمام الواحد :

الجواب: هذا عذر باطل مخالف لإجماع المسلمين، فتعدد الخلافات الإسلامية ثابت من عهد الصحابة رضي الله عنهم، وهي متعددة إلى يومنا هذا، والأئمة من أهل السنة كلهم متفقون على أن البيعة تكون للإمام أو للأمير الذي هم في حوزته، ولا أحد ينكر ذلك، وهذا الذي قاله تلبيس من الشيطان، وإلا فإنه من المعلوم أن طريق المسلمين كلهم إلى يومنا هذا أن يبايعوا لمن كانت له الولاية على منطقتهم، ويرون أنه واجب الطاعة.

فنسأل هذا الرجل: إذا كنت لا ترى أن البيعة إلا لإمام واحد على عموم المسلمين، فمعنى ذلك: أن الناس الآن أصبحوا كلهم بلا إمام، وهذا شيء مستحيل متعذر! لو أننا أخذنا بهذا الرأي لأصبحت الأمور فوضى، كل إنسان يقول: ليس لأحد عليَّ طاعة، ولا يخفى ما في هذا القول من المنكر العظيم. [2]

- حكم من يقول إن البيعة للإمام الأعظم فقط :

هذا خاطئ، وإذا مات صاحبه فإنه يموت ميتة جاهلية؛ لأنه سيموت وليس في رقبته بيعة لأحد.

والقواعد العامة في الشريعة الإسلامية أن الله يقول: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن:16] فإذا لم يوجد خليفةٌ للمسلمين عموماً فمن كان ولي أمر في منطقة فهو ولي أمرها، وإلا لو قلنا بهذا الرأي الضال؛ لكان الناس الآن ليس لهم خليفة، ولكان كل الناس يموتون ميتة جاهلية،

---

[1] لقاء الباب المفتوح للعلامة ابن عثيمين 54/7

[2] لقاء الباب المفتوح للعلامة ابن عثيمين 54/7

ومن يقول بهذا؟! الأمة الإسلامية تفرقت من عهد الصحابة، تعلمون أن عبد الله بن الزبير في مكة، وبنو أمية في الشام، وكذلك في اليمن أناس، وفي مصر أناس، وما زال المسلمون يعتقدون أن البيعة لمن له السلطة في المكان الذي هو فيه، ويبايعونه ويدعونه بأمير المؤمنين، ولا أحد ينكر ذلك.

فهذا شاق لعصا المسلمين من جهة عدم التزامه بالبيعة، ومن جهة أنه خالف إجماع المسلمين من عهد قديم[1]

- فائدة :

قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور في السنن من رواية فقيهي الصحابة: عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت {ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم} وفي حديث أبي هريرة المحفوظ: {إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم} . فقد جمع في هذه الأحاديث بين الخصال الثلاث؛ إخلاص العمل لله ومناصحة أولي الأمر ولزوم جماعة المسلمين، وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة.

وبيان ذلك أن الحقوق قسمان : حق لله وحق لعباده، فحق الله أن نعبده ولا نشرك به شيئا، كما جاء لفظه في أحد الحديثين؛ وهذا معنى إخلاص العمل لله، كما جاء في الحديث الآخر.

وحقوق العباد قسمان: خاص وعام؛ أما الخاص فمثل بر كل إنسان والديه، وحق زوجته وجاره؛ فهذه من فروع الدين؛ لأن المكلف قد يخلو عن وجوبها عليه؛ ولأن مصلحتها خاصة فردية.

---

[1] لقاء الباب المفتوح للعلامة ابن عثيمين 128/18

وأما الحقوق العامة فالناس نوعان: رعاة ورعية؛ فحقوق الرعاة مناصحتهم؛ وحقوق الرعية لزوم جماعتهم؛ فإن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم، وهم لا يجتمعون على ضلالة؛ بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعا؛ فهذه الخصال تجمع أصول الدين.

وقد جاءت مفسرة في الحديث الذي رواه مسلم عن تميم الداري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم {الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم} . فالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله تدخل في حق الله وعبادته وحده لا شريك له، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم هي مناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعتهم، فإن لزوم جماعتهم هي نصيحتهم العامة، وأما النصيحة الخاصة لكل واحد منهم بعينه، فهذه يمكن بعضها ويتعذر استيعابها على سبيل التعيين. [1]

- فوائد في مسألة في الإمامة والخلافة :

أ/ معنى أولو الأمر :

قال الله عزَّ وجلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} ، أولو الأمر هم العلماء والأمراء، فيُسمع للعلماء ويُطاع فيما يبيِّنونه من أمور الدِّين، ويُسمع للأمراء ويُطاع فيما يأمرون به مِمَّا ليس معصيةً لله عزَّ وجلَّ، وقد رجَّح تفسيرَ وُلاة الأمر بما يشمل العلماء والأمراء القرطبيُّ وابنُ كثير في تفسيريهما، فعزا القرطبيُّ تفسيرَ {وَأُولِي الْأَمْرِ} بالأمراء إلى الجمهور وأبي هريرة وابن عباس وغيرِهم ...

ويدلُّ لطاعة العلماء قولُ الله عزَّ وجلَّ: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} ...

[1] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام بن تيمية 1/19

ويدلُّ لطاعة الأمراء قوله صلى الله عليه وسلم: "السمعُ والطاعةُ على المرء المسلم فيما أحبَّ وكرِهَ ما لم يُؤمَر بمعصيةٍ، فإذا أُمر بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعة" رواه البخاري (7142) ومسلم (1839) مِن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وقولُه صلى الله عليه وسلم: "إنَّما الطاعةُ في المعروف" رواه البخاري (7145) ومسلم (1840) من حديث عليّ رضي الله عنه.

وقولُه صلى الله عليه وسلم: "عليك السمعَ والطاعةَ في عُسرِك ويُسرِك، ومَنشَطِك ومَكرَهِك، وأثَرَةٍ عليك" رواه مسلم (1836) مِن حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وروى مسلم أيضاً (1837) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: "إنَّ خليلي أوصاني أن أسمعَ وأُطيعَ، وإن كان عبداً مُجَدَّعَ الأطْرافِ". قال سهل بن عبد الله التستري كما في تفسير القرطبي (260/5) : "لا يزالُ النَّاسُ بخيرٍ ما عظَّموا السلطانَ والعلماءَ، فإذا عظَّموا هذين أصلح اللهُ دنياهم وأُخراهم، وإذا استخفُّوا بهذين أفسد دنياهم وأُخراهم".[1]

ب/ أنواع الإمامة :

والإمامة نوعان: إمامة في الدين، وإمامة في التدبير والتنظيم، فمن إمامة الدين الإمامة في الصلاة، فإن الإمام في الصلاة إمامته إمامة دين، ومع ذلك فله نوع من التدبير، حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بمتابعته، ونهى عن سبقه والتخلف عنه، فهذا نوع تدبير؛ لأنه مثلاً إذا كبر كبرنا، وإذا ركع ركعنا، وإذا سجد سجدنا. وهكذا.

وأما إمامة التدبير فتشمل الإمام الأعظم ومن دونه، والإمام الأعظم هو الذي له الكلمة العليا في البلاد؛ كالملوك ورؤساء الجمهوريات وما أشبه ذلك، ومن دونه كالوزراء والأمراء وما أشبه

---

[1] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 167

ذلك، والأمة الإسلامية بشر كغيرها من البشر، والبشر كائن من الأحياء، وكل حي فلابد له من رئيس.

بل حتى البهائم، وكذلك الطيور في الجو، لها رئيس تتبعه، ولهذا كان الصيادون إذا مرت بهم جحافل من الطيور أو الظباء أو ما أشبه ذلك ذلك يصيدون أول ما يصيدون قائدهم، فإذا صادوا القائد ارتبك المجموع فسهل صيده؛ لأن كل كائن سواء من البشر أو غيرهم لابد له من قائد يقوده.

ولهذا أمر النبي عليه الصلاة والسلام والمسافرين إذا كانوا ثلاثة، يعني فأكثر، أن يؤمروا واحدا منهم ، يعني أنه لابد من أمير وإلا لاضطربت الأحوال، وصار كل إنسان يقول: أنا أمير نفسي، وحينئذٍ يتزعزع الأمن ويحل الخوف [1]

ج/ تنصيب الإمام :

الإمام يُنصّب وتحصل له الولاية في الجملة بثلاث طرقٍ:

الطريقة الأولى: الاختيار؛ بأن يختار أهل الحلّ والعقد إماماً للمسلمين أو للبلد، ويبايعه أهل الحلّ والعقد على ذلك؛ فتلزم البيعة على الجميع، كما حصل مع أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- بعد موت النبي ﷺ.

والطريقة الثانية: ولاية العهد: بأن يعهد الإمام القائم ووليّ الأمر الموجود بالولاية إلى معيّنٍ بعده، ويأخذ البيعة على هذا، كما حصل من أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- في تولية عمر رضي الله عنه.

والطريقة الثالثة: وهي ليست مشروعةً في أصلها، لكن إذا حصلت بها الولاية استقرّت، وهي الغلبة على الأمر بالسيف، فإذا تغلّب وصار إماماً واستقرت له الأحوال وسلّم له أهل الحل

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 663

والعقد، فإنه يصير ولي أمرٍ بإجماع أهل السنة والجماعة، ولا يُنازع في ذلك وتثبت له أحكام الولاية.[1]

د/ من مسؤوليات الإمام :

أولاً: أن الإمام يذب أهل الكفر عن بلاد المسلمين ...

ثانياً: ... ويعتني بالغزو ... غزو الكفار، والشطر الأول للمدافعة، والشطر الثاني للمهاجمة ...

ثالثاً: ...والحدود ... والمراد بالحدود هنا العقوبات التي قدرها الله ورسوله في فعل معصية، مثل قطع يد السارق ... إذ أن في الحدود فائدتين:

الأولى: أنها كفارة للفاعل الذي أقيم عليه الحد.

والثانية: أنها ردع لغيره.[2]

وفعل معروف هذا هو الرابع من مسؤوليات الإمام، يعني ويعتني بفعل المعروف؛ بأن يفعل هو المعروف؛ وأن يأمر بالمعروف، أي بكلا الأمرين ...

وترك منكر فترك المنكر أيضاً المسؤولية فيه على الإمام وهذا هو الخامس من مسؤوليات الإمام ...

سادساً: نصر المظلوم ... لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)[3]...

سابعاً: وقمع كفر يعني إذا ظهر، وهذا غير ذب الجحود، لأن ذب الجحود يعني دفعه ومنعه، أما هذا فقمع الكفر بعد وقوعه.

والكفر كما نعلم كفر صريح بالسلاح، وهذا له الجهاد، وكفر باطن وهذا أيضاً يجب أن يقمع، مثل أن يكون هذا الرجل متظاهراً بالإسلام لكن له أفكار رديئة ينشرها في الأمة، فهذا أيضا

---

[1] شرح الأصول الستة الرحيلي

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 666

[3] صحيح البخاري 2443

يجب على ولي الأمر أن يقمعه، ولا يجوز له أن يمكنه من كفره الذي ينشره في الأمة، وإن كان يتظاهر بالإسلام؛ وذلك لأنه إذا لم يقم بهذا انتشر الكفر واستشرى في الأمة من حيث لا يعلم... [1]

ثامناً: ... وأخذ مال الفيء والخراج أي ويعتني أيضاً بأخذ مال الفيء والخراج ، وهذان مادة بيت المال، وبيت المال هو عبارة عن الخزانة التي تودع فيها أموال المسلمين، ومنها مال الفيء.

والفيء ما أفاء الله على المسلمين من أموال الكفار، وذلك أن المسلمين إذا اغتنموا غنيمة قسمت إلى خمسة أقسام، أربعة أقسام للغانمين، الذين جاهدوا وباشروا القتال، وتقسم بينهم، للراجل سهم، وللفارس ثلاثة أسهم، وللراكب بعير ونحوها سهمان.

والقسم الخامس يقسم أيضاً خمسة أقسام، ذكرها الله عز وجل بقوله: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) (الأنفال: الآية41) .

فهي خمس لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا إلى بيت المال، وأربعة أخماس لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

وذو القربى قيل: هم قرابة الإمام، وقيل: بل هم قرابة النبي صلى الله عليه وسلم، والصحيح الثاني.

وبناء على هذا التقسيم يكون مال الفيء بالنسبة للغنيمة جزءاً من خمسة وعشرين جزءاً، وهذا يجعل لبيت المال في المصالح العامة.

والخراج هو: أن المسلمين إذا غنموا أرضاً – والغنائم إما عقارات وأراض وإما منقولة – وفتحوها بالسيف، وجلا أهلها عنها فإنها تكون للمسلمين، ويخير الإمام بين قسمها على ما

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 672

سبق، أي تقسم خمسة أسهم، والخمس الخامس يقسم خمسة أسهم؛ وبين أن يقفها على المسلمين، فيجعلها وقفاً، ويضرب عليها خراجاً... [1]

ه/ من ينظم القتال ويقوده؟

من ينظم القتال ويقوده هو الإمام ، فنحن نتبع الإمام، فإن أُمرنا بالغزو نغزو، ولا نغزو بغير إذن الإمام؛ فهذا لا يجوز؛ لأنه من صلاحيات الإمام (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض) [التوبة:38].

فالقتال من صلاحيات الإمام، فإذا استنفر الإمام الناس للقتال وجب على كل من أطاق حمل السلاح، ولا يشترط في الإمام الذي يقيم الحج والجهاد أن يكون غير عاصٍ، فقد يكون عنده بعض المعاصي والمخالفات، لكن ما دام أنه لم يخرج من الإسلام فيجب الجهاد والحج معه، وصلاحه وقوته للمسلمين وفساده على نفسه، أما الجهاد والحج ففي صالح المسلمين، كذلك الصلاة، فإن أصاب كنا معه، وإن أخطأ فنتجنب إساءته، لكن لا نخرج ونشق عصا الطاعة، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وعليه تقوم مصالح المسلمين. [2]

وكذلك ليس المقصود من الجهاد في الإسلام الدفاع ، كما يقوله بعض الكتاب المخذولين ، يقولون: إن الإسلام من أجل الدفاع، يعني: إذا اعتدوا علينا نحن نقاتلهم؛ لصد العدوان فقط. سبحان الله! الله جل وعلا يقول: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ} [التوبة: 5] ، {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ} [الأنفال: 39] المقصود بالقتال في الإسلام: نشر الدعوة، ونشر الدين، وإزالة الشرك {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ} [الأنفال: 39] ، هذا هو المقصود منه [3]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 678

[2] التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية للعلامة صالح الفوزان 188

[3] شرح مسائل الجاهلية للعلامة الفوزان 29

و/ الخلافة :

الخلافة منصب كبير ومسئولية عظيمة وهي تَوَلّي تدبير أمور المسلمين بحيث يكون هو المسئول الأول في ذلك، وهي فرض كفاية؛ لأن أمور الناس لا تقوم إلا بها، وتحصل الخلافة بواحد من أمور ثلاثة:

الأول: النص عليه من الخليفة السابق كما في خلافة عمر بن الخطاب فإنها بنص من أبي بكر رضي الله عنه.

الثاني: اجتماع أهل الحل والعقد سواء كانوا معينين من الخليفة السابق كما في خلافة عثمان – رضي الله عنه– فإنها باجتماع من أهل الحل والعقد المعينين من قبل عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أم غير معينين كما في خلافة أبي بكر –رضي الله عنه– على أحد الأقوال، وكما في خلافة علي رضي الله عنه.

الثالث: القهر والغلبة كما في خلافة عبد الملك بن مروان حين قتل ابن الزبير وتمت الخلافة له. [1]

ي/ شروط الخليفة :

الشرط الأول: الإسلام وهذا لابد منه ... فلو استولى عليهم كافر بالقهر، وعندهم فيه من الله برهان أنه كافر؛ بأن يعلن أن يهودي أو نصراني مثلاً، فإن ولايته عليهم لا تنفذ ولا تصح، وعليهم أن ينابذوه، ولكن لابد من شرط مهم وهو القدرة على إزالته، فإن كان لا تمكن إزالته إلا بإراقة الدماء وحلول الفوضى، فليصبروا حتى يفتح الله لهم باباً؛ لأن منابذة الحاكم بدون القدرة على إزالته لا يستفيد منها الناس إلا الشر والفساد والتنازع، وكون كل طائفة تريد أن تكون السلطة حسب أهوائها.

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 156

الشرط الثاني: الحرية فيشترط أن يكون حراً، أما الرقيق فلا ولاية له؛ لأن الرقيق قاصر، والرقيق مملوك، فكيف يكون مالكاً؟ ... فلابد من الحرية. بل لابد من كمال الحرية ولا يصح أن يكون المبعض إماماً، لأن هذا الجزء الرقيق منه يمنعه من كمال التصرف.

الشرط الثالث : العدالة والعدالة هي العدل، أي أن يكون عدلاً، والعدالة في اللغة هي : الاستقامة، وفي الشرع هي: الاستقامة في الدين والمروءة ، يعني أن يكون مؤدياً للفرائض، مجتنباً للكبائر، ذا مروءة من الكرم والشجاعة والحزم واليقظة وما أشبه ذلك.

فإذا لم يكن مستقيماً في دينه فإنه لا يجوز أن يولى، وهذا الشرط شرط للابتداء ... ولهذا أذعن المسلمون للخلفاء ذوي الفسوق والفجور، مع فسقهم وفجورهم وخلاعة بعضهم، وانحراف بعضهم في الدين، إلا أنه انحراف لا يصل إلى الكفر ...

الشرط الرابع: سمع ، يعني يشترط أن يكون سميعاً، فإن كان أصم لا يسمع أبداً فإنه لا يصح أن يكون إماما، وهذا أيضاً شرط في الابتداء ... على أن الشرط هو مطلق السمع وإن لم يكن قوياً، فالمهم أن يسمع ولو كان سماعه بعد التصويت البالغ ...

الشرط الخامس: ... أن يكون ذا دراية، يعني ذا فطنة، ومعرفة بالسياسة، ومعرفة بالأحوال، حتى يدير الحكم على ما تقتضيه الشريعة، وتقتضيه المصالح، والمصالح لا تنكرها الشريعة، وضد ذي الدرية المغفل الغبي، فلا ينصب إماماً وهو مغفل غبي، يأتيه الصبي فيلعب بعقله ...

الشرط السادس: ... أن يكون الخليفة من قريش، وهذا أيضاً شرط في الابتداء، ومع ذلك فقد اختلف العلماء رحمهم الله في اشتراطه؛ فمنهم، قال: لابد أن يكون من قريش، فإن كان من غير قريش ولو كان عربياً فإنه لا يجوز أن يكون إماماً، وهذا رأي الجمهور.

ومعنى لا يجوز أن يكون إماماً أي لا يجوز أن ننصبه إماماً، ووجه ذلك انه قد ورد في بعض الأحاديث، ما يدل على أنه لابد أن يكون من قريش، ولأن قريشاً أفضل العرب وفيهم أفضل الرسالة، فكانوا أحق بالإمامة، كما جعلهم الله تعالى أحق بالرسالة.

الشرط السابع: ... ذا علم، والمراد بالعلم هنا العلم بأحوال الخلافة وما تتطلبه الخلافة، فلا يشترط أن يكون عالماً بالشرع، وإن كان علمه بالشرع أكمل ...

الشرط الثامن: مكلفاً يعني بالغاً عاقلاً ... لأن من دون البلوغ مولى عليه ... حتى لو فرض أنه مراهق، وأنه ذكي فإنه لا يصح أن يتولى إمامة المسلمين لنقصه ... وإن كان مجنوناً فمن باب أولى ...

الشرط التاسع: ذا خبرة ، والخبرة هي العلم ببواطن الأمور، وهي أخص من قوله فيما سبق: (عالما) ، وهي أن يكون ذا خبرة في أساليب الحكم، ومنها أن يكون ذا خبرة فيما يتعلق بالجهاد، من السلاح وغير ذلك.

وهذه الشروط ... شروط في الابتداء، إلا الإسلام فإنه شرط في الابتداء والدوام.

الشرط العاشر: وحاكما وهذا الشرط يعني أن له قوة شخصية حتى يحكم تماماً؛ لأن من الناس من يكون له علم وخبرة وعدالة ومن قريش وغير ذلك من الشروط، لكنه ليس بحاكم، يلعب به في الحكم، فيكون حاكماً بلا حكم، ولا فائدة منه حينئذٍ ...

فهذه شروط عشرة للإمامة؛ واحد منها شرط للابتداء والاستمرار، وهو الإسلام، ويلحق به أيضاً العقل إذ لابد منه، فلو جن فإنه يجب عزله، وإقامة غيره، لكن إذا فسق بعد العدالة، أو ضعف لكنه يستطيع تدبير الحكم، فإنه لا تزول ولايته [1]

61/ اتخاذ الطاغوت:

- تعريفه :

الطاغوت: مشتق من الطغيان، وهو صفة مشبهة، والطغيان: مجاوزة الحد؛ كما في قوله تعالى: {إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} [الحاقة:11] أي: تجاوز حده.

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 685

وأجمع ما قيل في تعريفه هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله بأنه: ما تجاوز به العبد حده من متبوع، أو معبود، أو مطاع. ومراده من كان راضيا بذلك، أو يقال: هو طاغوت باعتبار عابده، وتابعه، ومطيعه، [1] لأنه تجاوز به حده؛ حيث نزله فوق منزلته التي جعلها الله له، فتكون عبادته لهذا المعبود، واتباعه لمتبوعه، وطاعته لمطاعه طغيانا لمجاوزته الحد بذلك.

فالمتبوع مثل: الكهان، والسحرة، وعلماء السوء.

والمعبود مثل: الأصنام.

والمطاع مثل: الأمراء الخارجين عن طاعة الله، فإذا اتخذهم الإنسان أربابا يحل ما حرم الله من أجل تحليلهم له، ويحرم ما أحل الله من أجل تحريمهم له، فهؤلاء طواغيت، والفاعل تابع للطاغوت، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} [النساء: من الآية50] ولم يقل: إنهم طواغيت. [2]

- الطاغوت له معنيان :

1/ أحدهما خاص وهو الشيطان فإذا أطلق الطاغوت في القرءان كان هو المراد

2/ والآخر عام وهو المقصود بقول ابن القيم .. وهو المراد في القرءان عند ورود الفعل معه مجموعا شرح العصيمي [3]

- جماع أنواع الطواغيت سوى الشيطان ثلاثة :

1/ طاغوت عبادة 2/ طاغوت طاعة 3/ طاغوت اتباع [4]

---

[1] – لابد من تقييد كلام ابن القيم؛ فيُزاد فيه: "ورضي بذلك"؛ حتى يخرج الأنبياء عليهم السلام، ويخرج الملائكة عليهم السلام./ شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد لابن عثيمين 28/1

[3] شرح الأصول الثلاثة للشيخ صالح العصيمي

[4] شرح الأصول الثلاثة للشيخ صالح العصيمي

والطواغيت كثيرة ورؤسهم خمسة : إبليس لعنه الله، ومن عبد وهو راض ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ومن أدعى شيئاً من علم الغيب ومن حكم بغير ما أنزل الله [1]

- اتخاذ الطاغوت :

أن يتخذ الناس طاغوتًا؛ فيكون هذا طاغوتًا باعتبار اتخاذ الناس له، لا باعتبار حقيقته، وهذا يدخل فيه كل من عُبد من دون الله، ولكنه في ذاته ليس طاغوتًا، في حقيقته ليس طاغوتًا ...

وعلى هذا المعنى: هل كل طاغوت كافر؟

لا، لأنه طاغوت باعتبار المتخِذ لا باعتبار المتخَذ، لا باعتبار حقيقته. [2]

- ثلاث مقامات في حقيقة الطاغوت :

الطاغوت ... الحقيقة هو: مَن عُبِد من دون الله وهو راضٍ أو غير كاره. هذا طاغوت في حقيقته فعندنا ثلاث مقامات هنا :

1- أن يُعبَد من دون الله بأمره هو. وهذا أقبحه؛ مثل فرعون ...

2- مَن عُبد من دون الله وهو راضٍ ...

3 - مَن عُبِد من دون الله وهو غير كاره. لم يرضَ لكنه غير كاره؛ مثل الشمس والقمر والحجر؛ هذه غير راضية لكنها غير كارهة. فهذه تسمى طاغوتًا. ...

الذي استحق أن يسمى طاغوتًا بهذه الأمور الثلاثة فهو كافر ...

إذن؛ كلام ابن القيم -رحمه الله- صحيح في الطاغوت المتخَذ ... ولو أردنا حقيقة الطاغوت لقلنا: يجب أن يضاف إليه: "ورضي بذلك أو لم يكره ذلك"، إذا أردنا الطاغوت في حقيقته [3]

---

[1] الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب 195

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

- كيف يكفر الإنسان بالطاغوت؟

1- أن يُبغِض عبادة غير الله.

2- وأن يَكفر بعبادة غير الله.

3- وأن يحذر عبادة غير الله [1]

/62 عبادة الأصنام :

الأصنام : جمع صنم، وهو ما جعل على صورة إنسان أو غيره؛ يعبد من دون الله.

أما الوثن: فهو ما عبد من دون الله، على أي وجه كان، وفي الحديث: " لا تجعل قبري وثنا يعبد " فالوثن أعم من الصنم.

الوثن: كل ما عبد من دون الله، من شجر، أو حجر، سواء نحت أو لم ينحت. والصنم يختص بما صنعه الآدمي. [2]

ولا شك أن إبراهيم سأل ربه الثبات على التوحيد؛ لأنه إذا جنبه عبادة الأصنام صار باقيا على التوحيد. [3]

قال تعالى {أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً}

- بيان عجز الأصنام :

بين الله عجز هذه الأصنام، وأنها لا تصلح أن تكون معبودة من أربعة وجوه، هي:

1. أنها لا تخلق، ومن لا يخلق لا يستحق أن يعبد.

2. أنهم مخلوقون من العدم، فهم مفتقرون إلى غيرهم ابتداء ودواما.

3. أنهم لا يستطيعون نصر الداعين لهم، وقوله: " ولا يستطيعون " أبلغ من قوله: " لا

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 236/1

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 116/1

ينصرونهم " لأنه لو قال: " لا ينصرونهم " فقد يقول قائل: لكنهم يستطيعون، لكن لما قال: {وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً}كان أبلغ لظهور عجزهم.

4. أنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم. [1]

- أصول هجر عبادة الأصنام :

1/ تركها وتؤك أهلها

2/ فراقها وفراق أهلها ...

3/ البراءة منها ومن أهلها

4/ عداوتها وعداوة أهلها ... فأصول هجر كل معبود سوى الله هي هذه الأربعة [2]

63/ الموالاة والمعاداة المحرمين :

- تعريف :

الولاء في اللغة: المحبة والنصرة، والقرب. والوليّ: المحب والصديق والنصير، وهو ضد العدو. والموالاة والوَلاية: ضد المعاداة.

والولاء في الاصطلاح هو: محبة المؤمنين لأجل إيمانهم، ونصرتهم، والنصح لهم، وإعانتهم، ورحمتهم، وما يلحق بذلك من حقوق المؤمنين. [3]

والبراء في اللغة: التباعد عن الشيء ومفارقته، والتخلص منه، يقال: تبرأت من كذا، فأنا منه براء، وبريء منه.

وفي الاصطلاح: بغض أعداء الله من المنافقين وعموم الكفار، وعداوتهم، والبعد عنهم، وجهاد الحربيين منهم بحسب القدرة.[1]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 284/1

[2] شرح الأصول الثلاثة

[3] مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية للشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين 141

- **حكم الموالاة :**

يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها؛ فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم.

وذلك من ملة إبراهيم والذين معه، الذين أمرنا بالإقتداء بهم؛ حيث يقول – سبحانه وتعالى: {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآءُ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم والعداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده وهو من دين محمد عليه الصلاة والسلام؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} 2، وهذا في تحريم موالاة أهل الكتاب خصوصا. وقال في تحريم موالاة الكفار عموما: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ}

بل لقد حرم الله على المؤمن موالاة الكفار، ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسبا؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ
اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} ، وقال تعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}.

وقد جهل كثير من الناس هذا الأصل العظيم، حتى لقد سمعت بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة في إذاعة عربية يقول عن النصارى: إنهم إخواننا! ويا لها من كلمة خطيرة!.

وكما أن الله سبحانه حرم موالاة الكفار أعداء العقيدة الإسلامية؛ فقد أوجب – سبحانه – موالاة المؤمنين ومحبتهم؛ قال تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ

---

[1] مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية للشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين 143

الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} 3، وقال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} 4، وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} 5.

فالمؤمنون أخوة في الدين والعقيدة، وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم؛ قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} 6؛ فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم أخوة متحابون؛ يقتدي آخرهم بأولهم، ويدعوا بعضهم لبعض، ويستغفر بعضهم لبعض.[1]

الولاء والبراء للكافر -يعني للمعين- ثلاث درجات :

1- الدرجة الأولى: موالاة ومحبة الكافر لكفره، وهذا كفر.

الدرجة الثانية: محبته ومودته وإكرامه للدنيا مطلقاً، وهذا لا يجوز ومحرم ونوع موالاة مذموم.

الدرجة الثالثة: وهو أن يكون في مقابلة نعمة أو في مقابلة قرابة، فإن نوع المودة الحاصلة أو الإحسان أو نحو ذلك في غير المحاربين هذا فيه رخصة.

- أقسام الناس فيما يجب في حقهم من الولاء والبراء :

القسم الأول: أولياء الله الخُلَّص من الملائكة والنبيين والصدّيقين والشهداء وصالح المؤمنين.

القسم الثاني: أعداء لله عداوة خالصة، كالمشرك والكافر والمنافق النفاق الأكبر، فهؤلاء أعداء الله ورسوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) [الممتحنة:1]، وقال تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 307

[المجادلة:22]، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) [المائدة:51].

القسم الثالث: من فيهم ولاية من وجه، وعداوة من وجه، وهو المسلم العاصي، ففيه ولاية بقدر ما معه من طاعة، وفيه عداوة بقدر ما معه من معصية، فكل مسلم ولي لله ولكن على حسب ما معه من إيمان.

فمن ادّعى الولاية أو ادعيت له الولاية وليس معه إيمان، وليس فيه تقوى، فإنما هو دجال وكذاب.

وقد يدعون الولاية وهم سحرة وكهنة ومشعوذون وعرافون، وقد كتب شيخ الإسلام كتاباً سمّاه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) وبيّن فيه من يدّعي الولاية، ويُروج على الناس أشياءً يظن أنها كرامات، وهي خوارق شيطانية، وسيأتي بيانه.

فتجب محبة أولياء الله، والاقتداء بهم، وولايتهم، والقرب منهم. [1]

- مظاهر موالاة المؤمنين :

مظاهر موالاة المؤمنين قد بينها الكتاب والسنة، ومنها:

1- الهجرة إلى بلاد المسلمين، وهجر بلاد الكافرين، والهجرة هي الانتقال من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين.

والهجرة بهذا المعنى ولأجل هذا الغرض واجبة وباقية إلى طلوع الشمس من مغربها عند قيام الساعة.

وقد تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين؛ فتحرم على المسلم الإقامة في بلاد الكفار؛ إلا إذا كان لا يستطيع الهجرة منها، أو كان في إقامته مصلحة دينية؛

---

[1] التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية للعلامة صالح الفوزان 239

كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً}

2- مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم: قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} 1، وقال تعالى: {وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ}

3- التألم لألمهم والسرور بسرورهم؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"، وقال - أيضا - عليه الصلاة والسلام: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا" وشبك بن أصابعه صلى الله عليه وسلم.

4- النصح لهم ومحبة الخير لهم وعدم غشهم وخديعتهم؛ قال صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، وقال: "المسلم أخو المسلم؛ لا يحقره، ولا يخذله، ولا يسلمه، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه، وماله، وعرضه"، وقال عليه الصلاة والسلام: "لا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا تناجشوا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعضن وكونوا عباد الله إخوانا".

5- احترامهم وتوقيرهم وعدم تنقصهم وعيبهم، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ

بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} 3.

6- أن يكون معهم في حال العسر والشدة والرخاء؛ بخلاف أهل النفاق، الذين يكونون مع المؤمنين في حالة اليسر والرخاء، ويتخلون عنهم في حال الشدة؛ قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} 1.

7- زيارتهم ومحبة الالتقاء بهم والاجتماع معهم، وفي الحديث القدسي: "وجبت محبتي للمتزاورين فيَّ"، وفي حديث آخر: "أن رجلاً زار أخا له في الله، فأرصد الله على مدرجته ملكا، فسأله: أين تريد؟، قال: أزور أخا لي في الله. قال هل لك عليه نعمة تربها عليه؟ قال: لا؛ غير أني أحببته في الله. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه".

8- احترام حقوقهم فلا يبيع على بيعهم ولا يسوم على سومهم، ولا يخطب على خطبتهم، ولا يتعرض لما سبقوا إليه من المباحات؛ قال صلى الله عليه وسلم: "لا يبع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبته"، وفي رواية: "ولا يسم على سومه".

9- الرفق بضعفائهم؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا"، وقال عليه الصلاة والسلام: "هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟! "، وقال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} 2.

10 - الدعاء لهم والاستغفار لهم؛ قال تعالى: {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} 3، {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ} 4.[1]

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 313

- مظاهر موالاة الكفار :

من مظاهر موالاة الكفار:

1- التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما؛ لأن التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما يدل على محبة المتشبِّه للمتشبَّه به، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من تشبَّه بقوم؛ فهو منهم"، فيحرم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم ومن عاداتهم وعباداتهم وسمتهم وأخلاقهم؛ كحلق اللحى، وإطالة الشوارب، والرطانة بلغتهم إلا عند الحاجة، وفي هيئة اللباس والأكل والشرب وغير ذلك.

2- الإقامة في بلادهم، وعدم الانتقال منها إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين؛ لأن الهجرة بهذا المعنى ولهذا الغرض واجبة على المسلم؛ لأن إقامته في بلاد الكفر إذا كان يقدر على الهجرة. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً إِلاّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً} 1؛ فلم يعذر الله في الإقامة في بلاد الكفار إلا المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة، وكذلك من كان في إقامته مصلحة دينية؛ كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في بلادهم.

3- ومن مظاهر موالاة الكفار السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس.

والسفر إلى بلاد الكفار محرم إلا عند الضرورة؛ كالعلاج، والتجارة، والتعلم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم؛ فيجوز بقدر الحاجة، وإذا انتهت الحاجة؛ وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين، ويشترط كذلك لجواز هذا السفر أن يكون مُظْهِرًا لدينه، معتزًا بإسلامه، مبتعدًا

عن مواطن الشر، حذرًا من دسائس الأعداء ومكائدهم، وكذلك يجوز السفر أو يجب إلى

بلادهم إذا كان لأجل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام.

4- ومن مظاهر موالاة الكفار إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين، ومدحهم، والذب عنهم، وهذا من نواقض الإسلام وأسباب الردة، نعوذ بالله من ذلك.

5 - ومن مظاهر موالاة الكفار: الاستعانة بهم، والثقة بهم، وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين، واتخاذهم بطانة ومستشارين.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا} 2.

فهذه الآيات الكريمة تشرح دخائل الكفار، وما يكنونه نحو المسلمين من بغض، وما يدبرونه ضدهم من مكر وخيانة، وما يحبونه من مضرة المسلمين وإيصال الأذى إليهم بكل وسيلة، وأنهم يستغلون ثقة المسلمين بهم؛ فيخططون للإضرار بهم والنيل منهم.

روى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه؛ قال: "قلت لعمر - رضي الله عنه: لي كاتب نصراني. قال: ما لك قاتلك الله، أما سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ بعضٍ} 3؟ ألا اتخذت حنيفا؟. قال: قلت: يا أمير المؤمنين! لي كتابته وله دينه! قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله".

وروى الإمام أحمد ومسلم؛ " أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى بدر؛ فتبعه رجل من المشركين، فلحقه عند الحرة، فقال: إني أردت أن أتبعك وأصيب معك. قال: تؤمن بالله ورسوله؟. قال: لا. قال: فارجع؛ فلن استعين بمشرك".

ومن هذه النصوص يتبيَّن لنا تحريم تولية الكفار أعمال المسلمين التي يتمكَّنون بواسطتها من الاطلاع على أحوال المسلمين وأسرارهم ويكيدون لهم. بإلحاق الضرر بهم.

ومن هذا ما وقع في هذا الزمان من استقدام الكفار إلى بلاد المسلمين "بلاد الحرمين الشريفين"، وجعلهم عمالاً وسائقين ومستخدمين ومربين في البيوت، وخلطهم مع العوائل، أو خلطهم مع المسلمين في بلادهم.

6- ومن مظاهر موالاة الكفار التأريخ بتأريخهم، خصوصا التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم؛ كالتاريخ الميلادي، والذي هو عبارة عن ذكرى مولد المسيح عليه السلام، والذي ابتدعوه من أنفسهم، وليس هو من دين المسيح عليه السلام؛ فاستعمال هذا التاريخ فيه مشاركة في إحياء شعارهم وعيدهم، ولتجنب هذا لما أراد الصحابة رضي الله عنهم وضع تاريخ للمسلمين في عهد عمر - رضي الله عنه؛ عدلوا من تواريخ الكفار، وأرخوا بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، مما يدل على وجوب مخالفة الكفار في هذا وفي غيره مما هو من خصائصهم، والله المستعان.

7- ومن مظاهر موالاة الكفار مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها، وقد فسر قوله سبحانه وتعالى: {وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ} ؛ أي: من صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفار.

8- ومن مظاهر موالاة الكفار: مدحهم، والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم؛ دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد. قال تعالى: {وَلا تَمُدَّنَ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.

وليس معنى ذلك أن المسلمين لا يتخذون أسباب القوة من تعلم الصناعات ومقومات الاقتصاد المباح والأساليب العسكرية، بل ذلك مطلوب؛ قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ

مِنْ قُوَّةٍ} 2.

وهذه المنافع والأسرار الكونية هي في االأصل للمسلمين؛ قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} 3، وقال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ} 4، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً} 5.

فالواجب أن يكون المسلمون سباقين إلى استغلال هذه المنافع وهذه الطاقات، ولا يستجدون الكفار في الحصول عليها، يجب أن تكون لهم مصانع وتقنيات.

9- ومن مظاهر موالاة الكفار التسمي بأسمائهم؛ بحيث يسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء أجنبية، ويتركون أسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم والأسماء المعروفة في مجتمعهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "خير الأسماء عبد الله

وعبد الرحمن"، وبسبب تغيير الأسماء؛ فقد وجد جيل يحمل أسماء غربية، مما يسبب الانفصال بين هذا الجيل والأجيال السابقة، ويقطع التعارف بين الأسر التي كانت تعرف بأسمائها الخاصة.

10- ومن موالاة الكفار الاستغفار لهم والترحم عليهم، وقد حرم الله ذلك بقوله {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} 1؛ لأن هذا يتضمن حبهم وتصحيح ما هم عليه. [1]

- البراءة نوعان :

الأول: براءة من عمل.

الثاني: براءة من عامل.

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 308

فأما البراءة من العمل: فتجب من كل عمل محرم سواء كان كفرا، أم دونه فيبرأ المؤمن من الشرك، والزنى، وشرب الخمر ونحو ذلك بحيث لا يرضاه ولا يقره، ولا يعمل به، لأن الرضا بذلك، أو إقراره، أو العمل به مضادة لله تعالى ورضا بما لا يرضاه.

وأما البراءة من العامل: فإن كان عمله كفرا وجبت البراءة منه بكل حال من كل وجه لما سبق من الآيات الكريمة، ولأنه لم يتصف بما يقتضي ولاءه.

وإن كان عمله دون الكفر وجبت البراءة منه من وجه دون وجه فيوالى بما معه من الإيمان والعمل الصالح، ويتبرأ منه بما معه من المعاصي؛ لأن الفسوق لا ينافي أصل الإيمان، فقد يكون في الإنسان خصال فسوق، وخصال طاعة، وخصال إيمان، وخصال كفر كما قال الله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} . فجعل الله تعالى الطائفتين المقتتلتين إخوة للطائفة المصلحة، ووصفهم بالإيمان مع أن قتال المؤمن لأخيه من خصال الكفر لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿سباب المسلم فسوق وقتاله كفر﴾ . ولم تكن هذه الخصلة الكفرية منافية لأصل الإيمان ولا رافعة للأخوة الإيمانية. ولا ريب أن الأخوة الإيمانية مقتضية للمحبة والولاية ويقوى مقتضاها بحسب قوة الإيمان والاستقامة.

وهذا الأصل -أعني أنه قد يجتمع في الإنسان خصلة إيمان، وخصلة كفر- هو ما دل عليه الكتاب، والسنة، وكان عليه السلف والأئمة، فتكون المحبة والولاية تابعة لما معه من خصال الإيمان، والكراهة والعداوة تابعة لما عنده من خصال الكفر. [1]

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 4/245

- **تنبيه :**

قوله تعالى: {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} ... معناه أن من كف أذاه من الكفار، فلم يقاتل المسلمين، ولم يخرجهم من ديارهم؛ فإن المسلمين يقابلون ذلك بمكافأته بالإحسان والعدل معه في التعامل الدنيوي، ولا يحبونه بقلوبهم؛ لأن الله قال: {تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ} ، ولم يقل: توالونهم وتحبونهم.

ونظير هذا قوله تعالى في الوالدين: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} 2.

وقد جاءت أم أسماء إليها تطلب صلتها وهي كافرة؛ فاستأذنت أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فقال لها: "صلي أمك"؛ وقد قال الله تعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ} 3.

فالصلة والمكافأة الدنيوية شيء، والمودة شيء آخر، لأن في الصلة وحسن المعاملة ترغيبا للكافر في الإسلام؛ فهما من وسائل الدعوة؛ بخلاف المودة والموالاة، فهما يدلان على إقرار الكافر على ما هو عليه، والرضى عنه، وذلك يسبب عدم دعوته إلى الإسلام.

وكذلك تحريم موالاة الكفار لا يعني تحريم التعامل معهم بالتجارة المباحة واستيراد البضائع والمصنوعات النافعة والاستفادة من خبراتهم ومخترعاتهم؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم استأجر ابن أريقط الليثي على الطريق وهو كافر، واستدان من بعض اليهود، وما زال المسلمون يستوردون البضائع والمصنوعات

من الكفار، وهذا من باب الشراء منهم بالثمن، وليس لهم علينا فيه فضل ومنة، وليس هو من أسباب محبتهم وموالاتهم؛ فإن الله أوجب محبة المؤمنين وموالاتهم وبغض الكافرين ومعاداتهم.

قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} إلى قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} 1.

قال الحافظ ابن كثير: "ومعنى قوله: {إِلاّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} ؛ أي: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا؛ وقعت فتنة في الناس، وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل.." انتهى.

قلت: وهذا ما حصل في هذا الزمان، والله المستعان. [1]

64/ الهجرة غير الشرعية:

- حكمها :

الهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة .

والدليل قوه تعالى: إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلةولا يهتدون سبيلاً* فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً) [2]{سورة النساء، الآيات: 97-99}. [3]

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 316

[2] في هذه الآية دليل على أن هؤلاء الذين لم يهاجروا مع قدرتهم على الهجرة أن الملائكة تتوفاهم وتوبخهم وتقول لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، أما العاجزون عن الهجرة من المستضعفين فقد عفا الله عنهم لعجزهم عن الهجرة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها / شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 130

[3] الأصول الثلاثة للإمام محمد بن عبد الوهاب

هي واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر فلا يتم إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا بالهجرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. [1]

- الهجرة نوعان :

- عامة من بلد الشرك إلى بلاد الإسلام
-

خاصة الانتقال من مكة إلى المدينة [2]

الهجرة ثلاثة أنواع (تقسيم آخر) :

1/ هجرة عمل السوء

2/ هجرة بلد السوء

3/ هجرة أصحاب السوء [3]

الناس في الهجرةعلى ثلاثة أقسام (تقسيم آخر) :

1/ من تجب في حقه : بشرطان : القدرة على الاسفر والعجز عن إظهار الدين

2/ من تسقط في حقة في المستضعين غير القادرين على الهجرة (يبتعدوا عن الكفار ولايخالطوهم لئلا يتأثروا)

3/ من تستحب في حقه هم القادرون عليها والقادرون على إظهار دينهم وقد يستحب لهم الجلوس وقد يجب إذا كان في بقائهم مصلحة أو نصرة للمسلمين[4]

---

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 130

[2] شرح الأصول الثلاثة

[3] شرح الأصول الثلاثة ع

[4] شرح الأصول الثلاثة

65/ السفر إلى بلاد الكفار والإقامة فيها :

- السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط :

الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجاً إلى ذلك.

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف وفيه إضاعة المال لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة في هذه الأسفار.

أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به. [1]

- السفر للسياحة في بلاد الكفار ... ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام... [2]

- خطر الإقامة في بلاد الكفار :

الإقامة في بلاد الكفار خطرها عظيم على دين الإسلام، وأخلاقه، وسلوكه، وآدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فساقاً، وبعضهم رجع مرتداً عن دينه وكافراً به وبسائر الأديان – والعياذ بالله – حتى صاروا إلى الجحود المطلق والإستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين ... [3]

---

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 131

[2] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 132

[3] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 132

- الإقامة في بلاد الكفر لا بد فيها من شرطين اساسين :

الشرط الأول: أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان، وقوة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الإنحراف والزيغ، وأن يكون مضمراً لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعداً عن موالاتهم، ومحبتهم، فإن موالاتهم ومحبتهم، مما ينافي الإيمان بالله قال تعالى: لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ءاباؤهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم {سورة المجادلة، الآية: 22} الآية...

الشرط الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة ، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين ، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة لوجوب الهجرة حينئذ ... [1]

- أقسام الإقامة في دار الكفار :

القسم الأول: أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه فهذا نوع من الجهاد فهي فرض كفاية على من قدر عليها بشرط أن تتحقق الدعوة وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الإستجابة غليها، لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة المرسلين وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان فقال صلى الله عليه وسلم : "بلغوا عني ولو آية" .

القسم الثاني: أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة ، وبطلان التعبد، وإنحلال الأخلاق ، وفوضوية السلوك ؛ ليحذر الناس من الإغترار بهم ، ويبين للمعجبين بهم حقيقة حالهم، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضاً لما يترتب عليها من

---

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 132

التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه، لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. لكن لا بد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن لم يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من إقامة، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسب الإسلام ورسول الإسلام وائمة الإسلام وجب الكف لقوله تعالى: ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون {سورة الأنعام 108}. ويشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عيناً للمسلمين؛ ليعرف ما يدبروه للمسلمين من المكايد فيحذرهم المسلمون، كما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق ليعرف خبرهم.

القسم الثالث: أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دول الكفر كموظفي السفارات فحكمها حكم ما أقام من أجله. فالملحق الثقافي مثلاً يقيم ليرعى شؤون الطلبة ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وآدابه، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندرئ بها شر كبير.

القسم الرابع: أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج فتباح الإقامة بقدر الحاجة، وقد نص أهل العلم رحمهم الله على جواز دخول بلاد الكفر للتجارة وأثروا ذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم.

القسم الخامس: أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها إقامة لحاجة لكنها أخطر منها وأشد فتكاً بدين المقيم وأخلاقه، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل ، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلى معلمه فيؤدي ذلك إلى التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلال. والطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء يحبهم ويتولاهم

ويكتسب منهم، ومن أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه بالإضافة إلى الشرطين الأساسيين شروط:

الشرط الأول: أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلى المستقبل البعيد فأما بعث الأحداث "صغار السن" وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على دينهم، وخلقهم، وسلوكهم، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها وينفثون فيها من السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع ، فإن كثيراً من أولئك المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا منحرفين في دياناتهم، وأخلاقه، وسلوكهم، وحصل عليهم وعلى مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية.

الشرط الثاني: أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل ، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقاً أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيران أو يتبع الباطل. وفي الدعاء المأثور "اللهم أرني الحق حقاً وأرزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علي فأضل".

الشرط الثالث: أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة فإذا صادفت محلاً ضعيف المقاومة عملت عملها.

الشرط الرابع: أن تدعو الحاجة إلى العلم الذي أقام من اجله بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله لما في الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق ، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة.

القسم السادس: أن يقيم للسكن وهذا أخطر مما قبله وأعظم لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة، وموالاة، وتكثير لسواد الكفار، ويتربى أهله بين أهل الكفر فيأخذون من أخلاقهم وعاداتهم، وربما قلدوهم في العقيدة والعبد ولذلك جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله". وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند لكن له وجهة من النظر فإن المساكنة تدعو إلى المشاكلة، وعن قيس بن حازم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا يا رسول الله ولم؟ قال: لا تراءى نارهما". رواه أبو داود والترمذي وأكثر الرواة رووه مرسلاً عن قيس بن حازم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الترمذي سمعت محمداً – يعني البخاري – يقول الصحيح حديث قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم ،مرسل . أ هـ. وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضى به، بل ينتسب إلى تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى أهله وأهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم.

هذا ما توصلنا إليه في حكم الإقامة في بلاد الكفر نسأل الله أن يكون موافقاً للحق والصواب [1]

66/ قول : لولا الله و فلان :

قال الله تعالى: {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: من الآية22]

وقال ابن عباس في الآية: "الأنداد هو الشرك، أخفى من [2] دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان، وحياتي، [1] وتقول: لولا كليبة هذا[2]؛ لأتانا

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 134

[2] ... هذا تفسير بالمراد؛ لأن التفسير تفسيران:

اللصوص، ولولا البط في الدار؛ لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان؛ لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك" رواه ابن أبي حاتم .

قوله: "لولا كليبة هذا" يكون فيه شرك إذا نظر إلى السبب دون المسبِّب، وهو الله عز وجل أما الاعتماد على السبب الشرعي، أو الحسي المعلوم؛ فقد تقدم أنه لا بأس به ...

وقوله: "لولا البط في الدار لأتى اللصوص": البط طائر معروف، وإذا دخل اللص البيت وفيه بط، فإنه يصرخ، فينتبه أهل البيت ثم يجتنبه اللصوص [3]

وقوله: "هذا كله به شرك": المشار إليه ما سبق، وهو شرك أكبر أو أصغر حسب ما يكون في قلب الشخص من نوع هذا التشريك.

وجاء "عن إبراهيم النخعي: أنه يكره: أعوذ بالله، وبك، ويجوز أن يقول: بالله، ثم بك، ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله، وفلان". [4]

1- تفسير بالمراد، وهو المقصود بسياق الجملة بقطع النظر عن مفرداتها.

2- تفسير بالمعنى، وهو الذي يسمى تفسير الكلمات.

فإذا قلنا: الأنداد الأشباه والنظراء؛ فهو تفسير بالمعنى، وإذا قلنا: الأنداد الشركاء أو الشرك؛ فهو تفسير بالمراد (القول المفيد 2/209)

[1] وقوله: "والله وحياتك": فيها نوعان من الشرك.

الأول: الحلف بغير الله .

الثاني: الإشراك مع الله بقوله: والله! وحياتك!

فضمها إلى الله بالواو المقتضية للتسوية؛ فيه نوع من الشرك. (القول المفيد 2/211)

[2] وقوله: "لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص": كليبة تصغير كلب ...

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/211

[4] قوله: "يكره أعوذ بالله وبك": العياذ: الاعتصام بالمستعاذ به عن المكروه، واللِّياذ بالشخص: هو اللجوء إليه لطلب المحبوب ...

- **حكم قول توكلت على الله ثم عليك :**

أكثر العلماء يقولون: لا يجوز أن تقول: توكلت على الله ثم عليك، فالتوكل لا يكون للمخلوق ...

- وبعض أهل العلم أجاز هذا فيما يقدر عليه المخلوق، ومنهم: شيخنا الشيخ ابن باز، فإنه لمّا سُئل في "نور على الدرب": هل يجوز أن أقول: أنا متوكل على الله ثم عليك؟ قال: "نعم يجوز، (ثم) يجوز، ولكن (و) لا يجوز، والأحسن أن يقول: وكلتك، لا توكلت عليك ... وشيخنا الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله- يرى نفس الرأي: أنه يجوز واللجنة الدائمة –بتوقيع الشيخ ابن باز، وعبد الرزاق عفيفي، وابن غديان- أفتت بجواز هذا.

لكنّ الأحسن أن يُسَدَّ هذا الباب بالكلية [1]

67/ التسوية في المشيئة :

قول: (ما شاء الله وشئت) من الشرك الأكبر، أو الأصغر؛ لأنه إن اعتقد أن المعطوف مساو لله؛ فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنه دونه لكن أشرك به في اللفظ؛ فهو أصغر، وقد ذكر بعض أهل العلم: أن من جملة ضوابط الشرك الأصغر؛ أن ما كان وسيلة للأكبر فهو أصغر. [2]

قال الله تعالى: {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: من الآية22]

الاستعاذة بمن يقدر على أن يعيذك جائزة ... وأما استدلال الإمام أحمد على أن القرآن غير مخلوق بقوله صلى الله عليه وسلم "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق" ثم قال رحمه الله: والاستعاذة لا تكون بمخلوق، فيحمل كلامه على أن الاستعاذة بكلام لا تكون بكلام مخلوق بل بكلام غير مخلوق، وهو كلام الله، والكلام تابع للمتكلم به، إن كان مخلوقا؛ فهو مخلوق، وإن كان غير مخلوق؛ فهو غير مخلوق. (القول المفيد 2/ 221)

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/ 228

وقال ابن عباس في الآية: "الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لو لا كليبة هذا؛ لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار؛ لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان؛ لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك" رواه ابن أبي حاتم .[1]
وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان " رواه أبو داود بسند صحيح .[2]

---

[1] وقوله: "وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت": فيه شرك؛ لأنه شرك غير الله مع الله بالواو، فإن اعتقد أنه يساوي الله عز وجل في التدبير والمشيئة؛ فهو شرك أكبر، وإن لم يعتقد ذلك واعتقد أن الله – سبحانه وتعالى – فوق كل شيء؛ فهو شرك أصغر، وكذلك قوله: "لولا الله وفلان". (القول المفيد 212/2)

[2] ... والعلة في ذلك أن الواو تقتضي تسوية المعطوف بالمعطوف عليه ... وهذا شرك، ثم إن اعتقد أن المخلوق أعظم من الخالق، أو أنه مساو له فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنه أقل؛ فهو شرك أصغر...
"ثم" للترتيب والتراخي، فتفيد أن المعطوف أقل مرتبة من المعطوف عليه.
أما بالنسبة لقوله: " ما شاء الله فشاء فلان "؛ فالحكم فيها أنها مرْتَبَة بين مرتبة (الواو) ومرتبة (ثم) ؛ فهي تختلف عن (ثم) بأن (ثم) للتراخي والفاء للتعقيب، وتوافق (ثم) بأنها للترتيب؛ فالظاهر أنها جائزة، ولكن التعبير ب (ثم) أولى؛ لأنه اللفظ الذي أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم ولأنه أبين في إظهار الفرق بين الخالق والمخلوق.
ويستفاد من هذا الحديث: ... ينبغي لمن سد على الناس بابا محرَّما أن يفتح لهم الباب المباح ...
وفي هذا فائدتان عظيمتان:
الأولى: بيان كمال الشريعة وشمولها، حيث لم تسد على الناس بابا؛ إلا فتحت لهم ما هو خير منه.
والثانية: التسهيل على الناس ورفع الحرج عنهم (القول المفيد 219/2)

وعن قتيلة : " أن يهوديا أتى للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت " رواه النسائي وصححه . [1]

وله أيضا عن ابن عباس؛ أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت، فقال: " أجعلتني لله ندا؟! بل ما شاء الله وحده " . [2]

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها؛ قال: "رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود؛ قلت: إنكم لأنتم القوم؛ لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم؛ لولا أنكم تقولون: ما شاء الله، وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى، فقلت: إنكم لأنتم القوم؛ لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله.

---

[1] إشكال وجوابه: وهو أن يقال: كيف لم ينبه على هذا العمل إلا هذا اليهودي؟

وجوابه: أنه يمكن أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسمعه ولم يعلم به.

ولكن يقال: بأن الله يعلم؛ فكيف يقرهم؟ فيبقى الإشكال.

لكن يجاب: إن هذا من الشرك الأصغر دون الأكبر؛ فتكون الحكمة هي ابتلاء هؤلاء اليهود الذين انتقدوا المسلمين بهذه اللفظة، مع أنهم يشركون شركا أكبر ولا يرون عيبهم. (القول المفيد 2/229)

[2] ... الظاهر أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم تعظيما، وأنه جعل الأمر مفوضا لمشيئة الله ومشيئة رسوله.

قوله: " أجعلتني لله ندا "؟!.الاستفهام للإنكار، وقد ضُمِّن معنى التعجب، ومن جعل للخالق ندا؛ فقد أتى شيئا عجابا.

والند: هو النظير والمساوي؛ أي: أجعلتني لله مساويا في هذا الأمر؟!

قوله: " بل ما شاء الله وحده " أرشده النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يقطع عنه الشرك، ولم يرشده إلى أن يقول ما شاء الله ثم شئت؛ حتى يقطع عنه كل ذريعة عن الشرك وإن بَعُدَت (القول المفيد 2/230)

قالوا: وإنكم لأنتم القوم؛ لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت؛ أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته؛ قال: هل أخبرت بها أحدا؟.

قلت: نعم ".

قال: فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: " أما بعد؛ فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها؛ فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده "

- حكم قول: " شاءت الظروف أن يحصل كذا وكذا " " وشاءت الأقدار كذا وكذا " :

قول: " شاءت الأقدار "، و" شاءت الظروف " ألفاظ منكرة؛ لأن الظروف جمع ظرف وهو الزمن، والزمن لا مشيئة له، وكذلك الأقدار جمع قدر، والقدر لا مشيئة له، وإنما الذي يشاء هو الله - عز وجل - نعم لو قال الإنسان: " اقتضى قدر الله كذا وكذا ". فلا بأس به. أما المشيئة فلا يجوز أن تضاف للأقدار لأن المشيئة هي الإرادة، ولا إرادة للوصف، إنما الإرادة للموصوف.[1]

68/ سب الدهر:

السب: الشتم، والتقبيح، والذم، وما أشبه ذلك.

الدهر: هو الزمان والوقت.[2]

قال تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية: من الآية24] الآية.[1]

---

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 3/113

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/240

وفي " الصحيح " عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم " [2] يسب الدهر، وأنا الدهر؛ [3] أقلب الليل والنهار " [1]

---

[1] قوله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا}المراد بذلك المشركون الموافقون للدُّهرية - ... والمعنى: وما الحياة والوجود إلا هذا؛ فليس هناك آخرة ... ويقولون: إنها أرحام تدفع، وأرض تبلع، ولا شيء سوى هذا.

قوله: {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} أي: ليس هلاكنا بأمر الله وقدره ... فالمهلك لهم هو الدهر (القول المفيد 2/ 241)

❋ مناسبة الآية للباب من ثلاثة أوجه:

الوجه الأوّل: بيان أنّ مَن سبَّ الدهر ناسبًا الفعل إلى الدهر ومعتقدً أنّ الدهر هو الذي أنزل فيه المصيبة، فقد كفر كفرًا أكبر؛ لأنه موافِق لقول أولئك الكفار:{وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ}. كأن يقول: ما أمات ابني إلا هذا اليوم المشؤوم! وما احترقت سيارتي إلا بفعل هذا اليوم المشئوم! ...

الوجه الثاني: أنّ مَن سب الدهر فقد وافَق الكفار في هذا الفعل ... يكون مرتكبًا للكفر الأصغر.

الوجه الثالث: بيان أنّ الدهر ليس من أسماء الله (شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي)

[2] ... الأذية لله ثابتة ... ولكنها ليست كأذية المخلوق؛ بدليل قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: من الآية11] ، وقدم النفي في هذه الآية على الإثبات؛ لأجل أن يرد الإثبات على قلب خال من توهم المماثلة (القول المفيد 2/ 244)

- لا يلزم من الأذية الضرر؛ فالإنسان يتأذى بسماع القبيح أو مشاهدته، ولكنه لا يتضرر بذلك (القول المفيد 2/ 241)

- قد يكون مؤذيا لله وإن لم يقصده (القول المفيد 2/ 248)

[3] قوله: "وأنا الدهر": أي: مدبر الدهر ومصرفه ... لقوله في الحديث: "أقلب الليل والنهار"، والليل والنهار هما الدهر. ولا يقال بأن الله هو الدهر نفسه، ومن قال ذلك؛ فقد جعل الخالق مخلوقا، والمقلِّب (بكسر اللام) مقلَّبا (بفتح اللام) .

... وبهذا عرف خطأ من قال: إن الدهر من أسماء الله، كابن حزم رحمه الله؛ فإنه قال: " إن الدهر من أسماء الله"، وهذا غفلة عن مدلول هذا الحديث، وغفلة عن الأصل في أسماء الله...

وفي رواية: "لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر "[2]

- سب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول: أن يقصد الخبر المحض دون اللوم؛ فهذا جائز، مثل أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم ... ومثل هذا اللفظ صالح لمجرد الخبر، ومنه قول لوط عليه الصلاة والسلام: {هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ [هود: من الآية77]

الثاني: أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يعتقد بسببه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر، فهذا شرك أكبر لأنه اعتقد أن مع الله خالقا ...

الثالث: أن يسب الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده؛ فهذا محرم، ولا يصل إلى درجة الشرك، وهو من السفه في العقل والضلال في الدين ...لأن الله تعالى هو الذي يصرف الدهر، ويُكَوِّن فيه ما أراد من خير أو شر، فليس الدهر فاعلا[3]

فينتفي أن يكون اسما لله تعالى لوجهين:

الأول: أن سياق الحديث يأباه غاية الإباء.

الثاني: أن أسماء الله حسنى، والدهر اسم جامد، لا يحمل معنى إلا أنه اسم للأوقات (القول المفيد 2/245)

[1] فالليل والنهار يُقَلَّبان من طول إلى قصر إلى تساو، والحوادث تتقلب فيه في الساعة، وفي اليوم، وفي الأسبوع، وفي الشهر، وفي السنة (القول المفيد 2/247)

[2] وقوله: " فإن الله هو الدهر " أي: فإن الله هو مدبر الدهر ومصرفه، وهذا تعليل للنهي، ومن بلاغة كلام الله ورسوله قرن الحكم بالعلة؛ لبيان الحكمة وزيادة الطمأنينة، ولأجل أن تتعدى العلة إلى غيرها فيما إذا كان المعلل حكما؛ فهذه ثلاث فوائد في قرن العلة بالحكم. (القول المفيد 2/247)

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/240

69/ التسمي بقاضي القضاة ونحوه :

أي: وضع الشخص لنفسه هذا الاسم، أو رضاه به من غيره.

قوله: "قاضي القضاة": قاضي: بمعنى حاكم، والقضاة؛ أي: الحكام، و "أل" للعموم.

والمعنى: التسمي بحاكم الحُكَّام ونحوه، مثل ملك الأملاك، وسلطان السلاطين وما أشبه ذلك، مما يدل على النفوذ والسلطان [1]

- حكم التسمي بقاضي القضاة ونحوه :

من تسمى بهذا الاسم؛ فقد جعل نفسه شريكا مع الله فيما لا يستحقه إلا الله؛ لأنه لا أحد يستحق أن يكون قاضي القضاة، أو حاكم الحكام، أو ملك الأملاك، إلا الله - سبحانه وتعالى- [2]

في " الصحيح " عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن أخنع اسم عند الله [3] رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله " [4]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/ 249

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/ 249

[3] قوله: " إن أخنع اسم ": أي: أوضع اسم، والمراد بالاسم المسمى، فأوضع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ... ولهذا عوقب بنقيض قصده ... ولهذا كان أحب اسم عند الله ما دل على التذلل والخضوع، مثل: عبد الله، وعبد الرحمن، وأبغض اسم عند الله ما دل على الجبروت، والسلطة، والتعظيم . (القول المفيد 2/ 252)

[4] قوله: " لا مالك إلا الله ": أي: لا مالك على الحقيقة الملك المطلق إلا الله تعالى. وأيضا لا مَلِك إلا الله عز وجل؛ ولهذا جاءت آية الفاتحة بقراءتين: "ملِكِ يوم الدين" و {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة:4] ؛ لكي يجمع بين الملك وتمام السلطان؛ فهو - سبحانه - ملك مالك، ملك ذو سلطة وعظمة وقول نافذ، ومالك متصرف مدبر لجميع مملكته... (القول المفيد 2/ 253)

- **حكم تقييد التسمي بقاضي القضاة ونحوه :**

إذا أضفنا القضاة وحصرناها بطائفة معينة، أو ببلد معين، أو بزمان معين، مثل أن يقال: قاضي القضاة في الفقه، أو قاضي قضاة المملكة العربية السعودية، أو قاضي قضاة مصر، أو الشام، أو ما أشبه ذلك؛ فهل يجوز هذا؟

فالجواب: أن هذا جائز؛ لأنه مقيد، ومعلوم أن قضاء الله لا يتقيد ... على أنه لا ينبغي أيضا أن يتسمى الإنسان بذلك، أو يسمى به، وإن كان جائزا؛ لأن النفس قد تصعب السيطرة عليها ... فإذا قُيِّد بزمان أو مكان ونحوهما؛ قلنا: إنه جائز، ولكن الأفضل ألا يفعل.

لكن إن قُيد بفن من الفنون؛ هل يكون جائزا؟

مقتضى التقييد أن يكون جائزا، لكن إن قُيِّد بالفقه، بأن قيل: (عالم العلماء في الفقه) ... فهذا في نفسي منه شيء، والأولى التنزه عنه.

وأما إن قُيد بقبيلة؛ فهو جائز، لكن يجب مع الجواز مراعاة جانب الموصوف؛ أن لا يغتر، ويعجب بنفسه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم للمادح: "قطعت عنق صاحبك ".

وأما التسمي ب (شيخ الإسلام) ، مثل أن يقال: شيخ الإسلام ابن تيمية، أو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، أي أنه الشيخ المطلق الذي يرجع إليه الإسلام؛ فهذا لا يصح؛ إذ إن أبا بكر رضي الله عنه أحق بهذا الوصف؛ لأنه أفضل الخلق بعد النبيين، ولكن إذا قصد بهذا الوصف أنه جدد في الإسلام، وحصل له أثر طيب في الدفاع عنه؛ فلا بأس بإطلاقه.

وأما بالنسبة للتسمي ب (الإمام) ؛ فهو أهون بكثير من التسمي ب (شيخ الإسلام) ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم سمى إمام المسجد إماما، ولو لم يكن عنده إلا اثنان.

لكن ينبغي أن ينبه أنه لا يتسامح في إطلاق كلمة إمام، إلا على من كان قدوة وله أتباع؛ كالإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم ممن له أثر في الإسلام؛ لأن وصف الإنسان بما لا يستحق هضم للأمة؛ لأن الإنسان إذا تصور أن هذا إمام، وهذا إمام، هان الإمام الحق في عينه ...

ومن ذلك أيضا: (آية الله، حجة الله، حجة الإسلام) ؛ فإنها ألقاب حادثة، لا تنبغي؛ لأنه لا حجة لله على عباده إلا الرسل.

وأما آية الله، فإن أريد به المعنى الأعم؛ فلا مدح فيه؛ لأن كل شيء آية لله ...

وإن أريد المعنى الأخص؛ أي: أن هذا الرجل آية خارقة؛ فهذا في الغالب يكون مبالغا فيه، والعبارة السليمة أن يقال: عالم، مفتٍ، قاضٍ، حاكم، إمام، لمن كان مستحقا لذلك [1]

- من عقوبة الله لَمَن غلا في المخلوقين: أن يَضعُف تعظيم الله في قلبه ... فلا يجتمع في قلبٍ الغلو في مخلوق وكمال تعظيم الله سبحانه وتعالى [2]

70/ قول السلام على الله :

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة؛ قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان فقال النبي صلى الله عليه وسلم " لا تقولوا: السلام على الله ؛ فإن الله هو السلام [3] "

وهذا نهي تحريم ... وفيه دليل على جواز السلام على الملائكة [4]

- السلام له عدة معان :

1. التحية؛ كما يقال: سلم على فلان؛ أي: حياه بالسلام.
2. السلامة من النقص والآفات؛ كقولنا: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته".
3. السلام: اسم من أسماء الله تعالى، قال تعالى: {الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ}[5]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 250/2

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[3] صحيح البخاري (835)

[4] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 327/2

[5] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 324/2

- معنى قول المخلوق للمخلوق السلام عليكم :

أي: أُحيِّيكم بالسلام، وهذه تحية المؤمنين. هذا المعنى الأوّل.

والمعنى الثاني: عليكم بركة اسم الله عز وجل السلام، فيدعو له بالبركة.

المعنى الثالث: الدعاء بأن يرزقه الله السلامة.

والمعنى الرابع: إخباره بأنه يَسلَم من آفات المُسلِّم وشروره. بمعنى: أعدك وأخبرك أنه لن يصلك مني أذى، فأنت سالِم من شرِّي، سالِم من أذاي.

... وينبغي على المسلم أن يستشعر هذا، ولا سيما الأخير [1]

- لا تقل: السلام عليك يا رب؛ لما يلي :

أ. أن مثل هذا الدعاء يوهم النقص في حقه، فتدعو الله أن يسلم نفسه من ذلك ...

ب. ... الله يدعى ولا يدعى له، فهو غني عنا، لكن يثنى عليه بصفات الكمال مثل غفور، سميع، عليم [2]

71/ قول اللهم اغفر لي إن شئت :

في الصحيح عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكره له " . [3]

ولمسلم: " وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه " . [4]

هذا ... في الأدب الواجب مع الله في الألفاظ ... من وجوه:

الأوّل: أنه يوهِم أنّ الله قد يُكرَه على الإجابة ...

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/ 324

[3] ... ومعنى عزم المسألة: أن لا يكون في تردد، بل يعزم بدون تردد ولا تعليق (القول المفيد 2/ 331)

[4] "وليعظم الرغبة"؛ أي: ليسأل ما شاء من قليل وكثير (القول المفيد 2/ 332)

الثاني: أنه يوهِم أنّ الله قد يَتعاظم بعض المسائل فلا يشاء أن يُعطيها...

الوجه الثالث: أنّ العبد إذا قال: إن شئت، كأنه مستغني ...

الوجه الرابع: أنّ قائل ذلك كأنه متردِّدٌ في إجابة الله الدعاء ... وهذا ينافي اليقين في الدعاء الذي يجب أن يكون من العبد[1]

المغفرة: ستر الذنب مع التجاوز عنه [2]

72/ قول عبدي وأمتي :

في الصحيح عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك، وليقل: سيدي ومولاي." [3] ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي " .

- **حكم قول عبدي وأمتي :** تفصيل العلامة ابن عثيمين

الأول: أن يضيفه إلى غيره، مثل أن يقول: عبد فلان أو أمة فلان؛ فهذا جائز، قال تعالى: {وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ} وقال النبي صلى الله عليه وسلم "ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة " .

الثاني: أن يضيفه إلى نفسه، وله صورتان:

الأولى: أن يكون بصيغة الخبر، مثل: أطعمت عبدي، كسوت عبدي، أعتقت عبدي، فإن قاله في غيبة العبد أو الأمة؛ فلا بأس به، وإن قاله في حضرة العبد أو الأمة؛ فإن ترتب عليه مفسدة

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/330

[3] ... تنبيه: اشتهر عند بعض الناس إطلاق السيدة على المرأة، فيقولون مثلا: هذا خاص بالرجال، وهذا خاص بالسيدات، وهذا قلب للحقائق؛ لأن السادة هم الرجال، قال تعالى: {وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ} (القول المفيد 2/342)

تتعلق بالعبد أو السيد منع، وإلا؛ فلا لأن قائل ذلك لا يقصد العبودية التي هي الذل، وإنما يقصد أنه مملوك.

الثانية: أن يكون بصيغة النداء، فيقول السيد: يا عبدي! هات كذا؛ فهذا منهي عنه.

وقد اختلف العلماء في النهي: هل هو للكراهة أو التحريم؛ والراجح التفصيل في ذلك، وأقل أحواله الكراهة... [1]

- **حكم قول عبدي وأمتي :** تفصيل الشيخ سليمان الرحيلي

ذهب كثير من أهل العلم إلى كراهية ذلك، وأنّ النهي في الحديث للكراهة.

- وذهب بعض أهل العلم أنه إذا كان على سبيل التعاظم والتطاول وإذلال العبد؛ فإنه يكون حرامًا، وإلا كان جائزًا. يقولون: قول السيد للعبد: هذا عبدي، أو أنت عبدي، إن كان على سبيل الإذلال له، يعني: كأنه يقول له: ما لك قيمة، ما أنت إلا عبد! فهذا لا يجوز؛ لأنّ فيه إذلال المسلم.

أمّا إذا لم يَقصِد الإذلال وإنما هو خبر بالواقع، أو إطلاق الواقع؛ فهذا جائز.

- والأظهر -والله أعلم- التفصيل:

فإذا كان على سبيل الإضافة إلى ياء المتكلم؛ فهو حرام، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لا يقل أحدكم عبدي وأمتي﴾، وهذا نهي، والأصل في النهي التحريم ...

أمّا إذا لم يكن من هذا؛ فإنه جائز، كما قال الله عز وجل: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ (النور: 32)، فهذا لم يكن فيه إضافة إلى ياء المتكلم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ليس على المسلم في عبده، ولا فرسه صدقة﴾ رواه مسلم في الصحيح [2]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 338/2

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

- **إضافة الرب إلى غير الله تعالى تنقسم إلى أقسام :**

القسم الأول: أن تكون الإضافة إلى ضمير المخاطب؛ مثل: أطعم ربك، وضئ ربك؛ فيكره ذلك للنهي عنه؛ لأن فيه محذورين:

1. من جهة الصيغة: أنه يوهم معنى فاسدا بالنسبة لكلمة رب؛ لأن الرب من أسمائه سبحانه، وهو سبحانه يطعم ولا يطعم، وإن كان بلا شك أن الرب هنا غير رب العالمين الذي يطعم ولا يطعم، ولكن من باب الأدب في اللفظ.

2. من جهة المعنى أنه يشعر العبد أو الأمة بالذل؛ لأنه إذا كان السيد ربا كان العبد أو الأمة مربوبا.

القسم الثاني: أن تكون الإضافة إلى ضمير الغائب؛ فهذا لا بأس به؛ كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ... الضالة -وهو متفق عليه-: "حتى يجدها ربها" ، وقال بعض أهل العلم: إن حديث الضالة في بهيمة لا تتعبد ولا تتذلل؛ فليست كالإنسان، والصحيح عدم الفارق؛ لأن البهيمة تعبد الله عبادة خاصة ... وعلى هذا؛ فيجوز أن تقول: أطعم الرقيق ربه، ونحوه ...

القسم الثالث: أن تكون الإضافة إلى ضمير المتكلم، بأن يقول العبد: هذا ربي؛ فهل يجوز هذا؟ قد يقول قائل: إن هذا جائز؛ لأن هذا من العبد لسيده، وقد قال تعالى عن صاحب يوسف: {إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ} أي: سيدي، ولأن المحذور من قوله: (ربي) هو إذلال العبد، وهذا منتف؛ لأنه هو بنفسه يقول: هذا ربي.

القسم الرابع: أن يضاف إلى الاسم الظاهر، فيقال: هذا رب الغلام؛ فظاهر الحديث الجواز، وهو كذلك ما لم يوجد محذور فيمنع، كما لو ظن السامع أن السيد رب حقيقي خالق ونحو ذلك. [1]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/339

- **إطلاق كلمة الرب على المخلوق :**

وهذه المسألة على أقسام

القسم الأوّل: إطلاق كلمة الرب محلاَّة بـ(ال) على المخلوق، أو مضافة إلى ما لا يكون للمخلوق ... كأن يقول: هذا رب العالمين، فهذا حرام قطعًا ...

القسم الثاني: إطلاقها غير محلاة؛ حيث تنتفي المضاهاة وينتفي الاشتراك بين الخالق والمخلوق، فلا يُتوهَّم الاشتراك مطلقًا، هذا جائز، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أن تلد الأمَة ربها﴾ ...

القسم الثالث: إضافة كلمة الرب إلى ما لا يقع عليه التكليف. كقولهم: رب الدار، ورب الدابة، فهذا جائز عند أكثر أهل العلم، ولا محظور فيه. ومنه: قول النبي صلى الله عليه وسلم في اللُّقطة: ﴿فإذا جاء ربُّها فأدِّها إليه﴾ ... وذهب بعض أهل العلم إلى كراهية ذلك أيضًا ... لكن قول الأكثرين أصْوَب؛ لورود هذه الإضافة في الحديث؛ ولأنها لا يقع عليها التكليف وإن كانت تَعبُد.

القسم الرابع: إضافة كلمة الرب إلى مَن يقع عليه التكليف. كأن يقول العبد لسيده: ربي، ويقال للعبد: هذا ربك. فهذا قد اختلف فيه العلماء:

- فذهب جماعة من العلماء إلى أن أنه مكروه ... بقول يوسف عليه السلام: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ}(يوسف: 42) ...

- وذهب بعض أهل العلم إلى تحريم هذا الإطلاق؛ بدلالة هذا الحديث، قالوا: والنهي يدل على التحريم، ولأنّ فيه إساءة أدب مع الله عز وجل...

وأمّا قول يوسف عليه السلام؛ فهو من شرع مَن قبلنا، وشرع مَن قبلنا إذا جاء في شرعنا ما يخالفه ليس شرعًا لنا ... فيتبيَّن بهذا أنّ الراجح -والله أعلم- أنه يَحرُم ...

- إطلاق كلمة السيد على المخلوق :

... فهنا إذا كان إطلاق كلمة السيد على المخلوق بمعنى السيادة المطلَقة التي لا حدَّ لها فإنه لا يجوز.

وكذلك إطلاق كلمة السيد على المخلوق غلوًّا فيه فإنه لا يجوز. ولذلك لـمّا جاء وَفْد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له صلى الله عليه وسلم: (أنت سيدنا) ... فهنا لـمّا رأى النبي صلى الله عليه وسلم في عبارتهم غلوًّا منعهم من ذلك، وقال: ﴿السيد الله تبارك وتعالى﴾.

أيضًا من الممنوع: إطلاق كلمة السيد بمعنى المعبود، وهذا أشرّ الإطلاقات، فإنّ بعض الناس مثلا يستعمل هذا، فيقول للمريض إذا مَرِضَ: ... اذهب إلى قبر السيد ...

وأمّا إطلاق كلمة السيد على المخلوق من باب التلقيب بما يليق به؛ فهذا جائز عند الأكثر، لهذا الحديث الصحيح معنا ... ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أنا سيد ولد آدم﴾ رواه مسلم في الصحيح.

... فلا حرج أن يقول المسلم: سيدي رسول الله ... لكن يَلْحَظ قلبه وألَّا يكون ذلك من باب الغلو ...

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لـمّا جاء سعد بن معاذ: ﴿قوموا إلى سيدكم﴾ كما في الصحيح...

لكن يُشتَرط في ذلك: أن يكون الملقَّب بكلمة السيد أهلاً لها؛ وإلا لم يَجُزْ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لا تقولوا للمنافق سيدنا﴾، وجاء في رواية: ﴿لا تقولوا للفاسق سيدنا، فإنه إن يَكُ سيدكم فقد أسخطتم ربكم﴾ رواه أحمد...

- **إطلاق كلمة مولاي على المخلوق :**

كأن يقال: مولانا الملك، أو يخاطَب الملك فيقال له: مولاي.

فهذا إن كان المقصود به الولاية المطلَقة بجميع معانيها؛ فهذا لا يجوز أن يُطلَق على المخلوق، وإنما المولى الله سبحانه وتعالى.

أمّا إذا لم يُرِدْ بها هذا:

- فقد ذهب أكثر أهل العلم إلى جواز إطلاق هذا على المخلوق؛ لهذا الحديث ... فهذا نصٌّ صحيح صريح في قول هذا الكلمة للمخلوق.

... وذهب بعض أهل العلم إلى كراهة إطلاق هذه الكلمة على المخلوق ... وذهب بعض أهل العلم إلى حرمة هذا ...

- والأظهر -والله أعلم-: جواز هذا إذا سَلِمَ من القَصْد الفاسد.

73/ السؤال بوجه الله أمورا غير عظيمة :

عن جابر؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يسأل بوجه الله إلا الجنة " رواه أبو داود .[1]

من الأدب ومن كمال التوحيد الواجب ألّا يَسأل العبد بوجه الله -عز وجل- إلا المطالب العظام؛ تعظيمًا لوجه ربه -سبحانه وتعالى [2]

---

[1] قوله: "لا يسأل بوجه الله إلا الجنة" اختلف في المراد بذلك على قولين:

القول الأول: أن المراد: لا تسألوا أحدا من المخلوقين بوجه الله ...

القول الثاني: أنك إذا سألت الله، فإن سألت الجنة وما يستلزم دخولها؛ فلا حرج أن تسأل بوجه الله، وإن سألت شيئا من أمور الدنيا؛ فلا تسأله بوجه الله ...

ولو قيل: إنه يشمل المعنيين جميعا، لكان له وجه (القول المفيد 2/356)

[2] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

- **مطالب الإنسان نوعان :**

النوع الأوّل: المطالب العالية؛ كالجنة وما قرَّب إليها ...

وأمّا النوع الثاني: فهو المطالب الحقيرة؛ كمطالب الدنيا كلها، فإنّ ﴿الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما والاه، وعالمًا ومتعلِّمًا﴾ ... وقد سمعنا قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: ﴿ملعون مَن سأل بوجه الله﴾، وهذا يُحمَل على هذا النوع.[1]

74/ قول "لو" التي تفتح عمل الشيطان :

وقول الله تعالى: {يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا} [2]

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجزن [3]، وإن أصابك شيء؛ فلا تقل: لو أني فعلت كذا، لكان كذا وكذا، [4] ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن (لو) تفتح عمل الشيطان " [1]

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] ... قوله تعالى: (يقولون) : الضمير للمنافقين ...

وقولهم: {لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} هذا من الاعتراض على الشرع ... ويمكن أن يكون اعتراضا على القدر أيضا (القول المفيد 2/ 363)

[3] المقصود بالعجز هنا التهاون والكسل عن فعل الشيء؛ لأنه هو الذي في مقدور الإنسان. (القول المفيد 2/ 377)

[4] فالمرتبة الأولى: الحرص على ما ينفع.

والمرتبة الثانية: الاستعانة بالله.

والمرتبة الثالثة: المضي في الأمر، والاستمرار فيه، وعدم التعاجز. وهذه المراتب إليك.

المرتبة الرابعة: إذا حصل خلاف المقصود؛ فهذه ليست إليك، وإنما هي بقدر الله، ولهذا قال: "وإن أصابك ... "؛ ففوض الأمر إلى الله تعالى.

قوله: " وإن أصابك شيء ": أي: مما لا تحبه ولا تريده، ومما يعوقك عن الوصول إلى مرامك فيما شرعت فيه من

- **"لو" تستعمل على عدة أوجه :**

الوجه الأول: أن تستعمل في الاعتراض على الشرع، وهذا محرم، قال الله تعالى: {لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} ... وهذا محرم وقد يصل إلى الكفر.

الثاني: أن تستعمل في الاعتراض على القدر، وهذا محرم أيضا، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا} 3 أي: لو أنهم بقوا ما قتلوا؛ فهم يعترضون على قدر الله.

الثالث: أن تستعمل للندم والتحسر، وهذا محرم أيضا؛ لأن كل شيء يفتح الندم عليك فإنه منهي عنه؛ لأن الندم يكسب النفس حزنا وانقباضا، والله يريد منا أن نكون في انشراح وانبساط، قال صلى الله عليه وسلم: " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان ".

مثال ذلك: رجل حرص أن يشتري شيئا يظن أن فيه ربحا فخسر، فقال: لو أني ما اشتريته ما حصل لي خسارة؛ فهذا ندم وتحسر، ويقع كثيرا، وقد نهي عنه.

نفع.

فمن خالفه القدر ولم يأت على مطلوبه، لا يخلو من حالين:

الأولى: أن يقول: لو لم أفعل ما حصل كذا.

الثانية: أن يقول: لو فعلت كذا، لأمر لم يفعله لكان كذا.

مثال الأول قول القائل: لو لم أسافر ما فاتني الربح.

ومثال الثاني أن يقول: لو سافرت لربحت.

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الثاني دون الأول؛ لأن هذا الإنسان عامل فاعل؛ فهو يقول: لو أني فعلت الفعل الفلاني دون هذا الفعل لحصلت مطلوبي، بخلاف الإنسان الذي لم يفعل، وكان موقفه سلبيا من الأعمال (القول المفيد 2/370)

[1] وعمله: ما يلقيه في قلب الإنسان من الحسرة والندم والحزن (القول المفيد 2/372)

الرابع: أن تستعمل في الاحتجاج بالقدر على المعصية؛ كقول المشركين: {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا} وقولهم: {لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ} وهذا باطل.

الخامس: أن تستعمل في التمني، وحكمه حسب المتمنى: إن كان خيرا فخير، وإن كان شرا فشر، وفي "الصحيح" عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة النفر الأربعة قال أحدهم: " لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان " فهذا تمنى خيرا، وقال الثاني: "لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان" فهذا تمنى شرا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم في الأول: " فهو بنيته، فأجرهما سواء " وقال في الثاني: " فهو بنيته، فوزرهما سواء " .

السادس: أن تستعمل في الخبر المحض. وهذا جائز، مثل: لو حضرت الدرس لاستفدت، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم " لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأحللت معكم " ... وبعضهم قال: إنه من باب التمني، كأنه قال: ليتني استقبلت من أمري ما استدبرت حتى لا أسوق الهدي. لكن الظاهر: أنه خبر لما رأى من أصحابه، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنى شيئا قدر الله خلافه [1]

- فوائد :

- ما لا قدرة للإنسان فيه فله أن يحتج عليه بالقدر؛ لقوله: "ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل" [2]

- محاجة آدم وموسى حيث لام موسى آدم عليهما الصلاة والسلام؛ وقال له: " لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؛ فقال: أتلومني على شيء قد كتبه الله علي " ... ذهب ابن القيم رحمه الله إلى ... أن آدم احتج بالقدر بعد أن مضى وتاب من فعله [3]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/ 361

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/ 374

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/ 374

75/ سب الريح :

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تسبوا الريح؛ فإذا رأيتم ما تكرهون؛ فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به،[1] ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها، وشر ما أمرت به " صححه الترمذي [2]

- علة النهي عن سبِّ الريح أمران :

الأمر الأوّل: أنها مأمورة، فسبُّها في الحقيقة سبٌّ لآمرها. [3]

والأمر الثاني: أنها لا تستحق اللعن. والقاعدة الشرعية: أنّ مَن لعن شيئًا ليس أهلاً للّعن؛ لعن نفسه، ترجع اللعنة عليه. [4]

- من سوء الأدب في الألفاظ سبُّ الريح؛ لأنّ الريح مأمورة من الله تعالى، تأتي بالرحمة بأمر الله، وتأتي بالعذاب بأمر الله، فسبُّها سبٌّ لآمرِها في الحقيقة، واعتراض على أمر الله –عز وجل–.[5]

---

[1] ... السب: الشتم، والعيب، والقدح، واللعن، وما أشبه ذلك ...

قوله: " من خير هذه الريح ": الريح نفسها فيها خير وشر ...

قوله: " وخير ما فيها ": أي: ما تحمله؛ لأنها قد تحمل خيرا؛ كتلقيح الثمار، وقد تحمل رائحة طيبة الشم، وقد تحمل شرا؛ كإزالة لقاح الثمار، وأمراض تضر الإنسان والبهائم.

قوله: " وخير ما أمرت به ": مثل إثارة السحاب، وسوقه إلى حيث شاء الله (القول المفيد 2/379)

[2] ... قوله: " وشر ما أمرت به ": كالإهلاك والتدمير (القول المفيد 2/380)

[3] لو وجدت قصرا مبنيا وفيه عيب، فسببته؛ فهذا السب ينصب على من بناه، وكذلك سب الريح؛ لأنها مدبرة مسخرة على ما تقتضيه حكمة الله عز وجل / القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/379

[4] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[5] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

- **حكم سب الريح :**

سبُّ الريح إن كان سبًّا لها لِمَا وقع فيها من شر؛ فهذا حرام، وسوء أدبٍ مع الله؛ لأنه يَلزَم من ذلك سبُّ الله، لكن هذا لا يَخطر في قلب السابِّ في الغالب؛ ولذلك لا يكون كفرًا، وإنما هو حرام.

- أمّا إذا كان سبُّها لأنها الفاعِلة والمحدِثة لهذا الشر، والخالقة والصانعة لهذا الشر؛ فهذا شركٌ في الربوبية...

- وأمّا إذا كان سبُّها سبًّا لآمرِها؛ يعني: الذي سبَّها يَقصِد سبَّ آمرِها؛ فهذا كفر -والعياذ بالله- ...

أمّا وصْفُها والإخبار عما وقع بسببها؛ فذلك ليس حرامًا. أن تقول: جاءتنا ريحٌ شديدة [1]

76/الاستشفاع بالله على خلقه :

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: "جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك؛ فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله! سبحان الله! [2] فما

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] قوله: "نستشفع بالله عليك": أي: نجعله واسطة بيننا وبينك لتدعو الله لنا، وهذا يقتضي أنه جعل مرتبة الله في مرتبة أدنى من مرتبة الرسول صلى الله عليه وسلم.

قوله: "ونستشفع بك على الله": أي: نطلب منك أن تكون شافعا لنا عند الله، فتدعو الله لنا، وهذا صحيح.

قوله: "سبحان الله! سبحان الله": قاله صلى الله عليه وسلم استعظاما لهذا القول، وإنكارا له، وتنزيها لله عز وجل عما لا يليق به .... والتسبيح: تنزيه الله عما لا يليق به من نقص، أو عيب، أو مماثلة للمخلوق، أو ما أشبه ذلك (القول المفيد 2/507)

زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: " ويحك! [1] أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه ... "" وذكر الحديث. رواه أبو داود [2] الاستشفاع بالله على خلقه تنقص لله عز وجل لأنه جعل مرتبة الله أدنى من مرتبة المشفوع إليه [3]

- تنبيه :

السؤال بالله لا يقتضي أن تكون مرتبة المسئول به أدنى من مرتبة المسئول بخلاف الاستشفاع [4]

---

[1] أي: عرف أثره في وجوه أصحابه، وأنهم تأثروا بذلك (القول المفيد 2/508)

[2] أي: لا يطلب منه أن يكون شفيعا إلى أحد، وذلك لكمال عظمته وكبريائه، وهذا الحديث فيه ضعف، ولكن معناه صحيح (القول المفيد 2/ 509)

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/506

[4] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/510

المبحث الثالث عشر : شبهات وردود عليها

1/ تعريف الشبهة :

الشبهات جمع شبهة ، وهي المسألة التي جُعلت شبها بالحق؛ لأن الحق عليه دليل بيّن واضح ، والشبهة سميت شبهة لأنها مسألة من مسائل العلم أورد عليها أصحابها بعض الأدلة التي يظنونها علما، فالشبهة عبارة عن تشبيه الباطل بالحق، فإذا شبّه الباطل بالحق من جهة أن الباطل له دليل وله برهان صارت هذه المسألة -إذا عُورض بها الحق- صارت شبهة [1]

2/ خطورتها :

الشبهة والمُشَبَّهة هي المسائل المعضلة أو المشكلة التي تلتبس على الناس كما جاء في بعض ألفاظ حديث النعمان بن بشير المشهور قال "الْحَلاَلَ بَيِّنٌ، والْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشَبَّهات" أو "مُشْتَبِهَاتٌ" سميت مشبَّهة ومشتبهة لأنّ الأمر فيها يشتبه على الناظر فيه، وهكذا الشبهة تُلقى؛ يلقيها الشيطان أو يلقيها أعوانه أو تأتي في الذهن فيشتبه معها الحق ويشتبه الباطل معها بالحق، فيصبح الأمر غير واضح بها [2]

3/ حكم إزالة الشبهة :

لا شك أنّ إزالة الشبهات وكشف الشبهات من أصول هذا الدين؛ لأن الله جل وعلا رد على المشركين في القرآن ودحض شبهاتِهم وأقوالَهم، قال جل وعلا ؟وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ؟[الشورى:16]، وكل من يجادل بالباطل له حجة وله علم لكن حجته داحضة، وكون الحجة تُدحض هذا أصل في إزالة الشبهة في الدين، فإزالة الشبه التي شبه بها أعداء الملة وأعداء الدين فرض من الفروض في هذه

---

[1] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 32

[2] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 32

الشريعة وواجب من الواجبات، لا بد أن يوجد من يقوم به وإلا للتبس الباطل بالحق، وصار هذا يُشبه هذا وضل الناس .

وقد ذكر إمام هذه الدعوة في مسائل كتاب التوحيد حينما عرض لحديث إرسال معاذ بن جبل إلى اليمن قاتل له "إنّكَ تَأْتِي قَوْما مِنْ أَهْلِ كِتَابِ فليكن أول ما تدعوهم إليه شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله وأنّ محمداً رسولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ" الحديث، قال في المسائل ما حاصله: في هذا ردّ الشبه عن الدين؛ لأنه مهد له عليه الصلاة والسلام بقوله (إِنّكَ تَأْتِي قَوْما مِنْ أَهْلِ كِتَابِ)، وكونهم من أهل الكتاب هذا يعني أن يستعد لمناظرتهم وللحجاج معهم، ثم قال (فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ)، فنَفْهَم من قوله (أَطَاعُوا لِذَلِكَ) أنه سيكون بينه وبينهم حجاج ونقاش وأخذ ورد ولإزالة الشبه التي قد تكون عندهم في رد التوحيد ورد رسالة النبي عليه الصلاة والسلام، فقوله (فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ) فيه رد الشبه وأنها من وظائف العلماء الدعاة، ثم قال (فَأَعْلِمْهُمْ أَنّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ) وهذا كله دليل على ما ذكر.

المقصود أن إزالة الشبه عن الدين فرض من الفرائض قام به أهل العلم، وصُنِّفت فيه المصنفات في القرون التي شاع فيها التصنيف في القرن الثاني والثالث وما بعده إلى زماننا هذا. [1]

4/ كشف الشبه يكون عن طريقين :

الطريق الأول: طريق عقلي.

والطريق الثاني: الطريق الشرعي السمعي.

[1] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 32

أما الأول وهو الطريق العقلي: فهذا قد يكون بإيجاد البراهين العقلية البحتة التي تبطل شبه المشبهين، وقد يكون بإيجاد الأمثلة العُرفية التي تضعف حجة الخصم، وهذا وهذا موجود في القرآن.

والقسم الثاني الأدلة أو الطريق الشرعي السمعي: بأن يكشف ما شبه به الخصوم بأن تُزال الشبه وتقام الحجة بالأدلة الشرعية، وفي الكتاب والسنة من إقامة الأدلة في مسائل العلم خاصة التوحيد ما يُغني عن غيرها؛ لكن طالب العلم قد يحتاج إلى بعض البراهين العقلية، لذلك جاءت في القرآن آيات كثيرة فيها إقامة البرهان العقلي في التوحيد كقوله جل وعلا ؟لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا؟[الأنبياء:22]، وكقوله جل وعلا ؟قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً(42)سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا؟[الإسراء:41-42]، فهذا من جعْل الحجة العقلية، وقوله جل وعلا (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) فيه دِلالة بينة أنّ وجود إله يعبد مع الله جل وعلا لو كان موجودا لفسدت السموات والأرض؛ لأنه لا بد أن يأتي هذا بما يريد وأن يأتي الآخر بما يريد، ومعنى ذلك أنه لن يكون هذا الملكوت على هذا الانتظام لا بد من المغالبة، ولهذا قال في آية الإسراء (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً) لابد أن يكون ثم مغالبة حتى يستقيم الأمر فلو كان ثم معبود مع الله جل وعلا بحق لكان لا بد من المغالبة، وإذا انتفت المغالبة وكان هذا الكون والمكلوت يمشي على منوال واحد وبإرادة واحدة دلّ ذلك البرهان العقلي؛ البرهان المحسوس المضبوط على أن المعبود بحق واحد وهو الله جل جلاله. [1]

---

[1] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 34

5/ ماتحتاجه في رد الشبه :

تحتاج في رد الشبه إلى :

أولا: أن تتدرج في المقدمات.

ثانيًا: أن تفهم كيف ترد الشبهة بعمومها ، وكيف تُفضّل جمل الشبهة فترد عليها بخصوصها .

ثالثًا : أن تقدم الرد المجمل أو الرد الإجمالي على ما أورد من الشبهة برد مفصل على تفصيل كل جملة جملة [1]

6/ جواب أهل الباطل يكون من طريقين :

جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل، ومفصل.

أما المجمل : فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [آل عمران: 7] وقد صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ﴿إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم﴾ .

مثال ذلك : إذا قال بعض المشركين: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: 62] وأن الشفاعة حق، أو أن الأنبياء لهم جاه عند الله. أو ذكر كلاما للنبي - صلى الله عليه وسلم - يستدل به على شيء من باطله وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجاوبه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة

---

[1] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 211

والأنبياء والأولياء مع قولهم {هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} [يونس: 18] هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه.

وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يخالف كلام الله. وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله فلا تستهن به فإنه كما قال تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: 35]

وأما الجواب المفصل : فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه

منها قولهم: نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا - عليه السلام - لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن عبد القادر أو غيره ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله فجاوبه بما تقدم وهو: إن الذين قاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقرون بما ذكرت، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، واقرأ عليه ما ذكره الله في كتابه ووضحه: فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام! كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام، أم كيف تجعلون الأنبياء أصناما فجاوبه بما تقدم. فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة، ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعله وفعلهم بما ذكر فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} [الإسراء: 57] ويدعون عيسى ابن مريم وأمه وقد قال تعالى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ - قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [المائدة: 75 - 76] واذكر له قوله تعالى:

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ - قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} [سبأ: 40 - 41] وقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [المائدة: 116] فقل له: أعرفت أن الله كفر من قصد الأصنام؟ وكفر أيضا من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

فإن قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم. فالجواب إن هذا قول الكفار سواء بسواء واقرأ عليه قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر: 3] وقوله تعالى {وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} [يونس: 18] واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفت أن الله وضحها لنا في كتابه وفهمتها فهما جيدا فما بعدها أيسر منها. [1]

7/ أمثلة على الشبهات :

- الشبهة الأولى :

إن قال: أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة.

فقل له أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك، فإذا قال: نعم.

فقل له: بين لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده وهو حقه عليك، فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك: قال الله تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً}

[1] كشف الشبهات للعلامة محمد ابن عبد الوهاب 15

[الأعراف: 55] فإذا أعلمته بهذا، فقل له هل علمت هذا عبادة الله؟ فلا بد أن يقول: نعم. والدعاء مخ العبادة.

فقل له: إذا أقررت أنها عبادة ودعوت الله ليلا ونهارا خوفا وطمعا ثم دعوت في تلك الحاجة نبيا أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: فإذا عملت بقول الله تعالى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر: 2] وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: فإن نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يقر ويقول: نعم.

وقل له أيضا: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح، والالتجاء ونحو ذلك؟ وإلا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم والتجأوا إليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جدا. [1]

- الشبهة الثانية :

إن قال: أتنكر شفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - وتتبرأ منها؟ فقل: لا أنكرها، ولا أتبرأ منها، بل هو - صلى الله عليه وسلم - الشافع المشفع وأرجو شفاعته، ولكن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} [الزمر: 44] ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال - عز وجل -: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: 255]

---

[1] كشف الشبهات للعلامة محمد ابن عبد الوهاب 20

ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال – عز وجل –: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: 28] وهو لا يرضى إلا التوحيد كما قال – عز وجل –: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران: 85]

فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد.

تبين لك أن الشفاعة كلها لله فأطلبها منه فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه في، وأمثال هذا.

فإن قال: النبي – صلى الله عليه وسلم – أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فالجواب إن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال: {فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن: 18]

فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله: {فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن: 18]

وأيضا فإن الشفاعة أعطيها غير النبي – صلى الله عليه وسلم – فصح أن الملائكة يشفعون والأولياء يشفعون والأفراط يشفعون أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟ فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه، وإن قلت: لا، بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله. [1]

– الشبهة الثالثة :

إن قال: أنا لا أشرك بالله شيئا حاشا وكلا. ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقر أن الله لا يغفره فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري.

---

[1] كشف الشبهات للعلامة محمد ابن عبد الوهاب 24

فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه، أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا.

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام فقل له: ما معنى عبادة الأصنام أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها. فهذا يكذبه القرآن.

وإن قال: هو من قصد خشبة أو حجرا أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون إنه يقربنا إلى الله زلفى ويدفع الله عنا ببركته أو يعطينا ببركته.

فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها، فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب.

ويقال له أيضا: قولك الشرك عبادة الأصنام هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك، فهذا يرده ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين، فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحدا من الصالحين فهو الشرك المذكور في القران، وهذا هو المطلوب.

وسر المسألة: أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله.

فقل له: وما الشرك بالله، فسره لي.

فإن قال: هو عبادة الأصنام.

فقل: وما معنى عبادة الأصنام، فسرها لي.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده.

فقل: ما معنى عبادة الله وحده، فسرها لي، فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئا وهو لا يعرفه.

وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: 5]

فإن قال: إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء وإنما يكفرون لما قالوا، الملائكة بنات الله فإنا لم نقل عبد القادر ابن الله ولا غيره.

فالجواب أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل، قال الله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ - اللَّهُ الصَّمَدُ} [الإخلاص: 1 - 2] والأحد الذي لا نظير له، والصمد المقصود في الحوائج، فمن جحد هذا فقد كفر، ولو لم يجحد السورة. وقال الله تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ} [المؤمنون: 91] ففرق بين النوعين، وجعل كلا منهما كفرا مستقلا، وقال تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: 100]

[الأنعام: 10.] ، ففرق بين كفرين.

والدليل على هذا أيضا: أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلا صالحا لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك. وكذلك أيضا العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في (باب حكم المرتد) أن المسلم إذا زعم أن لله ولدا فهو مرتد، ويفرقون بين النوعين، وهذا في غاية الوضوح.

وإن قال: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: 62] فقل هذا هو الحق، ولكن لا يعبدون.

ونحن لم نذكر إلا عبادتهم مع الله وشركهم معه، وإلا فالواجب عليك حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم.

ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين. [1]

- الشبهة الرابعة : إجابة السؤال أو حصول المطلوب حينما يسأل نبي من الأنبياء أو يسأل ولي من الأولياء عند القبر

حينما يسأل نبي من الأنبياء أو يسأل ولي من الأولياء عند القبر فيُجاب السؤال أو يحصل له ما طلب ، فسبب حصول ما طلب أحد شيئين :

الأول: أن يكون شياطين الجن أحضرت له ما طلب، أو كان ثم سبب فأزالته الجن؛ يعني بسبب من جهة الجن إما امرأة ما تحمل بسبب شياطين الجن، أو شيء مفقود كان بسبب شياطين الجن، أو نحو ذلك، أو أراد أن يكلم هذا الميت فكلمه شيطان، وما أشبه ذلك يعني مما تقدر عليه الجن هذا نوع.

والنوع الثاني: أن يكون سأل متوسطا بصاحب القبر لكنه قام بقلبه حين السؤال اضطرار وحاجة ملحة فأجاب الله جل وعلا لأجل الاضطرار، والله جل وعلا أطلق إجابة المضطر فقال سبحانه ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[النمل:62]، فالمشرك إذا كان مضطرا يجاب، ولو كان في سؤاله بعض الشرك؛ لأنه يكون هنا غلب عليه جهة الاضطرار.

ولهذا حقق العلماء أنّ إجابة سؤال المشرك عند القبر ليس السر فيه القبر كما يقوله المشركون، وإنما يكون ثم شيء آخر إما جهة شياطين الجن وإما أمر آخر قام بالقلب منه مثلا الاضطرار وإنزال الحاجة والانكسار بين يدي الله جل وعلا، فيظن الظان أن سبب إجابة الدعاء بركة القبر، وإنما هو من جهة ما قام بالقلب من الاضطرار لأن إجابة الدعاء من فروع الربوبية، والربوبية ليست خاصة لمسلم دون كافر، إعطاء الأرزاق ليس خاصا بالموحدين، بل يعطي الله

[1] كشف الشبهات للعلامة محمد ابن عبد الوهاب 27

جل وعلا الجميع كما قال جل وعلا في جواب سؤال إبراهيم قال ؟وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ؟[البقرة:126]. [1]

[1] شرح كشف الشبهات للشيخ صال آل الشيخ 106

المبحث الرابع عشر : الايمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى

المطلب الأول : مفاهيم في توحيد الأسماء والصفات

1/ تعريف توحيد الأسماء والصفات :

هو "إفراد الله تعالى بما سمى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل " [1]

تعريف أخر : هو إفراد الله– عز وجل– بما له من الأسماء والصفات.

وهذا يتضمن شيئين :

الأول: الإثبات، وذلك بأن نثبت لله– عز وجل– جميع أسمائه وصفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الثاني: نفي المماثلة، وذلك بأن لا نجعل لله مثيلا في أسمائه وصفاته، كما قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: من الآية11] .

... فمن لم يثبت ما أثبته الله لنفسه؛ فهو معطل، وتعطيله هذا يشبه تعطيل فرعون

ومن أثبتها مع التشبيه؛ صار مشابها للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره [2]

ومن أثبتها بدون مماثلة صار من الموحدين ...[3]

[1] شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين 39

[2] وإن كان المعطلون أعظم جرما / القول المفيد لابن عثيمين 18/1

[3] القول المفيد لابن عثيمين 16/1

2/ الذي كثر فيه النزاع بين أهل القبلة هو توحيد الأسماء والصفات :

كل من كان من أهل القبلة لا ينكرون هذين النوعين من التوحيد: وهما: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وإن كان يوجد في بعض أهل البدع من يؤله أحداً من البشر.

لكن الذي كثر فيه النزاع بين أهل القبلة هو : القسم الثالث وهو توحيد الأسماء والصفات: هذا هو الذي كثر فيه الخوض، فانقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام، وهم: ممثل، ومعطل، ومعتدل

والمعطل: إما مكذب أو محرف. [1]

3/ الإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها :

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء، ولا خوفاً ، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى ، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه. [2]

-4/ أهميته :

شرف العلم تابع لشرف معلومه ... ولا ريب ان اجل معلوم وأعظمه واكبره فهو الله ... فالعلم بذاته سبحانه وصفاته وافعاله يستلزم العلم بما سواه فهو في ذاته رب كل شيء ومليكه والعلم به اصل كل علم ومنشؤه فمن عرف الله عرف ما سواه ومن جهل ربه فهو لما سواه اجهل [3]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة لابن عثيمين 29

[2] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 87

[3] مفتاح دار السعادة 86

5/ تاريخ الخلاف في هذا القسم :

هذا القسم قد جحده الجهمية وتلاميذهم من المعتزلة والأشاعرة، وهو في الحقيقة داخل في توحيد الربوبية، لكن لما كثر منكروه وروجوا الشبه حوله ؛ أفرد البحث، وجعل قسما مستقلاً، وألفت فيه المؤلفات الكثيرة؛ فألف الإمام أحمد رده المشهور على الجهمية، وألف ابنه عبد الله كتاب (السنة) ، وألف عبد العزيز الكناني كتاب (الحيدة) في الرد على بشر المريسي، وألف أبو عبد الله المروزي كتاب (السنة) ، وألف عثمان بن سعيد كتاب (الرد على بشر المريسي) ، وألف إمام الأئمة محمد بن خزيمة كتاب (التوحيد) ، وألف غير هؤلاء كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الردود على هؤلاء ومن جاء بعدهم وسار على نهجهم؛ فلله الحمد والمنة على بيان الحق ودحض الباطل.

أول من عرف عنه إنكار الصفات بعض مشركي العرب الذين أنزل الله فيهم قوله: {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} . وسبب نزول هذه الآية أن قريشا لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن؛ أنكروا ذلك؛ فأنزل الله فيهم: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} .

وذكر ابن جرير أن ذلك كان في صلح الحديبية حين كتب الكاتب: {بسم الله الرحمن الرحيم} ؛ قالت قريش: أما الرحمن؛ فلا نعرفه.

روى ابن جرير - أيضا - عن ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ساجدًا يقول: "يا رحمن! يا رحيم! " . فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدًا، وهو يدعو مثنى. فأنزل الله: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} ، وقال تعالى في سورة الفرقان: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ}

فهؤلاء هم سلف الجهمية والأشاعرة في إنكار أسماء الله وصفاته، وبئس السلف لبئس الخلف: {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً} .

أما الرسل وأتباعهم - خصوصا محمدًا صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والذين اتبعوهم بإحسان؛ فهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، وينكرون على من يخالف هذا المنهج.

فقد روى عبد الرازق عن معمر عن طاووس عن أبيه عن ابن عباس؛ أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات؛ استنكار لذلك؛ فقال: "ما فرق هؤلاء؟، يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه؟! "؛ يشير رضي الله عنه إلى أناس يحضرون مجلسه من عامة الناس؛ بأنهم إذا سمعوا شيئا من نصوص الصفات، وهي من المحكم؛ حصل معهم فرق - أي: خوف، وانتفضوا كالمنكرين لها، فهم كالذين قال الله فيهم: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} فيدعون المحكم، ويتبعون المتشابه، ويؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض.

ونصوص الصفات من المحكم لا من المتشابه، يقرؤها المسلمون ويتدارسونها، ويفهمون معناها ولا ينكرون منها شيئا.

قال وكيع: "أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث [يعني: أحاديث الصفات] ولا ينكرونها ... " انتهى.

وإنما ينكرها المبتدعة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، الذين ساروا على منهج مشركي قريش، الذين يكفرون بالرحمن، ويلحدون في أسماء الله، وقد قالتعالى: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ؛ فأثبت لنفسه الأسماء الحسنى، وأمر أن يُدعى بها، وكيف يُدعى بما لا يسمى به ولا يفهم معناه على زعم هؤلاء؟! وتوعد الذين يلحدون في أسمائه فينفونها عنه أو يؤولونها عن معانيها الصحيحة؛ بأنه سيجزيهم على عملهم بالعقاب والعذاب؛ كما وصفهم بالكفر في قوله تعالى: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} 1؛ فلهذا كفَّر الجهمية كثير من أهل السنة:

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله –:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني [1]

6/ أصول ثلاثة لمن أراد الاشتغال بالأسماء والصفات :

أهل السنة يقولون لابد من أصول ثلاثة لمن أراد الاشتغال بالأسماء والصفات:

الأول: أن يقر في نفسه أنه لا أحد أعلم بالله من الله. {قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} (البقرة: من الآية140) .

الثاني: أنه لا أحد أعلم بالله من خلق الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو أعلم الخلق بالله {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} (النجم: 3-4) .

الثالث: أن الله بالنسبة لنا غيب ... وعليه فالطريقة الحقة في باب الصفات: أن نصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله لا نتجاوز القرآن والحديث، كما قال الأوزاعي رحمه الله: "ندور مع السنة حيث دارت"، أي نفياً وإثباتاً [2]

7/ حكم الخوض في ذات الله :

لا يمكن الخوض في ذات الله عز وجل؛ لأن الوصول إلى معرفة حقيقة ذات الله عز وجل مستحيلة، ومن رام ذلك فقد يقع في هلاك وشقاء. نعم يفكر ويتأمل في أسماء الله وصفاته، كما قال عز وجل: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [3]

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 142

[2] التحفة السنية شرح المنظومة الحائية للشيخ عبد الرزاق البدر 45

[3] فتاوى نور على الدرب للعلامة ابن عثيمين 2/4

8/ ضابط التفكر في الله :

التفكر إنما يكون في آياته، وفي أسمائه، وفي صفاته، أما في ذاته فلا لأنه مهما كان الأمر فلا يمكن أن تصل إلى نتيجة إلا إلى نتيجة محرمة، وهي أن تتصور مثالا ليس لك به علم، وقد قال الله تعالى: (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) [1]

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 239

المطلب الثاني : قواعد في أسماء الله تعالى :

القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى كلها حسنى :

أي: بالغة في الحسن غايته [1] قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} ، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديرًا.

---

[1] قولنا غايته يفيد أنه ليس وراء ذلك في الكمال شئ ...أسماء الله ليس لها نهاية في الحسن ...في أكمل مايكون من الحسن / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 21

- ولهذا نقول إن الألفاظ إما أن تدل على معنى ناقص نقصا مطلقا وإما أن تكون دالة على كمال في حال ونقص في حال وإما أن تكون دالة على الكمال ولكن ليس غاية الكمال وإما أن تدل على غاية الكمال.

فهذه أربعة أقسام :

القسم الأول إن كانت دالة على غاية الكمال فهي من أسماء الله إذ ليس فيها نقص أبدا لااحتمالا ولاتقديرا وذلك مثل السميع والبصير...

القسم الثاني وهو الألفاظ الدالة على كمال لكن مع احتمال نقص فهذا لايسمى به الله ولكن يخبر به عنه لأن باب الإخبار أوسع وذلك مثل المتكلم والشائي...فالمتكلم ليس من أسماء الله لأن المتكلم قد يتكلم بما يحمد وقد يتكلم بما يذم ولكن الكلام نفسه كمال ولكن متعلق ذلك الكلام قد يكون نقصا وقد يكون كمالا فالمتكلم بالمعروف متكلم بكمال والمتكلم بالمنكر متكلم بالنقص فصفة الكلام في ذاتها كمال ولكن موضوع المتكلم قد يحمد وقد يذم ولهذا لم يكن المتكلم من أسماء الله وصح أن يطلق على الله من باب الإخبار...

القسم الثالث الذي يحتمل نقصا وكمالا في نفس المعنى لا في المتعلق لايطلق على الله تعالى وإنما يذكر مقيدا مثل المكر والخداع...فالكيد في ذاته ينقسم الى كيد محمود وكيد مذموم ...والصواب أن نقيد ذلك فنقول إن الله عزوجل كائد بمن يكيد وماكر بمن يمكر...

القسم الرابع الذي هونقص محض فهذا لايسمى الله به ولايوصف به مثل العمى والصم والعجز فهذا نقص محض فلا يطلق على الله أبدا لاخبرا ولا تسمية

والخلاصة أن الأقسام أربعة

1/ كمال في ذاته وموضوعه وهذا يكون من أسمائه

مثال ذلك: "الحي" اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال. الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها ...

والحُسْنُ في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال .

مثال ذلك: "العزيز الحكيم" فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيرًا. فيكون كل منهما دالا على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز، والحكم والحكمة في الحكيم. والجمع بينهما دال على كمال آخر، وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلما وجورًا وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف. وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل. [1]

القاعدة الثانية: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف :

أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهى بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله عز وجل، وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص. [2]

2/ كمال في ذاته لا في موضوعه فهذا يطلق على الله خبرا لا تسمية

3/ مايحتمل نقصا وكمالا فها لايخبر به عن الله خبرا مطلقا وإنما خبرا مقيدا ولا يعتبر من الأسماء

4/ ماكان نقصا محضا فهذا لايوصف الله ولا يسمى الله به / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 22

[1] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 21

[2] وأما أسماء غير الله فهي اعلام فقط فقد يتسمى احد الناس بعبد الله وهو من اكفر الناس... أسماء غير الله أعلام مجردة فقط إلا أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وأسماء القرآن فاسماء الرسول هي اعلام واوصاف لان اسم رسول الله محمد وقد سمي بهذا الاسم لكثرة محامده / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 30

ف "الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم" كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.[1]

وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لدلالة القرآن عليها، كما في قوله تعالى: {وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} ، وقوله: {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ} ، فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة. ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال: عليم إلا لمن علم، ولا سميع إلا لمن سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر. .[2] وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل[3]

---

[1] اعلم أن الكلمتين إما أن تكونا متابينتين أو مترادفتين أو مشتركتين أو بينهما عموم وخصوص

أولا أن تكون الكلمتان متباينتين وذلك بأن تدل كل كلمة منهما على معنى لا يتفق مع الكلمة الاخرى مثل القمح والأرز ... ثانيا أن تكون الكلمتان مترادفتين لترادفهما على معنى واحد كما يترادف الشئ بعضة على بعض مثل قمح وبر وحنطة فكلها مترادفة...

ثالثا قد تكون الكلمة مشتركة وذلك بأن تكون هناك كلمة واحدة تدل على معان متعددة وذلك بعكس الترادف ومثال ذلك العين فهي تطلق على العين الجارحة وعلى عين الماء الجارية وعلى الذهب وعلى الجاسوس...

رابعا أن يكون بين الكلمتين عموم وخصوص بأن تكون إحدى الكلمتين أخص من الاخرى مثل إنسان وحيوان فالانسان نسميه انسانا فهذا خاص وكلمة حيوان عام فالحيوان يشمل الإنسان وغيره/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 32

[2] اهل اللغة والعرف اجمعوا على انه لايوصف بالمشتق الا من اتصف بمعناه فلايقال للاصم سميع ولا للاعمى بصير/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 34

[3] وَهَذَا شَأْن أَسمَاء الرب تَعَالَى وَأَسْمَاء كِتَابه وَأَسْمَاء نبيه هِيَ أَعْلَام دَالَّة على معَان هِيَ بهَا أَوْصَاف فَلاَ تضَاد فِيهَا العلمية الْوَصْف بِخِلاَف غَيرهَا من أَسمَاء المخلوقين... وَكَذَلِكَ أَسمَاء الرب تَعَالَى كلهَا أَسمَاء مدح وَلَو كَانَت ألفاظاً مُجَرّدَة لَا مَعَانِي لَهَا لم تدل على الْمَدْح وَقد وصفهَا الله سُبْحَانَهُ بِأَنَّهَا حسنى كلهَا ... وَأَيْضًا فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يُعلل أَحْكَامه وأفعاله بأسمائه وَلَو لم يكن لَهَا معنى لما كَانَ التَّعْلِيل صَحِيحا... فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يسْتَدلّ بأسمائه على توحيده وَنفي الشّرك عَنهُ وَلَو كَانَت أَسمَاء لَا معنى لَهَا لم تدل على ذَلِك...ومن تأمل هذا المعنى في القرآن هبط به على

وبهذا علم ضلال من سلبوا أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل، وقالوا: إن الله تعالى سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة، وهكذا. وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء. وهذه العلة عليلة، بل ميتة لدلالة السمع والعقل على بطلانها.[1]

أما السمع فلأن الله تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنه الواحد الأحد. فقال تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} . وقال تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى} ففي هذه الآيات الكريمة أوصاف كثيرة لموصوف واحد، ولم يلزم من ثبوتها تعدد القدماء.

وأما العقل: فلأن الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف حتى يلزم من ثبوتها التعدد، وإنما هي من صفات من اتصف بها فهي قائمة به، وكل موجود فلا بد له من تعدد صفاته، ففيه صفة الوجود، وكونه واجب الوجود أو ممكن الوجود، وكونه عينا قائما بنفسه أو وصفا في غيره [2]

رياض من العلم... وَأَيْضًا فَإِن الله تَعَالَى يعلق بأسمائه المعمولات من الظروف وَالْجَار وَالْمَجْرُور وَغَيرهمَا وَلَو كَانَت أعلاماً مَحْضَة لم يَصح فِيهَا... وَأَيْضًا فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَجْعَل أسماءه دَلِيلا على مَا يُنكره الجاحدون من صِفَات كَمَاله / جلاء الافهام للإمام ابن القيم 171

[1] المعطلة يقولون نحن نثبت اسماء الله ...لكن بدون اثبات المعنى ...

فاذا سالناهم عن سبب ذلك قالوا لانك اذا قلت ان لله سمعا وبصرا وقدرة وقوة وقلت بان هذه الصفات قديمة لزم من ذلك تعدد القدماء... ونحن نقول ...لايلزم من تعدد الصفة تعدد الموصوف / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 35

[2] كل موجود لابد ان تتعد صفاته ... فمثلا الموجود فيه صفة الوجود

ووجوده إما ممكن وإما واجب ، وهذه صفة ثانية ، ونحن نقول بأن وجودنا من باب الممكن، وبأن وجود الله -عز وجل- من باب الواجب، ونقول كذلك: الموجود إما أن يكون وجوده عنيًا قائمة بنفسها، أو يكون صفة في غيره، فالإنسان - مثلاً- عينٌ قائم بنفسه، وعين الإنسان وسمعه وبصره وصفٌ قائمٌ بغيره،

وبهذا أيضا علم أن "الدهر" ليس من أسماء الله تعالى، لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى، ولأنه اسم للوقت والزمن، [1] قال الله تعالى عن منكري البعث: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاّ الدَّهْرُ} يريدون: مرور الليالي والأيام.

فأما قوله صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" فلا يدل على أن الدهر من أسماء الله تعالى، وذلك أن الذين يسبون الدهر إما يريدون الزمان الذي هو محل الحوادث، لا يريدون الله تعالى، فيكون معنى قوله: "وأنا الدهر" ما فسره بقوله: "بيدي الأمر أقلب الليل والنهار"، فهو سبحانه خالق الدهر وما فيه، وقد بين أنه يقلب الليل والنهار وهما الدهر، ولا يمكن أن يكون المقلِّب (بكسر اللام) هو المقلَّب (بفتحها) ، وبهذا تبين أنه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مرادًا به الله تعالى. [2]

- أسماء الله تعالى مشتقة :

أي أنها تتضمن معاني وأوصافا فكل اسم منها يتضمن الصفة التي اشتق منها، حتى اسم (الله) يتضمن صفة وهي الإلوهية، فأسماء الله تعالى إذاً أعلام دالة على صفة، ولولا ذلك ما كانت حسنى [3]

... فكل موجود لابد ان يتصف بهد الصفات الثلاثة

1/ الوجودية

2/ وكون وجوده واجبا او ممكنا

3/ وكونه عينا قائمة بنفسها او وصفا في غيره / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 36

[1] الاسم الجامد هو الذي لايدل على وصف / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 38

[2] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 29

[3] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 163

أما أسماؤنا نحن؛ فيراد بها الدلالة على الذات فقط، فقد يسمى محمدا وهو من أشد الناس ذما، وقد يسمى عبد الله وهو من أفجر عباد الله.

أما أسماء الله عز وجل، وأسماء الرسول صلى الله عليه وسلم وأسماء القرآن، وأسماء اليوم الآخر، وما أشبه ذلك؛ فإنها أسماء متضمنة للأوصاف. [1]

القاعدة الثالثة: أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة، استدلوا على ذلك بقوله تعالى: {إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ، لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحد عنهم.

مثال ذلك: "السميع" يتضمن إثبات السميع اسما لله تعالى، وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، كما قال تعالى {وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} . [2]

وإن دلت على وصف غير متعدٍّ تضمنت أمرين:

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

مثال ذلك: "الحي" يتضمن إثبات الحي اسما لله عز وجل وإثبات الحياة صفة له . [1]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/257

[2] يعبر البعض عنها بالاثر فيقال يجب الايمان بالاسم والصفة والاثر وبعضهم يقول نؤمن بالاسم والصفة والحكم او المقتضى / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 43

- من أسمائه الحسنى ما يكون دالا على عدة صفات :

ويكون ذلك الاسم متناولا لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها ... كاسمه العظيم والمجيد والصمد كما قال ابن عباس: فيما رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره: "الصمد: السيد الذي قد كمل في سؤدده والشريف: الذي قد كمل في شرفه والعظيم: الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في أنواع شرفه وسؤدده وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفوا أحد وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار هذا لفظه وهذا مما خفي على كثير ممن تعاطى الكلام في تفسير الأسماء الحسنى ففسر الاسم بدون معناه ونقصه من حيث لا يعلم فمن لم يحط بهذا علما بخس الاسم الأعظم حقه وهضمه معناه فتدبره.[2]

القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام

مثال ذلك: "الخالق" يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام.

ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال: {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً}[3]

---

[1] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 29

[2] بدائع الفوائد للإمام ابن القيم 168/1

[3] كل لفظ فإنه يدل على المعنى بالمطابقة والتضمن والالتزام وعليه فأنواع الدلالات ثلاثة

...أما دلالة المطابقة فهي أن يدل اللفظ على جميع أجزاء معناه وأفراده

وأما دلالة التضمن فمعناها دلالة اللفظ على جزء معناه

وأما دلالة الالتزام فمعناها دلالة اللفظ على لازم خارج

ودلالة الالتزام مفيدة جدًا لطالب العلم إذا تدبر المعنى، ووفقه الله تعالى فهما للتلازم، فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة .[1]

واعلم أن اللازم من قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم إذا صح أن يكون لازما فهو حق، وذلك لأن كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم حقٌ، ولازمُ الحق حق، ولأن الله تعالى عالم بما يكون لازما من كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فيكون مرادًا.[2]

وأما اللازم من قول أحد سوى قول الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فله ثلاث حالات:

الأولى: أن يذكر للقائل ويلتزم به. مثل أن يقول: من ينفى الصفات الفعلية لمن يثبتها، يلزم من إثباتك الصفات الفعلية لله عز وجل أن يكون من أفعاله ما هو حادث. فيقول المثبت: نعم، وأنا ألتزم بذلك، فإن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعالا لما يريد، ولا نفاد لأقواله وأفعاله كما قال تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ

مثال ذلك: كلمة السيارة تدل على كل السيارة هيكلها ، وماكيناتها ، وأنابيبها ، وإطاراتها ، وكل شيء فيها بالمطابقة ، وتدل على الإطارات فقط بالتضمن ، وتدل على البطارية فقط بالتضمن ، وتدل على صانعها بالالتزام ؛ لأن لها صانعا ، وهي لم تصنع نفسها . / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 44

[1] ومثال ذلك إذا قلنا هل يجوز للصائم أن يصبح جنبا من جماع فجواب ذلك مذكور في كتاب الله في قوله تعالى (فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) فهذه الآية دلت على أنه يجوز المباشرة إلى الفجر ومن لازم ذلك أن يصبح الرجل وهو جنب وحينئذ نقول هذه الآية دلت على جواز أن يصبح الصائم جنبا بدلالة الالتزام. / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 47

[2] فإذا صح اللازم فإنه حق سببين

الأول أن كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم حق ولازم الحق حق

الثاني أن الله عزوجل يعلم ماذا يترتب على كلامه وكلام رسوله فإذا كان يعلم ذلك كان هذا اللازم مرادا لله عزوجل / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 48

مَدَداً} وقال: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} .وحدوث آحاد فعله تعالى لا يستلزم نقصا في حقه.[1]

الحال الثانية: أن يذكر له ويمنع التلازم بينه وبين قوله. مثل أن يقول النافي للصفات لمن يثبتها: يلزم من إثباتك أن يكون الله تعالى مشابها للخلق في صفاته""

فيقول المثبت: لا يلزم ذلك، لأن صفات الخالق مضافة إليه، لم تذكر مطلقة حتى يمكن ما ألزمت به، وعلى هذا فتكون مختصة به لائقة به كما أنك أيها النافي للصفات تثبت لله تعالى ذاتا وتمنع أن يكون مشابها للخلق في ذاته، فأي فرق بين الذات والصفات؟. وحكم اللازم في هاتين الحالين ظاهر.

الحال الثالثة: أن يكون اللازم مسكوتا عنه، فلا يذكر بالتزام ولا منع، فحكمه في هذه الحال أن لا ينسب إلى القائل، لأنه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذكر له فتبين له لازمه وبطلانه أن يرجع عن قوله، لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم.

ولورود هذين الاحتمالين لا يمكن الحكم بأن لازم القول قول.[2]

---

[1] فهذا اللازم التزم به القائل فيكون من قوله بلا شك لأمرين

الأول لأن كلامه دل عليه

الثاني لأنه التزم به. / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 50

[2] حينئذ يبقى على قوله الاول ويمنع التلازم فينفي اللازم / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 54

- عندنا ثلاثة احتمالات :

الاول ان يذكر له اللازم فليتزمه وهذا من الحالة الاولى

الثاني ان يذكر له اللازم فيمنع التلازم وهذا من الحالة الثالنية

الثالثة ان يذكر له اللازم ويتبين له انه لازم وانه باطل وحيئنذ يرجع عن قوله لانه تبين له انه باطل فلما كانت هذه الاحتمالات واردة في امر مسكوت عنه فاننا لانقول بان هذا اللازم قول لهذا القائل/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 55.

فإن قيل: إذا كان هذا اللازم لازما من قوله، لزم أن يكون قولا له لأن ذلك هو الأصل، لا سيما مع قرب التلازم. قلنا: هذا مدفوع بأن الإنسان بشر وله حالات نفسية وخارجية توجب الذهول عن اللازم، فقد يغفل أو يسهو، أو ينغلق فكره، أو يقول القول في مضايق المناظرات من غير تفكير في لوازمه ونحو ذلك.[1]

- ما يلزم من وصف المخلوق لا يعد لازما في وصف في الخالق :

أي لازم يلزم من وصف المخلوق لا يعد لازما في وصف في الخالق

ولهذا الفساد عند هؤلاء جاء من جهة الخلط بين اللوازم يجعلون ما هو لازم من وصف المخلوق لازما في وصف الخالق. وهذا من أبطل الباطل.

ولنتنبه في هذا الباب لهذه القاعدة المفيدة ، الإضافة تقتضي التخصيص ؛ بمعنى ما يضاف إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يخصه ويليق بجلاله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وكماله ، وما يضاف إلى المخلوق يخصه ويليق بعجزه ونقصه.

أنا أضرب لكم مثالا يجلي لكم الأمر أكثر:

يقول المعطلة في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)) [طه: ٥] ، هكذا يقولون: يلزم من إثبات الاستواء لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على العرش حقيقة أن يكون الله محتاجا للعرش.

---

[1] - الانسان كبشر له حالات نفسية تحول بينه وبين التفطن للازم فقد يقول القول ويكون غافلا عن لازمه ولو كان ذاكرا للازمه لم يقل هذا القول وهذا مشاهد فاحيانا يرجح الانسان قولا على قول ثم بعد التفكير يرى انه يلزم على هذا القول الذي رجحه معنى باطل فيعدل عن ترجيحه وهذا يقع كثيرا

ولذلك ينبغي للإنسان - كما نبهنا من قبل – ألا يخالف الجمهور إلا إذا علم أن قولهم ليس بصواب لأن الغالب أن الحق مع الجمهور وكذلك قلنا فيما سبق إذا وردت أحاديث صحيحة وهذه الأحاديث تعتبر أصولا في قواعد الإسلام فإنه لايعدل عنها إلى أحاديث آحادية قد تكون - عند التأمل- شاذة ولايمكن القول بهذه الأحاديث الصحيحة حتى تتبين صحتها ولأن مخالفة الأحاديث التي هي كالأصول في قواعد الإسلام أمر عظيم فلا ينبغي مخالفة هذه الأصول إلا بيقين/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 56

أنت صاحب سنة فلو بليت بمعطل ، وقال لك مثل هذا الكلام ؛ يلزم من إثبات استواء الله- تبَارَكَ وَتَعَالَى- على العرش حقيقة أن يكون الله محتاجا للعرش مفتقرا إليه ، إذا قال لك: يلزم هــذا من إثباتك للاستواء. ماذا تقول لهم ؟

لاحظ من أين جاءهم هذا الإلزام ؟ من أين دخل عليهم هذا الإلزام ؟ نظروا إلى المخلوق عندما يستوي على شيء ما شأنه معه ؟ قال الله تعالى: (لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣) ، ظُهُورِهِ أي الفلك والأنعام ، وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٢-١٣] أي الفلك والأنعام ، من يستوي على الفلك ومشي به الفلك في عباب البحر ، ما شأنه مع الفلك الذي هو مستو عليه ؟ محتاج إليه ، بمعنى أنه لو غرق الفلك لغرق ، وكذلك من يستوي على ظهر الدابة ما شأنه مع هذا الاستواء ؟ الاحتياج لو سقطت سقط.

نظروا إلى ما يلزم من صفة المخلوق فجعلوه لازما لوصف الخالق ، فجاؤوا وقالوا: يلزم من إثبات الاستواء الله حقيقة أن يكون الله محتاجا إلى العرش ، فماذا تقول له ؟

تقول: هذا لا يلزم لماذا لا يلزم ؟ هذا لازم في حق المخلوق ، ونحن أضفنا هذه الصفة إلى الكامل إلى الله جل وعلا ، اسْتَوَى أي الله استوى الغني ، الذي يستوي من هو ؟ الغني ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)) (فاطر: ١٥] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ﴾ [فاطر: ٤١] ، فالذي استوى على العرش الغني ، والاستواء مضاف إليه. فإذا قال هؤلاء: يلزم من إثباته لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أن يكون محتاجا. هذا ناشئ من الخلط ، جعلوا ما هو لازم في حق المخلوق لازم في حق الخالق ، وهذا باطل. [1]

---

[1] شرح القواعد المثلى للشيخ عبد الرزاق البدر

- لازم الصفة عندما تضاف الى الله الكمال وعندما تضاف للمخلوق النقص [1]

القاعدة الخامسة: أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها :

بمعنى ان يتوقف فيها على ماجاء في الكتاب والسنة لانزيد ولاننقص لاننا اذا زدنا فقد قلنا على الله بلا علم وان نقصنا فقد كتمنا او جحدنا ماسمى الله به نفسه... فالواجب علينا أن نقتصر على ماجاء به الكتاب والسنة من أسماء الله تعالى وذلك لثلاث علل :

أولا لأن العقل لايكمنه إدراك مايستحقه الله تعالى ...

ثانيا لا يجوز لنا أن نسمي الله بما لم يسم به نفسه لأن ذلك ليس مما لنا به علم وقال تعالى{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ}... [2]

الثالث لأن تسميته تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى[3]

- باب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات :

ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا. [4]

---

[1] شرح القواعد المثلى للشيخ عبد الرزاق البدر

[2] لم يسم الله نفسه بالمتكلم مع أنه يتكلم، لأن الكلام قد يكون خيراً، وقد يكون شراً، وقد لا يكون خيراً ولا شراً، فالشر لا ينسب إلى الله، واللغو كذلك لا ينسب إلى الله، لأنه سفه، والخير ينسب إليه، ولهذا لم يسم نفسه بالمتكلم، لأن الأسماء كما وصفها الله عز وجل: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الأعراف: 180] ، ليس فيها أي شيء من النقص ولهذا جاءت باسم التفضيل المطلق / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 144

[3] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 59

[4] بدائع الفوائد للإمام ابن القيم 1/161

القاعدة السادسة: أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين :

لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور: " أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك" الحديث، رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح [1]

- الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل كما في الحديث الصحيح: "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك" صحيح على الراجح فجعل أسماءه ثلاثة أقسام:

1/ قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه

2/ وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده

3/ وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحد من خلقه

ولهذا قال استأثرت به أي انفردت بعلمه وليس المراد انفراده بالتسمي به لأن هذا الإنفراد ثابت في الأسماء التي أنزل الله بها كتابه ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة: "فيفتح علي من محامده بما لا أحسنه الآن " رواه البخاري ومسلم وتلك المحامد تفي بأسمائه وصفاته ومنه قوله: "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" رواه مسلم وأبو داود وغيرهما [2]

---

[1] وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن أحدًا حصره ولا الإحاطة به / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 66

[2] بدائع الفوائد الإمام ابن القيم 166/1

فأما قوله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة" فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسما، من أحصاها دخل الجنة، أو نحو ذلك.

إذًا فمعنى الحديث: أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة. وعلى هذا فيكون قوله: "من أحصاها دخل الجنة" جملة مكملة لما قبلها وليست مستقلة. ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة.[1]

ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه تعيينها ضعيف. [2]

---

[1] مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالى : {وَلِلَّهِ الأسماء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} وهو مرتبتان :

إحداهما: دعاء ثناء وعبادة والثاني: دعاء طلب ومسألة

فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكذلك لا يسأل إلا بها فلا يقال يا موجود أو يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم / بدائع الفوائد الإمام ابن القيم 164/1

[2] لَم يثبت في سرد الأسماء حديثٌ، وقد اجتهد بعضُ العلماء في استخراج تسعة وتسعين اسماً من الكتاب والسُّنَّة، منهم الحافظ ابن حجر فقد جمع هذا العددَ في كتاب فتح الباري (215/11) ، وفي التلخيص الحبير (172/4) ، ومنهم الشيخ محمد بن عثيمين في كتابه القواعد المثلَى (ص: 15 16) ، وهذه الكتب الثلاثة متفقةٌ في أكثر الأسماء، ويوجد في أحدها ما لا يوجد في الآخر. / قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 85

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتاوى من مجموع ابن قاسم: (تعيينها ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل المعرفة بحديثة) وقال قبل ذلك : (إن الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسرًا في بعض طرق حديثه) اهـ.

وقال ابن حجر في "فتح الباري": (ليست العلة عند الشيخين البخاري ومسلم تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب، وتدليسه، واحتمال الإدراج) [1]

ولما لم يصح تعيينها عن النبي صلى الله عليه وسلم اختلف السلف فيه، ورُوِيَ عنهم في ذلك أنواع ...

ومن أسماء الله تعالى ما يكون مضافا مثل: مالك الملك، ذي الجلال والإكرام [2] . [3]

القاعدة السابعة: الإلحاد في أسماء الله تعالى :

- تعريفه :

الإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها [4]

تعريف آخر : هو الميل بها عما يجب فيها [5]

---

[1] هذا الحديث علله شيخ الاسلام بتفرد الوليد واختلاف والاضطراب والتدليس واحتمال الادراج وكل هذه علل تقدح في صحة هذا الحديث الذي فيه عد الأسماء ثم إن هذه الأسماء منها ما لايصح أن يكون اسما وهناك أسماء أخرى لم تذكر في هذا الحديث / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 71

[2] وكذلك أسماؤه المضافة، مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، و رب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين، وليست من هذه التسعة والتسعين / الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية 383/2

[3] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 66

[4] بدائع الفوائد الإمام ابن القيم 169/1

[5] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 95

- **أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى :**

الأول: أن ينكر شيئا منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم. وإنما كان ذلك إلحادا لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه، فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

الثالث: أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له: (الأب) ، وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة) ، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة، ينزه الله تعالى عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله على أحد القولين، فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به، لقوله تعالى: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} ، وقوله: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} وقوله: {لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} فكما اختص بالعبادة وبالألوهية الحقة، وبأنه يسبح له ما في السماوات والأرض، فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله عز وجل ميل بها عما يجب فيها.

والإلحاد بجميع أنواعه محرم،لأن الله تعالى هَدَّدَ الملحدين بقوله {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ومنه ما يكون شركا أو كفرًا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.[1]

---

[1] زاد ابن القيم نوعا فقال :

- أَكْمَلُ النَّاسِ عُبُودِيَّةً الْمُتَعَبِّدُ بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي يَطَّلِعُ عَلَيْهَا الْبَشَرُ :

كُلُّ اسْمٍ فَلَهُ تَعَبُّدٌ مُخْتَصٌّ بِهِ، عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَحَالًا، وَأَكْمَلُ النَّاسِ عُبُودِيَّةً الْمُتَعَبِّدُ بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي يَطَّلِعُ عَلَيْهَا الْبَشَرُ، فَلاَ تَحْجُبُهُ عُبُودِيَّةُ اسْمٍ عَنْ عُبُودِيَّةِ اسْمٍ آخَرَ، كَمَنْ يَحْجُبُهُ التَّعَبُّدُ بِاسْمِهِ الْقَدِيرِ عَنِ التَّعَبُّدِ بِاسْمِهِ الْحَلِيمِ الرَّحِيمِ، أَوْ يَحْجُبُهُ عُبُودِيَّةُ اسْمِهِ الْمُعْطِي عَنْ عُبُودِيَّةِ اسْمِهِ الْمَانِعِ، أَوْ عُبُودِيَّةُ اسْمِهِ الرَّحِيمِ وَالْعَفُوِّ وَالْغَفُورِ عَنِ اسْمِهِ الْمُنْتَقِمِ، أَوِ التَّعَبُّدُ بِأَسْمَاءِ التَّوَدُّدِ، وَالْبِرِّ، وَاللُّطْفِ، وَالْإِحْسَانِ عَنْ أَسْمَاءِ الْعَدْلِ، وَالْجَبَرُوتِ، وَالْعَظَمَةِ، وَالْكِبْرِيَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْكُمَّلِ مِنَ السَّائِرِينَ إِلَى اللَّهِ، وَهِيَ طَرِيقَةٌ مُشْتَقَّةٌ مِنْ قَلْبِ الْقُرْآنِ [1]

قال تعالى(إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) وقال (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ)

- آثار ومقضيات أسماء الله وصفاته :

مِنْ أَجَلِّ الْمَشَاهِدِ ... مَعْرِفَةُ تَعَلُّقِ الْوُجُودِ خَلْقًا وَأَمْرًا بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ الْعُلاَ، وَارْتِبَاطِهِ بِهَا، وَإِنْ كَانَ الْعَالَمُ بِمَا فِيهِ مِنْ بَعْضِ آثَارِهَا وَمُقْتَضَيَاتِهَا...

فَاسْمُهُ الْحَمِيدُ، الْمَجِيدُ يَمْنَعُ تَرْكَ الْإِنْسَانِ سُدًى مُهْمَلاً مُعَطَّلاً، لَا يُؤْمَرُ وَلَا يُنْهَى، وَلَا يُثَابُ وَلَا يُعَاقَبُ، وَكَذَلِكَ اسْمُهُ الْحَكِيمُ يَأْبَى ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ اسْمُهُ الْمَلِكُ وَاسْمُهُ الْحَيُّ يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ مُعَطَّلاً مِنَ الْفِعْلِ، بَلْ حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ الْفِعْلُ، فَكُلُّ حَيٍّ فَعَّالٌ، وَكَوْنُهُ سُبْحَانَهُ خَالِقًا قَيُّومًا مِنْ مُوجَبَاتِ حَيَاتِهِ وَمُقْتَضَيَاتِهَا، وَاسْمُهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ يُوجِبُ مَسْمُوعًا وَمَرْئِيًا، وَاسْمُهُ الْخَالِقُ

وثالثها: وصفه وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود إنه فقير وقولهم إنه استراح بعد أن خلق خلقه وقولهم: {يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته / بدائع الفوائد الإمام ابن القيم 169/1

[1] مدارج السالكين الإمام ابن القيم 420/1

يَقْتَضِي مَخْلُوقًا، وَكَذَلِكَ الرَّازِقُ، وَاسْمُهُ الْمَلِكُ يَقْتَضِي مَمْلَكَةً وَتَصَرُّفًا وَتَدْبِيرًا، وَإِعْطَاءً وَمَنْعًا، وَإِحْسَانًا وَعَدْلًا، وَثَوَابًا وَعِقَابًا، وَاسْمُ الْبَرِّ وَالْمُحْسِنِ، الْمُعْطِي الْمَنَّانِ وَنَحْوِهَا تَقْتَضِي آثَارَهَا وَمُوجَبَاتِهَا.

إِذَا عُرِفَ هَذَا، فَمِنْ أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ الْغَفَّارُ، التَّوَّابُ، الْعَفُوُّ فَلَا بُدَّ لِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ مِنْ مُتَعَلَّقَاتٍ، وَلَا بُدَّ مِنْ جِنَايَةٍ تُغْفَرُ، وَتَوْبَةٍ تُقْبَلُ، وَجَرَائِمَ يُعْفَى عَنْهَا، وَلَا بُدَّ لِاسْمِهِ الْحَكِيمِ مِنْ مُتَعَلَّقٍ يَظْهَرُ فِيهِ حُكْمُهُ، إِذِ اقْتِضَاءُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِآثَارِهَا كَاقْتِضَاءِ اسْمِ الْخَالِقِ، الرَّازِقِ، الْمُعْطِي، الْمَانِعِ لِلْمَخْلُوقِ وَالْمَرْزُوقِ وَالْمُعْطَى وَالْمَمْنُوعِ، وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا حُسْنَى.[1]

- الأسماء الحسنى والصفات العلا مقتضية لآثارها من العبودية :

لكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنا ولوازم التوكل وثمراته ظاهرا وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأنه يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل مالا يرضى الله وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطنا ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء وتثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعا من العبودية الظاهرة هي موجباتها وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى يوجب له محبة خاصة

[1] مدارج السالكين الإمام ابن القيم 418/1

بمنزلة أنواع العبودية فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها ارتباط الخلق بها فخلقه سبحانه وأمره هو موجب أسمائه وصفاته في العالم وآثارها ومقتضاها لأنه لا يتزين من عباده بطاعتهم ولا تشينه معصيتهم وتأمل قوله في الحديث الصحيح الذي يرويه عن ربه تبارك وتعالى يا عبادي أنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ذكر هذا عقب قوله يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم [1]

- حكم التسمي بأسماء الله سبحانه وتعالى :

أسماء الله تنقسم إلى قسمين:

الأول: ما لا يصح إلا لله، فهذا لا يسمى به غيره، وإن سمي وجب تغييره؛ مثل: الله، الرحمن، رب العالمين، وما أشبه ذلك.

الثاني: ما يصح أن يوصف به غير الله؛ مثل: الرحيم، والسميع، والبصير، فإن لوحظت الصفة منع من التسمي به، وإن لم تلاحظ الصفة جاز التسمي به على أنه علم محض. [2]

فهي إن قصد بها ما يقصد بأسماء الله من الدلالة على العلمية والوصفية فإنها ممنوعة، وإن قصد بها مجرد العلمية فليست ممنوعة، فالحكم والحكيم من أسماء الله، فإذا سمينا شخصا بالحكم أو بحكيم ولم نقصد معنى الحكمة فيه ولا معنى الحكم فهنا لا باس به، وفي الصحابة رضي الله عنهم من اسمه حكيم، وفيهم من اسمه الحكم.

وإن قصدنا بذلك المعنى الذي اشتققنا منه هذا الاسم فهذا لا يجوز، لأن هذا من خصائص أسماء الله، فهي التي يراد بها الاسم والوصف، ولهذا إذا سمينا رجلا بصالح فإنه جائز ولا يغير

---

[1] مفتاح دار السعادة الإمام ابن القيم2/ 91

[2] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 10/ 845

الاسم، لأننا ما قصدنا بذلك التزكية، أي وصفه بالصلاح وأننا ما سميناه صالحا إلا لأنه صالح؛ سمينا صالحا مجرد علم.

كذلك إذا سمينا شخصا بسلمان فليس لأنه سالم، بل قد يكون من أتعس الناس، يوما تكسر رجله ... فالمهم انه إذا لم يقصد المعنى في الاسم فإنه جائز لمجرد العلم فقط. [1]

التسمي بأسماء الله -عز وجل- يكون على وجهين : (تقسيم آخر)

الوجه الأول: وهو على قسمين:

القسم الأول: أن يحلى بـ "ال" ففي هذه الحال لا يسمى به غير الله -عز وجل- (1) كما لو سميت أحدا بالعزيز، والسيد، والحكيم، وما أشبه ذلك، فإن هذا لا يسمى به غير الله؛ لأن "ال" هذه تدل على لمح الأصل، وهو المعنى الذي تضمنه هذا الاسم.

القسم الثاني: إذا قصد بالاسم معنى الصفة وليس محلى بـ "ال" فإنه لا يسمى به، ولهذا ﴿غير النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كنية أبي الحكم التي تكنى بها؛ لأن أصحابه يتحاكمون إليه، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن الله هو الحكم، وإليه الحكم" ثم كناه بأكبر أولاده شريح،﴾ فدل ذلك على أنه إذا تسمى أحد باسم من أسماء الله ملاحظا بذلك معنى الصفة التي تضمنها هذا الاسم، فإنه يمنع؛ لأن هذه التسمية تكون مطابقة تماما لأسماء الله سبحانه وتعالى، فإن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف لدلالتها على المعنى الذي تضمنه الاسم.

الوجه الثاني: أن يتسمى بالاسم غير محلى بـ "ال"، وليس المقصود به معنى الصفة فهذا لا بأس به مثل حكيم، ومن أسماء بعض الصحابة حكيم بن حزام الذي قال له النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿لا تبع ما ليس عندك﴾ ، وهذا دليل على أنه إذا لم يقصد بالاسم معنى الصفة، فإنه لا بأس به.

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 166

لكن في مثل "جبار" لا ينبغي أن يتسمى به، وإن كان لم يلاحظ الصفة، وذلك لأنه قد يؤثر في نفس المسمى، فيكون معه جبروت، وغلو واستكبار على الخلق فمثل هذه الأشياء التي قد تؤثر على صاحبها، ينبغي للإنسان أن يتجنبها، والله أعلم. [1]

- الأسماء كلها مثبتة :

الصفات فيها مثبت وفيها منفي، أما الأسماء فكلها مثبتة. لكن أسماء الله تعالى المثبتة منها ما يدل على معنى إيجابي، ومنها ما يدل على معني سلبي، وهذا هو مورد التقسيم في النفي والإثبات بالنسبة لأسماء الله.

فمثال التي مدلولها إيجابي كثير.

ومثال التي مدلولها سلبي: السلام. ومعنى السلام، قال العلماء: معناه: السالم من كل عيب.

إذاً، فمدلوله سلبي، بمعنى: ليس فيه نقص ولا عيب، وكذلك القدوس قريب من معنى السلام، لأن معناه المنزه عن كل نقص وعيب...

- الاسم المنفي ليس باسم لله لكن ... مدلولات أسماء الله ثبوتية وسلبية. [2]

- هل أسماء الله تعالى غيره، أو أسماء الله هي الله؟

إن أريد بالاسم اللفظ الدال على المسمى؛ فهي غير الله عز وجل وإن أريد بالاسم مدلول ذلك اللفظ؛ فهي المسمى.

فمثلا: الذي خلق السماوات والأرض هو الله؛ فالاسم هنا هو المسمى، فليست "اللام-والهاء" هي التي خلقت السماوات والأرض، وإذا قيل: اكتب باسم الله. فكتبت بسم الله؛

---

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 3/95

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 147

فالمراد به الاسم دون المسمى، وإذا قيل: اضرب زيدا. فضربت زيدا المكتوب في الورقة لم تكن ممتثلا؛ لأن المقصود المسمى، وإذا قيل: اكتب زيد قائم؛ فالمراد الاسم الذي هو غير المسمى. [1]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/187

المطلب الثالث : قواعد في صفات الله تعالى :

القاعدة الأولى : صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه

كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك. وقد دل على هذا: السمع والعقل والفطرة.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: {لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى.[1]

وأما العقل: فوجهه أن كل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز، فقال تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} ، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} ، وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً} ، وعلى قومه: {أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ} .[2]

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة: أن للمخلوق صفات كمال، وهي من الله تعالى، فمعطي الكمال أولى به.

---

[1] كل صفة اتصف الله بها فهي أعلى ماتكون من صفات الكمال/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 102

[2] الصفة التي لاكمال فيها ولانقص هي في الحقيقة نقص لأنها لغو وعبث فالكمال أن يكون الإنسان متصفا بالصفات النافعة المفيدة ومالانفع فيه ولاضرر فهو داخل في صفات النقص/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 103

وأما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه، وهل تُحِب وتُعَظِّم وتَعْبُد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته[1] ؟ [2]

- الصفات تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

صفة كمال مطلق، وصفة كمال مقيد، وصفة نقص مطلق.[3]

إذا كانت الصفة نقصا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى، كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم، ونحوها، لقوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ} ، وقوله عن موسى {فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى} ، وقوله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ} ، وقوله: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} . وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الدجال: "إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور"، وقال: "أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا".

وقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص، كما في قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} ، وقوله: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} .

ونزّه نفسه عما يصفون به من النقائص، فقال سبحانه: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ، وقال تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} .

---

[1] المجهول لايحب ولايعظم ومن علم نقصه لايحب ولايعظم/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين

[2] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 101

[3] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 142

وإذا كانت الصفة كمالاً في حال، ونقصا في حال لم تكن جائزة في حق الله، ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تُثْبَت له إثباتا مطلقا، ولا تُنْفَى عنه نفيا مطلقا، بل لا بد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصا، وذلك كالمكر، والكيد، والخداع، ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها، لأنها حينئذٍ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله، أو أشد، وتكون نقصا في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} وقوله: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً} ، وقوله: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} وقوله: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} وقوله:{قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} .

ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه، فقال تعالى: {وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} فقال: فأمكن منهم، ولم يقل: فخانهم. لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان، وهى صفة ذم مطلقا.

وبهذا عرف أن قول بعض العوام: خان الله من يخون. منكر فاحش يجب النهي عنه. [1]

الخلاصة :

الصفات من حيث هي صفات منها :

صفات كمال على الاطلاق

ومنها صفات نقص على الاطلاق

ومنها مايكون نقصا في حال وكمال في حال

[1] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 106

فالذي هو كمال على الاطلاق ثابت لله عزوجل

والذي هو نقص على الاطلاق يمتنع على الله عزوجل

والذي هو كمال في حال دون حال يوصف به حال الكمال دون حال النقص فهذه قاعدة عامة[1]

- الكمال نوعان :

الأول: كَمالٌ مُطلَق ؛ وهَذا هو الذي إذا اتصف به المَخْلُوقُ فِلِلْخَالِقِ منه الأَكْمَلُ.

الثاني : كمالٌ يَسْبِيٌّ ؛ وهذا لا يلزمُ إذا اتَّصَفَ به المَخْلُوقُ أن يَتَّصِفَ به الخَالِقُ ...

الكَمالَ المُطلَقَ كالحياة والعِلْمِ والقُدْرة والعِزَّة والحكمة وما أشبه ذلك، كُلُّ شَيْءٍ يُوجِدُ فِي المَخْلُوقِ مِن هذا فلِلَّهِ مِنْهُ المثل الأعلى [2]

وليس كل كمال في المخلوق كمالاً الله ، وليس كل كمال في الله كمالا في المخلوق ، فمثلاً التكبر ، صفة كمال في الله وفي المخلوق صفة نقص ، والأكل والشرب والنكاح صفة كمال للإنسان ، وصفة نقص بالنسبة لله ؛ ولهذا ينزه الله عنها ، فالكمال المطلق غير النسبي ثابت لله على الإطلاق ، والنقص المطلق ينزه الله عنه [3]

- الصفات المأخوذة من الأسماء هي كمال بكل حال ... [4]

- تمام الكمال لا يكون إلا بثبوت صفات الكمال وانتفاء ما يضادها من صفات النقص [5]

- الله منزه عن هذه الأشياء الثلاثة :

عن نقص الكمال، وعن النقص المحض، وعن مماثلة المخلوقين.

---

[1] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 107

[2] شرح التدمرية للعلامة ابن عثيمين 183

[3] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 107

[4] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 143

[5] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 141

مثال نقص الكمال الذي ينزه الله عنه: ما ادعاه اليهود - عليهم لعنة الله -، حيث قالوا: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام فتعب واستراح، وقد كذب الله قولهم هذا في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (قّ: 38)) ، فهؤلاء اثبتوا له القدرة، ولكن هذه القدرة ناقصة.

ومثال النقص المحض: قول اليهود أيضا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (آل عمران: الآية 181) ، وقولهم: إن الله بخيل، في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ (المائدة: الآية 64) . ومن ذلك أيضا من اثبت لله علما ولكنه قال: إن الله قد يخفى عليه شيء، فهذا لم يسبح الله.

ومثال مماثلة المخلوقين كقول النصارى: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ (المائدة: الآية 73) فاثبتوا له مثيلاً، والله تعالى قد كذبهم في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: الآية 11) (، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (الأنعام: الآية 19) . ومن ذلك أيضا من قال: إن قدرة الله كقدرة المخلوق، فهذا لم يسبح الله [1]

- النقص إما أن يكون في أصل الصفة، وإما أن يكون بمقارنتها بغيرها.

ففي أصل الصفة نقول: هو حي، عليم، قادر، حكيم، عزيز، فكل صفاته ليس فيها نقص، فهو حي حياة لا نقص فيها، سميع سمعا لا نقص فيه، عليم علما لا نقص فيه، فلا نقول مثلا إن علمه عز وجل مسبوق بجهل، أو أنه يلحقه نسيان.

والنقص باعتبار مقارنتها بغيرها: بأن ننزهه عن مماثلة المخلوقين؛ لان تمثيله بالمخلوقين يعتبر نقصا، فلا نقول مثلا إن وجه الله عز وجل كوجه المخلوق.

فصار - بذلك - النقص دائرا بين شيئين:

الأول: نقص الصفة بذاتها فصفاته غير ناقصة.

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 211

والثاني: نقصها باعتبار مقارنتها بصفة المخلوق، فإنه لا مقارنة بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فهو منزه عن النقص في صفاته، وعن النقص بمشابهته أو بمماثلته بالمخلوقين [1]

القاعدة الثانية : باب الصفات أوسع من باب الأسماء

وذلك: لأن كل اسم متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها، قال الله تعالى {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} .

ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى: المجيء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى، كما قال تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ} ، وقال: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ} ، وقال: {فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ} ، وقال: {وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ} ، وقال: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} ، وقال: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} . وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا".

فنصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول: إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.[2]

القاعدة الثالثة: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية. وسلبية (ثبوتية ومنفية)

فالثبوتية: ما أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 45

[2] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 108

العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك. فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به، بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً} فالإيمان بالله يتضمن: الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله صلى الله عليه وسلم يتضمن: الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله، وكون محمد صلى الله عليه وسلم رسوله يتضمن: الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله، وهو الله عز وجل.

وأما العقل: فلأن الله تعالى أخبر بها عن نفسه، وهو أعلم بها من غيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثا من غيره، فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد، فإن التردد في الخبر إنما يتأتى حين يكون الخبر صادرًا ممن يجوز عليه الجهل أو الكذب أو العيّ، بحيث لا يفصح بما يريد، وكل هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حق الله عز وجل، فوجب قبول خبره على ما أخبر به.

وهكذا نقول فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بربه، وأصدقهم خبرًا، وأنصحهم إرادة، وأفصحهم بيانا، فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه

والصفات السلبية: ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب. فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل ، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال

وذلك لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً [1] ، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالاً، كما لو قلت: الجدار لا يظلم. وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصا، كما في قول الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمّة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

وقول الآخر: لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

مثال ذلك: قوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ} ، فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.

مثال آخر قوله تعالى: {وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً} نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

مثال ثالث: قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْض} فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته، ولهذا قال بعده: {إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً} ، لأن العجز سببه: إما الجهل بأسباب الإيجاد، وإما قصور القدرة عنه، فلكمال علم الله تعالى وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض.

وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال. [2]

والخلاصة أن الله تعالى لايوصف بالنفي المحض لما يلي :

---

[1] وينبغي أن يُعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال، إلا إذا تضمن إثباتًا، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال، لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحًا أو كمالا. ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال. / التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية 57

– التشبيه بالمعدوم أنقص من التشبيه بالموجود وهذا على فرض أن يكون إثبات الوجود تشبيها / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 57

[2] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 111

أولا لأن النفي المحض عدم والعدم ليس بشيء فضلا عن أن يكون كمالا

ثانيا لأن نفي الشيء عن الشيء قد يكون لعدم قابليته له لا لكماله الذي أوجب أن ينتفي عنه مثل قولنا الجدار لا يظلم

ثالثا أن النفي قد يكون للعجز عن هذا المنفي فيكون النفي حينئذ نقصا فإذا قلت هذا الرجل لايغدر في عهده فهذا يحتمل أنه لايغدر لكمال وفائه وحينئذ يكون هذا مدحا فيه ويحتمل أن يكون عدم غدره لكونه غير قادر أو لأنه إذا غدر هذه المرة انكبوا عليه مرات ومرات حتى أتلفوه وهنا يكون هذا ذما فيه [1]

- ضابط الصفات المنفية (ماينزه الله عنه) :

التسبيح: التنزيه، والذي يُنزَّه الله عنه أمور :

أحدها: مطلق النقص.

والثاني: النقص في كمالِهِ.

والثالث: وقد يكون مِن الثاني. مماثلة المخلوقين. فهذه ثلاثة أشياء يُنزَّه اللهُ عنها.

أمَّا الأول: فيُنزَّه عزّ وجل عن الجهلِ، والعجزِ، والضَّعفِ، والموتِ، والنومِ وما أشبه ذلك.

أمَّا الثاني: فيُنزَّه عن التَّعبِ فيما يفعله، كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۝} [ق] فالقُدْرَة والخلق لا شَكَّ أنها كمال، لكن قد يعتريها النقص بالنسبة للمخلوق، فالمخلوق قد يصنع باباً، وقد يصنع قِدْراً، وقد يبني بناءً، ولكن مع التعب والإِعياء، فيكون هذا نقصاً في الكمال. أمَّا الرَبُّ عزّ وجل؛ فإنَّه لا يلحقُه تعبٌ ولا إعياءٌ، حتى مع خَلْقِهِ لهذه المخلوقات العظيمة السماوات والأرض، وفي هذه المدَّة الوجيزة.

---

[1] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 118

وأما الثالث: مماثلة المخلوقين، فإن مماثلة المخلوقين نقصٌ؛ لأن إلحاق الكامل بالناقص يجعله ناقصاً، بل مقارنة الكامل بالناقص يجعله ناقصاً كما قيل:

ألم ترَ أنَّ السَّيفَ ينقصُ قَدْرُه إذا قيل: إنَّ السيفَ أمضى مِن العَصَا

لأنك لو قلت: عندي سيف حديد قويٌّ أمضى مِن العصا. فسيفهم الناس مِن هذا السيف أنه ضعيف؛ لأن قولك: ﴿أمضى مِن العصا﴾ معناه: أنه ليس بشيء . [1]

فإنْ قالَ قَائِل: فِي القَاعِدَةِ: إنَّ جَمِيعَ الصَّفاتِ المَنفَيَّةِ السَّابِيَّةِ هِيَ مُثبتةٌ لكمال ضدها ، وَقِيلَ: إنَّ هَذَا مِنْ تَقَابُلِ العَدَم بالملكةِ ، فَكُلُّ مَا هَذَا شَأْنُه فَلاَ يَتَّصِفُ بِهِ الله ؟

فالجَوَابُ: هَذا غَلَطٌ ، ونَقُول: مَنْ قَالَ أنَّ اللهَ لَا يَقبَلُ هَذَا النَّفْيَ ؟ يَعْنِي إِذَا قَالَ: إِنَّهُ لَا يَمُوتُ ؛ نَنْفِي عنْهُ المَوتَ لأَنَّه لَا يَقْبَلُ الموتَ ، كَمَا تَقُولُ الكِتَابُ لَا يَمُوتُ ؟! ونَقُول: مَنْ قَالَ: إنَّ هَذَا مِنْ بَابِ تَقابُلِ العَدَمِ والمَلَكَةِ ؟! ثُمَّ إِنَّهُم يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بالوُجُودِ ولا بالعَدَمِ ، والوُجُودُ والعدَمُ تَقَابُلَهُما مِنْ بَابِ تَقَابُلِ السَّلْبِ والإيجاب ، وقَدِ اتَّفَقَ عَلَى امتناعِهِ ، ثُمَّ إِذَا قُلْتَ: إِنَّهُ لَا يَقْبَلُ صَارَ أَشَدَّ ، يَعْنِي: فَمَا لَيْسَ بسَمِيع ولَا بَصِيرٍ وهُوَ قابِل لِذَلِكَ أَحسَنُ حَالًا مِّمَّن لَا يَقبَلُ أَنْ يَكُون سَمِيعًا أو بَصِيرًا. [2]

- الصِّفاتِ المَنفيَّةَ يُرَادُ بِهَا شَيْئَانِ :

الأَوَّلُ: نَفْيُ تِلْكَ الصِّفَة المعيَّنة ، وهَذَا وَاضِحٌ ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: **٢٥٥**] فَوَاضِحٌ أَنَّ السِّنَةِ وَالنَّومَ مَنفَيَّانِ عَنِ اللَّهِ تعالى.

الثَّاني: ثُبُوتِ كَمَال الضّد ، وإنْ شِئْتَ فَقُلْ: إثباتُ كَمَالِ الضِّدِّ ، فكِلاهُمَا وَاحِدٌ ؛ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحدًا ﴾ [الكهف: **٤٩**] ، فضِدُّ الظُّلْمِ العَدْلُ إِذَن: لا يظْلِمُ رَبُّكَ أَحدًا ؛ لأَنَّه كَامِلُ العَدْلِ.

---

[1] الشرح الممتع على زاد المستقنع للعلامة ابن عثيمين 92/3

[2] شرح عقيدة أهل السنة والجماعة للعلامة ابن عثيمين 270

إِذَن: لَيْسَ فِي صِفَاتِ اللهِ نَفْيٌّ مُحْضٌ إطلاقًا ، يَقُول شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: لأَنَّ النَّفْي المحْضَ عدَم محض ، والعدَمُ المحْضُ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، فَضْلاً عَن أَنْ يَكُون مدْحًا وكمالا وهذا تعليل جيِّدٌ ؛ فالعَدَمُ عَلَى اسْمِهِ عَدَمٌ.[1]

القاعدة الرابعة : الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال

واعلم أن الصفات الثبوتية التي وصف الله بها نفسه كلها صفات كمال، والغالب فيها التفصيل، لأنه كلما كثر الإخبار عنها وتنوعت دلالتها ظهر[2] من كمال الموصوف بها ما لم يكن معلوماً من قبل؛ ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر من الصفات المنفية التي نفاها الله عن نفسه.[3]

أما الصفات السلبية فلم تذكر غالبا إلا في الأحوال التالية:

الأولى: بيان عموم كماله، كما في قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} .[4]

الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كما في قوله: {أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً} .

الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعيّن، كما في قوله: {وَمَا خَلَقْنَا

---

[1] شرح عقيدة أهل السنة والجماعة للعلامة ابن عثيمين 276

[2] يجب أن ننتبه لكلمة (ظهر من كمال الموصوف) فلم يقل حصل للموصوف لأن كمال الله تعالى حاصل سواء علمناه أو لم نعلمه لكن كلما تعددت ظهرت لنا من صفات كماله مالم يكن ظاهرا من قبل أما إذا قال لأنه كلما كثرت وتنوعت دلالاتها حصل من الموصوف هناك مالم يحصل من قبل لو قال ذلك لصار هذا بالنسبة لصفات الله غير سديد / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 120

[3] تقريب التدمرية للعلامة ابن عثيمين 18

[4] فالنفي هنا مجمل وهذا مدح بلا شك أما النفي المفصل فهو العيب حقا/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 122

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ} ، وقوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} .[1]

الرابعة : تهديد الكافرين في مثل قوله تعالى: {وما الله بغافل عما تعملون} ...

الخامسة : توسيع دائرة الإثبات بإثبات أضدادها من صفات الكمال فنفى السنة والنوم إثبات لكمال حياته وإحاطة علمه وكمال قدرته، ونفي الصاحبة والولد إثبات لصمديته وعظمته.[2]

- أَهْلِ الْكَلاَمِ الْمَذْمُومِ يَأْتُونَ بِالنَّفْيِ الْمُفَصَّلِ وَالْإِثْبَاتِ الْمُجْمَلِ :

أَهْلِ الْكَلاَمِ الْمَذْمُومِ ... يَأْتُونَ بِالنَّفْيِ الْمُفَصَّلِ وَالْإِثْبَاتِ الْمُجْمَلِ ، يَقُولُونَ: لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَلَا شَبَحٍ، وَلَا جُثَّةٍ، وَلَا صُورَةٍ، وَلَا دَمٍ، وَلَا لَحْمٍ، وَلَا شَخْصٍ، وَلَا جَوْهَرٍ، وَلَا عَرَضٍ، وَلَا لَوْنٍ، وَلَا رَائِحَةٍ، وَلَا طَعْمٍ، وَلَا بِجثةٍ، وَلَا بِذِي حَرَارَةٍ، وَلَا بُرُودَةٍ، وَلَا رُطُوبَةٍ، وَلَا يُبُوسَةٍ، وَلَا طُولٍ، وَلَا عَرْضٍ، وَلَا عُمْقٍ، وَلَا اجْتِمَاعٍ، وَلَا افْتِرَاقٍ، وَلَا يَتَحَرَّكُ، وَلَا يَسْكُنُ، وَلَا يَتَبَعَّضُ، وَلَيْسَ بِذِي أَبْعَاضٍ وَأَجْزَاءٍ وَجَوَارِحَ وَأَعْضَاءٍ، وَلَيْسَ بِذِي جِهَاتٍ، وَلَا بِذِي يَمِينٍ وَلَا شِمَالٍ وَأَمَامٍ وَخَلْفٍ وَفَوْقٍ وَتَحْتٍ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ مَكَانٌ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ زَمَانٌ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْمُمَاسَّةُ وَلَا الْعُزْلَةُ وَلَا الْحُلُولُ فِي الْأَمَاكِنِ، وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ الدَّالَّةِ عَلَى حُدُوثِهِمْ، وَلَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ مُتَنَاهٍ، وَلَا يُوصَفُ بِمِسَاحَةٍ، وَلَا ذَهَابٍ فِي الْجِهَاتِ، وَلَيْسَ بِمَحْدُودٍ، وَلَا وَالِدٍ وَلَا مَوْلُودٍ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَقْدَارُ، وَلَا تَحْجُبُهُ الْأَسْتَارُ إِلَى آخِرِ مَا نَقَلَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنِ الْمُعْتَزِلَةِ.

وَفِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ لِمَنْ يَعْرِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ. وَهَذَا النَّفْيُ الْمُحددُ مَعَ كَوْنِهِ لَا مَدْحَ فِيهِ، [فِيهِ] إِسَاءَةُ أَدَبٍ، فَإِنَّكَ لَوْ قُلْتَ لِلسُّلْطَانِ: أَنْتَ لَسْتَ بِزَبَّالٍ وَلَا كَسَّاحٍ وَلَا حَجَّامٍ وَلَا حَائِكٍ! لَأَدَّبَكَ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا، وَإِنَّمَا تَكُونُ مَادِحًا إِذَا أَجْمَلْتَ

---

[1] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 122

[2] المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخة كاملة الكواري 196

النَّفْيَ فَقُلْتَ: أَنْتَ لَسْتَ مِثْلَ أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ، أَنْتَ أَعْلَى مِنْهُمْ وَأَشْرَفُ وَأَجَلُّ، فَإِذَا أَجْمَلْتَ فِي النَّفْيِ أَجْمَلْتَ فِي الْأَدَبِ [1]

وَلِهَذَا يُقَالُ: الْمُعَطِّلُ أَعْمَى وَالْمُشَبِّهُ أَعْشَى. فَأَهْلُ التَّشْبِيهِ مَعَ ضَلَالِهِمْ خَيْرٌ مِنْ أَهْلِ التَّعْطِيلِ. [2]

- نفي الصفات نفيُ للمعبود :

من تَأول سَائِر الصِّفَات وَحمل مَا ورد مِنْهَا على مجَاز الْكَلَام أَدَّاهُ ذَلِك السَّلب إِلَى تَعْطِيل الرب وَأَن يشابه الْمَعْدُوم كَمَا نقل عَن حَمَّاد بن زيد أَنه قَالَ مثل الْجَهْمِية كقوم قَالُوا فِي دَارنَا نَخْلَة قيل لَهَا سعف قَالُوا لَا قيل فلهَا كرب قَالُوا لَا قيل لَهَا رطب وقنو قَالُوا لَا قيل فلهَا سَاق قَالُوا لَا قيل فَمَا فِي داركم نَخْلَة

قلت كَذَلِك هَؤُلَاءِ النفاة قَالُوا إلهنا الله تَعَالَى وَهُوَ لَا فِي زمَان وَلَا فِي مَكَان وَلَا يرى وَلَا يسمع وَلَا يبصر وَلَا يتَكَلَّم وَلَا يرضى وَلَا يغْضب وَلَا يُرِيد وَلَا وَلَا [3]

والمعنى أنَّ من نفى عن الله الصفات، فإنَّ حقيقةَ أمره نفيُ المعبود؛ إذ لا يُتصوَّرُ وجود ذات مجرَّدة من جميع الصفات. [4]

- النفي عند أهل الكلام ... لا يدلُّ على كمال، بل يُؤدِّي إلى تشبيه الله عزَّ وجلَّ بالمعدومات [5]

القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية. وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها،[1] كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة. ومنها الصفات الخبرية: كالوجه واليدين والعينين. [2]

---

[1] شرح الطحاوية للإمام أبي العز الحنفي 61/1

[2] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية 432/12

[3] شرح الطحاوية للإمام أبي العز الحنفي 61/1

[4] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 21

[5] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 64

ثم قسموها إلى معنوية وخبرية فما كان نظير مسماه أبعاضا لنا سموه خبرية وماكان دالا على معنى سموه معنوية فالسمع مثلا صفة ذاتية معنوية واليد صفات ذاتية خبرية...وقالوا خبرية لأنها متلقاة من الخبر فإن عقولنا لا تدلنا على أن لله تعالى يدا بها يأخذ ويبسط لكن علمناه بمجرد الخبر لأن الصفات الذاتية مثل الحياة والعلم والقدرة قد دل عليها العقل لكن اليد والوجه والعين لم يدل عليها العقل فبعد إثبات الساق لله لايستطيع العقل أن يتدخل ويثبت لله ركبة مثلا لأن العقل ليس له تدخل في هذا ولايمكن أن نقول به[3]

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا. [4]

والصفات الفعلية ... نوعان :

صفات لها سبب معلوم، مثل: الرضى، فالله عز وجل إذا وجد سبب الرضى، رضي، كما قال تعالى: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: 7] .

وصفات ليس لها سبب معلوم، مثل: النزول إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر. [5]

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية[1] لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى

---

[1] إذا كانت الصفة لازمة لاتنفك عن الله عزوجل فهي صفة ذاتية ... وسميت ذاتية للزومها للذات / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 122

[2] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 125

[3] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 125

[4] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 127

[5] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين

شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} . وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته.[2]

وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها، ولكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئا إلا وهو موافق للحكمة، كما يشير إليه قوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} [3]

القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين :

أحدهما : التمثيل والثاني : التكييف . [4]

---

[1] قال الشيخ محمد خليل هراس في كتابه ابن تيمية السلفي 126(ومن الصفات ماهي قديم الجنس ولكن تحدث في ذاته تعالى آحاده وذلك مثل العلم والإرادة والكلام)

[2] أما الأشاعرية والماتردية ومن على شاكلتهم والكلابية ونحوهم فقالوا إن الكلام صفة ذاتية فقط لأنهم يجعلون الكلام هو المعنى القائم بالنفس وأن هذا المسموع شيء مخلوق خلقه الله تعالى ليعبر عما في نفسه فكان الكلام على مذهبهم صفة ذاتية ...

فإذا قالوا كون الكلام صفة ذاتية وفعلية فهذا جمع بين الضدين قلنا مادامت الجهة منفكة فلا تناقض فالسجود مثلا يكون شركا ويكون طاعة وذلك باعتبارين فإن كان لله كان طاعة وإن كان لغيره كان شركا / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 129

وتجدد المسموع لا يستلزم تجدد السمع، فأنا مثلاً عندما أسمع الأذان الآن فهذا ليس معناه أنه حدث لي سمع جديد عند سماع الأذان بل هو منذ خلقه الله في لكن المسموع يتجدد وهذا لا أثر له في الصفة. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 78

- لا يلزم من حدوث الفعل حدوث الفاعل./ شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 80

[3] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 128

[4] القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 35

- تعريف التمثيل :

التمثيل ... هو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}[1] ، وقوله: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} ، وقوله: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً} ، وقوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} [2]

وأما العقل فمن وجوه:

الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرّة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى [3]

---

[1] أي: يقر أهل السنة والجماعة بذلك إقراراً وتصديقاً بأن الله ليس كمثله شيء، كما قال عن نفسه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11] ، فهنا نفى المماثلة، ثم أثبت السمع والبصر فنفى العيب، ثم أثبت الكمال، لأن نفي العيب قبل إثبات الكمال أحسن، ولهذا يقال: التخلية قبل التحلية. فنفي العيوب يبدأ به أولاً، ثم يذكر إثبات الكمال.

وكلمة {شَيْءٌ} نكرة في سياق النفي، فتعم كل شيء .../ شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 113

[2] والسمي: هو المسامي، أي: المماثل ... والند بمعنى النظير.

وهذه الثلاثة. السمي والكفء والند. معناها متقارب جداً، لأن معنى الكفء: الذي يكافئه، ولا يكفائ الشيءُ الشيءَ إلا إذا كان مثله ... وهذا النفي المقصود منه كمال صفاته، لأنه لكمال صفاته لا أحد يماثله. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 128

[3] الصفة بحسب من أضيفت إليه فالصفة تتفاوت قوة وضعفا بحسب من أضيفت إليه ولايستوي فيها عموم من أضيفت إليه الصفة وهذا أمر معلوم بين مخلوق ومخلوق فكيف بين الخالق والمخلوق كصفة القوة في نملة وأسد

الثاني: أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابها في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يُكَمِّله؟، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصا . [1]

الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يدًا ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم. فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف، فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة.[2]

إذ ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك يشتركان فيه، وقدر مختص يتميز به كل واحد عن الآخر، فيشتبهان من وجه، ويفترقان من وجه. [3]

والتشبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن:{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} . [4]

ولا يلزم في فهم كل العقلاء من إضافة القوة للنملة أن تكون مشابهة للقوة في الأسد فكيف بين الخالق والمخلوق / شرح القواعد المثلى للشيخ عبد الرزاق البدر

[1] مماثلة الناقص نقص، بل إن طلب المفاضلة بين الناقص والكامل تجعله ناقصاً، كما قيل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

... بل ذكر المفاضلة بينهما يجعله ناقصاً، إلا إذا كان في مقام التحدي، كما في قوله تعالى: {آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل: 59] / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 113)

[2] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 131

[3] تقريب التدمرية للعلامة ابن عثيمين 87

- لَمْ يَلْزَمْ مِنَ اتِّفَاقِ الِاسْمَيْنِ وَتَمَاثُلِ مُسَمَّاهُمَا بِالْإِثْبَاتِ والتَّخْصِيصِ لم يلْزَم اتفاقهما ولا تماثل المسَمَّى عند الإضافَةِ والتخصيص، فضلاً أَن يَتَّحِدَ مَسَّاهُمَا عند الإضافة والتَّخْصِيص / شرح التدمرية للعلامة ابن عثيمين 99

[4] القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 35

- التعبير بنفي التمثيل أحسن من التعبير بنفي التشبيه؛ لوجوه ثلاثة :

أحدها: أن التمثيل هو الذي جاء به القرآن وهو منفي مطلقا، بخلاف التشبيه؛ فلم يأت القرآن بنفيه.

الثاني: أن نفي التشبيه على الإطلاق لا يصح ؛ لأن كل موجودين فلا بد أن يكون بينهما قدر مشترك يشتبهان فيه ويتميز كل واحد بما يختص به؛ ف: "الحياة" مثلا وصف ثابت في الخالق والمخلوق، فبينهما قدر مشترك، ولكن حياة الخالق تليق به وحياة المخلوق تليق به .

الثالث: أن الناس اختلفوا في مسمى التشبيه، حتى جعل بعضهم إثبات الصفات التي أثبتها الله لنفسه تشبيها، فإذا قلنا من غير تشبيه؛ فهم هذا البعض من هذا القول نفي الصفات التي أثبتها الله لنفسه. [1]

- تعريف التكييف :

هو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل. [2]

أما السمع: فمنه قوله تعالى: {وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً} [3]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 134

[2] التكييف ذكر كيفية الصفة، سواء ذكرتها بلسانك أو بقلبك ... لأن هذا يؤدي إلى أحد أمرين: إما التمثيل، وإما التعطيل.

ولهذا لا يجوز للإنسان أن يحاول معرفة كيفية استواء الله على العرش، أو يقوله بلسانه، بل ولا يسأل عن الكيفية... إن فعلت ذلك، قلنا: إنك مبتدع ... / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 127

[3] وإذا كنا لانحيط به علما فكيف يمكن أن نكيف صفاته لا يمكن أن نكيف صفاته إلا إذا أحطنا به علما وإلا كنا كاذبين وقائلين بغير الحق / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 135

وقوله: {وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} ، ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا، لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا قفوًا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.[1]

وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد :

1/ العلم بكيفية ذاته

2/ أو العلم بنظيره المساوي له

3/ أو بالخبر الصادق عنه.

وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل، فوجب بطلان تكييفها.

وأيضا فإننا نقول: أيُّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى؟.

إن أيَّ كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك.

وأيَّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذبا فيها، لأنه لا علم لك بذلك.[2]

– يجب الكف عن التكييف تقديرًا بالجنان، أو تقريرًا باللسان وتحريرًا بالبنان :

ولهذا لما سئل مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} كيف استوى؟، أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرحضاء (العرق) ثم قال: (الاستواء غير مجهول،

---

[1] إذا قال لك الجهمي كيف استوى على العرش فقل له إن الله أخبرنا أنه استوى ولم يخبرنا بكيفية الاستواء وقال بعضهم أيضا رَحِمَهُ اللَّهُذا قال لك كيف استوى فقل له كيف هو بذاته فسيقول لاأعرف كيف ذاته فقل له إذن لا نعرف كيف صفاته لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 136

[2] القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 36

فالإنسان ينطق والطير ينطق (علمنا منطق الطير) ولكن ليس هذا النطق ونطق الله سواء بل إن منطق الطير لانستطيع أن نكيفه ونعرف صورته فضلا عن كلام الله/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 138

والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه) ، ورُوِيَ عن شيخه ربيعة أيضا: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول)[1]

وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان. وإذا كان الكيف غير معقول ولم يرد به الشرع، فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي، فوجب الكف عنه.

فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته، فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته، فالجأ إلى ربك فإنه معاذك، وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك، قال الله تعالى: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} . [2]

- فوائد :

- السؤال عن الكيفية هلكة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم ((هلك المتنطعون). والسؤال عن الكيفية من التنطع؛ لأنه لو كان لك فائدة في علم الكيفية لبينها الله ورسوله [3]

- المروي عن السلف، أنهم يقولون في آيات الصفات وأحاديثها: ((أمروها كما جاءت بلا كيف) [4] ... الذي تدل عليه أن السلف يثبتون معنى آيات الصفات وأحاديثها، وتدل العبارة على هذا من وجهين:

الأول: قولهم: (أمروها كما جاءت) ... إذا أمررناها كما جاءت فمعنى ذلك أننا نثبت اللفظ والمعنى.

---

[1] نفي الكيفية كلها نفي للوجود إذ ما من موجود إلا وله كيفية وعلى هذا ... المراد ... نفي التكييف لا لأصل الكيفية / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 141

[2] القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 36

[3] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 289

[4] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 104

والثاني: قولهم: (بلا كيف) يعني بلا تكييف، وهذه أيضاً تدل على ثبوت المعنى ... ووالله لولا إثباتنا للمعنى ما ذقنا طعم هذه النصوص في الصفات وفي الأسماء أبداً، ولو كنت أقرأ: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) كما أقرأ ((أ- ب- ج)) لما استفدت وما ازداد إيماني ومعرفتي بالله أبداً [1]

القاعدة السابعة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها

فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يتجاوز القرآن والحديث) . انظر: القاعدة الخامسة في الأسماء.

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصفة، كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين، ونحوها.

الثاني: تضمن الاسم لها، مثل: الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك. انظر: القاعدة الثالثة في الأسماء.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين، الدال عليها على الترتيب قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" الحديث. وقول الله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً} ، وقوله: {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} . [2]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 295

[2] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 135

- العقل لا مدخل له في باب الأسماء والصفات :

لأن مدار إثبات الأسماء والصفات أو نفيها على السمع ... خلافاً للأشعرية والمعتزلة والجهمية وغيرهم من أهل التعطيل، الذين جعلوا المدار في إثبات الصفات أو نفيها على العقل ...

إن العقل يدرك ما يجب لله سبحانه وتعالى ويمتنع عليه على سبيل الإجمال لا على سبيل التفصيل، فمثلاً: العقل يدرك بأن الرب لا بد أن يكون كامل الصفات، لكن هذا لا يعني أن العقل يثبت كل صفة بعينها أو ينفيها لكن يثبت أو ينفي على سبيل العموم أن الرب لا بد أن يكون كامل الصفات سالماً من النقص.

فمثلاً: يدرك بأنه لابد أن يكون الرب سميعاً بصيراً، قال إبراهيم: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ} [مريم: 42] ولابد أن يكون خالقاً، لأن الله قال: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لاَّ يَخْلُقُ} [النحل: 17] ...

العقل أيضاً يدرك بأن كل صفة نقص فهي ممتنعة على الله، لأن الرب لابد أن يكون كاملاً فيدرك بأن الله عز وجل مسلوب عنه العجز، لأنه صفة نقص، إذا كان الرب عاجزاً وعُصِي وأراد أن يعاقب الذي عصاه وهو عاجز، فلا يمكن!

إذاً، العقل يدرك بأن العجز لا يمكن أن يوصف الله به، والعمى كذلك والصم كذلك والجهل كذلك .... وهكذا على سبيل العموم ندرك ذلك، لكن على سبيل التفصيل لا يمكن أن ندركه فنتوقف فيه على السمع. [1]

- فوائد :

أ/ الفرق بين أسماء الله وصفاته :

الضابط هو أن ما دل على معنى وذات فهو اسم، وما دل على معنى فقط فهو صفة. [2]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 80

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 169

ب/ صفات الله عز وجل من الأمور الغيبية :

الواجب على الإنسان نحو الأمور الغيبية: أن يؤمن بها على ما جاءت دون أن يرجع إلى شيء سوى النصوص .

قال الإمام أحمد: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث" ... ويدل لذلك القرآن والعقل:

ففي القرآن: يقول الله عز وجل: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} [الأعراف، 33] ، فإذا وصفت الله بصفة لم يصف الله بها نفسه، فقد قلت عليه مالا تعلم وهذا محرم بنص القرآن...

وأما الدليل العقلي، فلأن صفات الله عز وجل من الأمور الغيبية ولا يمكن في الأمور الغيبية أن يدركها العقل، وحينئذ لا نصف الله بما لم يصف به نفسه، ولا نكيف صفاته، لأن ذلك غير ممكن...

نحن الآن لا تدرك ما وصف الله به نعيم الجنة من حيث الحقيقة مع أنه مخلوق، في الجنة فاكهة ونخل ورمان وسرر وأكواب وحور ونحن لا ندرك حقيقة هذه الأشياء ...

فإذا كان هذا في المخلوق الذي وصف بصفات معلومة المعنى ولا تعلم حقيقتها، فكيف بالخالق؟!

مثال آخر: الإنسان فيه روح ... ولا يستطيع أن يصف الروح [1]

ج/ وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لربه ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

إما بالقول، أو بالفعل، أو بالإقرار.

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 74

أ- أما القول، مثل "ربنا! الله الذي في السماء تقدس اسمك. أمرك في السماء والأرض"1 وقوله في يمينه: "لا ومقلب القلوب" .

ب- وأما الفعل، فهو أقل من القول، مثل إشارته إلى السماء يستشهد الله على إقرار أمته بالبلاغ، وهذا في حجة الوداع في عرفة، خطب الناس، وقال: "ألا هل بلغت؟ " قالوا: نعم ثلاث مرات. قال "اللهم! أشهد" يرفع إصبعه إلى السماء، وينكتها إلى الناس فرفع إصبعه إلى السماء، هذا وصف الله تعالى بالعلو عن طريق الفعل.

وجاءه رجل وهو يخطب الناس يوم الجمعة، قال: يا رسول الله! هلكت الأموال.. فرفع يديه4 وهذا أيضاً وصف لله بالعلو عن طريق الفعل.

وغير ذلك من الأحاديث التي فيها فعل النبي عليه الصلاة والسلام إذا ذكر صفة من صفات الله.

وأحياناً يذكر الرسول عليه الصلاة والسلام من صفات الله بالقول ويؤكدها بالفعل، وذلك حينما تلا قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً} [النساء: 58] فوضع إبهامه على أذنه اليمنى، والتي تليها على عينه وهذا إثبات للسمع والبصر بالقول والفعل

وحينئذ نقول: إن إثبات الرسول عليه والسلام للصفات يكون بالقول ويكون بالفعل، مجتمعين ومنفردين.

ج- أما الإقرار، فهو قليل بالنسبة لما قبله، مثل: إقراره الجارية التي سألها: "أين الله؟ " قالت: في السماء. فأقرها وقال: "أعتقها"

وكإقراره الحبر من اليهود الذي جاء وقال للرسول عليه الصلاة والسلام: إننا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع والثرى على إصبع.. آخر الحديث، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم تصديقاً لقول3، وهذا إقرار. [1]

د/ الإشارة إلى الجوارح للتعبير عن صفات الله تعالى وأفعاله :

روى مسلم (2788) عن عبيد بن مقسم ، أنه نظر إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يَأْخُذُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ ، فَيَقُولُ : أَنَا اللهُ - وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا - أَنَا الْمَلِكُ) حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ : أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ .

وروى الإمام أحمد (5414) عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ : (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ، وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ (يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ : أَنَا الْجَبَّارُ ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ ، أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا الْعَزِيزُ ، أَنَا الْكَرِيمُ) فَرَجَفَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا : لَيَخِرَّنَّ بِهِ . وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في " السلسلة الصحيحة " (596/7)

وروى أبو داود (4728) : عن أبي هريرة رضي الله عنه قرأ هَذِهِ الْآيَةَ : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) النساء/58 . قَالَ : (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ) ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ) ، قَالَ الْمُقْرِئُ [أحد رواة الحديث] : يَعْنِي : إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ، يَعْنِي

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 83

أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا قَالَ أَبُو دَاوُدَ : وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ . وحديث صحيح ، صححه الألباني وغيره

الرسول صلى الله عليه وسلم وضع إبهامه وسبابته على عينه وأذنه . والمراد بهذا الوضع تحقيق السمع والبصر، لا إثبات العين والأذن، فإن ثبوت العين جاءت في أدلة أخرى، والأذن عند أهل السنة والجماعة لا تثبت لله ولا تنفى عنه لعدم ورود السمع بذلك.[1]

فإن قلت: هل لي أن أفعل كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم؟

فالجواب: من العلماء من قال: نعم، افعل كما فعل الرسول، لست أهدى للخلق من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولست أشد تحرزاً من أن يضاف إلى الله ما لا يليق من الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومنهم من قال: لا حاجة إلى أن تفعل ما دمنا نعلم أن المقصود هو التحقيق فهذه الإشارة إذاً غير مقصودة بنفسها، إنما هي مقصودة لغيرها، وحينئذ، لا حاجة إلى أن تشير، لا سيما إذا كان يخشي من هذه الإشارة توهم الإنسان التمثيل، كما لو كان أمامك عامة من الخلق لا يفهمون الشيء على ما ينبغي، فهذا ينبغي التحرز منه، ولكل مقام مقال [2]

ولا شك أن الذي يُحدِّث العامة ثم يشير بيده إلى معنى الصفة لا شك أنه سوف يجعل في قلوب العامة التمثيل -أي: سينتقلون من المعنى إلى التمثيل- لأن العامي لا يفهم ولا يفكر، فنقول لمن أراد أن يبين أو أن يبلغ عن الله ورسوله ما أخبر الله به عن نفسه من الأسماء والصفات، نقول: يكفيك هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم إنه قد يورد علينا: (أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً)) [النساء:58] ووضع إصبعه على عينه والثانية على أذنه) ، فنقول: إن الرسول صلى الله

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 211

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 211

عليه وسلم أراد بيان تحقيق هذه الصفة، ثم إنه يحدث قوماً عندهم فهم وعندهم وعي، أما العامة ولا سيما في وقتنا هذا فإنهم لو حدثوا بوصف كل الصفات بالفعل لكان لبعضهم فتنة، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: [إنك لن تحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم؛ إلا كان لبعضهم فتنة] وقال علي رضي الله عنه: [حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟] .

فإذا أورد علينا شخص مثل هذا الذي وقع من النبي صلى الله عليه وسلم في السمع والبصر، أو في قبض السماوات يوم القيامة، فإنا نقول له: لكل مقام مقال، ثم إننا نقتصر على ما جاء به النص فقط، فلا يشير في شيء آخر؛ لأنه لم يرد فيه النص " [1]

ه/ طرق إثبات صفات الله :

هناك عدة طرق لإثبات الصفة:

الطريق الأول: دلالة الأسماء عليها، لأن كل اسم، فهو متضمن لصفة ولهذا قلنا فيما سبق: إن كل اسم من أسماء الله دال على ذاته وعلى الصفة التي اشتق منها.

الطريق الثاني: أن ينص على الصفة، مثل الوجه، واليدين، والعينين ...

الطريق الثالث: أن تؤخذ من الفعل، مثل: المتكلم، فأخذها من {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً} [النساء: 164] [2]

و/ ما أضافه الله إلى نفسه ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول: العين قائمة بنفسها، وإضافتها إليه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهذه الإضافة قد تكون على سبيل عموم الخلق؛ كقوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ} ... وهذا القسم مخلوق.

---

[1] لقاء الباب المفتوح للعلامة ابن عثيمين 32/ 18

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 144

الثاني: أن يكون شيئا مضافا إلى عين مخلوقة يقوم بها، مثاله قوله تعالى: {وَرُوحٌ مِنْهُ} فإضافة هذه الروح إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه تشريفا ... وهذا القسم مخلوق أيضا.

الثالث: أن يكون وصفا غير مضاف إلى عين مخلوقة.

مثال ذلك قوله تعالى: {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي} فالرسالة والكلام أضيفا إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، فإذا أضاف الله لنفسه صفة، فهذه الصفة غير مخلوقة

فالأعيان القائمة بنفسها والمتصل بهذه الأعيان مخلوقة، والوصف الذي لم يذكر له عين يقوم بها غير مخلوق، لأنه يكون من صفات الله، وصفات الله غير مخلوقة.

وقد اجتمع القسمان في قوله: "كلمته، وروح منه" ...

وروح منه: هذه أضيفت إلى عين؛ لأن الروح حلت في عيسى، فهي مخلوقة [1]

ز/ حكم إضافة الحوادث إلى صفة من صفات الله :

إضافة الحوادث إلى صفة من صفات الله بمعنى أنه من مقتضى هذه الصفة لا بأس به، مثل أن نقول: اقتضت حكمة الله أن يعذب الظالم، أو أوجب القضاء والقدر أن يشقى فلان أو يسعد فلان ويدل لذلك قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لو سبق القضاء والقدر شيء لسبقته العين﴾ .

أما إذا أضيفت الحوادث إلى صفة من صفات الله وكأن الصفة هي التي فعلت دون الموصوف فلا يجوز؛ لأن المؤثر هو الله تعالى وهو الخالق المدبر لجميع الأمور. [2]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 74/1

[2] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 167/1

ح/ حكم إنكار شيء من أسماء الله تعالى أو صفاته :

الإنكار نوعان :

النوع الأول: إنكار تكذيب، وهذا كفر بلا شك، فلو أن أحدا أنكر اسما من أسماء الله، أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة، مثل أن يقول: ليس لله يد، فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأن تكذيب خبر الله ورسوله كفر مخرج عن الملة.

النوع الثاني: إنكار تأويل، وهو أن لا يجحدها، ولكن يئولها وهذا نوعان:

الأول: أن يكون لهذا التأويل مسوغ في اللغة العربية فهذا لا يوجب الكفر.

الثاني: أن لا يكون له مسوغ في اللغة العربية فهذا موجب للكفر، لأنه إذا لم يكن له مسوغ صار تكذيبا، مثل أن يقول: ليس لله يد حقيقة، ولا بمعنى النعمة، أو القوة، فهذا كافر؛ لأنه نفاها نفيا مطلقا فهو مكذب حقيقة، ولو قال في قوله تعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} المراد بيديه السماوات والأرض فهو كافر، لأنه لا يصح في اللغة العربية، ولا هو مقتضى الحقيقة الشرعية فهو منكر مكذب.

لكن إن قال: المراد باليد النعمة أو القوة فلا يكفر لأن اليد في اللغة تطلق بمعنى النعمة قال الشاعر:

وكم لظلام الليل عندك من يد ... تحدث أن المانوية تكذب

من "يد" أي: من نعمة؛ لأن المانوية يقولون: إن الظلمة لا تحدث الخير وإنما تحدث الشر.[1]

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 1/176

ط/ الواجب والمحال والجائز في حق الله تعالى :

من جملة علم التوحيد، أن به يعلم الواجب والمحال والجائز في حق الله تعالى.

... فالأقسام إذا ثلاثة: واجب، ومستحيل، وجائز، ويقال للواجب أحيانا اللازم، ويقال للمحال أحيانا الممنوع، ويقال للجائز أحيانا الممكن، والمدار على المعنى.

أما الواجب في حق الله تعالى: فهو ما لا يتصور عدمه بالنسبة إليه، فكل شيء لا يتصور عدمه بالنسبة لله فهو واجب، فمثلا الحياة من الواجب، والعلم من الواجب ...

وأما المستحيل: فهو كل ما لا يتصور وجوده، فالذي لا يتصور وجوده هو المستحيل، مثل الموت والعجز ...

والضابط في هذا أن كل كمال فهو من الواجب في حق الله تعالى، وكل نقص فهو من الممتنع في حق الله عز وجل.

وأما الجائز: فهو ما جاز وجوده وعدمه بالنسبة للخالق، مثل النزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرض، وخلق شيء معين كخلق ذباب مثلا ...

- إثبات الجائز في حق الله ... هو كمال في حال وجوده، نقص في حال عدمه إن كان من الموجودات، أو هو كمال في حال عدمه نقص في حال وجوده، فمثلا إذا اقتضت الحكمة أن يوجد هذا الشيء فوجد صار كمالا، ووجوده قبل اقتضاء الحكمة نقص، وإذا اقتضت الحكمة عدمه كان وجوده نقصا، ووجوده في حال اقتضاء الحكمة عدمه نقص ... فنزول الله إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، في هذه الحال كمال، وفي غير هذه الحال لا يكون كمالا [1]

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 69

المطلب الرابع : قواعد في أفعال الله تعالى

- باب الأفعال أوسع من باب الأسماء :

الْفِعْلَ أَوْسَعُ مِنَ الِاسْمِ، وَلِهَذَا أَطْلَقَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ أَفْعَالًا لَمْ يَتَسَمَّ مِنْهَا بِأَسْمَاءِ الْفَاعِلِ، كَأَرَادَ، وَشَاءَ، وَأَحْدَثَ، وَلَمْ يُسَمَّ بِالْمُرِيدِ وَالشَّائِي وَالْمُحْدِثِ، كَمَا لَمْ يُسَمِّ نَفْسَهُ بِالصَّانِعِ وَالْفَاعِلِ وَالْمُتْقِنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي أَطْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ، فَبَابُ الْأَفْعَالِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الْأَسْمَاءِ.

وَقَدْ أَخْطَأَ - أَقْبَحَ خَطَإٍ - مَنِ اشْتَقَّ لَهُ مِنْ كُلِّ فِعْلٍ اسْمًا، وَبَلَغَ بِأَسْمَائِهِ زِيَادَةً عَلَى الْأَلْفِ، فَسَمَّاهُ الْمَاكِرُ، وَالْمُخَادِعُ، وَالْفَاتِنُ، وَالْكَائِدُ وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ بَابُ الْإِخْبَارِ عَنْهُ بِالِاسْمِ أَوْسَعُ مِنْ تَسْمِيَتِهِ بِهِ، فَإِنَّهُ يُخْبَرُ عَنْهُ بِأَنَّهُ شَيْءٌ، وَمَوْجُودٌ، وَمَذْكُورٌ، وَمَعْلُومٌ، وَمُرَادٌ، وَلَا يُسَمَّى بِذَلِكَ.

... وَمَا كَانَ مُسَمَّاهُ مُنْقَسِمًا لَمْ يَدْخُلِ اسْمُهُ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، كَالشَّيْءِ وَالْمَعْلُومِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُسَمَّ بِالْمُرِيدِ، وَلَا بِالْمُتَكَلِّمِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ الْإِرَادَةُ وَالْكَلَامُ، لِانْقِسَامِ مُسَمَّى الْمُرِيدِ وَالْمُتَكَلِّمِ، وَأَمَّا الْمُوجِدُ فَقَدْ سَمَّى نَفْسَهُ بِأَكْمَلِ أَنْوَاعِهِ، وَهُوَ الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ فَالْمُوجِدُ كَالْمُحْدِثِ وَالْفَاعِلِ وَالصَّانِعِ.

وَهَذَا مِنْ دَقِيقِ فِقْهِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، فَتَأَمَّلْهُ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. [1]

- أفعال الرب تبارك وتعالى صادرة عن أسمائه وصفاته الكاملة :

أفعال الرب تبارك وتعالى صادرة عن أسمائه وصفاته وأسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم فالرب تبارك وتعالى فعاله عن كماله والمخلوق كماله عن فعاله فاشتقت له الأسماء بعد أن كمل بالفعل فالرب لم يزل كاملا فحصلت أفعاله عن كماله لأنه كامل بذاته وصفاته فأفعاله صادرة عن كماله كمل ففعل والمخلوق فعل فكمل الكمال اللائق به [2]

---

[1] مدارج السالكين للإمام ابن القيم 3/383

[2] بدائع الفوائد للإمام ابن القيم 2/66

- أفعال الله تعالى لا تقاس بأفعال عباده :

مذهب أهل السنة والجماعة أن أفعال الله تعالى لا نقاس بأفعال عباده ولا تدخل تحت شرائع عقولهم القاصرة بل أفعاله لا تشبه أفعال خلقه ولا صفاته صفاتهم ولا ذاته ذواتهم {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} [1]

- أفعال الله -سبحانه جل وعلا-، أصلها قديم حادثة الأحاد :

أفعال الله -سبحانه جل وعلا-، أصلها قديم، وأنواعها تحدث شيئًا بعد شيء، فهو الخلاق، لم يزل خلاقًا لم يزل فعالًا لما يريد ، لكن أفعاله تجدد بحسب حال الواقع، فخلق آدم وقع بعد أن كان عدمًا، وهكذا خلق الملائكة، وهكذا خلق السماوات، وهكذا خلق الأرض، وهكذا خلق من بعد ذلك، وهكذا رضاه عمن مضى ورضاه عمن يأتي من المؤمنين، وغضبه على من مضى وغضبه على من يأتي من الكفار، وهكذا ، فجنس أفعاله وصفاته قديمة [2]

- أفعاله سبحانه لا تخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل :

فلا يفعل عبثا ولا جورا ولا باطلا بل هو المنزه عن ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص [3]

بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها فنذكر بعض أنواعها

النوع الأول: التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه كقوله: {حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ} ...

---

[1] مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم 2/ 55

[2] مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم 2/ 55

[3] حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام ابن القيم 376

والحكمة هي العلم النافع والعمل الصالح وسمي حكمة لأن العلم والعمل قد تعلقا بمتعلقهما وأوصلا إلى غايتيهما وكذلك لا يكون الكلام حكمة حتى يكون موصلا إلى الغايات المحمودة والمطالب النافعة فيكون مرشدا إلى العلم النافع والعمل الصالح فتحصل الغاية المطلوبة ...

النوع الثاني: إخباره أنه فعل كذا لكذا وأنه أمر بكذا لكذا كقوله: {ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} وقوله: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً} ...

النوع العاشر إخباره عن الحكم والغايات التي جعلها في خلقه وأمره كقوله: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ} ...

النوع الحادي عشر إنكاره سبحانه على من زعم أنه لم يخلق الخلق لغاية ولا لحكمة كقوله: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً} ...

النوع الثاني عشر إنكاره سبحانه أن يسوى بين المختلفين أو يفرق بين المتماثلين وأن حكمته وعدله يأبى ذلك أما الأول فكقوله: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} ... وأما الثاني وهو أن لا يفرق بين المتماثلين فكقوله: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً}[1]

[1] شفاء العليل للإمام ابن القيم 190/1

المطلب الخامس : قواعد في أدلة الأسماء والصفات :

القاعدة الأولى: الأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته

هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما.[1]

وعلى هذا: فما ورد إثباته لله تعالى من ذلك في الكتاب والسنة وجب إثباته.

وما ورد نفيه فيهما وجب نفيه مع إثبات كمال ضده.

وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه، فلا يثبت ولا ينفى، لعدم ورود الإثبات والنفي فيه.

وأما معناه: فيفصل فيه؛ فإن أريد به حقٌّ يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أريد به معنىً لا يليق بالله عز وجل وجب ردّه. [2]

فمما ورد إثباته لله تعالى: كل صفة دل عليها اسم من أسماء الله تعالى دلالة مطابقة أو تضمن أو التزام.

ومنه كل صفة دل عليها فعل من أفعاله، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين عباده يوم القيامة، ونحو ذلك من أفعاله التي لا تحصى أنواعها، فضلاً عن أفرادها {وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} .

ومنه: الوجه والعينان واليدان ونحوها.

ومنه: الكلام والمشيئة والإرادة بقسميها الكوني والشرعي.

---

[1] الأسماء والصفات العلم بهما من باب العلم بالخبر ... ولكن أحيانا لانطلع على دليل الكتاب والسنة لكننا نطلع على الاجماع فنقول إن الإجماع هنا لابد أن يكون مستندا إلى الكتاب والسنة / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 149

[2] نتوقف في اللفظ ونستفصل في المعنى ... هذا إن لم يكن ذلك الإسم دالا على نقص فيجب علينا نفيه بكل حال أما إذا كان محتملا فإننا نتوقف في لفظه ونستفصل عن معناه / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 150

فالكونية: بمعنى المشيئة. والشرعية: بمعنى المحبة.

ومنه: الرضا والمحبة والغضب والكراهة ونحوها

ومما ورد نفيه عن الله سبحانه لانتفائه وثبوت كمال ضده :

الموت والنوم والسنة والعجز والإعياء والظلم والغفلة عن أعمال العباد، وأن يكون له مثيل أوكفؤٌ، أو نحو ذلك.

ومما لم يرد إثباته ولا نفيه لفظ: (الجهة) ، فلو سأل سائل: هل نثبت لله تعالى جهة؟، قلنا له: لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة إثباتا ولا نفيا، ويُغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تعالى في السماء. وأما معناه فإما أن يراد به جهة سفل أو جهة علو تحيط بالله، أو جهة علو لا تحيط به.

فالأول باطل، لمنافاته لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع.

والثاني باطل أيضا، لأن الله تعالى أعظم من أن يحيط به شئ من مخلوقاته.

والثالث حق، لأن الله تعالى العلي فوق خلقه ولا يحيط به شئ من مخلوقاته.

ودليل هذه القاعدة السمع والعقل.

فأما السمع: فمنه قوله تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ، وقوله: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} ، وقوله: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} ، وقوله: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً} ، وقوله: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} ، وقوله: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ}

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن والسنة.

وكل نص يدل على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن فهو دال على وجوب الإيمان بما جاء في السنة، لأن مما جاء في القرآن الأمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم والرد إليه عند التنازع. والرد إليه يكون إليه نفسه في حياته والى سنته بعد وفاته.

فأين الإيمان بالقرآن لمن استكبر عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم المأمور به في القرآن؟.

وأين الإيمان بالقرآن لمن لم يرد النزاع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد أمر الله به في القرآن؟.

وأين الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي أمر به القرآن لمن لم يقبل ما جاء في سنته؟.

ولقد قال الله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ} ، ومن المعلوم أن كثيرًا من أمور الشريعة العلمية والعملية جاء بيانها بالسنة فيكون بيانها بالسنة من تبيان القرآن.

وأما العقل فنقول: إن تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز في حق الله تعالى من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل،[1] فوجب الرجوع فيه إلى ما جاء في الكتاب والسنة [2]

- هَل يجوز أَنْ نَقُول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بِلاَ أُذُنِ ﴾ ؟

الجواب: لا يجوز أَنْ نَقُول: ﴿ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بِلاَ أُذُنِ ﴾ ؛ لأَنَّ اللَّهَ لَم يَنْفِ الأُذُن عَن نَفْسِه ، إِذَنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَنْفِيها لاحتمالِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُذُنٌ ، وأيضًا: بَصِيرٌ بِلاَ عَيْنِ ، هَذا أيضًا لَا يَصِحُ لوجهَيْن :

---

[1] أثبت المعنى الحق وانف المعنى الباطل أما اللفظ فدعه

فالسفاريني رحمه الله انتقد عليه قوله وليس ربنا بجوهر ولاجسم * ولاعرض تعالى ذو العلو ... فماالذي يدريه فقد كان حريا به السكوت كما سكت الله ورسوله فليس في القران اثبات بانه جسم ولانفي بانه ليس بجسم وكذلك عند الصحابة لكن هذه المسائل ولدها المتكلمون المحدثون ليتوصلو بها الى معنى باطل فيوهمون العامة ومن ليس عنده علم راسخ بأن هذا الذي قالوه هو الحق وأن هذا هو غاية التنزيه لله عزوجل فينفون الصفات بمثل هذه الطرق/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين

[2] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 149

الأوّل: أنَّ الله أَثْبَت لنَفْسِه عَيْنًا ، فَكَيْف نَنْفِيها ؟!

والثاني: لَو قُدِّر أنَّ اللهَ لم يُثبت لَهُ عينًا فَلاَ يجوز نَفْيُها ؛ لأنَّ القاعدةَ فِي ذلك: أنَّ كل مَا يَتعلَّق بِصِفاتِ الله فإنَّه لَا يجوز إثْباتُه وَلَا نَفْيُه إلَّا بِدَليلٍ ، إلَّا مَا عَلِمنا أنَّه لا يليق بجلاله عَزَّوَجَلَّ ، كالأشياء التي تتضمَّن النَّقْصَ ، مِثل مَا لو قَالَ: هَل الله أَسْنانٌ وأَضْراس ؟ فهُنا نَقُول: لَيْسَ لَهُ أسنانٌ وَلَا أَضْراس ؛ لأَنَّ هَذِهِ إنَّما يحتاجُ إلَيْهَا لِمَضْغِ الأكل واللهُ تَعَالَى لَا يَأْكُل ، كما نعلم أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَعِدَةٌ وَلَا أَمْعاءُ [1]

القاعدة الثانية: الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف، لا سيما نصوص الصفات، حيث لا مجال للرأي فيها.[2]

ودليل ذلك: السمع والعقل.

أما السمع: فقوله تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} ، وقوله: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ، وقوله: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ، وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي.

---

[1] شرح عقيدة أهل السنة للعلامة ابن عثيمين 120

[2] لأن نصوص الصفات من الأمور الغيبية التي ليس للعقل فيها مجال حتى يتحكم ... فنحن نسلم بهذه النصوص ونجريها على ظاهرها مع اعتقاد أن ظاهرها لايراد به الباطل ... لو قال قائلٌ:إن ظاهر قوله تعالى:"بل يداهُ مبسوطتان" أن تكون له يدان تُماثلان أيدي المخلوق فإننا نقول نحن مانفهم من ظاهر قوله تعالى (بل يدله مبسوطتان) أن اليدين تماثل أيدي المخلوقين بل نفهم أنها اليدان اللائقتان بالله تعالى كما لو قلت إن للهر يدين فإن أحدا من الناس لايقول إن ظاهر هذا اللفظ أن يدي الهر ميدي الإنسان فعندما أضفت لفظ اليدين إلى الهر كان معناها يليق بالهر .... فظاهر النصوص في اسماء الله تعالى وصفاته هو المعنى اللائق بالله... وبهذا نقطع دابر هؤلاء المحرفين الذين يدعون أن ظواهر الكتاب والسنة هو التمثيل ويتوصلون بهذا الاعتقاد الباطل إلى نفي ماجا في الكتاب والسنة / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 158

وقد ذم الله تعالى اليهود على تحريفهم، وبين أنهم بتحريفهم من أبعد الناس عن الإيمان، فقال: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} وقال تعالى: {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا} الآية.

وأما العقل فلأن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين، فوجب قبوله على ظاهره، وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة [1] . [2]

القاعدة الثالثة: ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر

فباعتبار المعنى هي معلومة. وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

وقد دل على ذلك السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} ، وقوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ، وقوله جل ذكره: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} . والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه. [3]

---

[1] من حرف من هذه الأمة نصوص الكتاب والسنة سواء العلمية أو العملية كان فيه شبه من اليهود / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 161

– ولهذا نجد المتأولين هم أكثر الناس نزاعا في المراد بالنصوص لأن كل انسان يأول على مايقتضيه رأيه فيحصل الخلاف والتفرق وتكون الأمة امما / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 161

[2] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 158

[3] فمعلوم أن مالا يمكن الوصول إلى معناه فلا فائدة من تدبره لأن المقصود من التدبر الوصول إلى المعنى ولهذا قال (وليتذكر) ولاتذكر إلا بعد معرفة المعنى/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 162

وكون القرآن عربيا ليعقله من يفهم العربية، يدل على أن معناه معلوم، وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها. [1]

وبيان النبي صلى الله عليه وسلم القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه.[2]

وأما العقل: فلأن من المحال أن يُنَزِّل الله تعالى كتابا، أو يتكلم رسوله صلى الله عليه وسلم بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق ، ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعني، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء، لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى، وقد قال الله تعالى عن كتابه: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} . [3]

هذه دلالة السمع والعقل على علمنا بمعاني نصوص الصفات.

وأما دلالتهما على جهلنا لها باعتبار الكيفية فقد سبقت في القاعدة السادسة من قواعد الصفات.

وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات، ويَدَّعون أن هذا مذهب السلف. والسلف بريئون من هذا المذهب، وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات

---

[1] القرآنُ كُلُّ ما فيه له مَعْنَى، اللَّهُمَّ إِلا الحروف الهجائيَّةَ في أوَّلِ بعض السُّورِ، والصّحيح أنه ليس لها معنى؛ لأنها حروف هجائية، وهي ليست رموزًا كما قيل، وليست لها معان الله أعلَمُ بمرادِهَا، بَل إننا حَسَبَ مَا فَهِمْنا من اللُّغَةِ العربية - والقُرآنُ باللُّغة العربية - علمنا أنَّها ليس لها معنى، ولهذا ذهَب بعض السَّلَفِ ومجاهدٌ إلى أنَّها حروفُ هجاء ليس لها معنى مثل التام والمر، لكن لها مغزى، وهو أنَّ هذا القرآنَ الَّذي نَزَل وأعجزكُم هو من هذه الحروفِ الَّتي هي مادَّةٌ لُغتِكم، ومع ذَلِكَ أَعجَزَكُم./ شرح التدمرية للعلامة ابن عثيمين 305

[2] القرآن نزل بلسان عربي مبين والذين نزل القرآن بلغتهم لا يحتاجون إلى تفسير إلا في أمور غامضة...أما الباقي فأمره واضح عند الصحابة يحتاجون إلى تفسيره شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 163

[3] لأن لفظا لايعلم معناه لايمكن أن يكون هداية/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 164

المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحيانا، وتفصيلا أحيانا، وتفويضهم الكيفية إلى علم الله عز وجل. [1]

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في كتابه المعروف ب "العقل والنقل" (ص 116، ج 1) المطبوع على هامش "منهاج السنة": "وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن، وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله)

إلى أن قال (ص 118) : (وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاما لا يعقلون معناه"

قال: "ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبيانا للناس، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نُزِّل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته.. لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل، ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بَيَّنَ للناس ما نُزِّل إليهم، ولا بَلَّغ البلاغ المبين، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يُسْتَدَل به، فيبقى هذا الكلام سدًا لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحا لباب من يعارضهم، ويقول: إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون

[1] ليس في النصوص شيء يوهم التشبيه أبدا بل كلها تدل على أن الصفات لائقة بالله عزوجل فالله عزوجل أنزل علينا كتابا وللرسول صلى الله عليه وسلم سنة ثن ندعي أن أعظم ماترد من أجله وهو الصفات لايفهم معناها فهذا من أكبر القدح في القرين والسنة / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 166

– أهل السنة ... التفويض في الكيفية يثبتونه والتفويض في المعنى ينكرونه / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 167

فضلاً عن أن يبينوا مرادهم.

فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد" اه كلام الشيخ، وهو كلام سديد من ذي رأي رشيد، وما عليه مزيد، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجمعنا به في جنات النعيم.[1] [1]

[1] قول أهل التفويض قدح في القرآن والأنبياء فإذا قيل أن الرسل تقول ما تقول من الوحي فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وهي لاتدري معنى ماتقول فهذا من أكبر القدح في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا مما يفتح باب الإلحاد لأن الملحد يقول أنتم تستدلون علي بكلام لاتدرون معناه وأنا أستدل عليكم بعقلي ورأيي فإن من يقول إن المعنى كذا خير ممن يقول أنا لاأدري

ولهذا اشتبهت هذه المسألة على الناس وقال تلك العبارة الصادقة الكاذبة (طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم فهذه العبارة صادقة كاذبة صادقة في الجملة الأولى وكاذبة في الجملة الثانية ...

فأولا هذه الكلمة متناقضة ... إذا كانت السلامة كان العلم والحكمة ... فإذا قررت بأن طريقة السلف أسلم لزمك أن تقر بأن طريقة السلف أعلم وأحكم ...

ثانيا فالسلف هم الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون لهم بإحسان من أئمة الهدى فهل تكون طريقةالخلف أعلم وأحكم من طريقة هؤلاء ... هذا غير معقول أبدا ولو أن إنسانا ثبت على هذا لأخرجناه من الإسلام لأن هذا من أعظم القدح في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أصحابه

ونحن نرميهم بدائهم ، فإنّ زعماءهم ورؤساءهم كان منتهى أمرهم إلى الحيرة والقلق والشكّ.

قال بعضُ العلماء ... : " أكثرُ الناس شكًّا عند الموت أهلُ الكلام" ، وهؤلاء هم الذين يدّعون أنهم أعلم وأحكم .

وقال الرّزاي وهو من رؤسائهم : "لقد تأمّلتُ الطّرقَ الكلامية والمناهجَ الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلاً ، ولا تروي غليلاً ، ورأيتُ أقرب الطّرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات "الرحمنُ على العرش استوى"، "إليهِ يَصعدُ الكلمُ الطيب" وأقرا في "النفي ليس كمثله شيءُ"، "ولايُحِيطُونَ بهِ عِلْمًا" ومَنْ جرَّبَ مثل تجربتي عرف مثل معرفتي". وهذا كلامٌ جيّدٌ ، ودليلٌ واضحٌ على أنّ أهل الكلام لا ينتفعون بكلامٍ لا يشفي عليلا ، ولا يروي غليلاً وكان قد قال أبياتا متمثلا أو مُنشِئًا:

القاعدة الرابعة: ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني وهو يختلف بحسب السياق ، وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق ، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه.[2]

فلفظ (القرية) مثلاً يراد به القوم تارة، ومساكن القوم تارة أخرى.

فمن الأول قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً} .

ومن الثاني: قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم: {إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ} .

وتقول: صنعت هذا بيدي، فلا تكون اليد كاليد في قوله تعالى: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ} ، لأن اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له، وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به، فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق، أو بالعكس.

وتقول: ما عندك إلا زيد وما زيد إلا عندك . فتفيد الجملة الثانية معنى غير ما تفيده الأولى، مع اتحاد الكلمات، لكن اختلف التركيب فتغير المعنى به.[1]

نهاية إقدامِ العقولِ عِقالُ وأكثرُسعيِ العالِمِينَ ضلالُ

وأرواحُنا في وحشةٍ من جُسُومِنا وغايةُ دُنيانا أذىً ووبالُ

ولم نستفد من بحثنا طولَ عُمْرنا سِوَى أن جمعنا فيهِ قيلَ وقالوا / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 170

[1] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 162

[2] إذا جاءني طالب علم كبير وأنا أوزع كتباً ، فقال: أريد كتباً ، فقلت لوكيلي على المخزن: ﴿ أعطه ما يليق به وكان في المخزن: ﴿ الفتاوى ، والمغني ، والمهذب ، وكتب السنة ، فإن وكيلي ينبغي عليه أن يعطيه من هذا كله ؛ لأنه طالب علم ، وأنا قلت له: ﴿ أعطه ما يليق به ﴾. ولو جاءني طالب في المرحلة الابتدائية وطلب كتبًا ، فقلت لوكيلي: ﴿ أعطه ما يليق به ، فإنه يعطيه من الكتب الصغيرة التي تليق به. فقولي: ما يليق به واحد في المرتين ولكنه اختلف بحسب ما أضيف إليه ، لا بحسب السياق فإن السياق ، واحد فكان الاختلاف بحسب ما أضيف إليه اللفظ ، فما يليق بهذا غير ما يليق بهذا. / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 176

إذا تقرر هذا فظاهر نصوص الصفات ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني. [2]

- انقسام الناس في ظاهر نصوص الصفات :

انقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: من جعلوا الظاهر المتبادر منها معنى حقا يليق بالله عز وجل، وأبقوا دلالتها على ذلك وهؤلاء هم السلف الذين اجتمعوا على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والذين لا يَصْدُقُ لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم. [3]

وقد أجمعوا على ذلك، كما نقله ابن عبد البر فقال: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة" اهـ.

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب "إبطال التأويل": "لا يجوز رد هذه الأخبار، ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها، لكن على ما رُوِيَ عن الإمام أحمد وسائر الأئمة) اه نقل ذلك عن ابن عبد البر والقاضي شيخ الإسلام ابن تيميه في "الفتوى الحموية" (ص 87 89، ج 5" من "مجموع الفتاوى" لابن القاسم.

وهذا هو المذهب الصحيح والطريق القويم الحكيم، وذلك لوجهين:

---

[1] ما عندك إلا زيد حصر في المكان، وما زيد إلا عندك حصر في الكائن/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 178

[2] القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 36

[3] المفوضة يقولون لامعنى لها أو على الأقل يقولون لانعلم لها معنى ...

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقرون باللفظ والمعنى وهؤلاء يقرون باللفظ ولايقرون بالمعنى / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 179

الأول: أنه تطبيق تام لما دل عليه الكتاب والسنة من وجوب الأخذ بما جاء فيهما من أسماء الله وصفاته، كما يعلم ذلك من تتبعه بعلم وإنصاف.

الثاني: أن يقال: إن الحق إما أن يكون فيما قاله السلف، أو فيما قاله غيرهم. والثاني باطل، لأنه يلزم منه أن يكون السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان تكلموا بالباطل تصريحا أو ظاهرًا، ولم يتكلموا مرة واحدة لا تصريحا ولا ظاهرًا بالحق الذي يجب اعتقاده. وهذا يستلزم أن يكونوا إما جاهلين بالحق، وإما عالمين به لكن كتموه، وكلاهما باطل، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم، فتعين أن يكون الحق فيما قاله السلف دون غيرهم.[1]

القسم الثاني: من جعلوا الظاهر المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله، وهو التشبيه، وأبقوا دلالتها على ذلك. وهؤلاء هم المشبهة، ومذهبهم باطل، محرم من عدة أوجه:

الأول: أنه جناية على النصوص، وتعطيل لها عن المراد بها، فكيف يكون المراد بها التشبيه وقد قال الله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} .

الثاني: أن العقل دل على مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات، فكيف يحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما؟.

الثالث: أن هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف منها، فيكون باطلاً.[2]

فإن قال المشبِّه: أنا لا أعقل من نزول الله ويده إلا مثل ما للمخلوق من ذلك، والله تعالى لم يخاطبنا إلا بما نعرفه ونعقله

---

[1] من قال إن السلف لم يتكلموا بالحق وتكلموا بالباطل فإننا نكفره لأن هذا من أكبر القدح والعيب فيهم / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 184

[2] أصحاب القسم الثاني يقولون نحن نجري النصوص على ظاهرها ولكنهم يجعلونها من جنس صفات المخلوقين...وهؤلاء يسميهم أهل السنة مشبهة ممثلة / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 185

فجوابه من ثلاثة أوجه:[1]

أحدها: أن الذي خاطبنا بذلك هو الذي قال عن نفسه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ، ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال، أو يجعلوا له أندادًا فقال: {فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} وقال: {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} . وكلامه تعالى كله حق، يصدق بعضه بعضا ولا يتناقض.

ثانيها: أن يقال له: ألست تعقل لله ذاتا لا تشبه الذوات؟، فسيقول: بلى. فيقال له: فلتعقل له صفات لا تشبه الصفات، فإن القول في الصفات كالقول في الذات، ومن فرق بينهما فقد تناقض [2]

ثالثها: أن يقال: ألست تشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية؟. فسيقول: بلى. فيقال له: إذا عقلت التباين بين المخلوقات في هذا فلماذا لا تعقله بين الخالق والمخلوق مع أن التباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم بل التماثل مستحيل بين الخالق والمخلوق، كما سبق في القاعدة السادسة من قواعد الصفات [3]

القسم الثالث: من جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله، وهو التشبيه، ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلت عليه من المعنى اللائق بالله. وهم أهل التعطيل، سواء كان تعطيلهم عاما في الأسماء والصفات، أم خاصا فيهما، أو في أحدهما. فهؤلاء صرفوا

---

[1] كل مبطل لابد أن يأتي بشبه تحير بعض الناس خاصة العوام فتراهم يقبلونها ويظنونها حقا ويمشون عليها / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 187

[2] فإذا كنت تعقل له ذاتا لا تشبه الذوات ، فينبغي أن تعقل له صفات لا تشبه الصفات أما أن تعقل أن ذاته لاتشبه الذوات وأن صفاته تشبه الصفات فهذا تناقض / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 188

[3] الصواب أن نعقل الشيء مماثلا للشيء في الاسم مخالفا له في الحقيقة / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 189

النصوص عن ظاهرها إلى معاني عينوها بعقولهم، واضطربوا في تعيينها اضطرابا كثيرًا، وسموا ذلك تأويلاً وهو في الحقيقة تحريف. [1]

ومذهبهم باطل من وجوه:

---

[1] كلام السلف في الرد على أهل التمثيل قليل وإنما المحنة والبلاء تجده في أهل التأويل أو بالأصح في أهل التحريف الذين يسمون أنفسهم أهل التأويل فالبلاء كله منهم حتى أتعبوا العلماء في الرد عليهم

ولذلك يقول شيخ الإسلام إن هؤلاء أشد ضررا من الفلاسفة وأحق بالرد لأن الفلاسفة ايضا يعلم بطلان مذهبهم بالفطرة فنفور الناس منهم أعظم لكن هؤلاء ياتون بزخارف من القول يموهون بها على العامة فيقبل الناس قولهم فضررهم أشد

ولكنهم كما قال رحمه الله فهؤلاء لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا فهؤلاء لم ينفعو الناس بل ضروهم

فأهل التأويل يقولون إن الظاهر المتبادر من نصوص الصفات معنى لايليق بالله وهو التشبيه وهؤلاء لما جعلوا هذا هو الظاهر ذهبوا يحرفون النصوص من أجله

وهم إنا قالوا ذلك لأنهم يوافقون المشبهة في انه لايعقل من هذه الأشياء إلا ماكان مشابها لما يشاهدوه فلما اعتقدوا هذه العقيدة الفاسدة قالوا آمنا بها على هذا الظاهر وافقنا المشبهة إذن يجب أن نأولها إلى معنى يتناسب مع عقولنا فنقول المراد باليد النعمة

وقالوا كل نص أوهم التشبيه أوله أوفوض ورم تنزيها وقالوا إما أن نأول او نفوض

التأويل أفضل من التفويض لأن المأول يثبت للنصوص معنى ... واما أهل التفويض فلا يفهون شيئا

فإنهم يلحقهم التشبيه فيكونون قد وقعوا فيما فروا منه وزادوا على ذلك تحريف الكلم عن مواضعه وتعطيل الله عزوجل عما يجب له

فمثلا إذا قالوا المراد باليد القوة ... على قاعدتهم كون إثبات القوة لله تشبيها لأن الإنسان له قوة

وإذا قالوا ... استوى بمعنى استولى ... حينئذ قد اثبتوا لله صفة وللمخلوق مثلها وهذا تشبيه

كل شئ يلجا إليه هؤلاء من تحريف النصوص عن ظاهرها فإنهم يقعون في مثل مافروا منه بالإضافة إلى تعطيل الله عما يجب له وتحريف كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 190

أحدها: أنه جناية على النصوص، حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

الثاني: أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره. والله تعالى خاطب الناس بلسان عربيٍ مبين ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي، والنبي صلى الله عليه وسلم خاطبهم بأفصح لسان البشر، فوجب حمل كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي، غير أنه يجب أن يصان عن التكييف والتمثيل في حق الله عز وجل.

الثالث: أن صرف كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره إلى معنى يخالفه قول على الله بلا علم، وهو محرم لقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} ، ولقوله سبحانه: {وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}[1] .

فالصارف لكلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره إلى معنى يخالفه قد قفا ما ليس له به علم، وقال على الله ما لا يعلم من وجهين:

الأول: أنه زعم أنه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كذا، مع أنه ظاهر الكلام.

الثاني: أنه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لا يدل عليه ظاهر الكلام.

وإذا كان من المعلوم أن تعيين أحد المعنيين المتساويين في الاحتمال قولٌ بلا علم، فما ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام؟.

---

[1] نحن نوافقهم أن التشبيه باطل ولكن لانوافقهم على قولهم بأن التشبيه هو ظاهر النصوص فهذا هو الفرق بيننا وبينهم/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 193

مثال ذلك: قوله تعالى لإبليس: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ} فإذا صرف الكلام عن ظاهره وقال: لم يرد باليدين اليدين الحقيقيتين، وإنما أراد كذا وكذا. قلنا له: ما دليلك على ما نفيت؟، وما دليلك على ما أثبت؟. فإن أتى بدليل وأنّى له ذلك، وإلا كان قائلاً على الله بلا علم في نفيه وإثباته.

الوجه الرابع في إبطال مذهب أهل التعطيل:أن صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها، فيكون باطلاً، لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها.

الوجه الخامس: أن يقال للمعطل: هل أنت أعلم بالله من نفسه؟. فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل ما أخبر الله عز وجل به عن نفسه صدق وحق؟. فسيقول: نعم.

ثم يقال له: هل تعلم كلاما أفصح وأبين من كلام الله تعالى؟. فسيقول: لا.

ثم يقال له:هل تظن أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعمي الحق على الخلق في هذه النصوص ليستخرجوه بعقولهم؟ فسيقول: لا

هذا ما يقال له باعتبار ما جاء في القرآن.

أما باعتبار ما جاء في السنة:

فيقال له: هل أنت أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. فيقول: لا.

ثم يقال له: هل ما أخبر به رسول الله عن الله صدق وحق؟. فسيقول: نعم.

ثم يقال له: هل تعلم أن أحدًا من الناس أفصح كلاما وأبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل تعلم أن أحدًا من الناس أنصح لعباد الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. فسيقول: لا.

فيقال له: إذا كنت تقر بذلك، فلماذا لا يكون عندك الإقدام والشجاعة في إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم على حقيقته وظاهره اللائق بالله؟، وكيف يكون عندك الإقدام والشجاعة في نفي حقيقته تلك وصرفه إلى معنى يخالف ظاهره بغير علم؟، وماذا يضيرك إذا أثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، على الوجه اللائق به فأخذت بما جاء في الكتاب والسنة إثباتا ونفيا؟، أفليس هذا أسلم لك وأقوم لجوابك إذا سئلت يوم القيامة: {مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} ؟، أو ليس صرفك لهذه النصوص عن ظاهرها وتعيين معنى آخر مخاطرة منك، فلعل المراد يكون على تقدير جواز صرفها غير ما صرفتها إليه.[1]

الوجه السادس في إبطال مذهب أهل التعطيل: أنه يلزم عليه لوازم باطلة، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.

فمن هذه اللوازم:

أولاً: أن أهل التعطيل لم يصرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها إلا حيث اعتقدوا أنه مستلزم أو موهم لتشبيه الله تعالى بخلقه، وتشبيه الله تعالى بخلقه كفر، لأنه تكذيب لقوله تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} . قال نعيم ابن حماد الخزاعي أحد مشايخ البخاري رحمهما الله: (من شبه الله

---

[1] قد تقد لنا خمسة أوجه في إبطال مذهب التاويل

الوجه الأول أنه جناية على النصوص

الوجه الثاني أنه صرف للكلام عن ظاهره

الوجه الثالث أنه قول على الله بلا علم

الوجه الرابع: أن صرف النصوص عن ظاهرها مخالف لطريق السلف

الوجه الخامس: أن يقال للمعطل: هل أنت أعلم بالله من نفسه... الخ/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين

197

بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها) اه.

ومن المعلوم: أن من أبطل الباطل أن يجعل ظاهر كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبيها وكفرًا أو موهما لذلك. [1]

ثانيا: أن كتاب الله تعالى الذي أنزله تبيانا لكل شيء، وهدى للناس، وشفاء لما في الصدور، ونورًا مبينا، وفرقانا بين الحق والباطل، لم يبين الله تعالى فيه ما يجب على العباد اعتقاده في أسمائه وصفاته، وإنما جعل ذلك موكولاً إلى عقولهم، يثبتون لله ما يشاؤن، وينكرون ما لا يريدون. وهذا ظاهر البطلان. [2]

ثالثا: أن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها كانوا قاصرين أو مقصرين في معرفة وتبيين ما يجب لله تعالى من الصفات، أو يمتنع عليه، أو يجوز. إذ لم يرد عنهم حرف واحد فيما ذهب إليه أهل التعطيل في صفات الله تعالى وسمّوه تأويلاً. وحينئذ إما أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون وسلف الأمة وأئمتها

---

[1] أهل التعطيل إنما عطلوا وأنكروا ظاهر هذه لصفات لأنهم اعتقدوا أن ظاهرها التمثيل ولم تتسع قلوبهم للجمع بين إثبات الحقيقة ونفي التمثيل

أهل التعطيل لم يصرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها إلا حيث اعتقدوا أنها تستلزم أو توهم تشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه وتشبيه الله تعالى بخلقه كفر لأنه تكذيب لقول الله تعالى (ليس كمثله شيء)

وأي قول أفسد من قول يستلزم أن يكون ظاهر الكتاب والسنة كفرا ليس هناك قول أشد من هذا القول / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 198

[2] يقولون المراد باليد القوة قول مالذي دلكم على هذا قالوا دلنا على ذلك العقل ... إذن هذا الكتاب العظيم ... ليس هو الطريق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وإنما الطريق هو العقل وهذا من أكبر القذف في القران والسنة / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 200

قاصرين لجهلهم بذلك، وعجزهم عن معرفته، أو مقصرين لعدم بيانهم للأمة. وكلا الأمرين باطل. [1]

رابعا: أن كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ليس مرجعا للناس فيما يعتقدونه في ربهم وإلههم، الذي معرفتهم به من أهم ما جاءت به الشرائع، بل هو زبدة الرسالات. وإنما المرجع تلك العقول المضطربة المتناقضة، وما خالفها فسبيله التكذيب إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً، أو التحريف الذي يسمونه تأويلاً إن لم يتمكنوا من تكذيبه. [2]

---

[1] إذا بطل اللازم بطل الملزوم / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 201

[2] وهذا أيضا لازم قولهم وهو أن نقول إن كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله ليس مرجعا للناس في معرفة مايجب لله أو يجوز أو يمتنع

والواجب هو الذي يكون صفة كمال على كل حال

والممتنع هو الذي صفة نقص على كل حال

والجائز هو الذي يكون له سبب يكمل عند وجود سببه مثل الضحك والغضب والفرح والنزول وما أشبه ذلك

جعلت المرجع هو العقل ولكن بأي عقل تزن

هذه العقول مضطربة متناقضة فنجد هؤلاء العقلاء الذين يدعون أنهم عقلاء يقول بعضهم هذا واجب لله عزوجل وآخرون يقولون هذا ممتنع على الله عزوجل والثالث يقول هذا جائز

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إن هؤلاء الذين يدعون أنهم العقلاء تجد الواحد منهم يوجب هذا الشيء لله وفي كتاب آخر يقول هذا ممتنع فإذا كان هذا الاضطراب في هذه العقول فكيف يمكن أن تكون هي المرجع للناس فيما يجب عليهم معرفته في ذات الله عزوجل

إنكا إذا رجعتم غلى العقول وتركتم المنقول فقد أخطأتم في ذلك لأن العقول متناقضة مضطربة وأما الأدلة من الكتاب والسنة فإنها متفقة وليس فيها أي اختلاف بل إن الرجوع إلى العقل فيه إبطال لدلالة العقل لأن العقل لايمكنة إدراك مايجب ويجوز ويمتنع على الله عزوجل على سبيل التفصيل فكان العقل يقتضي أن نرجع إلى النقل فتقديم العقل على النقل كفر بالعقل والنقل / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 202

– لا يجوز الاعتماد في باب الصفات على العقل لعلل منها:

خامسا: أنه يلزم منه جواز نفي ما أثبته الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فيقال في قوله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ} : إنه لا يجيء. وفي قوله صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا": إنه لا ينزل. لأن إسناد المجيء والنزول إلى الله مجاز عندهم. وأظهر علامات المجاز عند القائلين به صحة نفيه ونفي ما أثبته الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من أبطل الباطل، ولا يمكن الانفكاك عنه بتأويله إلى أمره، لأنه ليس في السياق ما يدل عليه.

ثم إن من أهل التعطيل من طرد قاعدته في جميع الصفات، أو تعدى إلى الأسماء أيضا. ومنهم من تناقض فأثبت بعض الصفات دون بعض، كالأشعرية والماتريدية، أثبتوا ما أثبتوه بحجة أن العقل يدل عليه، ونفوا ما نفوه بحجة أن العقل ينفيه أو لا يدل عليه.

الأولى: تناقض العقلاء فيما بينهم فيما يثبت وما ينفى.

والثانية أن نقول: لو حكمنا العقل في هذا لكان مقتضى ذلك أن نرجع إلى المنقول؛ لان صفات الله عز وجل من باب الخبر المحض التي يعتمد فيها على النقل المحض.

والثالثة: أن العقول لا يمكنها إدراك ما يجب لله ويمتنع ويجوز على سبيل التفصيل.

أما على سبيل الإجمال فيمكن إدراكه وذلك بان الله موصوف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص، لكن على سبيل التفصيل لا يمكن.

والرابعة: أنه يمتنع عقلا أن تتحدث عن شخص تجهل حقيقة صفاته فكيف تتحدث عن الخالق الذي لا مثيل له؟

والخامسة: أن الذين رجعوا إلى العقول في هذا ارتكبوا محذورين: أنهم يقولون على الله ما لا يعلمون، وينفون عن الله ما قاله عن نفسه، وهؤلاء ارتكبوا محظورا عظيما بحجة أن العقل يمنع هذا على الله، أو بحجة أن العقل يوجب على الله هذا الشيء / شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 117

فنقول لهم: نفيكم لما نفيتموه بحجة أن العقل لا يدل عليه، يمكن إثباته بالطريق العقلي الذي أثبتم به ما أثبتموه، كما هو ثابت بالدليل السمعي.[1]

مثال ذلك: أنهم أثبتوا صفة الإرادة، ونفوا صفة الرحمة.

أثبتوا صفة الإرادة لدلالة السمع والعقل عليها.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} .

وأما العقل: فإن اختلاف المخلوقات وتخصيص بعضها بما يختص به من ذات أو وصف دليل على الإرادة.

ونفوا الرحمة قالوا: لأنها تستلزم لين الراحم، ورقته للمرحوم، وهذا محال في حق الله تعالى.

وأولوا الأدلة السمعية المثبتة للرحمة إلى الفعل، أو إرادة الفعل، ففسروا الرحيم بالمنعم، أو مريد الإنعام.

فنقول لهم: الرحمة ثابتة لله تعالى بالأدلة السمعية، وأدلة ثبوتها أكثر عددًا وتنوعا من أدلة الإرادة. فقد وردت بالاسم مثل: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} والصفة مثل: {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ} ، والفعل مثل: {وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ} .

ويمكن إثباتها بالعقل، فإن النعم التي تترى على العباد من كل وجه، والنقم التي تدفع عنهم في كل حين؛ دالة على ثبوت الرحمة لله عز وجل، ودلالتها على ذلك أبين وأجلى من دلالة

---

[1] قوله تعالى (وجاء ربك) هم يقولون جاء أمره اما هو فلا يجئ بنفسه فحينئذ يلزم على قولهم صحة وجواز نفي ما أثبته الله وهذا تكذيب في الواقع ...

قول المؤلف ولايمكنكم الانفكاك عنه أي عن هذا النفي في تأويله إلى أمره لأنه ليس في السياق مايدل عليه قالوا يضحك بمعنى يثيب ... نقول إذن نفيتم الضحك ونفي ما أثبته الله لنفسه تكذيب له والتكذيب بالنصوص كفر فإذا قالوا نحن مانفينا الضحك لكنا قلنا المراد بالضحك كذا وكذا نقول مالدليل فلا يمكن انفكاكهم عن النفي بالتاويل أبدا لان التأويل يحتاج إلى دليل / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 204 .

التخصيص على الإرادة، لظهور ذلك للخاصة والعامة، بخلاف دلالة التخصيص على الإرادة، فإنه لا يظهر إلا لأفراد من الناس.

وأما نفيها بحجة أنها تستلزم اللين والرقة. فجوابه: أن هذه الحجة لو كانت مستقيمة لأمكن نفي الإرادة بمثلها، فيقال: الإرادة ميل المريد إلى ما يرجو به حصول منفعة أو دفع مضرة. وهذا يستلزم الحاجة، والله تعالى منزه عن ذلك.

فإن أجيب: بأن هذه إرادة المخلوق. أمكن الجواب بمثله في الرحمة، بأن الرحمة المستلزمة للنقص هي رحمة المخلوق.

وبهذا تبين بطلان مذهب أهل التعطيل، سواء كان تعطيلاً عاما أم خاصا. [1]

وبه علم أن طريق الأشاعرة والماتريدية في أسماء الله وصفاته وما احتجوا به لذلك لا تندفع به شبه المعتزلة والجهمية، وذلك من وجهين:

---

[1] نفوا الرحمة ؛ لأنها تستلزم لين الراحم ورقته للمرحوم ، وهذا محال في

حق الله (تعالى).

وأولوا الأدلة السمعية المثبتة للرحمة إلى الفعل أو إرادة الفعل ففسروا الرحيم بالمنعم أو مريد الإنعام.

فتقول لهم: الرحمة ثابتة الله (تعالى) بالأدلة السمعية ، وأدلة ثبوتها أكثر عددا وتنوعاً من أدلة الإرادة. الإرادة وردت في صفة الفعل مثل قوله تعلى ...ولكن الله يفعل مايريد)

أما الرحمة فقد وردت باسم مثل الرحمن الرحيم ووردت بالصفة مثل قوله تعالى (وربك الغفور ذوالرحمة) ووردت في الفعل مثل قوله تعالى (ويرحم من يشاء) فصارت أكثر تنوعا من صفة الإرادة

دلالة العقل على ثبوت صفة الرحمة لله أبين وأجلى من دلالته على ثبوت الإرادة لله

لايلزم أن يكون الله عزوجل لينا ورقيقا لمن يستحق الرحمة ولامانع من ذلك

علم أن طريق الاشاعرة والماتردية في سماء الله وصفاته وماحتجوا به لذلك لاتندفع به شبه المعتزلة والجهمية

والعجيب أن الأشاعرة يدعون أنه لم يرد أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وأهل الكفر من الفلاسفة وغيرهم إلا هم وسقولون إن السلف لم يستطيعوا الرد على المعتزلة ... لأنهم يعتقدون أن مذهب السلف هو التفويض

أحدهما: أنه طريق مبتدع لم يكن عليه النبي صلى الله عليه وسلم ولا سلف الأمة وأئمتها، والبدعة لا تدفع بالبدعة وإنما تدفع بالسنة. [1]

الثاني: أن المعتزلة والجهمية يمكنهم أن يحتجوا لما نفوه على الأشاعرة والماتريدية بمثل ما احتج به الأشاعرة والماتريدية لما نفوه على أهل السنة، فيقولون: لقد أبحتم لأنفسكم نفي ما نفيتم من الصفات بما زعمتموه دليلاً عقليا، وأولتم دليله السمعي، فلماذا تحرمون علينا نفي ما نفيناه بما نراه دليلاً عقليا، ونؤول دليله السمعي؟، فلنا عقول كما أن لكم عقولاً، فإن كانت عقولنا خاطئة فكيف كانت عقولكم صائبة؟، وإن كانت عقولكم صائبة فكيف كانت عقولنا خاطئة؟، وليس لكم حجة في الإنكار علينا سوى مجرد التحكم واتباع الهوى.

وهذه حجة دامغة، وإلزام صحيح من الجهمية والمعتزلة للأشعرية والماتريدية، ولا مدفع لذلك ولا محيص عنه، إلا بالرجوع لمذهب السلف الذين يطردون هذا الباب، ويثبون لله تعالى من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إثباتا لا

وممعلوم أن مذهب التفويض لايجدي ولايرد بدع المبتدع لأن المبتدع سيقول للمفوض أنت لم تثبت المعنى حتى تحتج به علي / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 211

[1] هذه قاعدة مفيدة في الأمور العلمية والعملية وهي البدعة لايمكن أن ندفعها ببدعة ابدا سواءا كانت علمية أو عملية

مثال العلمية الأشاعرة قالوا إن الصفات التي أثبتناها وهي السبع... والأشاعرة نفوا مانفوا من الصفات بحجة أن العقل لم يثبتها

وكذلك في العلميات ... مثال يوم عاشوراء الرافضة يجعلونه يوم حزن وبعض أهل الخير قابلوهم فجعلوا يوم عاشوا يوم فرح وسرور / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 216

تمثيل فيه ولا تكييف، وتنزيها لا تعطيل فيه ولا تحريف، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور. [1] [2]

- وجوب قبول ما دل عليه الخبر إذا اجتمعت فيه أوصاف أربعة :

يجب قبول ما دل عليه كلام الله تعالى من صفاته وغيرها، وذلك أنه يجب قبول ما دل عليه الخبر إذا اجتمعت فيه أوصاف أربعة:

الوصف الأول: أن يكون صادراً عن علم، وإليه الإشارة بقوله: "فإنه أعلم بنفسه وبغيره".

الوصف الثاني: الصدق، وأشار إليه بقوله: "وأصدق قيلاً".

الوصف الثالث: البيان والفصاحة، وأشار إليه بقوله: "وأحسن حديثاً".

الوصف الرابع: سلامة القصد والإرادة، بأن يريد المخبر هداية من أخبرهم.

فدليل الأول. وهو العلم.: قوله تعالى: {وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ} [الإسراء: 55] ...

ودليل الوصف الثاني. الصدق.: قوله تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً} ... والصدق مطابقة الكلام للواقع ...

ودليل الوصف الثالث. البيان والفصاحة.: قوله تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً} وحسن حديثه يتضمن الحسن اللفظي والمعنوي.

ودليل الوصف الرابع. سلامة القصد والإرادة.: قوله تعالى:{يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا} [النساء: 176]، {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [النساء: 26].

فاجتمع في كلام الله الأوصاف الأربعة التي توجب قبول الخبر.

---

[1] فأما أن توافقونا فتنكروا جميع الصفات بما فيها السبع وإما أن توافقوا أهل السنة فتثبتوا جميع الصفات / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 218

[2] القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 37

وإذا كان كذلك، فإنه يجب أن نقبل كلامه على ما هو عليه، وأن لا يلحقنا شك في مدلوله...

وإذا قلت: المراد بهما النعمة أو القدرة.

قلنا: لا يمكن أن يكون هذا هو المراد، إلا إذا اجترأت على ربك ووصفت كلامه بضد الأوصاف الأربعة التي قلنا)[1]

- تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات إلى قسمين :

واضح جلي، ومشكل خفي .

فالواضح: ما اتضح لفظه ومعناه، فيجب الإيمان به لفظاً، وإثبات معناه حقاً بلا رد ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل؛ لأن الشرع ورد به فوجب الإيمان به، وتلقيه بالقبول والتسليم.

وأما المشكل: فهو ما لم يتضح معناه لإجمال في دلالته، أو قصر في فهم قارئه، فيجب إثبات لفظه لورود الشرع به، والتوقف في معناه وترك التعرض له لأنه مشكل لا يمكن الحكم عليه، فنرد علمه إلى الله ورسوله.

وقد انقسمت طرق الناس في هذا المشكل إلى طريقتين:

الطريقة الأولى: طريقة الراسخين في العلم الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه وقالوا: كل من عند ربنا، وتركوا التعرض لما لا يمكنهم الوصول إلى معرفته والإحاطة به، تعظيماً لله ورسوله وتأدباً مع النصوص الشرعية، وهم الذين أثنى الله عليهم بقوله: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا).

الطريقة الثانية: طريقة الزائغين الذين اتبعوا المتشابه طلباً للفتنة وصداً للناس عن دينهم وعن طريقة السلف الصالح، فحاولوا تأويل هذا المتشابه إلى ما يريدون لا إلى ما يريده الله ورسوله، وضربوا نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض، وحاولوا الطعن في دلالتها

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 131

بالمعارضة والنقص ليشكموا المسلمين في دلالتها ويعموهم عن هدايتها، وهؤلاء هم الذين ذمهم الله بقوله: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) .[1]

المطلب السادس : في الزائغين عن سبيل الرسل وأتباعهم في أسماء الله وصفاته :

الزائغون عن سبيل الرسل وأتباعهم في أسماء الله وصفاته قسمان : **ممثلة، ومعطلة**

وكل منهم غلا في جانب، وقصر في جانب، فالممثلة غلوا في جانب الإثبات، وقصروا في جانب النفي. والمعطلة غلوا في جانب النفي، وقصروا في جانب الإثبات، فخرج كل منهم عن الاعتدال في الجانبين.[2]

القسم الأول: الممثلة

وطريقتهم أنهم اثبتوا لله الصفات على وجه يماثل صفات المخلوقين، فقالوا: لله وجه، ويدان، وعينان، كوجوهنا، وأيدينا، وأعيننا، ونحو ذلك.

وشبهتهم في ذلك أن الله تعالى خاطبنا في القرآن بما نفهم ونعقل قالوا: ونحن لا نفهم ولا نعقل إلا ما كان مشاهداً، فإذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله على المعلوم في الشاهد.

ومذهبهم باطل مردود بالسمع، والعقل، والحس.

أما السمع: فقد قال الله تعالى:(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى:11) وقال: (فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) (النحل: 74). ففي الآية الأولى نفى أن يكون له مماثل مع إثبات السمع والبصر له. وفي الثانية نهى أن تضرب له الأمثال، فجمع في هاتين الآيتين بين النفي والنهي.

وأما العقل فدلالته على بطلان التمثيل من وجوه:

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 32

[2] تقريب التدمرية 22

الأول: التباين بين الخالق والمخلوق في الذات والوجود، وهذا يستلزم التباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به، فالمعاني والأوصاف تتقيد وتتميز بحسب ما تضاف إليه.

الثاني: أن القول بالمماثلة بين الخالق والمخلوق يستلزم نقص الخالق سبحانه؛ لأن تمثيل الكامل بالناقص يجعله ناقصاً.

الثالث: أن القول بمماثلة الخالق للمخلوق يقتضي بطلان العبودية الحق؛ لأنه لا يخضع عاقل لأحد وبذل له على وجه التعظيم المطلق إلا أن يكون أعلى منه.

وأما الحس: فإننا نشاهد في المخلوقات ما تشترك أسماؤه وصفاته في اللفظ وتتباين في الحقيقة، فللفيل جسم وقوة، وللبعوضة جسم وقوة، والتباين بين جسميهما وقوتيهما معلوم، فإذا جاز هذا التباين بين المخلوقات كان جوازه بين الخالق والمخلوق من باب أولى، بل التباين بين الخالق والمخلوق واجب، والتماثل ممتنع غاية الامتناع.

وأما قولهم: إن الله تعالى خاطبنا بما نعقل ونفهم فصحيح؛ لقوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الزخرف: 3). وقوله: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (صّ:29). وقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم) (إبراهيم: 4). ولوا أن الله أراد من عباده عقل وفهم ما جاءت به الرسل لكان لسان قومه ولسان غيرهم سواء، ولما حصل البيان الذي تقوم به الحجة على الخلق.

وأما قولهم: إذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله على المعلوم في الشاهد فجوابه من وجهين:

أحدهما: أن ما أخبر الله به عن نفسه إنما أخبر به مضافاً إلى نفسه المقدسة، فيكون لائقاً به لا مماثلاً لمخلوقاته، ولا يمكن لأحد أن يفهم منه المماثلة إلا من لم يعرف الله تعالى، ولم يقدره حق قدره، ولم يعرف مدلول الخطاب الذي يقتضيه السياق.

الثاني: أنه لا يمكن أن تكون المماثلة مرادة لله تعالى؛ لأن المماثلة تستلزم نقص الخالق جل وعلا، واعتقاده نقص الخالق كفر وضلال، ولا يمكن أن يكون مراد الله تعالى بكلامه الكفر والضلال، كيف وقد قال: (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا) (النساء: 176). وقال: (وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) (الزمر: 7). [1]

القسم الثاني: المعطلة

وهم الذين أنكروا ما سمى الله تعالى ووصف به نفسه إنكاراً كلياً أو جزئياً، وحرفوا من أجل ذلك نصوص الكتاب والسنة، فهم محرفون للنصوص، معطلون للصفات، وقد انقسم هؤلاء إلى أربع طوائف: [2]

الطائفة الأولى: الأشاعرة

ومن ضاهاهم من الماتريدية وغيرهم. وطريقتهم أنهم أثبتوا لله الأسماء، وبعض الصفات، ونفوا حقائق أكثرها، وردوا ما يمكنهم رده من النصوص، وحرفوا ما لا يمكنهم رده، وسموا ذلك التحريف "تأويلاً".

فأثبتوا لله من الصفات سبع صفات: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، على خلاف بينهم وبين السلف في كيفية إثبات بعض هذه الصفات.

وشبهتهم فيما ذهبوا إليه أنهم اعتقدوا فيما نفوه أن إثباته يستلزم التشبيه أي التمثيل. وقالوا فيما أثبتوه إن العقل قد دل عليه، فإن إيجاد المخلوقات يدل على القدرة، وتخصيص بعضها بما يختص به يدل على الإرادة، وإحكامها يدل على العلم، وهذه الصفات "القدرة، والإرادة، والعلم" تدل على الحياة لأنها لا تقوم إلا بحي، والحي إما أن يتصف بالكلام والسمع والبصر وهذه

---

[1] تقريب التدمرية 22

[2] تقريب التدمرية 24

صفات كمال، أو بضدها وهو الخرس والصمم والعمى، وهذه صفات ممتنعة على الله تعالى، فوجب ثبوت الكلام، والسمع، والبصر.

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أن الرجوع إلى العقل في هذا الباب مخالف لما كان عليه سلف الأمة من الصحابة، والتابعين، وأئمة الأمة من بعدهم، فما منهم أحد رجع إلى العقل في ذلك وإنما يرجعون إلى الكتاب والسنة، فيثبتون لله تعالى من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسله إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل.

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: "نصف الله بما وصف به نفسه، ولا نتعدى القرآن والحديث".

الثاني: أن الرجوع إلى العقل في هذا الباب مخالف للعقل؛ لأن هذا الباب من الأمور الغيبية التي ليس للعقل فيها مجال، وإنما تتلقى من السمع، فإن العقل لا يمكنه أن يدرك بالتفصيل ما يجب ويجوز ويمتنع في حق الله تعالى؛ فيكون تحكيم العقل في ذلك مخالفاً للعقل.

الثالث: أن الرجوع في ذلك إلى العقل مستلزم للاختلاف والتناقض، فإن لكل واحد منهم عقلاً يرى وجوب الرجوع إليه كما هو الواقع في هؤلاء، فتجد أحدهم يثبت ما ينفيه الآخر، وربما يتناقض الواحد منهم فيثبت في مكان ما ينفيه أو ينفي نظيره في مكان آخر، فليس لهم قانون مستقيم يرجعون إليه.

قال المؤلف رحمه الله في الفتوى الحموية : "فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة، فرضي الله عنه الإمام مالك بن أنس حيث قال: "أولكما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء"(1). ومن المعلوم أن تناقض الأقوال دليل على فسادها.

الرابع: أنهم إذا صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معنى زعموا أن العقل يوجبه، فإنه يلزمهم في هذا المعنى نظير ما يلزمهم في المعنى الذي نفوه مع ارتكابهم تحريف الكتاب والسنة.

مثال ذلك: إذا قالوا المراد بيد الله عز وجل: القوة دون حقيقة اليد؛ لأن إثبات حقيقة اليد يستلزم التشبيه بالمخلوق الذي له يد.

فنقول لهم: يلزمكم في إثبات القوة نظير ما يلزمكم في إثبات اليد الحقيقية؛ لأن للمخلوقات قوة، فإثبات القوة لله تعالى يستلزم التشبيه على قاعدتكم.

ومثال آخر: إذا قالوا المراد بمحبة الله تعالى إرادة ثواب المحبوب أو الثواب نفسه دون حقيقة المحبة؛ لأن إثبات حقيقة المحبة يستلزم التشبيه.

فنقول لهم: إذا فسرتم المحبة بالإرادة لزمكم في إثبات الإرادة نظير ما يلزمكم في إثبات المحبة، لأن للمخلوق إرادة، فإثبات الإرادة لله تعالى يستلزم التشبيه على قاعدتكم، وإذا فسرتموها بالثواب، فالثواب مخلوق مفعول لا يقوم إلا بخالق فاعل، والفاعل لابد له من إرادة الفعل، وإثبات الإرادة مستلزم للتشبيه على قاعدتكم.

ثم نقول: إثباتكم إرادة الثواب أو الثواب نفسه مستلزم لمحبة العمل المثاب عليه، ولولا محبة العمل ما أثيب فاعله، فصار تأويلكم مستلزماً لما نفيتم؛ فإن أثبتموه على الوجه المماثل للمخلوق ففي التمثيل وقعتم، وإن أثبتموه على الوجه المختص بالله واللائق به أصبتم ولزمكم إثبات جميع الصفات على هذا الوجه.

الخامس: أن قولهم فيما نفوه: "إن إثباته يستلزم التشبيه" ممنوع لأن الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات كما تقرر سابقاً، ثم إنه منقوض بما أثبتوه من صفات الله، فإنهم يثبتون لله تعالى الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، مع أن المخلوق متصف بذلك، فإثباتهم هذه الصفات لله تعالى مع اتصاف المخلوق بها مستلزم للتشبيه على قاعدتهم.

فإن قالوا: إننا نثبت هذه الصفات لله تعالى على وجه يختص به ولا يشبه ما ثبت للمخلوق منها.

قلنا: هذا جواب حسن سديد، فلماذا لا تقولون به فيما نفيتموه فتثبتوه لله على وجه يختص به، ولا يشبه ما ثبت للمخلوق منه؟!

فإن قالوا: ما أثبتناه فقد دل العقل على ثبوته فلزم إثباته.

قلنا: عن هذا ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه لا يصح الاعتماد على العقل في هذا الباب كما سبق.

الثاني: أنه يمكن إثبات ما نفيتموه بدليل عقلي يكون في بعض المواضع أوضح من أدلتكم فيما أثبتموه.

مثال ذلك: الرحمة التي أثبتها الله تعالى لنفسه في قوله: (وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ)(الكهف: 58). وقوله: (وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (يونس: 107).فإنه يمكن إثباتها بالعقل كما دل عليها السمع.

فيقال: الإحسان إلى الخلق بما ينفعهم ويدفع عنهم الضرر يدل على الرحمة، كدلالة التخصيص على الإرادة، بل هو أبين وأوضح لظهوره لكل أحد.

الثالث: أن نقول: على فرض أن العقل لا يدل على ما نفيتموه فإن عدم دلالته عليه لا يستلزم انتفاء في نفس الأمر، لأن انتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول، إذ قد يثبت بدليل آخر، فإذا قدرنا أن الدليل العقلي لا يثبته فإن الدليل السمعي قد أثبته، وحينئذ يجب إثباته بالدليل القائم السالم عن المعارض المقاوم.

فإن قالوا: بل العقل يدل على انتفاء ذلك لأن إثباته يستلزم التشبيه، والعقل يدل على انتفاء التشبيه.

قلنا: إن كان إثباته يستلزم التشبيه فإن إثبات ما أثبتموه يستلزم التشبيه أيضاً، فإن منعتم ذلك لزمكم منعه فيما نفيتموه إذ لا فرق، وحينئذ إما أن تقولوا بالإثبات في الجميع فتوافقوا السلف، وإما أن تقولوا بالنفي في الجميع فتوافقوا المعتزلة ومن ضاهاهم، وأما التفريق فتناقض ظاهر.[1]

الطائفة الثانية: المعتزلة

ومن تبعهم من أهل الكلام وغيرهم:

وطريقتهم أنهم يثبتون لله تعالى الأسماء دون الصفات، ويجعلون الأسماء أعلاماً محضة، ثم منهم من يقول إنها مترادفة فالعليم، والقدير، والسميع، والبصير شيء واحد، ومنهم من يقول إنها متباينة ولكنه عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، ونحو ذلك.

وشبهتهم أنهم اعتقدوا أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه؛ لأنه لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم، والأجسام متماثلة، فإثبات الصفات يستلزم التشبيه.

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أن الله تعالى سمى نفسه بأسماء، ووصف نفسه بصفات، فإن كان إثبات الصفات يستلزم التشبيه فإثبات الأسماء كذلك، وإن كان إثبات الأسماء لا يستلزم التشبيه فإثبات الصفات كذلك، والتفريق بين هذا وهذا تناقض، فإما أن يثبتوا الجميع فيوافقوا السلف، وإما أن ينفوا الجميع فيوافقوا غلاة الجهمية والباطنية، وإما أن يفرقوا فيقعوا في التناقض.

الثاني: أن الله تعالى وصف أسماءه بأنها حسنى، وأمرنا بدعائه بها فقال: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) (الأعراف: 180). وهذا يقتضي أن تكون دالة على معاني عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا، ولا يصح خلوها عنها.

[1] تقريب التدمرية 24

ولو كانت أعلاماً محضة لكانت غير دالة على معنى سوى تعيين المسمى، فضلاً عن أن تكون حسن ووسيلة في الدعاء.

الثالث: أن الله تعالى أثبت لنفسه الصفات إجمالاً وتفصيلاً مع نفي المماثلة فقال تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) (النحل: 60). وقال: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى:11). وهذا يدل على أن إثبات الصفات لا يستلزم التمثيل، ولو كان يستلزم التمثيل لكان كلام الله متناقضاً.

الرابع: أن من لا يتصف بصفات الكمال لا يصلح أن يكون رباً ولا إلهاً، ولهذا عاب إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباه باتخاذه ما لا يسمع ولا يبصر إلهاً فقال: (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً) (مريم: 42).

الخامس: أن كل موجود لابد له من صفة، ولا يمكن وجود ذات مجردة عن الصفات، وحينئذٍ لابد أن يكون الخالق الواجب الوجود متصفاً بالصفات اللائقة به.

السادس: أن القول "بأن أسماء الله أعلام محضة مترادفة لا تدل إلا على ذات الله فقط" قول باطل؛ لأن دلالات الكتاب والسنة متضافرة على أن كل اسم منها دال على معناه المختص به مع اتفاقها على مسمى واحد وموصوف واحد. فالله تعالى هو الحي القيوم، السميع البصير، العليم القدير، فالمسمى والموصوف واحد، والأسماء والصفات متعددة. ألا ترى أن الله تعالى يسمي نفسه باسمين أو أكثر في موضع واحد كقوله: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ) (الحشر: 23). فلو كانت الأسماء مترادفة ترادفاً محضاً لكان ذكرها مجتمعة لغواً من القول لعدم الفائدة.

السابع: أن القول "بأن الله تعالى عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة وسميع بلا سمع ونحو ذلك" قول باطل مخالف لمقتضى اللسان العربي وغير العربي، فإن من المعلوم في لغات جميع العالم أن

المشتق دال على المعنى المشتق منه، وأنه لا يمكن أن يقال عليم لمن لا علم له، ولا قدير لمن لا قدرة له، ولا سميع لمن لا سمع له ونحو ذلك.

وإذا كان كذلك تعين أن تكون أسماء الله تعالى دالة على ما تقتضيه من الصفات اللائقة به؛ فيتعين إثبات الأسماء والصفات لخالق الأرض والسموات.

الثامن: أن قولهم: "لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم" ممنوع، فإننا نجد من الأشياء ما يصح أن يوصف وليس بجسم، فإنه يقال: ليل طويل، ونهار قصير، وبرد شديد، وحر خفيف ونحو ذلك، وليست هذه أجساماً. على أن إضافة لفظ الجسم إلى الله تعالى إثباتاً أو نفياً من الطرق البدعية التي يتوصل بها أهل التعطيل إلى نفي الصفات التي أثبتها الله لنفسه.

التاسع: أن قولهم: "الأجسام متماثلة" باطل ظاهر البطلان، فإن تفاوت الأجسام ظاهر لا يمكن إنكاره.[1]

الطائفة الثالثة : غلاة الجهمية، والقرامطة، والباطنية ومن تبعهم.

وطريقتهم أنهم ينكرون الأسماء والصفات، ولا يصفون الله تعالى إلا بالنفي المجرد عن الإثبات، ويقولون: إن الله هو الموجود المطلق بشرط الإطلاق. فلا يقال هو موجود، ولا حي، ولا عليم، ولا قدير، وإنما هذه أسماء لمخلوقاته أو مجاز، لأن إثبات ذلك يستلزم تشبيهه بالموجود الحي، العليم، القدير. ويقولون: إن الصفة عين الموصوف، وإن كل صفة عين الصفة الأخرى، فلا فرق بين العلم والقدرة، والسمع والبصر ونحو ذلك.

وشبهتهم أنهم اعتقدوا أن إثبات الأسماء والصفات يستلزم التشبيه والتعدد، ووجه ذلك في الأسماء أنه إذا سمي بها لزم أن يكون متصفاً بمعنى الاسم. فإذا أثبتنا "الحي" مثلاً لزم أن يكون

---

[1] تقريب التدمرية 28

متصفاً بالحياة؛ لأن صدق المشتق يستلزم صدق المشتق منه، وذلك يقتضي قيام الصفات به وهو تشبيه.

وأما في الصفات فقالوا: إن إثبات صفات متغايرة مغايرة للموصوف يستلزم التعدد، وهو تركيب ممتنع مناقض للتوحيد.

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أن الله تعالى جمع فيما سمى ووصف به نفسه بين النفي والإثبات "وقد سبق أمثلة من ذلك" فمن اقر بالنفي وأنكر الإثبات فقد آمن ببعض الكتاب دون بعض، والكفر ببعض الكتاب كفر بالكتاب كله. قال الله تعالى منكراً على بني إسرائيل: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة: 85). وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً* أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً) (النساء: 150 – 151).

الثاني: أن الموجود المطلق بشرط الإطلاق لا وجود له في الخارج المحسوس، وإنما هو أمر يفرضه الذهن ولا وجود له في الحقيقة، فتكون حقيقة القول به نفي وجود الله تعالى إلا في الذهن، وهذا غاية التعطيل والكفر.

الثالث: قولهم: "إن الصفة عين الموصوف، وإن كل صفة عين الصفة الأخرى" مكابرة في المعقولات، سفسطة في البدهيات، فإن من المعلوم بضرورة العقل والحس أن الصفة غير الموصوف، وأن كل صفة غير الصفة الأخرى، فالعلم غير العالم، والقدرة غير القادر، والكلام غير المتكلم، كما أن العلم والقدرة والكلام صفات متغايرة.

الرابع: أن وصف الله تعالى بصفات الإثبات أدل على الكمال من وصفه بصفات النفي، لأن الإثبات أمر وجودي يقتضي تنوع الكمالات في حقه، وأما النفي فأمر عدمي لا يقتضي كمالاً إلا إذا تضمن إثباتاً، وهؤلاء النفاة لا يقولون بنفي يقتضي الإثبات.

الخامس: قولهم: "إن إثبات صفات متغايرة مغايرة للموصوف يستلزم التعدد.." قول باطل مخالف للمعقول والمحسوس. فإنه لا يلزم من تعدد الصفات تعدد الموصوف، فها هو الإنسان الواحد يوصف بأنه حي، سميع، بصير، عاقل، متكلم، إلى غير ذلك من صفاته ولا يلزم من ذلك تعدد ذاته.

السادس: قولهم في الأسماء: "إن إثباتها يستلزم أن يكون متصفاً بمعنى الاسم فيقتضي أن يكون إثباتها تشبيهاً".

جوابه: أن المعاني التي تلزم من إثبات الأسماء صفات لائقة بالله تعالى غير مستحيلة عليه، والمشاركة في الاسم أو الصفة لا تستلزم تماثل المسميات والموصوفات.

السابع: قولهم: "إن الإثبات يستلزم تشبيهه بالموجودات".

جوابه: أن النفي الذي قالوا به يستلزم تشبيهه بالمعدومات على قياس قولهم، وذلك أقبح من تشبيهه بالموجودات، وحينئذ فإما أن يقروا بالإثبات فيوافقوا الجماعة، وإما أن ينكروا النفي كما أنكروا الإثبات فيوافقوا غلاة الغلاة من القرامطة والباطنية وغيرهم، وأما التفريق بين هذا وهذا فتناقض ظاهر. [1]

---

[1] تقريب التدمرية 31

الطائفة الرابعة: غلاة الغلاة من الفلاسفة، والجهمية، والقرامطة، والباطنية وغيرهم.

وطريقتهم أنهم أنكروا في حق الله تعالى الإثبات والنفي، فنفوا عنه الوجود، والعدم، والحياة، والموت، والعلم، والجهل ونحوها، وقالوا: إنه لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا عالم، ولا جاهل ونحو ذلك.

وشبهتهم أنهم اعتقدوا أنهم إن وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات، وإن وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات.

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أن تسمية الله ووصفه بما سمى ووصف به نفسه ليس تشبيهاً ولا يستلزم التشبيه، فإن الاشتراك في الاسم والصفة لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات، وتسميتكم ذلك تشبيهاً ليس تمويهاً وتلبيساً على العامة والجهال، ولو قبلنا مثل هذه الدعوى الباطلة لأمكن كل مبطل أن يسمي الشيء الحق بأسماء ينفر بها الناس عن قبوله.

الثاني: أنه قد علم بضرورة العقل والحس أن الموجود الممكن لابد له من موجد واجب الوجود، فإننا نعلم حدوث المحدثات ونشاهدها، ولا يمكن أن تحدث بدون محدث، ولا أن تحدث نفسها بنفسها لقوله تعالى: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) (الطور: 35).

فتعين أن يكون لها خالق واجب الوجود وهو الله تعالى. ففي الوجود إذن موجودان:

أحدهما: أزلي واجب الوجود نفسه.

الثاني: محدث ممكن الوجود، موجود بغيره، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يتفقا في خصائصه، فإن وجود الواجب يخصه، ووجود المحدث يخصه.

فوجود الخالق واجب أزلي ممتنع الحدوث، أبدي ممتنع الزوال، ووجود المخلوق ممكن حادث بعد العدم قابل للزوال، فمن لم يثبت ما بينهما من الاتفاق والافتراق لزمه أن تكون الموجودات

كلها إما أزلية واجبة الوجود بنفسها أو محدثة ممكنة الوجود بغيرها، وكلاهما معلوم الفساد بالاضطرار

الثالث: أن إنكارهم الإثبات والنفي يستلزم نفي النقيضين معاً وهذا ممتنع، لأن النقيضين لا يمكن اجتماعهما ولا ارتفاعهما، بل لابد من وجود أحدهما وحده، فيلزم – على قياس قولهم – تشبيه الله بالممتنعات لأنه يمتنع أن يكون الشيء لا موجوداً ولا معدوماً، ولا حياً ولا ميتاً، إلا أمراً يقدره الذهن ولا حقيقة له، ووصف الله سبحانه بهذا مع كونه مخالفاً لبداهة العقول كفر صريح بما جاء به الرسول.

فإن قالوا: نفي النقيضين ممتنع عما كان قابلاً لهما، أما ما كان غير قابل لهما كالجماد الذي لا يقبل الاتصاف بالسمع والصمم، فإنه يمكن نفيهما عنه فيقال ليس بسميع ولا أصم.

فالجواب من أربعة أوجه:

الوجه الأول: أن هذا لا يصح فيما قالوه من نفي الوجود والعدم، فإن تقابلهما تقابل سلب وإيجاب باتفاق العقلاء، فإذا انتفى أحدهما لزم ثبوت الآخر، فإذا قيل ليس بموجود، لزم أن يكون معدوماً، وإذا قيل ليس بمعدوم لزم أن يكون موجوداً، فلا يمكن نفيهما معاً ولا إثباتهما معاً.

الوجه الثاني: أن قولهم في الجماد: إنه لا يقبل الاتصاف بالحياة، والموت، والعمى، والبصر، والسمع، والصمم ونحوها مما يكون تقابله تقابل عدم، وملكه قول اصطلاحي لا يغير الحقائق، مردود بما ثبت من جعل الجماد حياً، كما جعل الله عصا موسى حية تلقف ما صنعه السحرة، وقد وصف الله تعالى الجماد بأنه ميت في قوله: (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ* أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (النحل: 20 – 21). وأخبر أن الأرض يوم القيامة تحدث أخبارها، وهي ما عمل عليها من خير وشر، وهذا يستلزم سمعها لما قيل ورؤيتها لما فعل.

الوجه الثالث: أن الذي يقبل الاتصاف بالكمال أكمل من الذي لا يقبله، فما يقبل أن يوصف بالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر ولو كان خالياً منه أكمل مما لا يقبل ذلك، فقولكم إن الرب لا يقبل أن يتصف بذلك يستلزم أن يكون أنقص من الإنسان القابل لذلك حيث شبهتموه بالجماد الذي لا يقبله.

الوجه الرابع: أنه إذا كان يمتنع انتفاء الوجود والعدم، فانتفاء عدم قبول ذلك أشد، وعلى هذا يكون قولهم: إن الرب لا يقبل الاتصاف بالوجود والعدم مستلزماً لتشبيهه بأشد الممتنعات. [1]

- كل طائفة من هؤلاء الطوائف الأربع واقعون في محاذير :

علم مما سبق أن كل طائفة من هؤلاء الطوائف الأربع واقعون في محاذير:

الأول: مخالفة طريق السلف.

الثاني: تعطيل النصوص عن المراد بها.

الثالث: تحريفها إلى معان غير مرادة بها.

الرابع: تعطيل الله عن صفات الكمال التي تضمنتها هذه النصوص.

الخامس: تناقض طريقتهم فيما أثبتوه وفيما نفوه.

فنقول لكل واحد منهم في جانب الإثبات: أثبت ما نفيت مع نفي التشبيه، كما أثبت ما أثبت مع نفي التشبيه.

ونقول له في جانب النفي: انف ما أثبت خوفاً من التشبيه، كما نفيت ما نفيت خوفاً من التشبيه وإلا كنت متناقضاً.

والقول الفصل المطرد السالم من التناقض ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها من إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء والصفات، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، وإجراء النصوص

---

[1] تقريب التدمرية 34

على ظاهرها على الوجه اللائق بالله عز وجل، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل[1]

[1] تقريب التدمرية 36

المطلب الثامن : مسالك الانحراف في الأسماء والصفات :

1/ التعطيل :

التعطيل بمعنى التخلية والترك، كقوله تعالى: {وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ} [الحج: 45] ، أي: مخلاة متروكة.

والمراد بالتعطيل: إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواء كان كلياً أو جزئياً، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجحود، هذا كله يسمى تعطيلاً.

فأهل السنة والجماعة لا يعطلون أي اسم من أسماء الله، أو أي صفة من صفات الله ولا يجحدونها، بل يقرون بها إقراراً كاملاً.[1]

- الفرق بين التعطيل والتحريف :

التحريف في الدليل والتعطيل في المدلول، فمثلاً:

إذا قال قائل: معنى قوله تعالى {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة: 64] ، أي بل قوتاه هذا محرف للدليل، ومعطل للمراد الصحيح، لأن المراد اليد الحقيقية، فقد عطل المعنى المراد، وأثبت معنى غير المراد. وإذا قال: بل يداه مبسوطتان، لا أدري! أفوض الأمر إلى الله، لا أثبت اليد الحقيقية، ولا اليد المحرف إليها اللفظ. نقول: هذا معطل، وليس بمحرف، لأنه لم يغير معنى اللفظ، ولم يفسره بغير مراده، لكن عطل معناه الذي يراد به، وهو إثبات اليد لله عز وجل.[2]

- أنواع التعطيل :

التعطيل نوعان :

الأول: تعطيل تكذيب وجحد، وهذا كفر. ومثاله رجل قال: إن الله لم يستو على العرش. فهذا جحود وتكذيب؛ لأن الله تعالى يقول: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} . ومن كذب خبر الله فهو كافر.

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 91

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 92

الثاني: تعطيل تأويل، وهذا هو معترك الخلاف بين العلماء هل يحكم على من عطل تأويلا بالكفر أولا؟ ومثاله رجل أثبت أن الله على العرش استوى، لكن قال: أقول: إن معناه استولى فهذا تعطيل تأويل، وهذا قد لا يكفر به الإنسان، ولهذا لا نكفر من فسر الاستواء بالاستيلاء.

وهذا النوع في الحقيقة فيه تفصيل: فأحيانا يكون الإنسان مبتدعا غير كافر، وأحيانا يكون مبتدعا كافرا حسب ما تقتضيه النصوص الشرعية في ذلك. [1]

- أنواع التعطيل :

أولاً: التعطيل المطلق: وهو تعطيل وجود الخالق.

ثانياً: تعطيل ألوهيته: بأن يعبد معه غيره.

ثالثاً: تعطيل أسمائه: بأن تنفى عنه الأسماء، والذي ينفي الأسماء ينفي الصفات من باب أولى.

رابعاً: تعطيل الصفات: فيقال: إن الله له أسماء وليس له صفات.

خامساً: تعطيل بعض الصفات: وهذا يختلف فيه الناس كثيراً، فمنهم من يعطل كثيراً ومنهم من يعطل قليلاً.

وكل أنواع التعطيل هذه منفية في قول المؤلف رحمه الله: (رغماً لأهل الزيغ والتعطيل) .

فالجهمية - المقتصدون منهم - عطلوا الصفات وأثبتوا الأسماء، والغلاة منهم عطلوا الأسماء والصفات.

والمعتزلة عطلوا الصفات وأثبتوا الأسماء، لكنها أسماء مجردة وليس لها معانٍ، فهو سميعٌ بلا سمع، وبصيرٌ بلا بصر.

---

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 1/175

والأشاعرة أثبتوا الأسماء وأنكروا الصفات إلا سبعاً، والأفضل هنا أن نقول: إنهم أنكروا الصفات إلا سبعاً، ولا نقول أثبتوا سبع صفات؛ لأن الصفات السبع قليلة بالنسبة للصفات الكثيرة العديدة؛ فلهذا نقول أنكروا الصفات إلا سبعاً.

أما أهل السنة والجماعة فأثبتوا توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأثبتوا لله الأسماء والصفات كلها، بدون قيد وبدون تفصيل، لأنهم يقولون: إن الواجب علينا أن نمرها كما جاءت. [1]

2/ التحريف :

- تعريف :

التحريف: التغيير وهو إما لفظي وإما معنوي.

والغالب أن التحريف اللفظي لا يقع، وإذا وقع، فإنما يقع من جاهل، فالتحريف اللفظي يعني تغيير الشكل، فمثلاً: فلا تجد أحداً يقول: "الحمد لله رب العالمين" بفتح الدال، إلا إذا كان جاهلاً.. هذا الغالب!

لكن التحريف المعنوي هو الذي وقع فيه كثير من الناس. [2]

فأهل السنة والجماعة إيمانهم بما وصف الله به نفسه خال من التحريف، يعني: تغيير اللفظ أو المعنى.

وتغيير المعنى يسميه القائلون به تأويلاً ويسمون أنفسهم بأهل التأويل، لأجل أن يصبغوا هذا الكلام صبغة القبول [1]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 292

[2] التحريف في النصوص، والتعطيل في المعتقد، والتكييف في الصفة، والتمثيل في الصفة، إلا أنه أخص من التكييف؛ فكل ممثل مكيف ولا عكس. فيجب أن تبرأ عقيدتنا من هذه الأمور الأربعة / القول المفيد لابن عثيمين 18/1

- معاني التأويل :

(أ) يكون بمعنى التفسير، كثير من المفسرين عندما يفسرون الآية، يقولون: تأويل قوله تعالى كذا وكذا ... وسمي التفسير تأويلاً، لأننا أولنا الكلام، أي: جعلناه يؤول إلى معناه المراد به.

(ب) تأويل بمعنى: عاقبة الشيء، وهذا إن ورد في طلب، فتأويله فعله إن كان أمراً وتركه إن كان نهياً، وإن ورد في خبر، فتأويله وقوعه.

مثاله في الخبر قوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} [الأعراف: 53] ، فالمعنى: ما ينتظر هؤلاء إلا عاقبة ومال ما أخبروا به، يوم يأتي ذلك المخبر به، يقول الذين نسوه من قبل: قد جاءت رسل ربنا بالحق...

ومثاله في الطلب قول عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده بعد أن أنزل عليه قوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: 1] ، يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي"، يتأول القرآن[1]. أي: يعمل به.

(ج) المعنى الثالث للتأويل: صرف اللفظ عن ظاهره وهذا النوع ينقسم إلى محمود ومذموم، فإن دل عليه دليل، فهو محمود النوع ويكون من القسم الأول، وهو التفسير، وإن لم يدل عليه دليل، فهو مذموم، ويكون من باب التحريف، وليس من باب التأويل.

وهذا الثاني هو الذي درج عليه أهل التحريف في صفات الله عز وجل....

- التعبير بالتحريف عن التأويل الذي ليس عليه دليل صحيح أولى، لأنه الذي جاء به القرآن، ولأنه ألصق بطريق المحرف، ولأنه أشد تنفيراً عن هذه الطريقة المخالفة لطريق السلف، ولأن

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 86

التحريف كله مذموم، بخلاف التأويل، فإن منه ما يكون مذموماً ومحموداً، فيكون التعبير بالتحريف أولى من التعبير بالتأويل من أربعة أوجه. [1]

- حكم التأويل على ثلاثة أقسام :

الأول: أن يكون صادرا عن اجتهاد وحسن نية بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله، فهذا معفو عنه لأن هذا منتهى وسعه وقد قال الله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} . [2]

ولكن عذره في ذلك لا يمنع من تخطئة طريقته المخالفة لما كان عليه السلف الصالح من إجراء النصوص على ظاهرها، واعتقاد ما دل عليه ذلك الظاهر من غير تكييف، ولا تمثيل، فإنه يجب التفريق بين حكم القول وقائله، والفعل وفاعله، فالقول الخطأ إذا كان صادرا عن اجتهاد وحسن قصد لا يذم عليه قائله، بل يكون له أجر على اجتهاده، لقول النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر﴾ . متفق عليه، وأما وصفه بالضلال فإن أريد بالضلال الضلال المطلق الذي يذم به الموصوف، ويمقت عليه، فهذا لا يتوجه في مثل هذا المجتهد الذي علم منه حسن النية، وكان له قدم صدق في الدين واتباع السنة، وإن أريد بالضلال مخالفة قوله للصواب من غير إشعار بذم القائل فلا بأس بذلك؛ لأن مثل هذا ليس ضلالا مطلقا، لأنه من حيث الوسيلة صواب، حيث بذل جهده في الوصول إلى الحق، لكنه باعتبار النتيجة ضلال حيث كان خلاف الحق.

وبهذا التفصيل يزول الإشكال والتهويل، والله المستعان. [3]

الثاني: أن يكون صادرا عن هوى وتعصب، وله وجه في اللغة العربية فهو فسق وليس بكفر إلا أن يتضمن نقصا أو عيبا في حق الله فيكون كفرا.

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 87

[2] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 21/5

[3] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 121/1

القسم الثالث: أن يكون صادرا عن هوى وتعصب وليس له وجه في اللغة العربية، فهذا كفر لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له. [1]

- إذا كنا لا نفهم من اللَّفْظِ شيئًا هل يصلح أن نقول لهذا اللفظ تأويل لا يعلمه إلا الله ؟

الجواب: لا، فنحنُ إذا كُنَّا لا نفهم عنه شيئًا فإنَّه يمكن أن يكون له تأويل، ويمكن أن لا يكون له تأويل، ويمكن أن يكون له تأويل يعلمه الله فقط، ويمكن أن يكون له تأويل يعلمه الله وغيره.

إذا قلنا: له تأويل لا يعلمه إلا الله؛ معناه أننا عَرَفْنَا أن له تأويلا وأنه لا يعْلَمُه إلا الله؛ لأننا إذا قلنا: له تأويل، فالجملة هنا نَفي. فالذي يقول: له تأويل لا يعلمه إلا الله يكون فاهما منه شيئًا فهم الآن أن هذا اللفظ له تأويل، وأن تأويله لا يعلمه إلا الله، فإذن تناقض هذا كونه يقول: إنا لا نَفْهَمُ شيئًا، ثم يقول: له تأويل لا يعْلَمُه إلا الله، هذا تناقض، ووجه التناقض الحصر الذي أشرتُ إليه؛ لأننا نقول: هذا اللَّفْظُ الَّذي تقول إنه لا يُفهم منه شَيء إما أن يكونَ له مَعنى أو لا، هل هناك قسم ثالث غير هذا ؟

لا، وإذا قُدِّرَ أن له مَعْنًى فإما أن يكونَ هذا المعنى معلومًا أو مَجْهُولًا؛ إذن حصر، وإذا قدر أنه معلوم فإما أن يكونَ مَعْلومًا لكلِّ أحد أو لا يعْلَمُه إلا الله.

إذن أنت الآن حكمت بأن له معنى، وأنه لا يَعْلَمُه إِلا اللَّهُ فقد فَهِمْتُ منه شيئًا وإلا لو كنت لا تَفْهَمُ ما حكمتَ هذا الحكم؛ إذ إن الَّذِي لا يَفْهَمُ يقول: ما دامَ تحتمل هذه الاحتمالات يجب أن لا أتكَلَّمَ به فالآن أنت حكمت عليه والحكم على الشَّيء يكونُ فَرْعًا عن تصوره. [2]

---

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 21/5

[2] شرح التدمرية للعلامة ابن عثيمين 307

- المؤول يلزم بايراد هذا المعنى المقترح في موارد النص وعندئذ ينكشف ضلاله وباطله وتحريفه ثم ننظر في الايات والاحاديث التي وردت فيها الصفة وننظر هل ينطبق عليها المعنى في كل مورد اولا

مايقول صاحب الهوى أو المبتدع فيه أنه مؤول أو مصروف عن ظاهره ثم يأتي بمعنى بديل أو مقترح يأتي به ألزمه بإيراد هذا المعنى المقترح في موارد النص وعندئد ينكشف ضلاله وباطله وتحريفه

مثلا قول الله يد الله فوق أيديهم أي قدرته قدرة الله فوق قدرة الناس مثلا هذا قالوه قل له لننظر في الآيات والأحاديث التي ورد فيها ذكر اليد وننظر هل ينطبق هذا المعنى في كل مورد أو لا ينطبق ثم تعرض له الآيات والأحاديث فتأتي إلى قوله تعالى مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي (مثنى) قل له ماذا تقول هنا هناك قلت يد الله قدرته هنا التثية ماذا تقول بيدي هل تقول بقدرتي فتثبت لله قدرتين وهذا لايقوله مسلم وإذا قال لك المراد باليد النعمة تقول له هنا هل المراد هنا بيدي أي نعمتي ليس لله إلا نعمتين ونعم الله لاتعد ولاتحصى فينكشف التأويل ثم تنتقل إلى نص آخر كقوله تعالى بل يداه مبسوطتان وتسأله ماذا تقول هنا وتنتقل إلى نص آخر مثلا الحديث الذي مر هنا في السنة وهو حديث ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام يقول فيه يمين ملأى لايغيضها نفقة سحاء اليل والنهار وبيده الأخرى إذا قال يده قدرته ماذا يفعل هنا يمين الله ملأى قدرته ثم يأتي إلى آخر الحديث وبيده الأخرى ماذا يقول وبقدرته الأخرى ماتمشي فمثل هذه الطريقة لما تستعمل في الأشياء التي أتوا بها صرفا للنصوص عن دلالاتها ومعانيها تذكر النصوص المثبة للصفات وتطالبه بأن تطبق هذا التأويل في جميع الموارد [1]

- القول في الصفات كالقول في الذات :

---

[1] مقطع في اليوتوب للشيخ عبد الرزاق البدر

https://www.youtube.com/watch?v=wLn6erpAWgw

يقال لمن يقر بذات الله تعالى ويمثل في صفاته أو ينفيها: القول في الصفات كالقول في الذات.

يعني أن من أثبت لله تعالى ذاتاً لا تماثل ذوات المخلوقين لزمه أن يثبت له صفات لا تماثل صفات المخلوقين، لأن القول في الصفات كالقول في الذات، وهذا الأصل يخاطب به أهل التمثيل، وأهل التعطيل من المعتزلة ونحوهم.

فيقال لأهل التمثيل: ألستم لا تمثلون ذات الله بذوات المخلوقين؟! فلماذا تمثلون صفاته بصفات خلقه؟ أليس الكلام في الصفات فرعاً عن الكلام في الذات؟!

ويقال لأهل التعطيل من المعتزلة ونحوهم: ألستم تقولون بوجود ذات لا تشبه الذوات؟ فكذلك قولوا بصفات لا تشبه الصفات!!

مثال ذلك: إذا قال: إن الله استوى على العرش فكيف استواؤه؟

فيقال له: القول في الصفات كالقول في الذات فأخبرنا كيف ذاته؟!

فإن قال: لا أعلم كيفية ذاته.

قيل له: ونحن لا نعلم كيفية استوائه.

وحينئذ يلزمه أن يقر باستواء حقيقي غير مماثل لاستواء المخلوقين، ولا معلوم الكيفية، كما أقر بذات حقيقية غير مماثلة لذوات المخلوقين، ولا معلومة الكيفية، كما قال مالك وشيخه ربيعة وغيرهما في الاستواء: "الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"

فقوله: "الاستواء معلوم" أي معلوم المعنى في اللغة العربية التي نزل بها القرآن وله معان بحسب إطلاقه وتقييده بالحرف، فإذا قيد بـ (على) كان معناه العلو والاستقرار كما قال تعالى: (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ) (المؤمنون: 28) وقال: (لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) (الزخرف: 13). فاستواء الله تعالى على عرشه علوه عليه علواً خاصاً يليق به، على كيفية لا نعلمها، وليس هو العلو المطلق على سائر المخلوقات.

وقوله: "والكيف مجهول" أي أن كيفية استواء الله على عرشه مجهولة لنا وذلك لوجوه ثلاثة:

الأول: أن الله أخبرنا أنه استوى على عرشه ولم يخبرنا كيف استوى.

الثاني: أن العلم بكيفية الصفة فرع عن العلم بكيفية الموصوف وهو الذات، فإذا كنا لا نعلم كيفية ذات الله، فكذلك لا نعلم كيفية صفاته.

الثالث: أن الشيء لا تعلم كيفيته إلا بمشاهدته، أو مشاهدة نظيره أو الخبر الصادق عنه، وكل ذلك منتف في استواء الله – عز وجل – على عرشه، وهذا يدل على أن السلف يثبتون للاستواء كيفية لكنها مجهولة لنا.

وقوله: "والإيمان به واجب" أي أن الإيمان بالاستواء على هذا الوجه واجب، لأن الله تعالى أخبر به عن نفسه، وهو أعلم بنفسه، وأصدق قولاً وأحسن حديثاً، فاجتمع في خبره كمال العلم، وكمال الصدق، وكمال الإرادة وكمال الفصاحة والبيان فوجب قبوله والإيمان به.

وقوله: "والسؤال عنه" أي عن كيفيته بدعة؛ لأن السؤال عنها لم يعرف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفائه الراشدين، وهو من الأمور الدينية فكان إيراده بدعة، ولأن السؤال عن مثل ذلك من سمات أهل البدع، ثم إن السؤال عنه مما لا تمكن الإجابة عليه فهو من التنطع في الدين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "هلك المتنطعون"

وهذا القول الذي قاله مالك وشيخه يقال في صفة نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا وغيره من الصفات: إنها معلومة المعنى، مجهولة الكيفية، وإن الإيمان بها على الوجه المراد بها واجب، والسؤال عن كيفيتها بدعة. [1]

---

[1] تقريب التدمرية 39

- القول في بعض الصفات كالقول في بعض :

أي أن من أثبت شيئاً مما أثبته الله لنفسه من الصفات ألزم بإثبات الباقي، ومن نفى شيئاً منه ألزم بنفي ما أثبته وإلا كان متناقضاً.

1- مثال ذلك: إذا كان المخاطب يثبت لله تعالى حقيقة الإرادة، وينفي حقيقة الغضب ويفسره: إما بإرادة الانتقام، وإما بالانتقام نفسه.

فيقال له: لا فرق بين ما أثبته من حقيقة الإرادة وما نفيته من حقيقة الغضب، فإن كان إثبات حقيقة الغضب يستلزم التمثيل، فإثبات حقيقة الإرادة يستلزمه أيضاً.

وإن كان إثبات حقيقة الإرادة لا يستلزمه، فإثبات الغضب لا يستلزمه أيضاً، لأن القول في أحدهما كالقول في الآخر، وعلى هذا يلزمك إثبات الجميع، أو نفي الجميع.

2- فإن قال: الإرادة التي أثبتها لا تستلزم التمثيل، لأنني أعني بها إرادة تليق بالله عز وجل لا تماثل إرادة المخلوق.

قيل له: فأثبت لله غضباً يليق به ولا يماثل غضب المخلوق.

3- فإن قال: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام وهذا لا يليق بالله تعالى.

قيل له: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة وهذا لا يليق بالله سبحانه وتعالى.

4- فإن قال: هذه إرادة المخلوق، وأما إرادة الله فتليق به.

قيل له: والغضب بالمعنى الذي قلت غضب المخلوق، وأما غضب الله فيليق به، وهكذا القول في جميع الصفات التي نفاها يقال له فيها ما يقوله هو فيما أثبته.

5- فإن قال: أثبت ما أثبته من الصفات بدلالة العقل عليه.

أجبنا عنه بثلاثة أجوبة سبق ذكرها ص (25) عند الرد على الطائفة الأولى.[1]

---

[1] تقريب التدمرية 37

3/ التفويض :

المفوِّضة: هم الذين يُثْبِتُون الصفات، ويفوِّضون علم معانيها إلى الله.

وأهل السنّة والجماعة يُثْبِتُون الصفات وعلم معانيها، ويفوِّضون علم كيفيتها إلى الله تعالى. [1]

وليعلم أن القول بالتفويض. كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية . من شر أقوال أهل البدع والإلحاد!...

وإذا تأملته وجدته تكذيباً للقرآن وتجهيلاً للرسول صلى الله عليه وسلم واستطالة للفلاسفة.

تكذيب للقرآن، لأن الله يقول: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ} [النحل: 89]، وأي بيان في كلمات لا يدرى ما معناها؟ ... وهل هناك قدح أعظم من هذا القدح بالرسول صلى الله عليه وسلم بل هذا من أكبر القدح رسول من عند الله ليبين للناس وهو لا يدري ما معنى آيات الصفات وأحاديثها وهو يتكلم بالكلام ولا يدري معنى ذلك كله...

وفيه فتح الباب للزنادقة الذين تطاولوا على أهل التفويض، وقال: أنتم لا تعرفون شيئاً، بل نحن الذين نعرف، وأخذوا يفسرون القرآن بغير ما أراد الله، وقالوا: كوننا نثبت معاني للنصوص خير من كوننا أميين لا نعرف شيئاً ... ولا يستطيع أهل التفويض أن يردوا ... هذه الكلمة من أكذب ما يكون نطقاً ومدلولاً، "طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم" ...

إذا قلت: إن طريقة السلف أسلم، لزم أن تقول: هي أعلم وأحكم وإلا لكنت متناقصاً.

إذاً، فالعبارة الصحيحة: "طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم" [2]

---

[1] شرح الواسطية للشيخ محمد بن خليل حسن هرّاس 68

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 93

5/ التكييف :

لم ترد في الكتاب والسنة، لكن ورد ما يدل على النهي عنها.

التكييف: هو أن تذكر كيفية الصفة، ولهذا تقول: كيف يكيف تكييفاً، أي ذكر كيفية الصفة...[1]

أهل السنة والجماعة لا يكيفون صفات الله، مستندين في ذلك إلى الدليل السمعي والدليل العقلي:

أما الدليل السمعي، فمثل قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: 33] ، والشاهد في قوله {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} ... أخبرنا الله بأنه استوى ولم يخبرنا كيف استوى ...

وأما الدليل العقلي، فكيفية الشيء لا تدرك إلا بواحد من أمور ثلاثة: مشاهدته، أو مشاهدة نظيره، أو خبر الصادق عنه

- المنفى علمنا بالكيفية ... لأن ما من موجود إلا وله كيفية، لكنها قد تكون معلومة، وقد تكون مجهولة...

وكلام مالك رحمه الله ميزان لجميع الصفات، فإن قيل لك مثلاً: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا، كيف ينزل؟ فالنزول غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عن بدعة والذين يسألون: كيف يمكن النزول وثلث الليل يتنقل؟! فنقول: السؤال هذا بدعة كيف تسأل عن شيء ما سأل عنه الصحابة وهم أحرص منك على الخير وعلى العلم بما يجب لله عز وجل، ولسنا بأعلم من الرسول عليه الصلاة والسلام، فهو لم يعلمهم. فسؤالك هذا بدعة، ولولا أننا نحسن الظن بك، لقلنا ما يليق بك بأنك رجل مبتدع.

---

[1] سواء ذكرتها بلسانك أو بقلبك / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 127

والإمام مالك رحمه الله قال: "ما أراك إلا مبتدعاً" ثم أمر به فأخرج، لأن السلف يكرهون أهل البدع وكلامهم واعتراضاتهم وتقديراتهم ومجادلاتهم.

فأنت يا أخي عليك هذا الباب بالتسليم، فمن تمام الإسلام لله عز وجل ألا تبحث في هذه الأمور، ولهذا أحذركم دائماً من البحث فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته على سبيل التعنت والتنطع والشيء الذي ما سأل الصحابة عنه ... فلذلك قل: سمعنا وأطعنا وآمنا وصدقنا، آمنا وصدقنا بالخبر وأطعنا الطلب وسمعنا القول، حتى تسلم!

وأي إنسان يسأل فيما يتعلق بصفات الله عن شيء ما سأل عنه الصحابة، فقل كما قال الإمام مالك، فإن لك سلفاً: السؤال عن هذا بدعة. وإذا قلت ذلك، لن يلح عليك، وإذا ألح، فقل: يا مبتدع! السؤال عنه بدعة، اسأل عن الأحكام التي أنت مكلف بها، أما أن تسأل عن شيء يتعلق بالرب عز وجل وبأسمائه وصفاته، ولم يسأل عنه الصحابة، فهذا لا نقبله منك أبداً!

وهناك كلام للسلف يدل على أنهم يفهمون معاني ما أنزل الله على رسوله من الصفات، كما نقل عن الأوزاعي وغيره، نقل عنهم أنهم قالوا في آيات الصفات وأحاديثها: "أمروها كما جاءت بلا كيف" وهذا يدل على أنهم يثبتون لها معنى من وجهين:

أولاً: أنهم قالوا: "أمروها كما جاءت" ومعلوم أنها ألفاظ جاءت لمعاني ولم تأت عبثاً، فإذا أمررناها كما جاءت، لزم من ذلك أن نثبت لها معنى.

ثانياً: قوله: "بلا كيف" لأن نفي الكيفية يدل على وجود أصل المعنى، لأن نفي الكيفية عن شيء لا يوجد لغو وعبث.

إذاً، فهذا الكلام المشهور عند السلف يدل على أنهم يثبتون لهذه النصوص معنى. [1]

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 97

وأيضا فإننا نقول: أيُّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى؟.

إن أيَّ كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك.

وأيَّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذبا فيها، لأنه لا علم لك بذلك.[1]

وحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديرًا بالجنان، أو تقريرًا باللسان وتحريرًا بالبنان .[2]

6/ التمثيل :

أهل السنة يتبرؤون من تمثيل الله عز وجل بخلقه، لا في ذاته ولا في صفاته.

والتمثيل: ذكر مماثل للشيء، وبينه وبين التكييف عموم وخصوص مطلق، لأن كل ممثل مكيف، وليس كل مكيف ممثلا، لأن التكييف ذكر كيفية غير مقرونة بمماثل، مثل أن تقول: لي قلم كيفيته كذا وكذا. فإن قرنت بمماثل، صار تمثيلاً، مثل أن أقول: هذا القلم مثل هذا القلم، لأني ذكرت شيئاً مماثلا لشيء وعرفت هذا القلم بذكر مماثلة.

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله عز وجل الصفات بدون مماثلة، يقولون: إن الله عز وجل له حياة وليست مثل حياتنا ... وهكذا جميع الصفات ... ولهم على ذلك أدلة سمعية وأدلة عقلية:

أ- الأدلة السمعية:

تنقسم إلى قسمين: خبر، وطلب.

- فمن الخبر قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: 11] ، فالآية فيها نفي صريح للتمثيل ...

- وأما الطلب، فقال الله تعالى: {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً} [البقرة: 22] أي: نظراء مماثلين ...

---

[1] فالإنسان ينطق والطير ينطق (علمنا منطق الطير) ولكن ليس هذا النطق ونطق الله سواء بل إن منطق الطير لانستطيع أن نكيفه ونعرف صورته فضلا عن كلام الله/ شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 138

[2] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 135

فمن مثل الله بخلقه، فقد كذب الخبر وعصى الأمر ولهذا أطلق بعض السلف القول بالتكفير لمن مثل الله بخلقه، فقال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري رحمه الله: "من شبه الله بخلقه، فقد كفر" ، لأنه جمع بين التكذيب بالخبر وعصيان الطلب.

وأما الأدلة العقلية على انتفاء التماثل بين الخالق والمخلوق: فمن وجوه:

أولاً: أن نقولك لا يمكن التماثل بين الخالق والمخلوق بأي حال من الأحوال ...

ثانياً: أنا نجد التباين العظيم بين الخالق والمخلوق في صفاته وفي أفعاله، في صفاته يسمع عز وجل كل صوت مهما خفي ومهما بعد، لو كان في قعار البحار، لسمعه عز وجل...

ثالثاً: نقول: نحن نعلم أن الله تعالى مباين للخلق بذاته: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ} [البقرة: 255] ، {وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ} [الزمر: 67] ، ولا يمكن لأحد من الخلق أن يكون هكذا، فإذا كان مبايناً للخلق في ذاته، فالصفات تابعة للذات، فيكون أيضاً مبايناً للخلق في صفاته عز وجل، ولا يمكن التماثل بين الخالق والمخلوق.

رابعاً: نقول: إننا نشاهد في المخلوقات أشياء تتفق في الأسماء وتختلف في المسميات، يختلف الناس في صفاتهم: هذا قوي البصر وهذا ضعيف ... وهكذا التباين في المخلوقات التي من جنس واحد، فما بالك بالمخلوقات المختلفة الأجناس؟ فالتباين بينها أظهر ولهذا، لا يمكن لأحد أن يقول: إن لي يداً كيد الجمل ... إذا جاز التفاوت بين المسميات في المخلوقات مع اتفاق الاسم، فجوازه بين الخالق والمخلوق ليس جائزاً فقط، بل هو واجب ...

ربما نقول أيضاً: هناك دليل فطري، وذلك لأن الإنسان بفطرته بدون أن يلقن يعرف الفرق بين الخالق والمخلوق ولولا هذه الفطرة، ما ذهب يدعو الخالق.

فتبين الآن أن التمثيل منتف سمعاً وعقلاً وفطرة ...

- لايلزم من كون الشيء على صورة الشيء أن يكون مماثلاً له من كل وجه...

- الإضافة هنا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، فقوله: "على صورته"، مثل قوله عزوجل في آدم: {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} [ص: 72]، ولا يمكن أن الله عز وجل أعطى آدم جزءاً من روحه، بل المراد الروح التي خلقها الله عز وجل، لكن إضافتها إلى الله بخصوصها من باب التشريف، كما نقول: عباد الله، يشمل الكافر والمسلم والمؤمن والشهيد والصديق والنبي لكننا لو قلنا: محمد عبد الله، هذه إضافة خاصة ليست كالعبودية السابقة.

فقوله: "خلق آدم على صورته"، يعني: صورة من الصور التي خلقها الله وصورها، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ} [الأعراف: 11] ...

فإضافة الله الصورة إليه من باب التشريف ...

- الله عز وجل له وجه وله عين وله يد وله رجل عز وجل، لكن لا يلزم [1] من أن تكون هذه الأشياء مماثلة للإنسان، فهناك شيء من الشبه لكنه ليس على سبيل المماثلة ...

- الفرق بين التكييف والتمثيل:

الفرق بينهما من وجهين:

الأول: أن التمثيل ذكر الصفة مقيدة بمماثل، فتقول يد فلان مثل يد فلان، والتكييف ذلك الصفة غير مقيدة بمماثل، مثل أن تقول: كيفية يد فلا كذا وكذا.

وعلى هذا نقول: كل ممثل مكيف، ولا عكس.

الثاني: أن الكيفية لا تكون إلا في الصفة والهيئة، والتمثيل يكون في ذلك وفي العدد، كما في قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ} [الطلاق: 12]، أي: في العدد.[1]

[1] لا يلزم من التماثل في الإسم أن يتماثل الشيء في الصفة، ولهذا نقول: للإنسان يد ورجل، وللثور يد ورجل، وللفيل يد ورجل، وللنمل يد ورجل، ولا يلزم من هذا التماثل في الإسم التماثل في الحقيقة ... وهذا في المخلوقات مع بعضها فكيف بالخالق؟! فتبين إذاً مخالفة الخالق للمخلوق بدليل السمع والعقل والحس. / شرح السفارينة للعلامة ابن عثيمين 246

- لا يقاس الله بخلقه قياس تمثيل ولا قياس شمول :

القياس ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

قياس شمول، وقياس تمثيل، وقياس أولوية، فهو سبحانه وتعالى لا يقاس بخلقه قياس تمثيل ولا قياس شمول:

1- قياس الشمول: هو ما يعرف بالعام الشامل لجميع أفراده، بحيث يكون كل فرد منه داخلاً في مسمى ذلك اللفظ ومعناه، فمثلاً: إذا قلنا: الحياة، فإنه لا تقاس حياة الله تعالى بحياة الخلق من أجل أن الكل يشمله اسم (حي) .

2- وقياس التمثيل: هو أن يلحق الشيء مثيله فيجعل ما ثبت للخالق مثل ما ثبت للمخلوق.

3- وقياس الأولوية: هو أن يكون الفرع أولى بالحكم من الأصل، ولهذا يقول العلماء: إنه مستعمل في حق الله، لقوله تعالى {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى} [النحل: 60] ، بمعنى كل صفة كمال، فلله تعالى أعلاها، والسمع والعلم والقدرة والحياة والحكمة وما أشبهها موجودة في المخلوقات، لكن لله أعلاها وأكملها.

ولهذا أحياناً نستدل بالدلالة العقلية من زاوية القياس بالأولى، فمثلاً: نقول: العلو صفة كمال في المخلوق، فإذا كان صفة كمال في المخلوق، فإذا كان صفة كمال في المخلوق، فهو في الخالق من باب أولى وهذا دائماً نجده في كلام العلماء ...

إذاً، يمتنع القياس بين الله وبين الخلق للتباين بينهما، وإذا كنا في الأحكام لا نقيس الواجب على الجائز، أو الجائز على الواجب، ففي باب الصفات بين الخالق والمخلوق من باب أولى.

لو قال لك قائل: الله موجود، والإنسان موجود، ووجود الله كوجود الإنسان بالقياس.

فنقول: لا يصح، لأن وجود الخالق واجب، ووجود الإنسان ممكن.

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 112

فلو قال: أقيس سمع الخالق على سمع المخلوق.

نقول: لا يمكن، سمع الخالق واجب له، لا يعتريه نقص، وهو شامل لكل شيء، وسمع الإنسان ممكن، إذ يجوز أن يولد الإنسان أصم، والمولود سميعاً يلحقه نقص السمع، وسمعه محدود.

إذاً، لا يمكن أن يقاس الله بخلقه، فكل صفات الله لا يمكن أن تقاس بصفات خلقه، لظهور التباين العظيم بين الخالق وبين المخلوق.[1]

تنبيه على عبارة وردت في الواسطية (لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ؛ لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفُوَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.)[2]

قول المؤلف رحمه الله: "ولا يقاس بخلقه"، بعد قوله: "لا سمي ولا كفء له، ولا ند له"، يعني القياس المقتضي للمساواة وهو قياس الشمول وقياس التمثيل.[3]

7/ التشبيه :

التشبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن:{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} .[4]

نسمع كثيراً من الكتب الني نقرأها يقولون: تشبيه، يعبرون بالتشبيه وهم يقصدون التمثيل، فأيما أولى: أنعبر بالتشبيه، أو نعبر بالتمثيل؟ نقول: بالتمثيل أولى.

أولاً: لأن القرآن عبر به: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: 11] ... وكل ما عبر به القرآن، فهو أولى ... فإن موافقة النص في اللفظ أولى من ذكر لفظ مرادف أو مقارب.

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 129

[2] الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية 129

[3] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 130

[4] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 134

ثانياً: أن التشبيه عند بعض الناس يعني إثبات الصفات ولهذا يسمون أهل السنة: مشبهة، فإن قلنا: من غير تشبيه. وهذا الرجل لا يفهم من التشبيه إلا إثبات الصفات، صار كأننا نقول له: من غير إثبات صفات! ... فصار معنى التشبيه يوهم معنى فاسداً فلهذا كان العدول عنه أولى.

ثالثاً: أن نفي التشبيه على الإطلاق غير صحيح، لأن ما من شيئين من الأعيان أو من الصفات إلا وبينهما اشتراك من بعض الوجوه، والاشتراك نوع تشابه، فلو نفيت التشبيه مطلقاً، لكنت نفيت كل ما يشترك فيه الخالق والمخلوق في شيء ما.

مثلاً: الوجود، يشترك في أصله الخالق والمخلوق، هذا نوع اشتراك ونوع تشابه، لكن فرق بين الوجودين، وجود الخالق واجب ووجود المخلوق ممكن ... وبهذا عرفنا أن التعبير بالتمثيل أولى من ثلاثة أوجه.[1]

- التشبيه الذي ضل به من ضل من الناس على نوعين :

أحدهما: تشبيه المخلوق بالخالق.

والثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق.

فأما تشبيه المخلوق بالخالق فمعناه: إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الأفعال، والحقوق، والصفات.

فالأول: كفعل من أشرك في الربوبية ممن زعم أن مع الله خالقا.

والثاني: كفعل المشركين بأصنامهم حيث زعموا أن لها حقا في الألوهية فعبدوها مع الله.

والثالث: كفعل الغلاة في مدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو غيره مثل قول المتنبي يمدح عبد الله بن يحيى البحتري:

فكن كما شئت يا من لا شبيه له ... وكيف شئت فما خلق يدانيكا

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 102

وأما تشبيه الخالق بالمخلوق فمعناه: أن يثبت لله تعالى في ذاته، أو صفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من ذلك، كقول القائل: إن يدي الله مثل أيدي المخلوقين، واستواءه على عرشه كاستوائهم ونحو ذلك.

وقد قيل: إن أول من عرف بهذا النوع هشام بن الحكم الرافضي [1]

- كل معطل ممثل وكل ممثل معطل :

المعطل ممثل من وجهين :

الوجه الأول أنه عطل بناء على أن النصوص تستلزم التمثيل

الوجه الثاني أنه إذا عطل الله من كماله الواجب مثله بالناقص فيكون ممثلا من وجهين[2]

فصار تعطيله مبنيا على التمثيل فمثل أولا وعطل ثانيا

ثم نقول: إنك معطل من وجه آخر فإذا كنت تعتقد أن إثبات الصفات يستلزم التمثيل ؛ فقد عطلت الله من كماله الواجب ؛ لأن أي إنسان يعتقد أن صفات الله (تعالى) مماثلة لصفات مخلوقة فهو معطل الله كماله الواجب. [3]

وأما تمثيل الممثل فظاهر، وأما تعطيله فمن ثلاثة أوجه:

الأول: أنه عطل نفس النص الذي أُثبتت به الصفة، حيث جعله دالاً على التمثيل، مع أنه لا دلالة فيه عليه، وإنما يدل على صفة تليق بالله عز وجل. [4]

---

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 22/4

[2] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 220

[3] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 219

[4] عطلت النص عن مدلوله... عطلته عن معناه الحقيقي / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 220

الثاني: أنه عطل كل نص يدل على نفي مماثلة الله لخلقه. [1]

الثالث: أنه عطل الله تعالى عن كماله الواجب، حيث مثله بالمخلوق الناقص. [2]

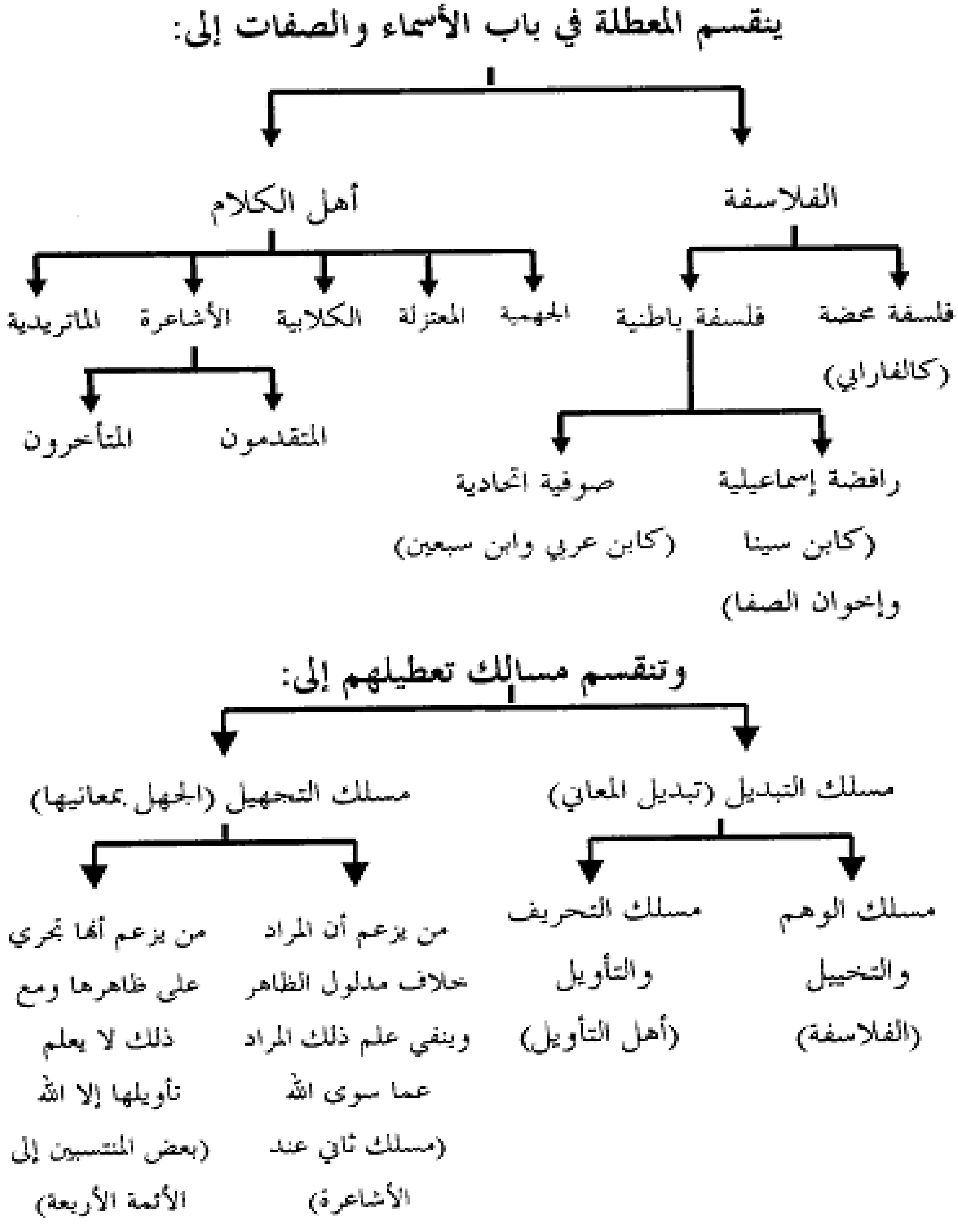
والمعطل يكفر الممثل والممثل يكفر المعطل [3]

[1] قد عطل هذه الآية (ليس كمثله شيء) / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 221

[2] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 220

[3] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 219

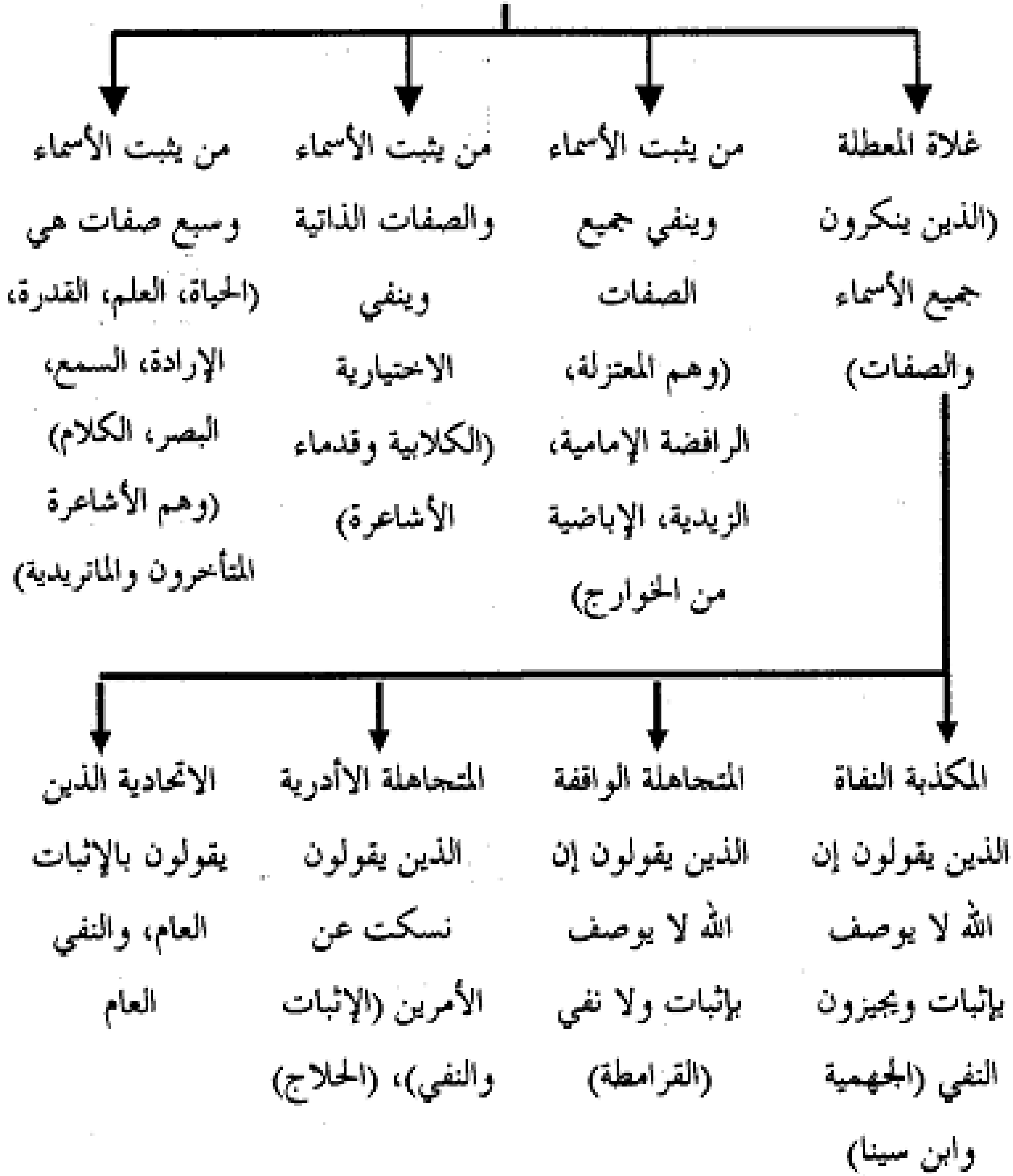
- تقسيم آخر لأقسام المعطلة ومسالكهم وتفاوت درجات تعطيلهم :



[1]

[1] مقدمة تحقيق الشيخ محمد بن خليفة التميمي كتاب العرش للإمام الذهبي 39

وتنقسم درجات تعطيلهم إلى:



[1]

---

[1] مقدمة تحقيق الشيخ محمد بن خليفة التميمي كتاب العرش للإمام الذهبي 40

المطلب التاسع : شبه في نصوص من الكتاب والسنة في الصفات والرد عليها :

- الجواب يكون بجوابين مجمل ومفصل :

بعض أهل التأويل أوردوا على أهل السنة شبها في نصوص من الكتاب والسنة في الصفات :

اعلم أن بعض أهل التأويل أورد على أهل السنة شبهة في نصوص من الكتاب والسنة في الصفات، ادعى أن أهل السنة صرفوها عن ظاهرها، ليلزم أهل السنة بالموافقة على التأويل، أو المداهنة فيه. وقال: كيف تنكرون علينا تأويل ما أولناه مع ارتكابكم لمثله فيما أولتموه؟.

ونحن نجيب بعون الله تعالى عن هذه الشبهة بجوابين: مجمل ومفصل.

أما المجمل فيتلخص في شيئين:

أحدهما: أن لا نسلم أن تفسير السلف لها صرف عن ظاهرها، فإن ظاهر الكلام ما يتبادر منه من المعني، وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فإن الكلمات يختلف معناها بحسب تركيب الكلام، والكلام مركب من كلمات وجمل، يظهر معناها ويتعين بضم بعضها إلى بعض. [1]

ثانيهما: أننا لو سلمنا أن تفسيرهم صرف عن ظاهرها، فإن لهم في ذلك دليلاً من الكتاب والسنة، إما متصلاً وإما منفصلاً [2] وليس لمجرد شبهات يزعمها الصارف براهين وقطعيات يتوصل بها إلى نفي ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] ظاهر الكلام مايدل عليه لفظه وسياقه ... كلمة القرية في الموضعين يختلف معناها ففي الأية الأولى (واسأل القرية) كلمة القرية يراد بها أهل القرية...أما الآية الثانية (إنا مهلكوا أهل هذه القرية) فالمراد بالقرية المباني والأرض فصارت القرية وهي كلمة واحدة لها معنى في سياق ولها معنى آخر في سياق آخر / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 226

[2] إما متصلاً يعني يكون في نفس الكلام ما يدل على وجوب صرفه عن ظاهره ، وإما منفصلاً يعني: بدليل آخر. / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 228

وأما المفصل: فعلى كل نص ادعى أن السلف صرفوه عن ظاهره. [1]

المثال الأول: الحجر الأسود يمين الله في الأرض.

خلاصة الحديث عن هذا الحديث أو هذا الأثر من وجهين

الوجه الأول أنه لم يثبت وحينئذ لاحاجة للكلام عن معناه

الوجه الثاني أننا إذا صححناه عن ابن عباس ...لايراد به قطعا أن الحجر يمين الله ...لانه ...قيدها بقوله في الأرض ويمين الله لاتكون في الأرض وهناك فرق بين اللفظ الطلق واللفظ المقيد[2]

المثال الثاني: "قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن".

والجواب: أن هذا الحديث صحيح، رواه مسلم في الباب الثاني من كتاب القدر، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء"، ثم قال رسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ".

وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهر الحديث، وقالوا: إن لله تعالى أصابع حقيقة، نثبتها له كما أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم. ولا يلزم من كون قلوب بني آدم بين إصبعين منها أن تكون مماسة لها، حتى يقال: إن الحديث موهم للحلول فيجب صرفه عن ظاهره. فهذا السحاب مسخر بين السماء والأرض وهو لا يمس السماء ولا الأرض.

ويقال: بدر بين مكة والمدينة، مع تباعد ما بينها وبينهما.

---

[1] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 225

[2] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 237

فقلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن حقيقة، ولا يلزم من ذلك مماسة ولا حلول.[1]

المثال الثالث: قوله: تعالى {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} .

والجواب: أن لأهل السنة في تفسيرها قولين:

أحدهما: أنها بمعنى ارتفع إلى السماء. وهو الذي رجحه ابن جرير قال في تفسيره بعد أن ذكر الخلاف: (وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ} : علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سماوات) اه.[2]

وذكره البغوي في تفسيره قول ابن عباس وأكثر مفسري السلف، وذلك تمسكا بظاهر لفظ {اسْتَوَى} ، وتفويضا لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله عز وجل.

القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام. وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبغوي في تفسير سورة فصلت، قال ابن كثير: (أي: قصد إلى السماء، والاستواء هاهنا ضُمِّنَ معنى القصد والإقبال، لأنه عدي بإلى) . وقال البغوى: (أي: عمد إلى خلق السماء) .

وهذا القول ليس صرفا للكلام عن ظاهره، لأن الفعل {اسْتَوَى} اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء، فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به ألا ترى إلى قوله تعالى:{عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} حيث كان معناها يَروَى بها عباد الله، لأن الفعل {يَشْرَبُ} اقترن بالباء فانتقل إلى

---

[1] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 238

[2] وهذا فيه شيء من النظر... لأن الاستواء خاص بالعرش فهو علو خاص غير العلو المطلق / شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 253

معنى يناسبها وهو يروى، فالفعل يُضَمَّن معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام.

[1]

[1] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 251

المطلب العاشر : بيان لبعض صفات الله تعالى :

1/ الرحمة نوعان :

- رحمة هي صفة الله؛ فهذه غير مخلوقة وغير بائنة من الله عز وجل، مثل قوله تعالى: {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ} [الكهف: 58] ، ولا يطلب نزولها.

- ورحمة مخلوقة، لكنها أثر من آثار رحمة الله؛ فأطلق عليها الرحمة؛ مثل قوله تعالى في الحديث القدسي عن الجنة: ﴿أنت رحمتي أرحم بك من أشاء﴾ . [1]

2/ معرفة الله :

معرفة الله سبحانه وتعالى نوعان: ... معرفة وجود ومعاني ومعرفة كنه وحقيقة.

أما معرفة الوجود والمعاني فهذا هو المطلوب منا، وأما معرفة الكنه والحقيقة فهذا غير مطلوب منا، فلا أحد يعرف حقيقة ذات الله سبحانه وتعالى ولا حقيقة صفاته، والوصول إلى ذلك مستحيل فمستحيل أن تعرف الله عز وجل في حقيقة ذاته ... والمطلوب إذا معرفة الذات بالوجود ومعرفة الصفات بالمعاني، أما معرفة الكنه والحقيقة فهذا مما لا يعلمه إلا الله عز وجل ... [2]

3/ الطريق إلى معرفة الله عز وجل :

... بالفطرة قبل كل شيء، فالإنسان مفطور على معرفة ربه وأن له خالقا، وإن كان لا يهتدي إلى معرفة صفات الخالق عل التفصيل، لكن يعرف أن له خالقا كاملا من كل وجه.

ومن الطرق التي توصل إلى معرفة الله عز وجل الأمور العقلية، فإن العقل يهتدي إلى معرفة الله إذا كان القلب سليما من الشبهات، فينظر إلى ما في الناس من نعمة فيستدل به على وجود

---

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 8/420

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 147

المنعم، وعلى رحمة المنعم، لأنه لولا وجود المنعم ما وجدت النعم، ولولا رحمته ما وجدت النعم...

ومن الطرق التي يستدل به الإنسان على معرفة الله الواقع، فأخذ الله سبحانه وتعالى للكافرين بالنكبات والهزائم تدل على أن الله شديد العقاب وانه من المجرمين منتقم، ونصر الله لأوليائه يدل على انه عز وجل ينصر من شاء من العباد، وانه قادر على ذلك ولو كثر خصومهم.

ثم إن المراد بالمعرفة ما يترتب عليها من التصديق والقبول للأوامر والإذعان لها، وأما مجرد المعرفة بدون أن يركن الإنسان إليها ويقول بمقتضاها فإنها لا فائدة منها؛ لأنه حتى الكفار يعرفون الله. [1]

للمعرفة بابان واسعان :

1/ باب التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها والفهم الخاص عن الله ورسوله

2/ والباب الثاني التفكر في آياته المشهودة وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه

وجماع ذلك : الفقه في معاني أسمائه الحسنى وجلالها وكمالها وتفرده بذلك وتعلقها بالخلق والأمر فيكون فقيها في أوامره ونواهيه فقيها في قضائه وقدره فقيها في أسمائه وصفاته فقيها في الحكم الديني الشرعي والحكم الكوني القدري وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم [2]

4/ نسبة الشر إلى الله :

الشر ليس في فعل الله، بل في مفعولاته، أي: مخلوقاته. [3]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 150

[2] الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية 170

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/253

فالشر هنا باعتبار المقدور والمفعول، أما باعتبار الفعل، فلا، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: "والشر ليس إليك"... فالحاصل أننا نقول :

أولاً: الشر الذي وصف به القدر هو شر بالنسبة لمقدور الله، أما تقدير الله، فكله خير والدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم "والشر ليس إليك" .

ثانياً: أن الشر الذي في المقدور ليس شراً محضاً بل هذا الشرّ قد ينتج عنه أمور هي خير، فتكون الشرية بالنسبة إليه أمراً إضافياً ... [1]

- مخلوقات الله تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

1. شر محض، كالنار وإبليس باعتبار ذاتيهما، أما باعتبار الحكمة التي خلقهما الله من أجلها، فهي خير

2. خير محض كالجنة، والرسل، والملائكة.

3. فيه شر وخير، كالإنس، والجن، والحيوان.

وأنت إنما تستعيذ من شر ما فيه شر.[2]

5/ قضاء الله :

قضاء الله- عز وجل- ينقسم إلى قسمين:

1- قضاء شرعي.

2- قضاء كوني ...

مثال ذلك: هذه الآية: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ} فتكون قضى بمعنى: شرع، أو بمعنى: وصى، وما أشبهها.

والقضاء الكوني: لا بد من وقوعه، ويكون فيما أحبه الله، وفيما لا يحبه.

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 70

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/253

مثال ذلك: قوله تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً} [الإسراء:4] فالقضاء هنا كوني، لأن الله لا يشرع الفساد في الأرض، ولا يحبه ...

6/ المحبوب قسمان :

إذا قيل: ثبت أن الله قضى كونا ما لا يحبه، فكيف يقضي الله ما لا يحبه؟

فالجواب: أن المحبوب قسمان :

1- محبوب لذاته.

2- محبوب لغيره.

فالمحبوب لغيره قد يكون مكروها لذاته، ولكن يحب لما فيه من الحكمة والمصلحة، فيكون حينئذ محبوبا من وجه، مكروها من وجه آخر. مثال ذلك: الفساد في الأرض من بني إسرائيل في حد ذاته مكروه إلى الله؛ لأن الله لا يحب الفساد، ولا المفسدين، ولكن للحكمة التي يتضمنها يكون بها محبوبا إلى الله- عز وجل- من وجه آخر. ومن ذلك: القحط، والجدب، والمرض، والفقر، لأن الله رحيم لا يحب أن يؤذي عباده بشيء من ذلك، بل يريد بعباده اليسر، لكن يقدره للحكم المترتبة عليه، فيكون محبوبا إلى الله من وجه، مكروها من وجه آخر...

فإن قيل: كيف يتصور أن يكون الشيء محبوبا من وجه مكروها من وجه آخر؟

فيقال: هذا الإنسان المريض يعطى جرعة من الدواء مرة كريهة الرائحة واللون، فيشربها، وهو يكرهها لما فيها من المرارة واللون والرائحة، ويحبها لما فيها من الشفاء ...

7/ هداية الله :

في " الصحيح " عن ابن المسيب، عن أبيه؛ قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: " يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله " فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا

الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم " لأستغفرن لك ما لم أنه عنك " فأنزل الله عزوجل: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى} وأنزل الله في أبي طالب: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}

وقال تعالى {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }

قوله تعالى: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ... وله المنزلة الرفيعة عند الله لا تستطيع أن تهدي من أحببت هدايته ...

والهداية التي نفاها الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم هداية التوفيق، والتي أثبتها له هداية الدلالة والإرشاد ... وهذا هو الجمع بين الآيتين. [1]

- التقدير من أحببت هدايته لا من أحببته هو أو يقال: إنه أحب عمه محبة طبيعية كمحبة الابن أباه ولو كان كافرا أو يقال: إن ذلك قبل النهي عن محبة المشركين والأول أقرب ... [2]

- أنواع الهداية :

هداية الله لخلقه –كما قرَّره العلماء– ثلاثة أقسام :

القسم الأوّل: هداية المخلوقات العامة إلى ما ينفعها في معايشها. فالله عز وجل خلق الخلق، وهدى كلَّ مخلوق إلى ما يُصلحه في معيشته مما يأكل ويَترك ... وغير ذلك؛ قال الله عز وجل: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) ...

القسم الثاني: الهداية إلى الدِّين في الدنيا. وهي على نوعين:

النوع الأوّل: هداية التوفيق والإذعان. أن يهدي الله قلب الرجل أو الأنثى للحق، وأن يُذعِن له، هذه الهداية لا يملكها أحدٌ من المخلوقات مهما كان شريف المقام...

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 348/1

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 349/1

النوع الثاني: هداية البيان. وهذه تكون من المخلوقين بإذن الله عز وجل.. وهذه الهداية فضل من الله أيضًا ...

القسم الثالث من هداية الله لخَلْقه: هداية الذين آمنوا إلى الجنة وإلى منازلهم فيها [1]

8/ معية الله :

قال تعالى : {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: 4] .

- أقسام المعية :

معية الله عز وجل تنقسم إلى قسمين: عامة، وخاصة.

والخاصة تنقسم إلى قسمين: مقيدة بشخص، ومقيدة بوصف.

أما العامة؛ فهي التي تشمل كل أحد من مؤمن وكافر وبر وفاجر. ودليلها قوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد: 4] .

أما الخاصة المقيدة بوصف؛ فمثل قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: 128] .

وأما الخاصة المقيدة بشخص معين؛ فمثل قوله تعالى عن نبيه: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة 40] ، وقال لموسى وهارون: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: 46] .

وهذه أخص من المقيدة بوصف.

فالمعية درجات: عامة مطلقة، وخاصة مقيدة بوصف، وخاصة مقيدة بشخص.

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

فأخص أنواع المعية ما قيد بشخص، ثم ما قيد بوصف، ثم ما كان عاماً.

فالمعية العامة تستلزم الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته، والمعية الخاصة بنوعيها تستلزم مع ذلك النصر والتأييد.

- هل المعية حقيقية أو هي كناية عن علم الله عز وجل وسمعه وبصره وقدرته وسلطانه وغير ذلك من معاني ربوبيته؟

أكثر عبارات السلف رحمهم الله يقولون: إنها كناية عن العلم وعن السمع والبصر والقدرة وما أشبه ذلك، فيجعلون معنى قوله: {وَهُوَ مَعَكُمْ} أي: وهو عالم بكم سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم، قادر عليكم حاكم بينكم.... وهكذا، فيفسرونها بلازمها.

واختار شيخ الإسلام رحمه الله في هذا الكتاب وغيره أنها على حقيقتها، وأن كونه معنا حق على حقيقته، لكن ليست معيته كمعية الإنسان للإنسان التي يمكن أن يكون الإنسان مع الإنسان في مكانه؛ لأن معية الله عز وجل ثابتة له وهو في علوه؛ فهو معنا وهو عال على عرشه فوق كل شيء، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون معنا في الأمكنة التي نحن فيها...

وضرب شيخ الإسلام رحمه الله لذلك مثلاً بالقمر، قال: إنه يقال: مازلنا نسير والقمر معنا، وهو موضوع في السماء، وهو من أصغر المخلوقات، فكيف لا يكون الخالق عز وجل مع الخلق، الذي الخلق بالنسبة إليه ليسوا بشيء، وهو فوق سماواته؟! ...

- هل المعية من الصفات الذاتية أو منا لصفات الفعلية؟

فيه تفصيل:

- أما المعية العامة، فهي ذاتية، لأن الله لم يزل ولا يزال محيطاً بالخلق علماً وقدرة وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته.

- وأما المعية الخاصة، فهي صفة فعلية، لأنها تابعة لمشيئة الله، وكل صفة مقرونة بسبب هي من الصفات الفعلية ...

- هل المعية حقيقة أو لا؟

ذكرنا ذلك، وأن من السلف من فسرها باللازم، وهو الذي لا يكاد يرى الإنسان سواه. ومنهم من قال: هي على حقيقتها، لكنها معية تليق بالله، خاصة به...

- هل بين المعية وبين العلو تناقض؟

الجواب: لا تناقض بينهما، لوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أن الله جمع بينهما فيما وصف به نفسه، ولو كانا يتناقضان ما صح أن يصف الله بهما نفسه.

الوجه الثاني: أن نقول: ليس بين العلو والمعية تعارض، أصلاً، إذ من الممكن أن يكون الشيء عالياً وهو معك، ومنه ما يقوله العرب: القمر معنا ونحن نسير ... فإذا أمكن اجتماع العلو والمعية في المخلوق، فاجتماعهما في الخالق من باب أولى...

الوجه الثالث: أنه لو تعذر اجتماعهما في حق المخلوق، لم يكن متعذراً في حق الخالق، لأن الله أعظم وأجل ، ولا يمكن أن تقاس صفات الخالق بصفات المخلوقين، لظهور التباين بين الخالق والمخلوق.

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول في سفره: "اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل" 1، فجمع بين كونه صاحباً له وخليفة له في أهله، مع أنه بالنسبة للمخلوق غير ممكن، لا يمكن أن يكون شخص ما صاحباً لك في السفر وخليفة لك في أهلك.

وثبت في الحديث الصحيح : أن الله عز وجل يقول إذا قال المصلى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} : "حمدني عبدي". كم من مصل يقول: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ؟ لا يحصون...

وإلا، فالواجب أن يقول العبد: آمنت بالله ورسوله، وصدقت بما قال الله عن نفسه ورسوله، ولا يقول: كيف يمكن؟! منكراً ذلك! إذا قال: كيف يمكن؟! قلنا: سؤالك هذا بدعة ...

- هذه المعية، إذا آمنا بها، توجب لنا خشية الله عز وجل وتقواه، ولهذا جاء في الحديث: "أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت"

أما أهل الحلول، فقالوا: إن الله معنا بذاته في أمكنتنا ... في الحمامات الله معهم في الحمامات!!

ما نزهوه عن الأقذار والأنتان وأماكن اللهو والرفث!!

- في شبهة القائلين بأن الله معنا في أكنتنا ... والرد عليهم من وجوه:

أولاً: أن ظاهرها ليس كما ذكرتم؛ إذ لو كان الظاهر كما ذكرتم؛ لكان في الآية تناقض: أن يكون مستوياً على العرش، وهو مع كل إنسان في أي مكان! والتناقض في كلام الله تعالى مستحيل.

ثانياً: قولكم: "إن المعية لا تعقل إلا مع المخالطة أو المصاحبة في المكان! هذا ممنوع؛ فالمعية في اللغة العربية أسم لمطلق المصاحبة، وهي أوسع مدلولاً مما زعمتم؛ فقد تقتضي الإختلاط، وقد تقتضي المصاحبة في المكان، وقد تقتضي مطلق المصاحبة وإن اختلف المكان؛ هذه ثلاثة أشياء:

1- مثال المعية التي تقتضي المخالطة: أن يقال: اسقوني لبناً مع ماء؛ أي: مخلوطاً بماء.

2- ومثال المعية التي تقتضي المصاحبة في المكان: قولك: وجدت فلاناً مع فلان يمشيان جميعاً وينزلان جميعاً.

3- ومثال المعية التي تقتضي الإختلاط ولا المشاركة في المكان: أن يقال: فلان مع جنوده. وإن كان في غرفة القيادة، لكن يوجههم. فهذا ليس فيه اختلاط ولا مشاركة في مكان... ثم هي بحسب ما تضاف إليه ... ثالثاً: نقول: وصفكم الله بهذا! من أبطل الباطل وأشد التنقص لله عز وجل ...

رابعاً: يلزم على قولكم هذا أحد أمرين لا ثالث لهما، وكلاهما ممتنع: إما أن يكون الله متجزئاً، كل جزء منه في مكان ... وإما أن يكون متعدداً؛ يعني: كل إله في جهة ضرورة تعدد الأمكنة.

خامساً: أن نقول: قولكم هذا أيضاً يستلزم أن يكون الله حالاً في الخلق ... ومقتضى هذا القول الكفر.

ولهذا نرى أن من قال: إن الله معنا في الأرض؛ فهو كافر؛ يستتاب، ويبين له الحق، فإن رجع، وإلا؛ وجب قتله [1]

- المعية لا تستلزم الحلول في المكان، ألا ترى إلى قول العرب: القمر معنا، ومحله في السماء؟ [2]

- إذا قلت: إن الله معك في كل مكان، فهذا يلزم عليه لوازم باطلة، فيلزم عليه:

أولاً: إما التعدد أو التجزؤ، وهذا لازم باطل بلا شك، وبطلان اللازم يدل على بطلان اللزوم.

ثانياً: نقول: إذا قلت: إنه معك في الأمكنه، لزم أن يزداد بزيادة الناس، وينقص بنقص الناس.

ثالثاً: يلزم على ذلك ألا تنزهه عن المواضع القذرة، فإذا قلت: إن الله معك وأنت في الخلاء فيكون هذا أعظم قدح في الله عز وجل [3]

- انقسم الناس في معية الله تعالى لخلقه ثلاثة أقسام :

القسم الأول: يقولون: إن معية الله تعالى لخلقه مقتضاها العلم والإحاطة في المعية العامة، ومع النصر والتأييد في المعية الخاصة، مع ثبوت علوه بذاته، واستوائه على عرشه.

وهؤلاء هم السلف. ومذهبهم هو الحق، كما سبق تقريره.

القسم الثاني: يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض، مع نفي علوه واستوائه على عرشه.

وهؤلاء هم الحلولية من قدماء الجهمية وغيرهم. ومذهبهم باطل منكر، أجمع السلف على بطلانه وإنكاره، كما سبق.

القسم الثالث: يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض، مع ثبوت علوه فوق عرشه. ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيميه (ص 229، ج 5) من "مجموع الفتاوى".

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 401

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 176

[3] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 176

وقد زعم هؤلاء أنهم أخذوا بظاهر النصوص في المعية والعلو. وكذبوا في ذلك فضلوا، فإن نصوص المعية لا تقضي ما ادعوه من الحلول، لأنه باطل، ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم باطلاً. [1]

9/ إحاطة الله :

قوله سبحانه وتعالى: {هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: 3]

هذه أربعة أسماء كلها متقابلة في الزمان والمكان، تفيد إحاطة الله سبحانه وتعالى بكل شيء أولاً وآخراً وكذلك في المكان ففيه الإحاطة الزمانية والإحاطة المكانية.

{هُوَ الأَوَّلُ} : ... هنا فسر الإثبات بالنفي فجعل هذه الصفة الثبوتية صفة سلبية ... فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، لتوكيد الأولية، يعني أنها مطلقة، أولية ليست أولية إضافية، فيقال: هذا أول باعتبار ما بعده وفيه شيء آخر قبله، فصار تفسيرها بأمر سلبي أدل على العموم باعتبار التقدم الزمني...

معنى {وَالآخِرُ} أنه محيط بكل شيء، فلا نهاية لآخريته.

{وَالظَّاهِرُ} : من الظهور وهو العلو، كما قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} [التوبة: 33] ، أي: ليعليه ... فهو عال على كل شيء.

{وَالْبَاطِنُ} : فسره النبي عليه الصلاة والسلام قال: "الذي ليس دونه شيء" وهذا كناية عن إحاطته بكل شيء، ولكن المعنى أنه مع علوه عز وجل، فهو باطن، فعلوه لا ينافي قربه عز وجل، فالباطن قريب من معنى القريب ...

واستفدنا من مجموع الأسماء: إحاطة الله تعالى بكل شيء زمناً ومكاناً، لأنه قد يحصل من اجتماع الأوصاف زيادة صفة [2]

---

[1] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 278

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثييمن 181

الله لم يسبقه عدمٌ ، ولا يلحقه عدم ، وأمَّا المخلوقات فلها بداية سبقها عدم ، ولها نهاية يلحقها عدم .

وأمَّا ما جاء في نصوص الكتاب والسُّنَّة من بقاء الجنَّة والنار ودوامهما ودوام أهلهما فيهما، فلا يُنافي كونه سبحانه الآخرَ الذي ليس بعده شيء؛ لأنَّ بقاءَه لازمٌ لذاته ، بخلاف الجنَّة والنار ومَن فيهما، فإنَّه مكتَسَبٌ قد شاءه الله وأراده، ولو لم يشأه لم يحصل ولم يقع، قال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية (ص: 629) : "وبقاءُ الجنَّة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما" .

وقول ابن أبي زيد: "ليس لأوَّلِيَّتِهِ ابتداءٌ، ولا لآخِرِيَّتِه انقضَاءٌ" أولَى من قول الطحاوي في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: "قديمٌ بلا ابتداء، لاؤءء دائمٌ بلا انتهاء"؛ لتعبيره بما يُطابق اسْمَي الله: الأول والآخر [1]

قوله: "وهي الَّتِي أَهْبَطَ منها آدَمَ نبِيَّه وخلِيفَتَه إلى أَرضِه، بِما سَبَقَ فِي سابِق عِلمِه"، هذا أحدُ أقوال ثلاثة في المراد بالجنَّة التي أُهبط منها آدم إلى الأرض، وهو أظهرُها.

والقول الثاني: أنَّها جنَّة في مكان عالٍ من الأرض.

والقول الثالث: التوقُّف.

وقد ذكر ابن القيم الخلافَ ... وفي قصيدته الميمية ما يدلُّ على ترجيحه القولَ الأول [2]

10/ علم الله :

يعلم ما يقع وما سيقع ويشمل الواجب والممكن والمستحيل، فعلم الله تعالى واسع شامل محيط لا يستثنى منه شيء، فأما علمه بالواجب، فكعلمه بنفسه وبما له من الصفات الكاملة، وأما علمه بالمستحيل، فمثل قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: 22] ...

[1] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 65

[2] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 129

وأما علمه بالممكن، فكل ما أخبر الله به عن المخلوقات، فهو من الممكن: {يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} [النحل: 19] ...

والثمرة التي ينتجها الإيمان بأن الله بكل شيء عليم: كمال مراقبة الله عز وجل وخشيته، بحيث لا يفقده حيث أمره، ولا يراه حيث نهاه. [1]

علم الله عز وجل غير مسبوق بجهل ولا ملحوق بنسيان؛ كما قال موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون: (قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى) (طه:52) [2]

11/ حكم الله :

حكم الله إما كوني وإما شرعي:

فحكم الله الشرعي ما جاءت به رسله ونزلت به كتبه من شرائع الدين.

وحكم الله الكوني: ما قضاه على عباده من الخلق والرزق والحياة والموت ونحو ذلك من معاني ربوبيته ومتقتضياتها.

دليل الحكم الشرعي: قوله تعالى في سورة الممتحنة: {ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ} [الممتحنة: 10].

ودليل الحكم الكوني: قوله تعالى عن أحد أخوة يوسف: {فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [يوسف: 80] .

وأما قوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} ، فشامل للكوني والشرعي، فالله عز وجل حكيم بالحكم الكوني وبالحكم الشرعي، وهو أيضاً محكم لهما، فكل من الحكمين موافق للحكمة.

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 184

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/195

لكن من الحكمة ما نعلمه، ومن الحكمة مالا نعلمه، لأن الله تعالى يقول: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلاً} [1]

12/ صفة الحكمة :

- الحكمة نوعان :

الأول: حكمة في كون الشيء على كيفيته وحاله التي هو عليها، كحال الصلاة، فهي عبادة كبيرة تسبق بطهارة من الحدث والخبث وتؤدى على هيئة معينة من قيام وقعود وركوع وسجود ...

النوع الثاني: حكمة في الغاية من الحكم ، حيث إن جميع أحكام الله تعالى لها غايات حميدة وثمرات جليلة.

فانظر إلى حكمة الله في حكمه الكوني، حيث يصيب الناس المصائب العظيمة لغايات حميدة، كقوله تعالى {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: 41] [2]

- الحكمة قد تكون معلومة، وقد تكون غير معلومة :

الحكمة قد تكون معلومة، وقد تكون غير معلومة لكن كونها غير معلومة لا يعني إنها معدومة، بل إنها موجودة لكن لقصورنا أو تقصيرنا لم نصل إليها.

والأحكام الشرعية إذا لم يعلم العلماء حكمتها سموها بالأحكام التعبدية، ولهذا لو قال قائل: ما الحكمة في أن تكون صلاة الظهر أربعا دون ثمان؟ ، قلنا: الحكمة تعبدية ليس للعقل فيها مجال.

... **وأيها أقوى في التعبد:** الامتثال لحكم التعبدي أو للحكم المعقول المعنى؟ الأول ابلغ في التذلل، فكونك تقبل الحكم وإن لم تعرف حكمته هذا أبلغ؛ لان كون الإنسان لا يقبل الحكم

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 188/1

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 189/1

ألا إذا علم حكمته فيه نوع من الشرك، وهو عبادة الهوى، وأنه إذا وافق الشيء هواه وأدرك حكمته قبله واطمأن إليه ورضي به، وإن لم يكن صار عنده فيه تردد.

والناظر إلى الناس اليوم يجد أن أكثرهم يطلبون العلة العقلية، حتى إن بعضهم إذا قلت له: قال الله ورسوله. يقول: وما الحكمة؟ فهلا علم هؤلاء أنهم مأمورون إن كانوا مؤمنين أن تكون الحكمة عندهم قول الله ورسوله، ولهذا لما سئلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: ((ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟)) فأجابت: ((كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة)) (1) ، إذا هذه هي الحكمة التي نجيب بها على هذا السؤال، وبهذه الحكمة لا يمكن لأحد أن يتكلم بعد ذلك إن كان مؤمنا.

لكن إذا ذهبنا نأتي بعلل معقولة، قد تكون مقصودة للشرع وقد لا تكون، أوردوا علينا وناقضونا؛ لان هؤلاء إنما يريدون الجدل، فكلما أتيت بعلة نقضوها، ولهذا نقول لكل من سال: ما الحكمة في هذا؟ نقول: الحكمة قول الله ورسوله إن كنت مؤمنا لان الله عز وجل يقول: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أمرهِمْ) (الأحزاب: الآية 36) وبهذا نسد عليه الباب، فإن أراد أو حاول أن يجادل فإيمانه ضعيف لا شك؛ لان فرض المؤمن أن يقول: سمعنا وأطعنا. [1]

- الإيمان بعلم الله وحكمته يستلزم الطمأنينة التامة لما حكم به من أحكام كونية وشرعية، لصدور ذلك عن علم وحكمة، فيزول عنه القلق النفسي وينشرح صدره [2]

- حِكمة الله تعالى ثلاثة أقسامٍ من حَيثُ الظهور والخفاء-:

١- تارةً تكون الحكمة واضحة لكل أحد.

٢- تارةً تكونُ خَفيةً عَلَى كُلِّ أَحدٍ.

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمن 48

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمن 190

٣– تارةً تكون واضحةً لأهل العِلْم الراسخين فيه ، خفيَّة عَلَى مَنْ دُونهم. [1]

– هَل أحد من النَّاس نفى الحكمة الله تَعَالَى ؟

الأَشْعَرِيَّة نَفَوا الحِكْمَةَ ، والمعتزِلَةُ أوجَبُوا الحِكْمَةَ [2]

– الأشاعِرةُ ؛ يَقُولون: لَيْس الله حِكْمَة ، إِنَّمَا يَفْعَل الشَّيْء لمجرَّد المشيئة ، ويشرع الشَّرعَ لمجرَّد المشيئة فَقَط!. فسَدُّوا عَلَى أَنفسهم وعَلَى غيرهم مَعرِفةَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ؛ لأَنَّ الْإِنْسَانِ كُلَّما عَرَف مِن حِكمة الله ما عرف ازداد إيمانا بالله عَزَّوَجَلَّ وأنَّه جَلَّ وَعَلاَ لَنْ يَفعل شيئًا إِلَّا لحكمة ، ولَنْ يَشرِعَ شيئًا إِلَّا حِكْمةٍ ، لَيْس عَبَثًا وَلَا لَعبًا ، بَل لَا بُدَّ مِن حِكْمة. وهُم يَقولُون: فعله وحكمه تعالى لمجرَّد المشيئة لَا لِحِكْمة بالغة. وَلَا شَكٍّ أَنَّ هَذا سوء ظن بالله تعالى ، وأنَّه يَتصرف تَصرُّفًا عَشوائيا ، ونَحْنُ نَقُول: بَل الله حكمة بالغة ، لكن أحيانًا نَعْلمها ، وأحيانًا تَقصُر عُقولُنَا عَنها ؛ لأَنَّنا قاصِرون. [3]

12/ إرادة الله :

– أقسام الإرادة:

الإرادة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: إرادة كونية: وهذه الإرادة مرادفة تماماً للمشيئة، فـ (أراد) فيها بمعنى (شاء) ، وهذه الإرادة:

أولاً: تتعلق فيما يحبه الله وفيما لا يحبه.

وعلى هذان فإذا قال قائل: هل أراد الله الكفر؟ فقل: بالإرادة الكونية نعم أراده، ولو لم يرده الله عز وجل، ما وقع.

---

[1] شرح عقيدة أهل السنة للعلامة ابن عثيمين 108

[2] شرح عقيدة أهل السنة للعلامة ابن عثيمين 108

[3] شرح عقيدة أهل السنة للعلامة ابن عثيمين 107

ثانياً: يلزم فيها وقوع المراد، يعني: أن ما أراده الله فلا بد أن يقع، ولا يمكن أن يتخلف.

القسم الثاني: إرادة شرعية: وهي مرادفة للمحبة، فـ (أراد) فيها بمعنى (أحب) ، فهي:

أولاً: تختص بما يحبه الله، فلا يريد الله الكفر بالإرادة الشرعية ولا الفسق.

ثانياً: أنه لا يلزم فيها وقوع المراد، بمعنى: أن الله يريد شيئاً ولا يقع، فهو سبحانه يريد من الخلق أن يعبدوه، ولا يلزم وقوع هذا المراد، قد يعبدونه وقد لا يعبدونه، بخلاف الإرادة الكونية. [1]

- الفرق بين الإرادة الكونية و الإرادة الشرعية من وجهين :

1- الإرادة الكونية يلزم فيها وقوع المراد، والشرعية لا يلزم.

2- الإرادة الشرعية تختص فيما يحبه الله، والكونية عامة فيما يحبه وما لا يحبه. [2]

- كيف يريد الله تعالى كوناً ما لا يحبه :

إذا قال قائل: كيف يريد الله تعالى كوناً ما لا يحبه ، بمعنى: كيف يريد الكفر أو الفسق أو العصيان وهو لا يحبه؟!

فالجواب: أن هذا محبوب إلى الله من وجه مكروه إليه من وجه آخر، فهو محبوب إليه لما يتضمنه من المصالح العظيمة، مكروه إليه لأنه معصية.

ولا مانع من أن يكون الشيء محبوباً مكروها باعتبارين، فها هو الرجل يقدم طفله الذي هو فلذة كبده وثمرة فؤاده، يقدمه إلى الطبيب ليشق جلده ويخرج المادة المؤذية فيه ولو أتى أحد من الناس يريد أن يشقه بظفره وليس بالمشرط، لقاتله [3]

- الكفر الواقع من بني آدم ... مراد كونا لا شرعا ... [1]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 222

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 223

[3] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 223

13/ صفة الأسف لله :

قال تعالى: {فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [الزخرف: 55]

- الأسف في اللغة له معنيان:

المعنى الأول: الأسف بمعنى الحزن، مثل قول الله تعالى عن يعقوب: {يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ} [يوسف: 84].

الثاني: الأسف بمعنى الغضب، فيقال: أسف عليه باسم، بمعنى: غضب عليه.

والمعنى الأول: ممتنع بالنسبة لله عز وجل. والثاني: مثبت لله، لأن الله تعالى وصف به نفسه، فقال: {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [2]

14/ وجه الله :

قال تعالى: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: 27].

{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: 88]

والوجه: معناه معلوم، لكن كيفيته مجهولة ... فلو كشف هذا الحجاب. حجاب النور عن وجهه. لاحترق كل شيء لهذا نقول: هذا الوجه وجه عظيم، لا يمكن أبداً أن يماثل أوجه المخلوقات [3]

فإن قلت: هل كل ما جاء من كلمة (الوجه) مضافاً إلى الله يراد به وجه الله الذي هو صفاته؟

فالجواب: هذا هو الأصلى ... هناك كلمة اختلف المفسرون فيها، وهي قوله: تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [البقرة: 115] ...

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 189

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 222

[3] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 283

فمنهم من قال: ... أي: فثم جهة الله، أي: فثم الجهة التي يقبل الله صلاتكم إليها... ولكن الصحيح أن المراد بالوجه هنا وجه الله الحقيقي، أي: إلى أي جهة تتوجهون، فثم وجه الله سبحانه وتعالى، لأن الله محيط بكل شيء، ولأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المصلي إذا قام يصلي، فإن الله قبل وجهه1، ولهذا نهى أن يبصق أما وجهه، لأن الله قبل وجهه [1]

15/ صفة اليد لله :

جاءت اليد مفردة ومثناة وجمعاً :

أما اليد التي جاءت بالإفراد، فإن المفرد المضاف يفيد العموم، فيشمل كل ما ثبت لله من يد، ودليل عموم المفرد المضاف قوله تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا} [إبراهيم: 34] ... أما المثنى والجمع، فنقول: إن الله ليس له إلا يدان اثنتان، كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة.

ففي الكتاب :

في صورة ص قال: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:57]، والمقام مقام تشريف، ولو كان الله خلقه بأكثر من يدين، لذكره، لأنه كلما ازدادت الصفة التي بها خلق الله هذا الشيء، ازداد تعظيم هذا الشيء.

وأيضاً: في سورة المائدة قال: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة: 64]، في الرد على من قالوا: {يَدُ اللَّهِ}، بالإفراد، والمقام مقام يقتضي كثرة النعم، وكلما كثرت وسيلة العطاء، كثر العطاء، فلو كان لله تعالى أكثر من اثنتين لذكرهما.

أما السنة فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: ... قال صلى الله عليه وسلم: "كلتا يديه يمين" ...

وأجمع السلف على أن لله يدين اثنتين فقط بدون زيادة.

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 288

فعندنا النص من القرآن والسنة والإجماع على أن لله تعالى يدين اثنتين، فيكف نجمع بين هذا وبين الجمع: {مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا} [يس: 71] ؟!

فنقول الجمع على أحد الوجهين: فإما أن نقول بما ذهب إليه بعض العلماء، من أن أقل الجمع اثنان ... احتجوا بقوله تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحريم: 4] ، وهما اثنتان، والقلوب جمع، والمراد به قلبان فقط، لقوله تعالى: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}[الأحزاب: 4] ، ولا لامرأة كذلك ... واحتجوا أيضاً بأن جماعة الصلاة تحصل باثنين.

ولكن جمهور أهل اللغة يقولون: إن أقل الجمع ثلاثة، وإن خروج الجمع إلى الاثنين في هذه النصوص لسبب، وإلا فإن أقل الجمع في الأصل ثلاثة.

وإما أن نقول: إن المراد بهذا الجمع التعظيم ...

ثم إن المراد باليد هنا نفس الذات التي لها يد، وقد قال الله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} [الروم: 41] ، أي: بما كسبوا، سواء كان من كسب اليد أو الرجل أو اللسان أو غيرها من أجزاء البدن، لكن يعبر بمثل هذا التعبير عن الفاعل نفسه.

ولهذا نقول: إن الأنعام التي هي الإبل لم يخلقها الله تعالى بيده، وفرق بين قوله: {مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا} ، وبين قوله: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} ، فـ: {مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا} ، كأنه قال: مما عملنا، لأن المراد باليد ذات الله التي لها يد، والمراد بـ {بِيَدَيَّ} : اليدان دون الذات.

وبهذا يزول الإشكال في صفة اليد التي وردت بالإفراد والتثنية والجمع.

وأما بين التثنية والجمع، فمن وجهين:

أحدهما: أنه لا يراد بالجمع حقيقة معناه. وهو الثلاثة فأكثر. بل المراد به التعظيم كما قال الله تعالى: {إِنَّا} و {نَحْنُ} و {وقُلْنَا} .... وما أشبه ذلك، وهو واحد، لكن يقول هذا للتعظيم.

أو يقال: إن أقل الجمع اثنان، فلا يحصل هنا تعارض.

وأما قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} [الذاريات: 47]، فالأيد هنا بمعنى القوة، فهي مصدر آد يئيد، بمعنى: قيد، وليس المراد بالأيد صفة الله، ولهذا ما أضافها الله إلى نفسه، ما قال: بأيدينا! بل قال: {بِأَيْدٍ}، أي: بقوة.

ونظير ذلك قوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} [القلم: 42]، فإن لعلماء السلف في قوله: {عَنْ سَاقٍ}: قولين:

القول الأول: أن المراد به الشدة.

والقول الثاني: أن المراد به ساق الله عز وجل.

فمن نظر إلى سياق الآية مع حديث أبي سعيد قال: إن المراد بالساق هنا ساق الله. ومن نظر إلى الآية بمفردها، قال: المراد بالساق الشدة [1]

– تفسير اليد بالقوة أو النعمة ... مخالف لإجماع السلف ... فلو كان عندهم معنى يخالف لظاهر اللفظ لكانوا يقولون به ولنقل عنهم ... وهذه فائدة عظيمة وهي أنه إذا لم ينقل عن الصحابة ما يخالف ظاهر الكتاب والسنة، فإنهم لا يقولون بسواه، لأنهم الذين نزل القرآن بلغتهم، وخاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم بلغتهم، فلا بد أن يفهموا الكتاب والسنة على ظاهرهما، فإذا لم ينقل عنهم ما يخالفه، كان ذلك قولهم [2]

– يمتنع غاية الامتناع أن يراد باليد النعم أو القوة في مثل قوله: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: 75]، لأنه يستلزم أن تكون النعمة نعمتين فقط، ونعم الله لا تحصى!! ويستلزم أن القوة قوتان، والقوة بمعنى واحد لا يتعدد [3]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 299

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 306

[3] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 307

جاءت اليد بصيغة التثنية، وإذا فسرنا اليد بالقدرة كانت قدرة الله قدرتين وهذا ليس بصحيح ... وكذلك نقول لمن فسرها بالنعمة: لا يمكن أن تحصر النعمة بنعمتين [1]

- هذه اليد التي أثبتها الله جاءت على وجوه متنوعة يمتنع أن يراد بها النعمة أو القوة، فجاء فيها الأصابع والقبض والبسط والكف واليمين، وكل هذا يمتنع أن يراد بها القوة، لأن القوة لا توصف بهذه الأوصاف. [2]

وابن القيم رحمه الله في كتابه الصواعق أبطل هذا التأويل وغير من التأويلات بوجوه كثيرة جدا ونافعة وذكر فيما يتعلق باليد المضافة إلى الله أنها وصفت في القرءان والسنة بما يقارب المائة صفة كلها تدل على أنها يد حقيقة تليق بالله مثل وصفها باليمين ... والطي والسماوات مطويات بيمينه والقبض والأخذ والعطاء والبسط والأصابع ... كلها هذه الصفات تؤكد أنها يد حقيقية تليق بالله فماذا يصنع هؤلاء المحرفة [3]

16/ عين الله :

قال تعالى : {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور: 48]

العين من الصفات الذاتية الخبرية [4]

- هل هي عينٌ حقيقيةٌ أو هي كنايةٌ عن الرؤية؟

والجواب: أنها عينٌ حقيقيةٌ، ودليل ذلك أن الله أثبتها لنفسه في غير موضع، وأثبت الرؤية في غير موضع، وإثبات هذا تارة وهذا تارةً يدل على التغاير بينهما، فالرؤية شيءٌ والعين شيءٌ آخر،

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 266

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 307

[3] مقطع في اليوتوب للشيخ عبد الرزاق البدر
https://www.youtube.com/watch?v=wLn6erpAWgw

[4] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 312

فقوله تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) (التوبة: الآية 105) ، وقوله: (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) (العلق: 14) فهاتان في الرؤية.

ولكن: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) (القمر: الآية 14) (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه: الآية 39) فهاتان الآيتان ليستا في الرؤية، بل أثبتتا عيناً مخالفةً للرؤية، ولهذا نقول: إن العين صفةٌ حقيقيةٌ، نظير مسماها بالنسبة لنا أبعاض وأجزاء، لكننا لا نقول: إن العين بعض من الله أو جزء منه؛ لأن ذلك ممتنع على الله حسب فهم البعض والجزء؛ فإن البعض والجزء هو ما جاز أن ينفصل عن الكل، وهذا بالنسبة لصفات الله تعالى ممتنع.

- هل عين الله تعالى تماثل أعين الخلق؟

الجواب: لا، أبداً ولا نقول بهذا، بل نقول: هذا ممتنع لأن الله يقول:(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)(الشورى: الآية 11) ...

- هل هي واحدةٌ أو متعددة؟ وإذا قلنا متعددة فهل هي ثنتان أو أكثر؟

الجواب: أنها ليست واحدة، بل أكثر من واحدة، وهي قد جاءت بلفظ الإفراد، وجاءت بلفظ الجمع، ولم تأت في القرآن بلفظ التثنية كما جاءت اليد؛ فمن مجيئها بلفظ الإفراد قوله تعالى لموسى: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه: الآية 39) فـ (عيني) هذه مفرد. ومن مجيئها بلفظ الجمع قوله تعالى عن سفينة نوح: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) (القمر: الآية 14) وقوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (الطور: الآية 48) هذا لفظ الجمع.

أما التثنية فلم تأتِ في القرآن، ولكنها جاءت في حديث ذكره ابن القيم رحمه الله في مختصر الصواعق ولم يعزُه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا قام أحدكم يصلي فإنه بين عيني الرحمن)) . ولكن جاءت في السنة بما يدل دلالةً واضحةً على أن العين اثنتان وذلك في قول النبي عليه الصلاة والسلام في صفة الدجال: ((إنه أعور العين اليمنى وإن ربكم ليس بأعور)) ، فإن

هذا كالنص الصريح على أنهما اثنتان، ووجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر علامة فارقة بين الدجال وبين الرب عز وجل، بأن الدجال أعور العين اليمنى والرب ليس بأعور، ولا عورٌ إلا لذي عينين.

ولو كان لله أكثر من اثنتين لكان الزائد عن اثنتين كمالاً قطعاً؛ لأنه لا يمكن أن يتصف بنقص - يعني لكان الزائد عن ثنتين كمال، والزائد على ثنتين هل يحصل به الفرق بين الدجال وبين الرب؟

الجواب: يحصل؛ لأن الدجال من بني آدم وليس له إلا ثنتين، وذكر الفارق الدال على الكمال أولى من ذكر الفارق الذي هو النقص في الدجال.

فإذا لو كان له أكثر من ثنتين لقال الرسول صلى الله عليه وسلم: وإن لربكم أكثر من عينين، لأجل أن يثبت الكمال لله عز وجل مع الفارق بينه وبين الدجال.

لكن لما قال: أعور، صار الفرق بينهما العور، وهو نقص الدجال في عينه.

إذاً تعين أن تكون العينان الثابتتان لله اثنتين، وهذا واضح جداً...

ويبقى النظر، في مجيء العينين بصيغة الجمع (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) ، (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) (القمر: الآية 14) ، فكيف نجمع بين الجمع وبين المثنى؟

نقول: الجمع بينهما سهل؛ هو نظير الجمع بين اليدين الوارد مجيؤهما بصيغة التثنية وبصيغة الجمع، فإما أن يراد بالجمع ما دون الثلاثة لأن اللغة العربية قد جاءت بالجمع مراداً به ما دون الثلاثة. فيكون قوله: (بِأَعْيُنِنَا) كقوله بعينينا، لأن أقل الجمع اثنان.

وإما أن يقال أقل الجمع ثلاثة كما هو الأكثر، ولكن الجمع هنا لا يراد به مدلوله التعددي، وإنما يراد به مدلوله المعنوي؛ وهو التعظيم، فيكون الله عز وجل جمع العينين، فقال: بأعيننا تعظيماً لهما. وأيضاً يضاف إلى التعظيم المناسبة؛ لأن ((نا)) دالة على الجمع في أصل الوضع، فناسب أن

يكون المضاف إليها مجموعاً للتعظيم كما هي في قوله: (بِأَعْيُنِنَا) للتعظيم، فيتناسب هنا المضاف والمضاف إليه، وهذه المناسبة لفظية.

- هل الله تعالى يبصر بهما، أو بصره بغير العين؟

الجواب: يبصر بهما، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) فقال: (بصره) ، وهذا يدل على أن لله بصراً ...

وقد سبق أنه لولا أن الله أثبت له عيناً لقلنا: يمكن أن يكون البصر بغير العين، كما أن الأرض تحدث أخبارها مع أنها ليس لها أعين.

... فإذا قال قائل: قد ورد في تفسير بعض السلف لقوله تعالى: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) قال: تجري بمرأى منا، فهل يعتبر هذا تحريفاً أم ماذا؟

فالجواب: ليس هذا تحريفاً؛ لأنهم يقولون: تجري بمرأى منا مع إقرارهم بالعين، ولو أن هذا القول كان من شخص ينكر العين لقلنا: هذا تحريف ...

ثم إن في الآية ما يدل على منع ذلك، (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) أي السفينة، فهي تجري في الأرض على الماء الذي خلقه الله عز وجل من الأرض والسماء، فكيف يقال: إن ظاهر الآية أنها تجري في عين الله؟ ، لكنهم يتشبثون بكل شيء من أجل التشنيع على أهل السنة. [1]

- لو كان الله عز وجل أكثر من عينين، لكان ذلك من كماله، وكان ترك ذكره تفويتاً للثناء على الله، لأن الكثرة تدل على القوة والكمال والتمام، فلو كان لله أكثر من عينين، لبينها الرسول عليه الصلاة والسلام [2]

- من السلف من فسر قوله تعالى: {بِأَعْيُنِنَا} ، بقوله: بمرأى منا ... فسروها باللازم، مع إثبات الأصل، وهي العين ...

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 267

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 313

قالوا: الظاهر من الآية أن محمد صلى الله عليه وسلم بعين الله، وسط العين ... قلنا لهم: معاذ الله ثم معاذ الله ثم معاذ الله أن يكون ما ذكرتموه ظاهر القرآن ...

الباء في قوله: {بِأَعْيُنِنَا} ...نفسرها بالمصاحبة، إذا قلت: أنت بعين، يعني: أن عيني تصحبك وتنظر إليك، لا تنفك عنك ... ولا يمكن أن تكون الباء هنا للظرفية، لأنه يقتضي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين الله، وهذا محال [1]

- إن كان أقل الجمع اثنين، فلا منافاة، لأننا نقول: هذا الجمع دال على اثنتين، فلا ينافيه. وإن كان أقل الجمع ثلاثة، فإن هذا الجمع لا يراد به الثلاثة، وإنما يراد به التعظيم والتناسب بين ضمير الجمع وبين المضاف إليه. [2]

17/ صفة السمع :

قال تعالى : {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة: 1]

ففي هذا إثبات السمع لله سبحانه وتعالى، وأنه يسمع الأصوات مهما بعدت ومهما خفيت.

قالت عائشة رضي الله عنها: "تبارك (أو قالت: الحمد لله) الذي وسع سمعه الأصوات، إني لفي ناحية البيت، وإني ليخفى على بعض حديثها"[3]

- السمع المضاف إلى الله عز وجل ينقسم إلى قسمين :

1- سمع يتعلق بالمسموعات، فيكون معناه إدراك الصوت.

2- وسمع بمعنى الاستجابة، فيكون معناه أن الله يجيب من دعاه ...

فالسمع الذي بمعنى إدراك الصوت ثلاثة أقسام:

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 314

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 321

[3] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 323

أحدها: ما يقصد به التأييد.

والثاني: ما يقصد به التهديد.

والثالث: ما يقصد به بيان إحاطة الله سبحانه وتعالى.

1- أما ما يقصد به التهديد، فكقوله تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ} [الزخرف: 80] ... 2- وأما ما يقصد به التأييد، فكقوله تعالى لموسى وهارون: {قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: 46] ...

3- وأما ما يقصد به بيان الإحاطة، فمثل هذه الآية، وهي: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} [المجادلة: 1] . [1]

فإذا قال قائل: ما هو الضابط لما يقتضيه هذا وهذا؟

فالجواب: أن الضابط: القرائن، فقرائن الأحوال، وسياق الكلام، تدل على أن مقتضاه كذا أو كذا. [2]

18/ صفة الرؤية لله :

- أدلة ثبوت الرؤية :

وقد دل على ثبوت الرؤية القرآن والسنة:

أما دلالة القرآن على الرؤية: فمن وجوه:

الأول: التصريح بالنظر.

والثاني: نفي الإدراك.

والثالث: حجب أعداء الله عن رؤية الله. هذه ثلاثة أنواع من الأدلة.

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 323

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 185

أولاً: التصريح بالنظر: مثل قوله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) (القيامة: 22) (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (القيامة: 23) ... فوسيلة الرؤية في الوجه لا شك أنها العين. إذاً نراه بأعيننا.

وقال الله تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) (يونس: الآية26) ، وفسر الزيادة أعلم الخلق بالله عز وجل وكتابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن المراد بالزيادة النظر إلى وجه الله تعالى، ولا نعلم تفسيراً أصح وأوثق من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم أبداً ...

ثانياً: نفي الإدراك: قال الله تعالى: (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) (الأنعام: الآية103) ، فإن نفي الإدراك يدل على ثبوت أصل الرؤية؛ لأن نفي الإدراك مع عدم ثبوت الرؤية لغو من القول وفساد ... وفرق بين الإدراك والرؤية. فنحن الآن نعلم الله عز وجل لكن لا ندرك حقيقته ...

ثالثاً : حجب الله عن أعدائه ، وذلك في قوله: (كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (المطففين: 15)) .

قال الإمام الشافعي رحمه الله: والله ما حجب أعداءه عنه في حال الغضب إلا ليراه أولياؤه في حال الرضا، وهذا صحيح ...

أما دلالة السنة على الرؤية:

فقد تواترت السنة على رؤية المؤمنين لله سبحانه وتعالى يوم القيامة وعلى هذا قول الناظم ينظم بعض ما تواتر: مما تواتر حديث من كذب ... ومن بنى لله بيتا واحتسب

ورؤية شافعة والحوض ... ومسح خفين وهذي بعض [1]

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 514

- الرد على منكري صفة الرؤية لله من وجوه :

أهل السنة في رؤية الله تعالى ... خالفهم ... طوائف من أهل التعطيل من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، واستدلوا بأدلة سمعية متشابة وأدلة عقلية متداعية:

أما الأدلة السمعية:

فالأول: قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً} [الأعراف: 143] [1]

والرد عليهم من وجوه :

- الأول: منع كون (لن) للنفي المؤبد؛ لأنه مجرد دعوى:

قال ابن مالك في "الكافية": ومن رأى النفي بلن مؤبداً ... فقوله اردد وسواه فاعضدا

- الثاني: أن موسى عليه صلاة والسلام لم يطلب من الله الرؤية في الآخرة؛ وإنما طلب رؤية حاضرة؛ لقوله: {أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} ؛ أي: الآن. فقال الله تعالى له: {لَنْ تَرَانِي} ؛ يعني: لن تستطيع أن تراني الآن ...

ونحن نقول: إن رؤية الله تعالى في الدنيا مستحيلة؛ لأن الحال البشرية لا تستطيع تحمل رؤية الله عز وجل كيف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل: "حجابه النور، لو كشف لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"

أما رؤية الله تعالى في الآخرة فممكنة؛ لأن الناس في ذلك اليوم يكونون في عالم آخرة تختلف فيه أحوالهم عن حالهم في الدنيا ...

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 455/1

- الوجه الثالث: أن يقال استحالة رؤية الله في الآخرة عندالمنكرين لها مبنية على أن إثباتها يتضمن نقصاً في حق الله تعالى! ...

الدليل الثاني لنفاة رؤية الله تعالى: قوله تعالى: {لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: 103] .

والرد عليهم: أن الآية فيها نفي الإدراك، والرؤية لا تستلزم الإدراك؛ ألا ترى أن الرجل يرى الشمس ولا يحيط بها إدراكاً؟! ... لأن الإدراك أخص من مطلق الرؤية.

ولهذا نقول: إن نفي الإدراك يدل على وجوه أصل الرؤية لأن نفي الأخص يدل على وجوه الأعم ...

وأما أدلة نفاة الرؤية العقلية؛ فقالوا: لو كان الله يرى لزم أن يكون جسماً والجسم ممتنع على الله تعالى لأنه يستلزم التشبيه والتمثيل .

والرد عليهم: أنه إن كان يلزم من رؤية الله تعالى أن يكون جسماً فليكن ذلك، لكننا نعلم علم اليقين أنه لا يماثل أجسام المخلوقين؛ لأن الله تعالى يقول: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11] .

على أن القول بالجسم نفياً أو إثباتاً مما أحدثه المتكلمون وليس في الكتاب والسنة إثباته ولا نفيه...

ما نستفيد من الناحية المسلكية من هذا الآيات:

أما في مسألة الرؤية؛ فما أعظم أثرها على الاتجاه المسلكي؛ لأن الإنسان إذا وجد أن غاية ما يصل إليه من الثواب هو النظر إلى وجه الله كانت الدنيا كلها رخيصة عنده؛ وكل شيء يرخص في جانب الوصول إلى رؤية الله عز وجل لأنها غاية كل طالب، ومنتهى المطالب [1]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 456/1

والأحاديث في هذا متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم فثبوتها قطعة، ودلالتها قطعية.

ولهذا ذهب بعض العلماء إلى أن من أنكر رؤية الله تعالى؛ فهو كافر مرتد ، وان الواجب على كل مؤمن أن يقر بذلك. قال: وإنما كفرناه؛ لأن الأدلة قطعية الثبوت وقطعية الدلالة [1]

- الرؤية المضافة إلى الله لها معنيان :

المعنى الأول: العلم.

المعنى الثاني: رؤية المبصرات، يعني: إدراكها بالبصر.

فمن الأول: قوله تعالى عن القيامة: {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً} [المعارج: 6-7] ...

وأما قوله: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} ، فهي صالحة لأن تكون بمعنى العلم وبمعنى الرؤية البصرية، وإذا كانت صالحة لهما، ولا منافاة بينهما وجب أن تحمل عليهما جميعاً [2]

- الرؤية التي بمعنى إدراك المبصرات ثلاثة أقسام :

1- قسم يقصد به النصر والتأييد، كقوله: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: 46] .

2- وقسم يقصد به الإحاطة والعلم، مثل قوله: {إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً} [البقرة: 271] .

3- وقسم يقصد به التهديد، مثل قوله: {قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ} [التوبة: 94] . [3]

- المؤمنون يرون الله في عرصات يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة :

الناس في العرصات ثلاثة أجناس :

1. مؤمنون خُلص ظاهراً وباطناً.

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمن 2/60

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمن 327

[3] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمن 330

2. وكافرون خُلص ظاهراً وباطناً.

3. ومؤمنون ظاهراً كافرون باطناً، وهم المنافقون.

- فأما المؤمنون؛ فيرون الله تعالى في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة.

- أما الكافرون؛ فلا يرون ربهم مطلقاً، وقيل: يرونه؛ لكن رؤية غضب وعقوبة، ولكن ظاهر الأدلة يدل على أنهم لا يرون الله؛ كما قال الله تعالى(كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (المطففين:15) .

- أما المنافقون؛ فإنهم يرون الله عز وجل في عرصات القيامة، ثم يحتجب عنهم ولا يرونه بعد ذلك. [1]

وهذا أشد حسرةً عليهم أن يستمتعوا بالنظر إلى الله عز وجل، ثم بعد ذلك يحجبون عنه. [2]

19/ صفة القدرة لله :

وقدرة الله تعالى قدرة مقرونة بالقوة، فهو القوي القادر، بخلاف المخلوق فإن قدرته محدودة، وقد تكون قدرة بقوة، وقد تكون قدرة بلا قوة...

فالمستحيل لا تتعلق به القدرة؛ لأنه على اسمه مستحيل، ولكن يجب أن نعلم - حتى لا يتوهم واهم إننا خصصنا ما عممه أو قيدنا ما أطلقه - أن المستحيل نوعان: مستحيل لذاته ومستحيل لغيره.

فالمستحيل لذاته: لا يمكن أن تتعلق به القدرة، كما مثلنا وقلنا: لو قال قائل: هل يقدر الله أن يخلق مثله؟

قلنا: هذا مستحيل لذاته، لأن المماثلة مستحيلة، وأدنى ما نقول في ذلك: أن هذا مخلوق والرب خالق، فتنتفي المماثلة على كل حال.

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/103

[2] لقاء الباب المفتوح للعلامة ابن عثيمين 20/22

والمستحيل لغيره: بمعنى أن الله تعالى أجرى هذا الشيء على هذه العادة المستمرة التي يستحيل أن تنخرم، ولكن الله قادر على أن يخرمها، فهذا نقول إن القدرة تتعلق به ، فيمكن للشيء الذي نرى أنه مستحيل بحسب العادة أن يكون جائزا واقعاً بحسب القدرة، وهذا الشيء كثير، فكل آيات الأنبياء الكونية من هذا الباب (المستحيل لغيره) ؛ فانشقاق القمر للرسول عليه الصلاة والسلام مستحيل لغيره، لكن غير مستحيل لذاته لأنه وقع، والله قادر على أن يشق القمر نصفين، بل قادر على أن يشق الشمس نصفين.

ونحن – مثلا – نرى أن من المستحيل أن تنزل الشمس حتى تحاذي منارة المسجد، ومن ادعى ذلك كذبناه، وقلنا: هذا مستحيل. لكن لابد أن نعلم أن هذا مستحيل لغيره لا لذاته، أي أنه مستحيل حسب ما أجرى الله العادة، لكن الله قادر على أن ينزل الشمس حتى تحاذي المنارة، بل ودون المنارة، فإنها يوم القيامة تكون على رؤوس الناس بقدر ميل، بقدرة الله ...

فالمستحيل لذاته لا تتعلق به القدرة لأنه ليس موجودا، ولا يمكن أن يوجد، ولا يفرضه الذهن، كما انه لا يمكن أن يكون الشيء متحركا ساكنا في آن واحد؛ لأنه إن كان متحركاً فليس بساكن، وإن كان ساكناً فليس بمتحرك.

أما المستحيل لغيره – يعني الذي يكون بحسب العادة غير ممكن – فهذا تتعلق به القدرة، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، فإن كل آيات الأنبياء الكونية من هذا الباب، فلو أن أحداً من الناس قال: أنا اضرب هذا الحجر ضربة بعصاي فينفلق اثنتي عشرة عينا لقلنا: هذا مستحيل حسب العادة، فلو ضرب الحجر بعصا من حديد حتى يتفتت الحجر ما أتى باثنتي عشرة عينا، لكن هذا مستحل لغيره وليس مستحيلا لذاته، لأن الله تعالى جعله لموسى عليه الصلاة والسلام.

كذلك أن تصير العصا حية، هذا لا يمكن حتى في السحر؛ لأنه إنما تكون حية بالسحر حسب نظرنا وليس حقيقة، لكن يمكن أن تكون العصا حية حقيقة حسب قدرة الله تعالى، فكون العصا حية مستحيل لغيره لا لذاته، لكنه لقدرة الله ليس مستحيلا.

ولهذا كان عصا موسى عليه الصلاة والسلام ينقلب حية حقيقية تلقف وتأكل.

وكذلك فإن الإنسان مخلوق من الطين، فلو صنع شخص تمثالا على شكل طير وقام ينفخ فيه، وقال: صار طيرا وطار، فإننا لن نصدقه؛ لأن هذا مستحيل حسب العادة، لكنه مستحيل لغيره، وأما حسب القدرة فليس بمستحيل؛ لأنه غير مستحيل لذاته، ولهذا جعله الله آية لعيسى عليه الصلاة والسلام؛ يخلق تمثالا على شكل الطير ثم ينفخ فيه فيطير. [1]

هذه الصفات الست : اثنتان منها تتعلقان بكل شيء وهما: العلم والكلام.

واثنتان تتعلقان بالممكن وجودا وعدما وهما: القدرة والإرادة.

واثنتان تتعلقان بالموجود وهما: السمع والبصر. [2]

20/ صفة المكر لله تعالى :

قال تعالى : {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [آل عمران: 54] .

وقال : {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل: 50]

والمكر؛ قال العلماء في تفسيره: إنه التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم؛ يعني: أن تفعل أسباباً خفية فتوقع بخصمك وهو لا يحس ولا يدري، ولكنها بالنسبة لك معلومة مدبرة.

والمكر يكون في موضع مدحاً ويكون في ذماً: فإن كان في مقابلة من يمكر؛ فهو مدح؛ لأنه يقتضي أنك أنت أقوى منه. وإن كان في غير ذلك؛ فهو ذم ويسمي خيانة.

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 193

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 204

ولهذا لم يصف الله نفسه به إلا على سبيل المقابلة والتقييد ... ولا يوصف الله سبحانه وتعالى به على الإطلاق؛ فلا يقال: إن الله ماكر! لا على سبيل الخبر، ولا على سبيل التسمية ...

فأما قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [آل عمران: 54] ؛ فهذا كمال؛ ولهذا لم يقل: أمكر الماكرين بل قال: {وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} ؛ فلا يكون مكره إلا خيراً، ولهذا يصح أن نصفه بذلك؛ فنقول: هو خير الماكرين [1]

21/ صفة العفو :

وَقَوْلُهُ: {إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} [النساء: 149] .

العفو: هو التجاوز عن العقوبة ... ولكن العفو يشترك للثناء على فاعله أن يكون مقروناً بالإصلاح ...

1-فإذا كان مسبباً للزيادة في الطغيان؛ كان العفو هنا مذموماً، وربما يكون ممنوعاً؛ مثل أن نعفوا عن هذا المجرم، ونعلم - أو يغلب على الظن أنه يذهب فيجرم إجراماً أكبر؛ فهنا لا يمدح العافي؛ عنه، بل يذم.

2-وقد يكون العفو سبباً للانتهاء عن العدوان؛ بحيث يخجل ... فالعفو محمود ومطلوب وقد يكون واجباً.

3-وقد يكون العفو لا يؤثر ازدياداً ولا نقصاً؛ فهو أفضل لقوله تعالى: {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [البقرة: 237]

وجمع الله تعالى هنا بين العفو والقدير؛ لأن كمال العفو أن يكون عن قدرة. أما العفو الذي يكون عن عجز؛ فهذا لا يمدح فاعله؛ لأنه عاجز عن الأخذ بالثأر

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 331

فالعفو: هو المتجاور عن سيئات عباده، والغالب أن العفو يكون عن ترك الواجبات، والمغفرة عن فعل المحرمات. [1]

22/ صفة العزة :

قال تعالى : {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: 8]

ذكر أهل العلم أن العزة تنقسم إلي ثلاثة أقسام: عزة القدر، وعزة القهر، وعزة الامتناع:

1- فعزة القدر: معناه أن الله تعالي ذو قدر عزيز، يعني: لا نظير له.

2- وعزة القهر: هي عزة الغلبة، يعني: أنه غالب كل شيء، قاهر كل شيء، ومنه قوله تعالي: {فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ} [ص: 23] ...

3- وعزة الامتناع: وهي أن الله تعالي يمتنع أن يناله سوء أو نقص، فهو مأخوذ من القوة والصلابة، ومنه قولهم: أرض عزاز، يعني قوية شديدة.

هذه معاني العزة التي أثبتها الله تعالي لنفسه، وهي تدل ...على كمال قهره وسلطانه في عزة القهر وعلى تمام صفاته وكمالها وأنه لا مثيل لها في عزة القدر وعلى تمام تنزهه عن العيب والنقص في عزة الامتناع [2]

23/ صفة الاستواء لله :

قال تعالى : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5]

{الْعَرْشِ} : هو ذلك السقف المحيط بالمخلوقات، ولا نعلم مادة هذا العرش، لأنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث صحيح يبين من أين خلق هذا العرش، لكننا نعلم أنه أكبر المخلوقات التي نعرفها...

- معنى الاستواء ... العلو والاستقرار.

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 340

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 345

وقد ورد عن السلف في تفسيره أربعة معاني: الأول: علا، والثاني: ارتفع، والثالث: صعد. والرابع: استقر.

لكن (علا) و (ارتفع) و (صعد) معناها واحد، وأما (استقر) ، فهو يختلف عنها...

- وأما استدلالهم بالبيت، فنقول:

1- أثبتوا لنا سند هذا البيت وثقة رجاله، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلاً.

2- من هذا القائل؟ أفلا يمكن أن يكون قاله بعد تغير اللسان؟ لأنه كل قول يستدل به على اللغة العربية بعد تغير اللغة العربية فإنه ليس بدليل، لأن العربية بدأت تتغير حين اتسعت الفتوح ودخل العجم مع العرب فاختلف اللسان، وهذا فيه احتمال أنه بعد تغير اللسان.

3- أن تفسيركم "استوى بشر على العراق" بـ (استولى) تفسير تعضده القرينة، لأنه من المعتذر أن بشراً يسعد فوق العراق فيستوي عليه كما يستوي على السرير أو على ظهر الدابة فلهذا نلجأ إلى تفسيره بـ (استولى) .

هذا نقوله من باب التنزل، وإلا، فعندنا في هذا جواب آخر:

أن نقول: الاستواء في البيت بمعنى العلو، لأن العلو نوعان:

1- علو حسي، كاستوائنا على السرير.

2- وعلو معنوي، بمعنى السيطرة والغلبة.

فيكون معنى "استوى بشر على العراق" يعني: علا علو غلبة وقهر.

وأما قولكم: إنه يلزم من تفسير الاستواء بالعلو أن يكون الله جسماً.

فجوابه: كل شيء يلزم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو حق، ويجب علينا أن نلتزم به، ولكن الشأن كل الشأن أن يكون هذا من لازم كلام الله ورسوله، لأنه قد يمنع أن يكون لازماً، فإذا ثبت أنه لازم، فليكن، ولا حرج علينا إذا قلنا به.

ثم نقول: ماذا تعنون بالجسم الممتنع؟

إن أردتم به أنه ليس لله ذات تتصف بالصفات اللازمة لها اللائقة بها، فقولكم باطل، لأن لله ذاتاً حقيقية متصفة بالصفات، وأن له وجهاً ويداً وعيناً وقدماً، وقولوا ما شئتم من اللوازم التي هي لازم حق.

وأن أردتم بالجسم الذي قلتم يمتنع أن يكون الله جسماً: الجسم المركب من العظام واللحم والدم وما أشبه ذلك، فهذا ممتنع على الله، وليس بلازم من القول بأن استواء الله على العرش علوه عليه.

وأما قولهم: إنه يلزم أن يكون محدوداً. فجوابه أن نقول بالتفصيل: ماذا تعنون بالحد؟

إن أردتم أن يكون محدوداً، أي: يكون مبايناً للخلق منفصلاً عنهم، كما تكون أرض لزيد وأرض لعمر، فهذه محدودة منفصلة عن هذه، فهذا حق ليس فيه شيء من النقص.

وإن أردتم بكونه محدوداً: أن العرش محيط به، فهذا باطل، وليس بلازم، فإن الله تعالى مستوى على العرش، وإن كان عز وجل أكبر من العرش ومن غير العرش، ولا يلزم أن يكون العرش محيطاً به بل لا يمكن أن يكون محيطاً به، لأن الله سبحانه وتعالى أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه.

وأما قولهم: يلزم أن يكون محتاجاً إلى العرش.

فنقول: لا يلزم، لأن معنى كونه مستوياً على العرش: أنه فوق العرش، لكنه علو خالص، وليس معناه أن العرش يقله أبداً، فالعرش لا يقله، والسماء لا تقله، وهذا اللازم الذي ادعيتموه ممتنع، لأنه نقص بالنسبة إلى الله عز وجل، وليس بلازم من الاستواء الحقيقي، لأننا لسنا نقول: إن معنى {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} ، يعني: أن العرش يقله ويحمله، فالعرش محمول: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} [الحاقة: 17] ، وتحمله الملائكة الآن، لكنه ليس حاملاً لله عز وجل، لأن الله سبحانه وتعالى ليس محتاجاً إليه، ولا مفتقراً إليه، وبهذا تبطل حججهم السلبية.

وخلاصة ردنا لكلامهم من عدة أوجه :

الأول: أن قولهم هذا مخالف لظاهر النص.

ثانياً: مخالف لإجماع الصحابة وإجماع السلف قاطبة.

ثالثاً: أنه لم يرد في اللغة العربية أن (استوى) بمعنى (استولى) ، والبيت الذي احتجوا به على ذلك لا يتم به الاستدلال.

رابعاً: أنه يلزم عليه لوازم باطلة منها:

1- أن يكون العرش قبل خلق السماوات والأرض، ملكاً لغير الله.

2- أن كلمة (استولى) تعطي في الغالب أن هناك مغالبة بين الله وبين غيره، فاستولى عليه وغلبه.

3- أنه يصح أن نقول. على زعمكم.: أن الله استوى على الأرض والشجر والجبال والإنسان والبعير، لأنه (استولى) على هذه الأشياء، فإذا صح أن نطلق كلمة (استولى) على شيء، صح أن نطلق كلمة (استولى) على شيء، صح أن نطلق (استوى) على ذلك الشيء، لأنهما مترادفان على زعمكم.

فبهذه الأوجه يتبين أن تفسيرهم باطل.

ولما كان أبو المعالي الجويني. عفا الله عنه. يقرر مذهب الأشاعرة، وينكر استواء الله على العرش، بل وينكر علو الله بذاته، قال: "كان الله تعالى ولم يكن شيء غيره، وهو الآن على ما كان عليه". وهو يريد أن ينكر استواء الله على العرش، يعني: كان ولا عرش، وهو الآن على ما كان عليه، إذاً: لم يستو على العرش. فقال له أبو العلاء الهمذاني: يا أستاذ! دعنا من ذكر العرش والاستواء على العرش. يعني: لأن دليله سمعي، ولولا أن الله أخبرنا به ما علمناه. أخبرنا عن هذه الضرورة التي تجد في نفوسنا: ما قال عارف قط: يا الله! إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب

العلو. فبهت أبو المعالي، وجعل يضرب على رأسه: حيرني الهمذاني، حيرني الهمذاني! وذلك لأن هذا دليل فطري لا أحد ينكره [1]

- الاستواء على العرش أخص من مطلق العلو؛ لأن الاستواء على العرش علو خاص به، والعلو شامل على جميع المخلوقات؛ فعلوه عز وجل ثابت له أزلاً وابداً، لم يزل عالياً على كل شيء قبل أن يخلق العرش، ولا يلزم من عدم استوائه على العرش عدم علوه، بل هو عال، ثم بعد خلق السماوات والأرض علا علواً خاصاً على العرش [2]

- قبل خلق السماوات والأرض، هل هو مستو على العرش أولاً؟ فالجواب: الله أعلم بذلك [3]

- استواء الله ... من الصفات الفعلية [4]

- الاستواء علو خاص

الاستواء بمعنى العلو لكنه علو خاص [5]

- الاستواء من أمور الغيب

الله يقول: (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (الإسراء: الآية 36) ...

- هل استوى الله على العرش بمماسة أو بغير مماسة؟

الجواب أن نقول في هذا كما قلنا في الأول: السؤال عن هذا بدعة وليس لنا أن نقول بمماسة أو غير مماسة، بل نقول: استوى، ولا نتجاوز القرآن والحديث؛ لان هذه الأمور الغيبية لا يجوز

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 374

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 385

[3] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 385

[4] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 386

[5] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 230

للإنسان أن يسال عن شيء إلا عن معناها فقط ، أما عن كيفيتها وما زاد عن المعنى فلا يحل لنا أن نبحث فيه؛ لا سؤالاً ولا إجابةً.

ولهذا نقول: لقد أخطأ بعض العلماء الذين قالوا: إن الله استوى على العرش بدون مماسة ...

وعلى هذا فكلمة مماسة أو غير مماسة يجب أن تلغى وتحذف.

- هل نقول: إن الله استوى على العرش بذاته؟

والجواب على ذلك: أن كلمة بذاته ليس لنا فيها حاجة؛ لأن كل فعل أضافه الله إلى نفسه فهو إلى ذاته لا شك، ولهذا لا يقال: إن الله خلق السموات بذاته ...

لكن ورد في كلام بعض السلف قولهم: إن الله استوى على العرش بذاته ... رداً على قول من يقول: إن الله عال بصفاته لا بذاته، وإلا فإن القاعدة التي ليس فيها إشكال أن كل شيء أضافه الله إلى نفسه فهو إليه نفسه

... فلهذا نقول: استوى على العرش بذاته، لا حاجة إليها؛ لأنها معلومة بمجرد إضافة الفعل إلى الله.

- هل يجوز أن نفسر الاستواء بالاستيلاء كما قاله أهل التعطيل

حيث قالوا: إن الله استوى على العرش أي استولى عليه، وليس معناه علا عليه؟ ... يعني: إذا استوى على العرش لزم أن يكون محدوداً، ولزم أن يكون جسماً، والحد ممتنع، والجسمية - على زعمهم - ممتنعة، فلهذا نقول استوى يتعين أن تكون بمعنى استولى .

ورداً عليهم نقول: إن هذا التأويل، بل هذا التحريف، خطأ من عدة وجوه:

الوجه الأول: إنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف ... ولو كان المراد بالآية سوى ما تقتضيه اللغة العربية لتكلموا به وبينوه ... فهم مجمعون على أن استوى بمعنى علا على العرش واستقر.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في النونية أنه ورد عن السلف في ذلك أربعة معان: علا واستقر وارتفع وصعد

الوجه الثاني: إننا إذا قلنا استوى بمعنى استولى؛ لزم أن يكون العرش قبل استواء الله عليه ملكاً لغيره، والله تعالى يقول: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) (الأعراف: الآية 54) ، فهل يكون قبل ذلك لغير الله؟! هذا لا شك أنه معنى باطل، لا يمكن أن يقول به قائل.

الوجه الثالث: إننا لو قلنا: استوى بمعنى استولى، لصح أن يقال: إنه استوى على الأرض، وعلى الشمس، وعلى القمر، وعلى السماء، وغير ذلك مما هو ملك لله ... وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.

الوجه الرابع: أنه ليس في اللغة العربية أن استوى تأتي بمعنى استولى، والقرآن نزل بلسان عربي مبين ... فإذا قالوا عندنا دليل وهو قول القائل: قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مِهراق

ومعنى استوى بشر على العرق: أي استولى على العراق، فالجواب على ذلك:

أولاً: إن هذا البيت قائله مجهول ولا يدرى من قائله، ولا يمكن أن يستدل على شيء من العقيدة المتعلقة بالله عز وجل ببيت شعر مجهول قائله، فالاحتجاج به مردود من الأصل.

ثانيا: أن نقول: لو ثبت أن قائله من العرب العرباء الذين لم تغيرهم اللكنة ولا العجمة، فإن المانع من جعل الاستواء هنا بمعنى العلو قرينة ظاهرة، وهو أن بشراً لم يكن يرتفع على العراق حتى يكون العراق تحته كالكرسي، فيكون لدينا قرينة تمنع من إرادة العلو، ولم توجد هذه القرينة في قوله تعالى: (اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) (الأعراف: لآية 54) .

ثالثا: أنه يمكن أن نجعل استوى في هذا البيت أيضاً بمعنى علا، فيكون قوله: ((قد استوى بشر على العراق) أي قد علا على العراق لكنه علو معنوي، كقوله تعالى: (فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى

السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ) (محمد: الآية 35) ... هذا إن صح أن قائل هذا البيت من العرب العرباء، مع أنه لم يصح، فبطل الاستدلال بهذا البيت على أن استوى بمعنى استولى.

إذاً فعقيدتنا التي ندين الله بها، ونسال الله أن نكون عليها حتى نموت، هي أن استوى على العرش: أي علا عليه علواً خاصاً كما يليق بجلاله وعظمته، لا نكيفه، ولا نمثله.

أما العرش فهو ذلك المخلوق العظيم الذي فوق جميع المخلوقات، واختصه الله تعالى لنفسه، وهو محيط بالكون كله، وقد ورد أن السموات السبع والأراضين السبع بالنسبة للكرسي الذي وسع السموات والأرض كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، فالحلقة إذا ألقيت في فلاة من الأرض فإنها لا تمثل شيئا بالنسبة إليها، ولا تنسب إليها، قال: ((وإن فضل الله على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة) . إذاً فالعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل، ولا يمكن أن نتصور عظمة هذا العرش، ولهذا وصفه الله بأنه مجيد، وانه عظيم؛ لأنه اكبر المخلوقات التي نعلمها، وأعلى المخلوقات التي نعلمها، ولذلك هو عرش يليق بالله سبحانه وتعالى.

- هل الله عز وجل باستوائه على العرش يكون العرش مُقِلاً له حاملاً له، كما يستوي الإنسان منا على السرير؟

الجواب: لا، ليس كذلك، لأننا لو قلنا إنه حامل له كحمل السرير لأحدنا ، لزم من هذا أن يكون محتاجا إلى العرش، والله عز وجل مستغن عن كل شيء، وكل شيء محتاج إليه، فلا يمكن أن نقول إن العرش يقل الله أبداً... [1]

- معنى ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ :

{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ: [الأعراف: 54] [يونس: 3] [الرعد: 2] [الفرقان: 59] [السجدة: 4] [الحديد: 4]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 230

... ثم هي على أربعة أوجه في اللغة العربية: معداة بـ (إلى) ، ومعداة بـ (على) ، ومقرونة بالواو، ومجردة:

- فالمعداة بـ (على) مثل: {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الحديد: 4] ، ومعناها: علا واستقر

- والمعداة بـ (إلى) : مثل قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ} [البقرة: 29].

فهل معناها كالأولى المعداة بـ (على) ؟ فيها خلاف بين المفسرين: منهم من قال: إن معناها واحد، وهذا ظاهر تفسير ابن جرير رحمه الله؛ فمعنى {اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} ؛ أي: ارتفع إليها.

ومنهم من قال: بل الاستواء هنا بمعنى القصد الكامل؛ فمعنى: استوى إليها؛ أي: قصد إليها قصداً كاملاً، وأيدوا تفسيرهم هذا بأنها عديت بما يدل على هذا المعنى، وهو (إلى) ، وإلى هذا ذهب ابن كثير رحمه الله؛ ففسر قوله: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} ؛ أي: قصد إلى السماء، وإلا ستواء ها هنا مضمن معنى القصد والإقبال؛ لأنه عدي بـ (إلى) .أ. هـ كلامه.

والمقرونة بالواو؛ كقولهم: استوى الماء والخشبة؛ بمعنى: تساوى الماء والخشبة.

والمجردة؛ كقوله تعالى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى} [القصص:14] ومعناها: كمل. [1]

24/ صفة العلو :

علو الله عز وجل ينقسم إلى قسمين: علو معنوي، وعلو ذاتي:

1-أما العلو المعنوي؛ فهو ثابت لله بإجماع أهل القبلة ...

2-وأما العلو الذاتي؛ فيثبته أهل السنة، ولا يثبته أهل البدعة ...

- أهل السنة استدلوا على علو الله تعال علواً ذاتياً بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة:

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 384

أولاً: فالكتاب تنوعت دلالته على علو الله؛ فتارة بذكر العلو، وتارة بذكر الفوقية، وتارة بذكر نزول الأشياء من عنده، وتارة بذكر صعودها إليه، وتارة بكونه في السماء ...

1) فالعلو مثل قوله: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: 255] ...

2) والفوقية: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} [الأنعام: 18] ...

3) ونزول الأشياء منه؛ مثل قوله: {يُدَبِّرُ الأمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ} [السجدة: 5] ...

4) وصعود الأشياء إليه؛ مثل قوله: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: 10] ...

5) كونه في السماء؛ مثل قوله: {أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ} [الملك: 16] .

ثانياً: وأما السنة فقد تواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله وفعله وإقراره:

1) فأما قول الرسول عليه الصلاة والسلام: فجاء بذكر العلو والفوقية، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "سبحان ربي الأعلى"...

2) وأما الفعل؛ فمثل رفع أصبعه إلى السماء، وهو يخطب الناس في أكبر جمع، وذلك في يوم عرفة، عام حجة الوداع ...

3) وأما التقرير؛ فإنه في حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه؛ أنه أتى بجارية يريد أن يعتقها، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "أين الله؟ ". قالت: في السماء. فقال: "من أنا؟ ". قالت: رسول الله. قال: "أعتقها؛ فإنها مؤمنة" ...

ثالثاً: وأما دلالة الإجماع؛ فقد أجمع السلف على أن الله تعالى بذاته في السماء، من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، إلى يومنا هذا...

رابعاً: وأما دلالة العقل؛ فنقول: لا شك أن الله عز وجل إما أن يكون في العلو أو في السفل، وكونه في السفل مستحيل؛ لأنه نقص ... فإذا كان السفل مستحيلاً؛ كان العلو واجباً.

وهناك تقرير عقلي آخر، وهو أن نقول: إن العلو صفة كمال باتفاق العقلاء، وإذا كان صفة كمال؛ وجب أن يكون ثابتاً لله؛ لأن كل صفة كمال مطلقة؛ فهي ثابتة لله.

وقولنا: "مطلقة": احترازاً من الكمال النسبي، الذي يكون كمالاً في حال دون حال؛ فالنوم مثلاً نقص، ولكن لمن يحتاج إليه ويستعيد قوته به كمال.

خامساً: وأما دلالة الفطرة: فأمر لا يمكن المنازعة فيها ولا المكابرة؛ فكل إنسان مفطور على أن الله في السماء، ولهذا عندما يفجؤك الشيء الذي لا تستطيع دفعه، وإنما تتوجه إلى الله تعالى بدفعه؛ فإن قلبك ينصرف إلى السماء حتى الذين ينكرون علو الذات لا يقدرون أن ينزلوا أيديهم إلى الأرض.

وهذه الفطرة لا يمكن إنكارها.

حتى إنهم يقولون: إن بعض المخلوقات العجماء تعرف أن الله في السماء كما في الحديث الذي يروى أن سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام وعلى أبيه خرج يستسقي ذات يوم بالناس، فلما خرج؛ رأى نملة مستلقية على ظهرها، رافعة قوائمها نحو السماء، تقول: "اللهم! إنا خلق من خلقك، ليس بنا غنى عن سقياك". فقال: "ارجعوا؛ فقد سقيتم بدعوة غيركم" وهذا إلهام فطري.

... ثم نقول: ما هو الحد والجسم الذي أجلبتم علينا بخيلكم ورجلكم فيها. أتريدون بالحد أن شيئاً من المخلوقات يحيط بالله؟ فهذا باطل ومنتف عن الله، وليس بلازم من إثبات العلو لله أو تريدون بالحد أن الله بائن من خلقه غير حال فيهم؟ فهذا حق من حيث المعني، ولكن لا نطلق لفظه نفياً ولا إثباتاً، لعدم ورود ذلك... وكذلك نقول في الجهة [1]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 387

{أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ • أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} [الملك: 16 - 17] .

- إذا كان الله يقول: {أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} ، فهذا ظاهره أن السماء محيطة بالله، وهذا الظاهر باطل، وإذا كان الظاهر باطلاً، فإننا نعلم علم اليقين أنه غير مراد لله، لأنه. لا يمكن أن يكون ظاهر الكتاب والسنة باطلاً.

فما الجواب على هذا الإشكال؟ قال العلماء: الجواب أن نسلك أحد طريقين:

1- فإما أن نجعل السماء بمعني العلو... قال تعالي: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} [الرعد: 17] ، والمراد بالسماء العلو، لأن الماء ينزل من السحاب لا من السماء التي هي السقف المحفوظ، والسحاب في العلو بين السماء والأرض ...

2- أو نجعل (في) بمعني (علي) ... {وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} [طه: 71] ، أي: على جذوع النخل [1]

- الله يقول: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ} ، فالظرف هنا لألوهيته، يعني: أن ألوهيته ثابتة في السماء وفي الأرض، كما تقول: فلان أمير في المدينة ومكة [2]

- سؤال: هل يصح أن نقول: هو معنا بذاته؟

الجواب: هذا اللفظ يجب أن يبعد عنه؛ لأنه يوهم معنى فاسداً يحتج به من يقول بالحلول، ولا حاجة إليه، لأن الأصل أن كل شيء أضافه الله إلى نسفه؛ فهو له نفسه؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: (وَجَاءَ رَبُّكَ) هل يحتاج أن نقول: جاء بذاته؟! وإلى قوله صلى الله عليه وسلم: " ينزل إلى

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمن 398

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمن 399

السماء الدنيا" [194]، وهل يحتاج أن نقول: ينزل بذاته؟ إننا لا نحتاج إلى ذلك؛ اللهم إلا في مجادلة من يدعى أنه جاء أمره أو ينزل أمره؛ لرد تحريفه. [1]

- الجمع بين الاستواء والمعية :

الجمع من وجوه ثلاثة:

الأول: أنه ذكر استواءه على العرش، ثم قال: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ) ، وإذا جمع الله لنفسه بين وصفين؛ فإننا نعلم علم اليقين أنهما لا يتناقضان ...

الثاني: أنه قد يجتمع العلو والمعية في المخلوقات ...

الثالث: لو فرض تعارضهما بالنسبة للمخلوق؛ لم يلزم ذلك بالنسبة للخالق؛ لأن الله ليس كمثله شيء. [2]

25/ صفة الكلام لله تعالى :

قال تعالى : {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: 87] .

الصدق يوصف به الكلام [3]

وقال تعالى {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} [الأنعام: 115] .

والذي يوصف بالصدق الخبر، والذي يوصف بالعدل الحكم، ولهذا قال المفسرون: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام.

فكلمات الله عز وجل في الأخبار صدق لا يعتريها الكذب بوجه الوجوه، وفي الأحكام عدل لا جور فيها بوجه من الوجوه. [4]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/83

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/80

[3] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 418

[4] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 420

وقال تعالى {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: 164]

الله يقول و ... قوله مسموع ، فيكون بصوت، وأن قوله كلمات وجمل، فيكون بحرف.

ولهذا كانت عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الله يتكلم بكلام حقيقي متى شاء، كيف شاء، بما شاء، بحرف وصوت، لا يماثل أصوات المخلوقين.

"متى شاء ": باعتبار الزمن.

"بما شاء": باعتبار الكلام؛ يعني: موضوع الكلام من أمر أو نهي أو غير ذلك.

" كيف شاء": يعني على الكيفية والصفة التي يريدها سبحانه وتعالى.

قلنا: إنه بحرف وصوت لا يشبه أصوات المخلوقين [1]

وقال تعالى {وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} [مريم: 52]

والفرق بين المناداة والمناجاة أن المناداة تكون للبعيد، والمناجاة تكون للقريب وكلاهما كلام.

وكون الله عز وجل يتكلم مناداة ومناجاة داخل في قول السلف: "كيف شاء" [2]

وقال تعالى : {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} [الكهف: 27]

قوله: {لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} : يشمل الكلمات الكونية والشرعية:

أما الكونية: فلا يستثنى منها شيء، لا يمكن لأحد أن يبدل كلمات الله الكونية: إذا قضي الله على شخص بالموت؛ ما استطاع أحد أن يبدل ذلك. إذا قضى الله تعالى بالفقر؛ ما استطاع أحد أن يبدل ذلك...

أما الكلمات الشرعية؛ فإنها قد تبدل من قبل أهل الكفر والنفاق، فيبدلون الكلمات: إما بالمعنى، وإما باللفظ إن استطاعوا، أو بهما.

وفي قوله: {لِكَلِمَاتِهِ} دليل على أن القرآن كلام الله تعالى [1]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 419

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 422

- من أنكر كلام الله فقد أبطل الشرع والقدر :

اعلم أن ابن القيم رحمه الله ذكر أننا إذا أنكرنا أن الله يتكلم؛ فقد أبطلنا الشرع والقدر:

- أما الشرع؛ فلأن الرسالات إنما جاءت بالوحي ، والوحي كلام مبلغ إلى المرسل إليه، فإذا نفينا الكلام؛ انتفى الوحي، وإذا انتفى الوحي؛ انتفى الشرع.

- أما القدر؛ فلأن الخلق يقع بأمره؛ بقوله: كن! فيكون؛ كما قال تعالى:)إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يّس:82). [2]

فهو سبحانه وتعالى يتكلم، والكلام كمال، ولهذا يعد الخرس عيبا ونقصا، فله الكلام، وكلامه سبحانه وتعالى بحرف وصوت ... لقوله تعالى: (وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً) (مريم: 52) فالمناداة بصوت مرتفع، والمناجاة بصوت منخفض، وكل ذلك وصف الله به نفسه قال: (وَنَادَيْنَاهُ) وقال: (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً) فهذه كلها صفة للصوت ...

وكلام الله أيضاً يتعلق بمشيئته ابتداء وانتهاء وكيفية، يعني متى شاء تكلم، ومتى شاء لم يتكلم، وبكيفية يشاءها، إن شاء تكلم بصوت مرتفع، وإن شاء تكلم بصوت غير مرتفع، إن شاء تكلم بالعربية، ،إن شاء تكلم بغير العربية ... فيكلم محمدا بالعربية ويكلم موسى بالسريانية، وهذا هو الظاهر لنا، وإن كان من الجائز أن يكلمه الله بالعربية، وان يلقي له فهما خاصا في تلك اللحظة يفهم به اللغة العربية، وهذا جائز عقلا، لكنه خلاف الظاهر، ونحن ليس لنا إلا الظاهر ... وكذلك يتكلم بما شاء، بالأمر والنهي والخبر والاستخبار الذي هو الاستفهام وغير ذلك، ويتكلم بما شاء... ولهذا قال أهل العلم من أهل السنة: إن الله يتكلم بحرف وصوف، بما شاء، متى شاء، كيف شاء ... لأن الكلام لا يعقل إلا بحرف وصوت.

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 435

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 100/2

وقال أهل البدع قولا كثيرا في الكلام بلغ إلى ثمانية أقوال بالإضافة إلى قول أهل السنة والجماعة، ذكرها ابن القيم رحمه الله، في مختصر الصواعق المرسلة ، ونذكر منها قولين مشهورين:

القول الأول: قول الجهمية والمعتزلة وأتباعهما، يقولون: إن الله تعالى يتكلم بكلام يسمع، وبحرف، ومتى شاء، وبما شاء، ولكن ليس كلامه صفة فيه، بل كلامه مخلوق من مخلوقاته بائن منه، يخلق كلاما في الهواء أو في جهة معينة، ثم يسمع فيضاف إلى الله إضافة تشريف وخلق ...

وعلى قاعدتكم هذه نقول: كل كلام يمكن أن يكون كلام الله، حتى كلام البشر يمكن أن نقول: إنه كلام الله؛ لأنه مخلوق في الإنسان، بل إن كلام البشر على قاعدتكم يكون أشرف من كلام الله، لأنه مسموع من البشر، الذي فضله الله على كثير ممن خلق تفضلا، وكلام الله عندكم مسموع من شجرة أو من جانب جبل أو ما أشبه ذلك!!

ومن ثم ادعى أهل الحلول أن كل كلام فهو كلام الله، حتى نعيق الطيور وأصواتها كلام الله، وقال قائلهم:

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه ... لكن هذا القول وإن كان الجهمية والمعتزلة ينكرونه، لكنه لازم لهم ... ومن ثم بنوا على هذا قولهم: إن القرآن مخلوق، وغير منزل ...

ويمكن الرد عليهم فيما استدلوا به كما يلي:

أولا: أما الآية التي استدلوا بها، وهي قوله تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) (الرعد: الآية16) ... من المعلوم أن الكلام معنى يقوم بالغير، وليس عينا قائمة بنفسها، فإذا أضافه الله إليه فهو من باب إضافة الصفة إلى موصوفها.

أما بالنسبة لقولهم: أن الله انزل الحديد والأنعام والمطر وهي مخلوقة، فنقول: هذه أعيان قائمة بنفسها، لا يصح أن تكون صفة لله عز وجل، بخلاف الكلام...

ولهذا ذكر ابن القيم رحمه الله في النونية أن هذا القول يترتب عليه إبطال الخلق والأمر جميعا، لأنه لا يكون الخلق بقوله: ((كن)) ، ولا الشرع بقوله: ((افعلوا)) ، وإنما بأشياء مخلوقة بمخلوقة، وهذا إبطال للشرع والقدر...

أما القول الثاني: فقول الأشاعرة حيث قالوا: إن كلام الله صفة من صفاته وليس بمخلوق، ولكن الكلام الذي نقر به هو المعنى القائم بنفسه، وليس الشيء المسموع الذي يكون بالحروف، فإن هذا الشيء المسموع الذي يكون بالحروف خلق من مخلوقات الله، خلقه الله تعبيرا عما في نفسه، وليس هو كلام الله، لكن إضافته إلى الله من باب المجاز، فتجوز عما كان عبارة عن الشيء فسمي به الشيء، فسمي كلام الله لأنه عبارة عنه، وليس هو كلام الله، بل الكلام هو المعنى القائم بالنفس، وهو أزلي أبدي لا يتعلق بمشيئته، بل هو وصف لازم له كلزوم الحياة والعلم والقدرة.

وعلى زعمهم هذا فهو لا يتكلم متى شاء، كما أنه لا يعلم متى يشاء، بل علمه لازم لذاته، فهم يقولون: الكلام لازم لذاته ولا يتعلق بمشيئته، وعلى ذلك فالجهمية والمعتزلة خير منهم من هذا الوجه؛ لأنهم يقولون: إن كلام الله يتعلق بمشيئته لكنه مخلوق، وهم يقولون لا يتعلق بمشيئته ولا بإرادته.

ثم يقولون: إن ما يسمعه محمد صلى الله عليه وسلم وموسى وغيرهما من كلام الله، إنما هو شيء مخلوق، فهم قد شاركوا الجهمية والمعتزلة في أن ما يسمع مخلوق، لكن الجهمية قالوا: هو كلام الله، وهؤلاء قالوا: عبارة عن كلام الله، فوافقوا الجهمية في أن المسموع مخلوق، وخالفوهم في أنهم قالوا: إنه عبارة، وهؤلاء قالوا: إنه حقيقة.

فصار المعتزلة والجهمية خيراً منهم من هذا الوجه؛ لأن الجهمية والمعتزلة يقولون هذا كلام الله، وهم يقولون: هذا ليس كلام الله، بل هو عبارة عن كلام الله، مع أن الله يصرح أنه كلامه ...

ونحن نقول: إن دعواهم بان الكلام هو المعنى القائم بالنفس هذه دعوى يكذبها الشرع وتكذبها اللغة وإذا كانت يكذبها الشرع وتكذبها اللغة فهي باطلة.

أما الشرع: فلأن الله تعالى وصف القرآن بأنه كلام الله، والأصل أن الصفة حقيقة في موصوفها، وهذا القرآن مسموع، وبحروف، ويتعلق بالمشيئة. فكذب دعواهم بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس.

وأما مخالفته للغة: فلأنه لا يقال في اللغة للكلام كلام حتى يخرج باللسان، وإنما يذكر الكلام القائم بالنفس كلاما مقيدا، فيقال حدث نفسه، ويقال: حديث النفس، ويقال يقول في نفسه، إما عند الإطلاق فإن القول والكلام لا يقال إلا لما يسمع ويكون بالحروف

فإذا قالوا: إن الله تعالى يقول: (وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُول) (المجادلة: الآية 8) قلنا: هذا رد عليكم وليس لكم، بل هو دليل عليكم وليس لكم؛ لأن الله لما أراد حديث النفس قال: (وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ) ولما أراد حديث اللسان قال: (بِمَا نَقُول) فأطلق، وذلك في قوله تعالى (لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُول) (المجادلة: الآية 8) ولم يقولوا: بما نقول في أنفسنا؛ لأنهم يقولون بألسنتهم، لكن يحدثون أنفسهم ويقولون: لولا يعذبنا الله بما نقول.

فحديث النفس لا يسمى قولا ولا كلاما ولا حديثا إلا مقيدا، وأما القول والحديث والكلام عند الإطلاق فإنما هو القول المسموع الذي يكون بالحروف.

ثم إننا نقول لهم: أي فرق بين العلم والكلام على ما زعمتم، لأن حقيقة الأمر أنه إذا كان الكلام هو ما قدره الله في نفسه صار معناه العلم، فلا فرق بن العلم والكلام على زعمكم.

فإن قالوا: قال الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

قلنا: وهذا دليل عليكم أيضاً وليس لكم؛ لأن الشاعر يريد أن الكلام المعتبر هو الذي يخرج من القلب، ولكنه لا يسمى كلاما ولا يضاف إلى الإنسان حتى يقوم عليه الدليل، والدليل لا يكون إلا باللسان الذي ينطق فيسمع، ويكون بحروف.

هذا إذا تنزلنا وقبلنا أن نوافق على الاستشهاد بهذا البيت، وأما إذا قيل: إن القائل لهذا البيت هو الأخطل، فإنه لا ليل فيه؛ لأن الأخطل من النصارى، وهم يجوزون من الوهميات ما تجيزه العقول، فالنصارى يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، ويقولون: نحن موحدون، وكيف يكون موحد من جعل الإله ثلاثة؟! فهم عندهم خطأ وعندهم ضلال، ولهذا وصفوا بأنهم ضالون، وإن قولا يستشهد له ويستدل له بأقوال النصارى لقول مبني على شفا جرف هار.

وعلى كل حال فنحن إذا سلمنا جدلا بالاستدلال بهذا البيت، فهو دليل عليهم لا لهم ...

وعلى ذلك فإن الأشاعرة يخالفون أهل السنة في الكلام من وجوه:

أولاً: أنه معنى وليس بحرف وصوت.

ثانياً: أنه لازم لذات الله، ولا يتعلق بمشيئته وإرادته - وأهل السنة والجماعة يقولون: إنه متعلق بمشيئته وإرادته، فمتى شاء تكلم، ومتى شاء لم يتكلم.

وإذا قال قائل: على أي شيء بنى المعتزلة والأشاعرة قولهم؟

نقول: أما المعتزلة فبنوا قولهم على نفي الصفات عن الله؛ لأنهم ينفون صفة الكلام، وينفون أنه يتكلم. فهم يثبتون الأسماء ولا يثبتون الصفات.

وأما الأشاعرة فبنوا قولهم على امتناع قيام الحوادث بالله، وقالوا: الشيء الحادث الذي يقوم بالمشيئة لا يقوم بالله أبدا، قالوا: لأن الحادث لا يقوم إلا بحادث، فإذا قامت بالله الحوادث لزم من ذلك أن يكون حادثا، وهذا لا شك أنه خطأ.

أما مذهب المعتزلة والجهمية فظاهر خطؤه؛ لأنهم ينكرون جميع الصفات، ونحن نثبت لله جميع ما أثبته لنفسه.

وأما الأشعرية فنقول: من قال:، إن الحادث لا يقوم إلا بحادث؟! فقد يقوم الحادث بالقديم أي بالأزلي الأبدي، وهذا من كمال الله، أن يكون فعله متعلقا بمشيئته، وان يحدث من أمره ما شاء، ونقول لهم: ماذا تقولون في قوله تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يّس: 82) فالآية واضحة، بأنه عند إرادة الشيء يقول له كن فيكون ...

فإن ادعوا أن المراد: يقول في الأزل: كن. فالجواب أن هذا خلاف الظاهر؛ لأن (كُنْ فَيَكُونُ) تدل على أن هذه عقب هذه، وهذا يستلزم أن يكون قوله حادثا عند وجود ما أراده عز وجل. [1]

كلامه سبحانه وتعالى أزلي من حيث النوع، أما من حيث الآحاد فانه متعلق بمشيئته وليس أزليا [2]

- يقول العلماء: (منه بدأ) منه: أي من الله بدأ، فلم يبتدئه أحد قبله، وإذا كان منه بدأ فهو كلامه يرجع إليه.

فإن قال قائل: أليس الله يقول: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) (الحاقة: 40) (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ) (الحاقة: الآية 41) ، فنسبه إلى محمد صلى الله عليه وسلم؟ لقلنا: إن الله تعالى نسبه إلى محمد لأنه مبلغ، والدليل على هذا أن الله نسبه في آية أخرى إلى جبريل، ومعلوم أن الكلام الواحد لا يصدر من متكلمين ...

(ثم إليه يعود) ، ومعنى إليه يعود على وجهين:

الوجه الأول: إليه يعود وصفاً فلا يوصف به غيره.

والوجه الثاني: إليه يعود في آخر الزمان؛ حيث جاء في الآثار أن هذا القرآن ينزع من صدور الناس ومن بطون المصاحف، حتى يصبح الناس وليس بين أيديهم قرآن، وليس في صدورهم قرآن، كما أن الكعبة تهدم وتمحى من الأرض، وذلك فيما إذا أعرض الناس عن ذلك القرآن

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 172

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 216

إعراضا كليا، فان الله تعالى يغار على كلامه أن يبقى بين أناس معرضين عنه إعراضا كليا، والكعبة أيضا لا يسلط الله عليها أحدا إلا إذا لم يقم أهلها بما يجب لها من التعظيم، فإن الله يسلط عليها الرجل الحبشي فيقضها حجراً حجرا حتى تلقى في البحر – نسال الله العافية –. [1]

– المخالفون لأهل السنة في كلام الله تعالى :

خالف أهل السنة في كلام الله طوائف نذكر منها طائفتين:

الطائفة الأولى: الجهمية، قالوا: ليس الكلام من صفات الله، وإنما هو خلق من مخلوقات الله يخلقه الله في الهواء، أو في المحل الذي يسمع منه، وإضافته إلى الله إضافة خلق، أو تشريف مثل ناقة الله، وبيت الله.

ونرد عليهم بما يلي:

1– أنه خلاف إجماع السلف.

2– أنه خلاف المعقول، لأن الكلام صفة للمتكلم وليس شيئاً قائماً بنفسه منفصلاً عن المتكلم.

3– أن موسى سمع الله يقول: (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي)(9). ومحال أن يقول ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى.

الطائفة الثانية: الأشعرية، قالوا: كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته، وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله.

ونرد عليهم بما يلي:

1– أنه خلاف إجماع السلف.

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 220

2- أنه خلاف الأدلة؛ لأنها تدل على أن كلام الله يسمع، ولا يسمع إلا الصوت ولا يسمع المعنى القائم بالنفس.

3- أنه خلاف المعهود؛ لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه. [1]

- تعليق على كلام شيخ الإسلام في الواسطية :

قوله: (متكلم بكلام قديم) يعني قديم النوع حادث الآحاد لا يصلح إلا هذا المعنى على مذهب أهل السنة والجماعة، وإن كان ظاهر كلامه أنه قديم النوع والآحاد. [2]

26/ القرآن كلام الله تعالى :

قوله: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ} [التوبة:6]

والمعنى: إن أحد استجارك ليسمع كلام الله؛ فأجره حتى سمع كلام الله؛ أي: القرآن، وهذا بالاتفاق ...

وعقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن؛ يقولون: إن القرآن كلام الله، منزل، غير مخلوق منه بدأ، وإليه يعود.

قولهم: "منزل": دليلة قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البقرة:185] ...

وقولهم: "غير مخلوق": دليله: قوله تعالى: {أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ} [الأعراف:54] ؛ فجعل الخلق شيئاً والأمر شيئاً آخر؛ لأن العطف يقتضي المغايرة، والقرآن من الأمر؛ بدليل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْأِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} [الشورى:52] ؛ فإذا كان القرآن أمراً، وهو قسيم للخلق؛ صار غير مخلوق؛ لأنه لو كان مخلوقاً؛ ما صح التقسيم. وهذا دليل سمعي.

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 72

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 74

أما الدليل العقلي؛ فنقول: القرآن كلام الله، والكلام ليس عيناً قائمة بنفسها حتى يكون بائناً من الله، ولو كان عيناً قائمة بنفسها بائنة من الله؛ لقلنا: إنه مخلوق، لكن الكلام صفة للمتكلم به، فإذا كان صفة للمتكلم به، وكان من الله؛ كان غير مخلوق؛ لأن صفات الله عز وجل كلها غير مخلوقة.

وأيضاً؛ لو كان مخلوقاً؛ لبطل مدلول الأمر والنهي والخبر والاستخبار؛ لأن هذه الصيغ لو كانت مخلوقة. لكانت مجرد أشكال خلقت على هذه الصورة لا دلالة لها على معناها؛ كما يكون شكل النجوم والشمس والقمر ونحوها .

وقولهم: "منه بدأ"؛ أي: هو الذي ابتدأ به، وتكلم به أولاً. والقرآن أضيف إلى الله وإلى جبريل وإلى محمد، صلى الله عليه وسلم ... لكن أضيف إليهما لأنهما يبلغانه، لا لأنهما ابتدأاه.

وقولهم: "وإليه يعود": في معناه وجهان :

الأول: أنه كما جاء في بعض الآثار: يسرى عليه في ليلة، فيصبح الناس ليس بين أيديهم قرآن؛ لا في صدورهم، ولا في مصاحفهم، يرفعه الله عز وجل . وهذا-والله أعلم-حينما يعرض عنه الناس إعراضاً كلياً؛ لا يتلونه لفظاً ولا عقيدة ولا عملاً؛ فإنه يرفع؛ لأن القرآن أشرف من أن يبقى بين يدي أناس هجروه وأعرضوا عنه فلا يقدرونه قدره، وهذا-والله أعلم-نظير هدم الكعبة في آخر الزمان ...

الوجه الثاني: في معنى قولهم: "وإليه يعود": أنه يعود إلى الله وصفاً؛ أي أنه لا يوصف به أحد سوى الله فيكون المتكلم بالقرآن هو الله عز وجل، وهو الموصوف به.

ولا مانع أن نقول: إن المعنيين كلاهما صحيح.

هذا كلام أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم. [1]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 426

- الرد على المعتزلة في قولهم أن القرآن مخلوق :

يرى المعتزلة أن القرآن مخلوق، وليس كلام الله! ... والجواب من وجهين:

الأول: أن القرآن كلام الله تعالى، وهو صفة من صفات الله، وصفات الخالق غير مخلوقة.

الثاني: أن مثل هذا التعبير {كُلِّ شَيْءٍ} عام قد يراد به الخاص؛ مثل قوله تعالى عن ملكة سبأ: {وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ}[النمل:23] ، وقد خرج شيء كثير لم يدخل في ملكها منه شيء؛ مثل ملك سليمان...

- إذا قلنا: إنه مخلوق. لزم من ذلك:

أولاً: تكذيب للقرآن ...

ثانياً: إذا قلنا: إنه مخلوق؛ فإنه يلزم على ذلك إبطال مدلول الأمر والنهي والخبر والاستخبار؛ لأن هذه الصيغ لو كانت مخلوقة؛ لكانت مجرد شكل خلق على هذه الصورة؛ كما خلقت الشمس على صورتها ...

ثالثاً: إذا قلنا: إن القرآن مخلوق، وقد أضافه إلى نفسه إضافة خلق؛ صح أن نطلق على كل كلام من البشر وغيرهم أنه كلام الله؛ لأن كل كلام الخلق مخلوق، وبهذا التزم أهل الحلول والاتحاد ...

والوجه الرابع: أن نقول: إذا جوزتم أن يكون الكلام-وهو معنى لا يقوم إلا بمتكلم – مخلوقاً؛ لزمكم أن تجوزوا أن تكون جميع صفات الله مخلوقة؛ إذ لا فرق؛؛ فقولوا إذا: سمعه مخلوق، وبصره مخلوق.... وهكذا [1]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 430

– قول الإمام أحمد:" من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي، ومن قال : غير مخلوق؛ فهو مبتدع " .

نقول: اللفظ يطلق على معنيين: على المصدر الذي هو فعل الفاعل، وعلى الملفوظ به:

اما على المعنى الأول الذي هو المصدر؛ فلا شك أن ألفاظنا بالقرآن وغير القرآن مخلوقة لأننا إذا قلنا: إن اللفظ هو التلفظ؛ فهذا الصوت الخارج من حركة الفم واللسان والشفتين مخلوق...

– أما إذا قصد باللفظ الملفوظ به؛ فهذا منه مخلوق، ومنه غير مخلوق. وعليه؛ إذا قصد باللفظ الملفوظ به؛ فهذا منه مخلوق، منه غير مخلوق، وعليه؛ إذا كان الملفوظ به هو القرآن؛ فليس بمخلوق.

هذا تفصيل القول في هذا المسألة.

– لكن الإمام أحمد رحمه الله قال:" من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي" قال ذلك لأحد احتمالين:

– إما أن هذا القول من شعار الجهمية؛ كان الإمام أحمد يقول: إذا سمعت الرجل يقول: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فاعمل أنه جهمي.

– وإما أن يكون ذلك حين يريد القائل باللفظ الملفوظ به، وهذا أقرب؛ لأن الإمام أحمد فسره؛ قال:" من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ يريد بالقرآن؛ فهو جهمي ".

– وحينئذ يتضح معنى قوله:" من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي" لأنه أرد الملفوظ به، ولا شك أن الذي يريد باللفظ هنا الملفوظ به جهمي.

– أما من قال: غير مخلوق؛ فالإمام أحمد يقول: مبتدع؛ لأن هذا ما عهد عن السلف، وما كانوا يقولون مثل هذا القول؛ يقولون: القرآن كلام الله؛ فقط [1]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 95

- حكم قول أن القرءان حكاية أو عبارة عن كلام الله :

لا يجوز ان نقول: هذا القرآن عبارة عن كلام الله؛ إطلاقاً، ولا يجوز أن نقول أنه حكاية: هم الكلابية والذين قالوا: إنه عبارة: هم الأشعرية .

والكل اتفقوا على أن هذا القرآن الذي في المصحف ليس كلام الله ، بل هو إما حكاية أو عبارة، والفرق بينهما :

أن الحكاية المماثلة؛ تعني: كأن هذا المعنى الذي هو الكلام عندهم حُكي بمرآة؛ كما يحكي الصدى كلام المتكلم .

أما العبارة؛ فيعني بها أن المتكلم عبر عن كلامه النفسي بحروف وأصوات خلقت .

فلا يجوز أن نطلق أنه حكاية أو عبارة، لكن عند التفصيل؛ قد يجوز أن نقول: إن القارئ الآن يعبر عن كلام الله أو يحكي كلام الله؛ لأن لفظه بالقرآن ليس هو كلام الله .

وهذا القول على هذا التقييد لا بأس به، لكن إطلاق أن القرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله لا يجوز . [1]

- إثبات أن القرآن منزل من الله تعالى :

{وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ} [الأنعام: 155] .

{لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} [الحشر: 21] .

وثبوت نزوله من الله دليل على أنه كلامه.[2]

- تفاضل القرءان :

القرآن يتفاضل ... أما باعتبار المتكلم به، فإنه لا يتفاضل لأن المتكلم به واحد وهو الله عز وجل، وأما باعتبار مدلولاته وموضوعاته فإنه يتفاضل، فسورة الإخلاص التي فيها الثناء على

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/97

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 438

الله عز وجل بما تضمنته من الأسماء والصفات ليست كسورة المسد التي فيها بيان حال أبي لهب من حيث الموضوع كذلك، يتفاضل من حيث التأثير والقوة في الأسلوب، فإن من الآيات ما تجدها آية قصيرة لكن فيها ردع قوي للقلب وموعظة، وتجد آية أخرى أطول منها بكثير لكن لا تشتمل على ما تشتمل عليه الأولى، فمثلاً قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ} [البقرة: 282] .. إلخ، هذه آية موضوعها سهل، والبحث فيها في معاملات تجري بين الناس وليس فيها ذاك التأثير الذي يؤثره مثل قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاّ مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران: 185] [1]

- مسألة :

قال الأشاعرة: إن القرآن جاء به جبريل إلى محمد عليه الصلاة والسلام، وإذا جعلتموه صفة من صفات الله فكيف تنفك الصفة عن الموصوف؟ والجواب على هذا يسير؛ فأنا عندما أقول لشخص ما: بلغ فلانا بكذا وكذا، فالكلام كلامي أنا، وأما هذا فهو مبلغ فقط، فالكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئا، لا إلى من قاله مبلغاً.

وهذا الكلام - أصلا - هو كلام الله، لكن تكلم جبريل به هذا مخلوق، إما المتكلم به فهو كلام الله، فعندما أقرأ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاتحة: 2) (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (الفاتحة: 3) (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (الفاتحة: 4) فصوتي هذا مخلوق، لكن ما أصوت به هو صفة الله غير مخلوق

ولهذا وصف الله القرآن بأنه قول محمد صلى الله عليه وسلم وقول جبريل، ولا يمكن أن يكون قولا من قائلين؛ فقال تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) (التكوير: 19) (ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ) (التكوير: 20) ، والمراد بالرسول هنا جبريل، وقال تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 164

(الحاقة: 40) (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ) (الحاقة: 41)) ، والمراد بالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم، فأضاف الله تعالى القول إلى محمد صلى الله عليه وسلم مرة، وأضافه مرة أخرى إلى جبريل.

ومن المعلوم انه قول القائل الأول له؛ وهو الله عز وجل وليس محمدا صلى الله عليه وسلم ولا جبريل؛ ويبين ذلك قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الشعراء: 192) (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) (الشعراء: 193)) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ) (الشعراء: 194) ، وتنزيل رب العالمين هذا هو الأول من الثلاثة.

إذا فالكلام يضاف إلى أول من قاله، فلو قلت: (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) . فالذي قال هذا الكلام هو امرؤ القيس، وأنا قلت هذا الآن، لكنني قلته إما مبلغ إن كنت قد أمرت بتبليغه، وإما حاكيا إن لم أؤمر بتبليغه. [1]

- آية القرآن :

قال تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القرآن لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (الإسراء: 88) . فالإنس والجن متفرقون أو متعاونون لا يمكن أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

والدليل على هذا من الواقع أن القرآن نزل في قوم هم أفصح العرب، وبلغة هؤلاء القوم، ومع ذلك عجزوا عن معارضته ...

وقد تحداهم الله عز وجل أن يأتوا بمثله فعجزوا: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ) (البقرة: الآية23) ، وتحداهم بعشر سور فعجزوا، وتحداهم بسورة فعجزوا،

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 183

وتحداهم بآية فعجزوا، وقال تعالى: (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) (الطور: 34)، أي: حديث مثله إن كانوا صادقين فعجزوا ...

- كان ينبغي ... ألا يعبر عن آيات الأنبياء بالإعجاز؛ لأن الإعجاز ليس من خصائص الأنبياء، فإن الساحر يعجز، والبهلواني يعجز، فلما كان هذا اللفظ مشتركاً بين الحق والباطل، كان الأولى أن نأتي بلفظ يتعين فيه الحق، وهو ما نطق الله به وهو (الآيات) كما قال الله تعالى في القرآن: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) (العنكبوت: الآية49) ...

ولهذا نقول كان من الأولى أن يعبر عن معجزات الأنبياء التي تسمى معجزات بالآيات.

وقد قال بعض الناس: إن معجزات السحرة لا تشتبه بآيات الأنبياء؛ لأن آيات الأنبياء مقرونة بالتحدي، وهذا غير صحيح؛ لأن آيات الأنبياء تارة تكون تحدياً؛ وتارة تكون ابتداءً بدون تحد. فقد جاء الصحابة رضي الله عنهم إلى الرسول عليه الصلاة والسلام في غزوة الحديبية، وقالوا له: يا رسول الله، ليس عندنا ماء، فدعا بإناء فوضع أصابع يده عليه فجعل الماء يفور من بين أصابعه ، وليس في هذا تحد [1]

فإن قيل: كيف كان القرآن آية؟ أبلفظه أم بمعناه أم بصدق مخبره أم بماذا؟

فالجواب: أنه آية بكل معنى الآية في اللفظ والأسلوب والمعنى وأنه مهما كررته فلا يمكن أن تمل منه، وهذه الفاتحة نكررها في اليوم مرات ومرات ولا نملها أبدا، وهذا على عكس أي كلام آخر، فلو قرئت قطعة من أحسن قصيدة من قصائد العرب وكررتها في اليوم مرتين فإنك تمل ... وربما إذا وفقك الله للتدبر أن يفتح الله عليك في المرة الثانية من المعاني واللطائف ما لم تجده في المرة الأولى.

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 538

وكذلك أيضاً في تأثيره على القلب، فإن الإنسان إذا قرأه بتدبر فإنه يلين القلب، ويوجه الإنسان إلى ربه، ويوجد طعماً عجيباً للإيمان، قال ابن عبد القوي رحمه الله في داليته المشهورة:

وحافظ على درس القرآن فإنه ... يلين قلباً قاسياً مثل جلمد ...

ومن آيات القرآن الإصلاح التام إذا تمسكت به الأمة ...

ومن ذلك أيضاً أن القرآن بمجرد ما يسمعه الإنسان يشعر بأنه قامت عليه الحجة، قال تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ) (التوبة: الآية6) ...

. ومن آيات القرآن الآثار العظيمة التي لم تكن لأي أمة قامت بكتاب؛ فتح المسلمون بالقرآن مشارق الأرض ومغاربها، وهذا لم يوجد لأي كتاب آخر.

فإذاً القرآن كله آيات من كل وجه؛ في لفظه، ومعناه، وأسلوبه، وتأثيره، وآثاره، ولا يوجد له نظير [1]

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم؛ فمن ذلك:

1- عجز الناس أن يأتوا بمثله، ولا بسورة، ولا بحديث. مع أنهم أمراء الفصاحة والبلاغة، وهذا لا شك أنه من آيات الله عز وجل.

لكن الغريب أن بعض العلماء قال: إنهم عجزوا بالصرفة لا بمقتضى الطبيعة، يعني أنهم قادرون من حيث طبيعتهم على معارضة القرآن، لكن صرفوا، أي صرفهم الله عن معارضته، فيكون إعجاز القرآن على هذا القول لا لذات القرآن، ولكن لأمر خارج وهو صرفهم عن المعارضة، وهذا القول باطل لا شك في ذلك.

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 541

ثم على تقدير التسليم، فإن القرآن يعتبر بذلك آية؛ لأن كون الله صرفهم عن معارضته يدل على أنه لا تمكن معارضته شرعاً، ولكن الذي نرى أنه الصواب أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله طبعاً لا صرفاً، بمعنى أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله.

2- تأثيره وآثاره؛ تأثيره على القلوب، وآثاره في الفتوحات وانتصار الأمة الإسلامية وإعزازها وغير ذلك.

3- أن قارئه لا يمل منه ولو كرره عدة مرات، بخلاف غيره فإنه مهما كان من الفصاحة والبلاغة فإنه يمل.

4- حفظ الله له حيث بقي إلى وقتنا الحاضر في القرن الخامس عشر، ولم يستطع أحد أن يغير منه حرفاً واحداً، بينما الكتب السابقة بقيت دون ذلك وحرفت.

5- ما فيه من الأخبار السابقة واللاحقة، حيث يخبر عن الشيء فيقع كما اخبر ويخبر عن الماضي، ولا شك أن الماضي كما اخبر، ولهذا قال الله تعالى في سورة إبراهيم: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) (إبراهيم: الآية9) ، ولهذا يجب التحري في نقل أخبار الأمم السابقة؛ لأنه لا يعلمهم إلا الله عز وجل.

والمهم أن القرآن من أعظم المعجزات للنبي صلى الله عليه وسلم، وأقول: من أعظم المعجزات تبعاً للمؤلف، وإلا فالصواب أن نقول: الآيات. [1]

- مناظرة جرت عند خليفة بين الأذرمي وصاحب بدعة :

قال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها؟ قال: لم يعلموها. قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت؟!! قال الرجل: فإني أقول: قد علموها. قال: أفوسعهم ألا

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 558

يتكلموا به، ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟ قال: بلى وسعهم. قال فشيء وسع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وخلفاؤه، لا يسعك أنت؟!! فانقطع الرجل. فقال الخليفة -وكان حاضراً-: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم.

وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت فلا وسع الله عليه. [1]

لم أطلع على ترجمة للأذرمي ومن معه ولا أعلم نوع البدعة المذكورة، والمهم أن نعرف مراحل هذه المناظرة لنكتسب منها طريقاً لكيفية المناظرة بين الخصوم. وقد بنى الأذرمي رحمه الله مناظرته هذه على مراحل ليعبر من كل مرحلة إلى التي تليها حتى يفحم خصمه.

المرحلة الأولى: "العلم" فقد سأله الأذرمي هل علم هذه البدعة النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه؟

قال البدعي: لم يعلموها.

وهذا النفي يتضمن انتقاص النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه حيث كانوا جاهلين بما هو من أهم أمور الدين، ومع ذلك فهو حجة على البدعي إذا كانوا لا يعلمونه، ولذلك انتقل به الأذرمي إلى:

المرحلة الثانية: إذا كانوا لا يعلمونها فكيف تعلمها أنت؟ هل يمكن أن يحجب الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين علم شيء من الشريعة ويفتحه لك؟

فتراجع البدعي وقال: أقول: قد علموها، فانتقل به إلى:

---

[1] لمعة الاعتقاد للعلامة ابن قدامة

المرحلة الثالثة: إذا كانوا قد علموها فهل وسعهم أي أمكنهم أن لا يتكلموا بذلك ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟

فقال له الأذرمي: فشيء وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاءه لا يسعك أنت، فانقطع الرجل وامتنع عن الجواب لأن الباب انسد أمامه.

فصوب الخليفة رأي الأذرمي، ودعا بالضيق على من لم يسعه ما وسع النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه.

وهكذا كل صاحب باطل من بدعة أو غيرها فلابد أن يكون مآله الانقطاع عن الجواب. [1]

27/ صفة النزول لله :

- ما معنى النزول وهل الله سبحانه وتعالى ينزل بذاته؟

النزول: يعني إلى السماء الدنيا، وذلك لأنه تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو اشتهر اشتهاراً قريباً من التواتر أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، ينزل - نزولاً حقيقياً؛ بذاته إلى السماء الدنيا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له))

وقائل ذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم ... وهذه صفات أربع يتصف بها كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وبها يتم الكلام، وهي: العلم والصدق والنصح والفصاحة.

فإذا قال: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا، فإن مراده يكون نزوله تعالى بذاته، وقد صرح أهل السنة بأن المراد نزوله بذاته، وصرحوا بكلمة بذاته مع أننا لا نحتاج إليها، لأن الأصل أن كل فعل أو اسم أضافه الله إليه فهو إلى ذاته، فهذا هو الأصل في الكلام...

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 45

وهكذا كل ما أضافه الله إلى نفسه من فعل أو اسم فالمراد إليه ذاته، لكن على وجه لا نقص فيه ...

وقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على أن المراد: ينزل ربنا بذاته سبحانه وتعالى...

- هل النزول يستلزم أن تكون السماء الدنيا تقله، والسماء الثانية فوقه؟

والجواب: لا يلزم، بل نعلم أنه لا يمكن، وذلك لأنه لو أقلته السماء الدنيا لكان محتاجاً إليها، ولو أقلته السماء الثانية لكانت فوقه، والله سبحانه وتعالى له العلو المطلق أزلاً وأبداً، إذاً فليست السماء الدنيا تقله ولا السماء الأخرى تظله.

- هل إذا نزل إلى السماء الدنيا يخلو منه العرش أو لا يخلو؟

في هذا ثلاثةُ أقوال لعلماء السنة:

- فمنهم من قال: إن العرش يخلو منه.
- ومنهم من قال: إن العرش لا يخلو منه.
- ومنهم من توقف.

فأما الذين قالوا: إن العرش يخلو منه، فقولهم باطل، لأن الله أثبت أنه استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض، ولم ينفِ هذا الاستواء في الحديث حين قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((ينزلُ ربنا إلى السماء الدنيا)) ، فوجب إبقاء ما كان على ما كان، وليس الله عز وجل كالمخلوقات، إذا شغل حيزاً فرغ منه الحيز الآخر ...

ويبقى النظر في القولين الآخرين، وهما: التوقف، أو أن نقول: إنه لا يخلو منه العرش.

فذهبت جماعة من العلماء رحمهم الله إلى التوقف، وقالوا: ما لنا ولهذا السؤال أصلاً. ولا ينبغي أن نورد هذا السؤال؛ لأننا لسنا أشد حرصاً على العلم بالله من الصحابة رضي الله عنهم، ولم يسألوا الرسول عليه الصلاة والسلام عن هذا، فنقول: هذا السؤال من أصله غير وارد، ونقول لمن أورده: أنت مبتدع ودعنا من هذا.

وعندي أن هذه الطريقة أسلم طريقة؛ أن لا نسأل عن شيء لم يسأل عنه الصحابة رضي الله عنهم، وأن نلقم من سأل عنه حجراً، فإذا قال قائل: أنا أريد المعقول، قلنا: اجعل عقلك في نفسك، وفكر في نفسك، أما في مثل هذا الأمر فلا تفكر فيه ما دام لم يأتك خبر عنه...

فنقول: سبحان الله! ألا يسعك ما وسع الصحابة رضي الله عنهم؟ ...

وذهب جماعة من العلماء إلى أنه لا يخلو منه العرش، لأن الله تعالى ذكر أنه استوى على العرش حين خلق السموات والأرض، ولم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا نزل خلا منه العرش، فالواجب بقاء ما كان على ما كان، فهو سبحانه استوى على العرش، ولم يزل مستوياً عليه، وينزل إلى السماء الدنيا في هذا الوقت، والله على كل شيء قدير، وهو سبحانه لا يقاس بخلقه.

كما إننا نقول جزماً: إنه إذا نزل إلى السماء الدنيا لم يكن نازلاً على المخلوقات، بل هو فوق كل شيء، وإن كان نازلاً إلى السماء الدنيا؛ لأن الله لا يقاس بخلقه، والى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى أن العرش لا يخلو منه . ولكني أميل إلى ترجيح القول الثاني وهو التوقف وألا يورد هذا السؤال أصلا ...

- استشكل كثيرٌ من الناس في عصرنا: كيف ينزل الله إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، ونحن نعلم أن ثلث الليل الآخر لا يزال سارياً جارياً على الأرض وتحت السماء، فيلزم من ذلك أن يكون النزول إلى السماء الدنيا دائماً؟

والجواب على هذا أن نقول: ليس هناك إشكال في نزول الله تعالى في الثلث الأخير رغم استمرار تتابعه على الأرض، ونحن نؤمن بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((ينزل حتى يطلع الفجر)) ، فإذا كان كذلك فالواجب علينا ألا نتجاوزه، فما دام ثلث الليل الآخر باقياً في منطقة من المناطق الأرضية فالنزول حاصل باقٍ، ومتى طلع الفجر في هذه المنطقة فلا نزول، وإن كان في الجهة الأخرى يوجد نزول، والله على كل شيء قدير، ولا يقاس سبحانه بالخلق؛

فينزل إلى السماء في ثلث الليل الآخر في جهة من الأرض، ولا ينزل بالنسبة لجهة أخرى ليس فيها ثلث الليل.

والحقيقة أن الإنسان إذا لزم الأدب مع الله ورسوله اطمأن قلبه، واستراح من التقديرات، أما إذا كان يورد على نفسه هذه المسائل فإنه ينتقل من مشكلةٍ إلى أخرى فيخشى عليه من الشك، نسأل الله العافية وأن يرزقنا اليقين، ولهذا يقول بعض السلف: أكثر الناس شَكاً عند الموت أهل الكلام، لأنهم فتحوا هذه المشاكل على أنفسهم وعجزوا عن حلها، لكن لو لزموا الأدب وقالوا ما قال الله ورسوله، وسكتوا عما سكت عنه الله ورسوله، لسلموا من هذا كله...

- هل النزول من الصفات الفعلية أو من الصفات الذاتية؟

والجواب: النزول من الصفات الفعلية، لأنه فعل يتعلق بالمشيئة، وكل فعل يتعلق بالمشيئة فإنه من الصفات الفعلية.

- الأفعال الاختيارية كمال لله في محلها الذي تقتضيه الحكمة، وفي غير محلها لا يمكن أن يتصف الله بها، لأنها في غير محلها لا تقتضيها الحكمة، والله سبحانه وتعالى أفعاله مقرونة بالحكمة ...

- هل أحد من أهل القبلة خالف في تفسير النزول على ما قلناه؟

الجواب: نعم؛ فمنهم من قال (ينزل ربنا) : أي تنزل رحمة ربنا. ومنهم من قال (ينزل ربنا) : أي مَلك من ملائكته، وهؤلاء إنما قالوا ذلك لأنهم ينكرون النزول الحقيقي.

والرد على هؤلاء أن نقول:

أولاً: أن قولهم هذا مخالف لظاهر النص؛ لأن ظاهره أن الذي ينزل هو الله عز وجل.

ثانياً: أن قولهم هذا مخالفٌ لصريح النص في قوله تعالى: (من يدعوني) ...

وأيضاً فإذا قلنا: إن الرحمة هي التي تنزل إلى السماء الدنيا، فإن هذا من الغلط؛ لأن رحمة الله ليس غايتها السماء الدنيا، بل إن الرحمة تنزل إلى الأرض حتى تبلغ الخلق، وأي فائدة لنا إذا نزلت الرحمة إلى السماء الدنيا ؟!

ثم إن الرحمة تنزل كل وقت ...

ثم إن الرحمة لا يمكن أن تقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه؛ لأن الرحمة صفة من صفات الله، ولو قالت هذا القول لكانت إلهاً مع الله، ولهذا لا يصح لنا أن ندعو صفات الله، حتى إن من دعا صفات الله فهو مشرك، فلو قال يا قدرة الله اغفر لي. يا مغفرة الله اغفر لي ...لأنه جعل الصفة بائنة عن الموصوف، مدعوة دعاء استقلالياً وهذا لا يجوز.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم (برحمتك استغيث) ، فهذا من باب التوسل، يعني استغيث بك برحمتك [1]

قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ﴾ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

قال بعض أهل العلم: إنه من الأحاديث المتواترة، واتفقوا على أنه من الأحاديث المشهورة المستفيضة عند أهل العلم بالسنة ...

– نزوله تعالى حقيقي؛ لأنه كما مر علينا من قبل: أن كل شيء كان الضمير يعود فيه إلى الله؛ فهو ينسب إليه حقيقة...

• وقوله: " كل ليلة " يشمل جميع ليالي العام ... والليل يبتدئ من غروب الشمس اتفاقاً لكن حصل الخلاف في انتهائه هل يكون بطلوع الفجر أو بطلوع الشمس والظاهر أن الليل الشرعي ينتهي بطلوع الفجر والليل الفلكي ينتهي بطلوع الشمس...

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 272

- المراد بالنزول هنا نزول الله نفسه، ولا نحتاج أن نقول: بذاته؛ ما دام الفعل أضيف إليه؛ فهو له، لكن بعض العلماء قالوا: ينزل بذاته؛ لأنهم لجاءوا إلى ذلك، واضطروا إليه؛ لأن هناك من حرفوا الحديث وقالوا: الذي ينزل أمر الله! وقال آخرون: بل الذي ينزل رحمة الله! وقال آخرون: بل الذي ينزل ملكٌ من ملائكة الله!

وهذا باطل؛ فإن نزول أمر الله دائماً وأبداً، ولا يختص نزوله في الثلث الأخير من الليل ... وأما قولهم: تنزل رحمة الله إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر! فسبحان الله! الرحمة لا تنزل إلا في هذا الوقت ...

يقولون: ... إذا نزل؛ أين العلو؟ وإذا نزل؛ أين الاستواء على العرش؟ ...

فنقول: هذا جدال بالباطل، وليس بمانع من القول بحقيقة النزول هل أنتم أعلم بما يستحقه الله عز وجل من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ فأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ما قالوا هذه الاحتمالات أبداً؛ قالوا: سمعنا وآمنا وقبلنا وصدقنا... نحن نقول: ينزل ، ولا نتكلم عن استوائه على العرش؛ هل يخلو منه العرش أو لا يخلو؟

أما العلو؛ فنقول: ينزل، لكنه عال عز وجل على خلقه؛ لأنه ليس معنى النزول أن السماء تقله، وأن السماوات الأخرى تظله؛ إذ إنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته فنقول: هو ينزل حقيقة مع علوه حقيقة، وليس كمثله شيء.

أما الاستواء على العرش فهو فعل، ليس من صفات الذات، وليس لن حق- فيما أرى- أن نتكلم هل يخلو منه العرش أو لا يخلو، بل نسكت كما سكت عن ذلك الصحابة رضي الله عنهم...

وإذا كان علماء أهل السنة لهم في هذا ثلاثة أقوال: قول بأنه يخلو، وقول بأنه لا يخلو، وقول بالتوقف.

وشيخ الإسلام رحمه الله في " الرسالة العرشية" يقول: إنه لا يخلو منه العرش؛ لأن أدلة استوائه على العرش محكمة، والحديث هذا محكم، والله عز وجل لا تقاس صفاته بصفات الخلق ...

ونقول: هو مستو على عرشه، نازل إلى السماء الدنيا، والله أعلم بكيفية ذلك، وعقولنا أقصر وأدنى وأحقر من أن تحيط بالله عز وجل....

وأورد المتأخرون الذين عرفوا أن الأرض كروية وأن الشمس تدور على الأرض إشكالاً؛ قالوا: كيف ينزل في ثلث الليل؟ وثلث الليل إذا انتقل عن المملكة العربية السعودية؛ ذهب إلى أوربا وما قاربها؟ أفيكون نازلاً دائماً؟ فنقول: آمن أولاً بأن الله ينزل في هذا الوقت المعين، وإذا آمنت؛ ليس عليك شيء وراء ذلك، لا تقل: كيف ؟ وكيف؟ بل قل: إذا كان ثلث الليل في السعودية؛ فالله نازل، وإذا كان في أمريكا ثلث الليل؛ يكون نزول الله أيضاً، وإذا طلع الفجر؛ انتهى وقت النزول في كل مكان بحسبه [1]

28/ صفة العجب لله :

وقوله صلى الله عليه وسلم: " عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ... " حديث حسن

العجب: هو استغراب الشيء، ويكون ذلك لسببين:

السبب الأول: خفاء الأسباب على هذا المستغرب للشيء المتعجب منه؛ بحيث يأتيه بغتة بدون توقع، وهذا مستحيل على الله تعالى؛ لأن الله بكل شيء عليم ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

والثاني: أن يكون السبب فيه خروج هذا الشيء عن نظائره وعما ينبغي أن يكون عليه بدون قصور من المتعجب؛ بحيث يعمل عملاً مستغرباً لا ينبغي أن يقع من مثله وهذا ثابت لله عز وجل؛ لأنه ليس عن نقص من المتعجب، ولكنه عجب بالنظر إلى حال المتعجب منه [2]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 13

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 27

29/ صفة الخلق لله :

الخلق صفة من صفات الله عز وجل الفعلية من حيث آحادها وأنواعها.

أما من حيث الأصل فهي صفة ذاتية؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال خلاقاً.

وقد ثبتت هذه الصفة بقوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ) (الحشر: الآية 24) ...

والمهم أن من صفات الله الخلق ... الأشاعرة لا يثبتون هذه الصفة لله، وإنما يثبتها الماتريدية، حيث أنهم يثبتون ثماني صفات، والأشاعرة يثبتون سبعاً .

فالخلق إذاً صفة ذاتية من حيث الأصل، وهي صفة فعلية من حيث النوع والآحاد، فالله تعالى يخلق ما يشاء بالنوع، ويخلق ما يشاء بالآحاد. فالإنسان مثلاً مخلوق بالنوع، وبالآحاد من حيث كل إنسان على حدة. فخلق الله للإنسان من حيث هو، يعتبر واحداً بالنوع، وخلق الله للإنسان باعتبار كل فرد يعتبر واحداً بالشخص، أي بالآحاد.

أما من حيث الفعل لله عز وجل الذي هو صفة الخلق، فإن الله لم يزل ولا يزال خلاقاً، فهو من الصفات الذاتية. [1]

الخلق الذي ننسبه إلى الله عز وجل هو الإيجاد وتبديل الأعيان من عين لأخرى؛ فلا أحد يوجد إلا الله عز وجل، ولا أحد يبدل عيناً إلى عين؛ إلا الله عز وجل، وما قيل: إنه خلق؛ بالنسبة للمخلوق؛ فهو عبارة عن تحويل شيء من صفى إلى صفة ... لكنه ليس الخلق الذي يختص به الخالق، وهو الإيجاد من العدم، أو تبديل العين من عين إلى أخرى. [2]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 281

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/211

30/ قيام الشيء بالله عز وجل :

يشمل ثلاثة أشياء: الإيجاد، والإمداد، والإعداد.

أولاً: الإيجاد: فلولا الله عز وجل ما وجدت الأشياء، فهو الذي أوجد الأشياء عز وجل بقدرته وبحكمته، وهذه الأشياء الموجودة منها ما معلوم لنا، ومنها ما هو غير معلوم ...

ثانياً: الإمداد فالله تعالى هو الذي أمدها حتى تبقى، أرأيت النبات ينبت في الأرض، فإذا منع الله المطر فني النبات ...

ثالثاً: الإعداد: ويعني تهيئتها لما هي صالحة له، فالإبل مثلا للركوب، قال تعالى:) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) (يّس: 71-72) فالله أعدها وجعلها صالحة لما خلقت له، من حيث القوة والشكل واحدوداب الظهر حتى تقوى على التحمل [1]

31/ الجعل المضاف لله :

الجعل ينقسم إلي قسمين: جعل شرعي وجعل قدري

فإذا كان الجعل بمعني الخلق كان قدريًا، وإذا كان بمعني يتعلق بالحكم الشرعي كان شرعيًا

مثال الشرعي قوله تعالي: {ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام} [المائدة: 103]. فإن قوله: {ما جعل الله} يراد به: الجعل الشرعي وليس الجعل القدري؛ لأن الجعل القدري في هذه ثابت، فإنها واقعة وحاصلة، ولكن المراد بـ {ما جعل} هنا أي: ما شرع {من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام}، وكذلك هذا الحديث: "إنما جعل الإمام ليؤتم به" جعل شرعًا، وأما قدرًا فإن الإمام قد يتخلف عنه المأموم، ولو كان الجعل قدريًا ما أمكن أن يتخلف

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 40

وأما الجعل بمعني: الخلق- وهو الجعل القدري- فهو كثير في القرآن كما في قوله تعالي: {وجعلنا الليل والنهار آيتين} [الإسراء: 12]، {وجعلنا الليل لباسًا} [النبأ: 10]، وأمثلتها كثيرة، لكنها في الغالب تدل علي تحول شيء لشيء يعني: بمعني التصيير؛ لأنها تنصب مفعولين. [1]

[1] فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام للعلامة ابن عثيمين 2/258

الفصل الثالث :

الإيمان بالملائكة

1/ تعريف الملائكة :

الملائكة جمع: ملأك، وأصل ملأك: مألك، لأنه من الألوكة، والألوكة في اللغة الرسالة، قال الله تعالى: {جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى} [فاطر: 1]. [1]

الملائكة: عالم غيبي مخلوقون ، عابدون لله تعالى ، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء ، خلقهم الله تعالى من نور ، ومنحهم الأنقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه. قال الله تعالى: ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون {سورة الأنبياء، الآيتين: 19-20} . وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع له البيت المعمور في السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم. [2]

2/ الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق.

- قد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل ، كما حصل (لجبريل) حين أرسله تعالى إلى- مريم-

الرابع:الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى كتسبيحه والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 59/1

[2] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 90

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة مثل: جبريل الأمين على وحي الله تعالى يرسله به إلى الأنبياء والرسل [1]

ولهذا يقال ثلاثة من الملائكة علمنا أنهم موكلون بما فيه الحياة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، فجبريل موكل بما فيه حياة القلوب، وميكائيل موكل بما فيه حياة النبات، أي القطر، وإسرافيل موكل بما فيه بعث الأجساد بعد الموت وهو النفخ في الصور، وأشرفها وأعلاها ما فيه حياة القلوب.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يذكر هؤلاء الثلاثة في افتتاح صلاة الليل حيث يقول في افتتاح صلاة الليل: ((اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، أهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) [2]

3/ الملائكة درجات وطبقات :

فأعْظَمُ الملائكة قَدْراً الثلاثة الذين خَصَّهُم النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه في الليل –يعني في صلاته في الليل– حيث كان يدعو صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿اللهم ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اللهم اهدني فيما اختلف فيه من الحق بإذنك فإنك تهدي إلى صراط مستقيم﴾ [3] فنصَّ على هؤلاء الثّلاثة لفضلهم ولرفعتهم عند الله – عز وجل –.

وهؤلاء الثلاثة أفضلهم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل.

أما جبريل عليه السّلام وميكائيل وإسرافيل فهم مُوَكَّلُونَ بأنواع الحياة.

---

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 90

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 206

[3] صحيح مسلم (770)

أما فجبريل مُوَكَّلٌ بحياة القلوب لأَنَّهُ ينزل بالوحي من الله – عز وجل – كما قال سبحانه {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} [النحل:103] .

وأما ميكائيل مُوَكَّلٌ بأمر حياة الإنسان، يعني وسائل حياة الإنسان والحيوان من المطر والنبات والرياح، وما أشبه ذلك مما فيه حياته واستقامة أمره.

وأما إسرافيل فهو المُوَكَّلُ بالنفخ في الصور، إذْ به إعادة الناس إلى حياة جديدة بعدها لا موت.

فإذاً الجميع يشتركون في أنّهم يُحيُون أو أنَّ معهم أسباب الحياة، ولذلك صاروا سادة الملائكة وأكابر الملائكة عليهم السلام.

هم طبقات يختلفون –يعني في فضلهم– ويختلفون في قُرْبِهِم من الله – عز وجل –، وأيضاً يختلفون في وظائفهم وما وُكِّلُوا به [1]

4/ الإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها :

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته ، وسلطانه ، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم ، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم ، وكتابة أعمالهم ، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

5/ إنكار كون الملائكة أجساماً :

قد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساماً ، وقالوا إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات ، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين. قال الله تعالى : الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع {سورة الفاطر ، الآية: 1}... وقال في أهل الجنة : والملائكة

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 304

يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار{ الرعد، الآيتين: 23-24}....وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية ... [1]

6/ هل للملائكة عقول :

إذا قال قائل: هل لهم عقول؟

نقول هل لك عقل؟ ما يسأل عن هذا إلا رجل مجنون ، فقد قال الله تعالى: {لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: 6] ، فهل يثني عليهم هذا الثناء وليس لهم عقول؟! [2]

7/ هل يمكن التعاون بين الجن والإنس؟

والجواب: أن التعاون بينهما إذا أمكن فلا بأس به، وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن الاستعانة بالجن جائزة بشرطين: ألا يكون الطريق الموصل إليها محرماً، وألا يستعين بهم على شيء محرم ...

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله وقائع في الفتاوى وكذلك في كتاب النبوات وكذلك في إيضاح الدلالة في عموم الرسالة أنه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت امرأة في المدينة لها رئي من الجن وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تأخر وبحثوا عنه فجاءوا إلى هذه المرأة فأرسلت رئيها فأخبرهم .

وقوله: (هما مصيرَ الخلق) ، أي: الجنة والنار.

فالجنة والنار داران هما مآل الخلق وليس بعدهما دار؛ لأن دور الإنسان أربع: الأولى في بطن أمه، والثانية في الدنيا، والثالثة في البرزخ، والرابعة يوم القيامة، وهذه هي الأخيرة لا دار بعدها. [3]

---

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 92

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 64

[3] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 498

8/ أفضلية الملائكة أو البشر :

أصل البحث في هذا لا داعي له؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم وهم أحرص الناس على العلم والإيمان لم يبحثوا هذا البحث ...

وهذه قاعدة يجب على طالب العلم أن يفهمها، وهي أن كل شيء سكت عنه الصحابة رضي الله عنهم من أمور الدين فاعلم أن الخوض فيه من فضول الكلام، ولا حاجة إليه؛ لأنه لو كان من مهمات ديننا ومن أصول ديننا ومما يجب علينا أن ندين الله به لتبين، إما عن طريق القرآن، أو عن طريق السنة، أو الصحابة، فإذا لم يوجد واحد من هذه الثلاثة علم أنه ليس من الدين في شيء.

وإذا بنيت نهجك على هذا استرحت من إشكالات كثيرة يوردها بعض المتعلمين اليوم، فيما يتعلق بصفات الله عز وجل، وفيما يتعلق باليوم الآخر من أمور الغيب التي لا مجال للعقل فيها، فيوردون أشياء هي في الحقيقة تدخل في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هلك المتنطعون)) ، قالها ثلاثا. وصدق والله رسول الله صلى الله عليه وسلم، كل إنسان يتنطع فهو هالك ولابد، ولو لم يكن من هلاكه إلا مخالفته طريق الصحابة ...

فالذي ينبغي للإنسان في هذه المسألة أن يدع الكلام فيها ما لم يضطر، والعلماء اضطروا إلى ذلك ...

والخلاصة أن العلماء رحمهم الله اختلفوا في تفضيل الملائكة على البشر، أو البشر على الملائكة، على أقوال يمكن أن نجعلها أربعة:

أولاً: تفضل البشر. ثانياً: تفضيل الملائكة. ثالثاً: الوقف. رابعاً: التفصيل،

والتفصيل مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث يقول: الملائكة أفضل باعتبار البداية، والبشر أفضل باعتبار النهاية

أما الوقف فهو قولنا ؛ وهو أن نقول: الله اعلم [1]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 653

الفصل الرابع :

الإيمان بالكتب

1/ تعريف الكتب السماوية :

الكتب: جمع (كتاب) بمعنى (مكتوب). والمراد بها هنا : الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق ، وهداية لهم ، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة. [1]

2/ الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور :

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، ... وأما لم نعلم اسمه فتؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها ، كأخبار القرآن ، وأخبار مالم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل باحكام ما لم ينسخ منها ، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها

- جميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى : وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه {سورة المائدة، الآية: 48} أي (حاكماً عليه) وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن. [2]

3/ الإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها :

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. كما قال الله تعالى : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً {سورة المائدة ، الآية: 48}. [3]

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 94

[2] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 94

[3] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 95

4/ اتفاق الكتب والأنبياء في التوحيد يُعْنَى به شيئان :

الأول: أنّ أَصْلَ التوحيد وهو عبادة الله – عز وجل – وحْدَهُ، ورَدُّ عِبَادَةِ غيره، والكفر بالطاغوت، والبراءة من الشّرك وأهله، هذا قَدْرٌ مشترك في رسالة جميع الأنبياء، قال – عز وجل – {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ} [الممتحنة:4]، يعني من المرسلين {إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة:4]، فهذا قدْرٌ مشترك بين جميع الأنبياء والمرسلين، والكتب دَلَّتْ على هذا وحضَّت عليه وأمرت به.

2 – الثاني: هو أصول الإيمان الستة، أركان الإيمان الستة وهي الإيمان بالله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى، وهذا مُتَّفَقٌ عليه أيضاً بين الأنبياء لا خلاف فيه.

وذلك أنَّ جهة الإيمان بهذه الأشياء الخَبَرْ، والخبر لا يُنْسَخْ ولا يُكْذَبُ فيه والله – عز وجل – إذا أخبر نبياً بشيء من أمر الغيب فهو على ذلك...

ولذلك معنى قوله ﴿الدين واحد﴾ يعني هذين الأصلين.

والكتب تختلف في الشرائع [1]

5/ انقسام الناس حيال الكتب السماوية إلى ثلاثة أقسام :

قسم كذب بها كلها، وهم أعداء الرسل من الكفار والمشركين والفلاسفة.

وقسم آمن بها كلها، وهم المؤمنون الذين آمنوا بجميع الرسل وما أنزل إليهم؛ كما قال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} .

---

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 319

وقسم آمن ببعض الكتب وكفر ببعضها، وهم اليهود والنصارى ومن سار على نهجهم، الذين يقولون: {نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ} ، بل هؤلاء يؤمنون ببعض كتابهم ويكفرون ببعضه؛ كما قال تعالى فيهم: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} .

ولا شك أن الإيمان ببعض الكتاب أو ببعض الكتب والكفر بالبعض الآخر كفر بالجميع؛ لأنه لا بد من الإيمان بجميع الكتب السماوية وبجميع الرسل؛ لأن الإيمان لا بد أن يكون مؤتلفا جامعا، لا تفريق فيه ولا تبعيض ولا اختلاف، والله تعالى ذم الذين تفرقوا واختلفوا في الكتاب؛ كما قال تعالى: {وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} .

وسبب كُفْر من كفَرَ بالكتب أو كفر ببعضها أو ببعض الكتاب الواحد هو اتباع الهوى والظنون الكاذبة، وزعمهم أن لهم العقل والرأي والقياس العقلي، ويسمون أنفسهم بالحكماء والفلاسفة، ويسخرون من الرسل وأتباعهم، ويصفونهم بالسفه؛ كما قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} .

وأما أتباع الرسل؛ فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله، لا يفرقون بينها. [1]

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 174

الفصل الخامس :

الإيمان بالرسل

1/ تعريف :

الرسل : جمع (رسول) بمعنى (مرسل) أي مبعوث (بإبلاغ شيء.

والمراد هنا: من أوحى إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه. {سورة المائدة، الآية:163}. وفي صحيح البخاري عن-أنس بن مالك- رضي الله عنه في حديث الشفاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم (ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر ، إليهم ويقول: ائتوا نوحاً رسول بعثه الله – وذكر تمام الحديث. وقال الله تعالى في محمد صلى الله عليه وسلم ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين {سورة الأحزاب، الآية:40}.

- لم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه ، أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله ليجددها ، قال الله تعالى: ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت{سورة النحل ، الآية: 36} ...

- الرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين وأعظمهم جاهاً عند الله: قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون{سورة الأعراف، الآية: 188}.

...وتلحقهم خصائص البشرية من المرض ، والموت ، والحاجة إلى الطعام والشراب، وغير ذلك ، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لربه تعالى: - والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحيين {سورة الشعراء، الآيات79-81} . ...

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم ، وفي سياق الثناء عليهم فقال تعالى في نوح صلى الله عليه وسلم : إنه كان عبداً شكورا{سورة الإسراء، الآية:3}[1]

الدليل على أن أولهم نوح ... ما ثبت في حديث الشفاعة: "أن أهل الموقف يقولون لنوح: أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض" ، وهذا صريح.

أما آدم عليه الصلاة والسلام، فهو نبي، وليس برسول.

وأما إدريس، فذهب كثير من المؤرخين أو أكثرهم وبعض المفسدين أيضاً إلى أنه قبل نوح، وأنه من أجداده لكن هذا قول ضعيف جداً والقرآن والسنة ترده والصواب ما ذكرنا. [2]

وأولهم نوح وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ... لقوله تعالى: {وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: 40] ، ولم يقل: وخاتم المرسلين، لأنه إذا ختم النبوة، ختم الرسالة من باب أولى.

- عيسى عليه الصلاة والسلام ... لا ينزل بشريعة جديد، وإنما يحكم بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم.

- كيف يصح قولنا: إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر؟ ... الجواب: ... عيسى عليه الصلاة والسلام رسول مستقل من أولي العزم ولا يخطر بالبال المقارنة بينه وبين الواحد من هذه الأمة، فكيف بالمفاضلة؟!

فإن قال قائل: كيف يكون تابعاً، وهو يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل إلا الإسلام مع أن الإسلام يقر أهل الكتاب الجزية؟!. قلنا: إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك إقرار له، فتكون من شرعه ويكون نسخاً لما سبق من حكم الإسلام الأول. [3]

---

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمن 95

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثييمن 65

[3] شرح الواسطية للعلامة ابن عثييمن 65

فإن قال قائل: أليس قد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يقبل الإسلام فلا يقبل الجزية، وهذا ليس هو الحكم الشرعي الموجود الآن؛ فإن الحكم الشرعي الموجود الآن أن يُقر النصارى على ما هم عليه، إذا كان بيننا وبينهم عهد فإننا لا نتعرض لديانتهم؟

فالجواب: أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا بذلك مقرراً له راضياً به، فيكون ما يقضي به عيسى في آخر الزمان من شريعة النبي صلى الله عليه وسلم. [1]

2/ الإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور :

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع . كما قال الله تعالى: كذبت قوم نوح المرسلين{سورة الشعراء، الآية: 105} فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه ، وعلى هذا فالنصارى ... هم مكذبون للمسيح بن مريم غير متبعين له أيضاً ، لا سيما وأنه قد بشرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ...

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام ، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل ، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن...

وأما من لم نعلم أسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى: ولقد أرسلنا رسلاً منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك{سورة غافر، الآية: 78}.

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم المرسل إلى

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 533

جميع الناس قال الله تعالى: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً {سورة النساء، الآية: 65 [1]

3/ للإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها :

الأولى: العلم برحمه الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى ، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله ، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته ، وتبليغ رسالته ، والنصح لعباده.

وقد كذب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً ❊ قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً{ الإسراء: 94-95}[2]

4/ الحكمة من إرسال الرسل :

أ- إقامة الحجة: قال تعالى: {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: من الآية165] .

ب- الرحمة: لقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:107] .

ج- بيان الطريق الموصل إلى الله تعالى، لأن الإنسان لا يعرف ما يجب لله على وجه التفصيل إلا عن طريق الرسل. [3]

---

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 97

[2] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 99

[3] القول المفيد لابن عثيمين 27/1

5/ دعوة الأنبياء والرسل لابد فيها من أمر ونهي :

دعوة الأنبياء والرسل لابد فيها من: أمر ونهي. فكل دعوة فيها أمر بلا نهي، أو نهي بلا أمر؛ فهي بدعة. [1]

6/ الإيمان بكل ما أخبر به الرسول :

يجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناماً، فإن قريشاً أنكرته وأكبرته، ولم تنكر المنامات.

ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى -عليه السلام- ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فرد عليه عينه. [2]

7/ الفرق بين النبي والرسول :

الفرق بين النبي والرسول كما ذهب إليه الجمهور؛ أن النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، ولهذا يسمى نبياً ولا يسمى رسولاً لأنه لم يؤمر، لكنه لم ينه عن إبلاغه ، وأما الرسول فهو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، وهناك فرق بين أن نقول في النبي لم يؤمر بتبليغه وبين أن نقول: نهي عن تبليغه، وهذا نظير ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله فيمن لم ينكر على الولاة ولامه

---

[1] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

[2] لمعة الاعتقاد للعلامة ابن قدامة المقدسي

- السمعيات كل ما ثبت بالسمع أي: بطريق الشرع ولم يكن للعقل فيها مدخل، وكل ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من أخبار فهي حق يجب تصديقه سواء شاهدناه بحواسنا أو غاب عنا وسواء أدركناه بعقولنا أم لم ندركه لقوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} [البقرة: 119] . / التعليق على لمعة الاعتقادة للعلامة ابن عثيمين 101

بعض الناس على عدم إنكاره للمنكر، قال شيخ الإسلام: هناك فرق بين السكوت عن الإنكار، وبين الأمر بالمنكر ، فالسكوت عن الإنكار مع عدم القدرة على الإنكار أو مع خوف منكر أكبر لا يلام عليه الإنسان بل قد يحمد إذا ترك الإنكار خوفاً من مفسدة اكبر، لكن لو أمر بالمنكر فإنه في هذه الحال يذم على الأمر بالمنكر والرضى به [1]

8/ عصمة الأنبياء :

المراد بالعصمة هنا حفظ الله لأنبيائه من الذنوب والمعاصي ... ويمكن تلخيص هذا الموضوع فيما يلي: عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منها ما هو مجمع عليه بداية ونهاية، ومنها ما هو مختلف فيه بداية ونهاية، وبيان ذلك:

1- أجمعوا على عصمتهم فيما يخبرون عن الله تعالى وفي تبليغ رسالاته؛ لأن هذه العصمة هي التي يحصل بها مقصود الرسالة والنبوة.

2- واختلفوا في عصمتهم من المعاصي؛ فقال بعضهم بعصمتهم منها مطلقا؛ كبائرها وصغائرها؛ لأن منصب النبوة يجل عن مواقعتها ومخالفة الله تعالى عمداً، ولأننا أمرنا بالتأسي بهم، وذلك لا يجوز مع وقوع المعصية في أفعالهم؛ لأن الأمر بالاقتداء بهم يلزم منه أن تكون أفعالهم كلها طاعة، وتأوَّلوا الآيات والأحاديث الواردة بإثبات شيء من ذلك، وقال الجمهور بجواز وقوع الصغائر منهم؛ بدليل ما ورد في القرآن والأخبار، لكنهم لا يصرون عليها، فيتوبون منها ويرجعون عنها؛ كما مر تفصيله، فيكونون معصومين من الإصرار عليها، ويكون الإقتداء بهم في التوبة منها. [2]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 527

[2] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 187

9/ مسألة في كذبات إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

ما ما جاء عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام من أنه كذب ثلاث كذبات في الله فهي كذبات تورية، والتورية ليست كذباً في الواقع، لأن المعنى الباطن منها حقيقي مطابق للواقع، فقوله للملك الظالم: هذه أختي وهي زوجته، فهي وإن كانت ليست أخته بمعنى شقيقته، فإنها أخته على وجه صحيح، فقد أراد أنها أخته في دين الله ...

وفعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام هنا ضرورة، ولا يقال إن التورية جائزة مطلقاً، فالتورية للظالم حرام بالإجماع، وللمظلوم جائزة، أما من ليس بظالم ولا مظلوم ففيها خلاف بين أهل العلم؛ فبضعهم يقول إنها حرام؛ لأن الإنسان يتهم بذلك ويجر على نفسه التهمة، وبعضهم يقول ليست بحرام، والراجح أنها حرام إلا لحاجة؛ لأن الإنسان لو أجزنا له التورية كلما شاء صار كل كلامه تورية، وأدى ذلك إلى عدم وثوق الناس به [1]

10/ مسألة: قال الله تعالى عن يونس عليه الصلاة والسلام: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) (الأنبياء: الآية87) ، فهل يجوز مثل هذا الظن من الرسل؟

والجواب: أن معنى نقدر أي نضيق كما قال تعالى: (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) (الطلاق: الآية7) ، فيونس عليه الصلاة والسلام ظن أنه بخروجه هذا أنه يجد سعة عما كان عليه في الأول فظن ذلك، ولكن الله تعالى أراه انه في قبضته عز وجل وضيق عليه أكثر من ذي قبل، في بطن الحوت: (فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) (الصافات: 143) (لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (الصافات: 144) . [2]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 571

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 574

11/ مسألة: إذا كان الأنبياء معصومين من فعل الكبائر. وقتل النفس من الكبائر وقد وقع من بعضهم فما الجواب؟

والجواب: أن قتلهم للنفس يكون بتأويل وإذا كان بتأويل فقد يكون الشيء كبيرة لكن في حقهم ليس بكبيرة لأنهم لم يتعمدوا. [1]

والجائز في حقهم هي الطبائع البشرية، فالطبائع البشرية يستوون فيها مع الناس، ولهذا قالوا للمكذبين: (إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) (إبراهيم: الآية11) ، وقال خاتمهم محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون)) ...

لكن قد يختصون بخصائص في النوم، منها اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأنه تنام عيناه ولا ينام قلبه ... فقلبه دائماً مشغول بذكر الله تعالى وبغير ذلك مما أراد سبحانه وتعالى.

وقوله: (النوم والنكاح) أي والنكاح جائز في حقهم والجواز هنا جواز خلقي ، أما شرعاً فهم مأمورون بذلك، لأنهم مشرعون للأمة؛ قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً) (الرعد: الآية38) ، وقوله: (مثل الأكل) فالأكل أيضاً من الأمور الجائزة ... بقي الشيء الواجب، وهو الدعوة إلى الله عز وجل، وإبلاغ الرسالة، والنصح للأمة. فيجب عليهم من ذلك ما لا يجب على غيرهم، فهم ملزمون بالبلاغ بكل حال، وملزمون بالدعوة في كل حال، وملزمون بالجهاد من أمر منهم بالجهاد، ووجوب هذه الأشياء عليهم أو كد من وجوبها على غيرهم، ولهذا نقول: الأمور المسنونة يجب على الرسول عليه الصلاة والسلام أن يبلغها، ويجب أن يفعلها ليقتدي به الناس، وإن كانت أموراً مسنونة ، فإذا كان البلاغ لا يحصل إلا بفعلها وجب على الرسول أن يفعلها لوجوب البلاغ عليه.

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 574

ومما هو ممتنع في حقهم دعوى الإلوهية أو دعوى الربوبية، ولهذا لما قال الله تعالى لعيسى: (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ) (المائدة: الآية116) (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) (المائدة: الآية117) .

ومما يجوز عليهم الموت، فهو جائز عليهم شرعاً وواقعاً، قال الله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (الزمر: 30) ...

فإذا قال إنسان: كيف تكون الرسل أمواتاً والشهداء – وهم دونهم – إحياء، كما قال تعالى: (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (آل عمران: 169) .

والجواب: أن هذه الحياة التي للشهداء يكون للأنبياء والرسل أعظم منها، لكنها حياة برزخية لا حياة دنيا ولا حياة جسم، وإنما هي حياة برزخية، الله اعلم بكيفيتها.

ولكن الخرافيين يأبون إلا أن يقولوا إنها حياة حقيقية، وهم بقولهم ذلك أشد الناس تقصيراً في حق النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الواجب عليهم إذا كانوا يعتقدون هذا أن يذهبوا إليه بأكل وشرب لأنه محتاج له، وهذا مثل ما يفعله الرافضة فيما يعتقدونه المهدي الذي سيخرج في آخر الوقت [1]

12/ دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واحد :

إن دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دين واحد، وإن تنوعت شرائعهم: قال تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 575

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} 2.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد، والأنبياء أخوة لعلات".

ودين الأنبياء هو دين الإسلام، الذي لا يقبل الله غيره، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله:

قال تعالى عن نوح: {وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}

وقال عن إبراهيم: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} ...

الرسل دينهم واحد، وإن تنوعت الشرعة والمنهاج والوجه والمنسك ؛ فإن ذلك لا يمنع أن يكون الدين واحداً؛ كما لم يمنع ذلك في شريعة الرسول الواحد؛ كما مثلنا باستقبال بيت المقدس أولاً ثم استقبال الكعبة ثانيا في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم [1]

13/ هل الأنبياء محصورون؟

ورد في ذلك حديث يدل على حصرهم بأربعة وعشرين ألفاً، والرسل دون ذلك؛ لأن الأنبياء أكثر بكثير من الرسل، أما الرسل فأقل، وقد ذكر في القرآن منهم خمسة وعشرون رسولاً ولكنهم أكثر من هذا، وقد يزيدون على ثلاثمائة إلا أن الله تعالى يقول: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) (غافر: الآية78) إذاً فعقيدتنا بالنسبة للرسل أنه ما من أمة إلا خلا فيها نذير، وما من أمة إلا بعث الله إليها من يوجهها ويبين لها الحق.

وأول الأنبياء هو آدم، فإنه كان نبيا مكلماً، كما في حدث أبي ذر رضي الله عنه، أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: هل كان آدم نبياً؟ قال: نعم، نبي مكلم .

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 194

وأما أول الرسل فهو نوح ، لقول الله تبارك وتعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) (الحديد: الآية26) ، فإذا كانت النبوة والكتاب في ذرية نوح وإبراهيم دل هذا على أنه ليس قبل نوح رسول، ويدل لذلك أيضاً قوله تعالى: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ) (النساء: الآية163) ، ويدل لهذا ما ثبت في الصحيح : ((أن الناس يأتون إلى نوح يوم القيامة ويقولون: أنت أول رسول أرسله الله إلى الأرض)) وبهذا نعرف أن من أقحم إدريس بين نوح وآدم فإنه غلط ... فإن عقيدتنا أن نوحاً هو أول الرسل.

وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم لقول الله تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (الأحزاب: الآية40) ، فمن ادعى النبوة بعده فهو كافر، ومن صدق مدعي النبوة بعده فهو كافر أيضاً، لأنه مكذب لله ورسوله [1]

14/ وجوب محبة الرسول وتعظيمه :

يجبُ على العبدِ أولًا: محبّةُ الله عز وجل، وهي من أعظم أنواع العبادة، قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: 165] لأنه هو الرّبُّ المتفضّل على عباده بجميع النّعم ظاهِرها وباطنها، ثم بعد محبة الله تعالى، تجب محبة رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم -؛ لأنه هو الذي دعا إلى الله، وعرَّف به، وبلَّغ شريعته، وبيَّن أحكامه، فما حصل للمؤمنين من خير في الدنيا والآخرة، فعلى يد هذا الرسول، ولا يدخلُ أحدٌ الجنة إلا بطاعته واتباعه - صلى الله عليه وسلم - وفي الحديث: ﴿ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوةَ الإيمان؛ أن يكون اللهُ ورسولَه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرء لا يُحبّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار﴾ .

فمحبة الرسول تابعة لمحبة الله تعالى، لازمة لها، وتليها في المرتبة، وقد جاء بخصوص محبته -

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 528

صلى الله عليه وسلم - ووجوب تقديمها على محبة كل محبوب سوى الله تعالى، قوله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿لا يؤمنُ أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناسِ أجمعين﴾ بل ورد أنه يجب على المؤمن أن يكون الرسولُ - صلى الله عليه وسلم - أحبَّ إليه من نفسه، كما في الحديث: ﴿أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله، لأنتَ أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال: والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنك الآن أحب إليَّ من نفسي، فقال: الآن يا عمر﴾ .

ففي هذا أن محبة الرسول واجبةٌ ومقدّمةٌ على محبّة كل شيء سوى محبة الله، فإنها تابعة لها لازمة لها؛ لأنها محبة في الله ولأجله، تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن، وتنقص بنقصها، وكل من كان محبًّا لله فإنما يحب في الله ولأجله.

ومحبّته - صلى الله عليه وسلم - تقتضي تعظيمه وتوقيره واتباعه، وتقديم قوله على قول كل أحد من الخلق، وتعظيم سنته ...

والمقصودُ: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ألقى الله عليه من المهابة والمحبة ... . ولهذا لم يكن بشر أحب إلى بشر، ولا أهيب وأجلّ في صدره، من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صدور أصحابه - رضي الله عنهم - قال عمرو بن العاص بعد إسلامه: إنه لم يكن شخص أبغضَ إليَّ منه. فلما أسلمت، لم يكن شخص أحب إليَّ منه، ولا أجلَّ في عيني منه، قال: ولو سُئِلت أن أصفه لكم لما أطقتُ، لأني لم أكن أملأ عينيَّ منه؛ إجلالًا له.

وقال عروة بن مسعود لقريش: يا قوم، والله لقد وفدت إلى كسرى وقيصر والملوك، فما رأيتُ ملكًا يعظمه أصحابه؛ ما يعظم أصحابُ محمد محمدًا - صلى الله عليه وسلم - والله ما يحدُّون

النظر إليه تعظيمًا له، وما تنخَّم نُخامةً إلا وقعت في كَفِّ رجل منهم، فيدلك بها وجهَهُ وصدره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه) انتهى. [1]

15/ النهي عن الغُلوّ والإطراء في مدحه صلى الله عليه وسلم :

الغلو: تجاوز الحد، يُقالُ: غَلا غُلُوًّا، إذا تجاوز الحد في القدر، قال تعالى: {لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} [النساء: 171] أي: لا تجاوزوا الحد.

والإطراءُ: مجاوزة الحدِّ في المدح، والكذب فيه، والمرادُ بالغُلوِّ في حق النبي - صلى الله عليه وسلم -: مجاوزة الحد في قدره؛ بأن يُرفع فوق مرتبة العبودية والرسالة، ويُجعلَ له شيء من خصائص الإلهية؛ بأن يُدعى ويُستغاثَ به من دون الله، ويُحلفَ به.

والمراد بالإطراء في حقه - صلى الله عليه وسلم -: أن يُزادَ في مدحه، فقد نهى - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك بقوله: ﴿لا تُطروني كما أطرتِ النَّصارى ابنَ مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه﴾ أي: لا تمدحوني بالباطل، ولا تجاوزوا الحدَّ في مدحي، كما غلت النَّصارى في عيسى - عليه السلام - فادَّعوا فيه الألوهية، وَصِفُوني بما وَصَفَني به ربّي، فقولوا: عبدُ الله ورسوله. ولما قال له بعض أصحابه: ﴿أنت سيّدُنا، فقال: (السَّيّدُ الله تبارك وتعالى)، ولما قالوا: أفضلنا وأعظمنا طَولًا، فقال: (قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان﴾.

وقال له ناس: يا رسولَ الله، يا خيرَنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: ﴿يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبدُ الله ورسولُه، ما أحبُّ أن ترفعوني فوقَ منزلتي التي أنزلني الله عزّ وجلّ﴾.

كره - صلى الله عليه وسلم - أن يمدحوه بهذه الألفاظ: أنت سيدنا - أنت خيرُنا - أنت

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 148

أفضلُنا – أنت أعظمُنا، مع أنه أفضلُ الخلق وأشرفُهم على الإطلاق؛ لكنه نهاهم عن ذلك ابتعادًا بهم عن الغُلُوِّ والإطراء في حقه، وحمايةً للتوحيد، وأرشدهم أن يصفوه بصفتين؛ هما أعلى مراتب العبد، وليس فيهما غلو ولا خطر على العقيدة، وهما: عبد الله ورسوله، ولم يُحب أن يرفعوه فوق ما أنزله الله عز وجل من المنزلة التي رضيها له، وقد خالف نهيَه – صلى الله عليه وسلم – كثيرٌ من الناس فصاروا يدعونه، ويستغيثون به، ويحلفونَ به، ويطلبون منه ما لا يُطلب إلا من الله، كما يُفعلُ في الموالد والقصائد والأناشيد، ولا يُميزون بين حق الله وحق الرسول [1]

16/ بيان منزلته – صلى الله عليه وسلم – :

لا بأس ببيان منزلته بمدحه – صلى الله عليه وسلم – بما مدحه الله به، وذكر منزلته التي فضله الله بها واعتقاد ذلك، فله – صلى الله عليه وسلم – المنزلة العالية التي أنزله الله فيها، فهو عبد الله ورسوله، وخيرته من خلقه، وأفضل الخلق على الإطلاق، وهو رسول الله إلى الناس كافة، وإلى جميع الثقلين الجن والإنس، وهو أفضل الرسل، وخاتم النبيين، لا نبيَّ بعده، قد شرح الله له صدره، ورفع له ذكره، وجعل الذِّلَّة والصَّغار على من خالف أمره، وهو صاحب المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: 79] أي: المقام الذي يُقيمه الله فيه للشفاعة للناس يوم القيامة؛ ليريحهم ربهم من شدة الموقف، وهو مقام خاص به – صلى الله عليه وسلم – دونَ غيره من النبيين.

وهو أخشى الخلق لله، وأتقاهم له، وقد نهى الله عن رفع الصوت بحضرته – صلى الله عليه وسلم – وأثنى على الذين يَغُضّونَ أصواتهم عنده، فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 150

لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحجرات: 2- 5] ...

ونهى سبحانه وتعالى أن يُدعى الرسول باسمه كما يُدعى سائرُ الناس، فيقال: يا محمد، وإنما يُدعى بالرسالة والنبوة فيقال: يا رسول الله، يا نبي الله، قال تعالى: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} [النور: 63] .

كما أن الله سبحانه يناديه بـ (يا أيها النبي، يا أيها الرسول) . وقد صلى الله وملائكته عليه، وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه، فقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56] .

لكن لا يُخصص لمدحه - صلى الله عليه وسلم - وقتٌ ولا كيفية معينة إلا بدليلٍ صحيح من الكتاب والسُّنَّة، فما يفعله أصحابُ الموالد من تخصيص اليوم الذي يزعمون أنه يوم مولده لمدحه بدعة منكرة.

ومن تعظيمه - صلى الله عليه وسلم -: تعظيم سنته، واعتقاد وجوب العمل بها، وأنها في المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم في وجوب التعظيم والعمل؛ لأنها وحي من الله تعالى، كما قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: 3، 4] .

فلا يجوز التشكيك فيها، والتقليل من شأنها، أو الكلام فيها بتصحيح أو تضعيف لطرقها وأسانيدها أو شرح لمعانيها إلا بعلم وتحفُّظ، وقد كثر في هذا الزمان تطاول الجهَّالِ على سُنّة الرسول - صلى الله عليه وسلم - خصوصًا من بعض الشباب الناشئين؛ الذين لا يزالون في المراحل الأولى من التعليم، صاروا يصحِّحون ويُضعّفون في الأحاديث، ويجرحون في الرواة

بغير علم سوى قراءة الكتب، وهذا خطرٌ عظيم عليهم وعلى الأمة، فيجب عليهم أن يتقوا الله، ويقفوا عند حدهم .[1]

17/ معرفة النبي صلى الله عليه وسلم ... تتضمن خمسة أمور:

الأول : معرفته نسباً فهو أشرف الناس نسباً فهو هاشمي قرشي عربي ...

الثاني : معرفة سنه ، ومكان ولادته ، ومهاجره ...

الثالث: معرفة حياته النبوية وهي ثلاث وعشرون سنة فقد أوحي إليه وله أربعون سنة ...

الرابع: بماذا كان نبياً ورسولاً ؟ فقد كان نبياً حين نزل عليه قول الله تعالى: أقرأ بأسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * أقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم {سورة العلق، الآيات: 1-5} ، ثم كان رسولاً حين نزل عليه قوله تعالى: يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فأهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر {سورة المدثر، الآيات: 1-7} ، فقام صلى الله عليه وسلم فأنذر وقام بأمر الله عز وجل ... الخامس: بماذا أرسل ولماذا؟ فقد أرسل بتوحيد الله تعالى وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور ، وأرسل رحمة للعالمين لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلى النور العلم والإيمان والتوحيد حتى ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه.[2]

18/ وجوب طاعته - صلى الله عليه وسلم - والاقتداء به :

تجب طاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، وهذا من مقتضى شهادة أنه رسول الله، وقد أمر الله تعالى بطاعته في آيات كثيرة، تارة مقرونة مع طاعة الله، كما في قوله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [النساء: 59] وأمثالها من الآيات،

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 152

[2] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 122

وتارة يأمر بها منفردة، كما في قوله: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: 80] ، {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النور: 56] .

وتارة يتوعد من عصى رسوله - صلى الله عليه وسلم - كما في قوله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63] أي: تصيبهم فتنة في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة، أو عذاب أليم في الدنيا؛ بقتل أو حَدٍّ أو حبس، أو غير ذلك من العقوبات العاجلة.

وقد جعل الله طاعته واتباعه سببًا لنيل محبة الله للعبد ومغفرة ذنوبه، قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [آل عمران: 31] .

وجعل طاعته هداية، ومعصيته ضلالًا، قال تعالى: {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} [النور: 54] ...

وأخبرَ سبحانه وتعالى أنَّ فيه القدوة الحسنة لأمته، فقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: 21] .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -: (هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أقواله وأفعاله وأحواله ...)

وقد ذكر الله طاعة الرسول واتباعه في نحو أربعين موضعًا من القرآن، فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به واتباعه منها إلى الطعام والشراب، فإنَّ الطعام والشراب إذا فات الحصول عليهما حصل الموت في الدنيا، وطاعة الرسول واتباعه إذا فاتا حصل العذاب والشقاء الدائم، وقد أمر - صلى الله عليه وسلم - بالاقتداء به في أداء العبادات، وأن تؤدى على الكيفية التي كان يؤديها بها، فقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: 21] ، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وقال: «خذوا عني

مناسككم﴾ وقال: ﴿من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد﴾ وقال: ﴿من رغب عن سنتي فليس مني﴾ إلى غير ذلك من النصوص التي فيها الأمر بالاقتداء به، والنهي عن مخالفته. [1]

19/ ذكر خصائص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إجمالا :

للرسول محمد صلى الله عليه وسلم خصائص اختص بها عن غيره من الأنبياء، وخصائص اختص بها عن أمته:

1- أنه خاتم النبيين؛ قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} 3، وقال صلى الله عليه وسلم: "أنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي".

2- المقام المحمود، وهو الشفاعة العظمى؛ كما في قوله تعالى: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً} ...

3- عموم بعثته إلى الثقلين الجن والإنس؛ قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً}[2] ...

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 155

[2] فإن قال قائل: أليس نوح عليه الصلاة والسلام مرسلاً إلى جميع الخلق في وقته؟

قلنا: بلى هو مرسل إلى جميع الخلق في وقته، لكن لم يكن هناك قوميات سوى هذه القومية، فيكون نوح مرسلاً إلى قومٍ، كما قال تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (نوح: 1) ، والخليقة في ذلك الوقت لم تكن كثرت بعد حتى تولد منها قوميات ...

وقوله : (لسائر الأنام) ... أي ... مبعوث لجميع الخلق المكلفين، ودليل اختصاصه بذلك من وجهين:

الوجه الأول: كونه خاتم الأنبياء، وهذا ثابت بالقرآن، فإذا كان خاتم الأنبياء - والناس كلهم محتاجون للرسالة - لزم من ذلك أن يكون رسولاً إلى جميع الخلق.

الوجه الثاني: أنه في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى

4- ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم ...

5- ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم المعراج إلى السماوات العلى، إلى سدرة المنتهى، إلى مستوى سمع في صريف الأقلام؛ فكان قاب قوسين أو أدنى.[1]

20/ الخصائص التي اختص بها الرسول دون أمته :

قال القرطبي في (تفسيره) : "خص الله تعالى رسوله من أحكام الشريعة بمعان لم يشاركه فيها أحد في باب الفرض والتحريم والتحليل، مزية على الأمة، وهبة له، ومرتبة خص بها؛ ففرضت عليه أشياء ما فرضت على غيره، وحرمت عليه أشياء لم تحرم عليهم، وحللت له أشياء لم تحلل لهم؛ منها متفق عليه، ومنها مختلف فيه".

ثم ذكر هذه الخصائص، ومنها: التهجد بالليل؛ يقال: إن قيام الليل كان واجبا عليه إلى أن مات؛ لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلاّ قَلِيلاً} ...

ومنها: أنه إذا عمل عملاً أثبته.

ومنها: تحريم الزكاة عليه وعلى آله.

ومنها أنه أحل له الوصال في الصيام، وأحل له الزيادة على أربع نسوة.

ومنها: أنه أحل له القتال بمكة.

ومنها: أنه لا يورث.

ومنها: بقاء زوجيَّتِه بعد الموت، وإذا طلق امرأة تبقى حرمته عليها؛ فلا تنكح ... إلى غير ذلك من الخصائص النبوية.[2]

الناس عامة)) فهذه من خصائصه، أما غيره من الأنبياء فإنه يبعث إلى قومه خاصة / شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 534

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 197

[2] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 200

21/ أفضل الخلق عند الله :

أفضل الخلق عند الله الرسل، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون، وقد ذكر الله هذه الطبقات في كتابه في قوله :{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: 69] .

وأفضل الرسل أولوا العزم منهم، وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلوات من الله والتسليم، وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه في الأحزاب:

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} [الأحزاب: 7] .

وفي الشورى:

{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى} [الشورى: 13] .

وأفضلهم محمد -صلى الله عليه وسلم- لقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد الناس يوم القيامة" متفق عليه121، وصلاتهم خلفه [1]

وخص النبي صلى الله عليه وسلم بأنه بعث إلى سائر الأنام، وغيره من الأنبياء بعثوا إلى أقوامهم فقط.

22/ من كَذَّبَ برسول بعد العلم به فإنه مُكَذِّبٌ بجميع الأنبياء والمرسلين :

فمن قال أُكَذِّبُ بفلان من الرسل وأومن بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر؛ لأنه من كَذَّبَ برسول فقد كذّب بجميع المرسلين إذا بلغه العلم وقامت عليه الحجة، قال - عز وجل - {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [الشعراء105-106] ،

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 135

{كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} فنحن اتَّفَقْنَا على أنَّ نوح عليه السلام كان أوّل رسول، قال – عز وجل – {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} لأنهم لَمَّا كَذَّبُوا نُوحاً فإنهم كَذَّبُوا بِتَكْذِيبِهِم نوحاً جميع المرسلين؛ لماذا؟

لأنّ دينهم واحد وهو توحيد الله – عز وجل – والبراءة والكفر بالطاغوت، كذلك قوله {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة:285]، وكذلك قوله {وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ} [النساء:150] إلى آخره. [1]

23/ فائدتين :

الأُولَى: مَنْ كَذَّب رَسُولًا واحدًا فَقَدْ كَذَّبَ جَمِيعَ الرُّسُلِ.

الثَّانِيَةُ: مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْض فَقَدْ كَفَرَ بِالجَمِيع.

ويتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ: مَنْ آمَنَ بِبَعْض الشَّرِيعَةِ دُونَ بَعْضٍ ، مِثْلَ مَنْ يُؤْمِنُ بِأَنَّ الصَّلاةَ فرْضُ رُكنٌ مِنْ أَركَانِ الإِسْلامِ ولَكِن لَا يُؤْمِنُ بِأَنَّ الزَّكَاةَ رُكْنٌ مِنْ أَركَانِ الإِسْلامِ ، فَهَذَا قَدْ كَفَرَ بالجَمِيعِ ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٨٥].

ومِنْ ذَلِكَ أَيْضًا مَنْ يَعْتَقِدُ حِلَّ الحكمِ بِغَيْرِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ، وَيَجْعَلُه قَانونًا مَشْرُوعًا يُرجَعُ إِلَيْهِ عِنْد التَّنازُعِ ، دُونَ الرُّجوعِ إِلَى الكِتَابِ والسُّنَّة ، ثُمَّ هُو يُصلِّي ، ويصُومُ ، ويزكّي نَقُول: إنَّه كافِرٌ ، وَلَو صَلَّى وصَامَ ، ولَو زعَمَ أَنَّهُ مُسلِمٌ ؛ لأَنَّهُ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ ببعض. [2]

---

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 316

[2] شرح عقيدة أهل السنة للعلامة ابن عثيمين 270

24/ شروط النبوة :

الشرط الأول: ... أن يكون حراً لا رقيقاً، والرقيق هو المملوك، العبد الذي يباع ويشترى ... فلا يمكن أن يكون هذا قائدا؛ لأنه هو نفسه مملوك مقود؛ فكيف يكون قائداً. إذا لابد أن يكون النبي حراً.

واعلم أن هذه الشروط شروط لما وقع لا لما سيقع ... فمحمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين ...

- يوسف عليه الصلاة والسلام نبئ بعد السجن.

فإذا قال قائل: ما تقولون في قوله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام: (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا) (يوسف: الآية15)) ، يعني جاءه الوحي قبل السجن؟

فالجواب: أن الضمير يعود على أبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام.

والشرط الثاني: قال (ذكورة) فالنساء ليس منهن رسول؛ لأنهن لسن أهلاً لتحمل هذه القيادة العظيمة، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)) ، ولو بالانتخاب؛ فإذا انتخبوا امرأة فإنهم لن يفلحوا، فكيف يمكن أن تكون امرأةً رسولاً، ثم لو قدر أنها صارت نبيا، والنبي هو الذي يصلي بقومه، فإذا جاءها الحيض فلن تصلي إذا فلا يصح إطلاقاً أن تكون نبيا، لكن يصح أن تكون عالماً، وهذا هو الدليل العقلي.

أما الدليل السمعي فلقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) (الأنبياء: الآية7)) ، فاخبر تعالى أنه لا يرسل إلا رجالا؛ لا ملائكة ولا إناثا.

فإن قال قائل: إن هناك أقواماً ولوا أمرهم نساء وأفلحوا فما الجواب عن ذلك؟

فالجواب عنه من أحد وجوه:

الوجه الأول: إما أن يراد بقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)) ، يعني أولئك القوم فيكون خاصاً، وإذا كان خاصا لم يكن إشكال.

الوجه الثاني: أن نقول: إن هؤلاء النساء لم يتولين الأمر على وجه الإطلاق بل الذي يدبر الأمر غيرهن لكن لهن الرئاسة اسماً لا حقيقة.

الوجه الثالث: أن يقال: هؤلاء القوم لو أنهم ولوا رجلا لكان افلح لهم ويكون المراد بالنفي: لن يفلح قوم نفي الفلاح التام فيقال: هؤلاء القوم لو أنهم ولوا رجلا لكان افلح لهم.

الوجه الرابع: أن يقال: إن قول النبي صلى الله عليه وسلم ((لن يفلح قوم)) [1] هذا بناء على الأغلب والأكثر وإلا فقد يفلحوا.

فهذه أربعة أوجه في الجواب عن هذا الحديث والله أعلم.

والشرط الثالث: قال: (كقوة) يعني أن يكون عنده قدرة وقوة على إبلاغ الرسالة، فلا يمكن أن يكون أصم، ولا يمكن أن يكون أبكم لا يتكلم، ولا يمكن أن يكون منهك القوى البدنية ...

– نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام ... أصيب بها أصيب ثم برئ في النهاية فهذا من العوارض.

ولا يشترط أن يكون ذا سيادة في قومه، لكن في الغالب أنه يكون ذا سيادة في قومه، لقول الله تعالى: (وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) (هود: الآية91) ، وهذا هو الغالب وقد يكون ذا شرف في قومه وسيادة، لقول لوط عليه الصلاة والسلام: (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) (هود: الآية80)) ، أي إلى قوم يمنعونني منكم.

فالمهم أنه ليس بشرط أن يكون الرسول ذا سيادة وشرف في قومه، لكن ذلك هو الأكثر، ولا سيما في خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه كان أشرف قومه نسباً ...

وقوله: (حرية ذكورة كقوة) لو قال: (حرية ذكورة وقوة) لكان أحسن. لكنه قال: (كقوة) فكأنه جعل القوة تعليلاً لاشتراط الذكورة واشتراط الحرية [2]

---

[1] صحيح البخاري (4425)

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 520

رتبة النبوة لا تنال بعمل العبد ، وهذا ... لا مجال له الآن؛ لأن الرسالة ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم. [1]

من كان نبياً فلا يمكن أن تسلب منه النبوة ، فالنبوة لها ابتداء وليس لها انتهاء إلا بالموت ...

لكن يمكن أن يكون غير رسول ثم يُرسل كما هو الأصل؛ فالأصل أنه لا يرسل إلا من كان قد بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ليكون تام العقل.

وأما قوله تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام حين أشارت أمه إليه فقالوا: (كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً) (مريم: الآية29) (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً) (مريم: 30) (وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً) (مريم: 31) (وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً) (مريم: 32) ، فقال بعض العلماء رحمهم الله: إن هذا خاص بعيسى عليه الصلاة والسلام، وأما غيره فلابد أن يبلغ أشده ويستوي ويكبر، أما عيسى فإنه آية من آيات الله في خلقه وتكوينه ورسالته، وقيل المعنى آتاني الكتاب في علمه، فيكون التعبير بالماضي باعتبار علم الله، ويكون الماضي هنا استعمل في المستقبل لتحقق وقوعه، وهذا هو الأقرب.

فإن قال قائل: لماذا رجحتم هذا مع أن التقدير الأول لا مانع منه وهو أن يكون خاصاً به؟

فالجواب: إذا رجحنا التقدير الأول فمعنى هذا أننا نمنع هذا الأصل وهو عدم الخصوصية هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن الله لن يرسل رسولاً إلا إذا أن أهلاً للرسالة يتحمل الدعوة ويتحمل الرد على الآخرين، هذا الذي يظهر لي، والله اعلم. [2]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 525

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 526

25/ دلائل النبوة :

دلائل النبوة هي الأدلة التي تعرف بها نبوة النبي الصادق، ويعرف بها كذب المدعي للنبوة من المتنبئين الكذبة؛ لأن هذا موضوع مهم جدّاً.

ودلائل النبوة كثيرة ومتنوعة وغير محصورة:

فمنها: المعجزة، وهي اسم فاعل من العجز المقابل للقدرة.

وفي "القاموس": معجزة النبي ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء فيها للمبالغة، وهي أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد من يختاره لنبوته؛ ليدل على صدقه وصحة رسالته.

ومعجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام كثيرة؛ منها الناقة التي أوتيها صالح عليه السلام حجة على قومه، وقلب العصا حية آية لموسى عليه السلام ...

ودلائل النبوة ليست محصورة في المعجزة كما يقوله المتكلمون، بل هي كثيرة متنوعة.

منها: إخبارهم الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أعدائهم وبقاء العاقبة لهم، فوقع كما أخبروا، ولم يتخلف منه شيء؛ كما حصل لنوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وموسى ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مما قصه الله في كتابه.

ومنها: أن ما جاؤوا به من الشرائع والأخبار في غاية الإحكام والإتقان وكشف الحقائق وهدي الخلق؛ مما يعلم بالضرورة أن مثله لا يصدر إلا عن أعمل الناس وأبرهم.

ومنها: أن الله يؤيدهم تأييداً مستمراً، وقد علم من سنته - سبحانه - أنه لا يؤيد الكذاب بمثل ما يؤيد به الصادق، بل لا بد أن يفتضح الكذاب، وقد يمهله الله ثم يهلكه.

ومنها: أن طريقتهم واحدة فيما يأمرون به من عبادة الله، والعمل بطاعته، والتصديق باليوم الآخر، والإيمان بجميع الكتب والرسل؛ فلا يمكن خروج واحد منهم عما اتفقوا عليه؛ فهم يصدق متأخرهم متقدمهم، ويبشر متقدمهم بمتأخرهم؛ كما بشر المسيح ومن قبله بمحمد صلى الله عليه وسلم، وكما صدق محمد صلى الله عليه وسلم جميع النبيين قبله.

ومن دلائل النبوة: تأييد الله للأنبياء؛ فقد علم من سنة الله وعادته أنه لا يؤيد الكذاب بمثل ما يؤيد الصادق، بل يفضح الكذاب ولا ينصره، يل لا بد أن يهلكه، وإذا نصر ملكا ظالما؛ فهو لم يدع النبوة ولم يكذب عليه، بل هو ظالم سلطه الله على ظالم مثله؛ كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون} ؛ بخلاف من قال: إن الله أرسله، وهو كاذب؛ فهذا لا يؤيده تأييدًا مستمرًا، لكن يمهله مدة ثم يهلكه.

والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما هو دون دعوى النبوة؛ فكيف بدعوى النبوة؟! ومعلوم أن مدعي الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكمله، وإما أن يكون من أنقص الخلق، ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي صلى الله عليه وسلم لما بلغهم ودعاهم إلى الإسلام؛ فقال له: "والله لا أقول لك كلمة واحدة، إن كنت صادقا؛ فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذبا؛ فأنت أحقر من أن أرد عليك"؛ فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم؟!.

وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع والخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز؛ فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور ولا بد أن يفعل أموراً، والكاذب يظهر من نفس ما يأمر به ويخبر عنه ويفعله ما يظهر به كذبه من وجوه كثيرة.

هذا؛ وربما يسأل سائل عن الفرق بين دلائل النبوة وخوارق السحرة والكهان، وعجائب المخترعات التي ظهرت اليوم.

والجواب: أن هناك فوارك كثيرة بين دلائل النبوة وخوارق السحرة والكهان والاختراعات الصناعية:

منها: أن أخبار الأنبياء لا يقع فيها تخلف ولا غلط؛ بخلاف أخبار الكهنة والمنجمين؛ فالغالب عليها الكذب، وإن صدقوا أحيانا في بعض الأشياء؛ بسبب ما يحصل عليه الكهان من استراق

شياطينهم للسمع.

ومنها: أن السحر والكهانة والاختراع أمور معتادة معروفة، ينالها الإنسان بكسبه وتعلمه؛ فهي لا تحرج عن كونها مقدورة للجن والإنس، ويمكن معارضتها بمثلها؛ بخلاف آيات الأنبياء؛ فإنها لا يقدر عليها جن ولا إنس؛ كما قال تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} ؛ فآيات الأنبياء لا يقدر عليها الخلق، بل الله هو الذي يفعلها آية وعلامة على صدقهم؛ كانشقاق القمر، وقلب العصا حية، وتسبيح الحصا بصوت يسمع، وحنين الجذع، وتكثير الماء والطعام القليل؛ فهذه لا يقدر عليها إلا الله.

ومنها: أن الأنبياء مؤمنون مسلمون، يعبدون الله وحده بما أمر، ويصدقون جميع ما جاءت به الأنبياء، وأما السحرة والكهان والمتنبئون الكذبة؛ فلا يكونون إلا مشركين مكذبين ببعض ما أنزل الله.

ومنها: أن الفطر والعقول توافق ما جاء به الأنبياء عليهم السلام، وأما السحرة والكهان والدجالون والكذابون؛ فإنهم يخالفون الأدلة السمعية والعقلية والفطرية.

ومنها: أن الأنبياء جاؤوا بما يكمل الفطر والعقول والسحرة والكهان والكذبة يجيئون بما يفسد العقول والفطر.

ومنها: أن معجزات الأنبياء لا تحصل بأفعالهم هم، وإنما يفعلها الله - عز وجل - آية وعلامة لهم؛ كانشقاق القمر، وقلب العصا حية، والإتيان بالقرآن، والإخبار بالغيب الذي يختص الله به؛ فأمر الآيات إلى الله، لا إلى اختيار المخلوق؛ كما قال الله لنبيه عندما طلبوا منه أن يأتي بآية؛ قال: {قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} 1، وأما خوارق السحرة والكهان والمخترعات الصناعية؛ فإنها تحصل بأفعال الخلق.

والفوارق بين آيات الأنبياء وخوارق الكهان كثيرة واضحة، ومن أراد المزيد؛ فليراجع كتاب (النبوات) لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -. [1]

26/ الإسراء والمعراج :

الإسراء لغة: السير بالشخص ليلاً وقيل: بمعنى سرى، وشرعاً: سير جبريل بالنبي –صلى الله عليه وسلم– من مكة إلى بيت المقدس لقوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى} [الإسراء: 1] الآية.

والمعراج لغة: الآلة التي يُعْرَجُ بها وهي المصعد، وشرعاً: السلم الذي عرج به رسول الله – صلى الله عليه وسلم– من الأرض إلى السماء لقوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} [النجم: 1، 2] إلى قوله: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم: 18] .

وكانا في ليلة واحدة عند الجمهور، وللعلماء خلاف متى كانت، فيروى بسند مُنْقَطِع عن ابن عباس وجابر –رضي الله عنهم أنها ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول ولم يعيِّنا السنة. رواه ابن أبي شيبة.

وَيُرْوَى عن الزهري وعروة أنها قبل الهجرة بسنة رواه البيهقي فتكون في ربيع الأول ولم يُعَيِّنا الليلة، وقاله ابن سعد وغيره وجزم به النووي، وَيُرْوَى عن السدي أنها قبلة الهجرة بستة عشر شهراً رواه الحاكم، فتكون في ذي القعدة وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل: بخمس وقيل: بست.

وكان يقظة لا مناماً لأن قريشا أكبرته وأنكرته، ولو كان مناماً لم تنكره لأنها لا تنكر المنامات.

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 180

وقصته أن جبريل أمره الله أن يسري بالنبي –صلى الله عليه وسلم– إلى بيت المقدس على البراق ثم يعرج به إلى السموات العلا سماء سماء حتى بلغ مكاناً سمع فيه صريف الأقلام وفرض الله عليه الصلوات الخمس واطلع على الجنة والنار واتصل بالأنبياء الكرام وصلى بهم إماماً ثم رجع إلى مكة فحدث الناس بما رأى فكذبه الكافرون وصدق به المؤمنون وتردد فيه آخرون. [1]

وهنا قد يرد إشكال، حيث وجد النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء في السموات فكيف نقول: إنه اختصه بالمعراج مع أن الأنبياء كانوا في السموات؟

والجواب على ذلك من وجهين:

الأول: أن الأنبياء لم يعرج بهم وهم أحياء من الدنيا إلى السموات، وإنما وجد أرواحهم في السموات.

والثاني: أنه حتى الذين في السموات لم يصلوا إلى سدرة المنتهى [2]

– متى كان الإسراء والمعراج ؟

كان قبل الهجرة بثلاثة سنوات، وهذا أرجح ما قيل في ذلك ... وما عرف التاريخ إلا في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. إذاً هو على الأرجح قبل الهجرة بثلاث سنوات.

– من أين كان؟

كان المسجد الحرام من الحجر، أي حجر الكعبة ، وقد ورد في بعض ألفاظ الحديث أنه كان من بيت أم هانئ، والجمع بينهما أن يقال: كان نائماً عند أم هانئ فأتاه آتٍ فأيقظه، فقام إلى المسجد الحرام، واضطجع عند الحِجْر فعرج به من هناك، من المسجد الحرام.

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 102

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمن 547

- هل كان يقظة أو مناما؟

الصواب المقطوع به أنه كان يقظة؛ لأن الله تعالى قال: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) ولم يقل بروح عبده، والعبد هو الجسم الذي فيه الروح، فقد أسري به بجسمه صلوات الله وسلامه عليه يقظة.

ويدل لذلك أيضاً أنه لو كان مناماً لم تنكره قريش؛ لأن المنام لا ينكر ...

- هل تكرر الإسراء والمعراج ؟

الصحيح - إن لم نقل المقطوع به - أنه لم يتكرر، وأنه ليس إلا مرة واحدة.

- هل الإسراء والمعراج في ليلة واحدة؟ أو الإسراء في ليلة والمعراج في ليلة؟

الصواب أنهما في ليلة واحدة، لقوله تعالى: (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الإسراء: الآية1) ، والآيات التي ذكر الله انه يريه إياها هي قوله: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) (النجم: 18) ، فالصواب أن الإسراء والمعراج، كانا في ليلة واحدة.

وهنا يجدر بنا أن ننبه على كتيب في المعراج، تنسب روايته إلى عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، وهو كتيب مطول ولكن أكثره ليس بصحيح، ولا تجوز قراءته، وقد كان الناس فيما سبق يقرؤونه ويجتمعون إلى قارئه، وفيه أشياء منكرة قطعاً. فيجب الحذر من هذا الكتاب؛ لأنه موضوع على ابن عباس رضي الله عنهما ولا يصح عنه.

- هل كان المعراج كما اشتهر عند الناس ليلة سبعة وعشرين من رجب؟

اشتهر عند الناس أنه كان ليلة السابعة والعشرين من رجب، وصار بعض الناس يحتفل به، وبعض الدول تجعله عطلة رسمية، مع أنهم يحكمون بغير ما أنزل الله، وهذا من التناقض العجيب ولكن الصواب أن المعراج ليس في رجب، وأقرب ما قيل: أنه في ربيع الأول؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام ولد في ربيع الأول، وأنزل عليه الوحي أول ما نزل في ربيع الأول، وقد نزل عليه القرآن في رمضان لكن أول ما بدئ به في الوحي الرؤيا الصادقة من ربيع، كما

قالت عائشة رضي الله عنها: كان أول ما بدئ بالوحي أنه أن يرى الرؤيا الصالحة حتى تأتي مثل فلق الصبح ، وبقي على هذا ستة أشهر، وهي: ربيع الأول، والثاني، وجماد الأول، والثاني، ورجب، وشعبان، وفي رمضان أنزل عليه القرآن.

وإذا قارنت بين هذا وبين قول الرسول عليه الصلاة والسلام: ((الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)) ، ونسبت ستة الأشهر إلى الثلاث والعشرين سنة وهي مدة الوحي، صارت ستة الأشهر بالنسبة للثلاث والعشرين سنة، جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة.

إذاً فالنبي صلى الله عليه وسلم ولد في ربيع، وأول ما جاءه الوحي في ربيع، لكن أول ما أنزل عليه القرآن في رمضان، وهاجر في ربيع، وتوفي في ربيع، فكل الحوادث الكبيرة في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام كانت في ربيع، فأصح ما قيل: إن المعراج كان في ربيع وليس في رجب، لكن اشتهر أنه في رجب، وصار عند الناس كأنه مجزوم به، كما اشتهر أن ولادته كانت في ليلة الثاني عشر، وهذا لا أصل له.[1]

- النبي صلى الله عليه وسلم ... نهى عن التفضيل بين الأنبياء حيث يكون الحقد والعدوان ، فلو أن أحداً فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على موسى بحضرة اليهود، وصار ذلك سبباً للعداوة أو البغضاء ثم سببا للشر فإنه لا يفضل درءاً للمفسدة [2]

27/ مجيء ملك الموت إلى موسى صلى الله عليه وسلم :

جاء ملك الموت بصورة إنسان إلى نبي الله موسى -عليه الصلاة والسلام- ليقبض روحه فلطمه موسى ففقأ عينه فرجع الملك إلى الله وقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال: ارجع إليه وقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطى يده بكل شعرة سنة فقال موسى: ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال: فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 550

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 565

حجر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فلو كنت ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر". وهذا الحديث ثابت في الصحيحين [1]

28/ إنكار حديث لطم موسى للملك :

بعض المبتدعة أنكره معللاً ذلك بأنه يمتنع أن موسى يلطم الملك، ونرد عليهم بأن الملك أتى موسى بصورة إنسان لا يعرف موسى من هو، يطلب منه نفسه، فمقتضى الطبيعة البشرية أن يدافع المطلوب عن نفسه، ولو علم موسى أنه ملك لم يلطمه ولذلك استسلم له في المرة الثانية حين جاء بما يدل أنه من عند الله وهو إعطاؤه مهلة من السنين بقدر ما تحت يده من شعر ثور [2]

29/ تطرف في عيسى طائفتان :

الأولى: اليهود كذبوه، فقالوا: بأنه ولد زنى، وأن أمه من البغايا، وأنه ليس بنبي، وقتلوه شرعا، أي: محكوم عليهم عند الله أنهم قتلوه في حكم الله الشرعي، لقوله تعالى عنهم: {إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ} وأما بالنسبة لحكم الله القدري، فقد كذبوا، وما قتلوه يقينا، بل رفعه الله إليه، ولكن شبه لهم، فقتلوا المشبه لهم وصلبوه.

الثانية: النصارى قالوا: إنه ابن الله، وإنه ثالث ثلاثة، وجعلوه إلها مع الله، وكذبوا فيما قالوا.

أما عقيدتنا نحن فيه: فنشهد أنه عبد الله ورسوله، وأن أمه صديقة، كما أخبر الله تعالى بذلك، وأنها أحصنت فرجها، وأنها عذراء، ولكن مثله عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له: كن، فيكون.

وفي قوله: "عبد الله": رد على النصارى.

وفي قوله: "ورسوله": رد على اليهود. [3]

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 103

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 103

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 72/1

- أطلق الله عليه كلمة، لأنه خلق بالكلمة عليه السلام، فالحديث ليس على ظاهره، إذ عيسى عليه السلام ليس كلمة، لأنه يأكل، ويشرب، ويبول ويتغوط، وتجري عليه جميع الأحوال البشرية، قال الله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} ... [1]

قوله: {وَرُوحٌ مِنْهُ} ...أي: خلق من مخلوقاته أضيفت إليه تعالى للتشريف والتكريم ... قال الله تعالى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ} فبالنفخ صار جسدا، وبالروح صار جسدا وروحا.

وقوله: "منه": هذه هي التي ضل بها النصارى، فظنوا أنه جزء من الله، فضلوا وأضلوا كثيرا ... أي: روح صادرة من الله- عز وجل ... [2]

- أبو إبراهيم مات على الكفر، والصواب الذي نعتقده أن اسمه آزر ...[3]

---

[1] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/ 73

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/ 74

[3] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/ 94

الفصل السادس :

الإيمان باليوم الآخر

المبحث الأول : مفاهيم في اليوم الأخر

1/ أهمية الإيمان باليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر فريضة واجب، ومرتبته في الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة.

وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الإيمان به تعالى والإيمان باليوم الآخر ... لأن من لم يؤمن باليوم الآخر؛ لا يمكن أن يؤمن بالله ...

وسمى اليوم الآخر باليوم الآخر؛ لأنه يوم لا يوم بعده؛ فهو آخر المراحل.

والإنسان له خمس مراحل : مرحلة العدم ؟ ثم الحمل، ثم الدنيا، ثم البرزخ، ثم الآخرة [1]

والإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان؛ كما يدل على ذلك القرآن في كثير من الآيات: حيث يذكر الإيمان به تارة مع الإيمان بالأركان الستة التي هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر؛ كما في حديث عمر - رضي الله عنه - في سؤالات جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم.

وتارة يذكر الإيمان مع الإيمان بالله؛ كما قال تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ} وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}

وقد سمى الله هذا اليوم بعدة أسماء؛ تنويها بشأنه، وتنبيها للعباد؛ ليخافوا منه: فسماه اليوم الآخر؛ لأنه بعد الدنيا، وليس بعده يوم غيره. وسماه يوم القيامة؛ لقيام الناس فيه لربهم. وسماه الواقعة والحاقة والقارعة والراجفة والصاخة والآزفة والفزع الأكبر ويوم الحساب ويوم الدين والوعد الحق ...

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/105

وكلها أسماء تدل على عظم شأنه، وشدة هوله، وما يلقاه الناس فيه من الشدائد والأهوال؛ فهو يوم تشخص فيه الأبصار، وتطير القلوب عن أماكنها، حتى تبلغ الحناجر، {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} 3، {يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ} 4.

والإيمان بهذا اليوم يحمل الإنسان على العمل والاستعداد له؛ كما قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} 5، وقال تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} 6، وقال تعالى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً} 1.

كما أن الإيمان بهذا اليوم يحمل على الثبات عند لقاء الأعداء والصبر على الشدائد؛ كما قال تعالى في قصة طالوت وجنوده حينما لقوا عدوهم الذي يفوقهم في الكثير بعد ما جاوزوا نهر الامتحان ولم ينجح منهم إلا القليل؛ قال تعالى: {فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} 2.

كما أن عدم الإيمان بهذا اليوم يحمل الإنسان إلى الكفر والمعاصي، وعلى الظلم والعدوان، والبغي والفساد؛ قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} 3، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} 4، وقال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا لا

يَرْجُونَ حِسَاباً وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً} 5، وقال تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} 6.

وقد أمر الله باتقاء ذلك اليوم بالاستعداد له بالأعمال الصالحة التي تنجي من أهواله؛ قال تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} 7، {وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ
نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ} 1، {وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} 2.

والإيمان باليوم الآخر معناه: أن تصدق بكل ما بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه، وبالبعث بعد ذلك، والحساب والميزان، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة.[1]

2/ أسماء اليوم الآخر :

سمي باليوم الآخر لتأخره عن الدنيا ، وله أسماء كثيرة في القرآن؛ منها:

1- يوم البعث: لأن فيه البعث والحياة بعد الموت

2- يوم الخروج: لأن فيه خروج الناس من قبورهم إلى الحياة الأخرى.

3- يوم القيامة: لأن فيه قيام الناس للحساب.

4- يوم الدين: لأن فيه إدانه الخلائق ومجازاتهم على أعمالهم.

5- يوم الفصل: لأن فيه الفصل بين الناس بالعدل.

6- يوم الحشر: لأن فيه يجمع الخلائق وحشرهم في موقف الحساب.

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 253

7- يوم الجمع: لأن الله يجمع فيه الناس للجزاء.

8- يوم الحساب: لأن فيه محاسبة الناس على أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

9- يوم الوعيد: لأن فيه تحقيق وعيد الله للكافرين.

10- يوم الحسرة: لأن فيه حسرة الكافرين.

11- يوم الخلود: لأن الحياة في هذا اليوم حياة خالدة أبدية.

12- الدار الآخرة: لأنها بعد دار الدنيا، وهي دار باقية ليس بعدها انتقال إلى دار أخرى.

13- دار القرار: لأنها الاستقرار الدائم بلا فناء ولا انتقال.

14- دار الخلد: لأن الإقامة أبدية.

15- الواقعة: لتحقق وقوعها.

16- الحاقة: لأنها تحق كل مجادل وخاصم بالباطل؛ بمعنى: تغلبه.

17- القارعة: لأنها تقرع الأسماع والقلوب بأهوالها.

18- الغاشية: لما يجري فيها من غشيان عام للثقلين.

19- الطامة: لأنها تغلب وتفوق ما سواها من الدواهي.

20 - الآزفة: أي: القريبة، سميت بذلك إشعارًا بقربها بالنسبة إلى عمر الدنيا.

21- يوم التغابن: لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار.

22- يوم التناد: لأنه يدعى فيه كل أناس بإمامهم، وينادى بعضهم بعضا، وينادي أهل الجنة أهل النار، وأهل النار أهل الجنة، وينادي أصحاب الأعراف. [1]

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 256

3/ الإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: **الإيمان بالبعث** :

وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين ، حفاة غير منتعلين عراة غير مستترين غر لا غير مختتنين...:كما بدأنا أول خلق نعيد وعداً علينا إنا كنا فاعلين{ الأنبياء: 104}

والبعث : حق ثابت دل عليه الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين . قال الله تعالى: ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون {سورة المؤمنون، الآيتين: 15-16}...وأجمع المسلمون على ثبوته ، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله قال الله تعالى : أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وانكم إلينا لا ترجعون {سورة المؤمنون، الآية: 115} ...

الثاني: **الإيمان بالحساب والجزاء**:

يحاسب العبد على عمله ، ويجازى عليه ، وقد دل على ذلك الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين ، قال الله تعالى: إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم {سورة الغاشية، الآيتين : 25-26}...

وعن ابن عمر رضي الله عنهما-أن النبي صلى الله عليه وسلم -قال: "إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى أنه قد هلك قال: قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين". متفق عليه. وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم :"أن من هم بحسنة فعملها ، كتبها الله عنده عشر حسنا إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وأ، من هم بسيئة ففعلها كتبها الله سيئة واحدة" .

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال ، وهو مقتضى الحكمة فإن الله

تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل ، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به ، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم ، وذرياتهم ، ونسائهم ، وأموالهم. فلو لم يكن حساب، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله : فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين * فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين عليهم بعلم وما كنا غائبين{سورة الأعراف، الآيتين: 6-7} .

الثالث: **الإيمان بالجنة والنار :**

وأنهما المال الأبدي للخلق ، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين ، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله ، مخلصين لله متبعين لرسوله . فيها من أنواع النعيم مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر" وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين ، الذين كفروا به وعصوا رسله ، فيها من أنواع العذاب والنكال مالا يخطر على البال ...

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر : الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل:

(أ)فتنة القبر: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد صلى الله عليه وسلم. ويضل الله الظالمين فيقول الكافر هاه ، هاه ، لا أدري . ويقول المنافق أو المرتاب لا أدري سمعت الناس لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

(ب)عذاب القبر ونعيمه: فيكون العذاب للظالمين من المنافقين والكافرين قال الله تعالى ... في آل عمران -: النار يعرضون عليها عدوا وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا ال فرعون أشد العذاب {سورة غافر، الآية: 44} . وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار. قالوا: نعوذ بالله من عذاب

النار. فقال: تعوذوا بالله من عذاب القربر. قالوا. قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر...

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: إن الذين قالوا ربنا الله ثم أستقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون {سورة فصلت، الآية: 41}. ..وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره مد بصره" رواه أحمد أبو داود في حديث طويل.

4/ ثمرات الإيمان باليوم الآخر :

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة عند فعل المعصية والرضى بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

– **فائدة :** الإنسان إذا مات؛ دخل في اليوم الآخر، ولهذا يقال من مات؛ قامت قيامته؛ فكل ما يكون بعد الموت؛ فإنه من اليوم الآخر. إذاً؛ ما أقرب اليوم الآخر لنا؛ ليس بيننا وبينه إلا أن يموت الإنسان [1]

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/105

المبحث الثاني : أشراط الساعة

المطلب الأول : مفاهيم في أشراط الساعة

1/ تعريف :

الأشراط جمع شرط وهو لغةً: العلامة، والساعة لغةً: الوقت أو الحاضر منه، والمراد بها هنا القيامة، فأشراط الساعة شرعًا العلامات الدالة على قرب يوم القيامة قال الله تعالى:

{فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} [محمد: 18] .[1]

2/ أشراط الساعة إيرادُهَا من الشارع إنما هو لأمرين :

1 - لأجل الإيمان بها.

2 - ثُمَّ لتكون دِلَالَةْ من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.[2]

3/ أقسام أشراط الساعة :

اعلم أن أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم ظهر وانقضى، وهو الأمارات البعيدة. وقسم ظهر ولم ينقض، بل لا يزال في زيادة. والقسم الثالث: الأمارات الكبيرة التي تعقبها الساعة، وهي تتتابع كنظام خرزات انقطع سلكها".

فالأولى : "أعني التي ظهرت ومضت وانقضت":

منها: بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وموته، وفتح بيت المقدس.

ومنها: قتل المؤمنين عثمان بن عفان – رضي الله عنه –؛ قال حذيفة: "أول الفتن قتل عثمان"، وذكر الحروب التي وقعت بين المسلمين بعد ذلك، وظهور الفرق الضالة كالخوارج والرافضة، ثم قال: "ومنها: خروج كذابين دجالين، وكل منهم يدعي أنه نبي".

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 105

[2] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 697/1

ومنها: زوال ملك العرب؛ رواه الترمذي.

ومنها: كثرة المال؛ رواه الشيخان وغيرهما.

ومنها: كثرة الزلازل والخسف والمسخ والقذف ...

وغير ذلك مما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أمارات الساعة؛ فظهر ومضى وانقضى.

الثانية : الأمارات المتوسطة.

وهي التي ظهرت ولم تنقض، بل تتزايد وتكثر، وهي كثيرة جدًا:

منها قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع"، رواه الإمام أحمد والترمذي والضياء المقدسي من حديث حذيفة - رضي الله عنه -، واللكع: العبد والأحمق واللئيم، والمعنى: لا تقوم الساعة حتى يكون اللئام والحمقى ونحوهم رؤساء الناس.

ومن الأمارات: قوله صلى الله عليه وسلم: "يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر"، رواه الترمذي عن أنس.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد"، رواه الإمام أحمد ولأبو داود وابن حبان وابن ماجه عن أنس - رضي الله عنه -.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة"، وفي لفظ: "فساق"، رواه أبو نعيم والحاكم عن أنس.

ومنها أن يرى الهلال ساعة يطلع، فيقال: لليلتين؛ لا نتفاخه وكبره، روى معناه الطبراني عن ابن مسعود، وفي لفظ: "من أشراط الساعة انتفاخ الأهلة"؛ بالخاء المعجمة؛ أي: عظمها، وروي بالجيم.

ومنها: اتخاذ المساجد طرقا ... ".

إلى أن قال: " ومنها: ما في "صحيح البخاري" وغيره من حديث أنس - رضي الله عنه؛ أنه قال: ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يحدثكم به أحد غيري؟، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن من أشراط الساعة: أن يُرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنى، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء؛ حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد".

وفي (الصحيح) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه؛ قال: "بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي؛ قال متى الساعة؟، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، وقال بعض القوم: سمع ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه؛ قال: أين السائل عن الساعة؟. فقال: ها أنا يا رسول الله!، قال: فإذا ضيعت الأمانة؛ فانتظر الساعة قال: كيف إضاعتها؟، قال: إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله؛ فانتظر الساعة".

الثالثة : من أمارات الساعة العلامات العظام والأشراط الجسام التي تعقبها الساعة:

ومنها: خروج المهدي، والمسيح الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وهدم الكعبة، والدخان، ورفع القرآن، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وخروج النار من قعر عدن، ثم النفخ في الصور نفخة الفزع، ثم الصعق وهلاك الخلق، ثم نفخة البعث والنشور" وعلى كل؛ فالأمر عظيم، ونحن في غفلة، وقد ظهر من هذه العلامات الشيء الكثير؛ فنسأل الله عز وجل أن يثبتنا على دينه، ويتوفانا على الإسلام، ويقينا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وهذا من علامات النبوة ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث أخبر عن أمور مستقبلة مما أطلعه الله عز وجل على علمه، فوقع كما أخبر، وهذا مما يقوي إيمان العبد.

وفي إخباره صلى الله عليه وسلم بذلك رحمة بالعباد؛ ليحذروا، ويستعدوا، ويكونوا على بصيرة من أمرهم؛ فصلوات الله وسلامه على هذا النبي الكريم، الذي بلغ البلاغ المبين، وبيَّن غاية

التبيين، ونحن على ذلك من الشاهدين.

وأول هذه العلامات: ظهور المهدي، ثم خروج الدجال، ثم نزول المسيح عليه السلام، ثم تتابع.[1]

4/ ثلاثة طرق تثبت بهذا أشراط الساعة :

الأول: ما صح من أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، وقيد المؤلف رحمه الله ذلك بقوله: (ما صح) احترازا مما لم يصح ... ولهذا يجب التحرز من الكتب المؤلفة في هذا، مثل الإشاعة في أشراط الساعة، فإن فيه أشياء كثيرة غير صحيحة ...

الثاني: ما جاء في التنزيل، والمراد به القرآن، كما قال الله تعالى (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (السجدة: 2) .

والثالث: ما جاء في الآثار، وهي جمع أثر، وهو ما روي عن الصحابي، بشرط ألا يكون معروفاً بالأخذ عن بني إسرائيل، فإن كان معروفاً بالأخذ عن بني إسرائيل فإن إخباره تكون كأخبر بني إسرائيل لا تصدق ولا تكذب.[2]

5/ الناس في مسائل أشراط الساعة :

- منهم من يتأولها وينفي ما لا يدل عليه العقل، ويأخذ بما دلَّ عليه العقل.
- ومنهم من يتأول بعضاً.
- ومنهم من يؤمن بها على ظاهرها كما جاءت لأنها أمورٌ غيبية وهذا هو الذي ينبغي...

والواجب في هذا التسليم وأن لا يخوض الناس في عقليات تنفي ظاهر الأدلة.

فنؤمن بها كما جاءت ولا ندخل فيها كما ذكرت بتأويلٍ أو بمجازٍ يصرفها عن ظواهرها.[3]

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 222

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 430

[3] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 695/1

6/ فوائد :

- التّحديث بأشراط الساعة الصغرى والكبرى وذِكْرُهَا مما يُقَوِّي اليقين ويُقَوِّي الإيمان وهو من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. [1]

- المقصود من هذه الأشراط هو إنذار الناس بقرب قيام الساعة، حتى يستعدوا لها ويعملوا لها.[2]

- من ادعى علم الساعة، فهو كاذب كافر، ومن صدقه، فهو أيضاً كافر، لأنه مكذب للقرآن. [3]

---

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 1/ 691

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 466

[3] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 194

المطلب الثاني : أشراط الساعة الصغرى

1/ تعريف الأشراط الصغرى :

هي ما دلَّ الدليل على أنَّهُ مِنْ علامات قُرْبْ الساعة وليس من العشر آيات التي جاءت في الحديث أنها تكون بين يدي الساعة.

فحصلت الأشراط الصغرى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا تزال تحصل وتحصل إلى بَدْءِ الأشراط الكبرى.[1]

2/ الأشراط الصغرى آيات ودلائل :

الأشراط الصغرى كثيرة جداً ومتنوعة، ولا يدلُّ كون الحَدَثْ من أشراط الساعة على مدحه أو ذمه، بل هي آيات ودلائل على القرب :

– فتارةً تكون ممدوحةً غاية المدح، منها بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر باعتباره آية لمحمد صلى الله عليه وسلم، ومنها فتح بيت المقدس.

– وقد تكون مذمومةً مُحَرَّمَةً أو مكروهة، أو تكون واقِعَةً كونِيَّةً فيها ابتلاء أو عقوبة للعباد.

والمقصود من ذلك أنَّ ما جاء في الدليل أنَّهُ من آيات أو أشراط الساعة فلا يدلُّ كونه من أشراط الساعة على أنَّهُ ممدوحٌ أو مذموم إلا بدليلٍ آخر أو بحقيقة الأمر.

وأشراط الساعة الصغرى كثيرةٌ جداً جداً، فمما يشار إليه فيها ما جاء في الحديث الذي رواه البخاري وغيره، حديث عوف بن مالك أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أُعْدُدْ سِتّاً بين يدي الساعة، موتي ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتَانٌ يَأْخُذُ فيكم كقُعَاصِ الغنم، ثم استفاضة المال﴾ ... إلخ الحديث.

ومنها مما حَدَثَ وهذه حدثت قريباً من عهده صلى الله عليه وسلم.

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 1/690

ومنها مما حَدَثَ بعيداً عن عهده صلى الله عليه وسلم، النار التي خرجت من المدينة في القرن السابع الهجرى، في نحو سنة أربع وخمسين وستمائة، وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من الحجاز﴾ أو ﴿من المدينة تُضيىء لها أعناق الإبل ببُصرى﴾ [1]

3/ من أشراط الساعة الصغرى :

1/ ظهور المهدي :

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي"، رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي بأسانيد صحيحة، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة.

قال العلامة السفاريني: "وقد تكاثرت الروايات والآثار بأمر المهدي".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم" انتهى.

واسم المهدي: محمد بن عبد الله، من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، يخرج في آخر الزمان، وقد امتلأت الأرض جورًا وظلما، فيملؤها عدلاً وقسطا.

قال العلامة السفاريني: "قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى، والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم ... " انتهى.

أقول: وقد انقسم الناس في أمر المهدي إلى طرفين ووسط:

---

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 1/ 691

فالطرف الأول: من ينكر خروج المهدي ؛ مثل بعض الكتاب المعاصرين الذين ليس لهم خبرة بالنصوص وأقوال أهل العلم، وإنما يعتمدون على مجرد آرائهم وعقولهم.

والطرف الثاني: من يغالي في أمر المهدي من الطوائف الضالة، حتى ادعت كل طائفة لزعيمهم أنه المهدي المنتظر؛ فالرافضة تدعي أن المهدي هو إمامهم المنتظر الذي ينتظرون خروجه من السرداب، ويسمونه محمد بن الحسن العسكري، دخل سرداب سامرًا طفلاً صغيرًا منذ أكثر من ألف سنة، وهم ينتظرون خروجه، والفاطمية يزعمون أن زعيمهم هو المهدي ...

وهكذا كل من أراد التسلط والتغلب على الناس وخداعهم؛ ادعى أنه المهدي المنتظر؛ كما أن من أراد الدجل والاحتيال من الصوفية ادعى أنه من أهل البيت وأنه سيد.

وأما الوسط في أمر المهدي؛ فهم أهل السنة والجماعة، الذين يثبتون خروج المهدي على ما تقضي به النصوص الصحيحة في اسمه واسم أبيه ونسبه وصفاته ووقت خروجه، لا يتجاوزون ما جاء في الأحاديث في ذلك، ولخروجه أمارات وعلامات تسبقه، وذكرها أهل العلم.

قال العلامة السفاريني: "قد كثرت الأقوال في المهدي، حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى، والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات؛ حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة؛ حتى عد من معتقداتهم ... ".

إلى أن قال: "وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم - رضي الله عنهم - بروايات متعددة وعن التابعين بعدهم ما يفيد مجموعة العلم القطعي؛ فالإيمان بخروج المهدي واجب؛ كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة".

ثم قال السفاريني في بيان سيرته: "قال أهل العلم: يعمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يوقظ نائما، ويقاتل على السنة؛ لا يترك سنة إلا أقامها، ولا بدعة إلا رفعها، ويقوم بالدين

آخر الزمان كما قام به النبي صلى الله عليه وسلم؛ يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويرد إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم، يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت ظلما وجورًا".

وقال في وصفه - أيضا -: "ثم يخرج رجل من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، مهدي، حسن السيرة، يغزو مدينة قيصر، وهو آخر أمير من أمة محمد، يخرج في زمانه الدجال، وينزل عيسى بن مريم".

قال: "ونقل العلامة الشيخ مرعي في كتابه "فوائد الفكر" عن أبي الحسن محمد بن الحسين؛ أنه قال: قد تواترت الأحاديث واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمجيء المهدي، أنه من أهل بينه صلى الله عليه وسلم، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسى، فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى يصلي خلفه [يعني: صلاة واحدة، وهي الفجر] " انتهى.

ذلكم هو المهدي الذي أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين صفاته الفارقة، ووقت خروجه وسيرته.

وقد ادعى المهدية جماعة من الضلال في وقت مبكر عن وقته، ولا تنطبق عليهم صفاته، وإنما أرادوا بذلك بالسذج، واستغلال ادعاء هذه الشخصية لمطامعهم الخاصة، فأظهر الله كذبهم، وفضح باطلهم، ولا تعجب؛ فقد ادعى قزم النبوة، وافتروا على الله الكذب، {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ} .[1]

والمهدي سُمِّيَ مَهْدِيًّاً لأنَّ الله - عز وجل - سيهديه ويُصْلِحُه في ليلة كما جاء في الحديث الصحيح أَنَّهُ يذهب إلى مكة في حين اختلافٍ من الناس؛ يعني أنَّ الناس لا أمير لهم ولا إمام

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 225

ولا جماعة، فيعود بالبيت فيخرج إلى الحرم يعني إلى مكة فيلوذ بالكعبة، ثم يأتيه الناس فيأمرونه بالخروج ويبايعونه.

وقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿يصلحه الله في ليلة﴾ ، اختلف العلماء فيه، هل معناه:

أَنَّهُ يُصْلِحُهُ في أمر دينه ولم يكن صالحاً؟

أو أَنَّهُ يصلحه لأمر الوَلاية وإمارة الناس؟

والأظهر هو الثاني أَنَّهُ يصلحه الله في ليلة لإمارة الناس ولقيادتهم.

وهو من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب، واسمه كاسم محمد صلى الله عليه وسلم، محمد بن عبد الله، وجاء في الأحاديث صفاته، وبلغت الأحاديث التي فيها ذكر المهدي بأسانيد صحيحة وحِسَانْ وضعاف أكثر من أربعين حديثاً.

ولهذا قال طائفة من أهل العلم إنَّ أحاديث المهدي تبلغ مبلغ التواتر المعنوي، يعني الذي في جملته، لا في أفراده، يدل على أنَّ المهدي سيخرج في آخر الزمان قُرْبْ خروج الدجال.[1]

2/ هدم الكعبة :

في آخر الزمان يسلط الله على هذه الكعبة رجلا من الحبشة قصير افحج - يعني الرجلين - فينتقضها حجراً حجرا، ومعه جنود يتناولون هذه الأحجار من رجل لآخر إلى البحر، أي أنهم من مكة إلى جدة، وهم صف يتناولون أحجارها ويلقونها في البحر، ولا يسلط عليه أحد ؛ لأن الله عز وجل قد قضى بنهاية هذه الكعبة

أما أصحاب الفيل فحماها الله منهم؛ لأنه لم يقض أجلها بعد، ولأن هناك رسولاً يبعث من أم القرى يدعو الناس إلى حج هذا البيت، فكان من حكمة الله عز وجل أن دافع الله عنه حتى بقي ولله الحمد.

1

ولا شك أن الله تعالى يسلط هذا الرجل الحبشي على بيت الله فينتقضه حجراً حجرا، وإنما يكون ذلك - والله اعلم - إذا عتى أهل مكة فيها، وأهانوا حرمة البيت، وذلك بالمعاصي؛ من شرك وزنى ولواط وشرب خمر وغير ذلك، فحينئذٍ لا يبقى مكان لهذا البيت المعظم بين هؤلاء الذين أهانوه، أما ما دام معظماً فإن لله سيحميه، لكن إذا أسقطت حرمته من أهل مكة؛ حينئذٍ لا يبقى له مكان بين هؤلاء القوم. [1]

3/ الذهاب بالقرآن :

يذهب بالقرآن؛ فينزع من صدور الرجال ويمحى من المصاحف، في ليلة واحدةٍ يقوم الناس والحفاظ وقد نسوا، والمصاحف بيضاء ليس فيها كتابة. وهذا هو أحد المعنيين في قول السلف: منه بدأ واليه يعود، أي يرجع في آخر الزمان، فلا يبقى مصاحف، ولا قرآن في الصدور.

فإذا قال قائل: كيف يكون ذلك وما هي الحكمة من ذلك؟

فالجواب عن هذا ما ذكرناه في الكعبة؛ حين يعرض الناس عن كتاب الله فلا يتلونه حق تلاوته، ولا يصدقون أخباره، ولا يعلمون بأحكامه، فيبقى هذا القرآن الكريم في قوم قد جفوه تماما، فلا يليق أن يبقى بينهم.

وعلى هذا يحمل حديث حذيفة في قوم لا يعرفون من الإسلام إلا لا إله إلا الله، وقد اندرس الإسلام ، وهذا يكون بعد نزع القرآن من الصدور والمصاحف ولا يبقى شيء يعلم - نسأل الله العافية -، وهو من أشراط الساعة؛ لأن نزعه من الأمة دليل على قرب انتهائها. [2]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 460

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 461

المطلب الثالث : أشراط الساعة الكبرى

1/ تعريف الأشراط الكبرى :

الأشراط الكبرى يُعْنَى بها العلامات والآيات التي تكون قريبةً من الساعة، بحيث إذا حدثت فإنَّ يوم القيامة قريبٌ جداً جداً.

وسُمِّيَتْ كبرى لأنها آيات عظيمة تحدث ليس في حُسْبَانْ العِبَادْ أنْ تحدُثْ ولم يكن لها دليلٌ قبلها أو لها ما يشابهها.

وهذه الأشراط الكبرى عشر كما جاءت في الأحاديث؛ ولكنها جاء في عدة أحاديث غير مرتبة، يعني من جهة الوقوع [1]

عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: ﴿ما تذاكرون؟﴾ قالوا: نذكر الساعة، قال: " إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات - فذكر - الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم " [2]

2/ ترتيب الأشراط الكبرى : (ترتيب العلامة صالح أل الشيخ)

- أول ما يحدث خروج الدجال.
- ثم نزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء.
- ثم خروج يأجوج ومأجوج.
- ثم ثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق وخسفٌ بالمغرب وخسفٌ بجزيرة العرب.
- ثم طلوع الشمس من مغربها.

---

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 692/1

[2] صحيح مسلم 2901

- ثم خروج الدابة على الناس ضحى.

- ثم الدُّخان.

- ثم خروج النار التي تحشر الناس إلى أرض المحشر.

وفي ترتيب الدخان هل هو قبل طلوع الشمس من مغربها أو هو بعد طلوع الشمس فيه خلاف بين أهل العلم، والأظهر هو ما ذكرت لك مِنَ الترتيب. [1]

أولا : خروج المسيح الدجال

- تعريف :

سمي المسيح لأنه عينه ممسوحة، وقيل: لأنه يسمح الأرض؛ أي: يقطعها.

ويسمي الدجال من الدجل، وهو الخلط؛ يقال: دجل: إذا خلط وموه، ودجال على وزن فعال، من أبنية المبالغة؛ أي: يكثر منه الكذب والتلبيس . [2]

- الدجال خروجه ثابت بالسنة والإجماع :

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "قولوا اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات" رواه مسلم وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتعوذ منه في الصلاة متفق عليه . وأجمع المسلمون على خروجه. [3]

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 1/691

[2] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 229

[3] تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 105

- ما قبل خروج الدجال :

قال صلى الله عليه وسلم : ﴿تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله﴾[1]

وقال صلى الله عليه وسلم : عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال[2]

- زمان خروجه :

يخرج في زمان المهدي قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله: "ثم يؤذن له [أي: الدجال] في الخروج في آخر الزمان؛ يظهر أولاً في صورة ملك من الملوك الجبابرة، ثم يدَّعي النبوة، ثم يدَّعي الربوبية، فيتبعه على ذلك الجهلة من بني آدم، والطغام من الرعاع والعوام، ويخالفه ويرد عليه من هداه الله من الصالحين وحزب الله المتقين، ويتدنى فيأخذ البلاد بلدًا بلدًا وحصنا حصنا وإقليما إقليما وكورة كورة، ولا يبقى بلد من البلدان إلا وطئه بخيله ورجله؛ غير مكة والمدينة [3]

- مكان خروجه :

قال صلى الله عليه وسلم : ﴿إنه خارج خلة بين الشأم والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا﴾[4]

قال صلى الله عليه وسلم : الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة[5]

---

[1] صحيح مسلم 2900

[2] حسنه الألباني في سنن أبي داود 4294

[3] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 229

[4] صحيح مسلم 2937

[5] صححه الألباني في سنن الترمذي 2237

– فتنته :

ذكر من فتنته أنه يدعي أول ما يظهر أنه نبي، فإذا تابعه الناس على ما معه من التمويه ادعى أنه رب، ويؤيد على ذلك بما آتاه الله من الفتنة؛ حيث يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فيأتي إلى القوم يدعوهم إلى أنه الرب، فإذا أجابوه قال للسماء: أمطري، فتمطر السماء، وقال للأرض: انبتي، فتنبت الأرض، وتهتز رابية، فترجع مواشيهم إليهم أسبغ ما تكون ضروعاً، فتمتلئ ضروعها لبناً، وجلودها لحما وشحما، ويخصبون.

ويأتي إلى القوم يدعوهم فينكرونه ويكذبونه، فيأمر السماء فتقلع، والأرض فتجدب، فيصبحون ممحلين ليس عندهم شيء من المراعي، وترجع إليهم مواشيهم كأهزل ما تكون، وهذه فتنة عظيمة، ولا سيما لأهل البادية فيبعث الله إليه شاباً فيواجهه، يدعوه إلى ما يدعوه إليه من أنه الرب، فيقول له الشاب: كذبت، ولكنك الدجال الذي اخبرنا عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين – أي قطعتين – ويمشي بين القطعتين تحقيقا للانفصال، ثم يأمره فيقول: قم، فتلتئم الجزلتان ويقوم سويا، ولكنه يقول: اشهد أنك المسيح الدجال الذي أخرنا عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ما ازددت فيك إلا بصيرة، فيقتله ثانية ويمشي بين شقيه ثم يحييه، فإذا قال له: أنت المسيح الدجال، وأراد أن يقتله عجز عنه، فظهر بذلك عجزه أمام الناس [1]

– خطورته :

لخطورة محنته وشدة فتنه؛ حذرت منه الأنبياء أممها، وأشدهم تحذيرًا لأمته محمد صلى الله عليه وسلم.

عن أبي عبيدة بن الجراح – رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 454

"إنه لم يكن نبي بعد نوح؛ إلا وقد أنذر الدجال قومه، وإني أنذركموه" رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالاستعاذة من فتنته في آخر كل صلاة؛ فعن أبي هريرة – رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر؛ فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال"، رواه الإمام أحمد ومسلم.

وقد تواترت الأحاديث من وجوه متعددة في إثبات خروج الدجال وبيان فتنته والاستعاذة منه، وأجمع أهل السنة والجماعة على خروج الدجال في آخر الزمان، وذكروا ذلك ضمن مباحث العقيدة، فمن أنكر خروجه؛ فقد خالف ما دلت عليه الأحاديث المتواترة، وخالف ما عليه أهل السنة والجماعة. [1]

– إنكار وجود الدجال :

لم ينكر خروجه إلا بعض المبتدعة كالخوارج والجهمية، وبعض المعتزلة، وبعض الكتاب العصريين، والمنتسبين إلى العلم، ولم يعتمدوا على حجة يدفعون بها النصوص المتواترة سوى عقولهم وأهوائهم، ومثل هؤلاء لا عبرة بهم ولا بقولهم.

والواجب على المسلم الإيمان بما صح عن الله ورسوله، واعتقاد ما يدل عليه، وأن لا يكون من الذين قال الله تعالى فيهم: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُه} 1؛ لأن مقتضى الإيمان بالله ورسوله هو التسليم لما جاء عنهما والإيمان به، ومن لم يفعل؛ فإنه متبع لهواه بغير هدى من الله. [2]

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 230

[2] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 231

- الدجال بشر من بني آدم :

الدجال بشر من بني آدم، ليس من الشياطين ولا من مواد أخرى وهو كله عيب، حتى إنه اعور أعين التي يبصر بها، فهو أعور العين، كما بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، إذا فهو بشر سيئ أعور العين قبيح المنظر. [1]

- مدة مكوثه :

يمكث المسيح الدجال في الأرض أربعين يوماً، اليوم الأول كسنة، واليوم الثاني كشهر، واليوم الثالث كجمعة، واليوم الرابع كسائر الأيام.

ولما حدث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك لم يؤولوا الحديث ويقووا: إن اليوم الأول كسنة لشدته على الناس، والشدة تكون أيامها طويلة، هذا هو معنى الحديث المعقول، وليس معنى الحديث أن الشمس تتريث وتبقى لا تغيب إلا بعد سنة. فلم يقولوا هكذا، ولو أن هذا كان عند المتأخرين لسهل عليهم أن يقولوا بذلك، ولقالوا: هذا كناية عن شدة اليوم الأول، وأنه لشدته كأنه سنة، لكن الذين عندهم صفاء القلوب وقبول ما جاءت به الشريعة قالوا: يا رسول الله، كيف نصنع بصلاتنا في ذلك اليوم؟ قال: ((اقدروا له قدره)) ، فأخذوا الأمر مسلماً به بدون تأويل، وإن هذا التسليم التام للنص ليدعونا إلى التأمل والاعتبار ...

والخلاصة أن الدجال يمكث في الأرض أربعين يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وسائر أيامه كأيامنا، فتكون أيامه باعتبار أيامنا سنة وشهرين وأسبوعين [2]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 453

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 454

- هل ابن صياد هو الدجال أم لا ؟

الصحيح أن ابن صياد ليس هو الدجال الذي يبعث في آخر الزمان، وإنما هو دجال من الدجاجلة، يشبه الكهان في تخرصه وتخمينه، ولكنه ليس هو الدجال الذي يبعث يوم تقوم الساعة، فيقتله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام.

وأما رؤية النبي صلى عليه وسلم من قيل له: إنه هو الدجال يطوف بالبيت، فإن الممتنع إنما هو دخوله في اليقظة، فإنه لا يدخل- أعني: الدجال الذي سيبعث في آخر الزمان، لا يدخل- مكة ولا المدينة وهذا في اليقظة، والأحكام الشرعية تختلف في اليقظة وفي المنام.[1]

ثانيا : نزول عيسى ابن مريم عليه السلام :

ثم ينزل عيسى عليه السلام وهو حَيٌّ الآن، ينزل من السَّماء في دمشق عند المنارة البيضاء شرقي دمشق.

والنبي صلى الله عليه وسلم كما روى ابن ماجه وغيره أَنَّهُ ينزل عند المنارة البيضاء في شرقي دمشق ثم يدرك الدجال بباب لُدْ فيقتله هناك، وأصله في مسلم .

وهذا قبل وجود المنارة وقبل بناء المسجد الأموي، والمنارة البيضاء الآن معروفة في دمشق.

فما أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أعظم ما بيَّنَهُ لأمته صلى الله عليه وسلم.

ثاني أشراط الساعة نزول عيسى بن مريم، والله - عز وجل - دلَّ على نزوله في القرآن بقوله - عز وجل - {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً} [النساء:159] ، وقد جاء في الصحيح أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يوشك أنْ ينزل فيكم عيسى ابن مريم حَكَماً عَدْلاً مُقْسِطَاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال في عهده -أو في وقته- حتى لا يقبله أحد ويؤمن به

[1] فتاوى نور على الدرب للعلامة ابن عثيمين 2/4

أهل الكتاب﴾ ، قال أبو هريرة رضي الله عنه واقْرَأُوا إنْ شئتم: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً} (2) .

فقوله هنا {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} ، المقصود به قبل موت الكتابي أو قبل موت عسى ابن مريم؟

من أهل العلم من قال بالأَوَّلْ أَنَّهُ قبل موت الكتابي فيؤمن بعيسى ابن مريم.

وأكثر أهل العلم وأهل التفسير على أنَّ المقصود به {قَبْلَ مَوْتِهِ} يعني قبل موت عيسى ابن مريم لأنَّ سياق الآية والآيات قبلها يدل على ذلك، وظاهرها أيضاً وهو قوله {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ} ، يعني بعيسى ابن مريم عليه السلام، {قَبْلَ مَوْتِهِ} ، يعني موت عيسى أيضاً ابن مريم عليه السلام.

وهذا في معنى الآية التي في سورة الزخرف وهي قوله - جل جلاله - في ذِكْرِ عيسى {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا} [الزخرف:61] ، وفي القراءة الأخرى {وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ} والعَلَمْ هو العلامة والشرط، {لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ} يعني شرط من أشراط الساعة، وهو الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة واتفق عليه [......] حتى أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه إذا ساق ذلك قال لمن يروي له هذا الحديث: فإذا رأيت عيسى ابن مريم فأقرئه منّي السلام (3) ، ويرويها مَنْ بَعْدَه لمن بعده، فإذا رأيت عيسى ابن مريم فأقرئه مني السلام، وهذا من شدة إيمانهم وتصديقهم بنبينا صلى الله عليه وسلم الذي {مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم:3-4] .

عيسى عليه السلام يمكث ما شاء الله في الأرض أنْ يمكث ثم يموت ثم يُصَلَّى عليه.[1]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 453

- عيسى ابن مريم عليه السلام إذا نزل فإِنَّهُ ينزِلُ تابِعَاً لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم :

لأَنَّهُ ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وَجَبَ على من يكون حَيَّاً أنْ يؤمن به.

ولهذا عيسى عليه السلام إذا نَزَلْ وكان الإمام يُصَلِّيْ بالناس أو يريد الصلاة، فيأتي يَتَأَخَّرْ ليتقدم عيسى عليه السلام، فيقول عيسى عليه السلام (لا، إمامكم منكم تَكْرِمَةُ الله لهذه الأمة) (1) .

وهذا فيه الدِّلالة من أول وهلة ومن أول لحظة على أَنَّهُ تابعٌ لمحمد صلى الله عليه وسلم، وليس رسولاً مُتَجَدِّدَاً يعني كما كان قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

ولهذا إذا نزل عليه السلام فإنه يكون حاكماً بكتاب الله - عز وجل - وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وينطَبِقُ في حَدِّهِ عليه السلام أَنَّهُ صحابي أيضاً لأَنَّهُ رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج حياًّ وينزل بعد ذلك مُتَّبِعَاً له ويموت على اتِّبَاعِهِ لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم.

وهذا ينطبق عليه حد الصحابي أَنَّهُ من لقي النبي صلى الله عليه وسلم ساعَةً مؤمناً به ومات على ذلك.

ولهذا بعض أهل العلم ربما أَلْغَزْ فقال: مَنْ رجل مِنْ أمة محمد صلى الله عليه وسلم هو أفضل من أبي بكر بالإجماع؟

ربما أَلْغَزْ بعض أهل العلم وليس من الألغاز السائرة -يعني المشهورة- مَنْ رجل مِنْ أمة صلى الله عليه وسلم هو أفضل من أبي بكر بالإجماع؟

والجواب أَنَّهُ عيسى عليه السلام لأَنَّهُ تفضيله لأنه رسول ومن أولي العزم من الرسل وهو من أَتْبَاعِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم بعد نزوله.

فبعد أنْ ينزل ويُخَاطَبْ ويحكم في الأرض بشريعة الإسلام لأنَّ شريعة الإسلام ناسخةٌ لما قبلها من الشرائع. [1]

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 696/1

ثالثا : خروج يأجوج ومأجوج :

يخرج في عهد عيسى عليه السلام يأجوج ومأجوج، وقد جاء ذكرهم في القرآن في سورتين، في سورة الكهف وفي سورة الأنبياء، قال - عز وجل -: {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (96) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ} [الأنبياء:96-97] ، يعني الساعة، وفي سورة الكهف: {إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً} [الكهف:94] الآيات، فأفادت الآيتان فائدتين:

1- الفائدة الأولى: أنَّ يأجوج ومأجوج موجودان اليوم وموجودان قبل ذلك فهما قبيلان أو قبيلتان أو شَعْبَانِ كبيران يعْظُمُ أمرهما عند قيام الساعة.

2- الفائدة الثانية: أنَّهُمْ يأتون من كل حَدَبْ، قال في آية الأنبياء: {وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} ، والحَدَبْ هو الجهة، و (يَنْسِلُونَ) هذا من النَسَلاَن وهو السير ليلاً، فهم يأتون من كل جهة، فربما مروا على البحيرة العظيمة فشربوا ماءها إلخ.

فخروج يأجوج ومأجوج في عهد عيسى عليه السلام، هذا من آيات الساعة الكبرى.

ثم يدعوا عليهم عيسى عليه السلام فيموتون ثم تُنْتِنُ الأرض التي هم فيها بنَتَنِ أجسادهم فيأمر الله - عز وجل - ريحاً أو طيوراً بحملهم في البحر.

رابعا وخامسا وسادسا : ثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق وخسفٌ بالمغرب وخسفٌ بجزيرة العرب:

وهذه الخسوف الثلاثة، خسوفٌ عظيمة لم يسبق أَنْ حَدَثَ مثلها.

فالزلازل وخسوف الأرض تحدث في الأرض وهي من آيات الله - جل جلاله - يبتلي بها ويعذِّبُ بها، ولكنها آيات عند قرب قيام الساعة لم يحدث لها مثيل، فهي غير مألوفة.

خسوف عظيمة كبيرة تكون في الشرق وفي الغرب وفي جزيرة العرب.

والخَسْفْ معروف أنَّهُ ذهاب الأرض إلى أسفلها، يعني ذهاب علو الأرض إلى أسفلها. (1)

سابعا : طلوع الشمس من مغربها :

طلوع الشمس من مغربها جاء ذكره في القرآن وكذلك في السنة الصحيحة، كما في قوله – عز وجل –: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً} [الأنعام:158] .

والتوبة لا تزال مقبولة من العبد ما لم تطلع الشمس من مغربها.

وطلوع الشمس من مغربها حقٌ وصدق وهي آية غير مألوفة؛ لأنَّ المألوف أنَّ الشمس تطلع من الشرق ثم تغرب في الغرب، فكونها تعود من حيث جاءت أو من حيث غَرَبَتْ، تعود من الغرب إلى الشرق هذه آية عظيمة غير مألوفة تجعل الناس جميعاً يؤمنون.

ولهذا إذا طلعت الشمس من مغربها فإنَّ الناس يؤمنون لكن {لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً} ، فيبقى بعد طلوع الشمس من مغربها الناس فيهم المؤمنون الذين آمنوا قبل طلوع الشمس من مغربها، وفيهم المنافقون والكافرون والمشركون.

ثامنا : خروج الدابة على الناس ضحى :

ثم تخرج الدابة، والدابة حيوان عظيم الخِلْقَةْ يُعْطِيهْ الله – عز وجل – القدرة على وَسْمْ الناس، كما قال – عز وجل – في آخر سورة النمل: {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ} [النمل:82] .

{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ} يعني بقيام الساعة وبطلوع الشمس من مغربها.

{أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ} وفي قراءة أخرى: {تَكْلِمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ} وأيضاً {إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ} ، يعني بفتح الهمزة من {أَنَّ} وكسرها.

وقوله: {تُكَلِّمُهُمْ} و {تَكْلِمُهُمْ} قراءتان صحيحتان تدلأَنِ على معنيين مختلفين:

1- المعنى الأول: أنها تُكَلِّمْ وتحدِّثْ الناس، وهي آية، والعادة في الحيوان أنَّهُ لا يُكَلِّمُ الناس، فهي تكلم الناس بلغاتهم وبها يفهمون عنها.

2- المعنى الثاني: أنها تَكْلِمْ الناس بمعنى أَنَّهَا تَسِمُ الناس، والوسْمُ سَمَّاهُ الله - عز وجل - هنا كَلْماً لأنه يكون معه كَلْمُ الجلد والتأثير في الجلد كما يحصل في وسْمِ الدواب فإنه لا بد فيه من جُرْحٍ فيها أو من أثرٍ فيها، فتَسِمُ الناس هذا مؤمن وهذا كافر، وهذه هي الآية الثامنة.

ثم بعد ذلك تأتي وليست من الآيات تأتي ريح يرسلها الله - عز وجل - خفيفة في ليلة فتقبض أرواح أهل الإيمان أو يموت معها أهل الإيمان، فيبقى أهل الكفر والنفاق والشرك يتهارجون في الأرض كتهارج الحُمُرْ فلا يقال في الأرض (الله الله) (3) كما جاء في الصحيح، يعني لا يُقَال في الأرض اتق الله اتق الله، أو أذكر الله أذكر الله.

تاسعا : الدخان :

ثم يكون الدخان، والدخان حَصَلَ مَرَّةً كما في سورة الدخان؛ ولكنه ليس بالآية العظيمة كالدخان الذي يحصل قرب قيام الساعة، فذاك دخان يغشى الناس من أولهم إلى آخرهم في الأرض كلها ويشتد معه الخطب والأمر.

ومن أهل العلم من قال: إنَّ الآية في سورة الدخان المقصود بها ما هو في قرب قيام الساعة، وفي الأحاديث والسنة أنَّ الدخان حَصَلَ في المسلمين، يعني قد رآه المسلمون والمشركون في مكة، وهذا غير هذا.

عاشرا : خروج النار التي تحشر الناس إلى أرض المحشر :

وآخرها نار تخرج من جنوب الجزيرة من قعر عدن؛ يعني يبدأ خروجها من هذا الموطن، ثم تنتشر في الأرض فتحيط بالناس تحشُرُهُمْ إلى أرض المحشر، تبيت معهم وتَقِيلُ معهم، وهذا أيضاً آية عظيمة أنَّ ناراً تتحرك تمشي تقف مع الناس ومع خوفهم حتى تحشر الناس إلى أرض المحشر.

ثم بعد ذلك يحصل النفخ في الصور: النفخة الأولى، نفخة الفزع والصّعق، ثم تكون أربعون وتكون نفخة البعث أعاننا الله - عز وجل - على كربات يوم القيامة وغفر الله لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا. [1]

قال الإمام ابن كثير في "النهاية": "ثبت في "الصحيحين" من حديث وهيب، عن عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يحشر الناس على ثلاث طرائق؛ راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار؛ تقبل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا".

ثم ساق الأحاديث في هذا المعنى، ثم قال: "فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا من أقطار الأرض إلى محلة، وهي أرض الشام، وأنهم يكونون على أصناف ثلاثة؛ فصنف طاعمين كاسين وراكبين، وقسم يمشون تارة ويركبون تارة أخرى، وهم يعتقبون على البعير الواحد كما تقدم في"الصحيحين"؛ "اثنان على بعير، وثلاثة على بعير ... " إلى أن قال: "وعشرة على بعير يعتقبونه من قلة الظهر"؛ كما تقدم في الحديث، كما جاء مفسرًا في الآخر: "تحشر بقيتهم النار"، وهي تخرج من قعر عدن، فتحيط بالناس من ورائهم، تسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف منهم؛ أكلته النار، وهذا كله مما يدل على أن هذا في آخر الزمان؛ حيث الأكل والشرب والركوب على الظهر المشترى وغيره، وحيث تهلك المتخلفين منهم النار، ولو كان هذا بعد نفخة البعث؛ لم يبق موت ولا ظهر يشترى ولا أكل ولا شرب" انتهى .

---

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 1/ 694

وقد جاءت أحاديث تدل على أنه في آخر الزمان تخرج نار من قعر عدن، تسوق الناس إلى المحشر:

منها الحديث الذي رواه أحمد ومسلم وأهل السنن: "تخرج نار من قعر عدن، تسوق (أو: تحشر) الناس؛ تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا".

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما –؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ستخرج نار من حضرموت "أو: من نحو بحر حضرموت" قبل يوم القيام تحشر الناس". قالوا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال: "عليكم بالشام"، رواه أحمد والترمذي وابن حبان في "صحيحه"، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح غريب" [1]

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 245

المبحث الثالث : الحياة البرخية

1/ تعريف :

المراد بفتنة القبر: سؤال الميت إذا دفن عن ربه ودينه ونبيه [1]

2/ أدلة الحياة البرخية :

أهل السنة والجماعة يؤمنون بفتنة القبر، وذلك لدلالة الكتاب والسنة عليها.

- أما الكتاب؛ ففي قوله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) (ابراهيم:27) فإن هذا في فتنة القبر؛ كما ثبت في " الصحيحين " وغيرهما من حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم .

- وأما السنة؛ فقد تظافرت بأن الإنسان يفتن في قبره، وهي فتنة قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: " إنه قد أوحي إلي أنم تفتنون في قبوركم مثل (أو: قريباً من) فتنة الدجال .

وفتنة الدجال أعظم فتنة منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة؛ كما في " صحيح مسلم " عن عمران بن حصين رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال " [2]

3/ متى تكون هذه الفتنة ؟

هل هي بخروج الروح أو بتسليم الإنسان إلى عالم الآخرة؟ والجواب الثاني: أما مجرد خروج الروح فلا يحصل به فتنة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أرادوا دفن الميت، يقول: (أسرعوا بالجنازة؛ فإن تكن صالحة فخير تقدمونها إليه))[3] ، وهذا يدل على أنها لا تصل إلى

---

[1] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 432

[2] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 432

[3] صححه الألباني في سنن ابن ماجه (1477)

ذلك الخير ما دامت في أيديهم، وعلى هذا فإذا مات ميت ووضع في الثلاجة للتحقق من موته، وأسبابه، فإنه لا يفتن، ولا يأتيه ملكان حتى يدفن. [1]

4/ عذاب القبر وسؤال الملكين ينالان كل من مات، ولو لم يدفن :

إن قال قائل: لو أن هذا الرجل تمزق أوصالاً ، وأكلته السباع، وذرته الرياح؛ فيكفي يكون عذابه؛ وكيف يكون سؤاله؟! فالجواب: أن الله عز وجل على كل شيء قدير ... فعالم الغيب لا يمكن ابداً ان يقاس بعالم الشهادة ... فعالم الغيب ليس فيه إلا التسليم ...

فإن قال قائل: الميت يدفن في قبر ضيق؛ فكيف يوسع له مد البصر؟!

فالجواب: أن عالم الغيب لا يقاس بعالم الشهادة [2]

- عذاب القبر وسؤال الملكين ينالان كل من مات، ولو لم يدفن؛ فهو اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: {وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} ، وسمي عذاب القبر باعتبار الغالب؛ فالمصلوب والمحرق والمغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما.

فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار وصار رمادًا وذري بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك، فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: قم. فإذا هو قائم بين يدي الله، فسأله: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: خشيتك يارب، وأنت أعلم. فرحمه الله. فلم يفت عذابه البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال [3]

---

[1] شرح السفارينية للعلامية ابن عثيمين 432

[2] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 2/ 123

[3] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 277

5/ هل هذه الفتنة عامة لكل أحد أو يخرج منها من يخرج بإذن الله؟

والجواب: أن هذه الفتنة يخرج منها من يخرج بإذن الله، ومن ذلك :

أولاً: غير المكلف، فإن كثيراً من أهل العلم قالوا: إن غير المكلف لا يسأل لأنه غير مكلف؛ سواء أجاب بخطأ أو صواب، فما دام التكليف رفع عنه في الدنيا فإنه يرفع عنه في الآخرة.

وقال بعض العلماء: بل يأتيه الملكان ويسألانه، وهو إذا كان محكوماً بإيمانه فإنه سوف يجيب بالصواب، ولا يبعد أن الله عز وجل يكلف هذا الصغير، وأن الصغير يجيب بالصواب، فها هو عيسى بن مريم كان في المهد، ولما انتقدوا على أمه أشارت إليه، (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً) (مريم: 30) (وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً) (مريم: 31) (وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً) (مريم: 32) (وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً) (مريم: 33) كل هذا قاله وهو في المهد.

فهؤلاء الأطفال الذين يموتون، أو المجانين – وإن كانوا غير مكلفين – فإن الله تعالى قادر على أن ينطقهم في القبر بما يشاء .[1]

6/ مسألة :

إذا قلنا: أن غير المكلف لا يُسأل في قبره فلو كلف ثم زال تكليفه يعني كان بالغ ثم أصيب بجنون هل يسأل؟

والجواب: الظاهر أنه يسأل لأنه أتى عليه زمن التكليف.

ثانياً: ومما يستثنى الشهيد؛ فالشهيد الذي قتل في سبيل الله لا يسأل، كما جاء ذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال: ((كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة)) ، فإن هذا

[1] شرح السفارينية للعلامية ابن عثيمين 434

الرجل الذي وقف أمام السيوف وسلم رقبته للعدو، يدل فعله هذا أكبر دلالة على صحة إيمانه، وحينئذٍ لا يحتاج إلى سؤال.

ثالثاً: ومما يستثنى: النبي؛ فإنه لا يسأل؛ لأن النبي مسؤول عنه، حيث يقال: ما دينك؟ من نبيك؟ ولأنه إذا كان الشهيد لا يسأل، فالنبي أعلى درجة منه، وإن كانت الأمور في الآخرة ليس فيها قياس، لكننا نقول: إن النبي عنده من اليقين أكثر مما عند الشهيد، ولا شك في هذا، ولهذا نقول: إن النبي لا يسأل.[1]

7/ بأي لغة يسال ؟

والجواب: ... الذي يظهر لنا –والعلم عند الله – أن الإنسان يسأل بما يفهم، فإن كان من العرب فباللغة العربية، وإن كان من غير العرب فبلغتهم.[2]

8/ سؤال الملكين :

يأتيان إلى الإنسان في قبره، ويجلسانه، ويسألانه، حتى إنه ليسمع قرع نعال المنصرفين عنه، وهما يسألانه، ولهذا كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه إذا دفن الميت؛ وقف عليه ، وقال: " استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت؛ فإنه الأن يسأل.

وورد في بعض الآثار أن اسمهما: منكر ونكير

وأنكر بعض العلماء هذين الأسمين؛ قال: كيف يسمى الملائكة وهم الذين وصفهم الله تعالى بأوصاف الثناء بهذين الأسمين المنكرين، وضعف الحديث الوارد في ذلك.

وذهب آخرون إلى أن الحديث حجة، وأن هذه التسمية ليس لأنهما منكران من حيث ذواتهما، ولكنهما منكران من حيث إن المست لا يعرفهما، وليس له بهما علم سابق، وقد قال إبراهيم

---

[1] شرح السفارينية للعلامية ابن عثيمين 435

[2] شرح السفارينية للعلامية ابن عثيمين 133308/2

لأضيافه الملائكة (قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) (الذريات: من الآية25) أنه لا يعرفهم؛ فهذان منكر ونكير؛ لأنهما غير معروفين للميت.

ثم هذان الملكان هل هما ملكان جديدان، موكلان بأصحاب القبور أو هما الملكان الكاتبان عن اليمين وعن الشمال قعيد؟

- منهم من قال: إنهما الملكان اللذان يصحبان المرء؛ فإن لكل إنسان ملكين في الدنيا يكتبان أعماله، وفي القبر يسألانه هذه الأسئلة الثلاثة.

- ومنهم من قال: بل هما ملكان آخران، والله عز وجل يقول:) وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) (المدثر: من الآية31)، والملائكة خلق كثير؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم " أطت السماء ، وحق لها أن تئط (والأطيط: صرير الرحل) ما من موضع شبر (أو قال: أربع أصابع)؛ إلا وفيه ملك قائم لله أو راكع أو ساجد" [214]، والسماء واسعة الأرجاء، كما قال الله تعالى (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) (الذريات:47) .

- فالمهم أنه لا غرابة أن ينشيء الله عز وجل لكل مدفون ملكين يرسلهما إليه والله على كل شيء قدير [1]

9/ إقعاد الميت :

ثبت في الحديث إنهما يقعدان الميت ، وهنا إشكال فإن القبر لا يتسع لجلوس الميت كما هو معروف، فكيف يقال إنهما يقعدانه؟

والجواب على ذلك أن نقول: أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا، فأمور الآخرة وظيفتنا أن نقول عندها: سمعنا وصدقنا وآمنا، ولا تكون كأحوال الدنيا، وإذا كنا نرى في الدنيا أشياء في

[1] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 2/113

المنام لا تطابق المعروف في اليقظة. فما بالك في المات؟ ... وأمور الموت لا تقاس بأمور اليقظة، بل وأمور النوم لا تقاس بأمور اليقظة.

قوله: (وما أتى في ذا من الأمور) أي فيما يتعلق بالقبر والبرزخ من الأمور العظيمة ، منها أنه بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب، وعلى هذا فيجب علينا أن نؤمن بأن الإنسان يعذب أو ينعم في قبره، والدليل على ذلك من الكتاب ومن السنة.

أما من الكتاب، فقال الله عز وجل: (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيبين يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادخلوا الجَنَّة بِما كُنْتُم تَعْمَلُون) (النحل: 32) .، وهذا يدل على أنهم يأتيهم من نعيم الجنة في أول يوم يفارقون الدنيا.

وأما العذاب فمن ذلك قوله تبارك وتعالى: ... في آل فرعون: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (غافر: 46) فقال: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً) . وذلك قبل قيام الساعة. (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) .

أما السنة فهي مستفيضة في إثبات عذاب القبر ونعيمه، ومن ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين: مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال: ((إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة))[1] [2]

---

[1] صحيح البخاري (218)

[2] شرح السفارينية للعلامية ابن عثيمين 436

10/ هل العذاب على البدن أو على الروح أو عليهما معاً أو يختلف؛ فتارةً يكون عليهما معا وتارة يكون على الروح فقط؟

والجواب على ذلك أن نقول: الأصل أن العذاب على الروح، ولكن الروح قد تتصل بالبدن أحيانا فيتنعم أو يعذب، وهذا ما ذهب إليه المحققون من أهل العلم، كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهما .

أما من ناحية دوام عذاب القبر أو انقطاعه؛ فإن الكافر عذابه دائم مستمر، وأما المؤمن فيحتمل أن ينقطع ويحتمل أن يستمر؛ لأنه سيعذب على حسب عمله، وعمله قد يستوعب جميع الزمن وقد ينقص عنه.

ثم هل يمكن أن نطلع على عذاب القبر؟

الأصل أنه لا يمكن الاطلاع على عذاب القبر، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لولا ألا تدافنوا لدعوتُ الله أن يريكم عذاب القبر)) ، إذاً فالأصل أنه غير معلوم لكن قد يطلع الله عليه بعض الناس إما برؤيا صالحة وإما باليقظة، كما اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على القبرين اللذين يعذبان، كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال: ((إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة))

إذا فالأصل أن عذاب القبر غير معلوم، ولكن قد يعلم الله به من شاء من عباده.

وهذه مباحث فيما يتعلق بنعيم القبر وعذاب القبر، وكل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فإن الواجب علينا أن نؤمن به [1]

---

[1] شرح السفارينية للعلامية ابن عثيمين 438

11/ من تشملهم فتنة القبر :

في هذا تفصيل؛ فنقول:

أولاً: أما الأنبياء؛ فلا تشملهم الفتنة، ولا يسألون، وذلك لوجهين:

الأول: أن الأنبياء أفضل من الشهداء، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الشهيد يوقي فتنة القبر، وقال: " كفي ببارقة السيوف على رأسه فتنة"؛ أخرجه النسائي .

الثاني: أن الأنبياء يسأل عنهم؛ فيقال للميت: من نبيك؟ فهم مسؤول عنهم، وليسوا مسؤولين، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إنه أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم "[1] ، والخطاب للأمة المرسل إليهم؛ فلا يكون الرسول داخلاً فيهم.

ثانياً: وأما الصديقون؛ فلا يسألون؛ لأن مرتبة الصديقين أعلى من مرتبة الشهداء؛ فإذا كان الشهداء لا يسألون؛ فالصديقون من باب أولى ولأن الصديق على وصفه مصدق وصادق؛ فهو قد علم صدقه؛ فلا حاجة إلى اختباره، لأن الاختبار لمن يشك فيه؛ هل هو صادق أو كاذب، أما إذا كان صادقاً؛ فلا حاجة تدعو لسؤاله، وذله بعض العلماء إلى أنهم يسألون؛ لعموم الأدلة، والله أعلم.

ثالثاً: وأما الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله؛ فإنهم لا يسألون؛ لظهور صدق إيمانهم بجهادهم: قال الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ....) (التوبة:111) ... وإذا كان المرابط؛ إذا مات؛ أمن الفتان؛ لظهور صدقه؛ فهذا الذي قتل في المعركة مثله أو أولى منه؛ لأنه بذل وعرض رقبته لعدو الله؛ إعلاءً لكلمة الله، وانتصاراً لدينه، وهذا من أكبر الأدلة على صدق إيمانه.

[1] صحيح البخاري (86)

رابعاً: وأما المرابطون؛ فإنهم لا يفتنون؛ ففي " صحيح مسلم"، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامة، وإن مات؛ جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان"

خامساً: الصغار والمجانين؛ هل يفتنون أو لا يفتنون؟

قال بعض العلماء إنهم يفتنون؛ لدخولهم بالعموم، ولأنهم إذا سقط التكليف عنهم في حال الحياة؛ فإن حال الممات تخالف حال الحياة.

وقال بعض العلماء: إن المجانين والصغار لا يسألون؛ لأنهم غير مكلفين، وإذا كانوا غير مكلفين؛ فإنه لا حساب عليهم؛ إذ لا حساب إلا على من كان مكلفاً يعاقب على المعاصي، وهؤلاء لا يعاقبون، وليس لهم إلا الثواب؛ إن عملوا عملاً صالحاً يثابون عليه.

إذاً؛ خرج من قول المؤلف: " فإن الناس " خمسة أصناف: الأنبياء، والصديقون، والشهداء، والمرابطون، ومن لا عقل له؛ كالمجانين والصبيان. [1]

12/ الصغار والمجانين؛ هل يفتنون أو لا يفتنون؟

قال بعض العلماء: إنهم يفتنون، لدخولهم في العموم، ولأنهم إذا سقط التكليف عنهم في حال الحياة، فإن حال الممات تخالف حال الحياة.

وقال بعض العلماء: إن المجانين والصغار لا يسألون؛ لأنهم غير مكلفين، وإذا كانوا غير مكلفين، فإنه لا حساب عليهم، إذ لا حساب إلا على من كان مكلفًا يعاقب على المعاصي، وهؤلاء لا يعاقبون، وليس لهم إلا الثواب؛ إن عملوا عملاً صالحًا يثابون عليه. [2]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 110/2

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 112/2

13/ الناس ثلاثة أقسام :

الناس ثلاثة أقسام: مؤمنون خلص، ومنافقون ، وهذان القسمان يفتنون، والثالث كفار خلص؛ ففي فتنتهم خلاف، وقد رجح ابن القيم في كتاب " الروح " أنهم يفتنون.[1]

14/ هل تسأل الأمم السابقة ؟

ذهب بعض العلماء – وهو الصحيح- إلى أنهم يسألون؛ لأنه إذا كانت هذه الأمة – وهي أشرف الأمم – تسأل؛ فمن دونها من باب أولى.

قوله: "في قبورهم" جمع قبر، وهي مدفن الأموات، والمراد ما هو أعم؛ فيشمل البرزخ؛ فيشمل البرزخ ، وهو ما بين موت الإنسان وقيام الساعة، سواء دفن الميت أو أكلته السباع في البر أو الحيتان في البحر أو اتلفته الرياح.

والظاهر أن الفتنة لا تكون إلا إذا انتهت الأحوال الدنيوية، وسلم إلى عالم الآخرة فإذا تأخر دفنه يوماً أو أكثر؛ لم يكن السؤال حتى يدفن شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين[2]

15/ هل العذاب أو النعيم في القبر دائم أو ينقطع ؟

الجواب أن يقال:

- أما العذاب للكفار؛ فإنه دائم، ولا يمكن أن يزول العذاب عنهم؛ لأنهم مستحقون لذلك ، ولأنه لو زال العذاب عنهم؛ لكان هذا راحة لهم ، وهم ليسوا أهلاً لذلك؛ فهم باستمرار في عذاب إلى يوم القيامة ... وكذلك آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً.
- وذكر بعض العلماء انه يخفف عن الكفار ما بين النفختين، واستدلوا بقوله تعالى (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا)، ولكن هذا ليس بلازم؛ لأن قبورهم مرقد لهم ، وإن عذبوا فيها .

---

[1] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 112/2

[2] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 112/2

- أما عصاة المؤمنين الذين يقضي الله تعالى عليه بالعذاب؛ فهؤلاء قد يدوم عذابهم وقد لا يدوم ، وقد يطول وقد لا يطول؛ حسب الذنوب، وحسب عفو الله عز وجل. [1]

16/ العذاب في القبر أهون من عذاب يوم القيامة :

العذاب في القبر أهون من عذاب يوم القيامة؛ لأن العذاب في القبر ليس فيه خزى وعار، لكن في الآخرة فيه الخزي والعار؛ لأن الأشهاد موجودون: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (غافر: 51) [2]

17/ كيفية قبض روح المتوفى ومآلها بعد وفاته :

قد جاء بيان كيفية التوفي ومآل الروح بعده في حديث البراء بن عازب الطويل، وهذا نصه:

عن البراء بن عازب - رضي الله عنه؛ قال: "كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم، فقعد وقعدنا حوله كأن على رؤوسنا الطير، وهو يلحد له، فقال: أعوذ بالله من عذاب القبر -ثلاث مرات-".

ثم قال: "إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا؛ نزلت إليه الملائكة، كأن على وجوههم الشمس، ومعهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتهَّا النفس الطيبة! اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان".

قال: "فتخرج تسيل كما القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها؛ لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفخة مسك وجدت على الأرض".

قال: "فيصعدون بها؛ فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة؛ إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟

---

[1] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 2/122

[2] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 2/123

فيقولون: فلان بن فلان بأطيب أسمائه التي كانوا يسمونه بها الدنيا. حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله، فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض؛ فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى".

قال: "فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت. فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي؛ فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة".

قال: "فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره".

قال: "ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت؟ فوجهك الذي يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: يارب! أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي".

قال: "وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة؛ نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة؛ اخرجي إلى سخط من الله وغضب".

قال: "فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها؛ فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة؛ إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون فلان؛ بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له؛ فلا يفتح له "ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم {لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} 1، فيقول الله – عز وجل –:

اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا ثم قرأ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} 2، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسان، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه؛ لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه؛ لا أدري. فينادي مناد من السماء: أن كذب عبدي؛ فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابا إلى النار. فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت؛ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة".

رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم وأبو عوانة في "صحيحيهما"، وابن حبان.

قال شارح الطحاوية: "وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث، وله شواهد في الصحيح".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "أما الحديث المذكور في قبض روح المؤمن وأنه يصعد بها إلى السماء التي فيها الله؛ فهذا حديث معروف جيد الإسناد، وقوله: (فيها الله)؛ بمنزلة قوله تعالى: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} انتهى.

قال العلامة ابن القيم: "الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت:

فمنها: أرواح في أعلى عليين في الملإ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم؛ كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء.

ومنها: أرواح في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره، ومنهم من يكون محبوسا على باب الجنة، ومنهم من يكون محبوسا في قبره؛ كحديث صاحب الشملة التي غلها

ثم استشهد، فقال الناس: هنيئا له الجنة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده! إن الشملة التي غلها لتشغل عليه ناراً في قبره".

ومنهم: من يكون مقره باب الجنة؛ كما في حديث ابن عباس: "الشهداء على بارق نهر باب الجنة، في قبة خضراء، يخرج عليهم من الجنة بكرة وعشية".

ومنها: ما يكون محبوسا في الأرض لم يعل إلى الملأ الأعلى؛ فإنها كانت روحا سفلية أرضية؛ فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما لا تجامعها في الدنيا، والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبتة وذكره والأنس به والتقرب إليه، بل هي ارضية سفلية، لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك، كما أن النفس العلوية، التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب إليه والأنس به، تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها؛ فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة، والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد كما تقدم في الحديث، ويجعل المؤمن مع النسم الطيب؛ أي: الأرواح الطيبة المشاكلة؛ فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأخواتها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك.

ومنها: أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبخ فيه وتلقم الحجارة.

فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، بل روح في أعلى عليين، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض".

قال: "وأنت إذا تأملت السنن والآثار، وكان لك بها فضل تعارضا؛ فإنها كلها حق يصدق بعضها بعض، لكن الشأن في فهمها، ومعرفة النفس وأحكامها، وأن لها شأنا غير شأن البدن ...".

إلى أن قال: "وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة، وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة

ومرض، ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير؛ فهنالك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة، وهناك اللذة والراحة والنعيم والإطلاق". [1]

18/ الرد على من أنكر عذاب القبر ونعيمه :

ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر، ونعيمه ، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع، قالوا فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق.

وهذا الزعم باطل بالشرع ، والحس ، والعقل :

أما الشرع: فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر ، ونعيمه في فقرة (ب) مما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر. وفي صحيح البخاري – من حديث – ابن عباس رضي الله عنهما قال: "خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بعض حيطان المدينة ، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما" وذكر الحديث ، وفيه : "أن أحدهما كان لا يستتر من البول" وفي –رواية – " من (بوله) وأن الآخر كان يمشي بالنميمة".

وأما الحس: فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه، أو أنه كان في مكان ضيق موش يتألم منه، وربما يستيقظ أحياناً مما رأى ، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه ، والنوم أخو الموت ولهذا سماه الله تعالى " وفاة " قال الله تعالى: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى{سورة الزمر، الآية: 42}.

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 262

وأما العقل : فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للمواقع ، وربما رأى النبي صلى الله عليه وسلم على صفته، ومن رآه على صفته فقد رآه حقاً ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيداً عما رأى، فإن كان هذا ممكناً في أحوال الدنيا ، أفلا يكون ممكناً في أحوال الآخرة ؟!

وأما إعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه ، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق ، فجوابه من وجوه منها:

الأولى: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات وقد قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمنون بالغيب، والجاحدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وهو بين أصحابه فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة ، وربما يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه والصحابة لا يرون الملك، ولا يسمعونه.

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه ولا يمكن أن يدركوا كل موجود، فالسماوات السبع والأرض ومن فيهن، وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحاً حقيقياً يسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحياناً. ومع ذلك هو محجوب عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: تسبح له السماوات والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم {سورة الإسراء، الآية: 44} وهكذا الشياطين، والجن، يسعون في الأرض ذهاباً وإياباً، ...

وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود ، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب ، ولم يدركوه. [1]

19/ حكم قولهم (دفن في مثواه الأخير) :

أنبه على كلمة يقولها كثير من الناس وهم لا يفهمون معناها؛ حيث يقولون في الميت إذا مات ثم دفن: نقل إلى مثواه الأخير، وهذه الكلمة لو أخذنا بمدلولها لكانت كفراً؛ لأن مضمونها إنكار البعث، حيث إن المثوى الأخير الجنة أو النار ... لكن كثيراً من الناس لا يفهمون هذا المعنى في الواقع، بل يقولون هذه العبارات بالتقليد، ولا يفكرون في المعاني الدالة عليها [2]

---

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 108

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 492

المبحث الرابع : الروح

1/ حقيقة الروح :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (13/ 341) : "ومذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر سلف الأمة وأئمة السنة أن الروح عين قائمة بنفسها، تفارق البدن، وتنعم، وتعذب، ليست هي البدن، ولا جزء من أجزائه، ولما كان الإمام أحمد - رحمه الله - ممن نص على ذلك كما نص عليه غيره من الأئمة؛ لم يختلف أصحابه في ذلك".

وقال في موضع آخر (9/ 303) : "والصواب أنها ليست مركبة من الجواهر الفردة، ولا من المادة والصورة، ولست من جنس الأجسام المتميزات المشهودة المعهودة، وأما الإشارة إليها، وتصعد وتنزل، وتخرج من البدن، وتسيل منه؛ كما جاءت بذلك النصوص ودلت عليه الشواهد العقلية، وأما قول القائل: أين مسكنها من الجسد؟ فلا اختصاص للروح بشيء من الجسد، بل هي سارية في الجسد كما تسري الحياة التي هي عرض في جميع الجسد؛ فإن الحياة مشروطة بالروح، فإذا كانت الروح في الجسد؛ كان فيه حياة، وإذا فارقته الروح؛ فارقته الحياة". [1]

2/ الروح مخلوقة :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (4/ 216) : "ورح الآدمي مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين".

وقال تلميذه العلامة ابن القيم: "والذي يدل على خلقها وجوه) وذكر اثني عشر وجها:

"منها: قول الله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} 1؛ فهذا اللفظ عام، لا تخصيص فيه بوجه ما، ولا يدخل في ذلك صفاته؛ فإنها داخلة في مسمى اسمه؛ فلله سبحانه هو الإله الموصف بصفات

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 260

الكمال، وهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق...

ومنها: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - الذي في "صحيح البخاري" وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم: "الأرواح جنود مجدة؛ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"، والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة.

ومنها أن الروح توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث المربوب".[1]

3/ هل الروح والنفس شيء واحد أو شيئان متغايران؟

اختلف الناس في ذلك؛ فمن قائل: إنهما شيء واحد، وهم الجمهور، ومن قائل: إنهما متغايران، والتحقيق أن لفظ الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معان؛ فيتحد مدلولها تارة، ويختلف أخرى.

فالنفس تطلق على أمور:

منها: الروح؛ يقال: خرجت نفسه؛ أي: روحه، ومنه قوله تعالى: {أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ}

ومنها: الذات؛ يقال رأيت زيدًا نفسه وعينه، ومنه قوله تعالى: {فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ}

ومنها: الدم؛ يقال: سالت نفسه، ومنه قول الفقهاء: "ما له نفس سائلة"، و"ما ليس له نفس سائلة"، ومنه يقال: نفست المرأة: إذا حاضت، ونفست: إذا نفسها ولدها، ومنه قيل: النفساء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ويقال النفوس ثلاثة أنواع، وهي:

النفس الأمارة بالسوء، التي يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصي.

والنفس اللوامة وهي التي تذنب وتتوب؛ ففيها خير وشر، ولكن إذا فعلت الشر؛ تابت وأنابت، فتسمى لوامة؛ لأنها تلوم صاحبها على الذنوب، ولا تتلوم؛ أي: تتردد بين الخير والشر.

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 261

والنفس المطمئنة، وهي التي تحب الخير والحسنات، وتبغض الشر والسيئات، وقد صار ذلك لها خلقا وعادة.

فهذه صفات وأحوال لذات واحدة لأن النفس التي لكل إنسان هي نفس واحدة".[1]

4/ الروح تطلق على معان منها :

القرآن الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله؛ قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا} 3

وعلى جبريل؛ قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ} 4.

وعلى الوحي الذي يوحيه إلى أنبيائه ورسله؛ قال تعالى: {يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} ؛ سمي روحا لما يحصل به من الحياة النافعة؛ فإن الحياة بدونه لا تنفع صاحبها ألبتة، وسميت الروح روحا؛ لأن بها حياة البدن.

وتطلق الروح - أيضا - على الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه.

وتطلق الروح على ما سبق بيانه، وهو ما يحصل بفراقه الموت، وهي بهذا الاعتبار ترادف النفس، ويتحد مدلولهما، ويفترقان في أن النفس تطلق على البدن وعلى الدم، والروح لا تطلق عليهما، والله أعلم.[2]

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 266

[2] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 267

المبحث الخامس : ترتيب أحداث يوم القيامة

1/ النفخ في الصور

- تعريف :

النفخ معروف.

والصور لغة: القرن. وشرعًا: قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه، وإسرافيل أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش وهما نفختان إحداهما: نفخة الفزع ينفخ فيه فيفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله، والثانية نفخة البعث ينفخ فيه فيبعثون ويقومون من قبورهم.

- دل على النفخ في الصور الكتاب والسنة وإجماع الأمة :

قال الله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر: 68] .

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ} [يس: 51] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثم ينفع في الصور فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتا ورفع ليتا ثم لا يبقى أحد إلا صعق، ثم ينزل الله مطرًا كأنه الطل أو الظل -شك الراوي- فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون". رواه مسلم في حديث طويل.

وقد اتفقت الأمة على ثبوته. [1]

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 114

- اختلف العلماء رحمهم الله هل النفخ يكون ثلاث مرات؛ نفخ الفزع، ونفخ الصعق، ونفخ البعث، أو هو مرتان فقط، وأن نفخ الفزع والصعق واحد :

ينفخ أولاً فيفزع الناس ثم يصعقون، وينفخ ثانياً فيقومون من قبورهم لرب العالمين؟ وهذا الأخير هو الأقرب للصواب، والأمر في هذا قريب.

حتى لو قال قائل بأنه ينفخ أولاً فيفزع الناس، ثم ينفخ فيموتون، لم يكن ذلك متناقضاً، لكن الأقرب أنهما نفختان فقط. [1]

قال السفاريني: "واعلم أن النفخ في الصور ثلاث نفخات :

نفخة الفزع، وهي التي بها هذا العالم، ويفسد نظامه، وهي المشار إليها في قوله تعالى: {وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إِلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ} 2؛ أي: من رجوع ومرد، وقوله: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ} 3؛ فسر الزمخشري في "كشافه" المستثنى في هذه الآية بمن ثبت الله قلبه من الملائكة، وهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وقيل غير ذلك، وإنما يحصل الفزع بشدة ما يقع من هول تلك النفخة ... ".

إلى أن قال: "**النفخة الثانية: نفخة الصعق**، وفيها هلاك كل شيء، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ} 4، وقد فسر الصعق بالموت ... ".

إلى أن قال: "والصور قرن من نور، يجعل فيه أرواح الخلائق، وقال مجاهد: كالبوق. ذكره البخاري، وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن

العاص - رضي الله عنهما -: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: ما الصور؟ قال: "قرن ينفخ فيه". قال الترمذي: حديث حسن.".

ثم قال: "**النفخة الثالثة: نفخة البعث والنشور**، وقد جاء في الكتاب العزيز آيات تدل عليها،

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 467

وأخبار تشير إليها؛ كقوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ} 1، وقوله: {ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} 2، وقوله تعالى: {فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ} 3، وقوله تعالى: {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ} 4.

قال المفسرون: "المنادي هو إسرافيل عليه السلام، ينفخ في الصور وينادي: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة! إن يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. وقيل: ينفخ إسرافيل، وينادي جبريل، والمكان القريب صخرة بيت المقدس".[1]

- بين النفختين أربعون عاما :

قال جماعة من المفسرين: " وبين النفختين أربعون عاما "

قال بعض العلماء: اتفقت الروايات على ذلك".

وفي مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعا: "ما بين النفختين أربعون". قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوما؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرًا. قال: أبيت. قالوا: أربعون عاما؟ قال أبيت. الحديث.

وقول أبي هريرة - رضي الله عنه -: "أبيت": فيه ثلاث تأويلات:

أولها: امتنعت من بيان ذلك لكم. وقيل: أبيت أسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وقيل: نسيت. وقيل: إن سر ذلك لا يعلمه إلا الله؛ لأنه من أسرار الربوبية.

وفي حديث أبي هريرة الطويل الذي رواه ابن جرير والطبراني وأبو يعلى في "مسنده" والبيهقي في "البعث" وأبي موسى المديني وغيرهم؛ قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لما فرغ من خلق السماوات والأرض؛ خلق الصور، فأعطاه إسرافيل؛ فهو واضعه على فيه،

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 249

شاخصا ببصره إلى العرش، ينتظر متى يؤمر. قلت: يا رسول الله، وما الصور؟، قال: القرن. قلت: أي شيء هو؟ قال: عظيم؛ إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض. فينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين. فيأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ الفزع. فينفخ، فيفزع أهل السماء والأرض؛ إلا من شاء الله، فيأمره فيمدها ويطيلها ولا يفتر، وهي التي يقول الله تعالى: {وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إِلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ} 1. فيسير الله الجبال، فتمر مر السحاب، فتكون سرابا، وترتج الأرض بأهلها رجّا، فتكون كالسفينة الموقرة في البحر تضربها الأمواج، وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح، وهي التي يقول الله: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ} 2، فتميل الأرض بالناس على ظهرها، فتذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع، حتى تأتي الأقطار، فتتلقاها الملائكة، فتضرب وجوهها، فترجع، ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا، وهو الذي يقول الله تعالى: {يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ} 3. فبينما هم على ذلك؛ إذ تصدعت الأرض، فانصدعت من قطر إلى قطر، فرأوا أمرًا عظيما، ثم نظروا إلى السماء؛ فإذا هي كالمهل، ثم انشقت فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها". قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الأموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك". قلت: يا رسول الله، من استثنى الله تعالى في قوله: {إِلاّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ} 4؟، قال: "أولئك الشهداء، وإنما يتصل الفزع إلى لأحياء، وهم أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه، وهو عذاب يبعثه الله على شرار خلقه؛ يقول الله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ

وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِي} 1؛ فيمكثون في ذلك ما شاء الله ... " الحديث.[1]

2/ البعث

- تعريف البعث :

بمعنى الإخراج، يعني: إخراج الناس من قبورهم بعد موتهم.

وهذا من معتقد أهل السنة والجماعة.

- البعث ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين :

بل إجماع اليهود والنصارى، حيث يقرون بأن هناك يوماً يبعث الناس فيه ويجازون:

- أما القرآن، فيقول الله عز وجل: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ} [التغابن: 7] ...

- وأما في السنة، فجاءت الأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.[2]

- من كذب بالبعث كفر :

والدليل قوله تعالى : زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير) {سورة التغابن ، الآية: 7}[3]

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 250

[2] أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه: "ينزل من السماء ماء، فينبتون كما تنبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا يبلى؛ إلا عُظَيْم واحد وهو عجز الذنب، منه يركب الخلق يوم القيامة".

وفي روايات مسلم: "إن في الإنسان عظما لا تأكله الأرض أبدًا، منه يركب الخلق يوم القيامة". قالوا: أي عظم هو يا رسول الله؟ قال: عجب الذنب".

قال العلماء: وعجب الذنب هو العظم الحديد الذي يكون في أسفل الصلب، وقد جاء في الحديث أنه مثل حبة الخردل، منه ينبت جسم الإنسان./ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 285

[3] الأصول الثلاثة للإمام محمد بن عبد الوهاب

- الرد على من أنكر البعث :

أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن.

وهذا الزعم باطل دل على بطلانه الشرع ، والحس ، والعقل .

أما الشرع : فقد قال الله تعالى: زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير {سورة التغابن، الآية: 7} وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

وأما الحس : فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا ، وفي سورة البقرة خمسة أمثلة على ذلك وهي:

المثال الأول: قوم موسى حين قالوا له: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة { البقرة: 55} فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم ...

المثال الثاني في قصة القتيل الذي أختصم فيه بنو إسرائيل ...

المثال الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم ألوف فأماتهم الله تعالى ، ثم أحياهم ...

المثال الرابع: في قصة الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله تعالى، فأماته الله تعالى مئة سنة ثم أحياه ...

المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيى الموتى ؟ ...

فهذه أمثلة حسية واقعية تدل على إمكانية إحياء الموتى، وقد سبقت الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات عيسى ابن مريم من إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالى.

وأما دلالة العقل فمن وجهين:

أحدهما : أن الله تعالى فاطر السماوات والأرض وما فيهما ، خالقهما ابتداء ، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته ، قال الله تعالى: وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه{سورة الروم، الآية: 27} ...

الثاني: أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها قادر على إحياء الموتى قال الله تعالى: ومن آيته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء أهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شيء قدير{سورة فصلت: 39} [1]

- البعث إعادة وليس تجديد :

يجمع الله تعالى هذا المتفرق، حتى يتكون الجسد، فتعاد الأرواح إلى أجسادها، وأما من زعم بأن الأجساد تخلق من جديد فإن هذا زعم باطل يرده الكتاب والسنة والعقل:

- أما الكتاب؛ فإن الله عز وجل يقول: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَن) (الروم: من الآية27)؛ أي: يعيد ذلك الخلق الذي ابتدأه. [2]

وهذا هو الذي استبعده الكفَّارُ وأنكروه، قال الله عزَّ وجلَّ: {بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ} [3]

ويدلُّ على ذلك من السُّنَّة حديث قصَّة الرَّجل الذي أوصى بَنِيه إذا مات أن يحرقوا جسدَه ويَرموا جزءاً من رماده في البَرِّ وجزءاً منه في البحر، فأمر الله عزَّ وجلَّ البحرَ بأن يُخرج ما فيه، والبَرَّ بأن يُخرج ما فيه، حتى عاد الجسدُ كما كان، والحديث رواه البخاري (7506) ، ومسلم (2756) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. [4]

---

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثييمن 100

[2] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 2/128

[3] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 118

[4] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 118

وفي الحديث القدسي: " يقول الله تعالى: ليس أول الخلق بأهون علي من إعادته " [221] فالكل على الله هين ...

فالمهم؛ أن البعث إعادة للأجساد السابقة [1]

- كثيراً ما يأتي في القرآن تقريرُ أمر البعث ببيان ثلاثة أمور :

الأمر الأول: التنبيهُ بخلق الإنسان أوَّل مرَّة، قال الله عزَّ وجلَّ: {أَوَلَمْ يَرَ الأِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} ...

الأمر الثاني: التنبيه بإحياء الأرض بعد موتها، قال الله عزَّ وجلَّ: {وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} ...

الأمر الثالث: التنبيهُ بخلق السموات والأرض وهو أعظم من خلق الناس، قال الله عزَّ وجلَّ: {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} [2]

3/ الحشر :

دلت النصوص على حشر العباد بعد بعثهم إلى أرض المحشر حفاة عراة غرلا قال تعالى: {وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا} [الكهف: 47] (الكهف: 47) ، وقال تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [إبراهيم: 48] (إبراهيم: 48) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: ﴿يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلا (1)) قلت: يا رسول الله! النساء والرجال جميعًا، ينظر

---

[1] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 2/128

[2] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 116

بعضهم إلى بعض؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم: (يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض ﴾[1]

- الحشر عام لجميع الخلائق :

وقد دلت النصوص أن هناك حشرا آخر إما في الجنة وإما في النار فيحشر المؤمنون إلى الجنة وفدا والوفد هم القائمون الركبان. قال تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} [مريم: 85] (مريم: 85) .

أخرج الطبري عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} [مريم: 85] قال: (أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة) (2) . وأما الكفار فإنهم يحشرون إلى النار على وجوههم عميا وبكما وصما. قال تعالى: {الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً} [الفرقان: 34] (الفرقان: 34) . قال تعالى: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا} [الإسراء: 97] [2]

4/ الحوض :

الحوض في الأصل مجمع الماء والمراد به هنا حوض النبي صلى الله عليه وسلم [3]

الحوض مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم في المحشر يرده هو وأمته.

جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر،

---

[1] أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء 230

[2] أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء 231

[3] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 157/2

يمد ماؤه من الجنة، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وآنيته كعدد نجوم السماء.

وقد دل على ثبوت الحوض وأنه حق كثير من الأحاديث الصحيحة ذكر بعض المحققين أنها تبلغ حد التواتر ورواها عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بضعة وثلاثون صحابيًّا. منها حديث أنس بن مالك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: ﴿إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء﴾ [1] . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: ﴿حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ أبدًا﴾[2] .

والحوض يكون في أرض المحشر ويمد ماؤه من الكوثر وهو نهر آخر أعطاه الله لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الجنة قال تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر: 1] (الكوثر: 1) .

وقد اختلف أهل العلم في الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر فقيل الميزان قبل، وقيل: الحوض. والصحيح أن الحوض قبل. قال القرطبي: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم.[3]

- الحوض موجود الآن :

لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن خطب ذات يوم ي أصحابه ، وقال: " وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن " .

وأيضاً؛ ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنه قال: " ومنبري على حوضي " .

---

[1] صحيح البخاري (6580)

[2] صحيح البخاري (6579)

[3] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 157/2

وهذا يحتمل أنه في هذا المكان، لكن لا نشاهده؛ نه غيبي ويحتمل أن المنبر يوضع يوم القيامة على الحوض.

- الحوض يصب فيه ميزابان من الكوثر :

وهو النهر العظيم، الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة؛ ينزلان إلى هذا الحوض

- زمن الحوض :

قبل العبور على الصراط؛ لأن المقام يقتضي ذلك؛ حيث إن الناس في حاجة إلى الشرب في عرصات القيامة قبل عبور الصراط. [1]

- من يرد الحوض :

يرد هذا الحوض المؤمنون بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، المتبعون لشريعته، وأما من استنكف واستكبر وعن اتباع الشريعة؛ فإنه يطرد منه...

- في آنيته :

" آنيته عدد نجوم السماء" هذا كما ورد في بعض ألفاظ الحديث، وفي بعضها: " آنيته كنجوم السماء"، وهذا اللفظ أشمل؛ لأنه يكون كالنجوم في العدد وفي الوصف بالنور واللمعان؛ فآنيته كنجوم السماء كثرة وإضاءة.

- آثار هذا الحوض :

" من يشرب منه شربة؛ لا يظمأ بعدها أبداً": حتى على الصراط وبعده وهذه من حكمة الله عز وجل ؛ لأن الذي يشرب من الشريعة في الدنيا لا يخسر أبداً كذلك.

---

[1] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 157/2

- **مساحة هذا الحوض :**

" طوله شهر وعرضه شهر ": هذا إذاً يقتضي أن يكون مدوراً؛ لأنه لا يكون بهذه المساحة من كل جانب؛ إلا إذا كان مدوراً، وهذه المسافة باعتبار ما هو معلوم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من سير الإبل المعتاد ...

- **هل للأنبياء الآخرين أحواضٌ ؟**

فالجواب: نعم؛ فإنه جاء في حديث رواه الترمذي- وإن كان فيه مقال: " إن لكل نبي حوضاً " لكن هذا يؤيده المعنى، وهو أن الله عز وجل بحكمته وعدله كما جعل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم حوضاً يرده المؤمنون من أمته؛ كذلك يجعل لكم نبي حوضاً ، حتى ينتفع المؤمنون بالأنبياء السابقين، لكن الحوض الأعظم هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم [1]

- **ماء هذا الحوض :**

جاء في السنة أنه أشد بياضاً من اللبن، وأنه أحلى من العسل، وأنه أطيب من رائحة المسك ، فهو طيب في لونه، طيب في مذاقه، طيب في رائحته، فالعين والفم والأنف تعشقه؛ العين تلتذ به برؤية هذا الحوض الصافي الذي هو أشد بياضا من اللبن، والأنف تلتذ برائحته التي هي أطيب من ريح المسك، والفم يلتذ بمذاقه الذي هو أحلى من العسل، فما أحسن الطعم والرائحة والمنظر[2]

- **يشرب الناس منه بآنية لا بأكفهم :**

وهذه الآنية جاء في الحديث الصحيح ((أنها عدد نجوم السماء)) ، وجاء في لفظ آخر ((أنها كنجوم السماء)) ، ووصفها بأنها كنجوم السماء أعم من وصفها بأنها عدد نجوم السماء؛ لأن

---

[1] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 158/2

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 478

الوصف الأول يشمل وصفها بأنها كنجوم السماء عددا وكنجوم السماء جمالاً ولمعاناً، فآنيته إذاً كثيرة لا يحصيها إلا الذي خلقها عز وجل، وكذلك لها لمعان ونور يتلألأ من هذه الآنية. [1]

- من شرب منه فلن يظمأ بعده أبداً :

يكون في عرصات القيامة، وكذلك بعد العبور على الصراط، لكن الأهم هو الذي يكون في عرصات القيامة؛ لأن الناس ينالهم عطش وشدة عظيمة حيث تدنوا الشمس منهم مقدار ميل ، فيعطشون ويحتاجون إلى الشرب من هذا الحوض، فإياك إياك أن تحرم الورود على هذا الحوض، وقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار الحوض إذا صبروا على جور السلطان، فقال: ((إنكم ستلقون بعدي أثرة)) أي استئثارا عليكم، ((فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)) .[2]

لذلك يرجى لمن صبر على السلطان وعلى جوره أن ينال مثل هذا الوعد من النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن هناك قاعدة تقول: أن الأحكام الشرعية والجزائية لا تتعلق بالشخص بعينه ولكن بوصفه وعمله، والعمل وصف، فليس هناك حكم شرعي أو جزائي معلق بشخص بعينه ولكن بوصفه بعمله، وهذا هو مقتضى عدل الله عز وجل؛ لأن الله ليس بينه وبين أحد محاباة حتى نقول: يمكن أن يحابي أحداً لشخصه، فالإنسان قد يحابي شخصاً معيناً في حكم يختص به لشخصه، لقرابته أو لصداقته، لكن الرب عز وجل (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) (الإخلاص: 3) (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) (الإخلاص: 4) ، لا يعطي أحداً حكماً خاصاً لشخصه أبدا.

فإن قال قائل: بل قد ورد التخصيص في الحكم الشرعي لعين الشخص كما في حديث أبي بردة بن نيار رضي الله عنه، فإنه لما كان يوم عيد الأضحى أحب أن يذبح أضحيته مبكراً من أجل أن يأكل هو وأهل بيته، فذبح أضحيته قبل صلاة العيد، فلما جاء وصلى العيد وخطب النبي صلى

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 475

[2] صحيح البخاري (3793)

الله عليه وسلم الخطبة، وقال: ((من ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله، وليس من النسك في شيء)) .[1]

وأبو بردة رضي الله عنه مثل غيره من الصحابة صرحاء، لما سمع ذلك قال: يا رسول الله، إني نسكت قبل أن أصلي، يعني وأحببت أن آكل أنا وأهلي، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: ((شاتك شاة لحم))[2] ، أي أنها غير مجزئة، قال: يا رسول الله، أن عندنا عناقا - أنثى من المعز الصغيرة - هي أحب إلينا من شاتين. أفتجزئ عني؟ يعني أن اذبحها الآن، قال: ((نعم، ولن تجزئ عن أحد بعدك))

وهذا الحديث يدل على أن الحكم خصص بابي بردة رضي الله عنه بعينه، إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تجزئ عن أحد بعدك، فأخذ بذلك بعض العلماء، وقال: إن هذا تخصيص في الحكم الشرعي بعين الرجل، لكن أبى ذلك الحبر ابن تيمية رحمه الله ، وقال: المراد بقوله: ((بعدك)) : أي بعد حالك ، يعني لن تجزئ عن أحد حاله ليست كحالك، مثلما تقول للرجل: ما بعدك رجل يوفي بالعهد، فالمعنى ما بعد وفائك وفاء بالعهد؛ لأنه وفاء كامل، وإلا سيوفي آخر بعده بالزمن وما ذهب إليه شيخ الإسلام هو الحق، فإنه لو جاءنا رجل مثل أبي بردة وذبح شاته قبل الصلاة جاهلاً، ثم قال لنا مثل ما قال أبو بردة للنبي صلى الله عليه وسلم: عندي عناق صغيرة اذبحها بدلها؟ قلنا: نعم؛ لأنه جاهل.

فإذا قال قائل: أليس الله خص نبيه بخصائص كما قال تعالى: (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) (الأحزاب: الآية50)) ؟

فالجواب: أن النبي صلى الله عليه وسلم خُصَّ بذلك؛ لأنه رسول الله، فهو خص بوصفه لا بعينه، ولولا أنه رسول لكان رجلاً من بني هاشم.

---

[1] صحيح البخاري (5546)

[2] صحيح البخاري (955)

إذاً فالقاعدة عندنا أن الأحكام الشرعية والجزائية لا تخصص بالأشخاص بأعيانهم، ولكن بالأشخاص بأوصافهم، وهذا الاستطراد أوجبه قول الرسول صلى الله عليه وسلم للأنصار: ((إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)) [1]، وعلى ذلك فيرجى لمن صبر على جور الأئمة وأثرتهم أن يرد الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم.

وقلنا: يرجى، ولم نقل: يجزم؛ لأنه ربما يقول قائل: إنه لن يتصف أحد بأوصاف الأنصار، حتى لو صبر فهو ليس كالأنصار، ولكن نقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم علق الحكم بالصبر، فيرجى لمن صبر أن يكون كالأنصار في هذا. [2]

5/ الشفاعة :

وقد سبق الكلام عنها

6/ العرض :

- الْعَرْضُ لَهُ مَعْنَيَانِ :

مَعْنَى عَامٌّ وَهُوَ عَرْضُ الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، بَادِيَةٌ لَهُ صَفَحَاتُهُمْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ هَذَا يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ وَمَنْ لَا يُحَاسَبُ.

وَالْمَعْنَى الثَّانِي عَرْضُ مَعَاصِي الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ وَتَقْرِيرُهُمْ بِهَا وَسَتْرُهَا عَلَيْهِمْ وَمَغْفِرَتُهَا لَهُمْ، وَالْحِسَابِ وَالْمُنَاقَشَةِ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ العزيز في غيرما مَوْضِعٍ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلاً كَمَا قَالَ {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الْحَاقَّةِ: 18] الْآيَاتِ، وَقَالَ تَعَالَى: {وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الْكَهْفِ: 48] الْآيَاتِ، وَقَالَ تَعَالَى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ} [النَّمْلِ: 83

---

[1] صحيح البخاري (3163)

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 479

84] وَقَالَ تَعَالَى: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزَّلْزَلَةِ: 6-8] وَقَالَ تَعَالَى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الْحِجْرِ: 92] وَقَالَ تَعَالَى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ} [الصَّافَّاتِ: 24] وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الْغَاشِيَةِ: 26] وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا فَإِنَّهُ أَخَفُّ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا أَنْ تُحَاسِبُوا أنفسكم اليوم، وتزينوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} 1 [الْحَاقَّةِ: 18]

وَرَوَى أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ" 2، وَلِلتِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْوُهُ3 وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ نَحْوَهُ مَوْقُوفًا4.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الْحُمُرِ فَقَالَ: "مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَاذَّةَ الْجَامِعَةَ {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} 5 [الزَّلْزَلَةِ: 7 8] .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَمِّ الْفَرَزْدَقِ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزَّلْزَلَةِ: 7 8] قَالَ حَسْبِي، لَا أُبَالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ غَيْرَهَا6.

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزَّلْزَلَةِ: 7 8] فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُجْزَى بِمَا عَمِلْتُ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ شَرٍّ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ

مَا رَأَيْتَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا تَكْرَهُ فَبِمَثَاقِيلِ ذَرِّ الشَّرِّ، وَيَدَّخِرُ اللَّهُ لَكَ مَثَاقِيلَ ذَرِّ الْخَيْرِ حَتَّى تَوَفَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ1

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الْحِجْرِ: 92] قَالَ يَسْأَلُ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ عَنْ خُلَّتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَعَمَّاذَا أَجَابُوا الْمُرْسَلِينَ2

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَخْلُو اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يَخْلُو أَحَدُكُمْ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَيَقُولُ: ابْنَ آدَمَ مَاذَا غَرَّكَ مِنِّي بِي، ابْنَ آدَمَ مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ، ابْنَ آدَمَ مَاذَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ3.

وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا مُعَاذُ، إِنَّ الْمَرْءَ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ جَمِيعِ سَعْيِهِ حَتَّى كُحْلَ عَيْنَيْهِ، وَعَنْ فُتَاتِ الطِّينَةِ بِأُصْبُعَيْهِ، فَلَا أُلْفِيَنَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدٌ غَيْرُكَ أَسْعَدُ بِمَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْكَ " 4.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الْحِجْرِ: 92] قَالَ {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} [الرَّحْمَنِ: 39] قَالَ لَا يَسْأَلُهُمْ هَلْ عَمِلْتُمْ كَذَا لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ يَقُولُ لِمَ عَمِلْتُمْ كَذَا وَكَذَا وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ" فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الِانْشِقَاقِ: 8] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ" 1.

وَفِيهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُولُ: "يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيُقَالُ لَهُ قَدْ كُنْتَ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ " 2.

وَفِيهِ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ" 3.

وَفِيهِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ بَيْنَمَا ابْنُ عُمَرَ يَطُوفُ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ –أو قال يابن عُمَرَ– هَلْ سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النجوى فقال: سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يضع عليه كنفه فَيُقَرِّرَهُ بِذُنُوبِهِ تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا يَقُولُ أَعْرِفُ يَقُولُ رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ فَيَقُولُ أَنَا سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْآخَرُونَ أَوِ الْكُفَّارُ فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ" 1.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عن أبي بزرة الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا عَمِلَ فِيهِ وَعَنْ مَالِهِ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ" وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ. [1]

7/ تطاير الصحف

(الصحف) يعني الصحف التي كتبت فيها أعمال العبد، وهي التي كتبتها الملائكة في الدنيا، قال الله تعالى: (كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) (الانفطار: 9) (وإِنَّ عَلَيكُمْ لَحَافِظِينَ) (الانفطار: 10) (كِراماً كَاتِبِينَ) (الانفطار: 11) ، وقال تعالى: (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً) (الإسراء: 13) (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) (الإسراء: 14) .

[1] معارج القبول للعلامة حافظ الحكمي 822/2

فهذه الصحف قد كتبت من قبل وسجلت، فتنشر يوم القيامة، ويقال للرجل إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وقد قال بعض السلف: والله لقد أنصفك من جعلك حسيباً على نفسك.

وهذه الصحف تنشر وتتطاير، فينقسم الناس فيها إلى قسمين: قسم يأخذها باليمين؛ وقسم يأخذها بالشمال، وفي آية ثالثة من وراء الظهر، ويحتمل أن تكون هذه صفة ثالثة، ويحتمل أن تكون صفة في صفة الشمال، وهو الصنف الثاني، وهذا هو الأقرب، والأول محتمل.

ثم إن الآخذ لكتابه بيمينه يفتخر ويقول للناس كما قال تعالى (هَاؤُمُ اقْرَأوا كِتَابِيَهْ) (الحاقة: الآية19) (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ) (الحاقة: 20) .، (وَأَمَّا مَنْ أُوتَي كَتَابَهُ وَرَاءَ ظَهرِه فَسَوف يَدْعُو ثُبُوراً وَيَصْلَى سَعِيراً) (الانشقاق: الآية 10-11) ويقول كما قال تعالى: (يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ) (الحاقة: الآية25) (وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ) (الحاقة: 26) (يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ) (الحاقة: 27) (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ) (الحاقة: 28) (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) (الحاقة: 29) وهذا كما نشاهده في الدنيا حين يعطى إنسان نتيجة الاختبار، فإن كان ناجحاً فإنه يرفعها ويقول: انظروا. انظروا. وإن كان راسباً خرج مُنسَلاً.

فالإنسان المؤمن يفرح ويقول للناس: هاؤم اقرؤوا كتابي، ويبين السبب؛ إني ظننت إني ملاق حسابي، يعني أيقنت ذلك والصحف هي الكتب التي كتبت فيها أعمال العباد، بحيث يأخذها الناس باليمين وبالشمال أو من وراء الظهر، والذي من وراء الظهر هو الشمال، لكنه والعياذ بالله تخلع يده إلى الخلف كما جعل كتاب الله وراء ظهره. [1]

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 468

8/ نشر الدووابن

- **تعريف :**

النشر لغة : فتح الكتاب أو بث الشيء، **وشرعًا:** إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة وتوزيعها.

والدواوين جمع ديوان، **وهو لغة:** الكتاب يحصى فيه الجند ونحوهم، **وشرعًا:** الصحائف التي أحصيت فيها الأعمال التي كتبها الملائكة على العامل، فنشر الدواوين إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة فتتطاير إلى الأيمان والشمائل [1]

- **نشر الدووابن ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة :**

قال الله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ، وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا} [الانشقاق: 7-12] .

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ} [الحاقة: 25] .

وعن عائشة -رضي الله عنها- أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم: هل تذكرون أهليكم؟ قال: "أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل؟ وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يجوز" رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح على شرطهما 98. وأجمع المسلمون على ثبوت ذلك. [2]

9/ قراءة الكتاب

الكتابة في صحائف الأعمال: أما للحسنات ، وأما للسيئات، والذي يكتب من الحسنات ما عمله الإنسان، وما نواه، وما هم به؛ فهذه ثلاثة أشياء:

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 121

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 122

فأما ما عمله؛ فظاهر أنه يكتب.

وأما ما نواه؛ فإنه يكتب له، لكن يكتب هل أجر النية فقط كاملاً؛ كما في الحديث الصحيح في قصة الرجل الذي كان له مال ينفقه في سبل الخير، فقال الرجل الفقير: لو أن عندي مالاً؛ لعملت فيه بعمل فلان؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم " فهو بنيته؛ فأجرهما سواء" [235]

ويدل على أنهما ليسا سواء في الأجر من حيث العمل: أن فقراء المهاجرين لما أتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله ! إن أهل الدثور سبقونا فقال لهم صلى الله عليه وسلم:" تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين" فلما سمع الأغنياء بذلك؛ فعلو مثله، فرجع الفقراء يشكون إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فقال لهم:" ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء [236] ولم يقل: إنكم أدركتم عملهم.

ولأن هذا هو العدل؛ فرجل لم يعمل لا يكون كالذي عمل ، لكن يكون مثله في أجر النية فقط.

وأما الهم؛ فنقسم إلى قسمين:

الأول: أن يهم بالشيء ويفعل ما يقدر عليه منه، ثم يحال بينه وبين إكماله.

فهذا يكتب له الأجر كاملاً؛ لقوله تعالى: (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) (النساء:100) .

وهذه بشرى لطلبة العلم إذا نوى الإنسان إنه يطلب العلم وهو يريد أن ينفع الناس بعلمه ويذب عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وينشر دين الله في الأرض، ثم لم يقدر له ذلك؛ بأن مات مثلاً، وهو في طلبه؛ فإنه يكتب له أجر ما نواه وسعى إليه.

بل إن الإنسان إذا كان من عادته العمل، وحيل بينه وبينه لسبب؛ فإنه يكتب له أجره ، قال النبي عليه الصلاة والسلام: " إذا مرض العبد أو سافر؛ كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً" [237]

القسم الثاني:: أن يهم بالشيء ويتركه مع القدرة عليه؛ فيكتب له به حسنة كاملة؛ لنيته.

وأما السيئات؛ فإنه يكتب على الإنسان ما عمله ويكتب عليه ما أراده وسعى فيه ولكن عجز عنه، ويكتب عليه ما نواه وتمناه.

فالأول: واضح.

والثاني: يكتب عليه كاملاً؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: " إذا التقى المسلمان بسيفيهما؛ فالقاتل والمقتول في النار ". قالوا: يا رسول الله ! هذا القاتل؛ فما بال المقتول؟! قال: " لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه " [1]، ومثله من هم أن يشرب الخمر، ولكن حصل له مانع؛ فهذا يكتب عليه الوزر كاملاً؛ لأنه سعى فيه.

والثالث الذي نواه وتمناه يكتب عليه ، لكن بالنية، ومنه الحديث الذي أخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن رجل أعطاه الله مالاً فكان يتخبط فيه ، فقال رجل فقير: لو أن لي مالاً؛ لعملت فيه بعمل فلان. قال النبي عليه الصلاة والسلام: " فهو بنيته؛ فوزرهما سواء " [2]

وان هم بالسيئة، ولكن تركها؛ فهذا على ثلاث أقسام:

1- إن تركها عجزا؛ فهو كالعامل إذا سعى فيها.

2- وإن تركها لله؛ كان مأجوراً.

3- وإن تركها لأن نفسه عزفت عنها،أو لم تطرأ على باله؛ فهذا لا إثم عليه ولا أجر.

والله عز وجل يجزي بالحسنات أكثر من العمل، ولا يجزي بالسيئات إلا مثل العمل؛ قال تعالى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) (الأنعام:160)، وهذا من كرمه عز وحل ومن كون رحمته سبقت غضبه [3]

[1] صحيح البخاري (31)

[2] صحيح الجامع الصغير وزياداته (3024)

[3] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 147/2

- صفة أخذ الكتاب :

المؤمن يأخذ كتابه بيمينه فيفرح ويستبشر ويقول:{هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ} [الحاقة: 19] .

والكافر يأخذه بشماله أو من وراء ظهره فيدعو بالويل والثبور ويقول:{يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ} [الحاقة: 25، 26] . [1]

10/ الحساب

- تعريف الحساب :

هو إيقاف الله العباد على أعمالهم التي عملوها وماكانوا عليه في الدنيا وهو عام لجميع الناس ولايستثنى إلا ماجاء في حديث الشفاعة [2]

- الحساب دلّ عليه الكتاب والسنة والإجماع والعقل :

- أما الكتاب؛ فقال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً وَيَصْلَى سَعِيراً) (الانشقاق:10-12).

- أما السنة؛ فقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام بعدة أحاديث أن الله تعالى يحاسب الخلائق.

- وأما الإجماع؛ فإنه متفق عليه بين الأمة: أن الله تعالى يحاسب الخلائق.

- وأما العقل؛ فواضح؛ لأننا كلفنا بعمل فعلاً وتكراً وتصديقاً، والعقل والحكمة تقتضيان أن من كلف بعمل؛ فإنه يحاسب عليه ويناقش فيه.

- وقول المؤلف: " الخلائق " جمع خليقة؛ يشمل كل مخلوق.

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 123

[2] شرح الأصول الثلاثة

إلا أنه يستثني من ذلك من يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب؛ كما ثبت ذلك في الصحيحين": أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أمته ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون

وقد روي الإمام أحمد بسند جيد: أن مع كل واحد سبعين ألفاً

فتضرب سبعين ألفاً بسبعين ألفاً ويزاد سبعون ألفاً. وهؤلاء فتضرب سبعين ألفاً بسبعين ألفاً، ويزداد سبعون ألفاً؛ هؤلاء كلهم يدخلون الجنة لا حساب ولا عذاب.

وقوله: " الخلائق " يشمل أيضاً الجن؛ لأنهم مكلفون ، ولهذا يدخل كافرهم النار بالنص والإجماع؛ كما قال تعالى (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ) (لأعراف: من الآية38)، ويدخل مؤمنهم الجنة على قول جمهور أهل العلم، وهو الصحيح؛ كما يدل عليه قوله تعالى (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَان(46) إلى قوله: (....لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ) (الرحمن:46-56).

وهل تشمل المحاسبة البهائم؟ أما القصاص؛ فيشمل البهائم؛ لأنه ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام" أنه يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء" ، وهذا قصاص ، لأنها لا تحاسب حساب تكليف وإلزام؛ لأن البهائم ليس لها ثواب ولا عقاب [1]

وأما الكفار؛ فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويخزون بها [2]

---

[1] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 152/2

[2] الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية

تنبيه : في قول المؤلف رحمه الله محاسبة من توزن حسناته وسيئاته... إلخ، إشارة إلى أن المراد بالمحاسبة المنفية عنهم هي محاسبة الموازنة بين الحسنات والسيئات، وأما محاسبة التقرير والتقريع فثابتة كما يدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه. / شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 156/2

- أول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال :

أول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال الصلاة، وأول ما يقضي فيه بين الناس الدماء؛ لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية، والدماء اعظم ما يعتدى به في حقوق الآدميين. [1]

- الحساب يتنوع :

فالحساب ينقسم إلى حساب للمؤمن، وحساب للكافر:

أما حساب المؤمن: فإن الله تعالى يخلو به وحده، ويقرره بذنوبه حتى يقر ويعترف بها [2]

أي: يقول له: عملت كذا، وعملت كذا... حتى يقر ويعترف، ثم يقول: " سترها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم " ...

" وأما الكفار المنافقون؛ فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين". متفق عليه "

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فيلقى العبد، لأي يلقى الله العبد إي المنافق، فيقول: يا فل، أي: يا فلان، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟! فيقول: بلى ، قال: فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيسأله فيجيب كما أجاب الأول، فيقول الله ، فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك ، فيقول الله ، فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك ، فيقول: يا رب آمنت بلك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ههنا إذن، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على

---

[1] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 156/2

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 468

فيه ، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي ، فتنطق بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه. [1]

- الحساب ليس عامّ لكل أحد :

بل إن من الناس من ينجو من الحساب فلا يحاسب، بل ويدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، ومنهم سبعون ألفاً كما هو ثابت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روى الإمام أحمد في مسنده بإسناد جيد أن مع كل واحد منهم سبعين ألفاً؛ فعددهم حاصب ضرب السبعين ألفاً في سبعين ألفاً، وهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون.

فالحساب إذاً يتنوع، وهو ليس عاماً لكل أحد. [2]

11/ الميزان

- تعريف :

الموازين جمع ميزان، **وهو لغة:** ما تقدر به الأشياء خفة وثقلا، **وشرعًا:** ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد [3]

- الميزان دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف :

قال الله تعالى:{فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} [المؤمنون: 102، 103] .

{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: 47] .

---

[1] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 2/154

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 468

[3] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 120

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" متفق عليه ، وأجمع السلف على ثبوت ذلك.

وهو ميزان حقيقي له كفتان لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في صاحب البطاقة قال: "فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة" الحديث رواه الترمذي وابن ماجه قال الألباني: إسناده صحيح [1]

- اختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد؟

هل الميزان واحد توزن به الأعمال كلها، أو أن لكل أمة ميزاناً؛ حيث إن الأمم تتفاضل في الثواب، أو أن لكل شخص ميزاناً؟ في هذا أقوال للعلماء؛ فمنهم من قال: لكل شخص ميزان، ومنهم من قال: لكل أمة ميزان، ومنهم من قال: الميزان واحد.

ولنستعرض الآيات الدالة على الميزان وما تدل عليه، قال تعالى (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الأعراف: 8) ، وهذا الدليل لا يدل على تعدد، ولا على إفراد، لأنه قال: الوزن.

ولكن هناك أدلة تذكر الميزان مثل قوله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) (الأنبياء: الآية47) ، والموازين هنا جمع.

وفي حديث: ((كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان)) [2]، والميزان هنا مفرد، فمن قالوا بما يقتضيه الجمع قالوا بأن المراد بالميزان في قوله: ((ثقيلتان في الميزان)) الجنس، ومن قالوا بأن الميزان واحد، قالوا: إن الجمع في الآية باعتبار الموزون.

والذي يظهر لي – والله أعلم – إن الموازين متعددة بحسب الأمم؛ لأن الأمم تتفاضل في الأعمال، وإذا كانت تتفاضل في الأعمال لزم أن تكون موازين أعمالها مختلفة.

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 120

[2] صحيح البخاري (6406)

ولهذا كانت هذه الأمة – ولله الحمد – توفي سبعين أمة، وهي أكرمها عند الله عز وجل، وهي اقلها زمنا وأكثرها أجرا، فزمنها من العصر إلى الغروب، ويعطون أجرهم مرتين. إذاً لا يمكن أن يكون ميزان هؤلاء كميزان الآخرين.

ثم إن رجحان الحسنات معناه أن تنزل الكفة، لا أن ترتفع الكفة، فهي لما تثقل تنزل، وفي حديث البطاقة طاشت السجلات أي ارتفعت، وعلى هذا يكون الوزن من جهة نزول الكفة إذا ثقلت كالوزن في الدنيا.

وأما من قال: إن رجحان الحسنات يكون إذا ارتفعت، وأن هذا هو الثقل، فهذا غير صحيح، وهو خلاف المحسوس، نسأل الله أن يثقل موازيننا يوم القيامة [1]

– وردت النصوص بالجمع والإفراد في الميزان :

فمثال الجمع: قول الله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) (الأنبياء: من الآية47) ... وأما الإفراد؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم " ...

– جمعت باعتبار الموزون؛ حيث أنه متعدد، وأفردت باعتبار أن الميزان واحد، أو ميزان كل أمة، أو أن المراد بالميزان في قوله عليه الصلاة والسلام: " ثقيلتان في الميزان:؛ أي: في الوزن.

ولكن الذي يظهر – والله أعلم – أن الميزان واحد، وأنه جمع باعتبار الموزون؛ بدليل قوله: (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) (لأعراف: من الآية8)

لكن يتوقف الإنسان: هل يكون ميزاناً واحداً لجميع الأمم أو لكل أمة ميزان؛ لأن الأمم كما دلت علي النصوص تختلف باعتبار أجرها ؟!

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 473

وقوله: " تنصب الموازين ": ظاهره أنها موازين حسية ، وأن الوزن يكون على حسب المعهود بالراجح والمرجوح، وذلك لأن الأصل في الكلمات الواردة في الكتاب والسنة حملها على المعهود المعروف ، إلا إذا قام دليل على أنها خلاف ذلك ، والمعهود المعروف عند المخاطبين منذ نزول القرآن الكريم إلى اليوم أن الميزان حسي، وأن هناك راجح ومرجوح [1]

- الميزان حسي وليس معنوي :

ذهبت المعتزلة إلى أنه معنوي، وأن الميزان المذكور في القرآن والوزن المذكور في القرآن معناه إقامة العدل، وليس ثمة شيءٌ محسوس يوزن به، وعللوا ذلك بأن الأعمال أوصاف ومعانٍ، والأوصاف والمعاني لا توزن، وإنما الوزن يكون للأجسام، أما الأوصاف والمعاني فلا يمكن أن توزن.

فحكموا العقل، وقدموه على النقل وعلى الشرع، والنصوص تدل على أن هذا الميزان ميزان حسي، وحديث صاحب البطاقة واضح فيه، وكذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه لما خرج ذات يوم في ريح شديدة، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفئه ويميل منها؛ لأنه نحيف ليس كبير الجسم، فضحك منه بعض الصحابة، فقال صلى الله عليه وسلم: ((إن ساقيه في الميزان أثقل من أُحد)) ، وهذا يدل على أن الوزن وزن حسي حقيقي.

وأما قولهم: إن الأعمال أوصاف ومعان فلا توزن، فنقول رداً على ذلك: إن الله على كل شيء قدير، قد يجعل الله المعاني أجساماً، فها هو الموت معنى من المعاني ويؤتى به يوم القيامة على صورة كبش، ويوقف بين الجنة والنار ويقال لأهل النار وأهل الجنة: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، فيذبح بين الجنة والنار، ويقال لأهل الجنة: خلود فلا موت، ولأهل النار: خلود فلا موت .

---

[1] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 138/2

فالله عز وجل قادر على أن يجعل الأوصاف والمعاني أجساماً، ولا يجوز أن نرد الأدلة بمجرد ما تتحير فيه العقول، بل إذا تحيرت العقول فأعلم أن القول فوق العقول، ولا يمكن أن تأتي النصوص بما يحيله العقل أبدا، إذا فالصحيح أن الميزان حسي لا معنوي. [1]

ولا شك أن قول المعتزلة باطل؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف ، ولأننا إذا قلنا: إن المراد بالميزان: العدل؛ فلا حاجة إلى أن نعبر بالميزان، بل نعبر بالعدل؛ لأنه أحب إلى النفس من كلمة (ميزان) ، ولهذا قال الله تعالى ( )إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْأِحْسَانِ) (النحل: من الآية90).

وقال بعض العلماء: إن الرجحان للعالي؛ لأنه يحصل فيه العلو، لكن الصواب أن نجري الوزن على ظاهره، ونقول إن الراجح هو الذي ينزل ، ويدل لذل حديث صاحب البطاقة ؛ فغن فيه أن السجلات تطيش وتثقل البطاقة، وهذا واضح بأن الرجحان يكون بالنزول. [2]

- كيف يوزن العمل؛ والعمل وصف قائم بالعامل وليس جسماً فيوزن؟!

والجواب على ذلك: أن يقال: إن اله سبحانه وتعالى يجعل هذه الأعمال أجساماً [3]

- الذي يوزن العمل وهذا هو ظاهر القرآن :

كما قال الله تعالى ... (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) (الزلزلة:7-8) فهذا واضح أن الذي يوزن العمل؛ سواء كان خيراً أم شراً.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: " كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان" ، وهذا ظاهر أيضاً ، بل صريح في أن الذي يوزن العمل ، والنصوص في هذا كثيرة.

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 470

[2] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 140/2

[3] شرح الواسطية للعلامية ابن عثيمين 140/2

لكن هناك نصوص قد يخالف ظاهرها هذا الحديث:

منها حديث صاحب البطاقة؛ رجل يؤتى به على رؤوس الخلائق، وتعرض عليه أعماله في سجلات تبلغ تسعة وتسعين سجلاً كل سجل منها يبلغ مد المبصر، فيقر به ، فيقال له: ألك عذر أو حسنة؟ فيقول: لا؛ يا رب ! فيقول الله: بلى؛ إن لك عندنا حسنة. فيؤتى ببطاقة صغيرة، فيها: أشهد أن لا إليه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقال: إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفيه، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة..." الحديث [1]

وظاهر هذا أن الذي يوزن صحائف الأعمال.

وهناك نصوص أخرى تدل على أن الذي يوزن العامل؛ مثل: قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً) (الكهف:105)؛ ومع أنه قد ينازع في الاستدلال بهذه الآية؛ فيقال: إن معنى قوله: (فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً) (الكهف: من الآية105)؛ يعني: قدراً.

ومثل ما ثبت من حديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان رضي الله عنه دقيق الساقين، جعلت الريح تحركه، فضحك الصحابة رضي الله عنه دقيق الساقين، جعلت الريح تحركه، فضحك الصحابة رضي الله عنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " مم تضحكون؟" قالوا: من دقة ساقية. قال: والذي نفسي بيده؛ لهما في الميزان أثقل من أحد" [2]

فصار ها هنا ثلاثة أشياء: العمل ، والعامل ، والصحائف.

---

[1] صحيح الجامع الصغير وزياداته (1776)

[2] السلسلة الصحيحة (2750)

فقال بعض العلماء: إن الجمع بينها أن يقال: إن من الناس من يوزن عمله، ومن الناس من يوزن صحائف عمله، ومن الناس من يوزن هو بنفسه.

وقال بعض العلماء: الجمع بينها أن يقال: أن المراد بوزن العمل أن العمل يوزن وهو في الصحائف ، ويبقى وزن صاحب العمل فيكون لبعض الناس.

ولكن عند التأمل نحد أن أكثر النصوص تدل على أن الذي يوزن هو العمل، ويخص بعض الناس، فتوزن صحائف أعماله، أو يوزن هو نفسه.

وأما ما ورد في حديث ابن مسعود وحديث صاحب البطاقة؛ فقد يكون هذا أمراً يخص الله به من يشاء من عباده [1]

12/ انقسام الناس إلى طوائف وأزواج :

أزواج بمعنى كل شكل إلى شكله، وتُقَامْ الألوية –ألوية الأنبياء– لواء محمد صلى الله عليه وسلم، ولواء إبراهيم، ولواء موسى إلى آخره، ويتنوع الناس تحت اللواء بحسب أصنافهم، كل شَكْلٍ إلى شكله.

والظالمون والكفرة أيضاً يُحْشَرُونَ أزواجاً يعني متشابهين كما قال {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22) مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الصافات:22-23] ؛ يعني بأزواجهم يعني أشكالهم ونُظَرَاءَهُمْ، فيُحْشَرْ علماء المشركين مع علماء المشركين، ويُحْشَرْ الظلمة مع الظلمة، ويُحْشَرْ منكري البعث مع منكري البعث، ويُحْشَرْ منكري الرسالة وهكذا في أصناف. [2]

13/ الظلمة :

ثُمَّ بعد هذا يَضْرِبُ الله – عز وجل – الظُّلمة قبل جهنم والعياذ بالله، فيسير الناس بما يُعْطَونَ من الأنوار، فتسير هذه الأمة وفيهم المنافقون، ثُمَّ إذا ساروا على أنوارهم ضُرِبَ السُّور

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/138

[2] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 542

المعروف {فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى} [الحديد:13-14] الآيات، فيُعْطِيْ الله - عز وجل - المؤمنين النور فيُبْصِرُون طريق الصراط، وأما المنافقون فلا يُعْطَون النور فيكونون مع الكافرين يتهافتون في النار، يمشون وأمامهم جهنم والعياذ بالله. [1]

14/ الصراط

- تعريف :

لغة: الطريق، **وشرعًا:** الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة، وهو ثابت بالكتاب والسنة وقول السلف.

قال الله تعالى:{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا} [مريم: 71] .

فَسَّرها عبد الله بن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط، وفسرها جماعة منهم ابن عباس بالدخول في النار لكن ينجون منها.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم"، متفق عليه.

واتفق أهل السنة على إثباته. [2]

- صفة الصراط :

سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الصراط فقال: "مدحضة مزلة عليها خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان" رواه البخاري وله من حديث أبي هريرة: "وبه كلاليب مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، يخطف الناس بأعمالهم" ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد -رضي الله عنه- قال:

---

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 542

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 126

"بلغني أنه أدق من الشعر وأحد من السيف" ، وروى الإمام أحمد نحوه عن عائشة -رضي الله عنها- مرفوعًا. [1]

ل- ا يعبر الصراط إلا المؤمنون على قدر أعمالهم :

لحديث أبي سعيد -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وفيه: "فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناجٍ مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في جهنم". متفق عليه108، وفي صحيح مسلم: "تجرى بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: يا رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا" 109، وفي صحيح البخاري: "حتى يمر آخرهم يسحب سحبا" [2]

- أول من يعبر الصراط من الأنبياء :

أول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد -صلى الله عليه وسلم- ومن الأمم أمته لقوله النبي صلى الله عليه وسلم: "فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم" رواه البخاري [3]

- اختلف العلماء في هذا الصراط : هل هو صراط واسع يسع أمماً عظيمة أو هو صراط ضيق؟

وذلك على قولين فمنهم من قال: إنه أدق من الشعر، وأحد من السيف، وأحر من الجمر، فلما قيل: إن هذا لا يمكن العبور عليه، أجابوا بأن الأمور الآخرة لا تقاس بالأمور الدنيا، وأن الله على كل شيء قدير، وأن الله جعله بهذه الصفة لمشقة العبور منه كمشقة الصراط في الدنيا على النفوس، لأن الجنة حفت بالمكاره.

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 126

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 127

[3] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 128

ومنهم من قال: بل إنه صراط واسع، فيه مزلة ومدحضة، وعليه الشوك كالسعدان، لكن لا يعلم عظمها إلا الله سبحانه وتعالى، وأياً كان فهو مخيف غاية الخوف، ولهذا كان من دعاء الرسل - وهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم - يومئذٍ ((اللهم سلم اللهم سلم)) ، كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.[1]

- كيف يمكن العبور على طريق كهذا ؟

والجواب:أن أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا فالله تعالى على كل شيء قدير، ولا ندري؛ كيف يعبرون؟! هل يجتمعون جميعًا في هذا الطريق أو واحدًا بعد واحد؟ [2]

- يعبر الناس الصراط على قدر أعمالهم في الدنيا :

يمر الناس عليه على قدر أعمالهم: فمنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل ، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم من يخطف خطفاً فيلقى في جهنم فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل الجنة [3]
وهذا بغير اختيار الإنسان ... ولكن السير على حسب سرعته في قبول الشريعة في هذه الدنيا ... والجزاء من جنس العمل. [4]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 475

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 161

[3] الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية

- المراد ب " الناس" هنا: المؤمنون؛ لأن الكفار قد ذهب بهم إلى النار . / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 161/2

[4] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 162

- تنبيه :

النار التي يلقى فيها العصاة هي النار التي يلقى فيها الكفار ... تكون حارة مؤلمة لكنها ليست كحرارتها بالنسبة للكافرين ... ثم إن أعضاء السجود لا تمسها النار؛ ما ثبت ذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام في الصحيحين" ، وهي الجبهة والأنف والكفان والركبتان وأطراف القدمين.[1]

15/ النار

- تعريف :

النار: هي الدار التي أعدها الله تعالى لأعدائه، وفيها من أنواع العذاب والعقاب ما لا يطيق.

وهي موجودة الآن؛ لقوله تعالى: (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (آل عمران: من الآية131)،

والأحاديث في هذا المعنى مستفيضة مشهورة.

وأهلها خالدون فيها أبداً؛ لقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً) (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً) (الأحزاب:64-65)

وقد ذكر الله خلودهم أبداً في ثلاث آيات من القرآن؛ هذه أحدها ، والثانية في آخر سورة النساء، والثالثة في سورة الجن، وهي ظاهرة في أن النار لا تزال باقية أبد الآبدين .[2]

- مكان النار :

النار في أسفل سافلين لقوله تعالى: {كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ} [المطففين: 7] .

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث البراء بن عازب السابق: "فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى" 118.[3]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 162/2

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 181/2

[3] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 133

- أهل النار :

أهل النار كل كافر شقي، قال الله تعالى في النار: {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: 24] .
{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ} [هود: 106] . [1]

- هل الجنة والنار موجودتان الآن ؟

والجواب: نعم، هما موجودتان الآن، ودليل ذلك في القرآن والسنة.

أما القرآن فقد قال الله تعالى: (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (آل عمران: 131) ، والإعداد بمعنى التهيئة، فإنها مهيأة للكافرين. وأما الجنة فقال تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: 133) ، والإعداد بمعنى التهيئة.

وفي السنة: فقد عرضت النار على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي صلاة الكسوف ، ورأى فيها عمرو بن لحي يجر قصبه في النار، يعني يجر أمعاءه، ورأى فيها امرأة تعذب في هرة لها حبستها حتى ماتت، ورأى فيها صاحب المحجن الذي يسرق الحجاج بمحجنه الذي معه، وهو العصا المحنية الرأس، فكان يمر بالحاج ويخطف متاعه، فإن لم يفطن له الحاج ذهب، وإن فطن له قال: تعلق متاعك بمحجني، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم يعذب بمحجنه في النار .
أما الجنة فرآها النبي عليه الصلاة والسلام وهو يصلي صلاة الكسوف حتى هم أن يتناول منها قطف عنب ولكنه لم يفعل ، وكذلك دخلها عليه الصلاة والسلام ورأى فيها قصراً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يدخله لأنه تذكر غيرة عمر ، ولما حدث النبي صلى الله عليه وسلم عمر بذلك بكى عمر رضي الله عنه وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟ يعني: لو دخلته ما غرت ولو غرت على غيرك ما غرت عليك.

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 133

فالمهم أنه ثبت بالكتاب والسنة أن الجنة والنار موجدتان الآن، وهو أيضاً محل إجماع بين العلماء رحمهم الله، ولكن متى خلقتا؟ هذا هو الذي نتوقف فيه، فإننا لا ندري متى خلقهما الله عز وجل. [1]

- هل الجنة والنار مؤبدتان أو إلى أمد ثم تفنيان ؟

أما الجنة فبالإجماع أنها مؤبدة لا تفنى، والآيات في هذا كثيرة، فما أكثر ما نتلو قول الله تعالى في أهل الجنة: (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً) (النساء: الآية 169) ، وهو محل إجماع. وأما النار فمحل إجماع أنها مؤبدة إلا خلافاً يسيرا ذهب إليه بعض العلماء رحمهم الله وهو مرجوح، بل لا وزن له، والصحيح الذي لا شك فيه

أن النار مؤبدة دائماً وأبداً، لقول الله تبارك وتعالى في آيات ثلاث في كتابه: (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً) (النساء: الآية 169)) ؛ فقال جل وعلا في سورة النساء: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً) (النساء: 168) (إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً) (النساء: الآية 169) ، وتأبيد الخالد يدل على تأبيد مكان الخلود ضرورة، وإلا فكيف يكون خالداً في غير محل؟! هذا مستحيل ...

وثبت في السنة أنه يؤتى يوم القيامة بالموت فيوقف في مكان بين الجنة والنار، فيقال يا أهل الجنة. يا أهل النار. فيشرئبون ويطلعون، فيقال لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقوون: نعم، هذا الموت، فيذبح، ويقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ولم يحدد.

والإجماع يكاد يكون منعقداً إلا خلافاً يسيراً عن طائفة من السلف والخلف لكنه مرجوح بل لا وزن له.

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 499

فإن قالوا: إن رحمة الله سبقت غضبه؟ قلنا لا قياس في مقابلة النص، فما دام عندنا نص من القرآن صريح بالتأبيد فلا قياس. [1]

- هل يدخل الإنس والجن الجنة والنار أو هذا خاص بالإنس؟

الجواب: أما النار فيدخلها الجن والإنس بالنص والإجماع، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) (الأعراف: الآية 179) أي خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ...
وأما دخول المؤمنين الجنة فهو بالنسبة للبشر بالنص والإجماع، وبالنسبة للجن محل خلاف، والصحيح أنهم يدخلون الجنة، والدليل على ذلك ما جاء في سورة الرحمن حيث يخاطب الله الجن والإنس فيقول جل وعلا (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ) (الرحمن: 41) (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) (الرحمن: 42) (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ) (الرحمن: 43) (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) (الرحمن: 44) (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) (الرحمن: 45) ، وهذا في دخول النار وهو مجمع عليه وليس فيه إشكال، ثم قال تعالى: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) (الرحمن: 46) (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) (الرحمن: 47) ، والخطاب لمن؟ نقول: هو للجن والإنس، إلى أن قال في الجنتين الأوليين والأخريين (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ) (الرحمن: 74) (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) (الرحمن: 75)) ،
وعليه فالقول الراجح أن مؤمني الجن يدخلون الجنة كمؤمني الإنس بالنص، ولأن هذا من كمال عدل الله عز وجل أن من عمل ابتغاء ما وعد به من الثواب فلابد أن يحقق الله له الثواب، ولأن هذا مقتضى قوله تعالى في الحديث القدسي: ((إن رحمتي سبقت غضبي)) .

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 500

والذين يقولون إن كافر الجن يدخل النار وأن مؤمنهم لا يدخل الجنة؛ يجعلون غضبه سبق رحمته؛ إذ كيف يقال: إن هؤلاء إذا عملوا بما يقتضي الرحمة فإنهم لا يعطون الرحمة، وإذا عملوا بما يقتضي العذاب فإنهم يعذبون. فأين سبق الرحمة للغضب في هذا؟!

فإن قيل: ما تقولون في قوله تعالى (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً) (الجن: الآية 14)) ، وفي قوله تعالى: (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) (الاحقاف: 31)) ، ولم يقل ويدخلكم الجنة.

فالجواب: أن السكوت عن الشيء لا يلزم منه انتفاء الشيء؛ لأن عدم الذكر ليس ذكراً للعدم، فإذا لم يذكر ثوابهم في هذه الآية فقد ذكر في آيات أخرى لا معارض لها.

وعلى هذا فنقول: في هذا البحث إن مؤمني الجن يدخلون الجنة كمؤمني الإنس ولا فرق، وهذا معنى قول المؤلف رحمه الله: (وكل إنسان وكل جنة) يعني كل واحدٍ من الإنس وكل واحد من الجن (في دار نار أو نعيم جنة) ، وعلى هذا فكلام المؤلف صريح في أن الجنة يدخلون الجنة، وكذلك يدخلون النار، وكذلك الإنس.

وقوله رحمه الله: (ما مصير الخلق من كل الورى) (هما) أي النار والجنة (مصير الخلق) فليس هناك دار ثالثة، حتى أصحاب الأعراف الذين يوقفون في مكان بين الجنة والنار مآلهم إلى الجنة ولابد ...

وقوله: (من كل الورى) يريد به الخصوص، أي يريد به الإنس والجن، أما الملائكة فلا يدخلون النار، لكنهم في الجنة مسخرون لأهل الجنة، قال تعالى: (وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ) (الرعد: الآية 23) (سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) (الرعد: 24)) ، وهناك ملائكة، الله أعلم بمصيرهم، لكننا نعلم أنهم لن يدخلوا النار.

ثم قال رحمه الله: (النار دار من تعدى وافترى) أي النار دار من تعدى الحدود وافترى الكذب ، فمن أشرك فهو متعدٍ ومفترٍ أيضاً؛ لأن إشراكه بالله يقتضي انه يقول بلسان حاله أو بلسان

مقاله: إن مع الله إلها آخر، وهذا افتراء، ومن زعم أن لله ولداً فهو متعد مفتر، وعلى هذا فيكون التعدي والافتراء متلازمين، لكن الافتراء يلزم منه التعدي بكل حال، والتعدي لا يلزم منه الافتراء بلسان المقال، ولكن يلزم منه الافتراء بلسان الحال.

ويتضح هذا بالنسبة المفتري أن يقال: إن المفتري متعد ولا شك، لأن الإنسان لو تقول على بشر لقيل إنه متعد عليه. فكيف إذا تقول على رب العالمين؟! أما المعتدي فقد يعتدي بغير افتراء، لكن لسان حاله يقول إنه مفتر. نسأل الله أن يعيذنا من التعدي والافتراء [1]

- كيفية دخول الجنة و كيفية دخول النار :

فإذا وصلوا إلى الجنة لم يجدوها مفتوحة الأبواب، على خلاف أهل النار، فإنهم إذا وصلوا إلى النار فتحت الأبواب ليسوءهم العذاب والعياذ بالله، أما الجنة فلا تكون مفتوحة الأبواب ، وإنما يوقفون هناك على قنطرة، وهي الجسر الصغير فيقتص لبعضهم من بعض اقتصاصاً غير الاقتصاص الأول الذي في عرصات القيامة [2]

- ذبح الموت :

الموت زوال الحياة، وكل نفس ذائقة الموت، وهو أمر معنوي غير محسوس بالرؤية، ولكن الله تعالى يجعله شيئًا مرئيا مجسما، وَيُذْبَح بين الجنة والنار لحديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناديًا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت،

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 501

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 477

وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت" ثم قرأ: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} [مريم: 39] [1]

16/ عرصات يوم القيامة

"عرصات": جمع عرصة، وهو المكان الواسع الفسيح ، الذي ليس فيه بناء؛ لأن الأرض تُمد مدَّ الأديم؛ كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ يعني: مد الجلد.

فالمؤمنون يرون الله في عرصات يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة؛ كما قال الله تعالى عن المكذبين بيوم الدين: (كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (المطففين:15) [2]

– الاقتصاص الذي في عرصات القيامة اقتصاص تؤخذ فيه الحقوق، وربما يبقى في النفوس ما يبقى ...

وبهذا نجمع بين النصوص الواردة بأن هنا اقتصاصين، الاقتصاص الأول في العرصات ويقصد منه أخذ الحقوق، وهذا الاقتصاص الأخير والمقصود به التنقية والتطهير من الغل.

فإن قال قائل: أفلا يحصل ذلك بأخذ الحقوق؟ قلنا: لا، فلو أن رجلاً اعتدى عليك في الدنيا ثم أخذت حقك منه، فإنه قد يزول ما في قلبك عليه وقد لا يزول، فإحتمال أنه لا يزول وارد ، لكن إذا هذبوا ونقوا بعد عبور الصراط ودخلوا الجنة على أكمل حال ، قال تعالى: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) (الحجر: 47) . [3]

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 134

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 102/2

[3] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 477

17/ القنطرة

"القنطرة" هي الجسر ، لكنه جسر صغير ، والجسر في الأصل ممر على الماء من نهر ونحوه.

واختلف العلماء في هذه القنطرة؛ هل هي طرف الجسر الذي على متن جهنم أو هي جسر مستقل؟!

والصواب في هذا أ نقول: الله أعلم، وليس يعنينا شأنها، لكن الذي يعنينا أن الناس يوقفون عليها...

فيقتص لبعضهم من بعض": وهذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة؛ لأن هذا قصاص أخص؛ لأجل أن يذهب الغل والحقد والبغضاء التي في قلوب الناس، فيكون هذا بمنزلة التنقية والتطهير، وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص... حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل؛ كما قال الله تعالى: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) (الحجر:47)[1]

18/ الجنة

- تعريف :

الجنة: هي الدار التي أعدها الله تعالى لأوليائه، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر [2]

- أول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم :

دليله ما ثبت في " صحيح مسلم " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنا أول شفيع في الجنة"، وفي لفظ " أنا أول من يقرع باب الجنة ، وفي لفظ: " آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد . فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد من قبلك" ...

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/163

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/181

وهذا من نعمة الله على محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإن الشفاعة الأولى التي يشفعها في عرصات القيامة لإزالة الكروب والهموم والغموم، والشفاعة الثانية لنيل الأفراح والسرور؛ فيكون شافعاً للخلق عليه الصلاة والسلام في دفع ما يضرهم وجلب ما ينفعهم.

ولا دخول إلى الجنة إلا بعد شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأن ذلك ثبت في السنة كما سبق، واشار إليه الله عز وجل بقوله (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) (الزمر: من الآية73)؛ فإنه لم يقل: حتى إذا جاءوها؛ فتحت! وفيه إشارة إلى أن هناك شيئاً قبل الفتح، وهو الشفاعة . أما أهل النار؛ فقال فيهم: (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) (الزمر: من الآية71)؛ لأنهم يأتونها مهيأة فتبغتهم؛ نعوذ بالله منها[1]

- أول ما يدخل الجنة من الأمم أمته :

دليله ما ثبت في " صحيح مسلم " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة " ، وقال صلى الله عليه وسلم: " نحن الآخرون السابقون يوم القيامة" .

وهذا يشمل كل مواقف القيامة وانظر: " حادي الأرواح " لابن القيم: [2]

- أبواب الجنة :

أبواب الجنة ... ثمانية ... وقال النبي صلى الله عليه وسمل فيمن توضأ وأسبغ والوضوء وتشهد: " إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية؛ يدخل من أيها شاء "

وهذه الأبواب كانت ثمانية بحسب الأعمال؛ لأن كل باب له عمال؛ فأهل الصلاة ينادون من باب الصلاة، وأهل الصدقة من باب الصدقة، وأهل الجهاد من باب الجهاد، وأهل الصيام من باب الريان.

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/164

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/165

وقد يوفق الله عز وجل بعض الناس لأعمال صالحة شاملة؛ فيدعى من جميع الأبواب؛ كما في الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من أنفق زوجين في سبيل الله؛ نؤدي من أبواب الجنة: يا عبد الله ! هذا خير.... " وذكر الحديث ، وفيه: فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة؛ فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال:" نعم، و أرجو أن تكون منهم "...

- يُدعى من الباب المعين من كان يكثر من العمل المخصص له[1]

- إدخال الجنة ينقسم إلى قسمين :

الأول: إدخال كامل لم يسبق بعذاب لمن أتم العمل.

الثاني: إدخال ناقص مسبوق بعذاب لمن نقص العمل. فالمؤمن إذا غلبت سيئاته حسناته إن شاء الله عذبه بقدر عمله، وإن شاء لم يعذبه، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [2]

- حال الدخول للجنة :

- إمّا أن يدخلها ابتداء بغير حساب ولا عذاب.

- وإمّا أن يدخلها ابتداء بعد العرض.

- وإمّا أن يدخلها انتهاء بعد العذاب. [3]

- مكان الجنة :

الجنة في أعلى عليين لقوله تعالى:{كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ} [المطففين: 18] .وقوله - صلى الله عليه وسلم- في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر: "فيقول الله -

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/166

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 1/ 76

[3] شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان الرحيلي

عزوجل- اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض "117.

والنار في أسفل سافلين لقوله تعالى:{كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ} [المطففين: 7] .

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث البراء بن عازب السابق: "فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى" 118.[1]

- أهل الجنة :

أهل الجنة كل مؤمن تقي؛ لأنهم أولياء الله، قال الله تعالى في الجنة:{أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 133] .

{أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} [الحديد: 21] .[2]

- تنبيه :

باب اليوم الآخر وأشراط الساعة- ذكرت في أحاديث كثيرة فيها ضعف وفيها وضع، وأكثر ما تكون هذه في كتب الرقائق والمواعظ؛ فلذلك يجب التحرز منها، وأن نحذر العامة الذين يقع في أيديهم مثل هذه الكتب.[3]

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 132

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 133

[3] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/

الفصل السابع :

الإيمان بالقدر

1/ تعريف :

القدر في اللغة؛ بمعنى: التقدير؛ قال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر:49) ...

- أما القضاء؛ فهو في اللغة: الحكم.[1]

2/ الفرق بين القضاء والقدر :

القضاء والقدر متباينان إن اجتمعا، ومترادفان إن تفرقا ...

فإذا قيل: هذا قدر الله؛ فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرا جميعاً؛ فلكل واحد مهما معنى.

- فالتقدير: هو ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه.

- وأما القضاء؛ هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، وعلى هذا يكون التقدير سابقاً.[2]

- **فإن قال قائل: متى** قلنا: إن القضاء هو ما يقضيه الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، وإن القدر سابق عليه إذا اجتمعا؛ فإن هذا يعارض قوله تعالى (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) (الفرقان: من الآية2)؛ فإن هذه الآية ظاهرها أن التقدير بعد الخلق؟

فالجواب على ذلك من أحد وجهين:

- إما أن نقول: إن هذا من باب الترتيب الذكري لا المعنوي، وإنما قدم الخلق على التقدير لتتناسب رؤوس الآيات ألم تر إلى أن موسى أفضل من هارون ، لكن قدم هارون عليه في

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/187

[2] القدر: هو تقدير لشيء قبل قضائه. والقضاء هو الفراغ من الشيء.

ومن الشواهد التي ذكرها أبو حاتم للتفريق بين القضاء والقدر أن القدر منزلة تقدير الخياط للثوب فهو قبل أن يفصله يقدره فيزيد وينقص فإذا فصله فقد قضاه وفرغ منه وفاته التقدير / أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء بتقديم العلامة صالح آل الشيخ 243

سورة طه في قوله تعالى عن السحرة: (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) (طه:70)؛ لتتناسب رؤوس الآيات.

وهذا لا يدل على أن المتأخر في اللفظ متأخر في الرتبة.

- أو أن نقول: إن التقدير هنا بمعنى التسوية؛ إي خلقه على قدر معين؛ كقوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى) (الأعلى:2)؛ فيكون التقدير بمعنى التسوية.

وهذا المعنى أقرب من الأول؛ لأنه يطابق تماماً لقوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى)؛ فلا إشكال. [1]

3/ أهمية الإيمان بالقدر :

الإيمان بالقدر واجب، ومرتبته في الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة؛ كما قال النبي عليه الصلاة والسلام لجبريل حين قال: ما الإيمان؟ قال:" أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره" [274] [2]

4/ مراتب القدر :

الإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور :

الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلاً أزلاً وأبداً سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ ، وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى : ألم تعلم أن الله يعلم ملا في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير {سورة الحج، الآية: 170}. وفي صحيح مسلم- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/187

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/189

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ".

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين ، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله : وربك يخلق ما يشاء ويختار { القصص، الآية: 86}، ..وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ... ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون { الأنعام، الآية: 112}.

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها ، وصفاتها ، وحركاتها ، قال الله تعالى: الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل {سورة الزمر ، الآية: 12} [1]

5/ أنواع الكتابة القدرية :

الله – عز وجل – جعل كتابته للأشياء لها خمس أحوال:

1– الكتابة الأولى: وهي أوَّلُهَا وأقدمها وأعظمها كِتَابَةُ الله – عز وجل – مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة في اللوح المحفوظ، وهذه هي الكتابة التي كانت قبل الخلق، وهذه الكتابة لا تتبدل ولا تتغير، رُفعت الأقلام وجفَّتْ الصحف.

فيجد العبد ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ من خير أو شر.

وهذه مر معنا جُمَلْ الأدلة عليها وبعض التفصيل لها.

2– الكتابة الثانية: كِتَابَةٌ لمقادير الخلق من حيث الشّقاوة والسعادة، ونعني بالخلق خاصةَ المكلفين.

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 111

وهذه التي تأتي فيها أحاديث الميثاق وأنَّ الله - عز وجل - استخرج ذرية آدم من صلبه فنثرهم أمامه كهيئة الذَّر وأخذ عليه أن لا يشركوا به شيئاً سبحانه وتعالى، وقَبَضَ قبضة إلى الجنة وقبضة إلى النار وكتب أهل الجنة وكتب أهل النار، ونحو ذلك مما جاء في السّنة من بيان ذلك.

هذا تقديرٌ بَعْدَ الأول، وهو قبل أن يُخْلَقَ جِنْسُ المكلفين أي من الإنسان.

لَمَّا خلق الله - عز وجل - آدم حصل ذلك، حصل هذا التقدير العام لهم.

3- الكتابة الثالثة: وهي التقدير العمري، والعُمري هو الذي يكون والإنسان في بطن أمه فإنَّ النطفة إذا صارت في الرحم وبلغت ثنتين وأربعين ليلة أتاها ملك، فأمره الله - عز وجل - بكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد.

وهذه أيضا جاءت في حديث ابن مسعود المشهور الذي فيه (أنَّ الملك يأتي بعد أربعين وأربعين وأربعين؛ يعني بعد عشرين ومائة، فيأتي فيكتب رزق الإنسان وأجله وعمله وشقي أو سعيد، يؤمر بِكَتْبِ هذه الكلمات الأربع) . (2)

هذه الكتابة العُمرية هي تفصيلٌ لما في اللوح المحفوظ، لأنَّ الذي في اللوح المحفوظ شامل لكل المخلوقات، وهذا مُتعلِقٌ بهذا المخلوق المعين وحده.

لهذا قال العلماء: إنَّ هذه تفصيل، فذاكَ فيه الجميع، وهذا للإنسان المعين بخصوصه، قالوا تفصيل ولك أن تقول تخصيص.

4- الكتابة الرابعة: الكتابة السنوية، والكتابة السنوية هي التي تكون في ليلة القدر قال - عز وجل - {حم (1) وَالكِتَابِ المُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان:1-4] .

وهذه تُكْتَبْ فيها المقادير في تلك السَّنَةْ.

من السَّنَةْ إلى السَّنَةْ.

إيش معنى ذلك؟

معناها أنَّ الله – عز وجل – يوحي إلى ملائكته بأن يكتبوا أشياء مما في اللوح المحفوظ فتكون بأيديهم مما سيحصل للناس.

5- الكتابة الخامسة: هي التقدير الأخير وهي التقدير اليومي.

واستدل له أهل العلم بقوله سبحانه {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن:29] .

إذا تَبَيَّنَتْ هذه المراتب فإنه قد ثبت في السنة أنَّ الله – عز وجل – يزيد في العُمُر، ينْسَأُ في الأثَرْ، يبسط في الرزق، فقال صلى الله عليه وسلم ﴿من سرّه أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه﴾ (3) يعني الرزق صار يتغير والأثر العمر صار يتغير، وقال أيضاً في الحديث الآخر ﴿إنّ العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه﴾ (4) فمعناه فيه حرمان لبعض الرزق.

وهذا معنى قول الله – عز وجل – في آية سورة الرعد {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد:39] .

فنظر أهل العلم في ذلك فقالوا: إنَّ المراتب الثلاث الأُوَلْ هذه لا تتغير ولا تتبدل؛ يعني:

- الأول السابق القديم الذي في اللوح المحفوظ.
- وهؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار.
- وكذلك كتب الملك الكلمات الأربع.

لهذا جاء في آخر الحديث مُؤَكِّدَاً صلى الله عليه وسلم على أنها لا تتغير ﴿وإنّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها﴾ (5) ، الثلاث الأُوَلْ هذه ما تتغير.

إيش الذي يَتَغَيَّرْ ويتبدل ويحدث فيه المَحْوُ والإثبات والزيادة إلى آخِرِهْ ويؤثر فيه الدعاء وتؤثر فيه الأعمال الصالحة؟

هذا التقدير السنوي.

والتقدير السنوي في الحقيقة هو من التقدير الأوّل.

هو مِنَ اللوح المحفوظ؛ لكنه في اللوح المحفوظ وُجِدَ مُعَلَّقَاً فصار بأيدي الملائكة مُعَلَّقَاً.

وأما التقدير العمري فهو ما فيه النهاية؛ يعني ما كَتَبَهُ الله – عز وجل – بما فيه نهاية العبد وما فيه نتيجة أثر الدعاء وأثر الأعمال إلى آخره مما قد يكون مُتَغَيِّراً.

إذاً فقوله – عز وجل – {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ} يعني مما في أيدي الملائكة من الصحف {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ} وكذلك من التقدير اليومي.

إذا كان كذلك فهذا به تَفْهَمُ الأحاديث التي فيها تغيير الرزق وتغيير العمر والنَّسْءْ في الأثر أو حرمان الرزق بالذنب ونحو ذلك، ومنه أيضا تفهم قول عمر رضي الله عنه فيما جاء عنه (اللهم إن كنت كتبتني شقيا فاكتبني سعيدا؛ يعني بما يتعلق بتلك السنة من الإضلال والهداية؛

[1]

6/ فوائد اللإيمان بالقدر :

أولاً: أنه من تمام الإيمان ، ولا يتم الإيمان إلا بذلك .

ثانياً: أنه من تمام الإيمان بالربوبية؛ لأن قدر الله من أفعاله.

ثالثاً: رد الإنسان أموره إلى ربه ...

رابعاً: أن الإنسان يعرف قدر نفسه ، ولا يفخر إذا فعل الخير.

خامساً: هون المصائب على العبد؛ لأن الإنسان إذا علم أنها من عند الله؛ هانت عليه المصيبة؛ كما قال تعالى: (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) (التغابن: من الآية11)؛ قال علقمة رحمه الله: " هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلم".

سادساً: إضافة النعم إلى مُسديها ...

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 253

صحيح أنه يجب على الإنسان أن يشكر الناس؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: " من صنع إليكم معروفاً؛ فكافئوه " [275]، ولكن يعلم أن الأصل كل الأصل هو فضل الله عز وجل جعله على يد هذا الرجل.

سابعاً: أن الإنسان يعرف به حكمة الله عز وجل [1]

ثامنا : الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

تاسعا: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى ، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح ، وأعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

العاشرة: الطمأنينة ، والراحة النفسية بما يجرى عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السماوات والأرض، وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى: ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تاسوا على ما فتكم ولا تفرحوا بما ءاتاكم والله لا يحب كل مختال فخور { الحديد: 22-23} و يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن اصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له" رواه مسلم. [2]

7/ اللوح المحفوظ :

لا نعرف ماهيته؛ من أي شيء؛ أمن خشب ، أم من حديد، أم من ذهب، أم من فضة، أم من زمرد؟ فالله أعلم بذلك؛ إنما نؤمن بأن هناك لوحاً كتب الله فيه مقادير كل شيء، وليس لنا

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/189

[2] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثييمن 115

الحق في أن نبحث وراء ذلك، لكن لو جاء في الكتاب والسنة ما يدلنا على شيء؛ فالواجب أن نعتقده.

• ووصف بكونه محفوظاً؛ لأنه محفوظ من أيدي الخلق؛ فلا يمكن أن يلحق أحد به شيئاً أبداً ثانياً: محفوظ من التغيير؛ فالله عز وجل لا يغير فيه شيئاً ... وإنما يحصل التغيير في الكتب التي بأيدي الملائكة

ولكن؛ هل هذه الكتابة إجمالية أو تفصيلية؟ قد نقول: إننا لا نجزم بأنها تفصيلية أو إجمالية.

فمثلاً: القرآن الكريم: هل هو مكتوب في اللوح المحفوظ بهذه الآيات والحروف أو أن المكتوب في اللوح ذكره وأنه سينزل على محمد صلى الله عليه وسلم وأنه سيكون نوراً وهدىً للناس وما اشبه ذلك؟

ففيه احتمال: إن نظرنا على ظاهر النصوص؛ قلنا: إن ظاهرها أن القرآن كله مكتوب جملة وتفصيلاً ، وإن نظرنا إلى أن الله سبحانه وتعالى يتكلم بالقرآن حين نزوله؛ قلنا: إن الذي كتب في اللوح المحفوظ ذكر القرآن ، ولا يلزم من كون ذكره في اللوح المحفوظ أن يكون قد كتب فيه[1]

8/ هل للعبد قدرة ومشيئة في أفعاله الإختيارية :

الإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الإختيارية وقدرة عليها ، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

أما الشرع : فقد قال الله تعالى في المشيئة: فمن شاء اتخذ إلى ربه مئاباً {سورة النبأ، الآية: 39}

...

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/197

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع: بإرادته كالمشيء وما يقع بغير إرادته كالإرتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى ، وقدرته لقول الله تعالى: لمن شاء منكم أن يستقيم ❁ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين {سورة التكوير، الآيتين: 28-29} ولأن الكون كله ملك لله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته. [1]

9/ الرد على من احتج بالقدر في ترك الواجب أو فعل المعصية :

الإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل من المعاصي ، وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه :

الأول: قوله تعالى: سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا ءاباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون{سورة الأنعام ، الآية: 148} ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً { النساء: 165}ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل ، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو الجنة. فقال رجل من القوم : ألا نتكل يارسول الله ؟ قال لا أعملوا فكل ميسر ، ثم قرأ فأما من أعطى وأتقى) الآية. وفي لفظ لمسلم : "فكل ميسر لما خلق له" فأرم النبي صلى الله عليه وسلم

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 112

بالعمل ونهى عن الإتكال على القدر.

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه ، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى: فاتقوا الله ما أستطعتم { التغابن: 16} وقال: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها { البقرة: 286} ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان ، أو إكراه فلا إثم أو إكراه ، فلا إثم عليه لأنه معذور.

الخامس: ان قدر الله تعالى سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله ، وحينئذ تنفى حجته إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر ، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحداً؟

وإليك مثالاً يوضح ذلك: لو كان بين يدي الإنسان طريقان أحدهما ينتهى به إلى بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض والأموال، فأي الطريقين يسلك؟ إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام والأمن، ولا يمكن لأي عاقل أبداً أن يسلك طريق بلد الفوضى، والخوف، ويحتج بالقدر ، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتج بالقدر؟ ...

السابع : أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي ، لو أعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو أنتهك حرمته ثم أحتج بالقدر، وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الإحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في إعتدائه على حق الله تعالى؟ ويذكر أن– أمير المؤمنين – عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع

إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين ، فإنما سرقت بقدر الله.

فقال: ونحن إنما نقطع بقدر الله. [1]

10/ التوفيق بين كون فعل العبد مخلوقاً لله وكونه كسبًا للفاعل :

عرفت مما سبق أن فعل العبد مخلوق لله وأنه كسب للعبد يجازى عليه: الحسن بأحسن والسيئ بمثله فكيف نوفق بينهما؟

التوفيق بينهما أن وجه كون فعل العبد مخلوقاً لله تعالى أمران:

الأول: أن فعل العبد من صفاته، والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى.

الثاني: أن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية وقدرة بدنية ولولاهما لم يكن فعل، والذي خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعالى وخالق السبب خالق للمسبب، فنسبة فعل العبد إلى خلق الله له نسبة مُسَبَّب إلى سبب لا نسبة مباشرة؛ لأن المباشر حقيقية هو العبد فلذلك نُسِبَ الفعل إليه كسبا وتحصيلا ونُسِبَ إلى الله خلقا وتقديرا فلكل من النسبتين اعتبار والله أعلم. [2]

11/ دفع إيهام تعارض بين الآيتين : قول الله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} (1) [الشورى: 30] وقوله تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} [التوبة: 51] :

الله جل وعلا بين لنا أن ما أصابنا هو بأسباب كسبنا، وبين أن ما يقع فهو بقضائه وقدره {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} فقد سبق علمه وقدره وكتابته لكل شيء، ولكنه سبحانه علق ما أصابنا مما يضرنا بأنه بأسباب معاصينا وإن كانت مكتوبة مقدرة، لكن لنا كسب ولنا عمل ولنا اختيار.

فكل شيء يقع بقدر سواء من الطاعات والمعاصي، فما وقع منا من معاص فهو من كسبنا ومن عملنا ونحن مؤاخذون به إذا فعلناه، ولنا عقول ومشيئة وقدرة وعمل ولهذا قال سبحانه: {وَمَا

---

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 112

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 95

أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: 30] ، والآية الأخرى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} [النساء: 79] .

فلا تنافي بين القدر وبين العمل؛ فالقدر سابق ولله الحجة البالغة سبحانه وتعالى، والأعمال أعمالنا كالزنا وشرب الخمر وترك الصلاة والعقوق وقطيعة الرحم، فهي من أعمالنا ونحن نستحق عليها العقوبة بسبب تفريطنا وتقصيرنا لأن لنا اختيارا ولنا عمل ينسب إلينا، وإن كان سبق في علم الله كتابته وتقديره.

فالقدر ليس حجة على فعل المعايب والمنكرات، فالله سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة فيما مضى به قدره وعلمه وكتابته، ونحن مسئولون عن أعمالنا وعن أخطائنا وعن تقصيرنا، ومؤاخذون بذلك إلا أن يعفو ربنا عنا.

وبهذا تعلم أنه لا منافاة بين الآيتين، فإحداهما تدل على أن أعمالنا من كسبنا، وأننا نستحق عليها العقوبة إذا كانت غير صالحة، وهي أعمال لنا باختيارنا، والآية الأخرى تدل على أنه مضى في علم الله كتابتها وتقديرها، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء﴾ أخرجه مسلم في صحيحه.

فهو سبحانه الحكيم العليم، العالم بكل شيء، الذي سبق علمه بكل شيء سبحانه وتعالى، وكتب كل شيء. وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد: 22] .

فكتاب الله سابق، وعلمه سابق سبحانه وتعالى، وقدره سابق، وأعمالنا محصاة علينا، ومنسوبة إلينا، ومكتوبة علينا، وهي من كسبنا وعملنا واختيارنا، فنجزى على الطيب الجزاء الحسن، من

الطاعات وأنواع الخير والذكر، ونستحق العقاب على سيئها؛ من العقوق، والزنا، والسرقة، وسائر المعاصي والمخالفات .[1]

12/ دفع إيهام تعارض بين قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "﴿إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها﴾ وبين قول الله تعالى -: {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} :

هذا الحديث حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه -يخبر فيه النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع؛ لقرب أجله وموته ثم يسبق عليه الكتاب الأول الذي كتب أنه من أهل النار، فيعمل بعمل أهل النار - والعياذ بالله - فيدخلها، وهذا فيما يبدو للناس ويظهر كما جاء في الحديث الصحيح: ﴿إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار﴾ . - نسأل الله العافية - وكذلك الأمر بالنسبة للثاني يعمل الإنسان بعمل أهل النار، فيمُنُّ الله تعالى عليه بالتوبة والرجوع إلى الله عند قرب أجله، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.

والآية التي ذكرها السائل لا تعارض الحديث لأن الله -تعالى - قال: {أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} ومن أحسن العمل في قلبه وظاهره فإن الله - تعالى -لا يضيع أجره، لكن الأول الذي عمل بعمل أهل الجنة فسبق عليه الكتاب، كان يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس فيسبق عليه الكتاب، وعلى هذا يكون عمله ليس حسنًا وحينئذ لا يعارض الآية الكريمة [2]

---

[1] مجموع فتاوى العلامة ابن باز 128/1

[2] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 100/2

13/ هل الإنسان مخير أو مسير :

الإنسان مخير ومسير، أما كونه مخيرا فلأن الله سبحانه أعطاه عقلا وسمعا وبصرا وإرادة فهو يعرف بذلك الخير من الشر، والنافع من الضار ويختار ما يناسبه، وبذلك تعلقت به التكاليف من الأمر والنهي، واستحق الثواب على طاعة الله ورسوله، والعقاب على معصية الله ورسوله، وأما كونه مسيرا فلأنه لا يخرج بأفعاله وأقواله عن قدر الله ومشيئته، كما قال سبحانه {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (1) وقال سبحانه: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} (2) {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (3) وقال سبحانه: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} (4) الآية وفي الباب آيات كثيرة وأحاديث صحيحة كلها تدل على ما ذكرنا لمن تأمل الكتاب والسنة. [1]

وأما الأمور التي تقع على العبد، أو منه بغير اختياره، كالمرض، والموت، والحوادث فهي بمحض القدر، وليس للعبد اختيار فيها ولا إرادة [2]

وعلى هذا فنقول: إن الإنسان مخير يفعل الشيء باختياره وإرادته، ولكن هذا الاختيار والإرادة كلاهما مخلوقان لله عز وجل. [3]

14/ الشر في القدر ليس باعتبار تقدير الله له، لكنه باعتبار المقدور له :

إن قيل: كيف يقال: إن في قدر الله شَرًّا؛ وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "الشر ليس إليه"؟

فالجواب على ذلك أن يقال: الشر في القدر ليس باعتبار تقدير الله له، لكنه باعتبار المقدور له؛ لأن لدينا قدراً هو التقدير ومقدوراً؛ كما أن هناك خلقاً ومخلوقاً وإرادة ومراداً؛ فباعتبار تقدير

---

[1] فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى 3/517

[2] مجموع فتاوى العلامة ابن عثيمين 2/91

[3] فتاوى نور على الدرب للعلامة ابن عثيمين 4/2

الله له ليس بشر؛ بل هو خير، حتى وإن كان لا يلائم الإنسان ويؤذيه ويضره، لكن باعتبار المقدور؛ فنقول: المقدور إما خير وإما شر؛ فالقدر خير وإما شر؛ فالقدر خيره وشره يراد به المقدور خيره وشره.

ونضرب لهذا مثلاً في قوله تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا) (الروم: من الآية41).

ففي هذه الآية بين الله عز وجل ما حدث من الفساد وسببه والغاية منه؛ فالفساد شر وسببه عمل الإنسان السيئ، والغاية منه) لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الروم: من الآية41).

فكون الفساد يظهر في البر والبحر فيه حكمة؛ فهو نفسه شر، لكن لحكمة عظيمة، بها يكون تقديره خيراً.

كذلك المعاصي والكفر شر، هو من تقدير الله، لكن لحكمة عظيمة، لولا ذلك لبطلت الشرائع، ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثاً. [1]

15/ فائدة :

الطعن في القدر طعن في ربوبية الله عز وجل. [2]

16/ الإيمان بالقدر خيره وشره لا يتضمن الإيمان بكل مقدور، بل المقدور ينقسم إلى كوني وإلى شرعي :

- فالمقدور الكوني: إذا قدر الله عليك مكروهاً؛ فلا بد أن يقع؛ رضيت أم أبيت.
- والمقدور الشرعي قد يفعله الإنسان وقد لا يفعله، ولكن باعتبار المرضى به فيه تفصيل:

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 191

[2] القول المفيد للعلامة ابن عثيمين 2/ 388

إن كان طاعة لله وجب الرضى به، وإن كان معصية؛ وجل سخطه وكراهته والقضاء عليه؛ كما قال الله عز وجل: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران:104) .

وعلى هذا؛ يجب علينا الإيمان بالمقضي كله؛ من حيث كونه قضاء لله عز وجل ، أما من حيث كونه مقضياً؛ فقد نرضى به وقد لا نرضى؛ فلو وقع الكفر من شخص فلا نرضى بالكفر مه، لكن نرضى بكون الله أوقعه. [1]

17/ لا يكون في ملكه ما لا يريد بالإرادة الكونية، أما بالإرادة الشرعية، فيكون في ملكه ما لا يريد :

وحينئذ؛ نحتاج إلى أن نقسم الإرادة إلى قسمين: إرادة كونية، وإرادة شرعية :

- فالإرادة الكونية بمعنى المشيئة، ومثالها قول نوح عليه السلام لقومه: (وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ) (هود: من الآية34).

- والإرادة الشرعية بمعنى المحبة، مثلها قوله تعالى (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) (النساء: من الآية27).

- وتختلف الإرادتان في موجبها وفي متعلقهما :

- ففي المتعلق: الإرادة الكونية تتعلق فيما وقع ، سواء أحبه أم كرهه، والإرادة الشرعية تتعلق فيما أحبه، سواء وقع أم لم يقع.

وفي موجبهما: الإرادة الكونية يتعين فيها وقوع المراد، والإرادة الشرعية لا يتعين فيها وقوع المراد [2]

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/192

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/205

18/ هل المعاصي مرادة لله؟

الجواب: أما بالإرادة الشرعية؛ فليست مرادة له؛ لأنه لا يحبها، وأما بالإرادة الكونية؛ فهي مرادة له سبحانه؛ لأنها واقعة بمشيئته [1]

- كل شيء فالله قادر عليه من الموجودات فيعدمها أو يغيرها ومن المعدومات فيوجدها فالقدرة تتعلق في الموجود بإيجاده أو إعدامه أو تغييره، وفي المعدوم بإعدامه أو إيجاده ...

ذكر بعض العلماء استثناء من ذلك، وقال: إلا ذاته؛ فليس عليها بقادر! وزعم أن العقل يدل على ذلك.

فنقول: ماذا تريد بانه غير قادر على ذاته؟

- إن أردت أنه غير قادر على أن يعدم نفسه أو يلحقها نقصاً؛ فنحن نوافقك على أن الله لا يلحقه النقص أو العدم، لكننا لا نوافقك على أن هذا مما تتعلق به القدرة؛ لأن القدرة إنما تتعلق بالشيء الممكن، أما لاشيء الواجب أو المستحيل؛ فهذا لا تتعلق به القدرة أصلاً؛ لأن الواجب مستحيل العدم، والمستحيل مستحيل الوجود.

- وإن أردت بقولك: إنه غير قادر على ذاته: أنه غير قادر على أنه يفعل ما يشاء؛ فلا يقدر أن يجيء أو نحوه! فهذا خطأ ، بل هو قادر على ذلك، وفاعل له، ولو قلنا: إنه ليس بقادر على مثل هذه الأفعال؛ لكان ذلك من أكبر النقص الممتنع على الله سبحانه.

- وبهذا علم أن هذا الاستدراك من عموم القدرة في غير محله على كل تقدير.

- ✻ وإنما نص المؤلف على هذا رداً على القدرية الذين قالوا: إن الله ليس بقادر على فعل العبد!! وإن العبد مستقل بعمله! ولكن ما في الكتاب والسنة من شمول قدرة الله يرد عليهم. [2]

و العباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم :

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/206

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/207

19/ العبد هو المباشر لفعله حقيقة والله خالق فعله حقيقة :

العبد هو المباشر لفعله حقيقة، والله خالق فعله حقيقة ، وهذه عقيدة أهل السنة [1]

وخالفهم في هذا الأصل طائفتان :

الطائفة الأولى: القدرية من المعتزلة وغيرهم؛ قالوا إن العباد فاعلون حقيقة ، والله لم يخلق أفعالهم .

الطائفة الثانية: الجبرية من الجهمية وغيرهم؛ قالوا: إن الله خالق أفعالهم ، وليسوا فاعلين حقيقة، لكن أضيف الفعل إليهم من باب التجوز ، وإلا فالفاعل حقيقة هو الله.

وهذا القول يؤدي إلى القول بوحدة الوجود، وأن الخالق هو الله ، ثم يؤدي إلي قول من أبطل الباطل، لأن العباد منهم الزاني ومنهم السارق ومنهم شار بالخمر ومنهم المعتدي بالظلم؛ فحاشا أن تكون هذه الأفعال منسوبة إلى الله !! وله لوازم باطلة أخرى [2]

20/ من الجهل أن يقول بعض الناس في دعائه ((اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه)) :

وكأنه يقول: ابتلني بما شئت فإنه لا يهم، بل المهم اللطف بي - فسبحان الله - إن هذا الدعاء لا يصح نقلاً عن السلف، وإن صح عن بعضهم فلا يمكن أن يصح عن الصحابة رضي الله عنهم، الذين أقوالهم مأثورة ومشهورة.

ولكن قل: (اللهم إني أسألك اللطف في قضائك) . وهذا صحيح، أما قول: ((لا أسألك رد القضاء)) ، فإن الله عز وجل لا يقضي شيئاً - سواء لطف بك أو شدد عليك - إلا وقد قضاه، لذلك ينبغي أن ننبه من يقول هذا الدعاء، إلى أنه لا فائدة منه. [3]

---

[1] الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/218

[3] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 366

21/ الاحتجاج بالمعاصي :

وهنا مسألة يحتج بها كثير من العصاة: إذا أنكرت علي المنكر؛ قال: هذا هو ما قدره الله علي؛ أتعترض على الله؟! فيحتج بالقدر على معاصي الله ، ويقول: أنا عبد مسير! ثم يحتج أيضاً بحديث ... آدم لما اعترض عليه موسى؛ احتج عليه بالقدر ، وآدم نبي، وموسى رسول، فسكت موسى؛ فلماذا تحتج عليَّ؟

والجواب على حديث آدم :

- أما على رأي القدرية؛ فإن طريقتهم أن أخبار الآحاد لا توجب اليقين؛ قالوا: وإذا عرضت العقل؛ وجب أن ترد وبناء على ذلك قالوا: هذا لا يصح ولا نقبله ولا نسلم به.

- وأما الجبرية؛ فقالوا: إن هذا هو الدليل ، ودلالته حق، ولا يلام العبد على ما قدر عليه.

- أما أهل السنة والجماعة؛ فقالوا: إن آدم عليه الصلاة والسلام فعل الذنب وصار ذنبه سبباً لخروجه من الجنة ، لكنه تاب من الذنب، وبعد توبته اجتباه اله وتاب عليه وهداه، التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن المحال أن موسى علي الصلاة والسلام- وهو أحد أولي العزم من الرسل- يلوم أباه على شيء تاب منه ثم اجتباه الله بعده وتاب عليه وهداه، ونما اللوم على المصيبة التي حصلت بفعله، هي إخراج الناس ونفسه من الجنة؛ فإن سبب هذا الإخراج هو معصية آدم؛ على أن آدم عليه الصلاة والسلام لا شك أنه لم يفعل هذا ليخرج من الجنة حتى يلام؛ فكيف يلومه موسى؟!

وهذا وجه ظاهر في أن موسى علي السلام لم يرد لوم آدم على فعل المعصية، إنما على المصيبة التي هي من قدر الله ، وحينئذ يتبين أنه لا حجة بهذا الحديث للجبرية.

فنحن نقبله ولا ننكره كما فعل القدري، ولكننا لا نحتج به على المعصية؛ كما فعل الجبري.

وهناك جواب آخر أشار إليه ابن القيم رحمه الله ، وقال: الإنسان إذا فعل المعصية واحتج بالقدر عليها بعد التوبة منها؛ فلا بأس به... لكن يبعده أن موسى لا يمكن أن يلوم آدم على معصية تاب منها. [1]

ورجح ابن القيم قوله هذا بما جرى للنبي عليه الصلاة والسلام حين طرق علياً وفاطمة رضي الله عنهما ليلة، فقال: " ألا تصليان؟ " فقال على رضي الله عنه: يا رسول الله! أنفسنا بيد الله؛ فإن شاء أن يبعثنا؛ بعثنا . فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم يضرب فخذه وهو يقول: (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً) (الكهف: من الآية54).

وعندي إن في الاستدلال بهذا الحديث نظراً؛ لأن علياً رضي الله عنه احتج بالقدر على نومه، والإنسان النائم له أن يحتج بالقدر؛ لأن فعله لا ينسب إليه، ولهذا قال الله تعالى في أصحاب الكهف (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) (الكهف: من الآية18)؛ فنسب التقليب إليه ، مع أهم هم الذين يتقلبون ، لكن لما كان بغير إرادة منهم؛ لم يضفه إليهم.

والوجه الأول في الجواب عن حديث آدم وموسى وهو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيميةهو الصواب....

فنقول له: إن احتجاجك بالقدر على المعاصي يبطله السمع والعقل والواقع.

---

[1] العلماء رحمهم الله يقولون يحتج بالقدر على المصائب لا المعائب واحتجاج ادم بالقدر على المصيبة ليس على الذنب لان الذنب تاب منه وتاب الله عليه فهو يحتج على المصيبة التي سأله عنها موسى قال اخرجتنا وذريتك من الجنة ...

فقال اتلومني على شيء قدره الله علي؟ فهذا احتجاج بالقدر على المصيبة لا على الذنب لان الذنب تاب منه ومن تاب تاب الله عليه فادم لم يحتج بالقدر على الذنب كما فهمه هؤلاء وانما احتج بالقدر على المصيبة. ولهذا قال العلماء يحتج بالقدر على المصائب دون المعائب يعني المعايب الاثام والذنوب / شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني الشيخ عبد الرزاق البدر الدرس 3

– فأما السمع؛ فقد قال الله تعالى (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا) (الأنعام: من الآية148)؛ وقالوا ذلك احتجاجاً بالقدر على المعصية فقال الله تعالى: (كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)؛ يعني: كذبوا الرسل واحتجوا بالقدر (حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا) ، وهذا يدل على أن حجتهم باطلة؛ إذ لو كانت حجة مقبولة؛ ما ذاقوا بأس الله...

أما الدليل العقلي على بطلان احتجاج العاصي بالقدر على معصية الله أن نقول له: ما الذي أعلمك بأن الله قدر لك أن تعصيه قبل أن تعصيه؟ فنحن جميعاً لا نعلم ما قدر الله إلا بعد أن يقع ... إذاً لماذا لم تقدر أن الله قدر لك الطاعة وتطع الله ...

ونقول له أيضا: الست لو ذكر لك أن لمكة طريقين أحدهما طريق معبد آمن، والثاني طريق صعب مخوف؛ ألست تسلك الآمن؟ سيقول: بلى. فنقول: إذا ؛ لماذا تسلك في عبادتك الطريق المخوف المحفوف بالأخطار ، وتدع الطريق الآمن الذي تكفل الله تعالى بالأمن لمن سلكه ... وهل هذا إلا تناقض منك؟!

وبهذا يتبين انه لا وجه أبداً لاحتجاج العاصي بالقدر على معصية الله عز وجل [1]

22/ لا يجب على الإنسان أن يرضى بكل مقضي :

لا يجب على الإنسان أن يرضى بكل مقضي وإنما يجب أن يرضى بالقضاء الذي هو فعل الله عز وجل، وعلى ذلك فالمقضي يحتاج إلى تفصيل:

أولاً: أن يكون المقضي حكماً شرعياً، فهذا يجب الرضا به، من حيث كونه فعل الله، والسخط منه مناف للإسلام، فيجب علينا مثلاً أن نرضى بفرض الله للصلاة والزكاة ... أما باعتبار فعل

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 223

العبد فيجب الرضى به إن كان طاعة، ويجب سخطه إن كان معصية، ولهذا وجب علينا أن ننكر على العاصي.

ثانياً: إذا كان المقضي أمراً كونياً، فإن الأمر الكوني منه ملائم يلائم النفوس، وهذا الرضا به أمر فطري.

مثال ذلك: إذا قضى الله للإنسان بولد، ورزق واسع، ودار مهيأة، ومركوب فخم، وعلم، وإيمان، فإنه يرضى به لأن ذلك يلائم نفسه ... أما إذا كان المقضي لا يلائم النفوس بل يؤلمها كالأمراض فالإنسان إذا قضى الله عليه بمرض، فإن المرض غير ملائم للنفوس، فإن الناس فيه على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة السخط: بأن يسخط هذا الذي قضاه الله وعلامة السخط أن يقول قولاً منكراً، أو يفعل فعلاً منكراً.

مثال القول: أن يقول: يا ويلاه، وا ثبوراه، وما أشبه ذلك من الكلمات التي تنبئ عن التسخط. وأما الفعل المنكر فمثل لطم الخدود، وشق الجيوب، ونتف الشعور ... ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية))[1] ، فالأولان فعلان والثالث قول.

المرتبة الثانية: مرتبة الصبر: بأن يتألم الإنسان نفسياً ولكنه يصبر، فلا يشق ثوباً، ولا يلطم خداً، ولا يقول منكراً، وهذه المرتبة واجبة، أي أنه يجب على الإنسان أن يصبر إذا أصيب بالمصائب.

المرتبة الثالثة: الرضا: أي يرضى بقضاء الله عز وجل، والرضا معناه أن يكون مطمئناً منشرح الصدر بما قضى الله عز وجل، لا يتألم نفسياً، رغم أنه يكره هذا الشيء الذي أصابه ولا شك؛ لأنه لا يلائم النفوس ...

[1] صحيح البخاري (1294)

وهذه المرتبة اختلف فيها العلماء رحمهم الله على قولين: منهم من قال: إنها واجبة، ومنهم من قال: إنها مستحبة، والصحيح أنها مستحبة وليست بواجبة؛ لأنها صعبة على كثير من النفوس.

وعلامة الرضا أنك لو سألته: هل تأثرت بما قضى الله عليك؟ لقال: لا ؛ لأني أعلم أن الله لا يقدر لي شيئاً إلا كان خيراً لي، فأنا مؤمن والله لا يقضي لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيراً له.

المرتبة الرابعة: مرتبة الشكر: وهذه المرتبة أعلى من التي قبله؛ لأنها رضا وزيادة.

فإذا قال قائل: كيف يشكر الله على المصيبة؟ قلنا: يشكر الله على المصيبة لأنه يعلم أن ثوابها وأجرها - إذا صبر واحتسب الأجر - أكثر من مصيبتها ... وقد قال بعض أهل العلم رحمهم الله: إن هذه المرتبة أعلى من التي قبلها، أي من الرضا.

فهذا حكم الرضا بالمقضي. [1]

23/ هل المعاصي واقعة بقضاء الله عز وجل أو لا ؟ وكيف ترضون بقضاء الله لها ؟

فالجواب: بلى، هي واقعة بقضاء الله، ونحن نرضى بقضاء الله وإن كرهنا المقضي، وهذه المعصية لا نرضاها ونكرهها ونؤدب عليها، ولكن نرضى بكون الله قضاها، ولا نعترض على الله عز وجل في قضائها ... وبهذا التفصيل يزول عنا إشكالات كثيرة.

فإذا قال قائل: يوجد في الخلق شر مثل إبليس، فهو أصل الشر. فهل يجب علينا أن نرضى بإيجاد إبليس؟

فالجواب: نعم يجب أن نرضى بدون تفصيل، لكننا لا نرضى بما يأمر به إبليس ...

فإن قال قائل: ما الجمع بين قوله تعالى: (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) (الفلق: 2) وبين قوله صلى الله عليه وسلم: (والشر ليس إليك) .

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 369

فالجواب: أن الفرق بينهما ظاهر؛ لأن قوله تعالى: (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) أضاف الشر إلى المخلوق، أما إلى الله فلا يضاف الشر، فلا شك أن الله هو الذي قدر الشر، لكن قدر الشر في مفعولاته،، أما تقديره لهذا الشر فهو لحكمة عظيمة يترتب عليها من المصالح ما يجعلها غير مكروهة، لكن فرق بين المفعول وبين الفعل والفاعل، فالفاعل هو الله عز وجل وهو المقدر، وهذا لا شك نحبه على كل حال، وفعله أيضاً خير على كل حال، أما مفعوله ففيه خير وفيه شر [1]

24/ الناس في القدر مع الشرع، انقسموا إلى أربعة أقسام :

القسم الأول: من يثبت القدر، وينفي الشرع. وهم الجبرية.

القسم الثاني: من يثبت الشرع، وينفي القدر. وهم القدرية.

القسم الثالث: من يثبت الشرع والقدر، ويزعم أن بينهما تناقضاً، وهم المشركون.

القسم الرابع: من يثبت الشرع والقدر، وينفي عنهما التناقض، وهم أهل السنة والجماعة. [2]

25/ الرد على الجبرية والقدرية :

قد ضل في القدر طائفتان :

إحداهما : الجبرية الذين قالوا إن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: القدرية الذين قالوا إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه آثر.

والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع :

أما الشرع: فإن الله تعال أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه قال الله تعالى: منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة {سورة آل عمران، الآية: 152} وقال: وقل الحق من

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 372

[2] شرح مسائل الجاهلية للعلامة صالح الفوزان 161

ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها {سورة الكهف، الآية: 29} الآية...

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الإختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل ، والشرب، والبيع والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالإرتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه

والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل :

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء ، وكل شيء كائن بمشيئة ، وقد بين الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى : ولو شاء الله ما أقتتل الذين من بعد ما جاءتهم البينات ولكن أختلفوا فمنهم من ءامن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما أقتلتوا ولكن الله يفعل ما يريد {سورة البقرة، الآية: 253} وقال تعالى : ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين {سورة السجدة ، الآية: 13}.

وأما العقل : فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته. [1]

26/ قصة وعبرة :

– قال معتزلي ذات يوم عند رجل من أهل السنة: (سبحان من تنزه عن الفحشاء) وهذا الكلام طيب لأن الله لا يفعل الفحشاء، وحاشاه، ولكن هذه الكلمة إذا سمعها العامي فإنه يظن أن قائلها قد قدس ربه ونزهه عما لا يليق، ولكن هذه الكلمة ظاهرها رحمة وباطنها عذاب ...

[1] شرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن عثيمين 116

قال له السني: ((سبحان من لا يكون في ملكه إلا ما يشاء)) ولا يخفى أن الكلمة الثانية هي الأصح؛ لأن العاصي مملوك لله، ومعصيته داخلة في ملك الله، فلا يمكن أن تكون معصية في ملكه ولم يشأها الله ...

فقال له المعتزلي: ((أرأيت إن منعني الهدى، وقضى علي بالردى، أحسن إلى أم أساء؟)) ...

فقال له السني: ((إن منعك ما أنت عليه فقد أساء، وإن منعك فضله فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)) . وهذا جواب سديد، فالهداية فضل من الله ؛ وإن منعك فإنه لم يمنع حقاً واجباً عليه لك ، فقطع المعتزلي وبهت وعجز عن الجواب، وهذا هو الحق، فكل ما في الكون من طاعة أو ضدها فهو مراد لله. [1]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 331

الفصل الثامن :

عقيدتنا في الصحابة

1/ تعريف الصحابي :

الصاحب في غير صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم هو من كثرت ملازمته لصاحبه، أما الصحابي للرسول عليه الصلاة والسلام فهو: (من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مؤمناً به ولو حكماً ومات على ذلك) .

فخرج بقولنا: (من اجتمع) من أسلم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وآمن به لكن لم يجتمع به، مثل أن يكون اقبل على المدينة ليبايع النبي صلى الله عليه وسلم فمات الرسول عليه الصلاة والسلام قبل أن يصل، فهذا ليس بصحابي، وإن كان قد اسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ لكنه اصطلحوا على أن يسموه مخضرماً، ومرتبته بين الصحابة الخلص وبين التابعين الخلص، لأنك إن نظرت إلى كونه اسلم في عهد الرسول ألحقته بالصحابة، وإن نظرت إلى أنه لم يجتمع به ألحقته بالتابعين، ولهذا كان في منزلة بين منزلة الصحابة والتابعين ويسمى مخضرماً.

وما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يعتبر منقطعاً، لأنه لم يجتمع بالرسول صلى الله عليه وسلم.

وقولنا: (مؤمنا به) خرج بذلك من اجتمع بالرسول صلى الله عليه وسلم مؤمناً بغيره، ولما مات الرسول صلى الله عليه وسلم آمن به، فهذا ليس بصحابي لأنه حين اجتماعه به لم يكن مؤمناً به.

ودخل في قولنا (من اجتمع بالنبي) من كان أعمى واجتمع بالرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه يكون صحابيا، وبهذا يكون قولنا: (من اجتمع به) أحسن من قول بعض العلماء: (من رآه مؤمناً به، لأننا لو قلنا: (من رآه) خرج بذلك الأعمى.

وقولنا: (ولو حكما) دخل فيه الصبي الذي في المهد إذا اجتمع بالرسول عليه الصلاة والسلام، كما لو جيء بصبي من أبناء المسلمين إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ثم مات النبي قبل أن

يميز هذا الصبي، فإن هذا مؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم حكماً؛ وقلباً لأنه صبي لا عقل له، لكنه مؤمن بإيمان أبويه وعلى هذا فمحمد ابن أبي بكر الذي ولد في حجة الوداع يعتبر صحابياً.

وقولنا: (ومات على ذلك) دخل فيه من ارتد ثم رجع إلى الإسلام ومات على الإسلام، فإنه يكون صحابياً، فالردة لا تبطل الصحبة إلا أن يموت على الردة، كما أنها لا تبطل الأعمال الصالحة إلا أن يموت عليها، لقوله تعالى: (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (البقرة: الآية217) ...

أما من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ثم لم يره بعد وآمن لا يكون صحابيا ...

أما الصحبة في حق غير الرسول صلى الله عليه وسلم فإنها لا تكون إلا بملازمة طويلة يستحق أن يسمى الإنسان بها صاحباً [1]

2/ اعتقادنا في الصحابة :

الذي يجب اعتقاده فيهم أنهم أفضل الأمة، وخير القرون؛ لسبقهم واختصاصهم بصحبة النبي - صلى الله عليه وسلم - والجهاد معه، وتحمل الشريعة عنه، وتبليغها لمن بعدهم، وقد أثنى الله عليهم في محكم كتابه، قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: 100] .

... الله سبحانه أثنى على المهاجرين والأنصار، ووصفهم بالسبق إلى الخيرات، وأخبر أنه قد رضي الله عنهم، وأعدّ لهم الجنات، ووصفهم بالتراحم فيما بينهم، والشّدّة على الكُفَّارِ، ووصفهم بكثرة الركوع والسجود، وصلاح القلوب، وأنهم يعرفون بسيما الطاعة والإيمان،

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 579

وأن الله اختارهم لصحبة نبيه ليغيظ بهم أعداءه الكفار، كما وصف المهاجرين بترك أوطانهم وأموالهم من أجل الله ونصرة دينه، وابتغاء فضله ورضوانه، وأنهم صادقون في ذلك، ووصف الأنصار بأنهم أهل دار الهجرة والنُّصرة، والإيمان الصادق، ووصفهم بمحبة إخوانهم المهاجرين، وإيثارهم على أنفسهم، ومُواساتهم لهم، وسلامتهم من الشح، وبذلك حازوا على الفلاح. هذه بعض فضائلهم العامة، وهناك فضائل خاصة ومراتب يفضل بها بعضهم بعضًا - رضي الله عنهم - وذلك بحسب سبقهم إلى الإسلام والجهاد والهجرة.

فأفضل الصحابة الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي [1]، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم هؤلاء الأربعة، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، ويَفْضُلُ المهاجرون على الأنصار، وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان، ويَفْضُل من أسلم قبل الفتح وقاتل؛ على من أسلم بعد الفتح.[2]

3/ فوائد :

المهاجرون: هم الذين هاجروا إلى المدينة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة.

الأنصار: هم الذين هاجر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة.

وأهل السنة يقدمون المهاجرين على الأنصار لأن المهاجرين جمعوا بين الهجرة والنصرة، والأنصار أتوا بالنصرة فقط ... ودليل تقديم المهاجرين: قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ

---

[1] في صحيح البخاري وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ...

وقال الشافعي: لم يختلف الصحابة والتابعون في تقديم أبي بكر وعمر.

ومن خرج عن هذا الإجماع، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/268

[2] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 163

الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) (التوبة:100) ، فقدم المهاجرين على الأنصار[1]

4/ منزلة الصحابة :

أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– أفضل أصحاب الأنبياء؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني" الحديث رواه البخاري وغيره.

وأفضل الصحابة المهاجرون لجمعهم بين الهجرة والنصرة ثم الأنصار.

وأفضل المهاجرين الخلفاء الأربعة الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. [2]

– لا أحد يساوي الصحابة رضي الله عنهم في فضل الصحبة أبداً أما في العلم فربما يوجد من التابعين من هو اعلم من بعض الصحابة رضي الله عنهم، فإن الرجل الأعرابي لو جاء للرسول صلى الله عليه وسلم، وآمن به وأخذ منه ما أخذ من الشريعة وانصرف إلى قومه ولم يأت إلى المدينة للتعلم لا شك أن من التابعين من هو اعلم منه [3]

5/ الصحابة كلهم عدول :

صحابةُ الرسول صلى الله عليه وسلم عدولٌ؛ لثناء الله عزَّ وجلَّ عليهم، وثناء الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا يحتاجون مع ذلك لتعديل المعدِّلين وتوثيق الموثِّقين، ولهذا دَرَجَ السَّلفُ في التراجم إذا كان المترجَمُ صحابيًّا أن يقولوا عنه: صحابي، لا يذكرون توثيقاً ولا غيرَه مِمَّا كانوا يذكرون في غير الصحابة ... وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (17/1) : "واتَّفق أهلُ السنَّة على أنَّ الجميعَ عدولٌ، ولَم يخالف في ذلك إلاَّ شذوذ من المبتدعة" ...

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 256/2

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 140

[3] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 145

ثمَّ إنَّ قولَ أهل السُّنَّة والجماعة بعدالة الصحابة لا يعنِي عصمتهم؛ لأنَّ العصمةَ عندهم لا تكون إلاَّ للرُّسُل والأنبياء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية (ص: 28) :

"وهم مع ذلك (يعنِي أهل السنة والجماعة) لا يعتقدون أنَّ كلَّ واحدٍ من الصحابة معصومٌ عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السَّوابِق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنَّهم يُغفر لهم من السيِّئات ما لا يُغفر لِمَن بعدهم ... ثمَّ القدر الذي يُنكَر من فِعل بعضِهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنِهم [1]

6/ حقوق الصحابة رضي الله عنهم :

للصحابة -رضي الله عنهم- فضل عظيم على هذه الأمة حيث قاموا بنصرة الله ورسوله والجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وحفظ دين الله بحفظ كتابه وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- علما وعملا وتعليما حتى بَلَّغُوه الأمة نقيا طريا.

وقد أثنى الله عليهم في كتابه أعظم ثناء حيث يقول في سورة الفتح:{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً} [الفتح: 29] إلى آخر السورة.

وحمى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حمى كرامتهم حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" متفق عليه142. فحقوقهم على الأمة من أعظم الحُقُوق فلهم على الأمة:

1- محبتهم بالقلب والثناء عليهم باللسان بما أسدوه من المعروف والإحسان.

2- الترحم عليهم والاستغفار لهم تحقيقًا لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ

[1] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 158

رَحِيمٌ}[الحشر: 10] .

3- الكف عن مساوئهم التي إن صدرت عن أحد منهم فهي قليلة بالنسبة لما لهم من المحاسن والفضائل وربما تكون صادرة عن اجتهاد مغفور وعمل معذور لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي" الحديث. [1]

7/ آل البيت إذا كانوا صحابة ثلاثة حقوق :

حق الصحبة، وحق الإيمان، وحق القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم [2]

8/ النهي عن سب الصحابة وأئمة الهدى :

مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلاَمَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [3] كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر: 10] وَطَاعَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ﴾ . [4]

- سلامة القلب من البغض والغل والحقد والكراهة، وسلامة ألسنتهم من كل قول لا يليق بهم.

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 150

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 249

[3] العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية 115

[4] ولم يقل: وأفعالهم، لأن الأفعال متعذرة بعد موت الصحابة، حتي لو فرض أن أحداً نبش قبورهم وأخرج جثثهم، فإن ذلك لا يؤذيهم ولا يضرهم، لكن الذي يمكن أن يكون بعد موت الصحابة نحوهم هو ما يكون في القلب وما ينطق به اللسان. ./ شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 247

فقلوبهم سالمة من ذلك، مملوءة بالحب والتقدير والتعظيم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يليق بهم.

9/ تفضيل الصحابة :

لأن محبتهم من محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من محبة الله ... وذلك للأمور التالية:

أولاً: أنهم خير القرون في جميع الأمم، كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم "

ثانياً: أنهم هو الواسطة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته، فمنهم تلقت الأمة عنه الشريعة.

ثالثاً: ما كان على أيديهم من الفتوحات الواسعة العظيمة.

رابعاً: أنهم نشروا الفضائل بين هذه الأمة من الصدق والنصح والأخلاق والآداب التي لا توجد عند غيرهم، ولا يعرف هذا من كان يقرأ عنهم من وراء جدر، بل لا يعرف هذا إلا من عاش في تاريخهم وعرف مناقبهم وفضائلهم وإيثارهم واستجابتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .[1]

10/ حكم سب الصحابة :

سب الصحابة على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم أو أن عامتهم فسقوا فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار أو فساق.

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/247

الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح ففي كفره قولان لأهل العلم، وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم، كالجبن والبخل فلا يكفر ولكن يُعَزَّر بما يردعه عن ذلك، ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الصارم المسلول ونقل عن أحمد في ص: 573، قوله: لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص فَمَنْ فعل ذلك أُدِّبَ فإن تاب وإلا جلد في الحبس حتى يموت أو يرجع.[1]

لا يحل لأحد أن يسب الصحابة على العموم، ولا أن يسب واحداً منهم على الخصوص، فإن سبهم على العموم ، كان كافراً، بل لا شك في كفر من شك في كفره ، أما إن سبهم على سبيل الخصوص، فينظر في الباعث لذلك، فقد يسبهم من أجل أشياء خَلْقية أو دينية، ولكل واحد من ذلك حكمه. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 253

11/ البراءة من طريقين ضالين :

ونبرأ من طريقين ضالين : طريق الروافض[2] الذين يسبون الصحابة ويغلون في آل البيت، ومن طريق النواصب[3] الذين يبغضون آل البيت [4]

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 152

[2] سموا روافض لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عندما سألوه عن أبي بكر وعمر، فأثني عليهما وقال: هما وزيرا جدي. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 283

[3] أما النواصب، فهم الذين ينصبون العداء لأل البيت، ويقدحون فيهم، ويسبونهم، فهم على النقيض من الروافض. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 283

[4] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 247

فالروافض اعتدوا على الصحابة بالقلوب والألسن ... وفي الحقيقة إن سب الصحابة رضي الله عنهم ليس جرحاً في الصحابة رضي الله عنهم فقط بل هو قدح في الصحابة وفي النبي صلى الله عليه وسلم وفي شريعة الله وفي ذات الله عز وجل ...

وأما كونه قدحاً في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحيث كان أصحابه وأمناؤه وخلفاؤه على أمته من شرار الخلق، وفيه قدح في رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجه آخر، وهو تكذيبه فيما أخبر به من فضائلهم ومناقبهم.

وأما كونه قدحاً في شريعة الله، فلأن الواسطة بيننا وبين رسول الله صلي الله عليه وسلم في نقل الشريعة هم الصحابة، فإذا سقطت عدالتهم، لم يبق ثقة فيما نقلوه من الشريعة.

وأما كونه قدحاً في الله سبحانه، فحيث بعث نبيه صلى الله عليه وسلم في شرار الخلق، واختارهم لصحبته وحمل شريعته ونقلها لأمته!! [1]

ودائماً يكون الوسط هو خير الأمور، ومقابلة البدعة ببدعة لا تزيد البدعة إلا قوة. [2]

12/ الأحق بالخلافة بعد النبي –صلى الله عليه وسلم :

الأحق بالخلافة بعد النبي –صلى الله عليه وسلم– أحقهم بالخلافة بعد النبي –صلى الله عليه وسلم– أبو بكر –رضي الله عنه؛ لأنه أفضلهم وأسبقهم إلى الإسلام، ولأن النبي –صلى الله عليه وسلم– قدمه في الصلاة، ولأن الصحابة –رضي الله عنهم– أجمعوا على تقديمه ومبايعته، ولا يجمعهم الله على ضلالة، ثم عمر –رضي الله عنه– لأنه أفضل الصحابة بعد أبي بكر، ولأن أبا بكر عهد بالخلافة إليه، ثم عثمان، رضي الله عنه؛ لفضله وتقديم أهل الشورى له وهم المذكورون في هذا البيت:

علي وعثمان وسعد وطلحة ... زبير وذو عوف رجال المشورة ثم علي: رضي الله عنه لفضله

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/283

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/284

وإجماع أهل عصره عليه.

وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عَضُّوا عليها بالنواجذ" 133.

وقال: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة". رواه أحمد وأبو داود والترمذي، قال الألباني: وإسناده حسن، فكان آخرها خلافة علي، هكذا قال المؤلف وكأنه جعل خلافة الحسن تابعة لأبيه، أو لم يعتبرها حيث إنه -رضي الله عنه- تنازل عنها.

فخلافة أبي بكر -رضي الله عنه- سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال، من 13 ربيع الأول سنة 11هـ إلى 22 جمادى الآخرة سنة 13هـ.

وخلافة عمر -رضي الله عنه - عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام، من 23 جمادى الآخرة سنة 13هـ إلى 26 ذي الحجة سنة 23هـ.

وخلافة عثمان -رضي الله عنه- اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يومًا، من 1 محرم سنة 24هـ إلى 18 ذي الحجة سنة 35هـ.

وخلافة علي -رضي الله عنه- أربع سنوات وتسعة أشهر من 19 ذي الحجة سنة 35هـ إلى 19 رمضان سنة 40هـ. [1]

---

[1] أما من بعدهم، فإننا لا نستطيع أن نقول: إن كل خليفة استخلفه الله على الناس، فهو أحق بالخلافة من غيره، لأن من بعدهم ليسوا في خير القرون، بل حصل فيهم من الظلم والانحراف والفسوق ما استحقوا به أن يولي عليهم من ليس أحق بالخلافة منهم، كما قال الله تعالى:) وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ([الإنعام: 129].

واعلم أن الترتيب في الأفضلية على ما سبق لا يعني أن من فضل غيره، فإنه يفضله في كل شئ، بل قد يكون للمفضول فضيلة لم يشاركه فيها أحد، وتميز أحد هؤلاء الأربعة أو غيرهم بميزة يفضل بها غيره لا يدل على الأفضلية المطلقة، فيجب التفريق بين الإطلاق والتقييد. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/273

فجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام.

ثم بويع الحسن بن علي -رضي الله عنهما- يوم مات أبوه علي -رضي الله عنه- وفي ربيع الأول سنة 41هـ سلم الأمر إلى معاوية وبذلك ظهرت آية النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة" وقوله في الحسن: "إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به فئتين عظيمتين من المسلمين". رواه البخاري134.

فالحسن سبط رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وريحانته وهو أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولد في 15 رمضان سنة 3هـ ومات في المدينة ودفن في البقيع في ربيع الأول 50هـ.

والحسين سبط رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وريحانته وهو ابن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ولد في شعبان سنة 4هـ وَقُتِل في كربلاء في 10 محرم سنة 61هـ، وثابت وهو ابن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار قتل شهيدًا يوم اليمامة سنة 11هـ في آخرها أو أول سنة 12هـ. [1]

هلك في علي بن أبي طالب طائفتان؛ طائفة غلت وطائفة فرطت.

الطائفة الأولى: وهي الطائفة التي غلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث غلوا فيه حتى جعلوه إلهاً، حتى أنهم صرحوا بذلك، فقد قال عبد الله بن سبأ وشيعته لعلي بن أبي طالب صراحة ومقابلة: أنت الله حقاً، وهو يهودي خبيث دخل في دين الإسلام ظاهراً ليفسده.

وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: كما ظهر بولس في دين النصارى، وتنصر ظاهراً من أجل أن يفسد دين النصارى، فإن هذا الخبيث عبد الله بن سبأ اليهودي الماكر دخل في دين الإسلام على أنه مسلم ، لكن أتى إلى علي بن أبي طالب وقال له: أنت الله، فأمر علي رضي الله عنه – لشدة ما

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 142

جرى- بالأخدود فحفرت، ثم أمر بالحطب فجمع في هذه الأخدود، ثم أمر بعبد الله بن سبأ وشيعته أن يلقوا في هذه الأخدود بعد أن أضرم فيها النار، فأحرقوا.

ويقال: إن عبد الله بن سبأ هرب وذهب إلى مصر، وبث دعوته فيها، ثم إلى العراق، ثم إلى فارس، فانتشرت دعوته. فهؤلاء اعتدوا في علي بن أبي طالب بالإفراط وزيادة الحد.

الطائفة الثانية: وهي الطائفة التي فرطت فيه، وهذه الطائفة قابلوا القسم الآخر، وذلك لأن العادة أنه إذا وجد غلو في جانب وجد تطرف في جانب آخر، وهذا يكون من أجل مواجهة ذلك الغلو، فهؤلاء أناس صاروا على العكس نواصب نصبوا العداوة لأهل البيت، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فجعلوا يسبونهم ويلعنونهم ويعتدون في حق آل البيت - والعياذ بالله- [1]

13/ الأقرب إلى الصواب والأحق بالخلافة بعد مقتل عثمان :

الأقرب إلى الصواب، والأحق بالخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولا شك في هذا، ودليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمار بن ياسر: ((إنه تقتله الفئة الباغية)) الباغية: يعني الخارجة على الإمام، والذي قتل عماراً هم أصحاب معاوية، وعلى هذا يكون علي بن أبي طالب أقرب إلى الصواب من معاوية، ويكون جيش معاوية هو الفئة الباغية.

لكن مع هذا يجب علينا ألا نضمر حقداً ولا بغضاء لواحد من الصحابة، وأن نحمل ما جرى منهم من الخطأ على أنه اجتهاد والله يغفر له، ثم إنه من العقل والإيمان إلا نجعل ما جرى بين الصحابة من هذه المسائل سبباً للأخذ والرد والخلاف؛ لأن هذه أمة قد خلت؛ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 597

وعلينا أن نجتمع من الآن على طريق الحق الذي في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وألا نداهن كما يدعو إليه بعض الناس اليوم من محاولة التقريب بين الرافضة وبين أهل السنة؛ لأن محاولة التقريب بين المذهب الحق والمذهب الباطل ليس إلا مداهنة في دين الله.

وإن من الواجب على الجميع الرجوع إلى الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، وأول ما يجب الكف عن مساوئ الصحابة رضي الله عنهم، واعتقاد أن من أخطأ منهم فإن خطأه منغمر في جانب صوابه، وما حصل من فساد فهو منغمر في جانب الإصلاح. هذا هو الواجب علينا فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم . [1]

14/ حكم تقديم علي رضي الله عنه على غيره من الخلفاء الأربعة في الخلافة :

أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ، مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؛ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟

- فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ، وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ.
- وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا.
- وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.

لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى: تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ – مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ – لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ.

وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ: بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 632

وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلاَفَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.[1]

15/ مذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بين الصحابة من القتال والفتنة :

سبب الفتنة تآمَرَ اليهودُ على الإسلام وأهله، فدسوا ماكرًا خبيثًا تظاهر بالإسلام كذبًا وزورًا هو: عبد الله بن سبأ، من يهود اليمن، فأخذ هذا اليهودي ينفث حقده وسمومه ضد الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين: عثمان بن عفان - رضي الله عنه وأرضاه - ويختلق التهم ضده، فالتف حوله من انخدع به من قاصري النظر وضعاف الإيمان ومحبي الفتنة، وانتهت المؤامرة بقتل الخليفة الراشد عثمان - رضي الله عنه - مظلومًا، وعلى أثر مقتله حصل الاختلاف بين المسلمين، وشبَّت الفتنةُ بتحريضٍ من هذا اليهودي وأتباعه، وحصل القتال بين الصحابة عن اجتهادٍ منهم.

...وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (فلما قُتل عثمان - رضي الله عنه - تفرقت القلوب وعظُمَت الكروب، وظهرت الأشرار وذَلَّ الأخيار، وسعى في الفتنة من كان عاجزًا عنها، وعجز عن الخير والصلاح من كان يحب إقامته، فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهو أحق الناس بالخلافة حينئذ، وأفضل من بقي، لكن كانت القلوب متفرقة، ونار الفتنة متوقدة، فلم تتفق الكلمة، ولم تنتظم الجماعة، ولم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدونه من الخير، ودخل في الفرقة والفتنة أقوام، وكان ما كان) .

وقال أيضًا مبيّنًا عذر المتقاتلين من الصحابة؛ في قتال علي ومعاوية: (ومعاوية لم يَدَّعِ الخلافة، ولم يُبايَع له بها حين قاتل عليًّا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، وكان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه، ولا كان معاوية وأصحابه يَرونَ أن يبتدئوا عليًّا وأصحابه بالقتال؛ بل لما رأى علي - رضي الله عنه - وأصحابه أنه يجب عليهم طاعته ومبايعته، إذ لا يكون

---

[1] العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية 117

للمسلمين إلا خليفة واحد، وأنهم خارجون عن طاعته؛ يمتنعون هذا الواجب، وهم أهل شوكة، رأى أن يُقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب، فتحصل الطاعة والجماعة. وهم (أي معاوية ومن معه) قالوا: إن ذلك لا يجب عليهم، وأنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين، قالوا: لأن عثمان قُتِلَ مظلومًا باتفاق المسلمين، وقتلته في عسكر علي، وهم غالبون لهم شوكة، فإذا امتنعنا ظلمونا واعتدوا علينا، وعلي لا يمكنه دفعهم كما لم يمكنه الدفع عن عثمان، وإنما علينا أن نبايع خليفة يقدر على أن يُنصفنا ويبذل لنا الإنصاف.

ومذهب أهل السنة والجماعة في الاختلاف الذي حصل والفتنة التي وقعت من جرائها الحروب بين الصحابة، يتلخص في أمرين:

الأمر الأول: أنهم يمسكون عن الكلام فيما حصل بين الصحابة، ويكفون عن البحث فيه؛ لأن طريق السلامة هو السكوت عن مثل هذا، ويقولون: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: 10] .

الأمر الثاني: الإجابة عن الآثار المروية في مساويهم، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن هذه الآثار منها ما هو كذب قد افتراه أعداؤهم ليشوهوا سمعتهم.

الوجه الثاني: أن هذه الآثار منها ما قد زيد ونقص فيه، وغُيِّرَ عن وجهه الصحيح، ودخله الكذب، فهو محرف لا يلتفت إليه.

الوجه الثالث: أن ما صح من هذه الآثار - وهو القليل - هم فيه معذورون؛ لأنهم إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، فهو من موارد الاجتهاد الذي إن أصاب المجتهد فيه فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، والخطأ مغفور؛ لما في الحديث: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ﴿إذا اجتهدَ الحاكمُ فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد﴾ .

الوجه الرابع: أنهم بشر يجوز على أفرادهم الخطأ، فهم ليسوا معصومين من الذنوب [1] بالنسبة للأفراد؛ لكن ما يقع منهم فله مكفرات عديدة منها :

1 - أن يكون قد تاب منه، والتوبة تمحو السيئة مهما كانت، كما جاءت به الأدلة.

2 - أن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم، إن صدر، قال تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: 114] ولهم من الصُّحبة والجهاد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يغمر الخطأ الجزئي.

3 - أنهم تُضاعفُ لهم الحسنات أكثر من غيرهم، ولا يساويهم أحد في الفضل، وقد ثبت بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنهم خير القرون، وأن المُدَّ من أحدهم إذا تصدق به أفضل من جبل أُحد ذهبًا إذا تصدق به غيرهم - رضي الله عنهم وأرضاهم -) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (وسائر أهل السنة والجماعة وأئمة الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة، ولا القرابة ولا السابقين ولا غيرهم، بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم، والله تعالى يغفرُ لهم بالتوبة، ويرفع لها درجاتهم، ويغفر لهم بحسنات ماحية، أو بغير ذلك من الأسباب، قال تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ

---

[1] قال العلامة ابن عثيمين في شرحه للواسطية : ما وقع منهم من سيئات حصلت لا عن اجتهاد ولا عن تأويل : فبينه المؤلف بقوله : " وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره. لا يعتقدون ذلك، لقوله صلي الله عليه وسلم: " كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون" .

ولكن العصمة في إجماعهم؛ فلا يمكن أن يجمعوا على شيء من كبائر الذنوب وصغائرها فيستحلوها أو يفعلوها. ولكن الواحد منهم قد يفعل شيئاً من الكبائر، كما حصل من مسطح بن أثاثه وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش في قصة الإفك ، ولكن هذا الذي حصل تطهروا منه بإقامة الحد عليهم. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 288/2

ومن ذلك قصة حاطب بن أبي بلتعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إنه شهد بدراً، وما يدريك ؟ لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: أعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم" ... / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 289/2

الْمُتَّقُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الزمر: 33- 35] ...

وقد اتخذ أعداء الله ما وقع بين الصحابة وقت الفتنة من الاختلاف والاقتتال سببًا للوقيعة بهم، والنيل من كرامتهم، وقد جرى على هذا المخطط الخبيث بعض الكتّاب المعاصرين؛ الذين يهرفون بما لا يعرفون، فجعلوا أنفسهم حكمًا بين أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ؛ يصوّبون بعضَهم، ويخطئون بعضَهم، بلا دليل، بل بالجهل واتباع الهوى، وترديد ما يقوله المغرضون والحاقدون من المستشرقين وأذنابهم؛ حتى شككوا بعض ناشئة المسلمين – ممن ثقافتهم ضحلة – بتاريخ أمتهم المجيد، وسلفهم الصالح الذين هم خير القرون؛ لينفذوا بالتالي إلى الطعن في الإسلام، وتفريق كلمة المسلمين، وإلقاء البُغض في قلوب آخر هذه الأمة لأولها، بدلًا من الاقتداء بالسلف الصالح، والعمل بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: 10].[1]

16/ ما جرى من الصحابة رضي الله عنهم من القتال والفتنة هو المتشابه :

جرى من الصحابة رضي الله عنهم من الأمور التي هي في الواقع من المتشابه، لكن من المتشابه الواقع، لا من المتشابه المنزل، ووجه كونها من المتشابه أنه قد يكون فيها مدخل لكل ذي غرض سيئ، وأن الصحابة رضي الله عنهم تقاتلوا فيما بينهم وأراقوا الدماء من أجل الوصول إلى السلطة، لا من أجل إحقاق الحق، ولذلك فهو من المتشابه الواقع.

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 165

وطريقة أهل العلم والإيمان في المتشابه في المنزل، أو من الواقع، أن يرجعوا إلى المحكم الذي لا تشابه فيه، فما جرى من الصحابة رضي الله عنهم من الفتن؛ كالذي بين علي وعائشة والزبير رضي الله عنهم، والذي بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وأحداث كثيرة تعلم من التاريخ.

وقد استغل هذه الأحداث المغرضون الحاقدون على الإسلام من أجل الطعن في الصحابة، وحموها على أنها صدرت عن نية سيئة، كالرافضة الذين في قلوب كثير منهم غل وحقد على الإسلام، ولا سيما على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي أطاح بعروشهم وفل جموعهم، فكانوا يتخذون من هذه الوقائع سلماً للقدح في الصحابة رضي الله عنهم، حتى كانوا يلعنون من قام ضد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويتقربون إلى الله تعالى بلعنه والعياذ بالله مع ما له من الفضيلة.

لكن الراسخين في العلم وأهل الإيمان يقولون: إن هذا الأمر الذي وقع بينهم يجب أن يحمل على نية حسنة، وذلك لما للصحابة من الفضل، والمعروف، والإحسان، والجهاد في سبيل الله. فما يقع منهم من المعاصي فهو منغمر في جانب الحسنات، والحكم العدل هو الذي يقارن بين الحسن والسيئ، ويجعل الحكم للأكثر، ونحن إذا قارنا بين ما حصل من الصحابة مما يظن إثماً وبين ما حصل منهم من الفضائل والكمالات، وجدنا أن الثاني أكثر بكثير من الأول.

فالواجب أن تنغمر السيئات في جانب الحسنات، وهذا هو العدل وما أحسن كلمة قالها ابن رجب رحمه الله في مقدمة كتاب القواعد: ((المنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه))

...

ما جرى بين الصحابة من الفتن والقتال، عن اجتهاد قد صدر والاجتهاد افتعال من جهد، أي بذل الجهد وهو الطاقة في الحصول على المقصود، ولهذا يسمى العالم الذي يتطلب الأحكام من أدلتها الشرعية مجتهداً؛ لأنه يبذل جهده وطاقته ووسعه للوصول إلى الحق عن طريق الدليل.

فالصحابة رضي الله عنهم حصل ما حصل بينهم عن اجتهاد، فمثلاً معاوية وعائشة والزبير رضي الله عنهم قاتلوا يظنون أن هذا هو الذي يكون سبباً للعثور على قتلة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه؛ ليقتص منهم، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخر البحث عن القاتل أو عن المتآمرين لأن الحال تقتضي ذلك، فالناس في فتنة، ويصعب جداً العثور على هؤلاء المدبرين، ثم إذا عثرنا عليهم فإن قتلهم قد يؤدي إلى فتنة أكبر؛ لأن منهم رؤوس قبائل، فعلي رضي الله عنه له رأي، ومعاوية وعائشة والزبير رضي الله عنهم لهم رأي آخر، وكله عن اجتهاد.

ثم إنه قد قيل: إن الفتنة كادت تنطفئ لولا رجال من رجال معاوية رضي الله عنه صار في نفوسهم بعض الشيء وبادروا بالقتال، فحصل الشر.

وأيا كان التقدير فإنه يجب أن نحمل الإساءة على الإحسان، وننظر بينهما ونقول: إذا قدرنا أن هؤلاء أخطئوا في هذه الفتنة الكبيرة، فإن لهم من الحسنات ما يوجب محو هذا. والإنسان المجتهد إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله اجر، والخطأ مغفور.

وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر)) ، وهؤلاء بين مجتهد مصيب ومجتهد مخطئ، فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد. [1]

17/ قول الرافضة: علي كرم الله وجهه، أو الإمام علي؟

الحقيقة أن هذه من شعار الرافضة، ونحن نقول؛ علي إمام ولا شك، وقوله متبوع بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين)) ... فليست الإمامة خاصة بعلي بن أبي طالب، إلا إذا كانوا يريدون بها إمامة هم يدعونها وهي إمامة العصمة، فنحن لا نقرهم على ذلك ... إلا الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 632

أما قولهم: كرم الله وجهه، فالتكريم ليس بأبلغ من الرضا، بل الرضا أبلغ، والدليل على ذلك أن أهل الجنة يقول الله لهم: ((تمنوا علي)) ، فيقولون: الم تعطنا؟! الم تفعل؟! ألم تفعل؟! ويذكرون نعمه عليهم، ثم يقول: ((إن لكم عليّ أن احل عليكم رضواني فلا اسخط بعده أبدا)) ، فصار الرضوان أعظم من التكريم.

فهؤلاء الذين أرادوا أن يكرموا علي بن أبي طالب عدلوا عن الأفضل إلى المفضول ... الإنسان الذي يريد الباطل، فإنه بإذن الله يحرم الحق ...

ثم إنهم يزعمون أنهم يصفونه بكرم الله وجهه لأنه لم يسجد لصنم، ونقول لهم: إذا كان الأمر كذلك فما أكثر الصحابة الذين لم يسجدوا لصنم، فكل الذين ولدوا في الإسلام لم يسجدوا لصنم، والذين ولدوا في الجاهلية لا نعلم أنهم سجدوا للأصنام أم لم يسجدوا. [1]

18/ أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :

هو أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، ولد قبل البعثة بخمس سنين، وأسلم عام الفتح، وقيل: أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه وَلَّاه عمر الشام واستمر عليه وتسمى بالخلافة بعد الحكمين عام 37هـ، واجتمع الناس عليه بعد تنازل الحسن بن علي سنة 41هـ، كان يكتب للنبي -صلى الله عليه وسلم- ومن جُمْلَة كُتَّاب الوحي، توفي في رجب سنة 60هـ عن 78 سنة، وإنما ذكره المؤلف وأثنى عليه للرد على الروافض الذين يسبونه ويقدحون فيه، وسماه خال المؤمنين؛ لأنه أخو أم حبيبة إحدى أمهات المؤمنين، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ص: 199، ج: 2 نزاعًا بين العلماء، هل يُقَال لإخوة أمهات المؤمنين أخوال المؤمنين أم لا؟ [2]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 603

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 155

19/ شيء من فضائل ومناقب معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – :

١– فمِن مناقبه: أنَّه داخل في كل نَصٍّ جاء في القرآن أو صحيح السُّنة النَّبوية في فضل الصحابة، والثناءِ عليهم، ووجوبِ محبَّتهم، ولزومِ توقيرهم واحترامهم، وحُرمَةِ سبِّهم والطعن فيهم، وهو مِن أهله، لأنَّه مِن الصحابة.

٢– ومِن مناقبه أيضًا: أنَّه كان مِن أصحاب رسول الله ﷺ الذين آمنوا بِه وصدَّقوه، ونصروه، وجاهدوا بين يديه، وتلقوا العلم عنه. وشرفُ الصُّحبة لا يَعدِله شرف.

٣– ومِن مناقبه أيضًا: أنَّه كان كاتبًا لرسول الله ﷺ، يكتب عنه الوحي الذي أُنْزِلَ عليه هداية ورحمة للخلق، ولا يَشك مؤمن أنَّ النبي ﷺ لن يَختار لكتابة وحْيِ الله إلا مَن كان عنده أمينًا عدلًا مرضيًّا.

٤– ومِن مناقبه أيضًا: أنَّه مِمَّن أعزَّ الله بِهم الإسلام وأهله، وكان الإسلام في عهدهم عزيزًا منيعًا، إذ صحَّ عن النبيﷺ أنَّه قال: ((لاَ يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزِيزًا مَنِيعًا إِلَى اثْنَىْ عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ)).

ومعاوية واحد مِن هؤلاء ألاثني عشَر خليفة.

٥– ومِن مناقبه أيضًا: دخوله في قول النبي ﷺ الصحيح: ((أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا)).

ومعنى: ((أوجَبُوا)) أي: فعلوا أمْرًا يُوجِب لهم مغفرة ربِّهم، وقد كان معاوية أوَّل مَن رَكب البحر مِن الغُزاة في سبيل الله، بل كان أمير هذا الجيش.

فهنيئًا له هذا الوعد الجميل، وهذه البشارة العظيمة مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦– ومِن مناقبه ايضًا: تَولية ثلاثةٍ مِن الخلفاء الراشدين المهديين له، وهُم: أبو بكر،وعمر، وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ.

حيث ولَّاه أبو بكر على بعض المَدَد الذي أرسله إلى بلاد الشام ناشرًا للإسلام، ومجاهدًا في سبيل الرحمن، ثُمَّ ولَّاه عمر على بعض أقاليم الشام بعد وفاة أخيه يزيد، ثُمَّ ولاه عثمان أميرًا على بلاد الشام كلها.

٧- ومِن مناقبه أيضًا: اتساع بلاد الإسلام في عهده، حتى وصلت إلى حُدود القسطنطينية، وشمال أفريقية، وحُدود روسيا.

ويا لله كم ترتَّب على كثرة الفُتوح للأمصار في عهده مِن إسلام ملايين البَشر، فهنيئًا له ما سيأتيه مِن أجور كثيرة، وثواب عظيم، بسبب إسلام هؤلاء.

فرضي الله عنه وأرضاه. [1]

20/ حقوق زوجات النبي صلى الله عليه وسلم :

زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- زوجاته في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين فهن من آل بيته طاهرات

مطهرات طيبات مطيبات بريئات مبرآت من كل سوء يقدح في أعراضهن وفرشهن، فالطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فرضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين وصلى الله وسلم على نبيه الصادق الأمين.

زوجاته -صلى الله عليه وسلم- اللاتي كان فراقهن بالوفاة وهن:

1- خديجة بنت خويلد أم أولاده ما عدا إبراهيم، تزوجها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد زوجين الأول عتيق بن عابد والثاني أبو هالة التميمي، ولم يتزوج -صلى الله عليه وسلم- عليها حتى ماتت سنة 10هـ من البعثة قبل المعراج.

2- عائشة بنت أبي بكر الصديق أريها -صلى الله عليه وسلم- في المنام144 مرتين أو ثلاثة،

---

[1] كتبه الشيخ عبد القادر الجنيد على صفحته في الفيسبوك

وقيل: هذه امرأتك، فعقد عليها وله ست سنين بمكة ودخل عليها في المدينة ولها تسع سنين، توفيت سنة 58هـ.

3- سودة بنت زمعة العامرية، تزوجها بعد زوج مسلم هو السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو، توفيت آخر خلافة عمر وقيل: سنة 54هـ.

4- حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها -صلى الله عليه وسلم- بعد زوج مسلم هو خنيس بن حذافة الذي قتل في أحد وماتت سنة 41هـ.

5- زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين، تزوجها بعد استشهاد زوجها عبد الله بن جحش في أُحد وماتت سنة 4هـ بعد زواجها بيسير.

6- أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، تزوجها بعد موت زوجها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد من جراحة أصابته في أُحد وماتت سنة 61هـ.

7- زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته -صلى الله عليه وسلم- تزوجها بعد مولاه زيد بن حارثة سنة 5هـ، وماتت سنة 20هـ.

8- جويرية بنت الحارث الخزاعية تزوجها بعد زوجها مسافع بن صفوان، وقيل: مالك بن صفوان سنة 6هـ، وماتت سنة 56هـ.

9- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، تزوجها بعد زوج أسلم ثم تنصر هو عبيد الله بن جحش، وماتت في المدينة في خلافة أخيها سنة 44هـ.

10- صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير من ذرية هارون بن عمران -صلى الله عليه وسلم- أعتقها وجعل عتقها صداقها بعد زوجين أولهما سلام بن مشكم، والثاني: كنانة بن أبي الحقيق بعد فتح خيبر سنة 6هـ، وماتت سنة 50هـ.

11- ميمونة بنت الحارث الهلالية تزوجها سنة 7هـ في عمرة القضاء بعد زوجين، الأول ابن عبد ياليل، والثاني أبو رهم بن عبد العزى، بنى بها في سرف، وماتت فيه سنة 51هـ.

فهذه زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- اللاتي كان فراقهن بالوفاة اثنتان توفيتا قبله وهما: خديجة وزينب بن خزيمة، وتسع توفي عنهن وهن البواقي.[1]

21/ اثنتان لم يدخل بهما ولا يثبت لهما من الأحكام والفضيلة ما يثبت للسابقات وهما :

1- أسماء بنت النعمان الكندية تزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم فارقها، واختلف في سبب الفراق، فقال ابن اسحق: إنه وجد في كشحها بياضًا ففارقها فتزوجها بعده المهاجر بن أبي أمية.

2- أميمة بنت النعمان بن شراحيل الجونية، وهي التي قالت: أعوذ بالله منك 145 ففارقها والله أعلم.

وأفضل زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- خديجة وعائشة رضي الله عنهما، ولكل منهما مزية على الأخرى146، فلخديجة في أول الإسلام ما ليس لعائشة من السبق والمؤازرة والنصرة، ولعائشة في آخر الأمر ما ليس لخديجة من نشر العلم ونفع الأمة، وقد برأها الله مما رماها به أهل النفاق من الإفك في سورة النور.[2]

22/ قذف أمهات المؤمنين :

قذف عائشة بما برأها الله منه كفر؛ لأنه تكذيب للقرآن وفي قذف غيرها من أمهات المؤمنين قولان لأهل العلم أصحهما أنه كفر؛ لأنه قدح في النبي -صلى الله عليه وسلم- فإن الخبيثات للخبيثين.[3]

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 152

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 154

[3] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 155

23/ فضل أهل البيت وما يجب لهم من غير جفاء ولا غُلُوّ :

أهل البيت هم آل النبي – صلى الله عليه وسلم – الذين حَرُمتْ عليهم الصدقة، وهم آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – وبناته؛ لقوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33] .

... فأهل السنة والجماعة يحبون أهل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث قال يوم غدير خُم (اسم موضع) : ﴿أُذكّركم الله في أهل بيتي﴾ .[1]

فأهل السنة يحبونهم ويكرمونهم [2] ؛ لأن ذلك من محبة النبي – صلى الله عليه وسلم – وإكرامه، وذلك بشرط: أن يكونوا متبعين للسُّنَّة مستقيمين على الملة ...

فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم، ويتبرءون ممن خالف السنة وانحرف عن الدين، ولو كان من أهل البيت، فإن كونه من أهل البيت ومن قرابة الرسول، لا ينفعه شيئًا حتى يستقيمَ على دين الله، فقد روى أبو هريرة – رضي الله عنه – قال: ﴿قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين أنزل عليه: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214] فقال: يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفيّةُ عمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت

---

[1] صحيح مسلم (2408)

[2] لأمرين: للإيمان، وللقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يكرهونهم أبداً ... فإن كفروا ، فإننا لا نحبهم، ولو كانوا من أقارب الرسول عليه الصلاة والسلام / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 273

محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا﴾ والحديث: ﴿من بَطَّأ عمله لم يسرع به نسبه﴾ .

ويتبرأ أهل السُّنَّة والجماعة من طريقة الروافض؛ الذين يُغلون في بعض أهل البيت، ويَدَّعون لهم العصمة، ومن طريقة النواصب؛ الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين، ويطعنون فيهم، ومن طريقة المبتدعة والخرافيين الذين يتوسلون بأهل البيت، ويتخذونهم أربابًا من دون الله.

فأهل السنة في هذا الباب وغيره على المنهج المعتدل، والصراط المستقيم الذي لا إفراطَ فيه ولا تفريط، ولا جفاء ولا غلو في حق أهل البيت وغيرهم، وأهل البيت المستقيمون يُنكرون الغلو فيهم، ويتبرءون من الغُلاة، فقد حرق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – الغلاة الذين غَلَوا فيه بالنار، وأقرّه ابن عباس – رضي الله عنه – على قتلهم، لكن يرى قتلهم بالسيف بدلًا من التحريق، وطلب علي – رضي الله عنه – عبد الله بن سبأ رأس الغُلاة ليقتله؛ لكنه هرب واختفى.

24/ التابعون :

وهم القرن الثاني من هذه الأمة واعلم أن القرن يعتبر بأكثره، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله ، وليس معنى التابعين أنه لا يوجد أحد من الصحابة، بل إذا كان القرن أكثرهم من التابعين أي ممن لم يشاهد النبي عليه الصلاة والسلام – فإنه يسمى قرن التابعين ...

فالتابعون هم أحرى الناس بالفضل بعد الصحابة رضي الله عنهم، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم))، [1] والتفضيل هنا تفضيل للجمة على الجملة، وليس لكل فرد على كل فرد ... إلا أن الصحابة يتميزون بخصيصة ليست

---

[1] صحيح البخاري (2651)

لغيرهم وهي الصحبة، وهذه لا يمكن أن ينالها أحد من التابعين، لكن الفضل والعلم والجهاد ربما يوجد في التابعين من هو خير من بعض الصحابة [1]

25/ القرون المفضلة :

فِي "الصَّحِيحَيْنِ" مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَغَيْرِهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"، قَالَ عِمْرَانُ: فَلاَ أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " والاعتبار بالقرون الثلاثة بجمهور أهل القرن، وهم وسطه، وجمهور الصحابة انقرضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة، حتى إنه لم يكن بقي من أهل بدر إلا نفر قليل، وجمهور التابعين بإحسان انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك وجمهور تابعي التابعين في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية" أ هـ.

وكان أخر الصحابة موتاً أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي سنة مائة من الهجرة، وقيل: مئة وعشر.

قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " [327] " واتفقوا على أن أخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلي حدود العشرين ومائتين ". [2]

وعلى هذا فنقول: إنه بعد هذه القرون الثلاثة حصلت الفتن، وانتشرت البدع، وتفرقت الأهواء، وحصل الشر الكثير، ورفعت المبتدعة رؤوسها، واضطرب الناس أمناً وأيماناً، وتكلم الناس في كل شيء، حتى أنهم تكلموا في الله عز وجل ...

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 637

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/294

وبعد فإني أدعو إلى قراءة أخبار الصحابة رضي الله عنهم بعد قراءة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يشد الإنسان نفسه مع السابقين السالفين ليزداد بذلك إيماناً ومحبة لهم ومنهجاً طيباً [1]

26/ النهي عن سب أئمة الهدى من علماء هذه الأمة :

يلي الصحابة في الفضيلة والكرامة والمنزلة: أئمة الهدى من التابعين وأتباعهم من القرون المفضلة، ومن جاء من بعدهم ممن تبع الصحابة بإحسان، كما قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} . . الآية [التوبة: 100] فلا يجوزُ تنقّصهم وسبّهم؛ لأنهم أعلام هدى، فقد قال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 115] .

قال شارح الطحاوية: (فيجبُ على كل مسلم بعد مُوالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين، كما أطلق القرآن، خصوصًا الذين هُم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يُهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمعَ المسلمون على هدايتهم ودرايتهم. فإنهم خُلفاء الرسول – صلى الله عليه وسلم – في أمته، والمحيون لما مات من سنته، فبهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وكلهم متفقون اتفاقًا يقينًا على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم – ولكن: إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه، فلا بد له في تركه من عذر) .

وجماع الأعذار ثلاثة أصناف:

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 637

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قاله.

الثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

الثالث: اعتقاده أن الحكم منسوخ.

فلهم الفضل علينا والمنة؛ بالسبق وتبليغ ما أرسل به الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلينا، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا، فرضي الله عنهم وأرضاهم {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: 10] .

والحطّ من قدر العلماء بسبب وقوع الخطأ الاجتهادي من بعضهم هو من طريقة المبتدعة، ومن مُخططات أعداء الأمة؛ للتشكيك في دين الإسلام، ولإيقاع العداوة بين المسلمين، ولأجل فصل خلف الأمة عن سلفها، وبثّ الفرقة بين الشباب والعلماء، كما هو الواقع الآن ... والله الموفق. [1]

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها للعلامة الفوزان 172

الفصل التاسع :

كرامات الأولياء

1/ تعريف الولي :

الأولياء ... الله بينهم بقوله: (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (يونس:62-63)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " من كان مؤمناً تقياً، كان لله ولياً " .

ليست الولاية بالدعوى والتمني، الولاية إنما هي بالإيمان والتقوى، فلو رأينا رجلاً يقول: إنه ولي ولكنه غير متق لله تعالي، فقوله مردود عليه. [1]

2/ تعريف الكرامة :

الكرامات جمع كرامة ، وهي ما يقدم للضيف ونحوه تكريماً له، وهذا هو الأصل فيها. ثم صارت الكرامة اسماً لكل خارق للعادة، يظهره الله سبحانه وتعالى على يد ولي من أوليائه تكريماً له، أو إحقاقاً لحق قام به، فهي إذاً أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد ولي من أوليائه؛ إما تكريماً له، وإما إظهاراً للحق الذي قام به.

وهنا ثلاثة قيود :

القيد الأول: قولنا: كل أمر خارق للعادة، يخرج به ما كان جارياً على العادة ... مثل أن يأكل الولي طعاماً فيشبع، فإنه إذا شبع من الخبز، لا يقال هذه كرامة ...

القيد الثاني: يظهره الله على يد ولي من أوليائه، وحينئذٍ فلابد أن نعرف من هو الولي. والولي بينه الله عز وجل في قوله: (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (يونس: 62) (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (يونس: 63) ، فمن تحقق فيه هذان الوصفان، وهما: الإيمان والتقوى - فهو الولي.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً)) ...

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/297

القيد الثالث: تكريماً له، أو إظهاراً للحق الذي قام به، يعني قد يكون هذا تكريماً للشخص ...

وكذلك أيضاً صلة ابن أشيم حيث يذكرأنه مات فرسه في أثناء السفر، فدعا الله أن يحييه إلى أن يصل إلى بلده، فأحيا الله له الفرس وركبه، فلما وصل إلى بيته قال لابنه: يا بني ألق السرج عن الفرس فإنه عارية، فألقى السرج عنه فمات الفرس في الحال. فهذه كرامة...

فالمهم أن الكرامات كثيرة، ومن أراد أن يطلع على شيء منها فعليه بكتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

قال العلماء رحمهم الله: وكل كرامة لولي فإنها آية للنبي الذي اتبعه هذا الولي ...

وقد خرج بقولنا: على يد ولي، معجزات الأنبياء[1]

3/ التسمية بالأية أولى من المعجزة :

وتسميتها آية أصح من تسميتها بمعجزة، لما يلي :

أولاً: لأن هذا الموافق للفظ القرآن؛ لأن الله سمى هذه المعجزات التي تأتي بها الأنبياء آيات ولم يسمها معجزات.

ثانياً: أن المعجزات قد لا تكون آية على نبوة، كما في حال المشعوذين وغيرهم من السحرة، لكن لو قلنا: آية؛ يعني علامة على صدق هذا النبي.

ثالثاً: أن كلمة معجزة من الإعجاز لفظها بشع، لكن آية أي علامة، هذه محببة للنفوس، كما قيل: كأنه علم في رأسه نار.

فلهذا كان التعبير بالآية أولى.

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 640

وخرج أيضاً بقولنا: على يد ولي من أوليائه – ما يخرج العادة مما جرى على أيدي أولياء الشيطان من السحرة والمشعوذين وغيرهم؛ لأن منهم من يأتي بالخارق الذي يخرج عن العادة لكن بواسطة الشياطين ...

فصار الخارق للعادة إما آية، وأما كرامة، وأما إهانة، وأما فتنة.

والفتنة ما يأتي من السحرة وشبههم، لأنهم يرون ذلك إكراماً لهم.

والإهانة مثل ما يذكر عن مسيلمة الكذاب الذي ظهر في اليمامة وادعى أنه نبي وذلك في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذ بذلك قومه وجعلوه نبياً، وصار يعينه الشيطان في بعض الأمور، فيقال إنهم جاءوا إليه في يوم من الأيام، وقالوا: يا أيها النبي، إن عندنا بئراً قد غار ماؤها، ولم يبق فيها إلا ماء قليل فنريد أن نتبرك بك، فذهب معهم واخذ بعض الماء ليتمضمض به ويمجه في البئر ينتظر أن يرتفع ماؤه، فيقال إنه لما مج الماء في البئر غار الماء الموجود [1]

4/ الخارق للعادة أربعة أنواع :

أعلاها: الآية، ثم الكرامة، ثم الإهانة، ثم الفتنة [2]

5/ أدلة كثيرة تدل على كرامات الأولياء :

هناك أدلة كثيرة تدل على كرامات الأولياء، منها مثلاً :

قصة أصحاب البقرة: وهم قوم تدارؤوا حيث قتل بينهم قتيل، وكادت الفتنة أن تكون بين القبليتين، فأمرهم موسى عليه الصلاة والسلام أن يذبحوا بقرة، وأن يضربوا القتيل بجزء منها، ففعلوا ذلك، فلما ضربوا القتيل بهذا الجزء من البقرة حيي بإذن الله وقال: إن قاتله فلان، وهذه

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 642

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 644

كرامة لهؤلاء القوم، حيث ذهب عنهم النزاع وطفئت الفتنة. وربما نقول: هي كرامة من وجه وآية من وجه آخر؛ لأن موسى عليه الصلاة والسلام هو الذي أمر بذلك.

ومثال آخر: الرجل الذي مر على قرية خاوية على عروشها هامدة ...

وهذه نعمة من الله عز وجل؛ أن يري الله العبد آية كونية أو شرعية تقوي إيمانه؛ لأن الإنسان أحيانا قد يضعف إيمانه، وأحيانا يأتي الإنسان كسل وفتور وترد على القلب؛ لأن القلب يتقلب، فإذا منَّ الله على العبد وأراه آية يطمئن بها قلبه، فلا شك أن هذه نعمة من الله عز وجل؛ كبيرة ليس لها ثمن ...

كذلك من الأدلة قصة مريم، وهي ليست نبيه ...

وأصحاب الكهف أيضاً أعطاهم الله كرامة ...

وحصل مثل هذه الكرامات في هذه الأمة كما حدث في الأمم السابقة، من ذلك ما حصل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حينما حوصر سارية وهو أمير على سرية، فاطلع عليه عمر رضي الله عنه من بعد، وأرسل إليه كلاماً، قال: يا سراية، الجبل! فسمع سارة كلامه ثم انحاز إلى الجبل [1]

وعلى كل حال فالكرامة موجودة، ويقول شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية : أنها موجودة في هذه الأمة إلى يوم القيامة.

ومنها الشاب الذي يعارض الدجال، ويتحداه، وذلك حينما يأتي الدجال ويدعي أنه الرب [2]

6/ التصديق بكرامات من أصول أهل السنة والجماعة :

من أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات [1] في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات [2]

---

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 645

[2] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 651

فمذهب أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء.

وهناك مذهب مخالف لمذهب أهل السنة، وهو مذهب المعتزلة ومن تبعهم، حيث إنهم ينكرون الكرامات، ويقولون: إنك لو أثبت الكرامات ، لا شتبه الساحر بالولي والولي بالنبي، لأن كل واحد منهم يأتي بخارق.

فيقال: لا يمكن الالتباس، لأن الكرامة على يد ولي، والولي لا يمكن أن يدعي النبوة، ولو ادعاها، لم يكن ولياً. آية النبي تكون على يد نبي، والشعوذة والسحر على يد عدو بعيد من ولاية الله، وتكون بفعله باستعانته بالشياطين، فينالها بكسبه، بخلاف الكرامة، فهي من الله تعالى، لا يطلبها الولى يكسبه.

---

[1] ... والمراد بـ " خوارق العادات": ما يأتي على خلاف العادة الكونية. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 303/2

[2] يعني: أن الكرامة تنقسم إلي قسمين: قسم يتعلق بالعلوم والمكاشفات، وقسم آخر يتعلق بالقدرة والتأثيرت.

– أما العلوم، فأن يحصل للإنسان من العلوم ما لا يحصل لغيره.

– وأما المكاشفات، فأن يظهر له من الأشياء التي يكشف له عنها ما لا يحصل لغيره.

مثال الأول – العلوم: ما ذكر عن أبي بكر: أن الله أطلعه على ما في بطن زوجته الحمل، أعلمه الله أنه أنثي

ومثال الثاني– المكاشفات –: ما حصل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث كان يخطب الناس يوم الجمعة على المنبر فسمعوه يقول: يا سارية ! الجبل ! فتعجبوا من هذا الكلام ثم سألوه عن ذلك ؟ فقال: إنه كشف له عن سارية بن زنيم وهو أحد قواده في العراق ، وأنه محصور من عدوه، فوجهه إلي الجبل، وقال له: يا سارية ! الجبل! فسمع سارية صوت عمر، وانحاز إلى الجبل، وتحصن به

هذه من أمور المكاشفات، لأنه أمر واقع، لكنه بعيد.

أما القدرة والتأثيرات، فمثل ما وقع لمريم من هزما لجذع النخل وتساقط الرطب عليها، ومثل ما وقع للذي عنده علم من الكتاب، حيث قال لسليمان: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك. / شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 304/2

قال العلماء: كل كرامة لولي، فهي آية للنبي الذي اتبعه، لأن الكرامة شهادة من الله عز وجل أن طريق هذا الولي طريق صحيح.

وعلي هذا، ما جري من الكرامات للأولياء من هذه الأمة فإنها آيات لرسول الله صلي الله عليه وسلم .

*ولهذا قال بعض العلماء: ما من آية لنبي من الأنبياء السابقين، إلا ولرسول الله صلي الله عليه وسلم مثلها.

فأورد عليهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يلق في النار فيخرج حياً، كما حصل ذلك لإبراهيم.

فأجيب بأنه جرى ذلك لأتباع الرسول عليه الصلاة والسلام، كما ذكره المؤرخون عن أبي مسلم الخولاني، وإذا أكرم أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام بجنس هذا لأمر الخارق للعادة، دل ذلك على أن دين النبي صلى الله عليه وسلم حق ، لأنه مؤيد بجنس هذه الآية التي حصلت لإبراهيم.

وأورد عليهم أن البحر لم يفلق للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد فلق لموسى!

فأجيب بأنه حصل لهذه الأمة فيما يتعلق في البحر شيء أعظم مما حصل لموسى، وهو المشي على الماء، كما في قصة العلاء بن الحضرمي، حيث مشوا على ظهر الماء، وهذا أعظم مما حصل لموسى، مشى على أرض يابسة.

وأورد عليهم أن من آيات عيسي إحياء الموتى، ولم يقع ذلك لرسول الله صلي الله عليه وسلم.

فأجيب بأنه حصل وقع لأتباع الرسول عليه الصلاة والسلام، كما في قصة الرجل الذي مات حماره في أثناء الطريق، فدعا الله تعالى أن يحييه، فأحياه الله تعالى.

وأورد عليهم إبراء الأكمة والأبرص.

فأجيب بأنه حصل من النبي صلي الله عليه وسلم أن قتادة بن النعمان لما جرح في أحد، ندرت عينه حتى صارت على خده، فجاء النبي صلي الله عليه وسلم، فأخذها بيده، ووضعها في مكانها، فصارت أحسن عينيه. فهذه من أعظم الآيات.

فالآيات التي كانت للأنبياء السابقين كان من جنسها للنبي صلى الله عليه وسلم أو لأمته، ومن أراد المزيد من ذلك، فليرجع إلى كتاب " البداية والنهاية في التاريخ" لابن كثير. [1]

7/ الكرامات في التابعين أكثر منها في الصحابة :

الكرامات، قلنا: إنها تكون تأييدا أو تثبيتاً أو إعانة للشخص أو نصراً للحق، ولهذا كانت الكرامات في التابعين أكثر منها في الصحابة، لأن الصحابة عندهم من التثبيت والتأييد والنصر ما يستغنون به عن الكرامات فإن الرسول صلي الله عليه وسلم كان بين أظهرهم، وأما التابعون، فإنهم دون ذلك، ولذلك كثرت الكرامات في زمنهم تأييداً لهم وتثبيتاً ونصراً للحق الذي هم عليه. [2]

8/ الفرق بين آيات الأنبياء وكرامة الأولياء :

الفرق بينهما أن آيات الأنبياء تأتي من النبي، وكرامة الأولياء تأتي من ولي متبع للنبي، وهذا الولي لا يقول إنه نبي أبداً، وقد لا يزكي نفسه ولا يقول إنه ولي فتأتيه الكرامة. [3]

9/ الفرق بين كرامات الأولياء وخوارق السحرة والمشعوذين والدجالين :

منها: أن كرامات الأولياء سببها التقوى والعمل الصالح، وأعمال المشعوذين سببها الكفر والفسوق والفجور.

ومنها: أن كرامات الأولياء يستعان بها على البر والتقوى، أو على أمور مباحة، وأعمال

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 297

[2] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 302

[3] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 541

المشعوذين والدجالين يستعان بها على أمور محرمة من الشرك والكفر وقتل النفوس.

ومنها: أن كرامات الأولياء تقوى بذكر الله وتوحيده، وخوارق السحرة والمشعوذين تبطل أو تضعف عند ذكر الله وقراءة القرآن والتوحيد [1]

10/ الناس انقسموا في موضوع الكرامات إلى ثلاث أقسام:

قسم غلو في نفيها، حتى أنكروا ما هو ثابت في الكتاب والسنة من الكرامات الصحيحة التي تجري على وفق الحق لأولياء الله المتقين.

وقسم غلوا في إثبات الكرامات؛ حتى اعتقدوا أن السحر والشعوذة والدجل من الكرامات، واستغلوها وسيلة للشرك والتعلق بأصحابها من الأحياء والأموات، حتى نشأ عن ذلك الشرك الأكبر بعبادة القبور وتقديس الأشخاص والغلو فيهم؛ لما يزعمونه لهم من الكرامات والخرافات.

والقسم الثالث - وهم أهل السنة والجماعة - توسطوا في موضوع الكرامات بين الإفراط والتفريط؛ فأثبتوا منها ما أثبته الكتاب والسنة، ولم يغلوا في أصحابها، ولم يتعلقوا بهم من دون الله، ولا يعتقدون فيهم أنهم أفضل من غيرهم، بل هناك من هو أفضل منهم، ولم تجر على يديه كرامة، ونفوا ما خالف الكتاب والسنة من الدجل والشعوذة والنصب والاحتيال، واعتقدوا أنه من عمل الشيطان، وليس هو من كرامات الأولياء؛ فلله الحمد والمنة على وضوح الحق وافتضاح الباطل؛ {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ}[2]

11/ الكرامات لها أربع دلالات:

أولاً: بيان كمال قدره الله عز وجل، حيث حصل هذا الخارق للعادة بأمر الله.

ثانياً: تكذيب القائلين بأن الطبيعة هي التي تفعل، لأنه لو كانت الطبيعة هي التي تفعل، لكانت

---

[1] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 218

[2] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة صالح الفوزان 218

الطبيعة على نسق واحد لا يتغير، فإذا تغيرت العادات والطبيعة، دل على أن للكون مدبراً وخالقاً.

ثالثا: أنها آية للنبي المتبوع كما أسلفنا قريباً.

رابعاً: أن فيها تثبيتاً وكرامة لهذا الولي .[1]

12/ هل المبتدع أو الضَّالْ أو العاصي يُعْطَى كرامة؟

الأولياء -كما قَرَّرَ أهل العلم- على فئتين:

- الفئة الأولى السابقون.

- والفئة الثانية المُقْتَصِدُونْ.

فليس للظالم لنفسه المقيم على المعصية حظ في الكرامة.

لكن قد تجري الكرامة على يَدَيْ من عنده بدعة أو معصية أو ظلم لنفسه، وذلك راجع لأسباب:

1- السبب الأول: أن يكون ليس هو المراد بها وإنَّما يكون هذا المبتدع أو هذا الظالم لنفسه في جهادٍ مع الكافر، في جهادٍ مع العدو الكافر فيعطيه الله - عز وجل - الكرامة لا لذاته ولكن لما يُجَاهِدَ عليه، وهو الإسلام والإيمان ورد الكفر.

فيكون إعْطَاؤُهُ الكرامة لا يغتر بها لأنها ليست لشخصه وإنما هي للدليل على ظهور الإيمان والإسلام على الكفر والإلحاد والشرك ونحو ذلك.

2- السبب الثاني: أن يكون إعْطَاؤُهُ الكرامة لحاجته إليها في إيمانه أوفي دُنْيَاه، فتكونُ سبباً له في استقامة أو في خير.

فلهذا من جرى على يديه شيء في ذلك فينظر في نفسه:

---

[1] شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين 2/ 303

- إنْ كان من أهل الإيمان والتقوى فيحمد الله - عز وجل - ويُثْنِي عليه ويُلازِمُ الاستقامة على ما أكرمه الله - عز وجل - به.

- وإن كان من أهل البدعة أو المعصية أو الظلم للنَّفْسْ، فيعلم أَنَّ في ذلك إشارة له أن يلازم سنة النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان والتقوى حتى تكون البُّشرى له في الدنيا والأخرى، وإلَّا يكون قد قامت عليه حُجَّةْ ونعمة من الله رآها ثُمَّ أَنْكَرَهَا.[1]

13/ الكرامة إذا أعطاها الله - عز وجل - الولي فإنَّهُ ليس معنى ذلك أَنَّهُ مُفَضَّلٌ وأعلى منزلة على من لم يُعْطَ الكرامة :

فالكرامة إكرامٌ وإِنْعَامْ من الله - عز وجل - للعبد لأجل حاجته إليها، وقد تكون حاجته إليها دينية وقد تكون حاجته إليها كونية دنيوية.

لهذا قَلَّتْ الكرامات عند الصحابة، فالمُدَوَّنْ من الكرامات بالأسانيد الثابتة عن الصحابة أقل بكثير مما يُروَى عن التابعين، وهكذا فيمن بعدهم؛ لأنَّ المرء إذا قَوِيَ إيمانه وقَوِيَ يقينه فإنه قد يُتْرَكْ للابتلاء لا للتفريج كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي في الصحيحين: ﴿يُبتلى الرجل على قدر دينه، أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل﴾ ، ﴿يُبتلى الرجل على قدر دينه﴾ .

وهذا يدل على أَنَّ الله - عز وجل - قد يختار للولي الصالح وللعبد الصالح الذي تَعْظُمُ منزلته في وَلَايَةِ الله - عز وجل - وإكرامه ومحبته له في أن يتركه للإبتلاء، وأن يتركه لغير هذه الأمور الخارقة للعادة.

فتكون إذاً هذه الخوارق للعادة وهذه الكرامات لحاجته إليها ولأنه قد يصيبه ضعف في الإيمان لو لم يُعطَ.[2]

---

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 672/1

[2] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 682/1

14/ التعلّق بالكرامات وطلبها :

الواجب على المؤمنين أن يَسْعَوا في الإيمان وفي شُعَبِهِ -امْتِثَالَاً للأوامر واجتناباً للنواهي- طلباً لمرضاة الله - عز وجل - وأن يبذلوا أنفسهم في الجهاد بأنواعه ...

فمن الناس من تعلّقت قلوبهم بالكرامات؛ بل بما هو دونها من الرُؤَى وربما الأحلام ومن القصص والحكايات والأخبار وأثَّرَ ذلك على إيمانه سلباً أو إيجاباً، ضعفاً أم زيادة.

وهذه الأمور نؤمن بها -يعني مسائل الكرامات-، نؤمن بها لأَنَّهَا جاءت في النصوص؛ لكن العبد لا يَتَطَلَّبُهَا، لا يبحث عنها، كما ذكرت لك ربما كان الأكمل في حقه أن لا تحصل له الكرامة، وربما كان الأكمل في حقه أن يُبْتَلَى، وربما كان الأكمل في حقه أن يُذَلْ ولا يُعْرَفْ ما يقضي الله - عز وجل - به في هذه المسائل.

ومن نظر لسيرة من نعتقد فيهم أنهم من أفضل أهل زمانهم إيمانَاً وتقوى ومُتابعة للسنة وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ومُجَاهدةً لأعداء الله، حصل لهم من الابتلاء والفتنة ما حصل، كما حصل لإمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل، وكذلك ما حصل لشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، فالجميع حصل لهم من البلاء والسجن والفتنة، يعني والصد والإيذاء ما حصل لهم، ومع ذلك هم أكمل ممن هم دونهم ممن حصل لبعضهم من الكرامات فيما نُقل بأسانيد ثابتة.

بل ابن القيم رحمه الله طِيْفَ به في دمشق وهو العالم الإمام على حمار ظهره إلى السماء ووجهه إلى الأرض تنكيلاً به، ومع ذلك ما ضَرَّهُ لا في وقته ولا فيما بعده فالتراجم طافحة بالثناء عليه، لأنَّ هذه مسائل من الابتلاء التي يَبْتَلِي بها الله - عز وجل - بعض عباده كيف شاء.

فالمقصود من هذا أنَّ الميزان هو متابعة السنة.

تحقيق الإيمان والتقوى، متابعة طريقة السلف الصالح قد يحصل معه إكرام وقد لا يحصل معه، يحصل معه ضد ذلك من الابتلاء والإيذاء، وقد يكون المُبْتَلَى أكمل ممن لم يُبْتَلَ .[1]

15/ كرامات الأولياء قد تجري للمجموع لا للأفراد :

وهذا في حال الجهاد سواءٌ أكان جهاداً علمياً أم كان جهاداً بدنياً -يعني بالسِّنان-.

فقد يُكْرِمُ الله - عز وجل - الأُمَّةَ المجاهدة، جماعة المجاهدين من أهل العلم، يعني من الجهاد باللسان بقوة في التأثيرات الشّرعية وبالنصر على من عاداهم بالمَلَكَة والحُجَّة وبما يعلمون به مواقع الحُجَجْ وما في نفوسهم بما يكون أقوى من قُدَرِهِمْ في العادة.[2]

16/ الفراسة :

مما يتصل بالكرامة من المباحث مبحث الفِرَاسَةْ؛ لأنَّ الفِرَاسَةْ الإيمانية بها يَعْلَمْ صاحب الفِرَاسَةْ ما في نفس الآخرين.

والفِرَاسَةْ لفظٌ جاء في السنة: ﴿اتقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله﴾، والحديث حَسَّنَهُ جماعة من أهل العلم، وهو في الترمذي وفي غيره.

هذه الفِرَاسَةْ عُرِّفَتْ بأنها: شيء من العلم يُلْقَى في رُوعِ المؤمن به يعلم حالْ من أَمَامَهْ، إمَّا حالُهُ الإيماني وإما حالُهُ في الصدق والكذب، وإما بمعرفة ما في نفسه ويجول في خاطره.

ولهذا عُرِّفت الفِرَاسَةْ أيضاً بأنها نور يقذفه الله في قلب بعض عباده، بها يعلم مُخَبَّئَاتْ ما في صدور بعض الناس.

والعلماء قسموا الفِرَاسَةْ إلى أقسام أشهرها ثلاثة:

1- الأول: الفِرَاسَةْ الإيمانية: وهي التي قد يُدْخِلُهَا بعضهم في باب الكرامة وليست منها.

---

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 685/1

[2] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 684/1

2- الثاني: فراسةٌ رياضية: يعني تحصل بالترويض وبالتعود وبتخفيف ما في النفس من العلائق، وهي التي يحصل فيها دُرْبَة عند بعض أصحاب الطُّرُقْ.

3- الثالث: فراسة خَلْقِيَّة: وهذه ليست راجعت إلى استبطان ما في النفوس ولكن باعتبار الظَّاهر.

يُنْظَرُ إلى الخَلْقْ فيستدل بشكل الوجه على الخُلُق، ويستدل بشكل العينين على مزاج صاحبها، يستدل بشكل البدن أو شكل اليد أو تقاطيع الوجه على حاله مِنْ جِهَةْ الأخلاق.

فهذه اعتنى كثير من الناس، وصُنِّفَتْ فيها مصنفات عند جميع الأمم، من الأمم السابقة لأمة الإسلام، وفي أمة الإسلام أيضاً لأنها فراسة خَلْقِيَّةْ، ويقولون: إنَّهُ ثَمَّ ترابط ما بين الخَلْقْ والخُلُقْ.

ومن الأئمة الذين اعتنوا بهذا الباب وتَعَلَّمُوهُ الشافعي رحمه الله وصَنَّفَ طائفة من أصحاب الشافعي في الفِراسة مصنفات الفراسة الخَلقية.

المقصود من ذلك أَنَّ الفراسة -وهي النوع الأول الفراسة الإيمانية-، ليست من الكرامة لأنها أقرب ما تكون إلى الإلهام، والإلهام قد يكون خارقاً للعادة وقد لا يكون.

فجنس الفراسة الإيمانية ليست من جنس الكرامات، وقد يكون من أنواع الفراسة ما يكون فيه خرق للعادة فيكون كالعلوم والمُكَاشَفَات التي يُجريها الله - عز وجل - على يد أوليائه. [1]

---

[1] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للعلامة صالح آل الشيخ 1/ 683

الفصل العشر :

ذكر بعض الأديان الباطلة

1/ المجوس :

طائفة من البشر في بلاد فارس، يعبدون النيران ويقولون: إن هذا الكون له خالقان، النور والظلمة، فالنور خلق الخير، والظلمة خلقت الشر، ولهذا سُمُّوا بالثانوية. وهذا شرك في الربوبية.

وفي مذهبهم: جواز نكاح المحارم، ومن مذهبهم: الاشتراك في الأموال والزوجات، فلا يرون لأحد تملكاً خاصاً فيشتركون في النساء، ويشتركون في الأموال، وعليه الشيوعية في الوقت الحاضر والاشتراكية.

وهذا مذهب باطل مناقض للأديان والفطر، فخالق الكون واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ة ولم يكن له كفواً أحد. وقد أباح الملكية الفردية، وحرم نكاح المحارم. [1]

2/ اليهودية :

اليهودية ديانة اليهود الذين يزعمون الانتساب إلى بني إسرائيل، وقد زعموا زوراً وبهتاناً أن ديانتهم هي ديانة موسى عليه السلام، والحق أن رسالة موسى عليه السلام رسالة سماوية هي الإسلام، كما قال تعالى: {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} يونس (84) ، وقال سحرة فرعون بعد إيمانهم: {ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين} الأعراف (126) .

إلاَّ أنَّ اليهود بعد حرفوا تلك الديانة، وعبثوا فيها وفق أهوائهم وأغراضهم، مما جعلها بدل أن تهدي إلى الحق والرشاد وما فيه الفلاح والنجاح أصبحت تدعوا إلى الباطل من الاعتقاد وتنكب طريق الرشاد، بل أصبح من العسير التعرف على الحق الصريح من خلالها. [2]

---

[1] شرح مسائل الجاهلية للعلامة الفوزان 152

[2] دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للشيخ سعود بن عبد العزيز الخلف 41

فتكونت لديهم عقيدة منحرفة جعلتهم يقولون في الله قولاً عظيماً، ومن ذلك ما ذكره الله عز وجل في القرآن الكريم من قوله عز وجل {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ... } المائدة آية (64) .

وقال عز وجل {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ} آل عمران آية (181) .

فهذا الكفر والوقاحة من اليهود أثر من آثار تحريفهم لكتابهم حيث تضمن كتابهم المسمى " التوراة " وكذلك الكتب الملحقة به كثيراً من الصفات التي لا يصح ولا يليق وصف الله عز وجل بها، وهي من أدل الأدلة على التحريف[1]

من يقرأ التوراة والكتب الملحقة بها يجد أن أنبياء الله والموكلين بهداية الناس وتعليمهم الهدى والخير لا يتمتعون بصفات الصالحين والأتقياء، بل يجد أن العهد القديم ينسب إليهم كثيراً من المخازي والقبائح التي يتنزه عنها كثير من الناس العاديين. فكيف يليق أن ينسب شيء من ذلك إلى الأنبياء الذين قد اصطفاهم الله وخصهم بهذه المهمة العظيمة وهي تبليغ دينه والذين هم قدوة للصالحين وأئمة في البر والتقى.

ومما لاشك فيه أن الأنبياء عليهم السلام أكمل الناس ديناً وورعاً وتقوى، وأن الله اصطفاهم ورعاهم وكملهم وحفظهم وعصمهم من القبائح والرذائل، هذه حقيقتهم بلا مراء ولا تردد، وما أضافه اليهود إليهم مما لا يليق نسبته إليهم هو محض إفتراء وكذب، ودليل واضح على تحريفهم لكتبهم لأغراض في نفوسهم، غير مراعين حرمة لمقام النبوة، ولا لما جبل الله عليه أولئك الأنبياء عليهم السلام من الكمال البشري في خلْقهم وخُلقهِم.

---

[1] دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للشيخ سعود بن عبد العزيز الخلف 103

وإليك الأمثلة الدالة على تحريف اليهود لكتابهم بطعنهم في أنبياء الله عز وجل ووصفهم بالصفات التي لا يجوز بحال نسبتها إليهم فمن ذلك قولهم ... أن نوحاً عليه السلام، شرب الخمر وتعرى داخل خبائه وفي هذا قالوا في سفر التكوين (20/9) "وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر وتعرى داخل خبائه".[1]

كانت عقيدة بني إسرائيل وذلك حين كانت تستمد تشريعها من السماء هي الإيمان باليوم الآخر وأنه دار الجزاء وقد أثبت الله ذلك عنهم في عدة آيات من القرآن الكريم قال عز وجل في خطابه لموسى عليه السلام {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى} طه ... إلا أنّ اليهود انحرفوا عن هذا الاعتقاد بانحرافهم عن دين الله عز وجل، وقد سجل الله عليهم هذه الانحرافات، وعابهم عليها، وكذبهم فيها. فقال عز من قائل: {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} البقرة آية (80)،

وزعموا أن الجنة لهم وحدهم، وكذبهم الله بذلك قال عز وجل: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} البقرة آية (111).

هذا ما حكاه الله عز وجل عن صالحيهم وفاسقيهم من ناحية الإيمان بالبعث والجنة والنار.

أما كتابهم التوراة: فقد خلا تماماً من ذكر الجنة والنار والبعث والنشور، وكذلك سائر الكتب الملحقة فيه إلا نزراً يسيراً.[2]

---

[1] دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للشيخ سعود بن عبد العزيز الخلف 108

[2] دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للشيخ سعود بن عبد العزيز الخلف 117

3/ النصرانية :

النصرانية هي دين من ينتمون في الأصل إلى عيسى عليه السلام وكانت رسالته من ضمن الرسالات السماوية الخاصة ببني إسرائيل إلا أن النصارى غيَّروا ديانته وبدلوها حتى صار من العسير جداً إمكانية عزو شيء منها إلى المسيح عليه السلام بل إنها تحولت من ديانة توحيدية إلى ديانة شركية تدعى التوحيد وتتستر به .[1]

وقد كان ابتداء تحريفها من دخول بولس (شاؤول اليهودي) هذه الديانة بعد رفع المسيح عليه السلام ...

وهذه الديانة المحرفة لم تقرر على ما هي عليه في الوقت الحاضر إلا بعد انصرام ما يقارب خمسة قرون من رفع المسيح عليه السلام، حيث أصبحت تقوم على ثلاثة أسس هي:

1) التثليث. 2) الصلب والفداء. 3) محاسبة المسيح للناس.[2]

- النصارى بعد المسيح بدلوا وغيروا ديانته في العقيدة والشريعة فألغى "بولس" الناموس أو شريعة موسى، وأبطل العمل بها، بل إعتبر العمل بها لا ينجى الإنسان بل يهيئه للعنه. وفي هذا يقول في رسالته لأهل غلاطية (16/2) "إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس ... لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما".

وفي (10/3) يقول: "لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به".

لهذا إنقطعت صلة النصارى بالعبادات والشرائع الموجودة في العهد القديم. وصارت عندهم عبادات وشعائر مختلفة [3]

---

[1] دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للشيخ سعود بن عبد العزيز الخلف 159

[2] دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للشيخ سعود بن عبد العزيز الخلف 267

[3] دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للشيخ سعود بن عبد العزيز الخلف 339

4/ البوذية : لاتكاد الأفكار البوذية تخرج في الجملة عن أفكار الهندوس فهم يقولون بالكارما وبتناسخ الأرواح ويسعون للقضاء على الرغبات والتوقف عن الخير والشر تخلصا من الكارما ومن تكرار المولد ويرون أن التسول من أبرز أمارات البوذيين غير أن بوذا لايقرر عقائد ولايؤسس مذاهب فلسفية بل يقرر أن العقائد قد تكون حاجزا دون الوصول إلى المعرفة والإشراق [1]

حركة الماسونية :

الماسونية هي جمعية سرية سياسية تهدف إلى القضاء على الأديان والأخلاق الفاضلة وإحلال القوانين الوضعية والنظم غير الدينية محلها، وتسعى جهدها في إحداث انقلابات مستمرة وإحلال سلطة مكان أخرى بدعوى حرية الفكر والرأي والعقيدة. ويؤيد ذلك ما أعلنه الماسوني ... في مؤتمر الطلاب الذي انعقد في 1865م في مدينة لييج التي تعتبر أحد المراكز الماسونية من قوله: يجب أن يتغلب الإنسان على الإله، وأن يعلن الحرب عليه، وأن يخرق السماوات ويمزقها كالأوراق. ويؤيده ما ذكر في المحفل الماسوني الأكبر سنة 1922م صفحة 98 ونصه: سوف نقوي حرية الضمير في الأفراد بكل ما أوتينا من طاقة، وسوف نعلنها حربا شعواء على العدو الحقيقي للبشرية الذي هو الدين.

ويؤيده أيضا قول الماسونيين: إن الماسونية تتخذ من النفس الإنسانية معبودا لها، وقولهم: إنا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم، إنما غايتنا الأساسية إبادتهم من الوجود. مضابط المؤتمر الماسوني العالمي سنة 1903م صفحة 102، وقولهم: ستحل الماسونية محل الأديان وأن محافلها ستحل محل المعابد ... إلى غير هذا مما فيه شدة عداوتهم للأديان وحربهم لها حربا شعواء لا هوادة فيها. والجمعيات الماسونية من أقدم الجمعيات السرية التي لا تزال قائمة ولا

[1] الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة للشيخ عبد القادر شيبة الحمد 74

يزال منشؤها غامضا وغايتها غامضة على كثير من الناس، بل لا تزال غامضة على كثير من أعضائها. لإحكام رؤسائها ما بيتوا من مكر سيئ وخداع دفين ولشدة حرصهم على كتمان ما أبرموه من تخطيط، وما قصدوا إليه من نتائج وغايات، ولذا يدبر أكثر أمورها شفويا. وإن أريد كتابة فكرة أو إذاعتها عرضت قبل ذلك على الرقابة الماسونية لتقرها أو تمنعها. وقد وضعت أسس الماسونية على نظريات فأخذت من مصادر عدة، أكثرها التقاليد اليهودية، ويؤيد ذلك أن النظم والتعاليم اليهودية هي التي اتخذت أساسا لإنشاء المحفل الأكبر سنة 1717م ولوضع رسومه ورموزه، وأن الماسونيين لا يزالون يقدسون حيرام اليهودي، ويقدسون الهيكل والمعبد الذي شيده حتى اتخذوا منه نماذج للمحافل الماسونية في العالم، وأن كبار الأساتذة من اليهود لا يزالون العمود الفقري للماسونية، وهم الذين يمثلون الجمعيات اليهودية في المحافل الماسونية، وإليهم يرجع انتشار الماسونية والتعاون بين الماسونيين في العالم، وهم القوة الكامنة وراء الماسونية وإلى خواصهم تسند قيادة خلاياها السرية يدبرون أمرها ويرسمون الخطط لها ويوجهونها سرا كما يشاءون، ويؤيد ذلك ما جاء في مجلة (أكاسيا) الماسونية سنة 1908م عدد 66 من أنه لا يوجد محفل ماسوني خال من اليهود، وأن جميع اليهود لا تحتضن المذاهب، بل هناك المبادئ فقط وكذلك الحال عند الماسونية؛ ولهذه العلة تعتبر المعابد اليهودية خليفتنا، ولذا نجد بين الماسونيين عددا كبيرا من اليهود. اهـ.

ويؤيد أيضا ما ذكر في سجلات الماسونية من قولهم: لقد تيقن اليهود أن خير وسيلة لهدم الأديان هي الماسونية، وأن تاريخ الماسونية يشابه تاريخ اليهود في الاعتقاد ... وأن شعارهم هو نجمة داود المسدسة، ويعتبر اليهود والماسونيون أنفسهم معا الأبناء الروحيين لبناة هيكل سليمان، وأن الماسونية التي تزيف الأديان الأخرى تفتح الباب على مصراعيه لإعلاء اليهودية وأنصارها، وقد استفاد اليهود من بساطة الشعوب وحسن نيتها، فدخلوا في الماسونية، واحتلوا

فيها المراكز الممتازة، وبذلك نفثوا الروح اليهودية في المحافل الماسونية وسخروها لأغراضهم. اهـ.

ومما يدل على شدة حرصهم على سريتها وبذلهم الجهد في كتمان ما يخططون لهدم الأديان، وتبييتهم المكر السيئ لإحداث الانقلابات السياسية ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون من قولهم: وسوف نركز هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا، وستتألف هذه القيادة من علمائنا وسيكون لهذه الخلايا ممثلوها الخصوصيون، كي تحجب المكان الذي تقيم فيه قيادتنا حقيقة، وسيكون لهذه القيادة وحدها الحق في تعيين من يتكلم، وفي رسم نظام اليوم، وفي هذه الخلايا سنضع الحبائل والمصايد لكل الاشتراكيين وطبقات المجتمع الثورية [وإن معظم الخطط السياسية السرية معروفة لنا وسنهديها إلى تنفيذها حالما تتشكل] ، ولكن الوكلاء في البوليس الدولي السري تقريبا سيكونوا أعضاء في هذه الخلايا ... وحينما تبدأ المؤامرات خلال العالم فإن بدأها يعني أن واحدا من أشد وكلائنا إخلاصا يقوم على رأس هذه المؤامرات وليس إلا طبيعيا أننا كنا الشعب الوحيد الذي يوجه المشروعات الماسونية ونحن الشعب الوحيد الذي يعرف أن يوجهها ونعرف الهدف الأخير لكل عمل على حين أن الأمميين -أي: غير اليهود - جاهلون بمعظم الأشياء الخاصة بالماسونية، ولا يستطيعون حتى رؤية النتائج العاجلة لما هم فاعلون ... إلى غير ذلك مما يدل على قوة الصلة بين اليهودية والماسونية، ومزيد التعاون بين الطائفتين في المؤامرات الثورية وإحداث الحركات الهدامة، وعلى أن الماسونية في ظاهرها دعوة إلى الحرية في العقيدة والتسامح في الرأي، والإصلاح العام للمجتمعات، ولكنها في حقيقتها ودخيلة أمرها دعوة إلى الإباحية والانحلال وعوامل هرج ومرج وتفكك في المجتمعات، وانفصام لعرى الأمم ومعاول هدم وتقويض لصرح الشرائع ومكارم الأخلاق وإفساد وتخريب العمران.

وعلى هذا فمن كان من المسلمين عضوا في جماعة الماسونية وهو على بينة من أمرها، ومعرفة بحقيقتها ودفين أسرارها، أو أقام مراسمها وعني بشعائرها كذلك فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل وإن مات على ذلك فجزاؤه جزاء الكافرين، ومن انتسب إلى الماسونية وكان عضوا في جماعتها وهو لا يدري عن حقيقتها ولا يعلم ما قامت عليه من كيد للإسلام والمسلمين وتبييت الشر لكل من يسعى لجمع الشمل وإصلاح الأمم، وشاركهم في الدعوة العامة، والكلمات المعسولة التي لا تتنافى حسب ظاهرها مع الإسلام فليس بكافر، بل هو معذور في الجملة لخفاء واقعهم عليه، ولأنه لم يشاركهم في أصول عقائدهم ولا في مقاصدهم ورسم الطريق لما يصل بهم إلى غاياتهم الممقوتة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى (1) ﴾ . . . الحديث لكن يجب عليه أن يتبرأ منهم إذا تبين له أمرهم ويكشف للناس عن حقيقتهم ويبذل جهده في نشر أسرارهم وما بيتوا للمسلمين من كيد وبلاء ليكون ذلك فضيحة لهم ولتحبط به أعمالهم.

وينبغي للمسلم أن يحتاط لنفسه في اختيار من يتعاون معه في شئون دينه ودنياه، وأن يكون بعيد النظر في اصطفاء الأخلاء والأصدقاء حتى يسلم من مغبة الدعايات الخلابة وسوء عاقبة الكلمات المعسولة، ولا يقع في حبائل أهل الشرك ولا في شباكهم التي نصبوها للأغرار وأرباب الهوى وضعاف العقول. [1]

[1] فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى 2/438

الفصل الحادي عشر :

ذكر بعض طوائف

أهل البدع والمناهج

المنحرفة

1- الشيعة :

هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص ، وقالوا: بإمامته وخلافته ، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج عن أولاده. والشيعة فرق شتى. [1]

2- الرافضة :

الرفض لغة الترك ، وهم فرقة من فرق الشيعة ، وسموا بالرافضة لرفضهم زيد بن علي لكونه تولّى أبا بكر وعمر. ومن أقوالهم:

- أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء ، وأنه سوف يرجع في آخر الزمان.

- أن جبريل عليه السلام غلط بالوحي إلى محمد.

- أن القرآن قد بُدِّل وغُيّر.

- تكفيرهم للصحابة أو أكثرهم. [2]

وهم فرق شتى فمنهم الغلاة الذين ادعوا أن عليًا إله ومنهم دون ذلك .

وأول ما ظهرت بدعتهم في خلافة علي بن أبي طالب حين قال له عبد الله بن سبأ: أنت الإله، فأمر علي -رضي الله عنه- بإحراقهم وهرب زعيمهم عبد الله بن سبأ إلى المدائن.

ومذهبهم في الصفات مختلف، فمنهم المشبه ومنهم المعطل ومنهم المعتدل، وسموا رافضة؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين سألوه عن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما- فترحم عليهما فرفضوه وأبعدوا عنه. وسموا أنفسهم شيعة؛ لأنهم يزعمون أنهم يتشيعون لآل البيت وينتصرون لهم ويطالبون بحقهم في الإمامة. [3]

---

[1] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 40

[2] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 41

[3] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 161

3- النواصب :

يقال: نَصَبَ فلان الفلان نصبًا ، إذا عاداه.

فالنواصب اصطلاح يطلق ويراد به من نصب العداوة على آل البيت ، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب

ومن مقالاتهم:

- تفسيقهم لعلي بن أبي طالب و الا الله ، ورميه بالظلم وطلب الدنيا.

- قولهم في الحسين بن علي الله: أنه خارجي ، وإنه يجوز قتله[1]

4- الزيدية :

وهم من فرق الشيعة [2]

هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومن مقالته: إن الإمامة تنعقد للمفضول مع وجود الفاضل للمصلحة في ذلك.

ومن أجل هذا رأى انعقاد الخلافة لأبي بكر وعمر مع أن عليا أفضل منهما عقيدة، وكان لا يتبرأ منهما، ولما بلغ شيعة الكوفة عنه أنه لا يتبرأ منهما رفضوه، فسموا رافضة، ومن مذهبه: سوق الإمامة في أولاد فاطمة: الحسن، والحسين، وأولادهما، وجواز خروج إمامين في قطرين على أن يكون كل منهما من أولاد فاطمة. ويتحلى بالعلم، والزهد، والكرم، والشجاعة.

وقد عاب عليه أخوه محمد الباقر أخذه العلم عن واصل بن عطاء الغزال من أجل أنه كان يجوز على جدهما عليّ الخطأ في قتال الخارجين عليه.

كما عاب عليه: رأيه بأن الخروج شرط في كون الإمام إمامًا، وكان يذهب في القدر إلى مذهب القدرية، وبذلك نعرف السر في أن أتباع زيد كلهم معتزلة. وقد خرج زيد على هشام بن عبد

---

[1] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 40

[2] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 41

الملك أيام خلافته، وبويع له بالخلافة، فقتل، وصلب بكناسة الكوفة عام 121 هـ. وكان ابنه يحيى إمامًا بعده أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك. وذهب إلى خراسان، فبعث إليه أميرها نصر بن سيار، سلم بن أحوز، فقتله عام 125 هـ، ثم انحرفت الزيدية بعد عن القول بصحة إمامة المفضول، وطعنوا في الصحابة، كالإمامية.

ومما أجمعت عليه الزيدية: تخليد من ارتكب كبيرة من المؤمنين في النار، وتصويب علي، وتخطئة مخالفه، وتصويبه في التحكيم، وإنما أخطأ الحكمان، ويرون السيف والخروج على أئمة الجور، وإنه لا يصلى خلف فاسق.

وقد افترقت الزيدية ثلاث فرق: جارودية، وسليمانية، وبترية. [1]

5- الجهمية :

نسبة إلى الجهم بن صفوان الذي قتله سالم أو سلم بن أحوز سنة 121هـ

مذهبهم في الصفات التعطيل والنفي، وفي القدر القول بالجبر، وفي الإيمان القول بالإرجاء، وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب وليس القول والعمل من الإيمان، ففاعل الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان، فهم معطلة جبرية مرجئة وهم فرق كثيرة. [2]

6- الخوارج :

اسم الخوارج يطلق على كل من خرج على الإمام الحق ، لكن إذا أطلق هذا اللقب فيراد به الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ومن مقالات هؤلاء:- نفي الأسماء والصفات [3]

---

[1] مذكرة التوحيد للعلامة عبد الرزاق عفيفي 131

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 162

[3] تنبيه: هذا المعتقد إنما هو عند متأخري الخوارج ليس عند متقدميهم / الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 40

- تكفير أصحاب الكبائر وتخليدهم في النار.

- تكفيرهم لبعض صحابة رسول الله. [1]

- الخروج بنقسم إلى قسمين :

أ- خروج بالفعل والقتال.

ب- وخروج بالقول والتأنيب والإثارة على ذلك الإمام. [2]

7- الإباضية :

هم أتباع عبد الله بن أباض التميمي، ونسبت إليه

- الأباضية بين فرق الخوارج : يدعي الأباضيون أنهم ليسوا خوارج، وينفون عن أنفسهم هذه النسبة، والحقيقة أنهم ليسوا من غلاة الخوارج كالأزارقة، مثلاً، لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة منها:

1 - أن عبد الله بن إباض يعتبر نفسه امتداداً للمحكمة الأولى من الخوارج.

2 - كما يتفقون مع الخوارج في تعطيل الصفات.

3 - والقول بخلق القرآن.

4 - وتجويز الخروج على أئمة الجور [3]

8- القدرية :

وَهُم الذين يقولون بنفي القدر عن أفعال العبد وأن العبد إرادة وقدرة مستقلين عن إرادة الله وقدرته، وأول من أظهر القول به معبد الجهني في أواخر عصر الصحابة، تلقاه عن رجل

---

[1] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 40

[2] شرح أصول السنة للعلامة أحمد النجمي 91

[3] منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين للشيخ أحمد بن علي الزاملي عسيري 631

مجوسي في البصرة، وهما فرقتان غلاة وغير غلاة فالغلاة ينكرون علم الله وإرادته وقدرته وخلقه لأفعال العبد وهؤلاء انقرضوا أو كادوا، وغير الغلاة يؤمنون بأن الله عالم بأفعال العباد لكن ينكرون وقوعها بإرادة الله وقدرته وخلقه وهو الذي استقر عليه مذهبهم.[1]

9- المرجئة :

وهم الذين يقولون بإرجاء العمل عن الإيمان، أي تأخيره عنه، فليس العمل عندهم من الإيمان، والإيمان مجرد الإقرار بالقلب، فالفاسق عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن فعل ما فعل من المعاصي أو ترك ما ترك من الطاعات وإذا حكمنا بكفر من ترك بعض شرائع الدين فذلك لعدم الإقرار بقلبه لا لترك هذا العمل، وهذا مذهب الجهمية وهو مع مذهب الخوارج على طرفي نقيض.[2]

- المرجئة أربع فرق :

فليس كما تقوله الحنفية : قول باللسان واعتقاد بالجنان فقط.

وليس كما تقوله الكرامية: قول باللسان فقط.

وليس كما تقوله الأشاعرة: اعتقاد القلب فقط.

وليس كما تقوله الجهمية: هو المعرفة بالقلب فقط.

فالمرجئة أربع طوائف، أبعدها الجهمية، وعلى قولهم يكون فرعون مؤمناً؛ لأنه عارف، وإبليس يكون مؤمناً؛ لأنه عارف بقلبه.

وعلى قول الأشاعرة: إنه التصديق بالقلب، يكون أبو لهب وأبو طالب وأبو جهل وسائر المشركين يكونون مؤمنين؛ لأنهم موقنون بقلوبهم ومصدقون، يصدقون النبي صلى الله عليه وسلم في قلوبهم، ولكن منعهم الكبر والحسد من اتباعه صلى الله عليه وسلم .

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 162

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 162

واليهود يعترفون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلوبهم، ولكن الحسد والكبر: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) [البقرة:146]، وقال في المشركين: (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) [الأنعام:33]، فمعنى (لا يكذبونك) أي أنهم يصدقونك.

وأبو طالب يقول:

ولقد علمت أن دين محمد　　من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبةٍ　　لرأيتني سمحاً بذاك مبينا [1]

10- المعتزلة:

أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري وقرر أن الفاسق في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر وهو مخلد في النار وتابعه في ذلك عمرو بن عبيد، ومذهبهم في الصفات التعطيل كالجهمية، وفي القدر قدرية ينكرون تعلق قضاء الله وقدره بأفعال العبد، وفي فاعل الكبيرة أنه مخلد في النار وخارج من الإيمان في منزلة بين منزلتين، الإيمان والكفر، وهم عكس الجهمية في هذين الأصلين. [2]

- أصول المعتزلة خمسة:

الأول: التوحيد، ومعناه: نفي الصفات، ويرون من يثبت الصفات فهو مشرك.

الثاني: العدل، ومعناه: نفي القدر، فيقولون: إن إثبات القدر جور وظلم، ويجب العدل على الله.

الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويريدون به الخروج على أئمة المسلمين إن كان عندهم معاصٍ دون الكفر. وهذا هو المنكر بنفسه، وليس من المعروف في شيء.

---

[1] التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية للعلامة صالح الفوزان 146

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 163

الرابع: المنزلة بين المنزلتين، وهو الحكم على أصحاب الكبائر بالخروج من الإسلام، وعدم الدخول في الكفر، وأما الخوارج فيحكمون عليه بالكفر.

الخامس : إنفاذ الوعيد، ومعناه، أن من مات على معصية وهي كبيرة من الكبائر دون الشرك، فهو خالد مخلد في النار، فهم يوافقون الخوارج في مصيره في الآخرة، ويخالفون الخوارج في أنه في منزلة بين المنزلتين، وألّف فيها القاضي عبد الجبار –من أئمتهم- كتاباً سماه: شرح الأصول الخمسة.[1]

11- الكرامية :

أتباع محمد بن كرام المتوفى سنة 255هـ، يميلون إلى التشبيه والقول[2] بأن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط.[3]

12- السالمة :

أتباع رجل يقال له ابن سالم يقولون بالتشبيه...[4]

13- الأشاعرة :

أتباع الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، كان في أول أمره يميل إلى الاعتزال حتى بلغ الأربعين من عمره ثم أعلن توبته من ذلك وبين بطلان مذهب المعتزلة وتمسك بمذهب أهل السنة – رحمه الله– أما من ينتسبون إليه فبقوا على مذهب خاص يعرف بمذهب الأشعرية، لا يثبتون من الصفات إلا سبعًا زعموا أن العقل دل عليها، ويؤولون ما عداها وهي المذكورة في هذا البيت:

---

[1] التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية للعلامة صالح الفوزان 170

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 163

[3] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 39

[4] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 163

حي عليم قدير والكلام له ... إرادة وكذلك السمع والبصر

ولهم بدع أخرى : [1]

- القول بالقدر كما قالت الجهمية.

- القول بخلق القرآن.

- وكذا قولهم في الإيمان كقول الجهمية [2]

- عقيدة أبو الحسن الاشعري :

أبو الحسن الاشعري رحمه الله كان له في حياته ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول مذهب المعتزلة وظل على المذهب نحو أربعين سنة

والمذهب الثاني مذهب الأشاعرة وهو المذهب الذي بين أهل السنة ومذهب المعتزلة وهذا المذهب هو الذي بقي عليه أصحابه المنتسبون إليه

والمذهب الثالث مذهب أهل السنة الذي التزم فيه مذهب الإمام أحمد رحمه الله

وبهذا نعلم أن الأشاعرة لاتصح نسبتهم إلى أبي الحسن الأشعري بعد أن ثبت رجوعه عما كان عليه

وهؤلاء الأشاعرة يقولون نثبت الأسماء ونثبت بعض الصفات وأما الباقي فلا نثبته [3]

- تنبيه :

إذا قال قائل: قد عرفنا بطلان مذهب أهل التأويل في باب الصفات، ومن المعلوم أن الأشاعرة من أهل التأويل لأكثر الصفات، فكيف يكون مذهبهم باطلاً، وقد قيل إنهم يمثلون اليوم خمسة وتسعين بالمائة من المسلمين؟.

---

[1] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 163

[2] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 37

[3] شرح القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين 207

وكيف يكون باطلاً وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري؟.

وكيف يكون باطلاً وفيهم فلان وفلان من العلماء المعروفين بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم؟.

قلنا: **الجواب عن السؤال الأول**: أننا لا نسلم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنسبة لسائر فرق المسلمين، فإن هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق.

ثم لو سلمنا أنهم بهذا القدر أو أكثر فإنه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ، لأن العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر.

ثم نقول: إن إجماع المسلمين قديما ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التأويل، فإن السلف الصالح من صدر هذه الأمة، وهم الصحابة الذين هم خير القرون والتابعون لهم بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم، كانوا مجمعين على إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات، وإجراء النصوص على ظاهرها اللائق بالله تعالى، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهم خير القرون بنص الرسول صلى الله عليه وسلم، وإجماعهم حجة ملزمة، لأنه مقتضى الكتاب والسنة، وقد سبق نقل الإجماع عنهم في القاعدة الرابعة من قواعد نصوص الصفات.

والجواب عن السؤال الثاني: أن أبا الحسن الأشعري وغيره من أئمة المسلمين لا يدعون لأنفسهم العصمة من الخطأ، بل لم ينالوا الإمامة في الدين إلا حين عرفوا قدر أنفسهم، ونزّلوها منزلتها، وكان في قلوبهم من تعظيم الكتاب والسنة ما استحقوا به أن يكونوا أئمة، قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} ، وقال عن إبراهيم: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} .

ثم إن هؤلاء المتأخرين الذين ينتسبون إليه لم يقتدوا به الإقتداء الذي ينبغي أن يكونوا عليه، وذلك أن أبا الحسن كان له مراحل ثلاث في العقيدة ...

والأشعري أبو الحسن رحمه الله كان في آخر عمره على مذهب أهل السنة والحديث، وهو إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

ومذهب الإنسان ما قاله أخيرًا إذا صرح بحصر قوله فيه، كما هي الحال في أبي الحسن، كما يعلم من كلامه في "الإبانة".

وعلى هذا: فتمام تقليده اتباع ما كان عليه أخيرًا، وهو التزام مذهب أهل الحديث والسنة، لأنه المذهب الصحيح الواجب الاتباع، الذي التزم به أبو الحسن نفسه.

والجواب عن السؤال الثالث من وجهين :

الأول: أن الحق لا يوزن بالرجال، وإنما يوزن الرجال بالحق. هذا هو الميزان الصحيح، وإن كان لمقام الرجال ومراتبهم أثر في قبول أقوالهم، كما نقبل خبر العدل، ونتوقف في خبر الفاسق، لكن ليس هذا هو الميزان في كل حال، فإن الإنسان بشر، يفوته من كمال العلم وقوة الفهم ما يفوته، فقد يكون الرجل دينا وذا خلق، ولكن يكون ناقص العلم أو ضعيف الفهم، فيفوته من الصواب بقدر ما حصل له من النقص والضعف، أو يكون قد نشأ على طريق معين، أو مذهب معين، لا يكاد يعرف غيره، فيظن أن الصواب منحصر فيه، ونحو ذلك.

الثاني: أننا إذا قابلنا الرجال الذين على طريق الأشاعرة بالرجال الذين هم على طريق السلف، وجدنا في هذه الطريق من هم أجل وأعظم وأهدى وأقوم من الذين على طريق الأشاعرة، فالأئمة الأربعة أصحاب المذهب المتبوعة ليسوا على طريق الأشاعرة.

وإذا ارتقيت إلى من فوقهم من التابعين لم تجدهم على طريق الأشاعرة.

وإذا علوت إلى عصر الصحابة والخلفاء الأربعة الراشدين لم تجد فيهم من حذا حذو الأشاعرة في أسماء الله تعالى وصفاته، وغيرهما مما خرج به الأشاعرة عن طريق السلف.

ونحن لا ننكر أن لبعض العلماء المنتسبين إلى الأشعري قدم صدق في الإسلام، والذب عنه، والعناية بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم رواية ودراية، والحرص على نفع المسلمين وهدايتهم، ولكن هذا لا يستلزم عصمتهم من الخطأ فيما أخطئوا فيه، ولا قبول قولهم في كل ما قالوه، ولا يمنع من بيان خطئهم ورده، لما في ذلك من بيان الحق وهداية الخلق.

ولا ننكر أيضا أن لبعضهم قصدًا حسنا فيما ذهب إليه، وخفي عليه الحق فيه، ولكن لا يكفي لقبول القول حسن قصد قائله، بل لا بد أن يكون موافقا لشريعة الله عز وجل، فإن كان مخالفا لها وجب رده على قائله كائنا من كان، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد".

ثم إن كان قائله معروفا بالنصيحة والصدق في طلب الحق، اعتذر عنه في هذه المخالفة، وإلا عومل بما يستحقه بسوء قصده ومخالفته [1] .[1]

---

[1] إذا كان هذا القائلُ الذي خرجَ عن جهةِ الصوابِ معروفًا بالنصيحةِ والصِدقِ في طلبِ الحقِ؛ فإننا نعتذِرُ عنه ولانَكْرَهُهُ على ما قال ولانُبغِضُهُ ؛بل نقولُ:هذا رجلٌ بشرٌ يجوزُ عليه ما يجوزُ على البشرِ من الخطأِ ونعتذِرُ ونسألُ اللهَ له العفوَ والمغفِرة ؛أمَّا إذاكانَ غير معروفٍ بالنصيحةِ بل هو داعية إلى البدعةِ مُصِرٌّ عليها لايقبلُ نصيحة من ناصِح فإننا نُعامِلَهُ بما يستحِقُ لسوءِ قصدِهِ ومخالفتِهِ. لأن هذا الرجلَ تبيَّن لنا فيهِ أمران:المُخالفة والثاني سوءُ القصدِ فنعامله بما يستحقُ. إذا كان لنا سُلطة فإننا نُردِعهُ بالقوةِ السلطانيةِ أن يمضي في بدعتِهِ أما إذا لم يكن لنا سُلطة فباللسانِ والقلمِ نُبيِّنَ أنَّ هذا خطأٌ مجانبٌ للصوابِ./ شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة ابن عثيمين 351

- نستدِلُ على سوءِ القصدِ ... القرائن ؛مثل أن نعرفَ أنَّ هذا الرجلَ رقيقُ الدين،ماعندَهُ دينٌ،مانجدَهُ مُحافِظًا على الصلواتِ ولا كثيرَ الصدقاتِ ولامُحِبًا لأهلِ الخيرِ؛نعرفُ هذا سيئَ القصدِ،ولاعلمنا أنهُ قام يومًا من الأيامِ ينصُرُ الحقِ أو يتكلمُ به.فهذا لاشكَ يعني قد تكونُ هذه القرائنُ براهينَ على أنه سيئَ القصدِ ؛ولهذا قال اللهُ تعالى "وَلَوْ

14- الماتريدية :

نسبة إلى منصور الماتريدي محمد بن محمد بن محمود ومذهب هؤلاء متقارب مع مذهب الأشاعرة لكن اختلفوا معهم في مسائل منها :

- إضافة صفة ثامنة بالإضافة إلى السبع التي تثبتها الأشاعرة ، وهي صفة (التكوين) [2]

- الأشاعرة والمعتزلة والكلابية والكرامية والجهمية ، وغيرهم يطلق عليهم أهل الكلام . [3]

15- الفلاسفة :

الفلسفة كلمة يونانية أصلها (فيلاسوفيا) بمعنى محبة الحكمة ، وهم طائفتان

الأولى: فلاسفة إلاهيون وهم الذين يبحثون في الشئون الإلهية.

الثانية: فلاسفة طبيعيون وهم الذين يبحثون في عالم الطبيعة ، وهذا القسم كفر.

فائدة: يقال لكل من أراد الجمع بين الدين والفلسفة: مُتَفَلسف. [4]

نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ".يعني جعلنا لهم سِمَةً:علامةً واضِحة" وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ" يُعرَفُ المُنافقُ والعياذ باللهِ يُعرفُ لايُمكن أن يقومَ يومًا من الأيامِ لنصرِ الحقَ بل يتسترُ وغاية ماهنا لكَ أنهُ يُدافِعُ هُجومَ الناسِ عليهِ فقط.أما أن يكونَ عندَهُ شيءٌ إيجابيٌ في نصرِ الحقِ ودحضِ الباطِلِ فهذا لا يمكنُ. فنحنُ نعرفُ سوءَ قصدِهِ بقرائنِ عمَلِهِ ؛وإلا فإننا في الحقيقةِ لم نُنَقِبْ ولايحلُ لنا أن نُنقِبَ عن قلوبِ الناسِ ؛لكن جَعَلَ اللهُ تعالى لكلِ شيءٍ قدرَهُ وعلى كل شيءٍ دليلَهُ. ./ شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة ابن عثيمين 352

[1] القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة ابن عثيمين 79

[2] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 38

[3] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 43

[4] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 42

- الفرق بين الفلاسفة وأهل الكلام من وجهين :

الأول: أن الفلاسفة يبحثون في الشئون الإلهية وغيرها ، أما المتكلمون فيبحثون في الشئون الإلهية فقط.

الثاني: أن أهل الكلام أقرب إلى الإسلام من الفلاسفة. [1]

16- الصوفية :

الصوفية كلمة قيل إنها مشتقة من الصفا وقيل إنها مشتقة من الصفوة وقيل إنها مشتقة من الصوف وهو الأقرب لأنهم كانوا إبان ظهورهم يرتدون الألبسة من الصوف تقشفاً وتزهداً والصوفية لها طرق متعددة تصل بهم أحياناً إلى الكفر الصريح حيث إنهم يصلون إلى القول بوحدة الوجود وأنهم لا يشاهدون إلا الرب ويعتقدون أن كل شيء مشاهد من آيات الله تبارك وتعالى فإنه هو الله ولا شك أن هذا كفر صريح ومنهم من يشذ عن الإسلام دون ذلك وهم على درجات متفاوتة [2]

- الصوفية كانت بداية للزهد ثم تطورت وصارت مذاهب شتَّى وطرائق قددا [3]

- الفرق بين الحلول والاتحاد :

الاتحادية تجعل الكون كله عبارة عن واحد

أما الحلولية فتثبت وجودين :

الأول: وجود الله (الحال).

الثاني: وجود المخلوق (المحل).

---

[1] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 43

[2] فتاوى نور على الدرب للعلامة ابن عثيمين 2/4

[3] منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين للشيخ أحمد بن علي الزاملي عسيري 697

فالاتحادية: أشد كفرًا من الحلولية ، صرح بهذا شيخ الإسلام رحمه الله.[1]

17- الإخوان المسلمون :

هم أتباع حسن البنا ، ومنهجهم عليه ملاحظات أهمها ما يلي:

1- التهاون في توحيد العبادة ؛ الذي هو أهم شيء في الإسلام ، ولا يصح إسلام عبد إلا به.

2- سكوتهم ، وإقرارهم للناس على الشرك الأكبر ؛ من الدعاء لغير الله ، والتطوف بالقبور ، والنذر لأصحابها ، والذبح على أسمائهم ، وما إلى ذلك.

3- إن هذا المنهج مؤسسه صوفي ، له علاقة في الصوفية ؛ حيث أخذ البيعة من عبد الوهاب الحصافي على طريقته الحصافية الشاذلية.

4- وجود البدع عندهم ، وتعبدهم بها بل إن مؤسس المنهج ، يقرر بأن النبي ﷺ يحضر مجالس ذكرهم ويغفر هم ما قد مضى من ذنوبهم ؛ في قوله:

صلى الإله الذي على النور الذي ظهر للعالمين ففاق الشمس والقمرا

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا وسامح الكل فيما قد مضى وجرا

5- دعوتهم إلى خلافة ، وهذا بدعة ، فإنّ الرسل وأتباعهم ما كلّفوا ؛ إلا بالدعوة إلى التوحيد ؛ قال تعالى: (ولقد بعثنا في كلّ أمةٍ رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [النحل آية ٣٦].

6- عدم الولاء والبراء عندهم ؛ أو ضعفه ، ويتبين ذلك ؛ من دعوتهم للتقريب بين السنة والشيعة وقول المؤسس " نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه " انتهى

7- كراهتهم لأهل التوحيد ، وأصحاب الطريقة السلفية ، وبعضهم لهم ، ويتين ذلك ؛ من كلامهم في الدولة السعودية ؛ التي قامت على التوحيد ، وتدرس التوحيد في مدارسها ،

[1] الشيخ ياسين العدني في مقدمته على تحقيقه لشرح الواسطية للهراس 43

ومعاهدها ، وجامعاتهل ومن قتلهم لجميل الرحمن الأفغاني ؛ لكونه يدعوا إلى التوحيد ، والذي عنده مدارس يدرس فيها التوحيد.

8- تبعهم عشرات الولاة ، والتنقيب عن مثالبهم ؛ سواءً كانت صدقاً ، أو كذباً ، ونشرها في الشباب الناشئ ليبغضوهم عندهم ، و ، وليملؤا قلوبهم. حقداً عليهم.

9- الحزبية الممقولة ؛ التي ينتمون إليها ، فيوالون من أجل هذا الحزب ، ويعادون من أجله.

10- أخذ البيعة على العمل للمنهج الإخواني بالشروط العشرة التي ذكرها المؤسس ، وهناك ملاحظات أخرى . [1]

11/ أنهم خواراج العصر : الإخوان المسلمون شيعة في مسألة الإمامة ومعتزلة في مسألة الرأيوخوارج في معاملة الحكام [2]

- أول من سن بدعة الخروج على الحكام في هذا العصر؛ هو: حسن البنا، وذلك عن طريق المظاهرات والانقلابات [3]

12/ الإخوان دولة داخل دولة : الإخوان المسلمون يكونون دولة في حجرة [4]

- القاعدة الذهبية عند الإخوان المسلمين :(نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه) :

هذه القاعدة الذهبية ليست قاعدة ذهبية ولا تستحق أن تكون قاعدة، بل ما اتفقنا فيه فهو من نعمة الله عز وجل، والاتفاق خير من الاختلاف، وما اختلفنا فيه فقد يعذر فيه المخالف وقد

---

[1] الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية للعلامة أحمد النجمي 51

[2] كتاب البشائر في السماع المباشر للشيخ مقبل الوادعي 68

[3] الشيخ محمد بن عبدالوهاب البنا في تقديمه لكتاب التفجيرات والأعمال الإرهابية والمظاهرات من منهج الخوارج والبغاة وليس من منهج السلف الصالح

[4] كتاب البشائر في السماع المباشر للشيخ مقبل الوادعي 66

لا يعذر، فإذا كان الاختلاف في أمر يسوغ فيه الاختلاف فهذا لا بأس به، ولا زال الأئمة يختلفون، فالإمام أحمد والشافعي ومالك وأبو حنيفة كلهم يختلفون، وأما إذا كان الخلاف لا يعذر فيه كالخلاف في العقائد، فإنه لا يعذر بعضنا بعضاً، بل الواجب الرجوع إلى ما دل عليه الكتاب والسنة، فعلى المرجئة وعلى الشيعة وعلى كل مبتدع أن يرجع إلى الكتاب والسنة ولا يعذر، فهذه القاعدة ليست قاعدة ذهبية، ولعلك تسميها قاعدة خشبية.

عرفت الآن الذي يسوغ فيه الاجتهاد، هذا لا بأس أن نسمح للمخالف، والذي لا يسوغ فيه الاجتهاد كمسائل العقائد التي يخالف فيها الإنسان السلف لا يمكن أن يعذروا. [1]

- الإخوان المسلمون ... خرجت منها جماعات وأحزاب :

- الإخوان البناؤون.
- الإخوان القطبيون.
- الإخوان السروريون.
- الإخوان جماعة شكري مصطفى.
- الإخوان جماعة سوريا.
- الإخوان جماة الترابي.

الإخوان ... وغيرهم كثر فهي أم الجماعات اليوم التي تنتسب إلى الإسلام. [2]

18- القطبيون :

هم قوم قرأوا مؤلفات سيد قطب ، وأخذوا ما فيها من حق وباطل ، فتجدهم يدافعون عن سيد إذا انتقده أحد ، ولو كان الحق مع المنتقد ، ومعلوم ؛ أن سيد قطب ليس من رجال العلم الديني والأصل أنه أديب ، ثم هو يأخذ بالمذهب الأشعري ؛ مذهب التأويل كغيره من علماء

---

[1] لقاء الباب المفتوح للعلامة ابن عثيمين 25/75

[2] صفحة الشيخ محمد بن عمر بازمول على الفايسبوك

مصر ، وعنده أخطاء فاحشة وفادحة ؛ قد تصدى لها رجال من أهل العلم ، فبينوها ، ولما ينوها ثارة عليهم ثائرة القطبيين ؛ بالنقد ، والكلام ، والتجريح ، فيهم فحسبنا الله ونعم الوكيل ، فالأصل أن الرجال يعرفون بالحق ، ولبس الحق يعرف بالرجال ، فيجب علينا أن نأخذ بالحق ، وأن ندين به الله رب العلمين ، وأن نترك كل من نهج منهجاً مبتدعاً ، ونجعل أسوتنا رسول الله وخلفائه ، وأصحابه والتابعين لهم من أئمة الهدى ، والله الموفق. [1]

19- السرورية :

قوم ؛ أو حزب ؛ ينتمون إلى محمد سرور زين العابدين ، وهم عندهم شيء مـن وشيء من البدعة ؛ وأهم الملاحظات عليهم:

1- أنهم يقدحون في الولاة ، ويتكلمون فيهم ؛ بما ينتج عنه شرّ ، وفتنة ، وخطورة ، والظاهر ؛ آنهم يكفرون الولاة ؛ لكن هذا إنما هو مأخوذ من لسان حالهم ، ولم يؤخذ من لسان مقالهم ؛ لأن الطريقة التي سلكوها ؛ هي طريقة الخوارج ؛ أو قريبة منها ؛ علماً بأن النصوص توجب السمع ، والطاعة لولاة الأمر ؛ وولاتنا في هذا البلد مسلمون ، والله الحمد يحكمون شرع الله في محاكمهم ، ويقيمون الحدود ، فتكفيرهم ؛ أو الكلام فيهم ؛ الذي يوجب الخروج عليهم ، ويوجب التمرد عليهم ؛ يعد إفساداً عظيماً ؛ لذلك ، فإنه ينبغي الحذر من أصحاب هذا المنهج ؛ أو التبرز منهم ؛ لاسيما وهم قد تناولوا علماء هذا البلد ؛ بالسب والشتم المقذع ، واتهامهم بالخيانة للدين ، وهذا أمر يدل على ما وراءه.

2- أنهم يدعون إلى الجهاد ، وليس مرادهم جهاد الكفار ، ولكن الظاهر أن مرادهم ضد الدولة علماً بالا لانيرو الدولة من الخطاء ، ولاندعي لها العصمة ، ولكن نقول: تجب طاعتهم ،

[1] الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية للعلامة أحمد النجمي 52

ومناصحتهم بطريقة سرية ؛ لأنهم مسلمون ، والشارع قد منع الخروج على الولاة ، إلا أن يرى الخارج كفراً بواحاً معه من الله فيه برهان.

3- أنهم يزعمون ؛ أن العلماء في هذا البلد ؛ لا يفقهون الواقع ، ويرد عليهم ؛ بأن المفتين ، والقضلة لم يفتوا في مسألة واحدة ، ولم يحكموا في مسألةٍ أيضاً ؛ إلا بعد أن يعرفوا واقعها ؛ الذي يحيط بها من سبب ، ومناط للحكم ، ومؤثرات فيه ؛ ومن يزعم ؛ أن هؤلاء العلماء وهؤلاء القضاة ؛ لا يفقهون الواقع ، فقد ظلم نفسه ، وقال ما لايجوز له أن يقوله ؛ أما معرفة مكائد الأعداء ، وما إلى ذلك فهذه من اختصاص الجيش في كل بلد. [1]

- تنبيه :

جماعة الإخوان المسلمون في الزمن المتأخر رأوا أن عدم اهتمامهم بالتوحيد جعل كثيرا من الناس ينفرون منهم فجاءه صورة جديدة للإخوان مطورة وهي السرورية هي الإخوان ولكن ملمعمة بأمرين

1/ إظهار الاهتمام بالعلم

2/ وإظهار الاهتمام بالتوحيد

ولكنهم إذا تأملت في أحوالهم تجد في اهتمامهم بالعلم والتوحيد أمرين :

الأمر الأول :أن هذا الإهتمام إنما هو وسيلة للجر إلى الفِكر طُعم ؛ ولذلك أضرب لكم مثالا : سفر الحوالي وهو من كبار قادة السرورية كان ... بعد العصر يشرح العقيدة الطحاوية بعد المغرب درس فكري يقرر فيه ماعليه السروريون الذين هم من الإخوان

[1] الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية للعلامة أحمد النجمي 53

سلمان العودة وهو من كبار رجال السروريين كان يشرح بلوغ المرام ، في أول الأمر كان شرح حديث واحد يأخذ شريطا كاملا ،ثم بعد فترة ليست طويلة صار في وجه يشرح أربع أحاديث ، خمس أحاديث ، وفي وجه يتكلم عن الفِكر وعن المنهج على طريقة السوريين .

إذن بالإستقراء والتتبع نجد أن هؤلاء السروريين يجعلون الإهتمام بالعلم ودروس العلم والإهتمام بالتوحيد طُعما للفكر والمنهج .

ولذلك سلمان العودة يقول إن التوحيد يُتَعلَّم في عشر دقائق.

التوحيد الذي قضى النبي صلى الله عليه وسلم عمره منذ بُعِث إلى أن مات يدعو إليه يُتَعلم في خمس دقائق؟! ...

الأمر الثاني: أن اهتمامهم بالجملة لا بالتفصيل فهم إذا تكلموا عن التوحيد لايتكلمون عن التوحيد تفصيلا وبيان صور الشرك الواقعة ونحو ذلك وإنما يتكلمون بالإجمال وهذا أمر واضح ومدرك.

إذن الإخوان المسلمون من خطرهم أنهم يهونون من دعوة التوحيد دعوة الأنبياء والرسل وعندهم مخالفات خطيرة في باب التوحيد وليس لهم نشاط في دعوة التوحيد وهذا الذي حذر منه العلماء كالشيخ بن باز رحمه الله عزوجل .

وهذا عين ما ذكره الشيخ سليمان الرحيلي حفظه الله [1]

---

[1] مقطع صوتي للشيخ سليمان الرحيلي

20- جماعة التبليغ :

هم قوم يتبعون محمد إلياس المؤسس لهذه الجماعة ...

ولد محمد الياس عام ١٣٠٢ هـ وحفظ القرآن وقرأ الكتب الستة في الحديث على المنهج الديوبندي الحنفي مذهباً الأشعري الماتريدي عقيدة الصوفي طريقة والطرق التي عندهم هي أربع

طرق :

1- النقشبندية

2- السهوردية

3- القادرية

4- الجشنية [1]

جماعة التبليغ لا تقوم على منهج كتاب الله وسنَّة رسوله عليه السلام وما كان عليه سلفنا الصالح.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فلا يجوز الخروج معهم؛ لأنه ينافي منهجنا في تبليغنا لمنهج السلف الصالح.

ففي سبيل الدعوة إلى الله يخرج العالِم، أما الذين يخرجون معهم فهؤلاء واجبهم أن يلزموا بلادهم وأن يتدارسوا العلم في مساجدهم، حتى يتخرج منهم علماء يقومون بدورهم في الدعوة إلى الله.

وما دام الأمر كذلك فعلى طالب العلم إذن أن يدعو هؤلاء في عقر دارهم، إلى تعلم الكتاب والسنَّة ودعوة الناس إليها .

---

[1] الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية للعلامة أحمد النجمي 54

وهم – أي جماعة التبليغ – لا يعنون بالدعوة إلى الكتاب والسنَّة كمبدأ عام؛ بل إنهم يعتبرون هذه الدعوة مفرقة، ولذلك فهم أشبه ما يكونون بجماعة الإخوان المسلمين.

فهم يقولون إن دعوتهم قائمة على الكتاب والسنَّة، ولكون هذا مجرد كلام، فهم لا عقيدة تجمعهم، فهذا ماتريدي، وهذا أشعري، وهذا صوفي، وهذا لا مذهب له.

ذلك لأن دعوتهم قائمة على مبدأ: كتّل جمّع ثمّ ثقّف، والحقيقة أنه لا ثقافة عندهم، فقد مرّ عليهم أكثر من نصف قرن من الزمان ما نبغ فيهم عالم.

وأما نحن فنقول: ثقّف ثمّ جمّع، حتى يكون التجميع على أساس مبدأ لا خلاف فيه.

فدعوة جماعة التبليغ صوفيّة عصريّة، تدعو إلى الأخلاق، أما إصلاح عقائد المجتمع؛ فهم لا يحركون ساكناً؛ لأن هذا – بزعمهم– يفرق. [1]

21- المميعة :

سئل الشيخ ربيع المدخلي عن معنى التمييع فأجاب بما نصه :

السؤال: نسمع كثيرا من فضيلتكم اصطلاح (التمييع) نرجو منكم بيان هذا المصطلح، و ما رأيكم فيمن يُنكر هذا الاصطلاح ؟

الجواب: هذا ما هو اصطلاح، هذا كلمة عابرة تُقال ، لكن يُقصد بها: أن أناسا يأتوا إلى أصول الإسلام يميعونها، و يرققونها ويهونون من شأنها بل يحاربونها [2]

- الفرق بين السلفي الضعيف والمميع :

السلفي الضعيف من كانت أصوله سلفية ، فهو معنا على أن الإخوان والتبليغ وغيرهم من الفرق أنهم فرق ضالة ،وأنهم يستحقون الهجر ، وأنه يبغضهم ،ولكنه يضعف في موقف ،فمثلا يصافح ويسلم على إخواني مع اعتقاده أنهم على ضلال ،ولكنه فعل ذلك مع هذا شخص

---

[1] الفتاوى الإماراتية للألباني س (73) ص (3)

[2] من شريط هل الجرح و التعديل خاص برواة الحديث

لعلاقة أو صداقة أو معاملة تجارة أو خجل أو مصلحة ظنها صالحة وهي فاسدة ،فهذا يقال أنه ضعف في هذا الموقف .

أما السلفي المميع فهو الذي أصوله فاسدة أصلا ويلبس ثوب السلفية ،ويتظاهر بذلك وهو يعتقد أن منهج أهل السنة واسع يسع حتى الإخوان والتبليغ وغيرهم ،وأنهم من أهل السنة ،ويسعى في تقرير ذلك بين السلفيين بتأصيلات وقواعد باطلة ،فهو يريد أن يهدم السور الواقي بين السلفيين وأهل البدع ،أن يهدم البراء من أهل البدع بقواعد فاسدة ، يريد أن يقضي على التمايز على منهج الولاء والبراء .[1]

22- المخذلة :

المخذلون هؤلاء هم الذين إذا رأوا الصف قد وقف أمام الصف والتحم العسكران عسكر الإيمان وعسكر البدعة و الشيطان قام يرجف ويخذل في أولياء الرحمن، هذا المخذل خطره عظيم، "لا يضرهم من خذلهم": يخذلهم في وقت يحتاجون إلى النصرة ويخذّل عن نصرتهم، هذا المخذل لا يضر إلا نفسه في الحقيقة، فتجد الأشكال والألوان المتنوعة من هؤلاء المخذلين، تارةً يطعن في أهل السنة بأنهم يحاربون الإسلام، وتارة يطعن فيهم كما سمعتم يمكن وسمعنا نحن وقرأنا تارة يطعن فيهم بأنهم ضد اتحاد كلمة المسلمين، يقفون عائق أمام وحدة المسلمين، وهذا قرأناه في هذه الأيام القريبة، أليس كذلك؟ يقفون عائقاً أمام وحدة المسلمين، وتارة يقول هؤلاء الناس الآن يذبحون وهم ما عندهم إلا الرد على فلان و الرد على فلان والرد على فلان، وتارة يقول: هؤلاء نزل بهم خطب عظيم وهو يوزع كتب الردود! وما عنده إلا المسألة الفلانية و المسألة الفلانية و الكلام في الناس، وهكذا من هذا الكلام الذي يهرف به هؤلاء مع معرفتهم لكن يريدون ممن يسمع ولا خلفية عنده أن يهرف بما لا يعرف، لأنه كما يقال: "إذا كثر الطق

---

[1] جواب مفرغ لسؤال وجه للشيخ ربيع في منتصف ربيع الثاني عام ١٤٢٥

لان المطروق"، إذا كثر الطرق لان المطروق، إذا كثر الكلام على هذا وبهذه النغمة وعلى هذا الوتر لانت رؤوس كثير من عامة المسلمين فسرق منهم الولاء و البراء للسنة وأهلها والبغض للبدعة وأهلها، ويأتينا آتٍ ويقول: يكفينا أن نتحد في عشرة في المائة من الإسلام، ما شاء الله! ماهي هذه العشرة في المائة؟ قبل أن ندخل نحن وإياك في الوحدة فيها بيّنها لنا ماهي؟ إذا شرحها لك فيها كل شيء إلا التوحيد والسنة! الشرك قائم والبدعة قائمة! فلا إخلاص ولا متابعة! على ماذا إذن نتحد؟ مافيه! تكون حينئذ وحدة القوميين "سلام على كفر يوحد بينهم ، وأهلا وسهلا بعده بجهنم" هذه مصيبة عظيمة المسلم ما ينطلق منها أبدا ولهذا هؤلاء البدء بهم والرد عليهم في الأوقات العصيبة أهم من غيرهم، لأنهم في الحقيقة ينخرون في الدين من الداخل، ينخرون في الدين من الداخل، فهذا الذي يخذل بمثل هذه الأساليب وإن قال إنه من أهل السنة وأنت ترى هذه الأفعال نقول: "إنما الولد للفراش، وللعاهر الحجر" النسبة إنما هي للأعمال ماهي للأقوال والادعاءات صح أو لا؟ النسبة للأقوال أم للأعمال؟ للأعمال، فهؤلاء أقوالهم شيء لكن أعمالهم شيء آخر تماماً مضاد لما عليه أهل السنة والجماعة.

فالواجب إذا ما أراد أهل السنة القوة و النصرة على الأعداء أن يحصنوا الدار ابتداء ثم ينطلقوا منها، أما أن تكون الدار التي يحتمون بها و الحصن الذي يحتمون به ضعيف أو فيه من يخشى أن يفتح الباب للعدو، فكيف تقر عين ذلك المتحصن في هذه الدار أو في هذا الحصن؟ كيف تقر عينه؟ ما يمكن، لأنه في أي لحظة تأخذه غفوة فينام وهي الغفلة فيغفل يفتح الباب على مصراعيه ويدخل العدو وإذا بالفتك والإثخان في أهل الإسلام وهو لا يناله شيء، وهذا الذي رأيناه في الآونة الأخيرة، طائفة المخذلة من أبناء أهل السنة هم على قسمين:

قسم يهرف بما يعرف ولكنه يريد أن يصل إلى هذا الذي ذكرت لكم؛ وهو أن كثرة الطرق يليّن المطروق، فيأخذ القاعدة العامة أو كما يقولون السواد والجماهير جماهير أهل السنة فيجرهم إلى ما يريد، فيصبح حينئذ يضربك أنت يا داعية السنة بعامة الناس الذين هم أبوك وأبي وأخوك

وأخي وعمّك وعمّي وخالك وخالي وجدك وجدي وابنك وابني وابن أخيك وابن أخي

وهكذا هؤلاء لا شأن لهم في باب العلم، لا يعرفونهم لكن من كثر الطرق لان المطروق

فيا معشر الإخوة يا معشر أبناء السنة يا معشر دعاة السنة انتبهوا لذلك . [1]

23- الحدادية :

- منهج الحدادية :

1/ بغضهم لعلماء المنهج السلفي المعاصرين وتحقيرهم وتجهيلهم وتضليلهم والافتراء عليهم ولا سيما أهل المدينة، ثم تجاوزوا ذلك إلى ابن تيمية وابن القيم وابن أبي العز شارح الطحاوية، يدندنون حولهم لإسقاط منزلتهم ورد أقوالهم.

2/ قولهم بتبديع كل من وقع في بدعة، وابن حجر عندهم أشد وأخطر من سيد قطب.

3/ تبديع من لا يبدع من وقع في بدعة وعداوته وحربه، ولا يكفي عندهم أن تقول: عند فلان أشعرية مثلاً أو أشعري، بل لابد أن تقول: مبتدع وإلا فالحرب والهجران والتبديع.

4/ تحريم الترحم على أهل البدع بإطلاق لا فرق بين رافضي وقدري وجهمي وبين عالم وقع في بدعة

5/ تبديع من يترحم على مثل أبي حنيفة والشوكاني وابن الجوزي وابن حجر والنووي.

6/ العداوة الشديدة للسلفيين مهما بذلوا من الجهود في الدعوة إلى السلفية والذب عنها، ومهما اجتهدوا في مقاومة البدع والحزبيات والضلالات، وتركيزهم على أهل المدينة ثم على الشيخ الألباني رحمه الله لأنه من كبار علماء المنهج السلفي، أي أنه من أشدهم في قمع الحزبيين وأهل البدع وأهل التعصب، ولقد كذب أحدهم ابن عثيمين في مجلسي أكثر من عشر مرات فغضبت عليه أشد الغضب وطردته من مجلسي، وقد ألفوا كتباً في ذلك ونشروا أشرطة ، وبثوا الدعايات

---

[1] الشيخ محمد بن هادي المدخلي

ضدهم، وملؤوا كتبهم وأشرطتهم ودعاياتهم بالأكاذيب والافتراءات ؛ ومن بغي الحداد أنه ألف كتاباً في الطعن في الشيخ الألباني وتشويهه يقع في حوالي أربعمائة صحيفة بخطه لو طبع لعله يصل إلى ألف صحيفة، سماه " الخميس " أي الجيش العرمرم، له مقدمة ومؤخرة وقلب وميمنة وميسرة.

وكان يدَّعي أنه يحذِّر من الإخوان المسلمين وسيد قطب والجهيمانية، ولم نره ألف فيهم أي تأليف، ولو مذكرة صغيرة مجتمعين فضلاً عن مثل كتابه الخميس.

7/ غلوهم في الحداد وادعاء تفوقه في العلم ليتوصلوا بذلك إلى إسقاط كبار أهل العلم والمنهج السلفي وإيصال شيخهم إلى مرتبة الإمامة بغير منازع كما يفعل أمثالهم من أتباع من أصيبوا بجنون العظمة، وقالوا على فلان وفلان ممن حاز مرتبة عالية في العلم: عليهم أن يجثوا على ركبهم بين يدي أبي عبد الله الحداد وأم عبدالله.

8/ تسلطوا على علماء السلفية في المدينة وغيرها يرمونهم بالكذب: فلان كذاب وفلان كذاب، وظهروا بصورة حب الصدق وتحريه، فلما بين لهم كذب الحداد بالأدلة والبراهين، كشف الله حقيقة حالهم وما ينطوون عليه من فجور، فما ازدادوا إلا تشبثاً بالحداد وغلواً فيه.

9/ امتازوا باللعن والجفاء والإرهاب لدرجة أن كانوا يهددون السلفيين بالضرب، بل امتدت أيديهم إلى ضرب بعض السلفيين.

10/ لعن المعين حتى إن بعضهم يلعن أبا حنيفة، وبعضهم يكفره.

ويأتي الحداد إلى القول الصواب أو الخطأ فيقول هذه زندقة، مما يشعر أن الرجل تكفيري متستر.

11/ الكبر والعناد المؤديان إلى رد الحق كسائر غلاة أهل البدع فكل ما قدمه أهل المدينة من بيان انحرافات الحداد عن منهج السلف ورفضوه؛ فكانوا بأعمالهم هذه من أسوأ الفرق الإسلامية وشرهم أخلاقاً وتحزباً.

12/ كانوا أكثر ما يلتصقون بالإمام أحمد، فلما بُيِّنَ لهم مخالفة الحداد للإمام أحمد في مواقفه من أهل البدع أنكروا ذلك واتهموا من ينسب ذلك إلى الإمام أحمد، ثم قال الحداد: وإن صح عن الإمام أحمد فإننا لا نقلده، وما بهم حب الحق وطلبه وإنما يريدون الفتنة وتمزيق السلفيين.

ومع تنطعهم هذا رأى السلفيون علاقات بعضهم بالحزبيين وبعضهم بالفساق في الوقت الذي يحاربون فيه السلفيين ويحقدون عليهم أشد الحقد ولعلهم يخفون من الشر كثيراً فالله أعلم بما يبيتون.

فإذا بين لنا أبو الحسن بالأدلة الواضحة على أن من يرميهم بالحدادية قد اتصفوا بهذه الصفات، فسوف لا نألوا جهداً في إدانتهم بالحدادية، بل والتنكيل بهم بالكتابة فيهم والتحذير منهم ، وإلحاقهم بالحدادية بدون هوادة .

وإن عجز عن ذلك فعليه أن يتوب إلى الله عز وجل ويعلن هذه التوبة على الملأ، وإلا فلا نألوا جهداً في نصرتهم ونصرة المنهج السلفي الذي يسيرون عليه والذب عنه وعنهم.

وعلى السلفيين الصادقين أن ينصروهم وينصروا المنهج الذين يسيرون عليه، ويأخذوا على يد من ظلمهم وظلم منهجهم، وحذار حذار أن يقع أحد منهم فيما وقع فيه الحدادية ، أو في بعض ما وقعوا فيه، وهذا هو الميدان العملي لتمييز الصادقين من الكذابين، كما قال تعالى:(ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن الكاذبين).[1]

- فائدة :

أصول الفرق المبتدعة خمسة: الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجهمية [2]

---

[1] منهج الحدادية للعلامة ربيع المدخلي

[2] فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - قسم العقيدة 323

- تنبية في حكم نبز أهل السنة السلفيين بالوهابية والجامية والمدخلية :

- قام الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب بدعوةٍ دينيّةٍ فتَبِعَهُ عليها قومٌ فلُقِّبُوا بِالوهّابيِّين لم يَدْعُ إلى مذهبٍ مُستقلٍّ في الفقه.... ولم يَدْعُ إلى مذهبٍ مُستقلٍّ في العقائد فإنّ أتباعه كانوا قبله ولا زالوا إلى الآن سُنِّيِّين سَلَفِيِّين.... وإنّما كانت غاية دعوةُ ابن عبد الوهاب تطهيرَ الدِّين مِن كلِّ ما أَحْدَثَ فيه المُحْدِثُون مِن البدع في الأقوال والأعمال والعقائد والرُّجوع بالمسلمين إلى الصِّراط السَّويّ مِن دينهم القويم بعد انحرافهم الكثير وزَيْغِهم المُبين....إنَّ الغاية الّتي رَمَى إليها ابن عبد الوهاب وسَعَى إليها أتباعُه هي الّتي لا زال يَسعى إليها الأئمّةُ المُجدِّدون والعلماء المصلحون في جميع الأزمان....بَانَ بهذا أنّ الوهّابيِّين ليسُوا بمبتدِعِين لا في الفقه ولا في العقائد ولا فيما دَعَوا إليه مِن الإصلاح [1]

- الأتراك هم الذين أطلقوا على حنابلة نجد مسمّى "الوهابية" ، وهم الذين نشروا عنهم التهم والأكاذيب في العالم الإسلامي، واستأجروا الفقهاء في جميع الأقطار ليؤلِّفوا ويكتبوا ويكذبوا على حنابلة نجد . [2]

- يقولون عنا إننا وهابيون...وما يعرف منها هؤلاء إلا الإسم وأشهر خاصة لهذا الاسم وهي أنها يذيب البدع كما تذيب النار الحديد...إلا أنهم موتورون لهذا الوهابية التي هدمت أنصابهم ومحت بدعهم...وما أقسى هذه الوهابية التي فجعت المبتدعة في بدعهم [3]

- يقولون لي: إنّ عقائدك هذه هي عقائد الوهّابيّة فقلتُ لهم: إذن الوهّابيّةُ هُم المُوحِّدُون) [4]

---

[1] آثار ابن باديس 5/34-33-32

[2] الشيخ ابن باديس مجلة الصراط عليه السلام العدد الخامس .

[3] الشيخ البشير الإبراهيمي السنة العدد 9 ص3

[4] الشّيخ الطّيّب العُقبيّ في (الشّهاب) العدد (119) (ص14)

- إن المالكي الذي يطعن في الوهابيين يطعن في مالك ومذهبه من حيث يشعر أو لا يشعر أو لأنه جاهل أو متجاهل .... فليتأمل[1]

- وأما اللقب الذي لمزت به أتباع السلفية الصحيحة بأنهم جامية نسبة إلى الشيخ الفاضل محمد أمان الجامي -رحمه الله- وهو لا ذنب له إلا أنه يدعو إلى السلفية الحقة الصحيحة كما عرفناه عنه وعاصرناه عليه وما هو مدون في كتبه وأشرطته وهذا لقب نقلته عن غيرك ولم تعرف ما تحته ومن الذي اخترعه .

إن الذين اخترعوه هم الحزبيون لما رأوا الشيخ محمد أمان الجامي وإخوانه يدعون إلى السمع والطاعة لولي أمر المسلمين ويدعون إلى لزوم الجماعة وعدم التفرق والاختلاف الذي تعينه الجماعات الحزبية اخترعوا هذا اللقب لينفروا من تلك الدعوة وأصحابها كما اخترعت الفرق السابقة لأهل السنة والجماعة ألقاباً منفرة مثل الحشوية والمجسمة والخوارج والوهابية إلى غير ذلك ولكن هذا لا يضير أهل الحق كما قال إخوانهم من قبل (قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ)[2]

---

[1] الشّيخ أبو يعلى الزَّواويّ في الصراط السوي العدد 7 ص 7

[2] من مقالة بعنوان: (نعم هذا وقتها يا زياد) للعلامة صالح الفوزان

الفصل الثالث عشر :

وصايا عقدية

1/ الفرق بين بين العقيدة والمنهج :

المنهج أوسع من العقيدة؛ لأن المنهج هو ما يسير عليه العبد في عقيدته وأقواله وأفعاله، والعقيدة ما يعقد عليه في قلبه. هذا من جهة ومن جهة أخرى فالمنهج _ في الغالب _ يكون في الأمور الظاهرة كالأخلاق والأعمال وما أشبهها. والعقيدة تكون في الأمور الباطنة.

هذان فرقان فإذا قيل مثلاً : منهج أهل السنة والجماعة فهو يشمل العقيدة ويشمل الأعمال والأخلاق. ولهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في كتاب (العقيدة الوسطية) في منهج أهل السنة والجماعة، ذكر ما يتعلق بالعقائد، وما يتعلق بالأعمال والأخلاق. [1]

2/ الجدال والخصام في الدين :

- تعريف الجدال :

الجدال: مصدر جادل، والجدل منازعة الخصم للتغلب عليه، وفي القاموس الجدل: اللدد في الخصومة، والخصام المجادلة فَهُمَا بمعنى واحد. [2]

- أقسام الخصام والجدال في الدين :

ينقسم الخصام والجدال في الدين إلى قسمين :

الأول: أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل وهذا مأمور به إما وجوبًا أو استحبابًا بحسب الحال لقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125] .

الثاني: أن يكون الغرض منه التعنيت أو الانتصار للنفس أو للباطل فهذا قبيح منهي عنه لقوله تعالى: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} [غافر: 4] . [3]

---

[1] فتاوى على الطريق للشيخ محمد بن عثيمين 17

[2] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 160

[3] التعليق على لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين 160

- طريقةُ أهل السنَّة في الجدال وذكر أدلة ذلك :

طريقةُ أهل السنَّة والجماعة اتِّباعُ الكتاب والسنَّة، والاستسلامُ والانقيادُ لنصوصهما، بخلاف غيرهم مِمَّن يعوِّل على العقول، ويتَّهم النُّقولَ، ويجادل بالباطل ليدحض به الحقَّ.

وقد جاءت الأدلَّةُ من الكتاب والسنَّة في التحذير مِن ذلك، قال الله عزَّ وجلَّ: {أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ} ، وقال: {وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ} ، وقال: {وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ} ،، وقال: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ} ، وقال: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ} .

وروى البخاري (2457) ومسلم (2668) عن عائشة رضي الله عنها عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ أبغضَ الرِّجال إلى الله الألدُّ الخَصِم".

قال الحافظ في شرحه (8/188) : "أي الشديد اللَّدد الكثيرُ الخصومة".

وذكر في (13/181) أنَّ المرادَ به الكافر أو مَن خاصم بباطل مِن المسلمين.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلاَّ أوتوا الجدلَ، ثمَّ تلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} " رواه الترمذي (3253) ، وقال: "هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ". وروى مسلم في صحيحه (2666) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: "هجَّرتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله يُعرف في وجهه الغضبُ، فقال: إنَّما هلك مَن كان قبلكم باختلافهم في الكتاب".

وروى ابن ماجه (254) عن جابر بن عبد الله أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال: "لا تعلَّموا العلمَ لتباهوا به العلماء، ولا لتُماروا به السفهاء، ولا تخيَّروا به المجالس، فمَن فعل ذلك فالنَّار النَّار".

قال ابن أبي العزّ الحنفي في شرح قول الطحاوي (ص427) : "ولا نُماري في دين الله"، قال: "معناه لا نخاصمُ أهلَ الحقّ بإلقاءِ شبُهات أهلِ الأهواء عليهم؛ الْتِماساً لامترائهم ومَيْلِهم؛ لأنَّه في معنى الدعاءِ إلى الباطل وتلبيسِ الحقّ وإفسادِ دين الإسلام".[1]

- طريقة أهل الزَيغ والضلال :

مِن طريقة أهل الزَيغ والضلال الجدالُ بالباطل واتِّباعُ ما تشابه مِن القرآن، بخلاف طريقةِ أهلِ الحقّ، الذين يؤمنون بالمُحكَم والمتشابه ويردُّون المتشابه إلى المُحكَم، قال الله عزَّ وجلَّ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} .

وروى البخاري (4547) ومسلم (2665) عن عائشة أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم تلا قولَه تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} الآية، فقال: "إذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى اللهُ، فاحذَرُوهم" وفي سنن الدارمي (406) عن أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر قال: "لا تُجالسوا أصحابَ الخصومات؛ فإنَّهم الذين يخوضون في آيات الله".

وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (134/1) عن مالكٍ قال: "المِراءُ يُقسِّي القلبَ ويُورث الضِّغن". وقال عمر بن عبد العزيز كما جامع بيان العلم وفضله (93/2) : "مَن جعل دينَه غرَضاً للخصومات أكثرَ التَّنقُّلَ".

[1] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 182

وأمّا المجادلةُ بالتي هي أحسن لإظهار الحقّ وردّ الباطل فذلك حقٌّ، وقد أمر اللهُ به في قوله: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ، وقال: {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا} .

وقد عقد ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله باباً مِن (ص92 99) لِما تُكرَه فيه المناظرةُ والجدالُ والمِراءُ، وباباً من (ص99 108) لإثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجَّة، أورد فيهما جملةً مِن النُّصوص والآثار في ذلك [1]

3/ التحذير من الرأي :

لا تبن دينك وعقيدتك على الآراء المتكلفة والأقوال المحدثة بل ابنها على الكتاب والسنة ففيهما السلامة والعصمة، وقد جاء عن السلف رحمهم الله نقول كثيرة في التحذير من الآراء وذم الرأي وأهله، من ذلك قول عمر –رضي الله تعالى عنه-: "إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء الدين، أعيتهم السنة أن يحفظوها فأعملوا عقولكم" وقال علي –رضي الله تعالى عنه-: "لو كان الدين يأخذ بالرأي لكان مسح باطن الخف أولى من مسح ظاهره"

والمراد بالرأي هنا أي الرأي المذموم القائم على الحدس والظن والعقل المجرد مع تعطيل النصوص وإهمالها والصدود عنه والإعراض، وهو الرأي الذي أحدثت به البدع، وأنشأت به الضلالات، وعطلت به الأسماء والصفات ... يقول الأوزاعي رحمه الله: "عليك بالأثر وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم". [2]

---

[1] قطف الجنى الداني شرح مقدمة أبي زيد القيرواني للعلامة عبد المحسن العباد 183

[2] التحفة السنية شرح المنظومة الحائية للشيخ عبد الرزاق البدر 112

4/ التعصب للأشخاص لا للحق :

من مصائب هذا العصر الذي أُبتلي بها الناس التعصب، التعصب لمن يعجبون به، فترى الواحد خاصة في الشباب، ترى الواحد منهم إذا أُعجب بشخص ممن قد يكون له أثر كبير في المسلمين، أو قد لا يكون له أثر ونحو ذلك، تراه يتعصب بحيث لا يسمع فيه ولا يقبل فيه لا كذا ولا كذا، وهذا نوع من أنواع الغلو الذي لا يجوز أن يكون في المؤمنين، بل يُنظر في كلامه هو بَشَر ومن أتباع النبي - صلى الله عليه وسلم -، فينظر ما كان وافق فيه السنة ووافق فيه الهدى فيقبل، وما لم يكن موافقا فيه فيرد عليه، كيف والإمام مالك رحمه الله تعالى "ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر" فمن هو دونه فلا غَرْوَ أن يكون رادّ ومردود عليه؛ يعني فلا يكون هناك تعصب عند طائفة مداره الإعجاب بأن كل ما قاله فلان فهو صواب، وكل ما لم يقله فهو خطأ، كذلك لا يكون عندنا ما يقابل التعصب بالجهة الأخرى وهو أن يكون هناك إهدار لكل صواب أصاب فيه عالم من أهل العلم أو طالب من طلبة العلم، بل الواجب أن يقال للمحسن أحسنت للمصيب أصبت وللمخطئ أخطأت، فهذا هو الذي يجب على المؤمنين، لا أن تنغلق عيونهم، تنغلق قلوبهم بحيث يكونون متابعين لكل شيء أتى به من يعجبهم سواء كان صوابا أو خطأ، وهذا يحتاج إلى نوع من التربية ينبغي أن يعتنى بها؛ ألا وهي التربية على أن يكون المقدم في نفس المؤمن هو المنهج الذي لا يخطئ، الدليل الذي لا يلحقه نقص؛ الكتاب، السنة، الإجماع ما أجمع عليه أو ما ذكره أهل السنة والجماعة في عقائدهم، وما عدا ذلك فكل يقرب منه ويبعد بحسب ما عنده من العلم والهدى.

وهذه مسألة مهمة فينبغي للشباب أن يوسعوا صدورهم، وأن لا يضيق صدرهم بعرض الآراء على الكتاب والسنة، لا، لأنه ما من أحد إلا وهو راد ومردود عليه، ولا يعتقد المراد أنه كامل، ويعتقد الناس في المردود عليه أنه ساقط بمرة، لا، بل كل أحد يجمع بين صواب وبين خطأ،

فيتبع المصيب في صوابه ولا يهضم الصواب فيه، بل يشار إليه به ويثنى عليه به، ويرد على المخطئ بخطئه، ويقال إنك أخطأت في هذا ولا يتبع في خطئه، ولا يؤخذ به فيما أخطأ فيه. هذا هو المنهج الصواب في هذه الأمور عند من أخطأ في المسائل الاجتهادية، فلا نغلوا ولا نجفوا، فالغلو مذموم والجفاء مذموم بين أهل السنة والجماعة فيما بينهم، فينبغي بل يجب أن يكون هذا كاليقين عندنا، ذم الغلو في الناس، الأشخاص، في العلماء، في الصالحين، هذا أصل من الأصول عند أهل السنة والجماعة، والغلو شعبة من شعب أهل الجاهلية؛ لأنه سببه التعصب والنفس تقبل شيئا ما، وتعجب بشخص ما فيكون القول هو ما قاله، والخطأ هو ما صد عنه.[1]

5/ العلم لابد أن يؤخذ بأصوله :

الفتنة عظيمة في العلم نفسه لأن هؤلاء الذين فيهم زيغ بحثوا واليوم تعلمون مجال البحث سهل، يأتي الواحد في مكتبة أو الآن أسهل من المكتبة يبحث في النت ويطلع له من الأقوال ويختار قول شيخ ويقول هذا قاله العالم الفلاني، قاله الإمام... لكن هذا ليس علما، العلم ليس كذلك، العلم لابد أن يؤخذ بأصوله، تجمع الأقوال وتفهم هذا مع هذا، وإلا كان العلم يتلاعب به الصبيان، كيف تكون منزلة أهل العلم ومنزلة الرسوخ في العلم... هذه مسألة عظيمة ما صلحت إلا لفئة قليلة من الأمة، فيتلاعب بها صبيان ؟! ليس الشأن أنك تبحث وتقول قال العالم الفلاني كذا، لابد أن تفهمها بمجموع العلم الذي هو عند العالم. ولذلك جاء في الأثر: " لا تزالون بخير ما كان العلم في أكابركم فإذا كان في أصاغركم وقعت الفتنة "[2]

---

[1] شرح مسائل الجاهلية للشيخ صالح آل الشيخ 68

[2] مقطع صوتي للشيخ صالح آل الشيخ

6/ النَّظر في كتب الانحراف له ثلاثة أحكام :

1- ما كان بدعةً خالصاً ليس فيه شيءٌ من السُنَّة، ومثال ذلك: "أصول الكافي" للكُلَيْميّ وغيره من كُتُب الرافضة، فهذا يحرم النظر فيه ومطالعته إلاَّ لعالمٍ متمكن يريد الردَّ على القوم من كتبهم …

شرطين :

1 - عالم متمكن.

2 - يريد الرَّد على القوم من كتبهم.

2- ما كان خليطاً فيه سُنَّةٌ وبدعة؛ فهذا لا يحل النظرُ فيه إلاَّ لعالمٍ مُتمكن قادرٌ على التمييز بين الصحيح والسقيم والغث والسمين والسنة والبدعة؛ ومن أمثلة ذلك: "الكشَّاف" للزمخشري، تفسير الكشَّاف للزمخشري، فإنَّ الزمخشري معتزلي جلد، ماكرٌ داهيةٌ، يدُسُّ اعتزالياته؛ فالمُتمكِّنُ من أهل العلم يستفيدُ مما فيه من المعاني والبلاغة والبديع واللغة والنحو وغير ذلك ما دامت عنده القدرةُ على التمييز.

3- الثالثُ ما كان خالياً من البدعة، صاحبهُ مبتدع مُؤلفه مبتدع ولكنَّ الكتاب ليس فيه بدعة، يؤلفُ مثلاً في الفقه، في الطهارة، في البيوع، ولا يدسُّ، يقول ليس لي شأن، أنا أؤلف أطلب المعيشة، أطلب الرزق من هذا التأليف، أو يأخذ مثلاً كتاباً من كُتُب الحديث ويرتبه وينظمُ أبوابهُ ويُرقمه فقط، ولا يدخل شيئاً من بدعته، فهذا إذا أرشدك إليه عالمٌ متمكنٌ أرشدك إلى هذا الكتاب، وقال لك: إن كتاب فُلان ليس فيه بدعة، طالعتهُ وخبَرتهُ، الكتاب الفلاني ليس فيه شيءٌ من بِدَعِهِ، فلا مانع من قراءته" [1]

---

[1] العلامة عبيد بن عبد الله الجابري

7/ لا ينبغي ان نتقابل في صفين و ينبغي أن نجمع كلمة اهل الحق بالحق :

لا ينبغي ان نتقابل في صفين بل ينبغي ان نحرص ما استطعنا ان نكون صفا واحدا ولو راينا ان بعض اخواننا مخطئ ينبغي ان يعني نجلس معه وان نبين له يعني هذا الخطا الذي يسير عليه هو في ذاته ونحرص على جمع الكلمه بالحق لا نترك الحق ولكنا نجمع كلمة اهل الحق بالحق [1]

8/ تصدر الصغار الذين يحرضون بين العلماء وطلاب العلم :

يوجد ... تسرع في التبديع والتفسير والتكثير بسبب وبلا سبب أو بسبب لا يستحق ذلك وما يجري بين بعض طلاب العلم من فتن ومحن وتصدر بعض طلاب العلم الصغار للاحكام على الاخرين دونما دليل ولا حجه ولا برهان وفتنه بعض طلبه العلم الصغار لبعض المشايخ الافاضل ونقل الحكايات اليهم حتى انهم قد يؤثرون عليهم في بعض الاحيان ونقل الكلام بين المشايخ واغار صدورهم على بعضهم وملئ الساحة بالكلمات الجارحه والاحكام على الناس بلا تبين والله تبارك وتعالى يقول يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين

وقد يحكم على شيخ فاضل او طالب علم فاضل له باع طويل في الذب عن المنهج السلفي وفي تقرير منهج اهل السنه والجماعه وفي الثناء على العلماء وفي حث طلبه العلم على لزوم المشايخ الكبار

والعلماء الكبار ومع ذلك قد ينال منه وقد ينسب اليه ما لم يقل وقد يقول ما لم يقل وقد يلزم بما لا يقصد وقد يحرف كلامه حتى يكون تبعا لهوى ذلكم الشخص الذي تسرع في تبديعه او تفسيخه او تكفيره او التحذير منه

---

[1] مقطع صوتي للشيخ سليمان الرحيلي

وقد اوصانا مشايخنا شيخنا الشيخ صالح الفوزان سماحه المفتي فضيله الشيخ ربيع فضيله الشيخ علي بن ناصر فضيلة الشيخ عبد المحسن كلهم اوصونا بالرفق واوصونا بعدم التسرع وقبلهم شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد الصالح العثيمين وغيرهم من مشايخنا الافاضل كلهم يوصون طلبه العلم بالهدوء والترفق كما قال ايوب السختياني رحمه الله ترفقوا اهل السنه فانكم اقل الناس فيجب علينا ان نحذر من ذلك وان نترك ما قد يجري بين بعض طلبه العلم وبين بعض المشايخ من خلاف نكله الى العلماء الكبار يعالجونه اما ان ياتي الصغار ويتناقلون الكلام ويوقدون النار ويشعلونها ويكبرونها ويضخمونها وتجعل لها ذيول ويزاد ويزاد ويزاد حتى تحصل في فتن لا تحمد عقباها

لقد وجدنا في بعض البلاد الاسلاميه بل وفي اوروبا بين الاقليات الاسلاميه من كادوا ان يقتتلوا على تبديع فلان او السماع لفلان او عدم الاخذ عن فلان وكلهم الراد والمردود عليه كلهم طلبه علم ومشايخ فيهم خير كبير نسال الله لهم التوفيق والسداد كادوا يقتتلون كادوا يحملون السلاح على بعضهم البعض وانتقلت العدوى حتى الى اوروبا والى افريقيا والى امريكا والى كل مكان ومن ذلك ايضا الامتحان بالاشخاص الذين لا يعرفهم هذا المسكين الذي اسلم حديثا فربما امتحن بفلان من الناس نحن نعرف ان فلان مبتدع نعرف هذا لكن ما نمتحن به شخصا لا يعرفه

سئل شيخنا الشيخ ربيع وهو في بيته قبل بضع سنوات عن فتنه ابي الحسن وكان المتصلون من اوروبا وكان في بيته فقال لهم الشيخ جزاه الله خيرا هل لهذه الفتنه او هل لهذا الرجل عندكم اي ذكر قالوا لا لا نعرفه قال اذا دعوه لا ترفعوه ولا تذكروه بينكم ما دام ليس له ذكر بينكم دعوه فيكفي ان العلماء ردوا عليه وهذا في حد ذاته كاف

ومن ذلك ايضا ان البعض من الناس ... اذا وجد خطا من عالم او شيخ او طالب علم يكبره ويضخمه ... من غلب اتباعه للسنه على ما قد يوجد عنده من هناك نرد الخطا مع احترام ذلكم العالم وعدم اهانته وعدم التشهير به

وما زال علماؤنا ياخذون عن النووي وابن حجر وابن عقيل وابن مفلح وابي يعلى والخطابي وغيرهم وغيرهم من العلماء الافاضل ويثنون عليهم ويردون ما عندهم من اخطاء او اوهام او تاويلات مع الاحتفاظ بكرامتهم وعدم التشهير بهم وعدم الاساءه اليهم حتى لا نقع فيما وقع فيه محمود الحداد ومن كان على شاكلته الذي بدع هؤلاء الائمه الكبار ودعا الى احراق فتح الباري والى احراق شرح النووي على مسلم والى امور كثيره ولم يسلم منه حتى بعض الصحابه نسال الله العافيه والسلامه ...

ننبه ... الى مساله لا يظنن اني اقول قبل ان نرد على المبتدع نبين محاسنه كما يدعو اليه المميعون في هذا العصر هذا غير صحيح من عرف بالبدعه وتلطخ بها وكان من اهلها نعم هو يدعى بالحكمه والموعظه الحسنه انما اذا اصر على بدعه وانهمك مع اهل البدع وصارت طابعه البدعه فانه يرد عليه ولا كرامه مع البعد عن السب والشتم مما لا فائده فيه

فمنهج الموازنات لسنا من اهله الموازنات يقولون اذا اردت ان ترد على مبتدع فعليك ان تذكر محاسنهمأولا محاسنه اولا المسلم الائمه عندما ردوا على جهم وعلى بشر بن غياث وعلى ابن ابي دؤاد هل ذكره محاسنهم قبل ان يردوا عليهم حاشا لله لم يفعل احد ذلك لكن عندما يذكرون بعض العلماء الذين لهم عليهم ولا سيما اذا كان الموضوع موضوعه ترجمه فانهم يذكرون كلما له ويذكرون كلما عليه هذا هو منهج العلماء الربانيين فان كانوا من اهل البدع ردوا عليهم في اماكن اخرى وان كانوا من اهل السنه لكن وقعوا في اخطاء او وقعوا في اوهام او وقعوا في امور كثيره ولكن حسنات تغلب فانهم يحتفظون بكرامتهم انظروا الى كلام الائمه عن

بعض الحفاظ الذين جاءهم وهم او اختلطوا ما لم يغلب وهمه على صوابه انظر (صدوق يهم) سبحان الله (طيب صدوق) ثقه ثبت له اوهام يعني يبينون هذا مع الاحتفاظ بكرامته [1]

9/ نماذج من اقوال العلماء حول معامله المخطئ والمتاول :

وهذه نقول عن جماعة من أهل العلم في تقرير وتوضيح اغتفار خطأ العالم في صوابه الكثير:

قال سعيد بن المسيب (93هـ) : "ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلاَّ وفيه عيب، ولكن مَن كان فضلُه أكثرَ من نقصه ذهب نقصه لفضله، كما أنَّه من غلب عليه نقصانه ذهب فضله.

وقال غيره: لا يسلم العالم من الخطأ، فمَن أخطأ قليلاً وأصاب كثيراً فهو عالم، ومن أصاب قليلاً وأخطأ كثيراً فهو جاهل". جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (48/2) .

وقال عبد الله بن المبارك (181هـ) : "إذا غلبت محاسنُ الرَّجل على مساوئه لَم تُذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ عن المحاسن لَم تُذكر المحاسن". سير أعلام النبلاء للذهبي (352/8 ط. الأولى) .

وقال الإمام أحمد (241هـ) : "لَم يعبر الجسر من خراسان مثل إسحاق (يعني ابن راهويه) ، وإن كان يخالفنا في أشياء؛ فإنَّ الناسَ لم يزل يخالف بعضُهم بعضاً". سير أعلام النبلاء (371/11) .

وقال أبو حاتم ابن حبان (354هـ) : "كان عبد الملك ـ يعني ابن أبي سليمان ـ من خيار أهل الكوفة وحفاظهم، والغالب على من يحفظ ويُحدِّث من حفظه أن يهم، وليس من الإنصاف ترك حديث شيخ ثبْتٍ صحَّت عدالتُه بأوهام يهم في روايته، ولو سلكنا هذا المسلك للزمنا ترك حديث الزهري وابن جريج والثوري وشعبة؛ لأنَّهم أهل حفظ وإتقان، وكانوا يحدِّثون من حفظهم، ولم يكونوا معصومين حتى لا يهموا في الروايات، بل الاحتياط والأولى في مثل هذا

[1] مقطع صوتي للشيخ صالح السحيمي

قبول ما يروي الثبت من الروايات، وترك ما صح أنَّه وهم فيها ما لم يفحش ذلك منه حتى يغلب على صوابه، فإن كان كذلك استحق الترك حينئذ". الثقات (7/97. 98).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (728هـ) : "ومِمَّا ينبغي أن يُعرف أن الطوائفَ المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدِّين والكلام على درجات، منهم مَن يكون قد خالف السنَّةَ في أصول عظيمة، ومنهم مَن يكون إنَّما خالف السنَّةَ في أمور دقيقة.

وَمن يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين هم أبعدُ عن السنَّة منه، فيكون محموداً فيما ردَّه من الباطل وقاله من الحقِّ، لكن يكون قد جاوز العدل في ردِّه بحيث جحد بعضَ الحقِّ وقال بعضَ الباطل، فيكون قد ردَّ بدعةً كبيرة ببدعة أخفَّ منها، ورد باطلاً بباطل أخفَّ منه، وهذه حالُ أكثر أهل الكلام المنتسبين إلى السنَّة والجماعة.

ومثل هؤلاء إذا لَم يَجعلوا ما ابتدعوه قولاً يفارقون به جماعةَ المسلمين يوالون عليه ويعادون كان من نوع الخطأ، والله سبحانه وتعالى يغفر للمؤمنين خطأَهم في مثل ذلك.

ولهذا وقع في مثل هذا كثيرٌ من سلف الأمة وأئمتها لهم مقالات قالوها باجتهاد وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة، بخلاف مَن والى موافقَه وعادى مخالفَه، وفرَّق بين جماعة المسلمين، وكفَّر وفسَّق مخالفَه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحلَّ قتال مخالفه دون موافقه، فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات". مجموع الفتاوى (3/348. 349).

وقال (19/191. 192) : "وكثيرٌ من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنَّه بدعة، إمَّا لأحاديث ضعيفة ظنُّوها صحيحة، وإمَّا لآيات فهموا منها ما لَم يُرَد منها، وإمَّا لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتَّقى الرَّجل ربَّه ما استطاع دخل في قوله: {رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} وفي الصحيح أنَّ الله قال: "قد فعلتُ".

وقال الإمام الذهبي (748هـ) : "ثم إن الكبير من أئمَّة العلم إذا كثر صوابُه، وعُلم تحرِّيه للحقِّ، واتَّسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحُه وورعه واتِّباعه، يُغفر له زلَله، ولا نضلِّله

ونطرحه، وننسى محاسنه، نعم! ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك".
سير أعلام النبلاء (271/5) .

وقال أيضاً: "ولو أنَّا كلَّما أخطأ إمامٌ في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفوراً له قُمنا عليه وبدَّعناه وهجَرناه، لَمَا سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده ولا مَن هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحقِّ، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة" السير (40.39/14) .

وقال أيضاً: "ولو أنَّ كلَّ من أخطأ في اجتهاده. مع صحَّة إيمانه وتوخِّيه لاتباع الحقِّ. أهدرناه وبدَّعناه، لقلَّ مَن يسلم من الأئمَّة معنا، رحم الله الجميعَ بمنِّه وكرمه". السير (376/14) .

عليه، بل يشتغل بالعلم الذي يعود عليه وعلى غيره بالنفع العظيم، وهذه هي طريقة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

4. لا يجوز أن يَمتحن أيُّ طالب علم غيرَه بأن يكون له موقف من فلان المردود عليه أو الرَّاد، فإن وافق سلم، وإن لم يُوافق بُدِّع وهُجر، وليس لأحد أن ينسب إلى أهل السنَّة مثل هذه الفوضى في التبديع والهجر، وليس لأحد أيضاً أن يصف من لا يسلك هذا المسلك الفوضوي بأنَّه مُميِّع لمنهج السلف، والهجرُ المفيد بين أهل السنَّة ما كان نافعاً للمهجور، كهجر الوالد ولده، والشيخ تلميذه، وكذا صدور الهجر مِمَّن يكون له منزلة رفيعة ومكانة عالية، فإنَّ هجرَ مثل هؤلاء يكون مفيداً للمهجور، وأمَّا إذا صدر الهجر من بعض الطلبة لغيرهم، لا سيما إذا كان في أمور لا يسوغ الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلَّة هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تُهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين" إعلام الموقعين (295/3) .

وقال ابن رجب الحنبلي (795هـ) : "ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير من صوابه". القواعد (ص:3) . [1]

10/ الفرق بين المنهج السلفي والأفراد المنتسبين إليه :

أولا : المنهج السلفي منهج معصوم عن الأخطاء والخلل وهو دين الله الحق والدين الإسلامي معصوم وحيث لا فرق بين الإسلام الصافي النقي وبين السلفية فإذا قيل السلفية فُهم منه الإسلام الصافي ،وإذا قيل الإسلام الصافي عُني به السلفية ، فإن المنهج السلفي معصوم بعصمة الدين ونحن لا ننسب السلفية إلينا بل نحن ننتسب إلى السلفية وهي حجة علينا ولسنا حجة عليها .

ثانيا :أما الأفردا المنتسبون إلى المنهج السلفي ، يخطئون ويصيبون كغيرهم من الناس فليسوا معصومين فإذا أخطأ واحد منهم وإن كان من رموز الدعوة فلا نغتر به ولا

ندافع عن خطئه بل علينا أن ننصح له وندعو له إلى الجادة بحكمة ، ولا نتقلب بتقلبه والمنهج السلفي بريء عما يفعله البعض فعلينا أن نربط الناس بالخالق لا بالأشخاص [2]

11/ أتباع المبتدع .. هل يلحقون به فى الهجر؟

المخدوع منهم يُعلم يا إخوة ، لا تستعجلوا ، علموهم وبينوا لهم ، فإن كثيراً منهم يريد الخير ، حتى الصوفية والله لو هناك نشاط سلفي لرأيتهم يدخلون فى السلفية زرافات ووحداناً .

فلا يكن القاعدة عندكم بس هجر .. هجر .. هجر .. هجر .. الأساس الهجر ؟!!

الأساس النصح وهداية الناس ، إدخال الناس فى الخير ، قضية الهجر قد تفهم غلطاً ، إذا هجرت الناس كلهم من سيدخلون فى السنة ؟!

[1] رفقا أهل السنة بأهل السنة للعلامة عبد المحسن العباد 43

[2] شرح الحموية للعلامة محمد أمان الجامي 29

الهجر هذا يا اخوتاه ، كان في أيام الإمام أحمد ، الدنيا مليئة بالسلفية ، وإذا قال الإمام أحمد: فلان مبتدع ، سقط ، أما الآن عندك السلفية كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود !!

الأساس عندكم هداية الناس ، وإنقاذهم من الباطل ، تلطفوا الناس وادعوهم وقربوهم يكثر – إن شاء الله – سواد السلفيين وتكسبوا كثيراً من الناس ..

أما أنت " منتفخ " وهكذا ، وكل الناس ضالون ، ولا تنصح ولا شيء ، ولابيان ، غلط..!!

هذا معناه سد أبواب الخير في وجوه الناس ..!! فلا تكن عندكم بس زجر .. زجر ..!!

الهجر إذا قال اهجروا ، ممكن واحد مبتدع يرجع ، يضطر يرجع ، يشوف الدنيا كلها قدامه سلفيين فيضطر للرجوع ..

اما الآن يلتفت كذا ما يرى سلفيين ، راح مع الناس .. فتنبهوا لهذه الأشياء !!

تكون القاعدة عندكم الأساس هى هداية الناس ، وإدخالهم فى السنة ، وإنقاذهم من الضلال ، هذه هى القاعدة عندكم، واصبروا واحملوا وكذا وكذا..

بعدين آخر الدواء الكى ..

أما تكون من أول مرة الهجر! هذا غلط بارك الله فيكم !!

فليكن القاعدة عندكم هو انتشال الناس .

والله كثير من الناس فيهم الخير ، يريدون الخير ، يروحون للمساجد ايش يبغون ؟!

يريدون الجنة يا إخوة ، يريدون الخير ..

لكن الأساليب ..!! خلوا أساليبكم حكيمة ، والله الأساليب الحكيمة الرحيمة الذى يشعر أنك ما أنت متعال عليه ..،

إذا شعر إنك متعال عليه ما يدخل معك ، ما يريد منك الحق ، لكن تواضع له ، ألن جانبك ، ترفق به ادعوه بالحكمة ، وإن شاء الله كثير من الناس يدخلون .

كانت الهند كلها خرافيين قبوريين، وجاء أهل الحديث بالعلم والحكمة، كسبوا الملايين بحكمتهم وعلمهم،

ثلاثة.. أربعة.. من كبار تلاميذ الشيخ : نذير حسن ، قلبوا الهند رأساً على عقب ، بحكمتهم وعلمهم [1]

12/ الفتن والاختلافات بين الشّباب :

إذا حصلت الفتن والاختلافات بين الشّباب إيّاك إيّاك أيها الشاب السلفي أن تنخرط في الكلام والمجادلة والمخاصمة في هذه المجادلات، بل قف وانتظر رأي العلماء الكبار، قف واسأل ما قول العلماء الكبار ؟، قف واسأل الله عز وجل أن ينجيك من الفتن، لأننا نرى كثيراً من الشباب حينما تحصل مشكلة ينخرط ويدافع عن جهة معينة ويصر ويعاند ويسبُّ ويتشدد ويغلو ووو إلخ ! إلى أن ينزلق في هاوية الحزبية أو هاوية الضلال أو الانحراف عن منهج السلف ولو جئت فسألته ماذا تريد ؟ هل تريد الله ورسوله ﷺ وتريد الحق أم تريد مجرد الهوى ونصرة فلان وعلان ؟!❊

فإن أردت الحق فالحق معروف في الكتاب والسنّة ومنهج السلف الصالح والذي يسير عليه العلماء الكبار، فكن معهم ولا تتقدم عليهم، وإن أردت فلان وعلان فإنك ستُوكل إليهم وتوكل إلى نفسك فاحذر من هذا المسلك وهو مسلك خطير وهو من الأسباب الخطيرة التي تؤدي بالشباب السلفي إلى الانحراف،❊

---

[1] من شريط سجل في رمضان من عام 1423 مع فضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله

إذا وقعت مشكلة مباشرة لا ينتظر رأي العلماء الكبار ! ولا يرجع إليهم يسألهم ! ولا يتمهَّل ! فقد تقع مشكلة وفتنة نجد أن العلماء الكبار يصبرون وينظرون ويأتيك هذا الحَدَث ويتكلم وكأنه ابن تيمية زمانه ! يضلِّل هذا ويبدع هذا ويصوب هذا ويرجح هذا !❋

ولا شك أن هذا خطأ فإن من سنن السلف ومن آدابهم أن الشاب الحدث إذا كان في حضرة العلماء وفي بلادهم أو بوجودهم أن لا يتقدم عليهم إنما ينتظر رأيهم وقولهم، يكن معهم فإن الحق إن شاء الله لا يعدوهم بإذن الله عز وجل.[1]

13/ خمس خطوات معالجة الخطأ الذي يقع فيه السلفي وغيره :

الخطوة الأولى:الاعتراف بهذه الحقيقة، وهي أن كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، وهذا أول خطوة في التعامل مع الخطأ إذا وقع فيه السلفي، وغيره من الناس.

الخطوة الثانية: أن ننظر في المسألـة التـي وقع فيها الشخص، هل هي من المسائل الاجتهادية؟ أو هي من المسائل التي ظهر فيها الدليل الـذي يلزم المصير إليه؟

وهذا يحتاج إلى طالب علم أو عالم نرفع إليه قضية الأخ هذه فنقول له: فـلان أخطأ يـا شيخ، كيف نعامله، وكيف الموقف فيه؟

لأنه قد يكون ما وقع فيه هذا الأخ من باب المسائل الاجتهادية، وليس من المسائل التي يلزم المصير فيها إلى ما دل عليـه الـدليل.

وتعاملنا معه إذا خالف في مسألة اجتهادية، ليس مثل تعاملنا مع مخالفته إذا كان خالفنا في مسألة ظهر فيها الدليل الذي يلزم المصير إليه.

فقد يكون مثلاً يخالفنا في وضع اليدين على الصدر بعد الركوع، هو يضعها ونحن لا نضعها، أو نحن نضعها وهو لا يضعها. فهذه مسألة اجتهادية.

---

[1] الأجوبة المكية على الأسئلة المنهجية الليبية.احمد بازمول

وقد يكون الخلاف في مسألة إزرة المؤمن إلى أنصاف الساقين، فجعل ثوبه إلى نصف الساقين، ونحن نرى أن إزرة المؤمن كما قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: ﴿إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ، وَمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فِي النَّارِ﴾. فهو يخالفنا، فنحن نلبس إلى الكعبين، وهو يلبس إلى أنصاف الساقين.

وقد تكون المسألة في لبس العمامة، ونحن لا نرى لبس العمامة، نرى لبس الخمار الذي نحن نسميه الغترة والشماغ، ونحو ذلك من المسائل التي تتحمل تعدد وجهات النظر، وليس فيها من الأدلة ما يلزم المصير إليه، أو ما يعين القول فيها بقول واحد.

وقد يكون يرى أن تارك الصلاة كافر مطلقًا، ونحن نرى أن تارك الصلاة إذا كان كسلاً وتهاونًا لا يكفر، وإذا تركها إنكارًا وجحودًا فإنه كافر؛ فنفصل كطريقة الجمهور.

فلا ينبغي أن يكون هناك نزاع، في هذه مسائل الخلاف فيها معتبر، وبعضها يسوغ من نفس الدليل.

وهذه الخطوة تحتاج إلى أفق واسع ومعرفة بالخلاف.

وقد قيل: كلما زاد علم الرجل بالخلاف اتسع صدره، وكلما نقص علم الرجل بالخلاف ضاق صدره.

الخطوة الثالثة: هذا الخطأ الذي وقع فيه الأخ، إذا عرفنا أنه خطأ مما لا يسوغ فيه الخلاف، وأنه يلزمه أن يوافقنا؛ فإننا ننكر عليه، ونشدد، و نأمره بالمعروف، وننهاه عن المنكر، ونأمره بالرجوع إلى العلماء، وإلى طلاب العلم؛ ليبينوا له هذه المسألة.

أما إذا كانت المسألة مما يسوغ فيه الخلاف، فنحن نترفق معه، ونناصحه، ونكلمه بهدوء، وبالتي هي أحسن، ولا نشدد عليه في قضية الخلاف.

الخطوة الرابعة: علينا أن نتجنب في كل ذلك الفجور في الخصومة؛ فإن بعض الناس لا يطيق أن يجد إنسانًا يخالفه في مسألة، والفجور في الخصومة أنه إذا وجد من يخالفه في المسألة فجر.

وهذا من علامات النفاق قال -صلى الله عليه وسلم-: ﴿أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ خَالِصٌ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ﴾.

فالفجور في الخصومة لمجرد الخلاف من صفات المنافقين، فعلى المسلم أن يحذر منه.

الخطوة الخامسة: حاورناه، وناقشناه، رفعنا أمره لأهل العلم، وطلبنا منه الرجوع إلى أهل العلم.

تكلم معه طلاب العلم، وناصحوه، وبينوا له. وأقيمت عليه الحجة، وأزيلت عنه الشبهة.

ثم تبين بعد ذلك إصراره على اتباع الهوى!

فنقول: هنا ننتقل من باب الوصف لقوله، أو فعله بأنه خطأ، ومخالفة، إلى وصفه هو بأنه صاحب بدعة، أو بأنه مبتدع، وبأنه ضال، وبأنه من أهل الهوى.

فننتقل من باب وصف القول والفعل، إلى وصف العين.

وننتقل بعد هذا إلى أمر آخر، وهو أن نستشعر خطورة هذا الرجل؛ لأنه أصبح يحمل فكرًا ضالاً لا مسوغ له، أصبح يخالف أهل السنة والجماعة، فينبغي حصر شره، وكفه عن الناس، وذلك:

- بهجره،

- والتحذير منه،

ومن مجالسته،

والاستماع له،

والقراءة لكتبه!

فهذا الرجل السكوت عنه يعني؛

تمكينه من نشر فكره.

قد يؤثر في طلبة العلم المبتدئين؛ فيخرجهم عن السنة.

تركه يضع الشبهات؛ لإضلال الناس عن طريق أهل السنة والجماعة.

هنا يأت الأصل العظيم الذي يقرره السلف، ونقل فيه إجماعهم عليه، ألا وهو هجر أهل البدع والأهواء.

فيهجر، ويحذر منه، فلا يجالس، ولا يصاحب، ولا يسمع إليه، ولا يكثر سواده، ونبتعد عنه؛ لأنه أصبح صاحب بدعة وضلالة.

ولا فرق في ذلك بين كبير البدع وصغيرها، كل البدع ضلالات، وأصحابها أصحاب ضلالات.

هذا هو منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع من وقع في الخطأ.

وظهرت طائفة هي وجه من وجوه الخوارج، سلكت مسلك الخوارج في التعامل مع من يقع في الخطأ، ماذا يصنعون؟

هذه الفرقة تحكم على صاحب الخطأ بخطئه مباشرة بدون قيام حجة.

لا تفرق بين خطأ السني، وخطأ غيره.

لا تفرق بين العالم السني المعروف بأن أصله اتباع الكتاب والسنة، وبين صاحب البدعة والضلالة فتسوي بينهم.

وهي التي يقال لها: (الحدادية)؛ مسلكهم خلاف مسلك أهل السنة والجماعة في هذا الباب، خرجوا عن طريقة أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع؛ فينبغي الحذر منهم، وعدم سلوك مسلكهم.[1]

---

[1] صفحة الشيخ محمد بن عمر بازمول حفظه الله على الفايسبوك

13/ أصول الدعوة السلفية :

الأصل الأول: الاهتمام والعناية بطلب العلم الشرعي والتفقه في الدين.

الأصل الثاني: الحرص على التطبيق العملي للإسلام.

الأصل الثالث: الدعوة إلى الله على بصيرة.

الأصل الرابع: الاهتمام بعقيدة السلف علماً وعملاً وتعليماً.

الأصل الخامس: الاهتمام بالسنة النبوية والحرص على العمل بها والدعوة إلى ذلك.

الأصل السادس: الارتباط الوثيق بعلماء السنة.

الأصل السابع: الابتعاد عن الحزبيات والجماعات الإسلامية السرية.

الأصل الثامن: الالتزام بما دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف في معاملة أئمتنا وحكامنا.

الأصل التاسع: منابذة أهل البدع والتحذير منهم.

الأصل العاشر: التزامنا بالكتاب والسنة في كل شؤوننا وأحوالنا.[1]

14/ حكم من أخطأ في العقيدة أو في المنهج ونشر خطأه ونُصح ليرجع :

من أخطأ في العقيدة أو في المنهج ونشر خطأه ونُصح ليرجع من الخطأ إلى الصواب فأبى أن يرجع وا وأصر وعائد على باطله ؛ فإنه يُحذر منه وجوبًا على من لديه قدرة علمية ، وحكمة دعوية ، ليعلو الحق ويُعلم ويعمل به ، ويُعرف الباطل فيدحض بالحق ويحذر الناس منه ، وهذه وظيفة الرسل الكرام والأنبياء العظام وورثتهم من العلماء الأعلام. وأما ما يتعلق بإخراجه من السلفية وعدم إخراجه منها ؛ فإن العلماء الربانيين أهل ورع وعدل وانصاف ، فلا يخرجون

---

[1] من فهرس كتاب أصول الدعوة السلفية للشيخ عبد السلام برجس رحمه الله تعالى.

أحدا من الإيمان بالكلية بسبب ذنب ارتكبه ، إلا أن يكون كفرًا أكبر أو شركًا أكبر أو نفاقاً اعتقاديًا أو ردة وزندقة تخرجان مرتكبها من الملة. [1]

15/ التفريق في التعامل بين السلفي المخطئ و بين المخاصم على بدعة

بعض الشباب لا يفرق في التعامل بين المخاصم على بدعة وبين السلفي المخطئ الذي لم يبدع، فبلا شك أن المخاصم المبتدع لا كرامة له، ولا يوقر ولا يحترم، مع توخي أمر المصلحة والمفسدة في مسألة إظهار الإنكار عليه من عدمه، ويجب مراعاة حال الناس حتى لا يتهم أصحاب الدعوة السلفية بالغلظة والتنفير.

أما السلفي -خاصة الكبير في السن والعلم- فإنه ينبغي أن يراعى معه هذا الأدب الشرعي، بأن يحترم ويوقر إذا نُصح، ويبين له خطؤه برفق وحكمة، لا بغلظة وتنفير، ومخالفة هذا السمت يُظهر هؤلاء الشباب بمظهر الحدادية، بل يفتح طريقا ممهدا إلى منهج الحدادية. [2]

16/ تعلم المنطق :

نحن في غنى عن المنطق فالصحابة رضي الله عنهم لم يدرسوا المنطق، ولا عرفوا المنطق، والتابعون كذلك.

والمنطق حدث أخيراً، ولا سيما بعد افتتاح بلاد الفرس والرومان حيث انتشرت كتب الفلاسفة، ولا سيما أنها دعمت بعمل من الخلافة كما فعل المأمون، الذي قال عنه شيخ الإسلام رحمه الله: لا اعتقد أن الله يغفل للمأمون عما صنع بهذه الأمة ، أو كلمة نحوها والعياذ بالله، فقد جر الناس إلى سوء، ودعاهم إلى ضلاله، والله حسيبه.

لكن علم المنطق كتب فيه العلماء رحمهم الله وحذروا منه، وممن كتب في الرد على المنطق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فقد كتب في الرد عليهم كتابين أحدهما مطول والآخر مختصر؛

---

[1] الأجوبة الأثرية عن المسائل المنجية للعلامة زيد المدخلي 95

[2] التعصب للشيوخ للشيخ خالد المصري 214/2

المطول: الرد على المنطقيين، والمختصر: نقض المنطق، وهذا الأخير أحسن لطالب العلم؛ لأنه أوضح وأحسن ترتيباً، وقد ذكر رحمه الله في مقدمة كتاب الرد على المنطقيين قال: ((إن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد)) ، فالبليد يبقى ساعات ليحل سطراً مما كتب فيه، والذكي لا يحتاج إليه، وإذا كان الذكي لا يحتاج إليه والبليد لا ينتفع به، إذاً فإن دراسته مضيعة وقت.

وهذا الكلام من شيخ الإسلام يدل على أن أدنى أحواله الكراهة، والعلماء رحمهم الله اختلفوا فيه؛ فمنهم من حرمه ومنهم من قال: ينبغي أن يعلم، ومنهم من فصل، فقال: الإنسان الذي عنده منعة لا يؤثر على عقيدته فإنه ينبغي أن يتعلمه ليحاج به قومه، أي قوم المنطق، ومن لم يكن كذلك فلا يتعلمه لأنه ضلال.

والصحيح أنه لا يتعلمه مطلقاً؛ لأنه مضيعة وقت، لكن إذا اضطر إلى شيء منه فليراجع ما اضطر إليه فقط، ليكون تعلمه إياه كأكل الميتة، يحل للضرورة وبقدر الضرورة، فإذا كان هناك اضطرار أخذ من علم المنطق ما يضطر إليه فقط، أما أن يتوسع ويضيع وقته فيه فلا.

وذلك لأنه ما ادخل علم المنطق على المسلمين إلا البلاء، حتى أوصلهم إلى أن يقولوا على الله ما لا يعلمون، وينكروا على الله ما وصف به نفسه، فالمسألة خطيرة، والله عز وجل نزل الكتاب تبياناً لكل شيء، لا يحتاج الناس إلى شيء بعد كتاب الله، وأمر عند التنازع أن يرد إلى الكتاب والسنة، قال تعالى (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) (النساء: الآية59)) . [1]

[1] شرح السفارينية للعلامة ابن عثيمين 715

فهرس الموضوعات

للتواصل

diyaahaouaridiyaa@gmail.com